

د. أحمد العدوي



الصابئة

منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الخلفاء العباسية

أريّة

الصابئة

منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية

أحمد عبد المنعم العدوي



للنشر والتوزيع

2012

الكتاب: الصابنة منذ ظهور الإسلام

حتى سقوط الخلافة العباسية

تأليف : دكتور أحمد عبد المنعم العدوي

المدير المسؤول : رضا عوض

رؤية للنشر والتوزيع

القاهرة : 012/3529628

8 ش البطل أحمد عبد العزيز - عابدين

تقاطع ش شريف مع رشدي

Email: Roueya@hotmail.com

فاكس : 25754123 (202) +

هاتف : 23953150 (202) +

الإخراج الداخلي : حسين جيبيل

جمع وتنفيذ : القسم الفني بالدار

الطبعة الأولى : 2012

رقم الإيداع : 2012/?????

الترقيم الدولي : 978-977-499-???-?

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

مُنْذُ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ وَحَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا؛ دَرَسَ عَدِيدٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ جَوَانِبَ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ تَرَاثِ الصَّابِنَةِ، وَأَصُولِهِمْ، وَعَقَائِدِهِمْ. رَكَّزَ الْمُسْتَشْرِقُونَ جُهُودَهُمْ فِي دَرَاسَةِ اللُّغَةِ وَالْأَدْبِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ، وَالْعَقَائِدِ، وَقَضَايَا الْأُصُولِ وَالنَّشْأَةِ، وَالْفُلُكُلُورِيَّاتِ، يَبْدُو أَنَّ دَرَاةً وَاحِدَةً لَمْ تُفَرِّدْ بِالْعَرَبِيَّةِ - أَوْ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ - تَصَدَّتْ لِتَارِيخِ تِلْكَ الْفِرْقَةِ الْغَامِضَةِ فِي أَزْهَى عَصُورِ ازْدَهَارِهَا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ، لَا سِيَّامَا الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَهُوَ الْعَصْرُ الَّذِي شَهِدَ أَوْجَ عَطَائِهَا الْفِكْرِيِّ وَالْحَضَارِيِّ.

وَعَلَى كَثَرَةِ الْبَحْثِ وَالِدِّرَاسَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا هَؤُلَاءِ الْمُسْتَشْرِقُونَ، مَا تَرَكَ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْقَضَايَا الْخِلَافِيَّةِ وَالْمُعْلَقَةِ، وَالَّتِي لَا تَزَالُ تُثِيرُ جَدَلًا وَاسْتِعَابًا بَيْنَ جُمْهُورِ الْبَاحِثِينَ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا أُصُولُ الصَّابِنَةِ الْعِرْقِيَّةِ، وَجُذُورُ دِيَانَتِهِمْ، وَعِلَاقَةُ الصَّابِنَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ بِالصَّابِنَةِ الَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهُمْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكَذَلِكَ طَبِيعَةُ عِلَاقَةِ صَابِنَةِ حَرَّانَ بِالْمُنْدَائِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ بِالصَّابِنَةِ الَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهُمْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. بَلْ تَطَرَّقَ الْجَدُلُ إِلَى مُنَاقَشَةِ مَا يُقْصَدُ بِمُصْطَلَحِ الصَّابِنَةِ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَاللُّغَةِ الْأُولَى الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا، وَإِلَى أَيِّ قَوْمٍ يُشِيرُ، وَهِيَ كُلُّهَا قَضَايَا بِالْغَلَةِ التَّعْقِيدِ كَمَا سَنَرَى بَعْدَ.

وَبَيْنَ يَدَيْكَ الْآنَ دَرَاةٌ أَوَّلِيَّةٌ - أَمَلُ أَنْ تَعْقُبَهَا دَرَاسَاتٌ - تُحَاوِلُ سَدَّ ثَغْرَةِ طَالَمَا أَهْمَلْتَهَا هَذِهِ الدِّرَاسَاتُ، وَتَنْشُدُ كَشْفَ الثَّقَابِ عَنْ تَارِيخِ هَذِهِ الطَّوَائِفِ الْغَامِضَةِ وَالتِّي لَقَّبَهَا الْمُسْلِمُونَ بِالصَّابِنَةِ، وَأَوْضَاعَهَا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ، وَإِسْهَامَاتِهَا الْفِكْرِيَّةَ وَالْعِلْمِيَّةَ فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.



مَا كَانَ لِهَذَا الْبَحْث أَنْ يَخْرُجَ بِهَذِهِ الصُّورَةَ لَوْلَا الْمُؤَنَّةُ الصَّادِقَةُ الَّتِي قَدَّمَهَا لِي الْعَدِيدُ مِنْ أَسَاتِذِي الْأَجَلَاءِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ أَسْتَاذِي الْجَلِيلِ، الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ عَرَفَةُ مُحَمَّدُ، وَالْعَالِمُ الْجَلِيلُ الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ عُبَادَةُ كُحَيْلَةَ، وَلَا أَنْسَى أَيْضًا فَضْلَ الْأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ أَيْمَنَ فُؤَادٍ سَيِّدٍ. كَمَا أُنْقَدِّمُ بِوَافِرِ الشُّكْرِ وَعَمِيقِ الْاِمْتِنَانِ لـ «الْإِتِّحَادِ الْجَمْعِيَّاتِ الْمُنْدَائِيَّةِ بِالْمَهْجَرِ» وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْأَسْتَاذُ «صُهَيْبُ النَّاشِي» مُدِيرُ عَامِ الْإِتِّحَادِ، وَالْبَاحِثُ الْمُنْدَائِي الْكَبِيرُ الْأَسْتَاذُ عَزِيزُ سَبَاهِي، مَتَّعَهُ اللَّهُ بِالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ.

الشُّكْرُ؛ كُلُّ الشُّكْرِ لِمَكْتَبَةِ جَامِعَةِ لِيدِنِ يُونْلَنْدَا، وَخَاصَّةً لِلدُّكْتُورِ أَرْنُولْدِ فِرُولِيْجِك A. VROLIJK أَمِينِ عَامِ الْمَجْمُوعَاتِ الْخَاصَّةِ بِمَكْتَبَةِ جَامِعَةِ لِيدِنِ، وَكَذَلِكَ لِلدُّكْتُورِ جُونِ فِرَانْكهُيُزِنِ J. FRANKHUIZEN الْمُسْتَوِل بِقِسْمِ الْمَجْمُوعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمَكْتَبَةِ عَلَى مُعَاوَنَتِهَا الصَّادِقَةِ.

وَفِي الْآخِرِ: لَا أَقُولُ اسْتَوْفَيْتُ تِلْكَ الدِّرَاسَةَ حَقَّهَا، لَكِنِّي أَقُولُ اسْتَنْفَدْتُ جَهْدِي، وَمَا أَدَّخَرْتُ وَسْعًا فِي الْبَحْثِ وَالتَّقْصِي، وَاعْتَذِرُ مُسَبِّقًا عَنِ الْأَخْطَاءِ وَالْهَنَاتِ الَّتِي لَا يَخْلُو مِنْ مِثْلِهَا عَمَلٌ عِلْمِي، عَلَى أَنَّي بَذَلْتُ وَسْعِي فِي سَبِيلِ تَلَاوُفِهَا، لَكِنَّ طِبَاعَ الْبَشَرِ غَالِيَةٌ، وَالْكَفَالُ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَخَذَهُ. وَحَسْبِي أَنِّي اجْتَهَدْتُ، وَمُنْتَهَى أُمْنِيَّتِي أَنْ تَسْتَقْبَلَ الْأَوْسَاطُ الْعِلْمِيَّةُ دِرَاسَتِي هَذِهِ بِقَبُولٍ حَسَنٍ، فَإِنْ مَثَلَتْ لَهُمْ إِسْهَامًا لَهُ قِيَمَتُهُ؛ فَلَا شَرَفَ عِنْدِي يَغْدِلُ ذَلِكَ.

د. أَخْتَدُ الْعَدُوِّي

القَاهِرَةُ فِي: 26 مِنْ الْمَحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ 1431 لِلْهِجْرَةِ

الْمُؤَارِقِ الْأَوَّلِ مِنْ يَنَائِرِ مِنْ عَامِ 2011 لِلْمِيلَادِ.

مَهْيَدٌ

أهم المصادر والوضع الراهن للدراسات الحديثة

«الصَّابِلُونَ - فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - مُقَرَّرُوا
الذِّكْرَ بِالطَّوَائِفِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا؛ فَأَمَّا
الكَائِنُونَ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ حَوْلِي قُرَى وَاسِطٍ؛
فَمَا حَصَلَتْ مِنْ أَسْبَابِهِمْ عَلَى شَيْءٍ الْبَيِّنَةِ،
وَأَمَّا التَّلَقُّبُونَ بِلَقَبِهِمْ مِنْ بَقَايَا الْيُونَانِيِّينَ
الكَائِنِينَ بِمَجْرَّانٍ؛ فَهُمْ مِنْ الصَّيَانَةِ
لَشَرَائِعِهِمْ بِمِثْلِ لَا يَتَكَادُ مُخَالَفُوهُمْ يَقِفُونَ
عَلَيْهَا».

البيروني

بادئ ذي بدء فإنَّ الأدب المندائي¹ هو أدب ديني بامتياز، فالنصوص المندائية المعاصرة لم تكثر إلاَّ للقضايا الدينية، والطقوس التي يجب أن يُراعى مؤدّيها الصرامة والدقة الشديدة أثناء تأديتها، ومن ثمَّ فإنَّه من النادر العثور داخل هذه الكتابات على معلومات ذات بُعد تاريخي. مع ذلك فإنَّ بعض النصوص الدينية تضمُّ بين دفتيها معلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة، فيُعطينا ديوان «حرَّان جويشا» [حرَّان الداخلة (السفلى؟)] *The Haran Gawaita* معلومات قيَّمة عن علاقة صابئة حرَّان بالصابئة المندائيين، ويُرجَّح أن يكون قد تمَّ تدوينه للمرَّة الأولى في أواسط العصر العباسي².

كما تتضمَّن تعليقاتُ النساخ في خواتيم المخطوطات *Colophons* الدينية المندائية معلومات تتسم بالأهمية، بسبب ما أشاروا إليه عَرَضًا من ظروف تعرَّضوا لها إبان تدوين تلك المخطوطات، وبعضها تعود لعصور ما بعد الفتوحات الإسلامية نفسها؛ أبرزها: «ديوان القلستا»³ أو الصلوات الكهنوتية *the canonical prayer book of the Mandaean* وديوان «العالم الرئيس الصغير»⁴ *Alma Risaia Zuta* وبها تردُّ عَرَضًا معلومات قيَّمة عن العلاقات بين المسلمين والمندائيين.

¹ تُشتق لفظة «مندائي» من جذر آرامي قديم هو «مَدَع» بمعنى عَرَفَ أو عَلِمَ، أي هم «أهل المعرفة والعلم»، وهي معرفة إلهية لدنية اختصوا بها دون سائر البشر، وهي تسمية لها علاقة بمعتقدات الطوائف الغنوصية الطابع.

² انظر مقدمة الليدي دراور للنشرة الوحيدة التي صدرت لهذا الديوان:

E. S. DROWER: *The Haran Gawaita, and the Baptism of Hibil Ziwa*, Citta del Vaticana, 1953, p. x.

³ قام مارك ليدزبارسكي بترجمة جزء من هذا الديوان من المندائية إلى الألمانية، لكن النشرة الأكمل والأكثر تداولاً بين الباحثين هي نشرة السيدة دراور، والتي قامت بترجمته كاملاً من المندائية إلى الإنجليزية في نشرتها المعنونة بديوان الصلوات الكهنوتية عند المندائيين:-

The Canonical Prayer Book of the Mandaean, Lieden 1959.

⁴ قامت السيدة دراور - أيضًا - بترجمة هذا الديوان من المندائية إلى الإنجليزية في عملها: *Diwan Alma*

Risaia Zuta, in: A pair of Nasoraean commentaries, two priestly documents, Trans. & Editing.

Lieden 1963.

أما عن الحرانانية⁵ فلم يصلنا شيء ذو بال من أدبياتهم الدينية - كما سئرى بالتفصيل عند التعرض للمصادر الأدبية - ولو وصلنا منها شيء لكان ذلك كفيلاً بتوضيح موقف الحرانانية الدينية، وتسييل الضوء بعُمق على علاقة المندائيين بالحرانانية، بدلاً من تلك التكهّنات والاختلافات المتراوحة بين المؤرخين في تقدير أبعاد العلاقة بين كلتا الطائفتين.

المصادر العلمية

1- الآثار

لم يُقدّم علم الآثار - بعدُ - الكثير لدارسي الصابنيّات، وكان من الممكن أن يتمّ حلُّ الكثير من القضايا الخلافية والمعقدة من خلال دراسة ما تخلف من آثار مادية عن المندائيين في بيئة البطائح جنوبي العراق، وصابئة حرّان بمدينة حرّان وأعمالها، لكنّ هذا لم يحدث؛ ويبدو أنه لن يحدث - على الأقلّ خلال المستقبل المنظور - فقد استقرّ المندائيون منذ القدم في منطقة البطائح إلى الشمال من البصرة، وقد أدّت حرب الخليج الأولى التي خاضها العراق ضدّ إيران (1980-1988) إلى فساد الطبقة الأثرية السطحية بالمنطقة، بمتوسط عمق وصل إلى 20 متراً في بعض المناطق، وبطبيعة الحال أصبحت تلك المنطقة غير آمنة تماماً للقيام بأعمال التنقيب بسبب الألغام ومخلفات الحرب.

وعلى ذلك فقد أضرت البعثات الأثرية عن التنقيب في تلك المناطق منذ اشتعال تلك الحرب وحتى يومنا هذا، وما قد تمّ اكتشافه بالفعل من كتابات وشقف فخارية عليها نقوش وكتابات مندائية هي في الأغلب نصوص دينية وأذعية لا تُعطي أيّ أبعاد تاريخية، لكنّها قد تكون مفيدة في دراسة تطوّر اللغة المندائية، وطبيعة التطوّرات التي ألمّت بالديانة نفسها⁶.

⁵ الحراناني (ج. حرانانية) نسبة إلى حرّان على غير قياس في العربية، وهي تسمية لا تنطبق إلّا على صابئة حرّان فحسب، وذلك تمييزاً لهم عن «الحرانية» وهي النسبة القياسية في اللغة إلى حرّان، والتي تضمّن الإشارة إلى ساكني حرّان والمتّمنين إليها دون اعتبار للديانة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، بيروت 1990، 2: 271.

⁶ تفصيلاً أنظر: - RUDOLPH MACUCI: *The origins of the Mandaeans and their scripts*, the Journal of the Semitic studies, vol.16, No. 2, 1971.

وليسَ نَمَّ أَمَلٌ يُرَاوِدُ الْبَاحِثِينَ فِي مَادَّةٍ اثَرِيَّةٍ جَدِيدَةٍ وَبِكُرٍّ؛ إِلَّا بِاكتِشافِ بَقَاعِ عِدَّةٍ أشارت إليها الكِتاباتُ المَندائيَّةُ والمَصادِرُ العَرَبِيَّةُ المُعاصِرَةُ على أنَّها أَمَاكِنُ كانَ المَندائيُّونَ يُشكِّلُونُ نَقْلاً سَكَّانِيًّا بها، كَمَدِينَةِ مَيْسَانَ إلى الجَنُوبِ من واسِط، ومَدِينَةِ دُسْتَمَيْسَانَ إلى الجَنُوبِ من مَيْسَانَ والتي رُبَّما تَقَعُ إلى الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ من مَدِينَةِ العِمَّارَةِ الحَالِيَّةِ، بِالإِضافةِ إلى مَدِينَةِ الطَّيِّبِ الغَامِضَةِ، والتي وَصَفَتِها المَصادِرُ العَرَبِيَّةُ بأنَّها كَانَتْ تَقَعُ إلى الشَّرْقِ من واسِط، وفي مُتَنَصَفِ الطَّرِيقِ بَيْنَ واسِطَ وَخُوزِسْتَانَ⁷، والتي رُبَّما تَقْبِعُ أَطْلَافُها في مَكَانٍ ما على خُطِّ الحُدُودِ العِراقِيَّةِ الإِيرَانِيَّةِ، أو رُبَّما تَضُمُّها اليَومَ الحُدُودُ السِّيَاسِيَّةُ الإِيرَانِيَّةُ، لا سِيَّما إِذَا أَخَذْنَا عِبارَةَ «وَسَطِ الطَّرِيقِ» على أَنَّها وَصَفٌ دَقِيقٌ لِمَوْقِعِها.

أما حَرَّانُ فَقَدْ سَوَّمتها جَحَافِلُ جِيُوشِ هُولاكُو خانَ بالأَرْضِ بعد أن أحرَقَتِ المَدِينَةَ ودمَرَتها تَدْمِيرًا تامًّا عامَ 657هـ/ 1258م، ولم تُقدِّمِ الحَفَرِيَّاتُ الأَثَرِيَّةُ التي جَرَتْ بِمَوْقِعِ المَدِينَةِ الأَثَرِيِّ الكَثِيرِ من المَعْلُومَاتِ، لَكِنَّها نَجَحَتْ في اكْتِشافِ أَساساتِ هَيْكَلِ الإِلَهِ «سِين» إلهَ القَمَرِ، وَبعضِ المَقَابِرِ لِأَهْلِ المَدِينَةِ مِنَ الحَرَّانِيَّةِ، إلى جَانِبِ بعضِ التَّماثيلِ والعُمُلاتِ المَعْدِنِيَّةِ⁸، لَكِنَّها لِسُوءِ الحِظِّ لَمْ تَعُثِرْ على كِتاباتٍ دِينِيَّةٍ من شَأْنِها إِماطَةُ اللُّثامِ عَن طَبِيعَةِ دِيانَةِ الحَرَّانِيَّةِ. وَآراءُ البَاحِثِينَ في عَقائِدِ الحَرَّانِيَّةِ وَعَلاقَتِهِم بِالْمَندائيِّينَ ما تَرَأَى إلى اليَومِ تَدخُلُ في بَابِ التَّكْهِنَاتِ أَكْثَرَ مِنْها إلى التَّوَصُّيفِ العِلْمِيِّ، وَذلكَ بِسَبَبِ التَّعْقِيدَاتِ الَّتِي تُحِيطُ بِاسْتِقاءِ المادَّةِ المُتَسَيِّرةِ عَنْهُمْ وَعَن عَقائِدِهِم من خِلالِ المَصادِرِ الأَدَبِيَّةِ.

2- الوثائق

كان من المُمكنِ أَيْضًا أن تُعْطِينا الوِثائِقَ - وَبِخَاصَّةٍ بُلْكَ المُتَعَلِّقَةِ مِنْها بِالخِزْيَةِ - صُورَةً صَادِقَةً عَن أَوْضاعِ كِلْتا الطَّائِفَتَيْنِ في عَضْرِ الخِلافةِ العَبَّاسِيَّةِ، لا سِيَّما الأَوْضاعِ

⁷ ياقوت الحموي: مُعْجَمُ البُلدان، 4: 60.

⁸ E. LAROCHE: *Divinités lunaires d' Anatolie*, Revue de l' Histoire des Religions, vol. 148, pp 7-9.

وانظر أَيْضًا: - W. Brice; S. Loyd: *Haran*, Anatolian Studies, vol. 1, 1951, pp 87-96.

الدِّيمُوجَرافِيَّة والمُعِيشِيَّة والاقتصاديَّة، ولكن لسوء الحظ فُقدت جَمِيعُهَا نَتِيجَةُ عَدَمِ اكْتِرَاتِ المُسْلِمِينَ لِحِفْظِ الوثائق التي تَسْقُطُ قِيَمَتُهَا عَمَلِيًّا بِالتَّقَادُمِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى النِّكَبَاتِ المُتَابِعَةِ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لَهَا الحَوَاضِرُ والمُدُنُ الرَّئِيسِيَّةُ بِالعِرَاقِ، لَا سِيَّما مَا وَكَّبَ اسْتِيلَاءُ هُولاكُو ثُمَّ تَيَمُور لَنُكٍ عَلَى بَغْدَادِ مِنْ أَعْمَالِ تَذْمِيرٍ وَإِحْرَاقٍ وَاسِعِ المَدَى.

لَا يَنْطَبِقُ الحَالُ عَلَى وثائقِ الحِزْبِيَّةِ فَحَسْبَ بَلْ يَنْسَجِبُ عَلَى الوثائقِ الأُخْرَى المُتَعَلِّقَةِ بِالحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ والإِدَارَةِ المَالِيَّةِ والاقتصاديَّةِ والقضائيَّةِ وَغَيْرِهَا. وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْ تِلْكَ الوثائقِ سِوَى تِلْكَ المَجْمُوعَةِ الفَرِيدَةِ المُسَمَّاةِ بِ«رَسَائِلِ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ»، لِأَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ (ت 384هـ/ 994م) إِذْ تُعَدُّ أَهَمُّ مَجْمُوعَةٍ وَثَائِقِيَّةٍ تَخَلَّفَتْ إِلَيْنَا مِنَ العَصْرِ العَبَّاسِيِّ عَلَى الإِطْلَاقِ، فَهِيَ ثَمَرَةُ عَمَلِ الرَّجُلِ لأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ عَامًا بِدَوَاوِينِ الخِلَافَةِ الإِدَارِيَّةِ - لَا سِيَّما دِيَوَانِ الإِنشَاءِ - وَأَغْلَبُ مَجْمُوعِ تِلْكَ الرِّسَالِ عِبَارَةٌ عَنْ وَثَائِقِ رِسْمِيَّةٍ صَادِرَةٍ إمَّا عَنْ دَارِ الخِلَافَةِ أَوْ دَارِ الإِمَارَةِ البُويِّيَّةِ، وَتُعَوِّدُ أَهَمِّيَّتَهَا إِلَى أَنَّ العَدِيدَ مِنْهَا لَهُ عِلَاقَةٌ مُبَاشِرَةٌ بِطَائِفَةِ الصَّابِنَةِ، وَأَهَمُّهَا عَلَى الإِطْلَاقِ، مُنْشُورُ الأَمَانِ الَّذِي مَنَحَهُ الخَلِيفَةُ الطَّائِعُ اللَّهُ لَصَابِنَةِ حَرَّانَ. فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ؛ فَهِيَ تَسْجِيلٌ كَامِلٌ لِنُفُوذِ صَاحِبِهَا وَصُعودِهِ فِي سُلَّمِ الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ، وَتَأْثِيرِ ذَلِكَ عَلَى بَنِي جَلَدَتِهِ، كَمَا تُعْطِيَانَا مَعْلُومَاتٍ مُفْصَلَةً عَنْ أَوْضَاعِ الجَالِيَةِ الحَرْنَانِيَّةِ بِبَغْدَادِ، لَا نَجِدُ لَهَا مِثِيلًا فِي المَصَادِرِ المُعَاَصِرَةِ.

وَحَتَّى ذَلِكَ القِسْمُ الَّذِي يَتَضَمَّنُ المُرَاسَلَاتِ الشَّخْصِيَّةَ وَالخِطَابَاتِ الَّتِي تُخَصُّ أَبَا إِسْحَاقَ الصَّابِيَّ نَفْسَهُ، فَهُوَ يُلْقِي الضَّوْءَ - بِدَوْرِهِ - عَلَى أَوْضَاعِ الجَالِيَةِ الحَرْنَانِيَّةِ بِبَغْدَادِ مِنَ النُّوَاجِحِ المُتَعَلِّقَةِ بِالحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ والاقتصاديَّةِ، أَخُصَّ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الوثائقِ رَسَائِلُ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ إِلَى نُورِ بْنِ حَكِيمٍ بْنِ يَحْيَى رَأْسِ الصَّابِنَةِ الحَرْنَانِيَّةِ بِحَرَّانَ، وَالَّتِي شَكَلَ لَهَا فِيهَا أَوْضَاعُ الطَّائِفَةِ المُتَرَدِّةِ بِبَغْدَادِ، وَالَّتِي نَقِفُ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى مَعْلُومَاتٍ فِي مُتَمَهِي النُّذْرَةِ عَنْ أَوْضَاعِ الجَالِيَةِ الحَرْنَانِيَّةِ خِلَالَ العَصْرِ البُويِّيِّ، وَكَذَلِكَ مَجْمُوعَةُ الخِطَابَاتِ المُتَبَادِلَةِ بَيْنَ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ وَبَيْنَ شَقِيقِهِ أَبِي الفَضْلِ جَابِرِ بْنِ هِلَالٍ، أَوْ ابْنِهِ أَبِي سَعِيدِ سِنَانَ، أَوْ ابْنِ

عنه أبي الخطّاب المُفَضَّل الصّائبي، وغيرها من مجموعة المراسلات الشخصية والتي يُعوّل عليها كثيرًا عند دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية للجالية الحرنانية ببغداد.

لم يُنشر من تلك المجموعة الوثائقية الفريدة حتى يومنا هذا سوى أقل من العُشر على يد شكيب أزيلان، والذي نشر القسم الأوّل من «المختار من رسائل أبي إسحاق الصّائبي»⁹، ولسبب ما لم يُقم باستكمال نشر القسم الثاني من ذلك المجموع، وبالتالي ظلّ ما يقرب من 90٪ من مجموع هذه الرسائل الفريدة غير متاح للباحثين¹⁰.

جدير بالذكر أنّه لم تُكتشف - للآن - نسخة خطيّة كاملة من تلك الرسائل بأيّ من مكتبات العالم، ويُمكن تشبيه ما تحلّف إلينا من مخطوطات الرسائل بأنّ كلّاً منها أشبه بقطعة من لوحه فسيفساء كبيرة، لا تكتمل ملامحها إلّا إذا أُعيد ترتيبها وصُفّت كلّ في موضعه، وأبرزُ تلك النسخ الخطيّة: نسخة مكتبة الجامع الأزهر بمصر والتي تحمّل أرقام 561 خاص، 7156 أدب. ونسخة دار الكتب المصريّة وتحمل عنوان «مُنشآت الصّائبي»، وتحمل رقم 32588 أدب. ونسخة مكتبة مجلس الشورى الإيراني (مجلّسي شوراي إيران) وتحمل رقم رقم 4849. ونسخة مكتبة تيشنتر بيتي بأيرلندا، وتحمل رقم AR.35/522؛ ونسخة مكتبة جامعة ليدن بهولندا وتحمل رقم OR.766. وتعود أهميّة تلك النسخة إلى أنّها النسخة الوحيدة التي تحمّل منشور الحليّة الطائع الذي حَسَم الآثار السياسيّة التي ترتّبت على السجال الفقهي الذي دار بين الفقهاء حول مُعاملة صابئة حرّان، هذا بالإضافة إلى نسخة مكتبة عاشر إقندي بتركيا وتحمل رقم 117 أدب عربي، وتحتوي على مُختارات من الرسائل اختارها ورّاق مجهول، ومن

⁹ نشر شكيب أزيلان القسم الأوّل فحسب من «المختار من رسائل الصّائبي»، وهو عبارة عن مجموعة مُختارة من الرسائل، انتقاها ورّاق مجهول في قسّمين كبيرين، نشر أزيلان أوّلها فحسب، وصدرت طبعته الأوّل في بعدا بلبنان عام 1898.

¹⁰ عن أهميّة رسائل أبي إسحاق الصّائبي في التاريخ لعصر بني بويه انظر:- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربيّة عبد الحليم النّجار، القاهرة 1959، 2: 120؛ كلود كاهن: بُو بويه، مقال بدائرة المعارف الإسلاميّة، ترجمة إبراهيم زكي خوزشيد، وآخرين، دار الشعب، القاهرة 1970، 8: 476.

ثم منحتها اسمها التي اشتهرت به وهو «المختار من رسائل الصَّابِي» والقسم الأول منها فحسب هو الذي سبق ونشره أريسلان، كما سبق التتويه.

ثمة مجموعة - أيضًا - من مراسلات أبي إسحاق الصَّابِي سبق نشرها من قبل، يأتي على رأسها مجموعة الخطابات والرُّدود المتبادلة بين كُلٍّ من أبي إسحاق الصَّابِي والعالم الفارسي الشهير ونجْنُ بن رُسْتَم المعروف بأبي سهل الكُوْهي¹¹ (كان حيًا عام 372هـ / 982م)، والتي تمكنا بمعلوماتٍ مهمّةٍ عن إسهامات العلماء الصَّابئة على الصَّعيد العلمي. ومن أهم تلك المراسلات أيضًا مجموعة المراسلات المتبادلة بين أبي إسحاق الصَّابِي وبين الشريف الرضي¹² (ت 406هـ / 1015م)، والتي تُلقي أضواءً على أخبار أيام أبي إسحاق الصَّابِي، كما تحل مجموعة الرسائل المتبادلة بين الطَّيِّبين ابن بطلان البغدادي (ت 444هـ / 1052م) وعلي بن رِضْران المِضْري¹³ (ت 460هـ / 1067م) أهميّة خاصّة - في هذا الصَّدَد - من خلال ذكر الصَّابئة عَرَضًا ببعض تلك الرسائل، والتَّركيز على بعض عاداتهم، وبعض قِيَمِهِم الدِّينيَّة والخلقيَّة.

المصادر الأدبية

مدخل: الطَّبيعة الخاصَّة للمصادر الأدبية في دراسات الصابانيات

لعبت طَّبيعة الدِّيانة الحُرانيَّة - كونها ديانة باطنيَّة، لا يُرخصُ لاتباعها إطلاع الغير على طَّبيعة مُعتقداتهم، وكذلك حفظهم الصَّارم لكتاباتِهِم الدِّينيَّة - دورها في عدم وصول أيِّ

¹¹ نشرها ج. ل. برغون بعنوان: *The correspondence of Abu Sahl Al-kuhi and Abu Ishaq Al sabi, journal for the history of arabic Science, vol 7, 1983.*

¹² نشرها مُحَمَّد يُوْسُف نجم عن نسخة خطية فريدة كان يحتفظ بها المرحوم حسن حُسنِي عبد الوهاب، وقد صدرت تلك النشرة بالكُوَيْت عام 1961.

¹³ نشرها كل من يُوْسُف شَخْت؛ مائِيس مائِر هُوف، بالقاهرة عام 1937.

من الكتابات الدينيّة الخاصّة بالحرانيّة إلينا. ورغم أنّ طيّعة المهاجرين الحرانيّة إلى بغداد كانت مختلفة عن بني جلدتهم من حيث حفاظهم على باطنيّة الديانة، وسريّة ممارساتها، فقد لعبت علاقتهم بالمؤسسة الدينيّة الرسميّة بحران - والتي اعتبرتهم من المارقين والحقارجين عليها، وكذلك وجودهم في مجتمع مُنتفح على مختلف الثقافات والديانات - دوراً في تخفيف سمة الباطنيّة عند الحرانيّة البغاددة، فتخلّوا طواعيّة عن حذر أسلافهم في وجوب عدم إطلاع الأغيار على حقائق الديانة.

ولسوء حظنا فإنّ جميع ما دوّنه أبناء الجاليّة الحرانيّة ببغداد من كتابات ذات بُعد دينيٍّ أو عقائديٍّ قدّر لها ألا تصلنا مطلقاً، ولم يتبقّ لنا منها سوى فقرّة واحدة نقلها ابن العبري عن ثابت بن قرة تخصّ التعامل مع القرابين الحيوانيّة¹⁴. خلا ذلك لم يتبقّ من تلك المؤلفات القيّمة سوى عناوينها، ولو قدّر لها الوصول إلينا لأمدّتنا بمعلومات لا تنقصها المضادّة عن عقائد الحرانيّة، وطبيعة مرفقهم الديني، وكذلك طبيعة علاقتهم بالمندائيّين.

كان لثابت بن قرة (ت 288هـ / 900م) عدّة تصانيف لها طيّعة الشروحات الدينيّة فيما يتعلّق بمذهب الصابئة في الرّسوم والفروض والسّنن، وتكفين الموتى ودفنهم، وأُمور الطّهارة والنّجاسة وفقاً لعقائد الحرانيّة، وما يصلح من الحيوان للضّحايا وما لا يصلح، وكذلك ما يخصّ أوقات العبادة ومواقيت الصّلاة، بالإضافة إلى رسالة مُطوّلة في «وصف مذهب الصّابئين». كما كان لولده سنان بن ثابت بن قرة (ت 331هـ / 942م) رسالة أيضًا في شرح مذهب الصّابئين، ورسالة أخرى في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السّبعة، ورسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه. بالإضافة إلى كتاب في السّور والصّلوات التي يُصلّي بها الصّابئون. كما كان لحفيده - لأمه - أبي إسحاق الصّابي رسالة في وصف نخلّة الصّابئة، ورسالة أخرى حول أخبار أهلها وولّد أبيه¹⁵.

¹⁴ ابن العبري: تاريخ مختصر الدّول، منشورات دير الآباء اليسوعيين، بيروت د.ت. 153.

¹⁵ ابن أبي أصيبعة: عيّن الأبناء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت د.ت. 304، القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت د.ت. 133.

وقد أُلْحِقَ ذلك النقص الكمي والكيفي للمادة - حول طبيعة ديانة الصابئة ومذاهبهم - الكتاب المسلمين إلى استقراء مادتهم عن الصابئة الحرنانية من خلال كتابات النصاري الشريان، وهم قومٌ استحكَمَ عداؤهم للحرنانية من خلال ميراثٍ طويلٍ من الكراهية المتبادلة بين النصرانية والوثنية. وعلى الرغم من التقصي والتحريات الواسعة التي قام بها بعض العلماء المسلمين - وعلى الأخص أحمد بن الطيّب السرخسي، والمسعودي، والبيروني - حول الحرنانية ومعتقداتهم؛ فإن أكثر ما أوردته المصادر العربية بخصوص صابئة حرّان إنما جاء نقلًا عن هذه المصادر الشريانية¹⁶.

وطبيعة تلك المصادر تجعَلُنَا أكثر تحفظًا تجاه التسليم بما ورد بها، ذلك أنه من غير الموضوعي دراسة تاريخ قومٍ وعقائدهم من خلال رؤية أعدائهم هم. وكنتيجة مباشرة اعتاد الباحثون في الصابئيات المبالغة في الحذر عند معالجة الأخبار التي ترد عن الحرنانية في المصادر العربية، وبلغ بعضهم حدّ الافتتاح بانعدام القيمة التاريخية للمصادر العربية حول الحرنانية¹⁷؛ بل إن باحثًا جليلاً بحجم لويس ماسينيون انتقد بجدّة ما أوردته المصادر العربية بخصوص الحرنانية، ووصفه بأنه نوعٌ من أنواع التراث الأدبي الذي لا ينبغي أن يؤخذ مأخذ الجدّ أو يُعوّل عليه. وفي الواقع فإن التّزام الحذر عند التعامل مع المصادر الأدبية بصفة عامّة، والتحقّق من مصادرها ومدى مصداقيتها هي أهمّ سمات الأبحاث التاريخية الجادة، لكن المبالغة في هذا الحذر إلى حدّ طرح المصادر الأولية برُميتها والتوقّف عن البحث والدراسة في انتظار ظهور مادةٍ جديدة لها طبيعة مختلفة ليس له ما يُبرّره - من وجهة نظري - وذلك لسببين، أولهما: أن زعم أن كلّ ما قدّمته المصادر العربية من أخبارٍ عن الحرنانية مُستقى من المصادر الشريانية هو وصفٌ غير دقيق ابتداءً، كما سنرى بعد، فبعض الكتاب المسلمين عرّف نظراً عن الصابئة عن قرب، واختلط بهم، ونقل عنهم مباشرة، وبعضهم ائتمل إلى حرّان وخالط الحرنانية، بل ورّار هيكلهم، وتحرّى ترجمات نقوشهم.

J. HJARB: *Analyse critique des traditions Arabes sur les Sabeens Harraniens*, Upsala 1972, pp. 124 - 16

¹⁷ ميشيل تارديو: صابئة القرآن وصابئة حرّان، ترجمة سلمان حرفوش، دمشق 1999، 7.

أَمَّا السَّبَبُ الثَّانِي: فَإِنَّهُ حَتَّى فِي الْقِسْمِ الَّذِي تَسْتَقِيهِ الْمَصَادِر الْعَرَبِيَّة عَنْ نَظِيرَتِهَا السُّرْيَانِيَّة مَبَاشَرَةً؛ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّن التَّسْلِيمَ بِأَنَّهُ - فِي مَجْمُوعِهِ - مَخْصُ اخْتِلَافٍ وَتَلَفِيقٍ، فَلَا يُعْقَلُ أَنَّ السُّرْيَانَ اخْتَلَفُوا مِنْ وَخِي الْحَيَالِ كُلِّ مَا دَوَّنُوهُ عَنْ صَابِئَةِ حَرَّانَ، وَالِدِّيلِ فِي هَذَا هُوَ مَا أَوْرَدَهُ الْمَسْعُودِي فِي كِتَابِهِ «مَرْوُجُ الذَّهَبِ» مِنْ أَنَّهُ سَأَلَ أَحَدَ عُلَمَاءِ الْحَرْنَانِيَّةِ وَيُدْعَى «مَالِكُ بْنُ عَقْبُونٍ» عَمَّا يُشِيعُهُ السُّرْيَانُ حَوْلَهُمْ وَحَوْلَ دِيَانَتِهِمْ، وَذَكَرَ أَنَّهُ - أَيُّ ابْنِ عَقْبُونٍ - أَتَكَرَّرَ بَعْضًا وَأَقَرَّ بَعْضًا¹⁸. وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقِسْمَ الْمَقُولَ عَنِ الْمَصَادِرِ السُّرْيَانِيَّةِ يَخْتِجُ إِلَى التَّدْقِيقِ وَالتَّنْقِذِ، لَا إِلَى طَرَجِهِ بِرُمْتِهِ بِاعْتِبَارِهِ مَخْصُ تَلَفِيقٍ، وَمَا لَا يُدْرِكُ كُلَّهُ لَا يُتْرَكُ جُلُّهُ.

1- المصادر السريانية

عَاشَرَ النَّصَارَى السُّرْيَانَ الصَّابِئَةَ الْحَرْنَانِيَّةَ قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ لِإَقْلِيمِ الْجَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَّةِ بِعَهْدٍ طَوِيلَةٍ، وَأَظْهَرُوا اخْتِمَامًا خَاصًّا بِبَنِي خَلْتِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، وَالتِّي أَفْرَدُوا لَهَا مُؤَلَّفَاتٍ خَاصَّةً، فَقَدْ مُعْظَمُهَا لَكِنْ مُؤَلَّفَاتِهِمُ اللَّاحِقَةُ - فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ - ظَلَّتْ تَتَنَاقَلُهَا كَثْرَاتٌ شَائِعَةٌ بَيْنَهُمْ¹⁹. جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ جَوَّ الْعَدَاءِ بَيْنَ الْحَرْنَانِيَّةِ وَالسُّرْيَانِ أَثَّرَ كَثِيرًا عَلَى مَوْضُوعِيَةِ الْكُتَّابِ السُّرْيَانِ فِي تَنَاوُلِهِمْ لِعَقَائِدِ الصَّابِئَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ، بَلْ وَرَبَّمَا تَدَخَّلُوا فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ لِحَثِّ وُلَاةِ الْأُمَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِاتِّخَاذِ تَدَابِيرٍ أَكْثَرَ صَرَامَةً مَعَ الْحَرْنَانِيَّةِ، تَحْتَ دَعَاوَى مُخْتَلِفَةٍ مِنْهَا أَنَّهُمْ وَثِيُونُ، وَأَنَّهُمْ أَيْضًا مَا زَالُوا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ فِي تَقْدِيمِ الْأَصَاحِي الْبَشَرِيَّةِ كَقَرَّابِينَ لَاهِيَتِهِمْ²⁰.

وهي - على كُلِّ حَالٍ - اتِّهَامَاتٌ سَلَّمَتْ بِهَا بَعْضُ الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ نَقْلًا عَنْهُمْ، كَمَا

¹⁸ المسعودي: مَرْوُجُ الذَّهَبِ وَمَعَادِنُ الْجَوْهَرِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ حُجِّي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، الْقَاهِرَةُ 1966، 1: 468-467.

¹⁹ J. HJARB: *Analyse critique*, p. 127.

²⁰ النديم: الزَّهَرِست، حَقَّقَهُ وَقَابَلَهُ عَلَى أَصُولِهِ أَيْمَنُ فُؤَادِ سَيِّدٍ، لُذْنُ 2009، 2: 365.

عند المَجْرِبِيّ، وَشَيْخُ الرُّبُوعِ الدَّمَشَقِيّ، فِي حِينِ أَوْرَدَهَا بَعْضُ الْكُتَّابِ الْمُسْلِمُونَ دُونَ أَنْ يعلِّقُوا عَلَيْهَا كالتَّديْمِ الَّذِي أُسْنَدَ تِلْكَ الْآرَاءَ لِمَصَادِرِهَا، وَدُونَ أَنْ يُذِلِّيَ بَدَلُوهُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الشَّائِكِ، فِي حِينِ رَفَضَهَا وَتَشَكَّكَ فِي مَصَادِرِهَا بَعْضُهُمْ كَالْمُسْعُودِيّ وَالْبِيرُونِيّ. لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنَ الْعَوْدَةِ لِبَعْضِ تِلْكَ الْمَصَادِرِ، لَا سِيَّامَا كُتِبَ التَّارِيخُ وَالْحَوَالِيَاتُ وَالتِّي تُعَدُّنَا بِمَعْلُومَاتٍ نَادِرَةٍ عَنْ أَوْضَاعِ الْحَرَنَانِيَّةِ، وَبَعْضِ الْأَخْبَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالصَّدَاقَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَحْدُثُ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَى بَيْنَ الْخُلَفَاءِ وَالْحَرَنَانِيَّةِ، وَهِيَ مَعْلُومَاتٌ لَا تَكْتَرُّ لَهَا الْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ عَادَةً.

وَمِنْ أَهَمِّ تِلْكَ الْمَصَادِرِ السُّرْيَانِيَّةِ كِتَابُ «الْأَيَّامِ السَّتَّةِ» لِمَارِ يَعْقُوبَ الرَّهَّائِي²¹ مُطْرَانُ الرَّهَّاءِ (ت 90هـ / 708م)، بِالإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «تَارِيخِ إِيْلِيَا بَرِ شِنَايَا» لِإِيْلِيَا بَرِ شِنَايَا²² الْمَعْرُوفِ بِإِيْلِيَا النَّصِيبِيّ (ت 438هـ / 1046م) وَالَّذِي تَرَجَمَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى السُّرْيَانِيَّةِ مُخْتَصَرَاتٍ مِنْ تَارِيخِ ثَابِتِ بْنِ سِنَانِ الصَّابِيّ (ت 365هـ / 975م)، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَكْبَرِ التَّوَارِيخِ السُّرْيَانِيَّةِ وَأَوْسَعُهَا مَجَالًا وَهُوَ تَارِيخُ مِيخَائِيلِ السُّرْيَانِي الْكَبِيرِ (ت 596هـ / 1199م)²³. هُنَاكَ أَيْضًا تَارِيخُ الْمُوَزَّخِ الرَّهَّائِي الْمَجْهُولِ (كَانَ حَيًّا عَامَ 635هـ / 1237م) وَالْمُسَمَّى «تَارِيخُ الرَّهَّائِي الْمَجْهُولِ»²⁴، بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّارِيخِ السُّرْيَانِي الْمَطْوَلِ وَالْمَعْرُوفِ بِ«تَارِيخِ الزَّمَانِ» لِابْنِ الْعَبْرِي²⁵ (ت 685هـ / 1286م).

²¹ نشره مترجمًا إلى العربية مؤخرًا مار غريغوريوس صليبا شمعون، وصدرت تلك النشرة بحلب عام 1990.

²² نشره مترجمًا إلى العربية الأب يوسف حبي، وصدرت تلك النشرة ببغداد عام 1975.

²³ تُرجمت أقسام صغيرة من هذا الكتاب إلى العربية في عدة رسائل جامعية أُجيزت بقسَم اللُّغَاتِ الشَّرْقِيَّةِ بِكَلِيَّةِ الْآدَابِ بِجَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ، وَلِلْأَسَفِ لَمْ تَتَرْتَبِطْ تِلْكَ التَّرْجُمَاتُ بِمَشْرُوعٍ مُطَّرَدٍ لِتَرْجُمَةِ النَّصِّ الْكَامِلِ لِلْكِتَابِ، بَلْ شَابَتْهَا الْعَشْوَانِيَّةُ وَالْإِنْتِقَانِيَّةُ، وَلَا تَزَالُ تَرْجُمَةُ شَابُو J. B. CHABOT الْفَرَنْسِيَّةِ لِلنَّصِّ السُّرْيَانِي الْكَامِلِ لِلْكِتَابِ وَالتِّي صَدَرَتْ بِبَارِيسِ عَامَ 1899 هِيَ النَّشْرَةُ الْمُفَضَّلَةُ لِمَنْ يَرُومُ الْإِعْتِيَادَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ.

²⁴ نشره مُعَرَّبًا عَنِ السُّرْيَانِيَّةِ الْأَبُ الْبَرِ ثَوْنَا، وَصَدَرَتْ تِلْكَ النَّشْرَةُ بِبَغْدَادِ عَامَ 1986.

²⁵ نقله إِلَى الْعَرَبِيَّةِ الْأَبُ إِسْحَاقُ أَزْمَلَةُ السُّرْيَانِي، وَصَدَرَتْ تِلْكَ النَّشْرَةُ بِبَيْرُوتِ عَامَ 1986.

تَحْتَلُّ الْمَصَادِرُ الَّتِي دُوِّنَتْ بِأَيْدِي الْعُلَمَاءِ الصَّابِنَةِ أَنْفُسِهِمْ أَهْمِيَّةً بِالِغَةِ فِي اسْتِقْصَاءِ أَوْضَاعِهِمْ وَأَنْمَاطِ حَيَاتِهِمْ، وَأَوْضَاعِهِمُ الْمَعِيشِيَّةَ وَتَنْظِيمَاتِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَعَادَاتِهِمْ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهَا تُلْقِي أَضْوَاءً مُتَنَوِّعَةً عَلَى إِسْهَامَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْثَّقَافِيَّةِ فِي ظِلِّ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا مَجْمُوعَةُ رِسَائِلِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ فِي الرِّيَاضِيَّاتِ وَالَّتِي سَبَقَ وَنُشِرَ مُعْظَمُهَا ضَمَّنَ مُقْتَنِيَّاتِ مَجْمُوعَةِ بَانْكِي بُورْ بِخَيْدَرِ أَبَادِ الدُّكْنِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «الْمُتَشَرِّعُ مِنْ كِتَابِ التَّاجِي» لِأَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي، وَكِتَابِ «الرَّيْجُ الصَّابِي» لِلْبِتَائِيِّ الصَّابِي (ت 317هـ / 940م)، وَمَجْمُوعُ رِسَائِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَسَّانِ الصَّابِي (ت 335هـ / 946م)؛ وَهِيَ وَإِنْ كَانَ مَوْضُوعُهَا يَنْحَصِرُ فِي عِلْمِي الْفَلَكَ وَالرِّيَاضِيَّاتِ؛ إِلَّا أَنَّ بَهَا بَعْضَ الْأَخْبَارِ الْمُهِّمَةِ عَنْ أَوْضَاعِ بَنِي جَلْدَتِهِ، لَا سِيَّمَا خِلَالَ عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ.

وَفِي السِّيَاقِ نَفْسِهِ تَأْتِي الْمَصَادِرُ الَّتِي تَخَلَّفَتْ إِلَيْنَا مِنْ مَجْمُوعَةِ مُدُونَاتِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِي (ت 448هـ / 1056م) وَعَلَى الْأَخْصَصِ كِتَابُهُ «رِسُومُ دَارِ الْخِلَافَةِ»، وَكِتَابُ «مُخْتَفَةُ الْأُمَرَاءِ فِي تَارِيخِ الْوُزَرَاءِ»، وَالشُّذْرَاتُ الَّتِي عُثِرَ عَلَيْهَا مِنَ الْقِسْمِ الثَّامِنِ مِنْ تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ الْمُسَمَّى بـ «تَارِيخِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِي»، وَكِتَابُ «غُرَرِ الْبَلَاغَةِ»؛ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مَصَادِرُ مُتَنَوِّعَةِ الْمَشَارِبِ، فَإِنَّهَا تُلْقِي أَضْوَاءً عَلَى نَفُوذِ الْحَرْنَانِيَّةِ بِبِلَاطِ الْخِلَافَةِ آنَذَاكَ، وَكَذَلِكَ بَعْضُ الضَّرْوِ عَلَى أَوْضَاعِ الْحَرْنَانِيَّةِ بِيَعْدَادِ فِيمَا أَغْقَبَ وَفَاةَ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي. وَيَجِبُ الْأَنْغْفُلُ كِتَابَاتِ مُحَمَّدِ غَرَسُ النُّعْمَةِ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِي (ت 480هـ / 1078م) وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا كِتَابُ «الْهَقُوتِ النَّادِرَةِ»، وَلِهَذَا الْمَصْدَرُ الْأَخِيرُ أَهْمِيَّةً بِالِغَةِ فِي تَقْصِي الْعَلَاَقَاتِ بَيْنَ طَائِفَتِي الْمُنْدَانِيِّينَ وَالْحَرْنَانِيَّةِ.

وَلِكِتَابَاتِ ابْنِ وَخْشِيَّةِ النَّبْطِيِّ (كَانَ حَيًّا عَامَ 318هـ / 930م) أَهْمِيَّةً بِالِغَةِ فِي دِرَاسَةِ عَقَائِدِ الصَّابِنَةِ، خَاصَّةً كِتَابُهُ الْأَشْهُرُ «الْفِلَاحَةُ النَّبْطِيَّةُ» الَّذِي يُعْتَقَدُ أَنَّهُ رَبَّمَا كَانَتْ لَهُ أَصُولُهُ الْبَابِلِيَّةُ الْقَدِيمَةُ، وَبَعِيدًا عَنِ الْجَدَلِ الدَّائِرِ حَوْلَ وَجُودِ أَضَلِّ بَابِلِي قَدِيمٍ لِلْكِتَابِ أَوْ اخْتِلَاقِ ابْنِ الصَّابِنَةِ مِنْذُ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ حَتَّى سَقُوطِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ

وخشيته له²⁶؛ فقد تطرّق مؤلّفه إلى ديانة الصّابئة، ووصف بعض أعيادهم، كما تعود أهميته إلى أنه جسّم بعض نقاط التشابه بين كلّ من المندائيّين والحرثانيّة، كما يُعدُّ كتاب «شوق المُستَهام في معرفة رموز الأعلام»²⁷ للمؤلّف نفسه؛ واجدًا من أهمّ المصادر في هذا الصّدّد، فقد أسهب مُصنّفه في الحديث عن عقائد الصّابئة الحرثانيّة.

وتُعدُّ كتابات المسعودي (ت346هـ/ 957م) - خاصّة كتابيه «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، و«التنبيه والإشراف» - من أهمّ مصادرنا عن الصّابئة، ذلك أنّ المسعودي لم يكتفِ بتحرّي مذاهب الصّابئة من خلال كتابات القدماء، بل رَحَلَ بنفسه إلى حرّان وعاش الحرثانيّة، وتعرّف إلى علمائهم عن قُرب، وزار هيكلهم وجمّع فلاسفتهم، وتعرّف إلى واحد من علماء الحرثانيّة ويدعى مالك بن عَقْبُون كما سبق بيّانه، وكان ابنُ عَقْبُون مصدر المسعودي المباشِر عن الحرثانيّة - إلى جانب ما عاينه بنفسه بطبيعة الحال - فقد كان يعود إليه كلّما أشكل عليه أمرٌ، أو عنَّ له استفسارٌ.

²⁶ يستحقّ توفيق فهد الشّاء على الجهد الذي بذله في نشره الممتازة من هذا الكتاب، والذي تأخّر نشره أكثر من قرْن كامل بسبب صُعوبات خاصّة بطبيعة الكتاب وتبعثُر مخطوطاته، فنُنذ أن فكّر دانيال خوالسون D. CHWOLSOHN في تحقيق كتاب الفلاحة النبطيّة ونشره في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ثم ضرب صفحًا عن الفكرة بسبب انتقادات لإذاعة له وُجّهت له من قِبَل نُولْدَكَة NÖLDEKE بسبب بعض تصوّرات خوالسون حول الكتاب وزمن تأليفه، وإضافات ابن وحشية وشروحاته على متن الكتاب. من ثم عاد مشروع نشر وتحقيق كتاب الفلاحة النبطيّة إلى التّجديد لأكثر من قرْن كامل، حتّى استطاع توفيق فهد عام 1998 بدعم من المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة بدمشق إنجاز تلك المهمّة الصّعبة.

²⁷ أفرد ابن وحشية هذا الكتاب لدراسة لغات الأقوام البائدة والمعاصرة، وهو كتاب فريد في بابهِ، حقّقه ونشره المُستشرق النمساوي جوزيف هامر بلندن عام 1806، ومُنذ تلك النُشرة الفريدة لا أعلم لهذا الكتاب طبعة أخرى، وحبذا لو يُعاد نشر طبعة هامر الآن، وربّما توفّرت على ذلك في القريب، الجدير بالذكر أنّ كتاب «شوق المُستَهام» كان ضمن أهمّ مصادر العالم الفرنسيّ الشهير ج. فرانشوا شامبليون في دراسته التي استطاع فيها أن يقدّم نظريّة متكاملة حول اللّغة المصريّة القديمة، وقد أعان كتاب ابن وحشية النبطي شامبليون على تصوّر أن الهيروغليفيّة القديمة (لغة الطّير كما عند العلماء المسلمين) تنضمّن إلى جانب الحروف المُجرّدة صورًا تعبيرية محدّدة للأشياء، وقد أعانت هذه المرونة شامبليون على تلافي خطأ نظريّة من حاول دراسة الهيروغليفيّة قبله وهو تصوّر أن كلّ الرُّسومات الهيروغليفيّة عبارة عن حروف ومقاطع صوتيّة مُجرّدة فحسب كما هي الحال في اللّغات الحيّة الآن.

وإلى جانب مُشاهدات المُسعودي فقد اعتمد على طائفة من المصادر التي توسّع في النقل عنها في حديثه عن عقائد الصّابئة الحرّانية، ولم يُقدّر لنا الاطلاع عليها كونها فُقدت جميعاً، وفي مُقدّماتها كتابيّه هو نفسه «الإبانة عن أصول الدّيانة»، و«المقالات في أصول الدّيانات»، بالإضافة إلى اعتماده على كتاب قيسٍ لأبي بكرٍ مُحمّد بن زكريّا الرّازي (ت320هـ/925م) عنوانه «مذاهب الصّابئة الحرّانيّين دون من خالفهم من الصّابئة»، هذا إلى جانب قصيدة طريفة للقاضي ابن عيْشون الحرّاني (تُوفّي نحو عام 300هـ/912م) تعرّض فيها لنقدٍ لمذهب الصّابئة الحرّانية.

ولكتاب الفهرست لمُحمّد بن إسحاق النّديم (ت383هـ/993م) أهميّة قُصوى، فقد أفرد القسم الأوّل من مقالته التاسعة للحديث باستيفاضة عن الصّابئة سواء المُغتسلة [المندائيّين] أو الحرّانية، ولا تَرَجُع قيمة كتابات النّديم في هذه المقالة إلى غزارة المادّة التي أمَدّنا بها فحسب، وإنّما لأنّه - أيضاً - اعتمد على نقولات من مكتبة كاملة من المصادر النّادرة التي لم يُقدّر لها الوصول إلينا، وفي مُقدّمها رسالة أحمد بن الطيّب السّرخسي (ت286هـ/899م) وهي بعنوان «رسالة في وصف مذاهب الصّابيين»، والتي تَرَجُع قيمتها إلى أنّ السّرخسي كان صديقاً وندياً لثابت بن قرة، أبرز المرجعيّات الدّينية للحرّانية ببغداد، وكان السّرخسي - بكلّ تأكيد - على اطلاع على مؤلّفات ثابت ذات الطّابع الدّيني، بل ورُبّما راجع ثابت رسالة السّرخسي بنفسه.

من ضمن مصادر النّديم أيضاً رسالة لكاتبٍ نسطوريّ غير معروف لنا ويدعى أبا يوسفٍ يشع القطيعي، ومن المُحتمل أن يكون قد عاش خلال النّصف الأوّل من القرن الرّابع الهجري/ العاشر الميلادي، وعنوان رسالته - كما أوردها النّديم - «الكشف عن مذاهب الحرّانيّين المعروفين في عصرنا بالصّابئة»، وهي رسالة نادرة في اعتقادات الحرّانية، وكان لنقولات النّديم المطوّلة عن القطيعي كبيرُ شأنٍ في الدّراسات التي تناولت تاريخ الصّابئة وعقائدهم بوجه عام. كما اعتمد النّديم أيضاً على رسالة أخرى لأحد النّصارى النّساطرة من

غَيْرِ الْمَعْرُوفِينَ لَنَا أَيْضًا، وَيُدْعَى أَبُو سَعِيدٍ وَهَبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّضْرَانِي، وَلِسُوءِ الْحِظِّ لَمْ يَذْكُرِ النَّدِيمُ عُنْوَانَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ، وَيَبْدُو أَنَّ مُؤَلِّفَهَا خَصَّصَهَا لِدِرَاسَةِ مَذَاهِبِ الصَّابَةِ - خَاصَّةً صَابَةَ حَرَّانَ - وَنَقَلَ عَنْهُ النَّدِيمُ فُقَرَاتٍ مُطَوَّلَةً عَنْ قَرَابِينَ الْحَرَنَانِيَّةِ وَأَعْيَادِهِمْ.

اعْتَمَدَ النَّدِيمُ - أَيْضًا - عَلَى كِتَابِ نَادِرٍ وَقَعَ عَلَيْهِ، وَهُوَ كِتَابُ «أَسْرَارِ الصَّابَةِ الْحَمْسَةِ»، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْجَمَةٍ عَرَبِيَّةٍ رَدِيئَةٍ لِأَصْلِهِ السُّرْيَانِي، وَيَخْتَوِي عَلَى بَعْضِ أَسْرَارِ الصَّابَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ الدِّيْنِيَّةِ، وَمَا نَعْرِفُهُ أَنَّ هَارُونَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ قَاضِي حَرَّانَ فِي عَصْرِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ - وَالْمَعْرُوفِ بِعَدَائِهِ لِلْحَرَنَانِيَّةِ - كَانَ قَدْ حَصَلَ بِطَرِيقَةٍ مَا عَلَى نُسخَةٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، فِيهِ أَمْرٌ مَذَاهِبِهِمْ وَصُلُوبَاتِهِمْ، فَأَخْضَرَ مُتَرَجِّمًا مُتَمَكِّنًا مِنَ السُّرْيَانِيَّةِ فَنَقَلَهُ بِخَضْرَتِهِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ إِلَى الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى بِيغْدَادَ نِكَابَةً فِي الْحَرَنَانِيَّةِ²⁸، وَإِذَا اسْتَبَعَدْنَا اخْتِمَالًا أَنَّ يَكُونُ النَّضَارِيُّ السُّرْيَانِي وَرَاءَ دَسِّ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى الْحَرَنَانِيَّةِ، فَرَبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَسْطُرُ الَّتِي نَقَلَهَا النَّدِيمُ - حَرْفِيًّا مِنْهُ - هِيَ الْفُقَرَاتُ الْوَحِيدَةُ الْبَاقِيَّةُ وَالَّتِي قُدِّرَ لَهَا أَنْ تَصِلَنَا مِنَ الْأَدْبِيَّاتِ الدِّيْنِيَّةِ الْحَرَنَانِيَّةِ.

وَتَعُدُّ كِتَابَاتُ الْبِيْرُونِي (ت440هـ/1048م) مِنْ أَهَمِّ مَصَادِرِنَا عَنِ الصَّابَةِ، وَخَاصَّةً كِتَابُهُ «الْأَثَارُ الْبَاقِيَةُ عَنِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ» وَالَّذِي أَفْرَدَ الْبِيْرُونِي قِسْمًا خَاصًّا مِنْهُ لِلْحَدِيثِ عَنِ دِيَانَةِ الصَّابَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ، وَقَدْ حَاولَ الْبِيْرُونِي - فِيْمَا يَبْدُو - الْاِتِّصَالَ بِالْمُنْدَائِيَّيْنِ أَوْ جَمَاعَةٍ مِمَّا تَبَقَّى مِنْ صَابَةِ حَرَّانَ لِاسْتِفَاءِ مَا دَتْهُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مُبَاشَرَةً، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ فِي هَذَا الْمَسْعَى²⁹، فَاضْطُرَّ إِلَى الْاِعْتِيَادِ عَلَى بَعْضِ الْكِتَابَاتِ النَّادِرَةِ وَالَّتِي لَمْ تَصِلْنَا كِكِتَابِ أَبِي مَعْمَرِ الْبَلْخِي (ت272هـ/885م) «بَيُوتُ الْعِبَادَاتِ»، وَالَّذِي تَعَرَّضَ فِيهِ لِذِكْرِ دِيَانَةِ الصَّابَةِ وَبَيُوتِ عِبَادَاتِهِمْ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْإِيْرَانِشَهْرِي الْمُسَمَّى بِ«مَقَالَاتِ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ»، وَاعْتَمَدَ الْبِيْرُونِي فِي مَعْرِضِ حَدِيثِهِ عَنْ أَعْيَادِ الصَّابَةِ وَرُسُومِهِمِ الدِّيْنِيَّةِ عَلَى مَصْدَرَيْنِ قُدِّرَ لِهَمَا أَلَّا يَصِلَانَا أَيْضًا وَهُمَا «زَيْجُ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَاشِمِيِّ»، وَكِتَابُ لَأَبِي

²⁸ النديم: الفهرست، 2: 375-378.

²⁹ الْبِيْرُونِي: الْقَانُونُ الْمُسْتَوْدِي، مَنُشُورَاتُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُشْمَانِيَّةِ، خَيْدَرُ أَبَادِ الدُّكْنِ 1954، 1: 367.

الْفَرَجَ الرَّنْجَانِي لَمْ يَذْكُرِ الْبَيْرُونِي عَنْوَانَهُ بِكُلِّ أَسْفٍ، اسْتَقْصَى فِيهِ الْمُؤَلِّفَانِ أَعْيَادَ الصَّابِنَةِ وَمَوَاسِمَ صَرْمِهِمْ وَاخْتِفَالَتِهِمُ الدِّيْنِيَّةَ.

كَمَا اعْتَمَدَ بِحَذَرٍ عَلَى بَعْضِ الْمَصَادِرِ النَّسْطُورِيَّةِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا كِتَابٌ عَنِ الْحَرَنَانِيَّةِ لِكَاتِبٍ نَضْرَانِي يُدْعَى ابْنُ سُنْجَلَا النَّضْرَانِي (١٩!)، وَيَرْجَحُ لَدَيْ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ سُنْجَلَا الْكَاتِبِ³⁰، أَحَدُ كِبَارِ الْكُتَّابِ فِي دِيْوَانِ الْوَزَارَةِ فِي عَصْرِ الْحَلِيفَةِ الْمُقْتَدِرِ، وَقَدْ وَجَّهَ لَهُ الْبَيْرُونِي نَقْدًا حَادًّا بِسَبَبِ مَا قَصَّده فِي نَقْضِ مِلَّةِ الْحَرَنَانِيَّةِ بِحُشْوِ كِتَابِهِ بِالْأَبَاطِيلِ وَالْمُحَالَاتِ عَنْهُمْ - عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ. اعْتَمَدَ الْبَيْرُونِي أَيْضًا عَلَى كِتَابٍ آخَرَ لِكَاتِبٍ نَسْطُورِي يُدْعَى عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِي، وَكُنْتُ اعْتَقِدُ فِي بَادِي الْأَمْرِ أَنَّ لِلْكِنْدِيِّ الْمَذْكُورِ رِسَالَةً فِي وَضْفِ مَذَاهِبِ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ، إِلَّا أَنِّي سُرْعَانِ مَا تَبَيَّنْتُ أَنَّ الرِّوَايَةَ الَّتِي نَقَلَهَا الْبَيْرُونِي عَنِ الْكِنْدِيِّ مَا هِيَ إِلَّا بِضْعَةُ أَسْطُرٍ وَرَدَتْ فِي ثَنَائِهَا رِسَالَةً نَادِرَةً كَتَبَهَا الْأَخِيرُ لِلرَّدِّ عَلَى شَخْصٍ يُدْعَى «عَبْدُ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْهَاشِمِيِّ» يَدْعُوهُ فِيهَا لِاغْتِنَاقِ النَّضْرَانِيَّةِ³¹، وَمِنْهَا نَسْتَتِجُ أَنَّ عَبْدَ الْمَسِيحِ الْكِنْدِي الْمَذْكُورَ كَانَ حَيًّا فِي زَمَنِ الْحَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ.

كَذَلِكَ يُعَدُّ كِتَابُ «الْقَانُونِ الْمَسْعُودِيِّ» لِلْبَيْرُونِيِّ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ عِنْدَ دَرَاةِ عَقَائِدِ الصَّابِنَةِ وَرُسُومِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، فَقَدْ أَفْرَدَ الْبَيْرُونِيُّ أَقْسَامًا مِنْهُ لِلْحَدِيثِ عَنِ أَعْيَادِ الصَّابِنَةِ وَتَقْوِيمِهِمْ، وَمَا اعْتَادُوا تُمَارَسَتَهُ فِي تِلْكَ الْأَعْيَادِ، وَهُوَ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ عِنْدَ دَرَاةِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لَطَائِفَةِ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ خِلَالِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، كَمَا يُعَدُّ كِتَابُهُ الشَّهِيرُ «تَحْدِيدُ نَهَايَاتِ الْأَمَّاكِنِ لِتَضَحِيحِ نَهَايَاتِ الْمَسَاكِينِ» مُضَدًّا لَا غِنَى عَنْهُ فِي دَرَاةِ إِسْهَامَاتِ الْعُلَمَاءِ الصَّابِنَةِ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ، إِذْ يَبْدُو الْبَيْرُونِيُّ فِي كِتَابِهِ هَذَا مُؤَرِّخًا قَدِيرًا لِتَارِيخِ الْعُلُومِ، وَبِالشَّكْلِ الْعَضْرِي الَّذِي نَعْرِفُهُ الْآنَ.

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يُصَنَّفُ كِتَابُ الْمَجْرِيْطِيِّ (ت 398هـ / 1007م) الْمُسَمَّى «غَايَةُ

³⁰ عَنْهُ انْظُرْ: - مَارِي بَن سُلَيْمَان: أَخْبَارُ بَطَارِكَةِ كُرْسِيِّ الْمَشْرِقِ، قِسْمٌ مِنْ كِتَابِ «الْمَجْدِلِ الْكَبِيرِ» تَحْقِيقُ هِنْرِيْكُوسْ جِيْسْمُونْدِي، رُومِيَّةٌ 1899، 92-97.

³¹ نُشِرَتْ فِي لَنْدُنِ عَامَ 1880، وَلَا أَعْلَمُ لَهَا نَشْرَةً أُخْرَى خِلَالِ تِلْكَ النِّشْرَةِ النَّادِرَةِ.

الحكيم وأولى التَّيَجِّينَ بالتَّقديم» وكذلك كتاب شَيْخ الرِّبْوَةِ الدَّمَشْقِي (ت 727هـ/ 1326م) المُسَمَّى «نُخْبَةُ الدَّهْرِ فِي عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» فِي دَرَجَةِ أَذْنَى مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَصَادِر، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَرْكِيزِهَا عَلَى دِيَانَةِ الصَّابِنَةِ وَعَقَائِدِهِمْ، وَذَلِكَ لِشُيُوعِ بَعْضِ الْمَثَالِبِ فِيهَا، كَغَلَبَةِ رُوحِ الْخُرَافَةِ عَلَيْهَا، وَانْعِدَامِ إِسْنَادِ الْأَخْبَارِ إِلَى مَصَادِرِهَا، وَيَرْتَبِطُ بِهَذَا الصَّدَدِ رِسَالَةُ لِكَاتِبٍ يُدْعَى الطَّبْرِي الْمُنْجَمَ (عَاشَ فِي النُّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ) وَعُتَوَاتُهَا «رِسَالَةٌ فِي اسْتِجْلَابِ قُوَى الْكَوَاكِبِ عِنْدَ الصَّابِنِينَ»، وَهِيَ مَا تَرَالِ مَخْطُوطَةٌ لَمْ تُنَشَّرْ بَعْدَ³²، وَهِيَ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ فِي دِرَاسَةِ أَوْضَاعِ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ بِبَغْدَادَ، لَا سِيَّمَا خِلَالِ عَصْرِ الْحُلُفَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ، كَمَا يَتَجَلَّى مِنْ خِلَالِهَا أَنَّ ذَلِكَ الْمُنْجَمَ الطَّبْرِي نَفْسَهُ - وَالَّذِي عَاشَ فِي النُّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ تَقْدِيرًا - كَانَ الْمَصْدَرُ الْمُبَاشِرَ لِلْمَجْرِبِيِّ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي أَوْرَدَهَا عَنْ الصَّابِنَةِ.

كَمَا تَحْتَلُّ كُتُبُ التَّأْرِيخِ أَهْمِيَّتَهَا الْبَالِغَةَ فِي تَقْصِي أَوْضَاعِ الصَّابِنَةِ فِي ظِلِّ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَالتَّحَوُّلَاتِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَيْهَا، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهَا تُلْقِي بِأَضْوَاءٍ عَدِيدَةٍ عَلَى جَوَانِبِ تَتَعَلَّقُ بِرِاثِ الصَّابِنَةِ وَعَقَائِدِهِمْ وَعَادَاتِهِمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا تِلْكَ الْمَصَادِرُ الَّتِي انْصَبَّ اِهْتِمَامُهَا عَلَى التَّأْرِيخِ لِلدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا: كِتَابُ الْمُؤَلَّفِ الْمَجْهُولِ الَّذِي رَبَّاهُ عَاشَ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ وَالْمُسَمَّى بِ«الْعِيُونِ وَالْحَدَائِقِ فِي أَخْبَارِ الْحَقَائِقِ»، وَالَّذِي عَاصَرَ فِتْرَةَ أَوْجِ نَفُوزِ الْحَرَنَانِيَّةِ فِي الْبَلَاطِ الْعَبَّاسِيِّ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «تَجَارِبِ الْأُمَمِ، وَتَعَاقِبِ الْهَمَمِ» لِأَبِي عَلِيٍّ مِسْكُوِيهِ (ت 421هـ/ 1030م) وَذِيهِ الْمُسَمَّى بِ«الذَّلِيلِ عَلَى تَجَارِبِ الْأُمَمِ» لِلزُّوزَرِيِّ أَبِي شُجَاعٍ الرَّوْذَرَاوَرِيِّ (ت 488هـ/ 1095م)، وَكِتَابُ

³² ذَكَرَ الْمَرْحُومُ فَوَادِ سَيِّدٌ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ الْمَخْطُوطِ كَانَ مَحْفُوظًا بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ بِرَقْمِ 177 غُيِّبَتْ تَيْمُورُ، وَبِالْبَحْثِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْأَصْلَ قَدْ فُقِدَ تَمَامًا، بَلْ وَعَمِّي ذِكْرُهُ مِنْ سِجَلَاتِ الدَّارِ!!، وَلَمْ يَتَبَقَّ سِوَى نُسْخَةٍ تُسَخِّتُ عَنْ ذَلِكَ الْأَصْلِ الْمَفْقُودِ، يَمُودُ تَارِيخُ انْتِسَاجِهَا إِلَى عَامِ 1355هـ/ 1937م، وَهِيَ مَحْفُوظَةٌ بِالْدارِ بِرَقْمِ

«الْمُنْتَظَمُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ» لابن الجوزي (ت 597هـ / 1200م)، هذا إلى جَانِبِ الْقِسْمِ الْخَاصِّ بِتَارِيخِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْ كِتَابِ «تَارِيخِ الدَّوْلِ الْمُتَقَطِّعَةِ» لِلأَزْدِيِّ (ت 613هـ / 1216م) والتي تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ الْمَصَادِرِ الَّتِي نَقِفُ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى التَّحَوُّلَاتِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَى أَوْضَاعِ الْجَلَالِيَّةِ الْحَرَنَانِيَّةِ بِبَغْدَادٍ. هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى الْكِتَابِ الْمَجْهُولِ الْمُؤَلَّفِ وَالْعُتُونِ وَالَّذِي نُجِلَّ لِابْنِ الْفُوطِيِّ (ت 723هـ / 1323م) وَسُمِّيَ بِاسْمِ أَحَدِ كُتُبِهِ الضَّائِعَةِ لِأَسْبَابِ تِجَارِيَّةٍ، وَهُوَ كِتَابُ «الْحَوَادِثِ الْجَامِعَةِ، وَالتَّجَارِبِ النَّافِعَةِ بَعْدَ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ»، وَتَرَدُّ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَثِيقَةٌ نَادِرَةٌ بِشَأْنِ الْمُعَامَلَةِ الشَّرْعِيَّةِ لِلْمُنْدَانِيِّينَ.

وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ لَا تَخْلُو كُتُبُ التَّارِيخِ الْعَامِّ مِنْ كَبِيرِ فَائِدَةٍ فِي هَذَا السِّيَاقِ نَفْسِهِ، وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا كِتَابُ «تَارِيخِ سِنِيِّ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَالْأَنْبِيَاءِ» لِحَمْزَةِ الْأَصْفَهَانِيِّ (ت 360هـ / 970م)، وَكِتَابُ «تَارِيخِ الْأَنْطَاكِيِّ» لِيَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِيِّ (ت 458هـ / 1067م) وَالَّذِي تَرَبُّهُ بِهِ مَعْلُومَاتٌ فَرِيدَةٌ عَنْ نِهَايَاتِ نَفُوذِ الْحَرَنَانِيَّةِ بِحَرَّانَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ» لِابْنِ الْأَثِيرِ (ت 630هـ / 1232م)؛ وَكِتَابُ «مِرَاةِ الزَّمَانِ فِي تَارِيخِ الْأَعْيَانِ» لِسَبْطِ بْنِ الْجُوزِيِّ (ت 654هـ / 1256م)، وَكِتَابُ ابْنِ الْعِبْرِيِّ (ت 685هـ / 1286م) وَالْمُسَمَّى بِـ«تَارِيخِ مُخْتَصَرِ الدَّوْلِ»، وَتَارِيخُ الذَّهَبِيِّ الْكَبِيرِ (ت 748هـ / 1344م) وَالْمُسَمَّى بِـ«تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَوَفَيَاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ»؛ وَكِتَابُ «الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» لِابْنِ كَثِيرِ الدَّمَشْقِيِّ (ت 774هـ / 1372م). بِالإِضَافَةِ إِلَى تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونِ (ت 808هـ / 1405م).

وَفِي السِّيَاقِ نَفْسُهُ تَرَدُّ بَعْضُ الْأَخْبَارِ الْمُهَمَّةِ عَنِ الصَّابِنَةِ فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّارِيخِ الْمَحَلِّيِّ، وَعَلَى رَأْسِهَا كِتَابُ تَارِيخِ دِمَشْقَ لِابْنِ عَسَاكِرِ الدَّمَشْقِيِّ (ت 571هـ / 1175م)، وَكِتَابُ «بُغْيَةِ الطَّلَبِ فِي تَارِيخِ حَلَبٍ» لِابْنِ الْعَدِيمِ (ت 588هـ / 1192م)، وَكِتَابُ «الْأَغْلَاقِ الْخَطِيرَةِ فِي ذِكْرِ أُمَرَاءِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ» لِابْنِ شَدَّادٍ (ت 684هـ / 1285م) وَالَّذِي يُعَدُّ مُصَدَّرًا لَا غِنَى عَنْهُ فِي دِرَاسَةِ أَوْضَاعِ الْحَرَنَانِيَّةِ بِحَرَّانَ وَأَعْمَالِهَا، بِالإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ فِي مُلُوكِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ» لِابْنِ تَغْرِي بَرْدِيِّ الْآتَابِكِيِّ (ت 874هـ / 1469م).

ولكُتِبَ التَّراجمُ أَهميَّةٌ خاصَّةٌ، لا سيَّما تلك التي أُفردت لِتَراجِمِ العُلَماء، حيثُ اهُتَمَّت بِتَقْصِي حَيَاةِ العَديد من العُلَماء الصَّابِئة وإسْهَاماتهم، ومن خِلال هَذه المِصادر نَقِفُ جليًّا على طَبيعةِ إسْهَامات هؤلاء العُلَماء في الحَيَاةِ العِلْميَّة والثَّقافيَّة، ويأتي على رَأْسِها كِتاب «طَبَقَاتُ الأَطبَّاء والحُكَماء» لابن جُلْجُل (ت 372هـ / 982م)، وكِتاب «صِوان الحِكمَة» لأبي سُلَيْمَانَ السَّجِسْتَانِي المُنطِقِي (ت 391هـ / 1000م)، وذِيلُه المُسمَّى «تَمَمَةُ صِوان الحِكمَة» لِلبيْهَقِي (ت 565هـ / 1170م)، وكِذلك كِتاب «تَاريخ حُكَماء الإسلام» لِلْمُؤَلِّفِ نَفْسِه، وكِتاب «طَبَقَاتُ الأُمَم» لِصاعِد الأَنْدَلُسي (ت 462هـ / 1070م)، وكِتاب «إخْبَارُ العُلَماء بِأَخْبَارِ الحُكَماء» لِلقِفْطِي (ت 646هـ / 1248م)، وكِتاب «عُيُونُ الأَنْبَاء فِي طَبَقَاتِ الأَطبَّاء» لابن أبي أُصَيْبَةَ (ت 668هـ / 1269م).

كما لا تَخْلُو أَيْضًا كُتُبُ التَّراجمِ العامَّة من فائِدَةٍ من خِلال تَركيزِها على سِيرِ الأَعْلَام من الصَّابِئة، ويأتي على رَأْسِها كِتاب «تَاريخ بَغداد» لِلخَطِيبِ البَغدادِي (ت 463هـ / 1070م)، وكِتاب «وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ، وَأَنْبَاءُ أُنْبَاءِ الزَّمان» لابن خَلْكَان (ت 681هـ / 1282م)، وكِتاب «سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء» لشمس الدِّين الذَّهَبِي (ت 748هـ / 1344م)، وكِتاب «شَذَرَاتُ الذَّهَبِ فِي أَخْبَارِ مَنْ ذَهَبَ» لابن العِباد الحَنْبَلِي (ت 1089هـ / 1678م).

أمَّا المِصادرُ الجُغرافيَّة، فَهِيَ ذاتُ أَهميَّةٍ بالغَة خاصَّة عند التَّعرُّضِ لِمسَاكن الصَّابِئة وأَوْضَاعِهِم الدِّيْمُوجرافيَّة، وعلى رَأْسِ تلكِ المِصادر كِتاب «المَسالِكُ والمَمالِكُ» لابن خُرْداذبَةَ (كان حَيًّا نَحْوَ عام 280هـ / 893م)، وكِتاب «عَجَائِبُ الأَقالِيمِ السَّبعة إلى نِهايَةِ العِمارَة» وَهُوَ من تَصْنِيفِ جُغرافي ذِمِّي يُدعى سَهْراب [اشْتَهَرَ فِي أَوْساطِ الاسْتِشْراقِ بِاسْمِ ابنِ سِيرانِيون] (كان حَيًّا نَحْوَ عام 287هـ / 900م)، بِالإِضافة إلى كِتاب «صُورَةُ الأَرْضِ» لابن حَوْقل النَّصَّيبِي (ت 367هـ / 977م)، وكِتابُ المُقَدِّسِي (كان حَيًّا سَنَةَ 379هـ / 989م) المُسمَّى «أَحْسَنُ التَّقائِمِ فِي مَعْرِفَةِ الأَقالِيمِ»، وكِتابُ الإِذْرِيسِيِّ (ت 560هـ / 1164م) المُسمَّى «نُزْهَةُ المُسْتَشاقِ فِي اخْتِراقِ الآفاقِ»، بِالإِضافة إلى كِتابِ يَاقوتِ الحَمَوي الرُّومِي

(ت626هـ/1228م) والمُسمَّى بـ«مُعْجَم الْبِلْدَان»، إلى جَانِبِ كِتَاب «أَثَارِ الْبِلَادِ وَأَخْبَارِ الْعِيَادِ» لِلْقَزْوِينِي (ت628هـ/1230م)، هَذَا فَضْلًا عَنْ كِتَاب «الرَّوْضُ الْمُنْعَطَرُ فِي خَبَرِ الْأَفْطَارِ» لِعَبْدِ الْمُتَعَمِّ الْجُمَيْرِي (ت727هـ/1326م).

كَمَا إِنَّ كُتُبَ الْأَدَبِ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ فِي هَذَا الصَّدَدِ أَيْضًا، فَتَرَدُّ فِي ثَنَائِهَا بَعْضُهَا أَخْبَارُ تَخْصُّ نَشَاطَ رَجَالَاتِ الصَّابِنَةِ فِي بِلَاطِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَيَخْتَوِي بَعْضُهَا عَلَى تَفَاصِيلِ نَادِرَةٍ تَخْصُّ حَيَاتِهِمْ وَقِيمَتَهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَالدِّينِيَّةَ، وَمُشَارَكَاتِهِمْ فِي الْمَجَالِسِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَمُسَاهَمَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الْأَدَبِيَّةِ، وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ لَا تَرَدُّ فِي سِوَاهَا، وَهُوَ مَا يُبْرِزُ أَهْمِيَّتَهَا، أَخْصَصُ بِالذِّكْرِ مِنْهَا كِتَابَ «حِكَايَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغْدَادِيِّ» لِابْنِ الْمُطَهَّرِ الْأَزْدِيِّ (عَاشَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ)، وَدِيَوَانُ أَبِي الْفَرَجِ الْبَيْغَاءِ (ت396هـ/1005م) وَالَّذِي تَرَدُّ بِهِ شَذَرَاتٌ مِنْ دِيَوَانِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي الْمَفْقُودِ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى دِيَوَانِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ (ت406هـ/1015م) وَالَّذِي تَرَدُّ بِهِ عِدَّةُ قِصَائِدٍ نَادِرَةٍ نَجْدُ بِهَا تَجَسُّدًا لِبَعْضِ مُتَارِسَاتِ الصَّابِنَةِ الدِّينِيَّةِ، وَكِتَابَ «الْإِمْتِنَاعُ وَالْمُؤَانَسَةُ» لِأَبِي حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ (ت416هـ/1025م)، وَكِتَابَ «يَتِيمَةُ الدَّهْرِ فِي عَحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ» لِلثَّعَالِبِيِّ (ت429هـ/1037م) وَالَّذِي عَرَضَ مِنْ خِلَالِهِ صُورَةٌ وَافِيَةٌ لِحَيَاةِ بَعْضِ الْأَدْبَاءِ الصَّابِنَةِ وَنَشَاطِهِمْ عَلَى صَعِيدِ الْحَيَاةِ الْأَدَبِيَّةِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِهِ «آدَابُ الْمُلُوكِ» وَالَّذِي يَسْتَقِي الثَّعَالِبِيُّ بَعْضَ مَادَّتِهِ مِنْ كِتَابَاتٍ مَفْقُودَةٍ لِأَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي. بِالْإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «التَّطْفِيلُ، وَحِكَايَاتِ الطُّفُلِيِّينَ»، وَأَخْبَارِهِمْ وَنَوَادِرَ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ» لِلخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ.

هُنَاكَ أَيْضًا بَعْضُ الْمَصَادِرِ ذَاتِ الطَّبِيعَةِ الْخَاصَّةِ، فَنَظَرًا لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ خَصَّ الصَّابِنَةَ بِالذِّكْرِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعٍ؛ فَقَدْ اِهْتَمَّ الْمُفَسِّرُونَ اِهْتِمَامًا خَاصًّا بِهَذِهِ الْفِرْقِ، وَتَحَرَّى رِوَايَاتِ الْقُدَمَاءِ عَنْ هَذِهِ الْفِرْقَةِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ كُتُبَ التَّفْسِيرِ تَحْتُلُ أَهْمِيَّةً خَاصَّةً فِي تَفْسِيرِ لَفْظَةِ «الصَّابِنَةِ» وَدِلَالَتِهَا، وَعِلَاقَتُهَا بِالْفِرْقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عُرِفْنَا بِالْأَسْمِ نَفْسِهِ، وَمِنْ أَهْمَتِهَا تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (ت310هـ/922م)، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ (ت327هـ/938م)، وَتَحْتُلُ تَفْسِيرُ أَبِي بَكْرٍ الْخَصَّاصِ (ت370هـ/980م) لِآيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْمُسمَّى بـ«أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» أَهْمِيَّةً

خاصّة، وذلك لأنّه من القلائل من المؤلّفين المسلمين الذين تعرّفوا عن كتب على الصّابئة المندائيّين، كما تعرّض تفصيلاً لفتوى أبي حنيفة النعمان التي أخذ بها الخليفة أبو جعفر المنصور في شأن كلّ من صابئة حرّان والصابئة المندائيّين. هذا بالإضافة إلى أوسع تفاسير القرآن الكريم وأغناها وهو تفسير أبي عبد الله القرطبي (ت 671هـ / 1272م).

كما تحتلّ المصادر التي اهتمّت بدراسة الأديان وعقائد الفرق الدينيّة المختلفة في ظلّ الإسلام أهمية خاصّة أيضاً، وذلك بوصفها قد تطرّقت لذكر الصّابئة ورفيقهم وعقائدهم، على أنّ أهمّ ما فيها هو تطرّقها للعلاقة المبهمة والغامضة بين الصّابئة والحنفاء، ويأتي على رأس تلك المصادر: كتاب «التبصير في الدّين»، وتتميّز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين» للأسفراييني (ت 418هـ / 1027م)، وكتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الأندلسي (ت 423هـ / 1031م)، وكتاب «الفرق بين الفرق» لأبي منصور عبد القاهر البغدادي (ت 429هـ / 1037م) بالإضافة إلى كتابه الآخر المسمّى «الملل والنحل»، إلى جانب كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني (ت 548هـ / 1153م)، وكتاب «بيان مذاهب الفرق الضالّة» لعبد الرحمن بن الجوزي، بالإضافة إلى كتابه الأشهر «تليس إيليس»، وكتاب «اعتقادات فرق المشركين» لفخر الدّين الرازي (ت 606هـ / 1029م)، وكتاب «تنقيح الأبحاث للملّ الثلاث» لابن كمونة اليهودي (كان حيّاً عام 683هـ / 1284م)، بالإضافة إلى كتاب «أحكام أهل الذّمة» لابن قيم الجوزيّة (ت 751هـ / 1350م).

وفي السياق نفسه؛ تُعتبر المصادر التي وُضعت لدحض آراء بعض الفلاسفة، والتي لا تُوافق العقيدة الإسلاميّة من الأهميّة بمكان، إذ كان بعض مؤلّفيها على اطلاع على آراء بعض فلاسفة الصّابئة، وعلى الأخصّ مؤلفات ثابت بن قرة، ويأتي على رأسها كتاب «نهاية الإقدام في علم الكلام» للشهرستاني. وكتاب «محصل أفكار المقدّمين والمتأخّرين من العلّماء والحكّماء والمتكلّمين» لفخر الدّين الرازي، بالإضافة إلى كتاب ابن تيمية (ت 728هـ / 1327م) المسمّى «بغية المُرْتاد في الردّ على المتفلسفة والقرامطة والباطنية».

المراجع والدراسات الحديثة

يعودُ اهتمامُ المُجتمَعِ البَحْثي بالصّابئة إلى وجود بقيةٍ باقيّةٍ مِنْهُمْ بين ظَهْرَانِنَا

بالعراق، قُدِّرَ لها أن تكونَ الفرقة الغنوصية³³ الوحيدة التي تمكَّنت من البقاء، ألا وهي طائفة الصَّابئة المندائيين، وفي الحقيقة يُمكنُ القولُ إجمالاً أنَّ الدِّرَاسات الخاصَّة بتاريخ الصَّابئة وعقائدهم قد جرت - باستثناءاتٍ طَفيِفةٍ - تحتَ رايةِ البَحْثِ في تاريخ الصَّابئة المندائيين وعقائدهم، حيثُ بدأ المُستشرقون في الاهتمام المتزايد بالصَّابئة المندائيين ببلاد ما بين النهرين، وتركزت دِراساتهم حَولَ دِيانتِهِم وأصُولِهِم العِرقِيَّة، مُنذُ وقتٍ مُبَكِّرٍ جدًّا.

ففي القرن السادس عشر نقل بعض المبشرين - وخاصة البروتستانتين منهم - الذين اقترَبُوا عن كُتُب من تجمُّعات الصَّابئة المندائيين حَولَ البَصرة - اعتقادهم بأن المندائيين هم إحدى الفرق النصرانية، جرَّهم إلى ذلك الاعتقاد مُمارسة هذه الفرقة الغامِضة - والتي تلتزم

³³ الغنوصية *Gnosticism* نزعة فلسفية - دينية برزت منذ القرن الأول الميلادي، وبعض الدِّراسات الحديثة تردُّ بداياتها إلى زمن أقدم بكثير من ظهور النصرانية، ومن الخطأ اعتبار الغنوصية مذهباً واحداً له ملامحه الفكرية المميزة، وإنما هي خليط من المذاهب والاعتقادات التي لم تستطع في أي وقت توحيد صفوفها ضدِّ مُناوئِها من النَّصارى، بل ظلَّت مذاهبهم تتحارب فيما بينها، وكان ذلك من عوامل ضعفها وانحيارها في نهاية الأمر، عزيز سباهي: أصول الصابئة وعقائدهم الدينية، الطبعة الثالثة، دمشق 2003، 140. وعند الغنوصيين فإنَّهم وحدهم هم الذين يمتلكون المعرفة السَّامية، وحقيقة الذات الإلهية والإنسان، وهي معرفة تفيض عليهم من قبل الذات الإلهية، وهذه المعرفة أيضًا هي سبيل الإنسان للخلاص، وإذن فالأعمال الطيبة هي وسيلة التَّرفُّع إلى هذه المعرفة، وليست غايةً في حدِّ ذاتها، ويكفُّ خلاص البشر - عند الغنوصيين - في الجنوسيس *Gnosis* وهي كلمة يونانية معناها مُعرفة الله، والتي تتجلَّى فقط للمُختارين من أنبياء الرُّوح، وهذا التَّجَلِّي لا يأتي للمُريدن المُستترين إلَّا من خلال طقوس تتضمَّن ما يشبه المُناجاة والتأمل الصَّوفي، وهي جميعاً مُمارسات تتسم بالسريَّة والغُصُوض، ولم يقف الباحثون بعد على أبعادها بوضوح، وقد آمن الغنوصيون بوجود الله الكائن الأعلى الذي ليس كمثله شيء، والذي لا يُمكن للعقل البشري أن يدركه، ومن هذا الكائن الأعلى تنزَّل أیونات [فيوضات] شتى تنبثق منها النفوس والملائكة، أما مادَّة الجسد نفسها فهي رمز الانحطاط والشر، والتي تُولَّد بدورها قوة الخلق *Demiurge* وهي التي أوجدت العالم المادي، وهذه القوة الخلاقة هي التي سيطرت على الأرض التي كانت مليئة بالشرور ولا تعرف الرُّوحانيات. انظر: هنري س. عبود: مُعجم الحضارات السامية، بيروت 1991، 638. وعن الغنوصية وصراعها مع المسيحية الأولى انظر:-

K. RUDOLPH: *Gnosis, the nature and history of Gnosticism*, London 1998, pp 275 - 343.

ALASTAIR LOGAN: *Gnostic truth, and Christian Heresy*, Glasgow 1996, p71-98.

يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة 1936، 326-327؛ عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005، 53.

الصَّنَتَ حِيَالٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِدَيَانَتِهَا وَطُقُوسِهَا - لطقس التَّعْمِيدِ³⁴ فِي الْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ، مِمَّا جَعَلَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ نَصَارَى عَلَى مَذْهَبِ الْقَدِيسِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ [يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ]، وَوَضَعُوا عَنْهُمْ تَقْرِيرًا أَوَّلِيًّا بِالْبَرْتَغَالِيَةِ بِعَنْوَانِ *Diversi avisi particolari dall' Indie di Portogallo Riccuti*، وَفِي هَذَا التَّقْرِيرِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ تَحَدَّثَ عَنْهُمْ أَوْلِيكَ الْمُبَشِّرُونَ عَلَى أَنَّهُمْ - أَيِ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ - فِرْقَةٌ نَصْرَانِيَّةٌ غَيْرُ تَامَّةٍ الْإِيَّانَ، كَمَا اعْتَقَدَ كَتَبَةُ التَّقْرِيرِ خَطَأً أَنَّ الْقَدِيسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ كَانَ قَدْ بَشَّرَ فِي بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ. لَكِنَّ تَقْرِيرًا تَالِيًا أُرْسِلَ إِلَى «جُوا» *Goa* - قِصَّةُ مُسْتَعْمَرَاتِ الْبَرْتَغَالِ فِي الْمَحِيطِ الْهِنْدِيِّ - اسْتَدْرَكَ عَلَى هَذَا الْخَطَأِ، وَذَكَرَ أَنَّ الْمُنْطَقَةَ الْمَحِيطَةَ بِالْبَصْرَةِ بِهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَتْبَاعِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَظَلَّتْ دَوَائِرُ الْبَحْثِ تَعْتَقِدُ وَجُودَ صِلَةٍ مَا بَيْنَ الْمَنْدَائِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَلَمْ يَتِمَّ اعْتِبَارُ تِلْكَ الطَّائِفَةِ طَائِفَةً مُسْتَقَلَّةً تَمَامًا عَنِ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَّا بَعْدَ عَامِ 1615.³⁵

وَفِي عَامِ 1622 أَشَارَ الرَّحَّالَةُ الْإِيطَالِي دِي لُوجْلِيُو DI LUGLIO إِلَى أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ تُعْرَفُ بِالْمَنْدَائِيِّ [الْمَنْدَائِي]، أَوِ الصَّابِيِّ، كَمَا دَعَاهُمْ إِغْنَاطْيُوسُ - وَهُوَ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ الْكَاثُولِيكِ - بِأَتْبَاعِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَبِالْمَنْدَائِيَا، وَقَدْ ظَلَّ الْخَلْطُ فِي التَّسْمِيَّاتِ وَالْأَوْصَافِ قَائِمًا حَتَّى النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ، وَكَانَ الْبَاحِثُونَ يَخْلُطُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّبِّيئِيِّينَ *Sabeans* فِي جَنُوبِ

³⁴ التَّعْمِيدُ *Baptism* كَلِمَةٌ أُخِذَتْ عَنِ الْكَلِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ *Baptizein* وَتَعْنِي الْإِنْفِصَارَ فِي الْمَاءِ، وَيَكَانُهَا الْجَذَرُ الْعِبْرَانِي الْأَرَامِي «عَمَدٌ» وَمَعْنَاهُ «وَقَفَ مُتَّصِبًا»، وَهَذَا شَأْنُ الْمُتَعَمِّدِ فِي الْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ، وَهُوَ مُضْطَلَحٌ يَجْرِي عَلَى كُلِّ طَقْسٍ دِينِي يَشْتَرِطُ الْعَمْرَ فِي الْمَاءِ الْجَارِي، إِمَّا لِلتَّطَهُّرِ مِنَ الْخَطَايَا، أَوْ لِلنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَهُوَ طَقْسٌ كَانَ يُمَارَسُ فِي الْعَدِيدِ مِنْ أَدْيَانِ الشَّرْقِ قَبْلَ ظَهْوَرِ الْمَسِيحِيَّةِ بِصُورٍ مُخْتَلَفَةٍ، فَالْبَابِلِيُّونَ - وَمِنْ قَبْلِهِمُ السُّومَرِيُّونَ وَالْأَكَادِيُّونَ - كَانُوا يَرُونَ فِي الْارْتِمَاسِ فِي الْمَاءِ الْجَارِيِ امْتِلَاءًا بِالْحَيَاةِ، سِبَاهِي: أَصُولُ الصَّابَةِ 63. وَلَا يَزَالُ الطَّقْسُ يُسْتَعْمَلُ إِلَى الْيَوْمِ عِنْدَ الْهِنْدُوسِ، وَهِيَ ذَاتُ الطَّقُوسِ الَّتِي يُمَارِسُهَا الْمَنْدَائِيُّونَ الْيَوْمَ، سِبَاهِي: الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ 118، وَدَخَلَ الطَّقْسُ فِي طَوْرٍ جَدِيدٍ بَعْدَ ظَهْوَرِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَالَّذِي أَدَّى إِلَى حَدُوثِ طَفَرَةٍ بِالطَّقْسِ حِينَ عَمَدَ الْيَهُودَ وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ عَلَى نَحْوِ جَمَاعِي بَنِي الْأَرْدَنِ، وَكَانَ عِمَادُهُ بِمِثَابَةِ إِعْلَانِ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ عَلَى الْخَطَايَا، لَكِنِ الطَّقْسُ ذَاتَهُ اتَّخَذَ مَعْنَى جَدِيدًا فِي ظِلِّ الْمَسِيحِيَّةِ الْبُورِسِيَّةِ، فَقَدْ أَصْبَحَ رَمْزًا لِلدَّخُولِ فِي الْعَهْدِ، وَيَلْزَمُ الطِّفْلَ حَدِيثَ الْوِلَادَةِ، أَوِ الْمُعْتَقَ الْبَالِغَ لِلْمَسِيحِيَّةِ أَنْ يَتَعَمَّدَ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي حَيَاتِهِ كَعَلَامَةٍ عَلَى دَخُولِهِ فِي الْعَهْدِ وَقَبُولِهِ لِأَسْرَارِ الْإِيَّانِ. انْظُرْ:

EVERETT FERGUSON: *Baptism in the Early Church, History, Theology, and Liturgy in the First five centuries*, Cambridge 2009, P 75.

³⁵ تَفْصِيلًا: انْظُرْ: W. BRANDT: *Mandaeans*, in: *Encyclopedia of religion and ethics*, edited by JAMES HASTINGS & others, Edinburgh, Vol. VIII, P. 391 - 393. مَرْجِعٌ سَابِقٌ 33 - 35.

اليمن؛ للتقارب الصوتي، خاصة حين يُنطق الاسم أو يُكتب بالحروف اللاتينية³⁶.

كما أخذت بعض التسميات العامة التي عُرف بها الصابئة كـ«الصَّبة»، و«الصَّبة»، و«الصَّابئة»، و«الْمُنْدائي» و«الْمُنْدائي»، بعض الازدباك في دوائر البحث، كَذَا عَمَّ الخلط تلك الدراسات الأولية بشأن تلك التسمية التي ترد في كُتُبهم «النَّاصُورائا» و«النَّاصُورائين» و«النَّاصُورائي»³⁷ وكان من نَتِيجَةِ ذلك الخلط بينهم وبين النصيريين - وهم فرقة من غلاة الشيعة!! - أو إزجاج أعضوهم إلى مدينة النَّاصِرة في الجليل، وهي المدينة نفسها التي ينتمي إليها المسيح عليه السلام. منذ ذلك الحين تزايدت الإشارات إلى الصَّابئة المُنْدائيين، ومع تزايدها بدأ الباحثون يُؤلون تاريخ هذه الطائفة اهتماماً أكبر، ففي القرن السابع عشر وصل إلى أوروبا 25 تقريراً عنهم، وفي القرن التالي تضاعف عدد تلك التقارير إلى 74 تقريراً.

وحفَظَت الأخطاء التي وقَع فيها الرِّحالة - بشأنهم - الباحثين إلى ترجمة كُتُبهم المقدَّسة، ففي عام 1660 نشر المَارُونِي إِيخْلِينِس مُقْتَبَسَاتٍ من بعض كُتُبهم ترجمها بمُسَاعَدَةِ أَحَد الصَّابئة مَن اعْتَقَفُوا النَّصْرَانِيَّةَ وَأَقَامُوا بَرُومًا، ثم تَابَعَتِ الرَّجَمَات، برغم أنَّها افْتَقَرَت إلى الدِّقَّة إلى حدٍّ بعيد، وكان أبرزها ترجمة الباحثِ السُّوَيْدِيِّ م. نُوزِيرِغ عام 1816 لِكِتَاب «الْكَنْزَارُبَا» [الْكَنْزُ الْعَظِيم]، وهو الكِتَابُ الْمُقَدَّسُ الرَّئِيسُ لِلصَّابئةِ الْمُنْدَائِيِّينَ، وفي عام 1867 نشر بِيَرْمَان ترجمةً جَدِيدَةً «لِلْكَنْزَارُبَا» إِلَّا أَنَّهَا هِيَ الْأُخْرَى أَعَادَت أخطاء نُوزِيرِغ، وتلاه

³⁶ منذ ذلك الحين درج المستشرقون على رسم كلمة الصابئة بالحروف اللاتينية *Sabians* حتى يتجنبوا الخلط بين الفريقين، ومن الطريف أنه على الرغم من ذلك الإجراء الشكلي الحاسم؛ فإنَّ العديد من الباحثين اختلط عليهم الأمر، فاعتقدوا أن الصابئة هم أنفسهم السبئيين من أهل سبأ، وأبرزهم المُستشرق أوليري، والباحث العراقي مُصطفى جواد.

³⁷ لا تزال دلالة هذه الكلمة غامضة، لكن الباحثين الآن يجمعون أمرهم على أنَّها تعني رجل الدين الحاذق بممارسة الشعائر والطقوس، والملاحظ بالفعل أنَّ أغلب المواضع في الكتابات الدينية المندائية القديمة التي ذكرت فيها كلمة ناصورائي لا تنطبق إلا على رجال الدين فحسب، لكنها قد تأتي أيضًا في بعض المواضع كاسم علم يطلق على الديانة ذاتها، أما العامة من أتباع الديانة فيُشار إليهم في أغلب المواضع بلقب المندائيين، انظر: - دراور: الصابئة المندائيون، 42-43.

تَرْجَمَةُ «إِنْتِنَغ» لِكِتَابِ «الْقِلْسَتَا» وَهُوَ كِتَابٌ يَخْتَوِي عَلَى شَعَائِرِ طُقُوسِ التَّعْمِيدِ وَصَلَوَاتِ الْمُنْدَائِيِّينَ.

وَحِلَالِ عَامِ 1820 زَارَ الرَّحَّالَةُ الْأَلْمَانِي ج. بِيْتَرْمَان J. H. PETERMAN الْأَهْوَارَ جَنُوبِي الْعِرَاقَ، وَقَضَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ هُنَاكَ، مُرَاقِبًا عَنْ كُتُبِ أُنْبَاءِ الطَّائِفَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ وَطُقُوسِهِمْ، وَكُتِبَ تَقْرِيرًا وَافِيًا عَنْ مُشَاهَدَاتِهِ ضَمَّنَهَا كِتَابُهُ الصَّخْم *Reisen im orient* (رَحْلَةٌ إِلَى الشَّرْقِ) وَقُدِّرَ لِلْمَعْلُومَاتِ الَّتِي دَوَّنَهَا بِيْتَرْمَانُ عَنْ طُقُوسِ الْمُنْدَائِيِّينَ وَعَادَاتِهِمْ أَنْ تَكُونَ الْمَرْجِعَ الْأَوَّلَ لْجُمْهُورِ الْمُسْتَشْرِقِينَ لَوْ قَتِ طَوِيلٌ.

وَفِي عَامِ 1856 نَشَرَ الْمُسْتَشْرِقُ الْأُوْكَرَانِي دَانِيَالُ خُوَالْسُون D. CHWOLSOHN دِرَاسَةً كَبِيرَةً الْحُجْمُ عَنَوْنَهَا *Die Ssabier und der Ssabismus* (الصَّابِيَّةُ وَمَذْهَبُ الصَّابِيَّةِ) فِي جُزْأَيْنِ كَبِيرَيْنِ، صَدَرَتْ طَبْعَتُهَا الْأُولَى بِسَانَ بَطْرُسْ بَرَجْ بَرُوسِيَا الْقَيْصَرِيَّةِ، وَكَانَ خُوَالْسُونُ مِنْ أَوَائِلِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الَّذِينَ دَرَسُوا الْمَوْضُوعَ بِشَكْلِ أَسَاسِيٍّ مِنْ خِلَالِ الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ وَالسُّرْيَانِيَّةِ وَالْعِبْرِيَّةِ، وَتَعُودُ أَهَمِّيَّةُ دِرَاسَتِهِ إِلَى أَنَّهَا بَحَثٌ بِشَكْلِ جَدِّيّ - رُبَّمَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ - عِلَاقَةُ الْمُنْدَائِيِّينَ بِطَائِفَةٍ أُخْرَى انْتَصَقَ بِهَا الْمُسَمَّى نَفْسُهُ - أَعْنِي الصَّابِيَّةَ - وَهُمْ الْحَرَنَانِيَّةُ أَوْ صَابِيَّةُ حَرَّانَ.

وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ تُعَدُّ دِرَاسَةُ خُوَالْسُونِ دِرَاسَةً مُحَوَّرَةً فِي تَارِيخِ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَاقَلَتْ عَقَائِدُ الصَّابِيَّةِ وَتَارِيخُهُمْ بِشَكْلِ عَامٍ، وَمَا تَزَالُ طُرُوحَاتُهُ وَالتَّنَاقُجُ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا تَجَدُّ طَرِيقَهَا حَتَّى الْيَوْمِ فِي دِرَاسَاتِ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ، وَفِي الْمَوْسُوعَاتِ الْكُبْرَى وَالْمَعَاجِمِ وَدَوَائِرِ الْمَعَارِفِ الْعَالَمِيَّةِ، وَكَانَتْ أَهَمُّ هَذِهِ التَّنَاقُجِ مَا طَرَحَهُ خُوَالْسُونُ مِنْ أَنَّ الصَّابِيَّةَ الْمُنْدَائِيَّةَ هُمُ الصَّابِيَّةُ الْحَقِيقِيُّونَ، وَأَنَّهُمْ هُمُ «صَابِيَّةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»، وَأَنَّهُ لَا عِلَاقَةَ لَهُمُ الْبَتَّةَ بِصَابِيَّةِ حَرَّانَ، الَّذِينَ انْتَحَلُوا الْأَسْمَ أَيَّامَ الْحُلَيْفَةِ الْمَأْمُونِ لِأَغْرَاضٍ سِيَاسِيَّةٍ.

وَفِي عَامِ 1880 نَشَرَ نِيُقُولَا م. سِيُوفِي N. M. SIOUFI دِرَاسَةً ضَخْمَةً فِي عَقَائِدِ الصَّابِيَّةِ الْمُنْدَائِيَّةِ *Etudes sur la religion des Seubbas ou Sabeens* (دِرَاسَاتُ فِي عَقَائِدِ الصَّابِيَّةِ أَوْ الصَّابِيَّةِ)، صَدَرَتْ طَبْعَتُهَا الْأُولَى بِبَارِيسَ، اعْتَمَدَ سِيُوفِي بِشَكْلِ رَئِيسِي خِلَالَهَا

على أحد المندائيين الذين اعتنقوا النصرانية، ورغم التضييقات التي أوقع ذلك المندائي فيها سيوفي عمداً، والاستنتاجات الحاططة من قبل سيوفي لبغض الرموز والأسرار الدينية المندائية؛ إلا أنها عُدَّت بين المستشرقين أعظم إسهام علمي في عقائد الصابئة مما كُتِب خارج نطاق تحقيق كُتب الطائفة المقدسة ونشرها.

وفي عام 1895 نشر عالم الساميات المرموق ثيودور نولدكه TH. NÖLDKE كتابه عن القواعد القياسية للنحو والصرف في اللغة المندائية *Mandäische Grammatik* والذي صدرت طبعته الأولى بمدينة هاله *Halle* الألمانية عام 1895. ثم تلاه وليام برانت W. BRANDT والذي يعد أحد أكبر المستشرقين الذين توفروا على دراسة عقائد وتاريخ المندائيين، وكان أعظم نتاج جهوده هو مؤلفه الكبير *Die Mandäische Religion* (الديانة المندائية) والذي صدرت طبعته الأولى بليبتسج *Leipzig* عام 1889، كما ساهم أيضاً بمادة غنية عن الديانة المندائية في دائرة معارف الدين والأخلاق، ودائرة المعارف اليهودية.

أما عن مارك ليدزبارسكي M. LIDZBARSKI فهو نقطة تحول حقيقية في تاريخ الدراسات المندائية، فقد عمل بجهد في ترجمة العديد من المصادر المندائية ونشرها، سواء تلك التي وُجدت منها نُسخٌ بالمتاحف العالمية، أو التي نجحت بعثات التنقيب بالعراق في العثور عليها، وترجم العديد من الكتب المندائية، أهمها: «دراسة ديبيا» (دراسة تعاليم يحيى) عام 1905، ثم استغرقه العمل في إعداد ترجمة دقيقة لكتاب «الكترا ربا» تتلاقى أخطاء نُورزيرغ عام 1925، بالإضافة إلى نشره العديد من النصوص المندائية الأخرى، وبالتالي توافرت لدى الباحثين تروة أولية من الكتابات المندائية الأصلية.

في غضون عام 1922 وفي أثناء اغترام مجلة الدراسات الشرقية *Oriental Studies* [عَجَب نامة] إعداد عددٍ تذكاري مُهدي إلى المستشرق إدوارد براون EDWARD BROWN بمناسبة بلوغه الستين، نشر جوس بيدرسن J. PEDERSEN في هذا العدد مقالته *The Sabians*، وبرغم صغر حجمه النسبي (احتل الصفحات 383-391)، إلا أنه كان له شأنٌ عظيم في تاريخ داريبي الصابئيات، إذ تعود أهميته إلى أنه مثل أول دراسة نقدية لطروحات خوالسُون، الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية

بل وطعنها في الصِّميم، خاصّة ما يتعلّق بقضيّة الاشتقاق اللُّغوي لمُسمّى «الصّابئة» كما تطرّحه المصادر العربيّة، وبالتالي مهّد السَّبيل لظهور مدرّسة جديدة من مُناوئي خوالِصِ السُّنن.

بُعَيْدَ ذلك بعامين، وبالتّحديد عام 1924 نشر ج. ر. ميد G. R. MEAD دراسته التي أسَّهاها *The Gnostic John the Baptizar* (غنوصيّة يوحنا المعمدان) تعرّض خلالها لحياة يوحنا المعمدان وآثاره، وعلاقة الصّابئة المندائيين به، ودعا من خلاله أن تتّمسّ دراسة التّراث المندائي من خلال تعاون المُستشرقين وأبناء الطّائفة، الذين هم الأقدر على شرح طقوسهم ودقائق ديانّتهم على نحو أفضل ممّا قد يفهمه المُستشرقون بمُجرد النّظر والمُراقبة. وأعاد د. بُورخيت D. BURKITT كتابة علاقة الكنيسة بالحركات الغنوصيّة الأولى من خلال دراسته القيّمة *Church and Gnosis* (الكنيسة والغنوصيّة) والتي صدرت بكمبريدج *Cambridge* بالملكة المتّحدة عام 1932، ومن ثمّ تعرّض لنشأة المندائيّة وتطوّرها بوصفها الديانة الغنوصيّة الوحيدة التي قدّرها البقاء.

كَانَ من الواضح أنّ دوائر البحث تشكّو من نقص المادّة العلميّة الأصليّة، فمِنْ ناحية كان المندائيون يضيئون بكتاباتهم الدينيّة، حيثُ تحرّم الديانة مُطلقاً إطلاع الأُغْيَار على كُتب الطّائفة المُقدّسة، بل وتحرّم على رجال الدين إطلاع عامّة المندائيين أنفُسِهِم عليها، وقد أدّى ذلك النّقص الكميّ في المادّة إلى تضارب آراء الباحثين، وبُعد البّون بين آرائهم خاصّة مسائل أصل المندائيين، من أين استقوا أبجديّتهم، وعلاقتهم بصابئة حرّان، والأصل اللُّغوي لكلمة «الصّابئة»، وكيف التّصقت بهم؟، وكان من الواضح أن حَسَمَ الكثير من هذه التّساؤلات يَكْمُنُ في وضع كُتب المندائيين المُقدّسة على طاولة البحث علّها تُسفر عن حَسَم تلك القضايا، وباتت المسألة تتمثّل في نجاح الباحثين في حثّ الطّائفة على تقديم تلك الرُّقُوم والكتابات المُقدّسة لتُخضع للدراسة.

كان المُجتمع العلمي على مُوعد مع ذلك الحراك في موقِفِ الطّائفة من إطلاع الأُغْيَار على كتاباتهم المُقدّسة وأديّانهم الدينيّة، ذلك أنّ الطّائفة المندائيّة التي عاشت في عزلة لِقُرُون طويّلة، كان وعيها قد بدأ يتفتح على مُشاركة القُوى الوطنيّة العراقيّة لسلطات الاختلال

البريطاني في الحكم، وأزادت الطائفة تحديد وضعها السياسي في المجتمع العراقي من حيث الاعتراف الدستوري بها كإحدى الديانات الرسمية المعترف بها، وذلك ضماناً لحقوقها السياسية. اضطلع ذلك الطموح بدعاية مضادة نشأت على إثر نشر أحد الكتاب العراقيين - ويدعى عبد الرزاق الحسيني - دراسة عنونها بـ «الصابئة قديماً وحديثاً» وصدرت طبعتها الأولى بالقاهرة عام 1925، وحظيت تلك النشرة بمراجعة وتقديم العلامة أحمد زكي باشا، وفي هذه الدراسة خلط الحسيني بين صابئة حرّان وبين المندائيين؛ عبر مراحل تطوّر اختراعها اختراعاً، ومن ثمّ اتهم عموم الصابئة بالشرك وعبادة الكواكب والنجوم.

أثار نشر كتاب الحسيني عاصفة من الغضب بين أبناء الطائفة، التي كانت تتطلع إلى اعتراف الأغلبية المسلمة بالبلاد بهم كأقلية شرعية، وأدّى ذلك إلى خروجهم عن الصمت وعدم الاكتراث بما يكتب عنهم، فقاضت الطائفة المؤلف، وذهب رئيس الطائفة الروحي إلى المحكمة يحمل في يده كتاب الطائفة المقدّس «الكنز» ويقرأ على القاضي فقرات منه يُثبت بها الاتجاه التّوحيدي لديّانته. ودفعت الخصومة التي وقعت بين الحسيني والطائفة المندائية إلى توثيق الطائفة علاقتها بباحثة إنجليزية شابة، كان لها أكبر الأثر في حقل دراسات الصّابئيات، ألا وهي السيدة إثيل استيفانا دراوّر E. S. DROWER والتي اشتهرت في أوساط البحث باسم الليدي دراوّر.

كانت إثيل ستيفنسون - في الأصل - روائية بريطانية مغمورة، وكان اهتمامها منصباً على كتابة الرواية، ونجحت في نشر عدد من رواياتها، لكنها لم تحقق ما كانت تصبو إليه من شهرة بين النقاد والمهتمين بهذا الصنف من الأدب، ثم لم تلبث أن تزوّجت من أحد الديبلوماسيين البريطانيين العاملين بالعراق وهو السيد إدوين دراوّر E. DROWER، وعندما ذهبت إلى العراق استهوتها دراسة أساطير ديانات بلاد ما بين النهرين القديمة، فأصدرت باكورة دراسات الفلكلورية بعنوان *Wine in water* (خمر في الماء)، وسرعان ما أولت انتباهها إلى إحدى الديانات القديمة التي كانت ما تزال تنبض بالحياة، وهي المندائية، فقامت بالاتصال الودّي برؤساء الطائفة ومُنغذّيها لحضور الطقوس وتسجيل ملاحظات عنها، فأذنوا لها بعد صابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية.

لأبي، وكتبَتْ عَنْهُمْ مَقَالًا أَوَّلِيًا بعنوان *Mandaean writings* (الكتابات المندائية) نشرته بِمَجَلَّةِ العِرَاق، في العدد الأوَّل الذي صدر في نوفمبر من عام 1934، ثم قَدَّمتْ للعالم أوَّل دراسة فُلْكلورية شَامِلَة لَقِيَتْ تَرْحِيْبًا واسِعًا من قبل دَارِسِي الصَّابِنِيَّات جَاءَتْ بعنوان *Mandaeans in Iraq and Iran, their cults, customs, magic legends, and folklore* (المندائيون في العراق وإيران: دِيَانَتُهُمْ، أَعْرَافُهُمْ، أَسَاطِيرُهُمْ، مُمَارَسَاتُهُمُ الشَّعْبِيَّة) والتي صَدَرَتْ طَبْعَتُهَا الأُوْلَى بِلَنْدُن عام 1937³⁸.

كَانَ الْجَدِيدُ فِي دَرَاةِ دَرَاوَرِ هُوَ أَنَّهَا دَوَّنَتْهَا بِالتَّعَاوُنِ مَعَ أَبْنَاءِ الطَّائِفَةِ ذَاتَهَا، تَمَامًا كَمَا أَمِلَ مِيد MEAD ذَاتَ يَوْمٍ، ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَا جَرَى مِنْ دَرَاةٍ عَنِ الْمَنْدَائِيِّينَ حَتَّى صُدِّرَ دَرَاةِ دَرَاوَرِ جَرَى بَيْنَ أَرْوَقَةِ الْمَكْتَبَاتِ وَجُذْرَانِ دُورِ الْبَحْثِ الْأكَادِمِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ تَعَاوُنٍ جَدِّي بَيْنَ عُمُومِ الْبَاحِثِينَ وَبَيْنَ أَتْبَاءِ الطَّائِفَةِ، وَكَانَتْ مُلَاحَظَاتُ الرَّحَالَةِ الْعَابِرَةِ، وَمَا دَوَّنَهُ بِيَتْرَمَانَ وَيَقُولَا سَيُوفِي هِيَ كُلُّ الْمَادَّةِ الْمُتَاحَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِطُقُوسِ الصَّابِنَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ، وَبَيَّنَتْ دَرَاوَرُ أَنَّ حُضُورَهَا الطُقُوسِ وَإِجْرَاءَ بَعْضِهَا بِنَفْسِهَا بِكُلِّ دَقَّةٍ قَدْ أَثْبَتَ خَطَأَ تَصَوُّرَاتِ وَاسْتِنْتِجَاتِ وَهْمِيَّةٍ سَادَتْ فِي أَوْسَاطِ الْاسْتِشْرَاقِ حِيَالِ بَعْضِ تِلْكَ الطُقُوسِ.

ازْدَادَتْ ثِقَةُ الطَّائِفَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ بِالسَّيِّدَةِ دَرَاوَرِ، فَبَدَأُوا بِالْإِنْفِتَاحِ عَلَيْهَا بَعْدَمَا لَاحَظُوا نَزَاهَتَهَا، وَأَمْدُوهَا بِالْكَتَابَاتِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِي كَانُوا يَضُنُّونَ بِهَا حَتَّى عَلَى عَامَّةِ الْمَنْدَائِيِّينَ، فَتَسَرَّتْ تَبَاعًا تِلْكَ الرُّقُومِ وَالْمَخْطُوطَاتِ الثَّمِينَةِ، الَّتِي طَالَمَا تَلَهَّفَتْ دَوَائِرُ الْبَحْثِ عَلَيْهَا، فَتَرَجَمَتْ عَدَدًا

³⁸ تُرْجِمَتْ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ بِوَسَاطَةِ الْبَاحِثِينَ الْمَنْدَائِيِّينَ نَعِيمِ بَدْرِي، غَضَبَانَ رُومِي، وَصَدَرَتْ طَبْعَةُ التَّرْجُمَةِ الْعَرَبِيَّةِ الأُوْلَى بِبَغْدَادِ عام 1969، وَقَدْ أَقَرَّ الْمُتَرَجِّمَانِ بِرَغْبَتِهِمَا فِي تَأْلِيفِ كِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ عَنِ الطَّائِفَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ وَدِيَانَتِهَا، وَأَقَرَّا أَنَّهَا أَثْبَتَتْ بِالْفِعْلِ، إِلَّا أَنَّهُمَا ضَرَبَا صَفْحًا عَنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ وَاسْتَفْتَا بِتَرْجُمَةِ كِتَابِ دَرَاوَرِ الْقِيَمِ وَالْفَرِيدِ فِي بَابِهِ، أَنْظَرُ مُقَدِّمَةُ الْمُتَرَجِّمِينَ فِي الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ الصَّادِرَةِ بِبِزْرُوت. وَمُؤَخَّرًا قَامَتِ الدَّارُ الْعَرَبِيَّةُ لِلْمَوْسُوعَاتِ بِبِزْرُوتِ بِطَرَحِ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّيْثِيِّ دَرَاوَرِ عام 2005، وَالبَّيِّنُ الوَاسِعُ بَيْنَ تَارِيخِ الطَّبْعَتَيْنِ يَكْثِفُ عَنْ أَنَّ الْمَوْضُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَدْخُلْ بَعْدَ فِي نِطَاقِ اِهْتِمَامِ الْبَاحِثِينَ الْعَرَبِ.

كبيراً من الدَّوَائِن والرُّقُوم المندائية أبرزها *Sfar Malwasia* (سِفَرُ البُرُوج)، والذي ظهرت طَبْعَتُهُ الأُوْلَى بِلَنْدَن عام 1949، *Diwan Abatur* (دِيَوَانُ أَبَاتُر) الذي رَأَى الثَّوْرَ بِالْفَاتِيكَانَ عام 1950، *Harran Gawaita* (حَرَّانُ الدَّاخِلِيَّةِ [السُّفْلَى]!) والذي ظَهَرَ بِالْفَاتِيكَانَ عام 1950، وديوان القِلْسَتَا المعروف بِالصَّلَوَاتِ الكَهَنُوتِيَّةِ بِعُتْوَان *The Canonical Prayerbook of the Mandaean*، وظهر بِلَيْدَن عام 1959، وكتاب *The secret Adam* (أَدَمُ الْحَقِيقِي) والذي ظَهَرَ طَبْعَتُهُ الأُوْلَى بِأَوْنِسْفُورْد عام 1960. وديوان *Alf trisar suialia* (أَلْفَا وَائِثَى عَشَرَ سُؤَالَا) والذي ظَهَرَ بِبِرْلَيْن عام 1960، وديوان *Alma risaia rba* (العَالَمُ الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ) والذي رَأَى الثَّوْرَ بِلَيْدَن عام 1963، وَتَوَجَّتْ أَغْمَالُهَا بِنَشْرِ قَامُوسٍ لِلْمَنْدَائِيَّةِ، مُسَاعِدَةً مِنْ يَرْعَبٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ بِتَعَلُّمِهَا بِالتَّعَاوُنِ مَعَ عَالَمِ السَّامِيَّاتِ رُودُلْف مَاشُوح R. MACHUCH عام 1963.

خَلَقَ الْإِفْرَاجُ عَنْ كُتُبِ الْمَنْدَائِينَ الْمُقَدَّسَةِ وَوَضَعَهَا عَلَى طَاوِلَةِ الْبَحْثِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُتَخَصِّصِينَ تَعْقِيدَاتٍ تُمَاطِلُ تِلْكَ التَّعْقِيدَاتِ الَّتِي خَلَقَتْهَا نَشْرُ مَجْمُوعَاتٍ وَتَأْتِقُ قَمْرَان³⁹،

³⁹ بدأت معرفة العلماء بتلك الوثائق في ربيع عام 1947 عندما جاء اثنان من تجار العاديات السورين إلى المطران مار أناسيوس صموئيل بدير القديس مرقس بالقدس الشرقية؛ يَحْمِلَانِ إِخْدَى الْمَخْطُوطَاتِ الْقَدِيمَةِ، وَعِنْدَمَا تَفَحَّصَ الْمَطْرَانُ الْمَخْطُوطَةَ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى بَدَتْ لَهُ قَدِيمَةٌ لِلْغَايَةِ، وَمُتَهَالِكَةٌ وَمَكْتُوبَةٌ بِخَطٍ عِبْرِي قَدِيمٍ مِنَ الصَّعْبِ قِرَاءَتِهِ، وَعِنْدَمَا سَافَهُمَا الْمَطْرَانُ عَنْ كَيْفِيَّةِ عَثُورِهِمَا عَلَى تِلْكَ الْمَخْطُوطَةِ أَجَابَاهُ بِأَنَّهَا اشْتَرِيَاهَا مِنْ أَحَدِ رِعَاءِ الشَّاةِ الْبَذْوِ، وَالَّذِي زَعَمَ لَهَا أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا فِي إِخْدَى الْمَغَارَاتِ أَثْنَاءَ مُطَارَدَتِهِ لِمَاعِزٍ ضَلَّتْ عَنْ قَطِيعِهِ بِمَنْطِقَةِ خَزْبَةِ قَمْرَانِ بِالقُرْبِ مِنَ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ. وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ فَقَدْ أَثَارَ قَدَمُ الْمَخْطُوطَةِ فَضُولَ الْمَطْرَانِ أَنْاسِيُوسَ، فَطَلَبَ مِنْهَا إِمْدَادَهُ بِكُلِّ مَا يَقَعُ تَحْتَ أَيْدِيهِمَا مِنْ تِلْكَ الْمَخْطُوطَاتِ، وَعَلَى مَدَارِ صَيْفِ ذَلِكَ الْعَامِ نَفْسُهُ اسْتِطَاعَ الْمَطْرَانُ شِرَاءَ خَمْسِ مَخْطُوطَاتٍ إِضَافِيَّةٍ. فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ نَفْسَهَا أَثَارَ ظُهُورَ هَذِهِ الْمَخْطُوطَاتِ الْغَرِيبَةِ فِي أَسْوَاقِ الْعَادِيَّاتِ فَضُولَ أَحَدِ أَسَاتِذَةِ الْأَثَارِ الْيَهُودِ بِجَامِعَةِ الْقُدْسِ وَهُوَ الْأَسْتَازُ أ. سَكِينِيك E. SUKENIK. وَالَّذِي نَجَحَ فِي شِرَاءِ ثَلَاثَةِ مَخْطُوطَاتٍ مِنْ تِجَارِ الْعَادِيَّاتِ، وَمِنْهُمْ عَرَفَ أَيْضًا أَنَّ الْمَطْرَانَ أَنْاسِيُوسَ يَحْتَفِظُ بِخَمْسِ مَخْطُوطَاتٍ كَامِلَةٍ مِنْ نَوْعِ تِلْكَ الْمَخْطُوطَاتِ نَفْسِهَا، وَتَوَالَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْمَالُ التَّفْقِيقِ بِالْمَوْقِعِ، وَأُسْفِرَتْ عَنِ الْعَثُورِ عَلَى كَمِيَّاتٍ هَائِلَةٍ مِنَ الْمَخْطُوطَاتِ وَالشَّقْفِ وَالْآثَارِ الْمَادِّيَّةِ لِأَخَوِيَّةِ يَهُودِيَّةٍ مَارَقَةٍ انْشَقَّتْ عَنِ الْمَوْسَسَةِ الدِّينِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ بِأُورُشَلِيمَ، وَعَاشَتْ بِالْمَكَانِ قُرَابَةَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْمِيلَادِي، وَدَعَا أَنْفُسَهُمْ بِأَسْمِ أَصْحَابِ الْمِيثَاقِ أَوْ «الْأَيْسِيَّيْنَ»، وَاسْتَطَاعَتْ إِسْرَائِيلُ بَعْدَ ضُغُوطٍ كَبِيرَةٍ مَارَسَتَهَا عَلَى الْهَيْئَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَعْنِيَّةِ بِالْمُكْتَشَفَاتِ تَجْمِيعَهَا لِحَسَابِ وَزَارَةِ الْأَثَارِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، ثُمَّ حَجَبَتْهَا تَمَامًا

فبدلاً من أن تُحيط اللثام عن ديانة الطائفة وأصول معتقداتهم زادت الغموض غموضاً، خاصة فيما يتعلق بمسألة الأصل والجذور والنشأة. وفي جميع الأحوال مثلت الليدي دزاور بدراساتها وتربحاتها وتحقيقاتها نقطة انتقال حقيقية، إلى درجة أنه من الناحية الوصفية للطقوس والعادات وسائر الممارسات الفلكلورية للمندائيين، فإنني أقرُّ بثقة أن إسهاماً جدياً لم يجز في هذا المجال منذ وفاة هذه الباحثة العظيمة عام 1972⁴⁰.

تابع إريك سيجلبرج E. SEGELBERG - من بعد - خطأ السيِّدة دزاور، ونشر

=

عن جمهور الباحثين، وماطلت في نشرها لأكثر من أربعين عاماً ذُفقت خلالها جهود الباحثين في حث الحكومة الإسرائيلية على الإفراج عن تلك الوثائق وإتاحة الميكروفيلمات الخاصة بها أذراج الرِّياح، ثم تحوّلت جهودهم إلى محاولة إقناع الحكومة الإسرائيلية بتقديم قوائم بيبليوجرافية من هذه المخطوطات تحتوي على توصيف لها، لا سيما بعد أن سرت شائعات قوية في الأوساط العلمية بأن بعض هذه الوثائق قد جرى إغدامها لأنها تحتوي على فتايل لاهوتية تمس الإيمان اليهودي والمسيحي معاً، وظل الأمر كذلك إلى أن حدثت انفراجة غير متوقعة عام 2000، حيث قام أحد العلماء الأمريكيين ويدعى فوشولدر بالانصال بأشرة أحد العلماء الذين عملوا في أعمال التنقيب والترميم لهذه الوثائق، وتمكّن من الحصول منهم على ميكروفيلم به وصف بيبليوجرافي للمخطوطات والوثائق الكاملة التي تم العثور عليها وتزيمها، ونشرها فوشولدر وسط مشاعر متناقضة من الغضب العام من قبل الحكومة الإسرائيلية، وتزجيب كبير من قبل الباحثين والمؤسسات العلمية المعنية، وفي نهاية الأمر رُضِعت إسرائيل لضغوط المؤسسات العلمية، وبدأت في الإفراج بشكل تدريجي عن تلك الوثائق، وقد عمّقت تلك الوثائق معرفة الباحثين بمجتمع اليهود قبيل بدء دعوة المسيح عليه السلام، لكنها أثارت قدراً أكبر من التساؤلات والإشكاليات خاصة ما يتعلق بعلاقة المسيحية الأولى بجماعة الأسينين، ويعتقد بعض الباحثين بوجود صلة قوية ما بين «الأسينيين» بفلسطين وبين المندائيين ببلاد ما بين النهرين، ويتسع هذا الظن عند البعض للقول بوجود علاقة قوية بين المسيحية الأولى وبين المندائية، للتوسع حول هذه الوثائق الفريدة، وحول كيفية العثور عليها، والجدل الدائر حول نشرها، وتكثف الحكومة الإسرائيلية حولها ليضف قرن انظر مقالتي: وثائق قمران، مجلة تراث، ع 112، إصدارات مركز زايد للتاريخ والتراث، دبي 2009، ص ص 60 - 67.

⁴⁰ نالت دزاور تقدير المجتمع البعشي لجهودها المتميزة في مجال تقديم دراسات الصابنات، حيث تمّ الانتباه إلى تميز جهودها مبكراً، فقد منحتها جامعة أوكسفورد درجة الدكتوراه الفخرية عام 1954، رغم أن دزاور لم تتلقَ تعليماً جامعياً في صباها، ثم تلتها جامعة أوسلا السويدية في خطوة ثالثة عام 1959، ومنحتها الحكومة الألمانية أعلى وسام علمي وهو وسام ليدزبارشكي عام 1964، وأنعمت عليها الملكة بقلب ليدي بعد تكريمها في الجمعية الملكية الآسيوية عام 1969، وتوفيت دزاور عام 1972 عن عمر ناهز 93 سنة بإحدى دور رعاية المسنين بلندن.

دراسته *Masbuta, Studeis in the ritual of the Mandaean Baptism* (المصْبُطَا⁴¹)؛ دراسات في طَقْس التَّعْمِيد المَنْدَائِي (ظهرت طبعها الأولى عام 1958 بمدينة أُبْسَالَا Upsalla السُّويديَّة).

وبدأ جيلٌ جديدٌ يظهرُ من البَاحِثِينَ المُهْتَمِّينَ بِالمَسْأَلَةِ المَنْدَائِيَّةِ خِلالِ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ المُتَصَرِّمِ أُمثالَ كُورْت رُودْلَف K. RUDOLPH الذي يُعَدُّ الآنَ عَمِيدَ البَاحِثِينَ المُتَخَصِّصِينَ فِي الشَّأْنِ المَنْدَائِي، وقد نَشَر رُودْلَف عِدَّةَ دَراسَاتٍ عَن مُخْتَلَفِ أَوْجِه الدِّيَانَةِ والعَقَائِدِ والأُصُولِ المَنْدَائِيَّةِ أَبْرَزُها: *Problems of a history of the development the Mandaean religion* (إشْكَالِيَّاتٌ فِي تَارِيخِ تَطَوُّرِ الدِّيَانَةِ المَنْدَائِيَّةِ) عام 1967، *Mandaeanism* (المَنْدَائِيَّةِ) عام 1970، وتُعَدُّ دَراسَتُهُ *Die Gnosis* (الغُنُوصِيَّةِ) والتي صَدَرَتْ فِي لِيَتْسَج عام 1977 مِنْ أَهَمِّ دَراسَاتِهِ، وَفِيهَا نَقَى بِالمُطْلَقِ وَجُودَ عَلاَقَةٍ بَيْنَ الصَّابِنَةِ المَنْدَائِيَّةِ وَالْحَرَنَانِيَّةِ، وَابْتَزَّ الاِنتِقَادَاتِ الَّتِي تُوجِّهُ لِدَراسَاتِ رُودْلَف هُو تَأَثُّرُهُ بِخُوالِ السُّون، وَتَبَيَّنَ بِإِضْرَارٍ وَعِنادٍ لِمُعْظَمِ نَظَرِيَّاتِهِ.

كَمَا يُعَدُّ إِدْوِين مَاتَسُو يَامُوجِي E. M. YAMAUCHI مِنَ العُلَمَاءِ البَارِزِينَ فِي هَذَا الحَقْلِ، وَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْمَسْأَلَةِ المَنْدَائِيَّةِ فِي دَراسَتِهِ: *Gnostic Ethics and Mandaean origin* (الغُنُوصِيَّةُ وَأُصُولُ المَنْدَائِيَّةِ) عام 1970، بِالإِضَافَةِ إِلَى العَدِيدِ مِنَ المَقَالَاتِ الَّتِي نَشَرَهَا بِالدَّورِيَّاتِ المُعْنِيَّةِ حَوْلَ جَوَانِبِ مُخْتَلَفَةٍ مِنَ المَوْضُوعِ.

فِي أُوبْسَالَا مُجَدِّدًا وَبِالتَّخْدِيدِ عام 1972 - وَهُوَ العَامُ نَفْسَهُ الَّذِي شَهِدَ وَفَاةَ اللَّيْدي دَرَاوَر - قَدَّمَ بَاحِثٌ شَابٌ يُدْعَى جَان هَارِب J. HJARPE أَطْرُوحَتَهُ لِلدُّكْتُورَاهِ بِعُنْوَانِ *Analyse critique des traditions Arabes sur les Sabeens Harraniens* (تَحْلِيلُ نَقْدِي

⁴¹ «المصْبُطَا» كَلِمَةٌ مَنْدَائِيَّةٌ ذَاتُ أَصْلٍ أَرَامِي تُعْنِي التَّعْمِيدَ، انظر:-

للأعراف العربيّة حول الصّابئة الحرّانيّة) أعاد فيها إحياء نقّدت يديرسن لطُرُوحات نحو السّون ومدرسته، وحاول جاهدًا جمع الأدلّة على صحّة ما ذهب إليه يديرسن من قبل وتقديمها، وذلك بتوسّع أكبر. وقد وُفق في ذلك إلى حدّ بعيد، وأهمّ ما قدّمته أطروخته هو وجوب دراسة تاريخ صابئة حرّان وعقائدهم بمَعزِلٍ عن دراسة تاريخ المندائيين وعقائدهم، حيث أنّهم لا يُشكّلون فريقًا واحدًا لا من النّاحية الإثنيّة، ولا الدّينيّة العقائديّة، كما قلّل من أهميّة المصادر العربيّة في دراسة عقائد صابئة حرّان، ولم يُعظِ أولويّة للمصادر العربيّة إلا من خلال كتابات النّديم والمسعودي، والبيروني جزئيًّا.

وبرغم كلّ شيء فهي في تقديري دراسة مُمتازة، تشهد بذاتها على الجهد الذي بذله صاحبها، وهي بلا شكّ إسهام مُتميّز في تاريخ الدّراسات الصّابئيّة، كما قرّظها الفرنسي ميشيل تارديو MICHEL TARDIEU في دراسته النّقديّة التي أعدها للرّد على هارب في بعض ما ذهب إليه، والتي جاءت بعنوان *Sabiens Coraniques et Sabiens de Harran* (صابئة القرآن وصابئة حرّان)⁴².

تابع هارب أبحاثه عن صابئة حرّان، ونشر مقالته *The holy year of the Harranians. Some remarks on the festival calendar of the Harranians Sabians* (العام المقدّس للحرّانيّة، بعض ملاحظات على تقويم الأعياد عند صابئة حرّان) وذلك بدوريّة: *Orientalia Succana* مجلّد 23 / 24 لعام 1976، وفيها تخلّى جزئيًّا عن حذره بخصوص الاعتماد على المصادر العربيّة والسّريانيّة في دراسة ديانة وعقائد صابئة حرّان، وتوسّع في الاعتماد على المصادر العربيّة كمؤلّفات ابن الجوزي وأبو الفدا، والمقدسي، وشيخ الرّبوة الدّمشقي، والمجريطي.

أمّا في عالمنا العربي - بكلّ أسف - فإنّ عدد الدّراسات المتخصّصة والحديثة عن الصّابئة لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، فمنذ أن نشر المُستشرق صموئيل زويمر مقاله

⁴² تُرجمت إلى العربيّة بواسطة الباحث السوري سلّمان خرفوش، ونُشرت بدمشق عام 1999.

المقتضب عن الصَّابِنة بمَجَلَّة المَقْتَضَف عام 1899، ونَشَر الأب أُنِسْتاس مَارِي الكَرْمَلِي مَقَالَهُ
عن الصَّابِنة المُنْدائِيَّة بِمَجَلَّة المَشْرِق البِيرونيَّة على حَلَقَاتٍ بَدَأَ من عام 1900 وحتى 1902،
ونَشَر عبد الرزَّاق الحَسَنِي كِتَابَهُ «الصَّابِنة قَدِيمًا وَحَدِيثًا» عام 1925، وَكَتَب المَفْكَر الكَبِير
الرَّاحِل الأستاذ عَبَّاس مَحْمُود العَقَّاد بَضْع صَفَحَاتٍ عَنِ المُنْدَائِيَّة فِي كِتَابِهِ «إِبْرَاهِيم أَبُو
الأنبياء» والذي صَدَرَت طَبْعَتُهُ الأَوَّلَى بِالقَاهِرَةِ عام 1956، جَاءَت دَرَأَسَات البَاحِثِينَ العَرَب
عِيَالًا عَلَى هَذِهِ الكِتَابَاتِ، وَمَا تَزَالُ تُرَدَّدُ مَا جَاءَ بِهَا، وَكَثِيرٌ مِمَّا وَرَدَ بِهَا لَا يَخْلُو من كَوْنِهِ خُرَافَةً
اتَّخَذَت شَكْلَ الحَقِيقَةِ العِلْمِيَّة بِكَثْرَةِ التَّوَاتُرِ.

وَبَدَلًا من أَن تَبْدَأَ الدَّرَأَسَات العَرَبِيَّة من حَيْثُ انْتَهَى المُسْتَشْرَفُون، آتَتْ جَمِيعُهَا دُونَهَا
فِي المُسْتَوَى، وَغَلَبَ عَلَيْهَا انْعِدَامُ الإِلْمَامِ بِجَوَانِبِ المَوْضُوعِ وَتَعَقُّدَاتِهِ، كَمَا غَلَبَ عَلَيْهَا الطَّابِعُ
الْأَيْدِيُولُوجِي، وَالتَّخَرُّجَاتُ المَذْهَبِيَّة فِي مُحَاولَاتٍ مُطَّرَدَةٍ لِلتَّوْفِيقِ بَيْنَ أَخْبَارِ الرِّوَاةِ وَالمُفَسِّرِينَ
وَنظَرِيَّاتِ العِلْمِ الحَدِيثِ، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ عُمَرُ حَمَادَةَ دَارَسَةِ بَعْنُوان «تَارِيخُ الصَّابِنة المُنْدَائِيَّة»
نُشِرَتْ بِدَمَشَقٍ عام 1992، وَنَشَرَ عَلِيٌّ مُحَمَّدٌ عبد الوهَّابُ دَرَأَسَةً بَعْنُوان: «الصَّابِنة» ظَهَرَتْ
طَبْعَتُهَا الأَوَّلَى بِالقَاهِرَةِ عام 1996، وَنَشَرَ عبد الله سَمَكُ دَرَأَسَتُهُ المَعْنُونَةَ بِـ«الصَّابُون»
بِالقَاهِرَةِ عام 1995. وَنَشَرَ أَحْمَدُ حِجَازِي السَّقَّا دَرَأَسَتَهُ: «الصَّابُون [الصَّابُون؟]، الأُمَّة
المُقْتَصِدَةُ فِي التَّوَرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآن» بِالقَاهِرَةِ عام 2003.

لَمْ يُلْقَ بِحَجَرٍ فِي هَذَا المَاءِ الرَّاكِدِ سِوَى البَاحِثِ المُنْدَائِي عَزِيزِ سَبَاهِي، وَالَّذِي فَاجَأَ
الدَّوَاتِرَ المَعْنِيَّةَ بِدَرَأَسَةِ عُنْوَانِهَا «أَصُولُ الصَّابِنة وَمُعْتَقِدَاتُهَا الدِّينِيَّة»، صَدَرَت طَبْعَتُهَا الأَوَّلَى
بِدَمَشَقٍ عام 1996، وَبِالرَّغْمِ من صِغَرِ حَجْمِ دَرَأَسَتِهِ (259 صَفْحَةً مِنَ القَطْعِ الصَّغِيرِ) إِلَّا
أَنَّهَا جَاءَتْ بِمَثَابَةِ مَدْخَلٍ لَا غِنَى عَنْهُ لِلبَاحِثِ المُبْتَدِئِ الرَّاغِبِ بِدَرَأَسَةِ جَانِبٍ من جَوَانِبِ هَذَا
المَوْضُوعِ الشَّائِكِ، فَقَدْ اسْتَعْلَ سَبَاهِي مَعْرِفَتُهُ العَمِيقَةَ بِالدَّرَأَسَاتِ الَّتِي تَمَّتْ فِي هَذَا الصَّدَدِ،
وَإِبْرَزَ المُسْتَجِدَّاتِ وَالْإشْكَالَاتِ وَالتَّعَقُّدَاتِ المُحِيطَةَ بِالمَوْضُوعِ من مُخْتَلَفِ وَجْهَاتِ النِّظَرِ،
وَدُونُ أَنْ يَقْطَعَ فِي القَضَايَا الخِلَافِيَّةِ المُعْقَدَةِ بِرَأْيٍ، وَمُنْذُ أَنْ نَشَرَ سَبَاهِي دَرَأَسَتَهُ، لَمْ يَسْتَجِدْ شَيْءٌ
ذُو بَالٍ - عَلَى حَدِّ عِلْمِي - حَتَّى يَوْمَنَا هَذَا فِي حَقْلِ الدَّرَأَسَاتِ الصَّابِئِيَّةِ.

الفصل

الأول

1

الصابئة :

إشكالية الاشتقاق اللغوي

«الأيّد - وأولاً - منه السَّعيّ بجمدٍ في
محاولةٍ مُحمّديٍّ منه فهم صابئة القرآن. فمنه
بين القرن الدينيّة الأربع التي عرّفها
القرآن وأورد أسماءها تنقلُ الصابئة
الفرقة الوحيدة التي لا نعلمُ عنها
شيئاً !!» .

ميثيل تارديو

يَرْتَبُطُ ذِكْرُ الصَّابِئَةِ بِصُورَةِ ذَهْنِيَّةٍ تِلْقَائِيَّةٍ، تُصَوِّرُهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ - أَوْ رَبَّاءٌ أَقْوَامٌ - من عبدة الكواكب والنجوم، وقد انتشروا في أنحاء مختلفة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وأنهم هم المعنيون بالذكر في القرآن الكريم. وهي صورة غالباً ما ترسّبت في الأذهان بتأثير صابئة حرّان¹، مع العلم بأنه ليس في القرآن الكريم، ولا الأحاديث النبوية ما يؤيد هذا التصور، ناهيك أن الروايات الإسلامية المبكرة لم تُشير مطلقاً إلى أن عبادة الكواكب والنجوم هي أحد مظاهر ديانة هؤلاء الصابئة. على هذا كان رفض أغلب الفقهاء المسلمين في العصور الوسطى كون صابئة حرّان - من عبدة الكواكب - المعنيين بالذكر في القرآن الكريم، بل كان منهم من رفض اعتبارهم من أهل الذمة من الأصل.

على صعيد آخر إذا ما تتبعنا الدراسات العربية الحديثة، وأغلب دراسات المستشرقين سنجد أنها تشير إلى أن الصابئة الوارد ذكرهم في القرآن الكريم هم الصابئة المندائيون²، أخذاً بالاعتبار أن الصابئة المندائيين لا يعبدون الكواكب والنجوم³، وسنخلص من هذا إلى أن ثمة تناقضات حادّة في تعريف صابئة القرآن، من هم؟، وما هي ديانتهم؟، وأين مساكنهم؟، ما هي كتبهم التي أنزلت عليهم؟، من رسلهم الذين أرسلوا إليهم؟، وما هي طبيعة العلاقة التي تربط الصابئة بالأديان السماوية الثلاث؟.

¹ جَوَادُ عَلِي: المُفَصَّلُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، الطبعة الثانية، بغداد 1993، 6: 701 - 702؛ وانظر نموذجاً لهذه الصورة الذهنية إزاء المعنى اللغوي المجرد للجزء «صبا»، ففي المعجم الوجيز الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة: «صبا من شيء إلى شيء صُبُوًا: انتقل، ويقال صبا الرجل: ترك دينه ودان بدين آخر، فهو صابئ. والصابئون من يتركون دينهم ويدنون بدين آخر. وقوم يعبدون الكواكب». المعجم الوجيز، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة 1995، مادة صبا، 358.

² يقول الأستاذ عباس العقاد: «وكان الباحثون يعجبون بتنويه القرآن الكريم بهذه الملة [يعني المندائية] مع قلة عددها وخفاء أمرها، لكن الدراسات الحديثة بينت للباحثين العصريين شأن هذه الملة في دراسات الأديان كافة». إبراهيم أبو الأنبياء، القاهرة 1958، 87. وانظر أيضاً ذلك التصور في: محمد عمر حمادة: تاريخ الصابئة المندائيين، بيروت 1992، 39 - 46؛ علي محمد عبد الوهاب: الصابئة، القاهرة 1996، 45 - 58؛ عبد الله سمك: الصابئون، القاهرة 1995، 51 - 63؛ أحمد حجازي السقا: الصابئين [الصابئون؟!]، الأمة المُقتصدّة في التّوراة والإنجيل والقرآن، القاهرة 2003، 48 وما بعدها.

وَرَدَ ذِكْرُ الصَّابَةِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ فَحَسَبَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الْمَوْضِعَ الْأَوَّلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62]، والثَّانِي فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾³ [المائدة: 69]، أما الثَّالِثُ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17].

بالإضافة إلى ذَلِكَ فقد كانت قُرَيْشٌ تُطْلِقُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَقَبَ «الصَّابِي»، وكذلك عَلَى صَحْبِهِ الْأَوَائِلِ ﷺ لَقَبَ «الصَّابِئِينَ» و«الصُّبَاةَ»، وقد أثارَت هذه الْمَسْأَلَةُ - ولا تَزَالُ - تَسْأُولَاتٍ بَيْنَ الْبَاحِثِينَ حَوْلَ إِذَا مَا كَانَتْ هُنَاكَ ثَمَّةٌ عِلَاقَةٌ بَيْنَ الصَّابِئِينَ الْوَارِدِ ذِكْرُهُمْ فِي الْآيَاتِ، وَبَيْنَ وَصْفِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ بِالصَّابَةِ؟، وَمِنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الصَّابِئُونَ الْمَذْكُورُونَ فِي الْآيَاتِ؟، وَهَلْ يُنْطَبِقُ هَذَا الْمُسَمَّى الْقُرْآنِي عَلَى الْفِرْقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عُرِفَتَا بِهَذَا الْأَسْمِ نَفْسَهُ؟ - أَعْنِي الْمُنْدَثِئِينَ، وَصَابَةِ حَرَّانَ - فَإِذَا لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ أَفَيُنْطَبِقُ هَذَا الْمُسَمَّى عَلَى فِرْقَةٍ مِنْهُمَا دُونَ الْأُخْرَى؟، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمِنْ مِنْهُمَا هِيَ تِلْكَ الْفِرْقَةُ الْمَعْنِيَّةُ؟.

فِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ دَرَأَسَاتِ الْمُفَسِّرِينَ، وَعُلَمَاءِ الْحَدِيثِ، وَعُلَمَاءِ اللُّغَةِ تَمِيلُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ لَا عِلَاقَةَ بَيْنَ الصَّابَةِ الْوَارِدِ ذِكْرَهُمْ فِي الْآيَاتِ وَبَيْنَ وَصْفِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لِلْمُسْلِمِينَ بِالصَّابَةِ⁴.

³ وهذا الموضوع من المواضع المشككة على المفسرين وعلماء اللغة، فقد اختلفوا في بيان انفراد الصَّابِئِينَ « في الآية بالرفع وهي في موضع نصب عطفًا على المنصوب كاسم لأن الواردة في أول الآية، وستجد مناقشات واسعة جمعها المفسرون من أقوال اللغويين لتفسير انفراد الصَّابِئِينَ بالرفع في الآية لا بالنصب عطفًا على المنصوب كما توجب قواعد النحو في العربية، انظر على سبيل المثال: - الطبري: جامع البيان عن تفسير آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر؛ أحمد محمد شاكر، القاهرة 1374هـ 9: 395 - 399.

⁴ على سبيل المثال يقول الإمام البخاري: «صَبَّأَ خَرَجَ مِنْ دِينَ إِلَى غَيْرِهِ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ الصَّابِئِينَ فِرْقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَفْرُقُونَ الزُّبُرَ»، الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، باعتناء محمد زهير بن ناصر الناصر، المدينة المنورة 1422هـ 1: 77.

فالصَّابِئَةُ في الآيات اسم عَلَمٌ على دِيَانَةِ ما من الدِّيَانَاتِ، بدليل ورودها معطوفةً على الأذيان الثلاثة الواردة بنص الآيات، ووجود أداة العطف كافٍ من الناحية الدلالية لإعطاء معنى الاستقلالية والمغايرة، وهذا التصور يوجبه المنطق بالفعل؛ فإذا كان المسلمون صابئةً - كما دعاهم المشركون - فليس ثمة حاجة إلى تكرار الإشارة إليهم، مرةً بوضفهم الذين آمنوا، ومرةً أخرى بوضفهم «الصابئين» كما في الآيات، ويستنتج أيضًا من سياق الآيات الكريمة أن هذه الفرقة تُعدُّ من الفرق الموحدة المرضي عنها من الله، بدليل قوله تعالى في آية البقرة ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وفي آية المائدة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أمّا في آية الحج فقد ترتب على دخول المشركين والمجوس في نص الآية ارتقاع الوعد بالثواب وحسن الجزاء إلى الفضل بينهم جميعًا يوم القيامة.

أمّا عن وصف مُشركي قُرَيْشٍ للنبي ﷺ وصحبه الأوائل بالصَّابِئَةِ في عصر صدر الدعوة إلى الإسلام، فقد اضطلع اللغويون على اشتقاقه من الجذر الثلاثي المَهْمُوز الآخر «صَبَأَ»، وهو يُفيد معاني المستحْدِث دِينًا سِوَى دينه، أو المُرتد عن دينه إلى دين لا يعرفه قومه⁵، والجمع قياسيٌّ عند أهل اللغة على صابئين وصابئات⁶، أمّا صيغة جمع التكسير «صابئة» فهي صياغة متأخرةٌ بعض الشيء عن عصر صدر الإسلام.

ومن الواضح أن نعت المرء «بالصابئ» كان نعتًا على الذم والاستهجان، وربّما كان يُعطي عند العرب المعاصرين الوقع نفسه الذي يُحْدِثه نعت «الملحد» اليوم⁷. أمّا بقية المعاني

⁵ ابن منظور: لسان العرب، بيروت 1981، 4: 2385.

⁶ الزحّاشي: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت 1998، 522، أبو حامد المقدسي:

رسالة في الرد على الرافضة، تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن، بومباي 1983، 138.

⁷ يقول ابن حجر العسقلاني: «إن قريشًا كانوا يقولون لكل من أسلم صبا حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم». انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت 1379 هـ: 8: 57. قارن أيضًا جواد علي الذي يفهم من السياقات التي وردت في المصادر بشأن إطلاق قريش هذه الصفة على النبي ﷺ وصحبه أن الكلمة كانت بمثابة سبة من المشركين للمسلمين، انظر: المفصل، 6: 704.

الفرعية الأخرى التي يُعطيها الجذر «صَبَأَ» فهو تحضُّ الظهور، أو البزوغ، أو الخروج الظاهر البين⁸، فيقال «صَبَأَ النَّجْمُ» بمعنى طَلَعَ وَبَزَغَ⁹، و«صَبَأَتِ السَّنُّ» بمعنى شَقَّتِ اللَّتَّةَ وَخَرَجَتْ وَبَأَتْ، وهناك معنى آخر أقلَّ استِخدامًا في تراكيب العربية للفعل «صَبَأَ» وهو بمعنى «هَجَمَ» وهو لا يُعطي المعنى المجرد للجذر هَجَمَ، بل يُراد به الانقِصَاضُ المُفاجِئُ المُبَاغِتِ، فيقال «صَبَأَ بالقَوْمِ» أي بَاغَتْهُمْ على حِينِ غَرَّةٍ مِنْهُمْ¹⁰. تلك فقط هي المعاني التي يُعطيها الجذر «صَبَأَ» في العربية والتي توقَّف اللُّغَوِيُّونَ وَعُلَمَاءُ السَّامِيَّاتِ عندها. وعلى ذلك فقد استقرَّ اللُّغَوِيُّونَ والمُفَسِّرُونَ على أَنَّهُ ليس ثَمَّةُ علاقة مُباشرة بين الصَّابِنة الوارِد ذكرهم في سياق الآيات، وبين وصف قُرَيْشٍ للنبي ﷺ وأصحابه بالصَّابِنة¹¹. وهذا من شأنه أن يُعوِّد بِنَا إلى التَّساوُلِ من جَدِيدٍ؛ من هُم هؤلاء الصَّابِنة المَعْنِيُّونَ في الآيات؟.

واقع الأمر أَنَّ قِضيةَ الاشتِقاقِ اللُّغويَ لِمُصْطَلَحِ الصَّابِنة تُعدُّ من أعقَدِ القِضَايا التي تُواجه الباحثين، فلم يَخْتَلَفِ البَاحِثُونَ في تاريخ الصَّابِنة وأُصول عقائدهم في قِضية ما قَدَرِ اختلافهم حَولَ اشتِقاقِ هذا اللفظ، واللُّغة الأولى التي اشتَقَّ منها، ومدلول اللفظ ومعناه. وإلى اليوم لم يَتَّفَقِ البَاحِثُونَ حَولَ أيٍّ من تلك القِضَايا الخِلافِيَّةِ، وجزءٌ كبيرٌ من الخلط واللُّغَطِ والتَّشْوِيشِ في قِضَايا خِلافِيَّةٍ كُبرى نَشأتَ بينهم حَولَ الصَّابِنة يرجعُ بالدَّرَجَةِ الأولى إلى الاتِّجَاهاتِ اللُّغوية التي ذهبوا إليها في مُحاولاتهم لتفسير ذلك الاسم العامض.

⁸ ولعلَّه من هنا أتى معنى الخروج من دين إلى دين، انظر: السُّكُوكِيُّ الحَنْبَلِيُّ: البُرْهَانُ في معرفة عقائد أهل الأديان، تحقيق خليل الحاج، القاهرة د.ت، 117.

⁹ وربَّما لعب هذا المَعْنَى من معاني «صَبَأَ» دورًا كبيرًا في تكريس علاقة الصابنة بعبادة النجوم والكواكب.
¹⁰ ابن منظور: لسان العرب، 4: 2385.

¹¹ حاول القُرْطُبِيُّ إيجاد علاقة ما بين الصَّابِين وبين وصف المُشْرِكِينَ للمُسلِمِينَ بالصَّابِنة فقال إنَّها تسمية تُلَزَّمُ كل من خرج عن دينه، وقيل للصَّابِنة صابنة لأنَّهم خرجوا عن دين أهل الكتاب، القُرْطُبِيُّ: الجامع لأحكام القرآن، المعروف بتفسير القُرْطُبِيِّ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التُّرْكِيُّ، بيروت 2006، 2: 161.

وما يُلفتُ النَّظَرَ حقاً هو خُلو الحديث النبوي من حديث مَوْثُوقٍ به عن هؤلاء الصَّابئة¹². وبذلك وَقَعَ عِبءُ البَحْثِ عن تلكِ الفِرقةِ التي وَرَدَ ذِكْرُها في القرآن الكريم ثلاث مَرَّاتٍ على عَاتِقِ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ، الذين حَاوَلُوا تَقْصِي مَاهِيَةِ هؤلاء الصَّابئة وما دِيَانَتُهُمْ؟، وأين مَسَاكِنُهُمْ؟. إنَّ لدينا عدَّةَ رواياتٍ مُبْكَرَةٍ لهؤلاء التَّابِعِينَ: الرَّوَايَةُ الأولى تُعَوِّدُ لِأبي العَالِيَةِ زِيَادِ بنِ فيروزِ البَصْرِيِّ مَوْلَى قُرَيْشٍ (ت 90هـ/ 708م):

«حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ رَوَّادٍ، ثنا آدَمُ، ثنا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: «وَالصَّابِيَيْنَ» فِرْقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ الزَّبُورَ، وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، وَالسُّدِّيِّ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ مِثْلَ ذَلِكَ»¹³.

¹² تخَلُّو كُتُبُ الْحَدِيثِ السَّنَةَ بِالإِضَافَةِ إِلَى مُوطَأِ مَالِكٍ، وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ تَمَامًا مِنْ أَيِّ إِشَارَةٍ إِلَى الصَّابَةِ، بِاسْتِثْنَاءِ تِلْكَ الَّتِي تَعَلَّقَ بِالإِشَارَةِ إِلَى وَصْفِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ بِالصَّابَةِ، وَهِيَ عَلَى سَبِيلِ الْخُصْرِ: حَدِيثُ الْمَرْأَةِ الَّتِي اسْتَشْفَاهَا الصَّحَابَةُ بِالْبَادِيَةِ وَسَلَّوْهَا الْمَضِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ «إِذَا قَالَتْ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيُّ؟!» صحيح البخاري، باب التيمم، 1: 76-77؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت 2001، 33: 130؛ وحديث إسلام عمر بن الخطاب ﷺ «قالوا أريد هذا ابن الخطباء الذي صاباً البخاري: باب مناقب الأنصار، 5: 48؛ وحديث إسلام أبي ذرٍّ ﷺ «فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيِّ فَقَامُوا؛ فَصُرْتُ لَأَمُوتَ؛ فَأَذْرَكَنِي الْعَبَّاسُ» البخاري: نفسه؛ باب المناقب، 4: 182-183؛ مُسْلِمٌ: صحيح مسلم، باعتناء نظير محمد الفارياي، الرياض 1426هـ باب فضائل الصحابة، 2: 155؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد، 35: 414. وحديث أبي جهل لسعد بن معاذ «فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ يَا أَبَا صَفْوَانَ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟، فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آيَنًا وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصَّبَاةَ وَرَزَعْتُمُ أَنْكُمُ تَنْصُرُوهُمْ وَتُعِينُوهُمْ؟» البخاري: نفسه، باب المغازي، 5: 71؛ وذكر ما جرى في بيعة العقبة «فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَعْدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجَبَابِجِ [وَالْجَبَابِجُ الْمَنَازِلُ] هَلْ لَكُمْ فِي مُدَّتِّمُ وَالصَّبَاةُ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى خَرْبِكُمْ» مسند أحمد بن حنبل، 25: 94؛ وحديث ربيعة بن عباد الدبلي: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ....، إِلَّا أَنَّ وَزَاءَةً رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ وَجْهِهَذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ إِنَّهُ صَابِيٌّ كَاذِبٌ....» مسند أحمد، 25: 405.

¹³ ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، مُسْتَدْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، المعروف بتفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، الرياض 1997، 2: 127.

الرَّوَايَةُ الثَّانِيَّةُ: تُعَوَّدُ إِلَى الْفَقِيهِ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (ت 95هـ / 713م).

وَهُوَ أَحَدُ كِبَارِ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ:

«حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجُ، ثنا أَبُو نُعَيْمٍ، ثنا شَرِيكٌ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: «وَالصَّابِئِينَ» مَنْزِلَةٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»¹⁴.

الرَّوَايَةُ الثَّلَاثَةُ: وَتُعَوَّدُ إِلَى التَّابِعِيِّ الرَّاويَةِ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ (توفي نحو 100هـ / 718م،

أو بعدها بقليل):

«أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّهْرَانِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، ثنا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: مَا الصَّابِئُونَ؟ قَالَ: الَّذِي يَعْرِفُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ شَرِيعَةٌ يَعْمَلُ بِهَا، وَلَمْ يُجِدْ كُفْرًا»¹⁵.

الرَّوَايَةُ الرَّابِعَةُ: وَتُعَوَّدُ إِلَى التَّابِعِيِّ مُجَاهِدِ بْنِ جُبَيْرِ الْمَخْزُومِيِّ (ت 101هـ / 719م):

«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَحْمَسِيُّ، ثنا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «وَالصَّابِئِينَ» قَوْمٌ بَيْنَ الْمُجُوسِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَيْسَ لَهُمْ دِينٌ، وَرُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ¹⁶ نَحْوُ ذَلِكَ»¹⁷.

¹⁴ المصدر نفسه، نفس الصفحة.

¹⁵ ابن أبي حاتم: المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الرياض 1997، 1: 286.

¹⁶ عطاء المشار إليه في الرواية هو عطاء بن أبي رباح الفهري (ت 114هـ / 732م).

¹⁷ ابن أبي حاتم: المصدر نفسه، والجزء والصفحة؛ قارن أيضاً الرواية نفسها بإسناد آخر عن مجاهد، الطبري: تفسيره، 2: 146؛ وأوردها القرطبي مع حذف الإسناد على سبيل الاختصار، القرطبي: تفسيره، 2: 161؛ وعند ابن كثير عن طريق سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عن لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ عن مُجَاهِدٍ، تفسير ابن كثير، 1: 286.

الرَّوَايَةُ الْخَامِسَةُ: لِلإمام الجليل الرَّاهِد أبي سَعِيد الحَسَن بن أبي الحَسَن البَصْرِيّ المعروف بالحَسَن البَصْرِي (ت 110هـ / 728م):

«حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ، فَذَكَرَ الصَّائِبِينَ، فَقَالَ هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ»¹⁸.

الرَّوَايَةُ السَّادِسَةُ: تُعَوَّد إِلَى مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفِ الْحَارِثِيِّ (كَانَ حَيًّا سَنَةَ 141هـ / 758م):

«ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَرَزِيُّ، ثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الحَكَمِ، فَحَدَّثَهُ رَجُلٌ مِنَ البَصْرَةِ، عَنِ الحَسَنِ [يعني الحَسَنَ البَصْرِيَّ] أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي الصَّائِبِينَ: إِنَّهُمْ كَالْمُجُوسِ، قَالَ الحَكَمُ: أَلَمْ أَخْبِرْكُمْ بِذَلِكَ؟!»¹⁹.

الرَّوَايَةُ السَّابِعَةُ: وَهِيَ رَوَايَةُ أَبِي جَعْفَرِ الرَّازِي (ت 160هـ / 766م):

«حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ رَوَّادٍ، ثَنَا آدَمُ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرِ الرَّازِي: بَلَغَنِي أَنَّ الصَّائِبِينَ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَيَقْرَأُونَ الزُّبُورَ، وَيُصَلُّونَ إِلَى الْقِبْلَةِ»²⁰.

الرَّوَايَةُ الثَّامِنَةُ: هِيَ رَوَايَةُ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى (ت 174هـ / 790م):

¹⁸ ابن أبي حاتم: نفسه، 2: 128؛ القُرطبي: تفسيره، نفس الجزء والصفحة؛ ابن كثير: تفسيره، نفس الجزء والصفحة.

¹⁹ ابن أبي حاتم: تفسيره، نفس الجزء والصفحة؛ ابن كثير: تفسيره، نفس الجزء والصفحة.

²⁰ ابن أبي حاتم: تفسيره، نفس الجزء والصفحة؛ ابن كثير: تفسيره، نفس الجزء والصفحة.

«الصَّابُّونَ، أَهْلُ دِينٍ مِنَ الْأَذْيَانِ كَانُوا بِجَزِيرَةِ الْمَوْصِلِ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ هُمْ عَمَلٌ وَلَا كِتَابٌ وَلَا نَبِيٌّ، إِلَّا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِرَسُولٍ، فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ: «هَؤُلَاءِ الصَّابُّونَ»، يُشَبِّهُوهُمْ بِهِمْ»²¹.

الرواية التاسعة لشريك بن جريج في حوارهِ مع عطاء بن أبي رباح الفهري (ت 114هـ/732م):

«حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ، حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ قَالَ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ مُجَاهِدٌ: الصَّابُّونَ بَيْنَ الْمُجُوسِ وَالْيَهُودِ، لَا دِينَ لَهُمْ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قُلْتُ لِعَطَاءِ الصَّابِّينَ: زَعَمُوا أَنَّهَا قَبِيلَةٌ مِنْ نَحْوِ السَّوَادِ²²، لَيْسُوا بِمُجُوسٍ وَلَا يَهُودٍ وَلَا نَصَارَى. قَالَ: قَدْ سَمِعْنَا ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ: قَدْ صَبَّأَ»²³.

من الواضح أنَّ أيًّا من الروايات السابقة - على تعدُّدها - لا تُشيرُ إلى قَوْمٍ مُحدَّدين، ولا مَسَاكنهم ولا دِيَارهم، ولا تُلقِي الضَّوءَ على طَبِيعَةِ دِيَانَتِهِمْ²⁴، باستِثْناءِ روايةِ يُونُسَ بن

²¹ ابن أبي خاتم: تفسيره، نفس الجزء والصفحة، الطبري: تفسيره، 2: 147؛ ابن كثير: تفسيره، نفس الجزء والصفحة.

²² المراد بالسَّوَادِ هُنَا هو سَوَادُ الْعِرَاقِ.

²³ الطبري: تفسيره، 2: 146؛ ولاحظ كيف تتجَلَّى هُنَا حَيْرَةُ الْعُلَمَاءِ حَوْلَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الصَّابَّةِ كَدِينٍ، وَوَصْفِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ بِالصَّابَّةِ.

²⁴ لَعَلَّ التَّشْوِيشَ النَّاتِجَ عَنْ عَدَمِ اتِّفَاقِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ جَمِيعًا هِيَ مَا جَعَلَتِ الْإِمَامَ الطَّبْرِيَّ يُعَبِّرُ عَنْ حَيْرَتِهِ إِزَاءَ هَذَا التَّضَارُّبِ بِقَوْلِهِ: «وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيمَنْ يَلْزَمُهُ هَذَا الْأَسْمُ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَلْزَمُ ذَلِكَ كُلُّ مَنْ خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى غَيْرِ دِينٍ. وَقَالُوا: الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ بِهَذَا الْأَسْمِ قَوْمٌ لَا دِينَ لَهُمْ» الطبري: تفسيره، 2: 146؛ قَارَنَ أَيْضًا ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ حَيْثُ يَقُولُ: - «وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِمْ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَأَشْكَلُ أَمْرِهِمْ عَلَى الْأُمَّةِ، لِعَدَمِ الْإِخَاطَةِ بِمَذْهَبِهِمْ وَدِينِهِمْ» أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ، تَحْقِيقُ يُونُسَ أَحْمَدُ الْبَكْرِيُّ، شَاكِرُ تَوْفِيقِ الْعُرْوِيِّ، الدِّعَامُ 1997، 2: 231.

عبد الأعلى، وحوار عطاء مع ابن جُرَيج، فرواية يُؤنس تُشير إلى قوم سَكَنُوا جزيرة المَوْصِل،
وَهُمْ مُوَحِّدُونَ بِلا كِتَابٍ أَوْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، وليس هُمْ عَمَلٌ إِلَّا قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، في حين يُشير
ابن جُرَيج لعطاء أَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ الصَّابِئِينَ قَبِيلَةٌ تَسْكُنُ سَوَادَ الْعِرَاقِ، وَأَنَّ دِينَهُمْ يُخَالِفُ الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ²⁵، لكن المُلَفَّتَ لِلنَّظَرِ حَقًّا أَنَّ أَيًّا مِنْ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ لَا تُشِيرُ مِنْ قَرِيبٍ
وَلَا مِنْ بَعِيدٍ إِلَى عِبَادَةِ النُّجُومِ كَمَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ دِيَانَةِ الصَّابِئَةِ، وَسَرَى فِيهَا بَعْدَ انْعِكَاسِ ذَلِكَ
عَلَى قَضِيَةِ ذِمَّةِ صَابِئَةِ حَرَّانَ.

لاحظَ المُسْتَشْرَفُونَ تَبَايُنَ تَصَوُّرَاتِ الْفُقَهَاءِ وَالتَّابِعِينَ الْأَوَائِلَ فِي تَحْدِيدِ تِلْكَ الْفِرْقَةِ،
وَذَهَابِهِمْ فِي ذَلِكَ مَذَاهِبَ شَتَّى، وَكَانَ ذَلِكَ أَحَدَ الْعَوَامِلِ الرَّئِيسَةِ الَّتِي جَعَلَتْ أَغْلَبَهُمْ
يُنَاقِشُونَ جَدْوَى الْاعْتِمَادِ عَلَى الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ فِي دِرَاسَةِ تَارِيخِ الصَّابِئَةِ وَعَقَائِدِهِمْ مِنْ
الْأَسَاسِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِانْعِدَامِ قِيَمَتِهَا التَّارِيخِيَّةِ إِذْ مَا اعْتَبَرُوهُ تَضَارُفًا فِيهَا
بَيْنَهَا²⁶.

إِذَنْ كَيْفَ بَحَثَ الْمُسْتَشْرَفُونَ قَضِيَّةَ صَابِئَةِ الْقُرْآنِ فِي غِيَابِ الثَّقَةِ بِالْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ لَا
سِيَّامَا الْمُبَكَّرَةَ مِنْهَا؟. الْوَاقِعُ أَنَّ أَغْلَبَ الْمُسْتَشْرَفِينَ تَبَنُّوا الْفَضْلَ بَيْنَ وَصْفِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ
الْأَوَائِلَ، وَبَيْنَ الْفِرْقَةِ الدِّينِيَّةِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا فِي الْآيَاتِ، وَذَهَبُوا فِي مُحَاوَلَاتِهِمْ لِتَفْسِيرِ الْاسْمِ
مَذَاهِبَ شَتَّى، لَكِنَّهُمْ جَمِيعًا يَنْصَوُّونَ تَحْتَ لَوَاءِ ثَلَاثِ مَدَارِسٍ رَئِيسِيَّةٍ، الْأُولَى اعْتَقَدَتْ بِأَنَّ
صَابِئَةَ حَرَّانَ هُمْ أَصْلُ الصَّابِئَةِ، وَهُمْ الصَّابِئَةُ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الثَّانِيَّةُ

²⁵ ومرجليوث بُنِيَ عَلَى هَاتَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ يَعْتَبَرُ أَنَّ إِشَارَةَ الْمُحَدِّثِينَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى سَوَادِ الْعِرَاقِ وَجَزِيرَةِ الْمَوْصِلِ
عَلَى أَنَّهَا مَسَاكُنُ الصَّابِئَةِ تَضُمُّ فِي طَيَّانِهَا الْإِشَارَةَ إِلَى حَرَّانَ وَكَذَلِكَ الْبَطَّانِحِ وَالْأَهْوَارِ جَنُوبِي الْعِرَاقِ، عَلَى
اعْتِبَارِ أَنَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ يَسْكُنَانِ فِي النَّطَاقِ الْجُغْرَافِيِّ نَفْسِهِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَائِلَ عَلَى أَنَّهُ
مَوْطِنُ الصَّابِئَةِ، وَعَلَى ذَلِكَ فَلَيْسَ هُنَاكَ مُشْكَلَةٌ فِي نَظَرِ مَرْجَلِيُوثَ فِي كَوْنِ صَابِئَةِ حَرَّانَ، وَالصَّابِئَةِ الْمَدَّائِينَ
هَمَّ الْمَعْنِيُّونَ بِالذِّكْرِ مَعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. انظر: — MOHAMMAD, what did they teach?, London 1939. P

اتَّخَذَتِ الْأَنْجَاءُ الْمُعَاكِسَ، وَقَالَتْ بَأْنَ الصَّابِنَةَ الْمُنْدَائِيَّيْنِ هُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِلِقَابِ الصَّابِنَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَمَّا الثَّلَاثَةُ فَلَمْ تَتَقَيَّدْ بِالْبَحْثِ عَنْ جَذُورِ التَّسْمِيَةِ تَحْتَ رَايَةِ الْفِرْقَتَيْنِ الرَّئِيسِيَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ اتَّصَقَ بِهِمَا مُسَمًى الصَّابِنَةِ.

المدرسة الأولى

وَهُمُ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ صَابِنَةَ حَرَّانَ هُمُ أَصْلُ الصَّابِنَةِ. فِي عَامِ 1649 قَدَّمَ الْمُسْتَشْرِقُ الْإِنْجِلِيزِي إِدْوَارْدُ بُوكُوكُ E. POCKOCK فرضيةً مفادها أَنَّ لَفْظَةَ «الصَّابِنَةِ» مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْجِذْرِ الْعِبْرِيِّ «صَبَا»²⁷، وَهُوَ الْجِذْرُ الْعِبْرَانِي الْمُكَافِئُ لِلْجِذْرِ الْعَرَبِيِّ «صَبَا» مِنْ نَاحِيَةِ الرَّسْمِ فَقَطْ، وَالْجِذْرُ الْعِبْرِي الَّذِي اقْتَرَحَهُ بُوكُوكُ مَعْنَاهُ الْحَرْفِيُّ «اِخْتَسَدَ»، وَلَيْسَ هُنَاكَ ثَمَّةُ عِلَاقَةٍ بَيْنَ الْجِذْرَيْنِ الْعِبْرَانِيِّ وَالْعَرَبِيِّ إِلَّا إِمْكَانِيَّةُ اسْتِخْدَامِ الْجِذْرِ الْعِبْرِيِّ عَلَى نَحْوِ نَادِرٍ فِي الْعِبْرِيَّةِ أَيْضًا بِمَعْنَى هَجَمٍ وَبَغَاةٍ، وَهُوَ الْمَعْنَى نَفْسُهُ الَّذِي اخْتَفَظَ بِهِ أَيْضًا مَثِيلُهُ الْعَرَبِيُّ.

وَتَأْتِي «صَبُوتُ» الْعِبْرِيَّةُ بِمَعْنَى الْجَيْشِ وَجُمْهُوعِ الْجُنُودِ، لَكِنَّهَا لَا تَعْنِي جُنُودًا وَجِيُوشًا حَقِيقِيَّةً، وَإِنَّمَا مَعْنَاهَا الْمَجَازِي هُوَ «الْمَلَايِكَةُ»، أَوْ حَرَسُ السَّمَاوَاتِ الَّذِينَ يَتَخَذُونَ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ أَوْكَارًا وَمَسَاكِينًا لَهُمْ، إِذْ إِنَّ عِبَارَةَ «رَبُّ الْجُنُودِ» الَّتِي تَتَكَرَّرُ كَثِيرًا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ هِيَ حَرْفِيًّا بِالْعِبْرِيَّةِ «إِلُوهِي خَصَبُوتُ»، وَفِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ تَتَكَرَّرُ أَيْضًا صِيغَةُ «صَبُوتُوتُ هَسَائِيمِ» بِمَعْنَى جُنْدِ السَّمَاءِ²⁸، أَيْ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ²⁹، وَبِذَلِكَ الطَّرْحِ اعْتَقَدَ بُوكُوكُ أَنَّهُ وَجَدَ رَابِطًا

²⁷ ميشيل تارديو: صابنة القرآن وصابنة حَرَّانَ، ترجمة سلمان حروفوش، دمشق 1999، 41.

²⁸ ZAVI RADAY; CHAIM RABIN: *The new Bible dictionary*, Jerusalem 1989, Art of "Saba", p 492.

²⁹ لَا شَكَّ أَنَّ تَعْظِيمَ الْيَهُودِيَّةِ لِسَانِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ نَاشِئٌ عَنْ فِتْرَةِ السُّنَنَاتِ الْأَوَّلِ الَّتِي قَضَوْهَا فِي بَابِلَ، وَلِلْمَزِيدِ عَنْ تَأْثِيرِ الثَّرَاتِ الْبَابِلِيَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ الْيَهُودِيَّةِ انْظُرْ أَسْفَارُ: الْمُلُوكُ الثَّلَاثِي - الْأَخْبَارُ الثَّلَاثِي - عِزْرَا - نَحْمِيَا - طُوبِيَا - يَهُودِيَّة - إِسْتِير؛ وَتَسْتَجِدُّ فِي سِفْرِ إِسْتِير أَنَّ عَمَّ إِسْتِيرَ الَّتِي تَسَبَّبَتْ فِي إِنْقَازِ الْيَهُودِ مِنْ ذُلِّ حَيَاةِ الْأَسْرِ وَعَوْدَتِهِمْ إِلَى أَوْشَلِيمَ يُدْعَى «مُزْدَخَائِي» وَيَعْنِي اسْمُهُ حَرْفِيًّا «الْمُزْمَخِي» أَوْ الْمُنْتَمِي إِلَى الْمَرْيَخِ!!، انْظُرْ حَوَاشِي تَرْجُمَةِ أَوْشَلِيمَ الْفَرَنْسِيَّةِ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، الْإِصْدَارُ الْعَرَبِيُّ، طَبْعَةُ دَارِ الْمَشْرِقِ، بَيْرُوت (د.ت) 932، وَتَسْتَجِدُّ أَيْضًا مَا يُشِيرُ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْإِعْتِقَادِ بِالْمَلَايِكَةِ السَّبْعَةِ الْعِظَامِ (وَالرَّقْمُ سَبْعَةٌ هُنَا يُشِيرُ إِلَى عِدَدِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ وَفَتْنَاكَ، انْظُرْ: - طو 12: 1 - 16. وَتَأَثَّرَتِ الْمَسِيحِيَّةُ كَثِيرًا بِهَذَا الْإِعْتِقَادِ، قَارِنْ سِفْرَ رُؤْيَا يُوَحَنَّا الْإِلَهَوِيِّ: رُؤ 8: 1 - 2.

بين اعتقادات صابئة حرّان القائمة على عبادة الكواكب والنجوم، وبين تلك الفرقة التي ذُكرت في القرآن الكريم، ولقي رأيه تأييداً واسع النطاق بين جموع المُستشرقين استمرّ حتى بدايات القرن العشرين، وكان من أبرز من شايعة على هذا الاعتقاد عالم اللغات السامية الألماني جُسنوس، وصمويل زويمر³⁰.

أما الأب أنستاس ماري الكرّملي فقد كان يعتقد بوجود وحدة من نوع ما بين صابئة حرّان وبين المندائيين، وكان يعتقد أنّ عبادة صابئة حرّان للكواكب والنجوم لا يبتعد كثيراً عن الاعتقادات المندائية بأن الكواكب والنجوم هي مساكن الملائكة، ويُناء على هذا الطرح فقد بنى رأياً غريباً مفاده أن الصّابئة مُصطلح ظهر أيام كانت اللغات السامية لغةً واحدة، وهي مُصحّفة عن «صَوَأ» التي قلبها العرب في لغتهم إلى صَاء، ولفظ الصّابئة شأنه عند الكرّملي شأن ألفاظ أخرى نُحِتَت من كلمة أُميتت جذورها في الساميات الأخدث، ومعناها عنده «عبادة الضّائية» أو الأجرام المُضيئة³¹!!.

فيما اعتقد الأثري اليهودي يوليوس ليفي JULIUS LEVY أن الصّابئين هم أبناء «سَبَا بن إبراهيم الخليل عليه السلام» وكانت مساكنهم واحدة تسمّى شمال الحجاز³²، حسبما ورد ذكرهم بالإصحاح الخامس والعشرين من «سفر التكوين» على أنّهم من ولد إبراهيم عليه السلام من زوجته «قطورة»³³. ولم يقدم ليفي أي إيضاحات أخرى بشأن اعتقاده هذا، ويبدو أنه استند فحسب

³⁰ صمويل زويمر: الصّابئة والصّابئون، مقال منشور بمجلة المُقتطف، مج 23، القاهرة 1899، 87.

والمؤلف نفسه بشكل أكثر تفصيلاً في: 289 - 286 Arabia: the cradle of Islam, London 1900, pp 286 - 289.

³¹ أنستاس ماري الكرّملي: الصّابئة المندائيون، مقال منشور بمجلة المشرق، بيروت 1902، مج 4: 552.

³² JULIUS LEVY: The late Assyro - babyliokian, cult of the moon and its Culmination of the time of

Nabonidus, Hebrew Union college annual, vol. XIX, , 1945 - 1946, p 405 .

³³ جاء في التوراة: «وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة * فولدت له زمران، ويثشان، ومدان، ويشباق، وشوخوا * وولد يثشان سببا، ودذان، وكان بنو دذان آشوريم، ولطوشيم، ولايم * وبنو مديان عيقة، وعفر، وحنوك، وإبيداع، والدعة، جميع هؤلاء بنو قطورة» [تك: 25: 1-4].

إلى المقاربة في النطق بن «شبا» و«صبا»، كما تغلبت عليه التزعات الأيديولوجية، بالاستناد إلى العهد القديم الذي لم يُشر - صراحةً - إلى تلك الفرقة الغامضة، كما أنه لا يُفسر لنا كيف تأتّى أن المصادر العبرية لم تذكر قوماً يعيشون إلى الشمال من الحجاز، ويدعون بالصّابئة.

المدرسة الثانية

وهم القائلون بأن الصّابئة المندائيين هم صابئة القرآن الحقيقيون. في عام 1856 قدّم المستشرق الأوكراني دانيال خوالسون D. CHWOLSOHN اعتماداً على روايات آباء الكنيسة الأوائل هيبوليتوس (القرن الثاني الميلادي) وأيقانيوس (القرن الرابع الميلادي) حول ذلك اليهودي الصّارم الذي يدعى EL-KESAI، والذي عُرّب في المصادر العبرية إلى الحنّسح أو الحسيح أو الحنّسج، والذي عاش في فلسطين، وهناك نشر تعاليمه اليهودية الأصولية المتزمتة تاركاً قيادة جماعته من بعده إلى تلميذ له يُقال له «صوبيائي»، والذي قدّم إلى بلاد ما بين النهرين. وقدّم خوالسون تصوّره أن كلمة «صابئة» اشتقت من اسم ذلك التلميذ نفسه «صوبيائي»، مُستنداً في ذلك على رواية النديم المثيرة للجدل حول علاقة ذلك الحنّسح أو الحنّسج بالمندائيين.³⁴

فيما لم يجد خوالسون في دراسته الواسعة أي أدلة تُؤيد وجود علاقة حقيقية بين صابئة حرّان، وبين الصّابئة المندائيين، ولم يجد غصاصة في اعتماد أكثر روايات النديم عن الصّابئة إثارة للجدل، تلك التي استقاها من نصراني مجهول تماماً لنا ويدعى أبا يوسف إشع القطيعي النصراني، والقائلة بأن صابئة حرّان انتحلوا لقب الصّابئة أيام المأمون ليحطّوا بمعاملة أهل الذّمة.³⁵

³⁴ CHWOLSOHN: *Die Ssabier und der Ssabismus*, St. Petersburg 1856, vol. 1, p 114. وعن علاقة

الحسح بالمندائيين تفصيلاً انظر الفصل الثالث.

³⁵ النديم: الفهرست، 2: 362 - 364. وعن رواية النديم عن القطيعي تفصيلاً، انظر الفصل السادس.

وبذلك قدّم خوالسُون أوّل نظريّة متكاملة الأركان عن أصول الصّابئة تقوم على

مُرتكزات ثلاث، وهي:-

- اشتقاق لفظ الصّابئة ليست من صَبَأَ العربية، وإنّما من اسم «صوبياي» تلميذ الحنّج أو الحنّج القادم من فلسطين إلى بلاد ما بين النّهرين في القرن الأوّل الميلادي ليُشكّل بمُريديه أوائل المندائيّين المُغتسلين أو المُتعمّدين في بلاد ما بين النّهرين.
- الصّابئة الحقيقيون الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم هم أنفسهم هؤلاء المندائيّون - أو المُغتسلّة - المقيمون بالبطائح جنوبي العراق، والذين يُمارسون التّعميد.
- صابئة حرّان انتحلوا الاسم قبيل وفاة المأمون عام 218هـ/ 833م، وليس ثمة علاقة حقيقة تربطهم بالصّابئة المندائيّين³⁶.

لم يكن الألمانّيّان نيربرج ونولدكه على قناعة بما توصّل إليه خوالسُون في دراسته، ذلك أنّ المُجانسة في النّطق بين «صوبياي» و«الصّابئة» لا تمثّل أساساً سليماً للقول بأنّ هذا مُشتقّ من ذاك، فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ «الحنّج» وتلميذه «صوبياي» لا ذكراً هُما في الكتابات المندائيّة القديمة، وأنّ النّديم يُشير إلى أنّ تلميذ الحنّج الذي تولّى رئاسة الطائفة بعده يُدعى شَمْعُون وليس صوبياي، وأنّ العلاقة بين الحنّج وبين المندائيّين محلّ شكّ من الأساس عند أغلب الباحثين لأسبابٍ سنتناولها تفصيلاً فيما بعد، فإنّ نظرية خوالسُون حول الاشتقاق اللّغوي لن تصمد طويلاً أمام النّقْد.

اعتقد كل من نيربرج ونولدكه أنّ التّوصّل لاشتقاق لفظة الصّابئة بشكّل سليم يتوجّب الغوص في اللغات السّاميّة القديمة، وعلى ذلك قدّمَا نظريتهما القائلة بأنّ كلمة

36. CHWOLSOHN: op. cit, vol. I, p 182.

الصَّابِئَة مأخوذة من الفعل الآرامي «صَبَا» بمعنى «غَمَسَ» أو «غَمَرَ»، في إشارة إلى أشهر الطَّقُوس الدينية التي تمارسها طائفة الصَّابِئَة المندائيين، وهو طَقْسُ التَّعْمِيد³⁷. وبذلك دَعِمَ نيربرج وتولدكه نظرية خوالسُون بأن الصَّابِئَة المندائيين هم صابئة القرآن، مع اختلاف النَّظَرَة إلى أصل اللفظ الذي اُسْتُقِيَ - وفقاً لها - من جذر آرامي الأصل هو «صَبَّ»، وهو موجود بذاته ورسمه ومعناه في العربيَّة، وهذا الاسم أُطْلِقَتْهُ الْأَقْوَامُ الْمُجَاوِرَة عَلَى الْمَنْدَائِيِّينَ لاسْتِهْارِهِمْ بِمُمارَسَةِ التَّعْمِيدِ نَهَارًا جَهَارًا عَلَى شَوَاطِئِ الْأَنْثَارِ وَالْمَجَارِي الْمَائِيَّةِ³⁸.

وسيرًا على الدَّرَبِ نفسه - في اِسْتِيفاق كلمة الصَّابِئَة من المعاني التي يُعْطِيهَا فعل التَّعْمِيدِ في السَّامِيَّات - اقترح ب. كَارَا دِي فو B. CARRA DE VAUX أن أصل كلمة الصَّابِئَة عِبْرِيٌّ مأخوذٌ من الجذر «صَبِعَ» مُكَافِئٌ «صَبَغَ الْعَرَبِي» أي غَطَسَ، مُفْتَرَضًا سِلْسِلَةً مِنَ التَّحْوِيرَاتِ الَّتِي لَمْ يَعْزُزْ بِذِكْرِ ضُرُورَاتِهَا اللُّغَوِيَّةِ كَسَقُوطِ الْغَيْنِ وَاسْتِيفَادِهَا بِالْأَلْفِ³⁹.

وقد فَطِنَتْ اللَّيْدي دَرَاوِرُ إِلَى أَغْلَبِ الصُّعُوبَاتِ الَّتِي تَكْتَفُفُ الْأَخْذُ بِأَرَاءِ خَوَالِيسُون وَنِيرْبِرْجِ وَتَوْلِدَكِهِ، وَكَارَا دِي فو، وَأَهْمُهَا اسْتِيفَادُ صَابِئَةِ حَرَّانَ مِنَ الدُّخُولِ فِي نِطَاقِ الصَّابِئَةِ، فَقَدْ كَانَتْ دَرَاوِرُ تَقْفُ مَوْقِفَ الْمُتَشَكِّكِ الْمُتَحَفِّظِ مِنْ رِوَايَةِ الْقَطِيعِيِّ، وَكَانَتْ تَرَى فِي صَابِئَةِ حَرَّانَ طَبَقَةً مِنْ مُتَقَفِّي الصَّابِئَةِ الْمُتَأَثِّرِينَ بِالْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ⁴⁰، لَكِنَّهَا لَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا إِلَّا تَطْوِيرَ

³⁷ أنستاس ماري الكرملي: مرجع سابق، 55، S. M. ZWEMER: op. cit, p 286.

³⁸ وقد أضعف جان هارب من اتجاه كل من تولدكه ونيربرج، وقال أن العربية تحتوي بالفعل على الجذر صَبَغَ في مقابل «صَبَا» الآرامي، وأنه بالقياس لقال العرب «صابغين وصابغون» بدلاً من صابئين وصابئون. HJARPE: op. cit, p 28. وهنري عبود يرفض الاعتراف بأن صابئة القرآن هم المندائيين، ويعتقد أن القرآن الكريم رُبِّيا عَنَى طَائِفَةً يَهُودِيَّةَ نَصْرَانِيَّةَ مُوَحَّدة، دون أن يمسَّ بِحَقَائِقِ انْطِيقِ الْأَسْمِ ذَاتَهُ عَلَى الْمَنْدَائِيِّينَ وَالْحَرَنَانِيَّةِ، مُعْجَمُ الْحَضَارَاتِ السَّامِيَّةِ، 547.

³⁹ كارا دي فو: الصَّابِئَة، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، الطبعة الأولى، القاهرة 1933، 14: 89.

⁴⁰ دراوِر: الصَّابِئَة الْمَنْدَائِيُون، 24.

نظريّة تولدكه - نيربرج، فبدلاً من الفعل الآرامي الأصلي «صبا» ذهببت إلى المصدر المندائي المتحوّر عنه «مضببنا»، أي «الارتعاش في الماء»⁴¹، وشايعها على ذلك الباحث المندائي غضبان رومي مؤكّداً على استبعاد الاشتقاق من صبا العربي⁴² لا شيء إلا أنّ افتراض اشتقاق الصّابنة من «صبا» العربي لا يجنّدهم طرّوحاته في قضية اعتبار المندائيين هم الصّابنة الحقيقيون. ورغم أنّ السيّد دارور كانت تعرف معرفة يقينيّة أنّ المندائيين لم يطلقوا على أنفسهم اسم الصّابنة قط، لا في أدبيّاتهم الدينيّة ولا في غيرها، وأنّ التسمية هي تسمية أطلقها عليهم مجاوروهم، فإنّها لم تنبّه إلى أنّ افتراض مندائيّة الكلمة التي اختارها تقف حائلاً أمام الافتراض نفسه، فكيف تسنّى هؤلاء الأقوام أن يُسمّوا المندائيين بلفظة مُشتقّة من لغة من المؤكّد أنّهم لا يعرفونها؟!، أخذنا في الاعتبار أن هؤلاء المجاورين قد جهلوا تماماً الاسم الذي كان صابنة البطائح يُطلقونه على أنفسهم وهو «المندائيون»؟!.

وإذا افترضنا جدلاً إمكانيّة أن يكون هؤلاء المجاورون قد سمعوا المندائيين يطلقون على التعميد «مضببنا» فأطلقوا عليهم «المضبطين» يريدون بها هؤلاء الذين يمارسون التعميد، وبساهلنا مع الصّورات اللغويّة التي استوجبت تحوّل المضبطين مع الوقت إلى الصّابنة، فإنّنا لن نلبّث وأن نصطدّم بعقبة أخرى، وهي كيف اتّفق وأن عُرِف صابنة حرّان بالاسم نفسه، وهم لا يمارسون التعميد؟. لا شك أنّنا سنلحظ ذلك الازتيك خاصّة مع موقف السيّد دارور المتحفّظ من رواية القطيعي⁴³، لكنّها لم تُعِن بتقديم تفسير لهذا الموقف التناقض في أيّ

⁴¹ المرجع نفسه، 59.

⁴² انظر: مقدّمة الباحث المذكور. أعلاه لكتاب الليدي دارور الصابنة المندائيون، 1.

⁴³ ازداد موقف دارور الرافض لرواية القطيعي صلابة في أبحاثها الأخيرة، خاصّة بعد عثورها وترجمتها وتحقيقها لكتاب حرّان جوبنا [حران الداخلية]، وهو من الكتابات المندائيّة النادرة التي تتناول تاريخ المندائيين، وفيه تردّ بوضوح الإشارة إلى حرّان كمنطقة هاجر إليها المندائيون الأوائل المضطهدون من المؤسّسة الدينيّة اليهودية بأورشليم، ويتحدّث المخطوط كذلك أن النّاصورائي (المندائيون الأوائل) وجدوا في حرّان إخوة لهم في الدّين، وهو ما اعتبرته دارور إشارة واضحة لصابنة حرّان.

من دراساتها، وشايعها على الرأي نفسه الباحث المندائي عزيز سباهي⁴⁴، دون أن يُعنى يسوى بتنفيذ رواية القطيعي، لكنه بدوره لم يقترب من تفسير دخول صابئة حرّان تحت مُسمّى الصّابئة، رغم أنّهم لا يُمارسون التّعميد.

أعاد كورت رُودولف إحياء رأي كارا دي فُو في قضية الاشتقاق اللّغوي، فاعتقد بأنّ كلمة الصّابئة اشتقّت من أصل الجذر العربي «صَبَغَ»⁴⁵، وعبر تحويرات لغويّة مُعقّدة أصبح حرف الغين «عيناً» في كُلّ من العبريّة والآرامية، ثم أصبحت العين «ألفاً»، ثم انتقلت بشكلها المُتطوّر الأخير إلى العربية «صَبَأً»، و «صَبَا» إلى كل من المندائيّة والسّريانيّة، إذ إن حرفيّ العين والغين يُخفّفان إلى الألف بحسب القاعدة المندائيّة، وتعني كلمة «الاضطباغ» الغطس في الماء الجّاري «يَزِدُّنَا» أي الـ «مَصْبُتًا» بمعنى الصّباغة أو التّعميد⁴⁶.

⁴⁴ سباهي: أصول الصّابئة، 30 - 33.

⁴⁵ يأتي الجذر العربي «صَبَغَ» بمعنى الغمس، ابن منظور: لسان العرب، 4: 2395. أما الجذر «صَبِغَ» فيأتي بعدّة معاني، فهو يتضمّن الإشارة إلى شيء مادي بالإضبع، كما يتضمن في معانيه اغتابه أو أراده بشراً، لكن ما يستوقف النظر من ضمن معاني ذلك الجذر هو إسالة الماء من إثناء بكيفية معينة على الرّأس، وذلك بوضع معين للإبهام والسبابة، انظر: - الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي؛ إبراهيم السّامرائي، بيروت د.ت، 1: 311.

⁴⁶ يرى جان هارب بعد عدد من المقاربات اللغوية أنه من المستحيل أن يكون صبغ العربي قد تحول عن صبا الآرامي بأي صورة من الصّور، انظر: - HJARPE: op. cit, p 28، وأنا أدعّم هارب تماماً فيما توصل إليه، فلم يُسمع من العرب «صَبِغَ» بمعنى صبا، والدليل القاطع في هذا هو عهد عُمر بن الخطّاب ؓ مع نصارى تغلب والذي قبل منهم الجزية مضاعفة، على ألا يقوموا بتنصير أبنائهم، والعبارة التي استخدمت في هذا العهد نصيّا هي «وعلى ألا يَصْبُغُوا أولادهم»، فدّامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد 1981، ص 224. وفهم فدّامة يصبغوا بمعنى يغمسونهم في الكُفّر، وهو تأويل مجازي على كل حال، أمّا المعنى الواضح الذي أراده عمر ؓ هو ألا يقوموا بتعميد أبنائهم قوّر ولادتهم، وهي علامة دخولهم في النصرانية، إذن كان العرب يستخدمون الفعل صبغ مُكافئاً للجذر صبا الآرامي، أي أن الصّباغة كانت مُكافئة لمعاني التّعميد.

وَيُمْكِنُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَيْهَا اسْمَ مَدْرَسَةِ التَّحَرُّرِ مِنَ الْإِفْتِرَاضَاتِ الْمُسَبِّقَةِ، وَنَحْتِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ مَنْحَى مُخْتَلَفًا تَمَامًا عَنْ كِلَاتَا الْمَدْرَسَتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ، وَيُمَثِّلُ جُوسِبِيدِرْسِن J. PEDERSEN وَاحِدًا مِنْ أَهَمِّ رُؤَادِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، وَقَدْ هَاجَمَ خُوالِسُون وَمَدْرَسَتَهُ بِشِدَّةٍ، الَّتِي تَرَى فِي الْمُنْدَائِيِّينَ صَابِنَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَمَخَّضَ بَحْثُهُ عَنْ أَنَّ مُصْطَلَحَ الصَّابِنَةِ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ يُشِيرُ إِلَى الْفِرْقِ الْغُنُوصِيَّةِ بِشَكْلِ عَامٍ، وَأَنَّ الْمُنْدَائِيِّينَ وَاحِدَةٌ مِنْهَا فَحَسَبَ، وَوَقَفَ بِيدِرْسِن مَوْقِفًا شَدِيدَ التَّحَفُّظِ مِنْ رِوَايَةِ الْقَطِيعِيِّ، وَخَلَصَ إِلَى أَنَّ الْاسْمَ نَفْسَهُ أَطْلَقَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى صَابِنَةِ حَرَّانٍ، وَلَمْ يَنْتَحِلْهُ الْآخِرُونَ مُطْلَقًا⁴⁷.

وَيُعَدُّ جَان هَارِب J. HAJARPE وَاحِدًا مِنْ أَهَمِّ رُؤَادِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، وَقَدْ أَسْفَرَتْ دَرَأَسَاتُهُ عَنْ أَنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً وَاضِحَةً تَمَامًا بَيْنَ صَابِنَةِ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ مَنْ دَعَاهُمْ الْقُرْآنُ بِالْحُنْفَاءِ⁴⁸، وَبِأَنَّ هُوَ اعْتَبَرَ الْحُنْفَاءَ إِخْدَى الْفِرْقِ الْغُنُوصِيَّةِ، فَإِنَّهُ خَلَصَ إِلَى أَنَّ الصَّابِنَةَ الْمَذْكُورِينَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُمُ الْغُنُوصِيُّونَ بِشَكْلِ عَامٍ، مُؤَكِّدًا عَلَى مَا سَبَقَ وَأَنَّ رَأْيَ بِيدِرْسِن مِنْ قَبْلِ⁴⁹.

كَأَيْ يَعْدُ الْفَرَنْسِيِّ مِشِيل تَارْدِيُو M. TARDIEU وَاحِدًا مِنَ الْقَلَائِلِ أَيْضًا الَّذِينَ تَخَلَّصُوا مِنْ عِيبِ اتِّخَاذِ مَوْقِفِ مُسَبِّقٍ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ، وَقَدْ انْتَهَجَ نَهْجَ سَلْفِهِ هَارِبَ، وَقَامَ بِبَحْثِ الْمَوْضُوعِ مُنْطَلَقًا مِنْ فَرْضِيَّةِ هَارِبِ حَوْلَ عَدَمِ وَجُودِ عِلَاقَةٍ مُبَاشِرَةٍ بَيْنَ الصَّابِنَةِ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عُرِفَتَا بِالْاسْمِ نَفْسِهِ فِيمَا بَعْدَ، وَتَبَنَّى رَأْيَ بُوْكُوكِ السَّابِقِ بِشَأْنِ عِبْرِيَّةِ أَصْلِ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّهَا هِيَ نَفْسُهَا «صَبُوت» لَكِنَّهُ لَمْ يَتَبَيَّنْ شُرُوحَ بُوْكُوكِ الَّذِي خَلَصَ

⁴⁷ PEDERSEN: *The Sabians, in: "Agab-nama" a volume of oriental studies presented to Edward*

Brown, 1922, pp 387 – 391.

⁴⁸ يَجِدُ جُوزَيْفُ هُورْفِيتْزَ ارْتِبَاطًا قَوِيًّا بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْحُنْفَاءِ وَبَيْنَ الصَّابِنَةِ بِشَكْلِ عَامٍ، انْظُرْ: - J. HOROVITZ:

Koranische Untersuchungen, Berlin 1926. p 58.

⁴⁹ J. HAJARPE: *op. cit, p 492.*

إلى أن هذا يُشيرُ إلى عبادة الكواكب والأجرام السماوية بشكلٍ صريح، بل أعطى كلمة «صَبُوت» بُعداً صوفيّاً جديداً من خلال التركيز على أن جُندَ السماوات المعنيون هم الملائكة، وليست الكواكب في حد ذاتها، وهم مُوسَّطات بين الله والبشر، وخُص من هذا كله إلى أن تعبير «الصَّابئة» القرآني يُقابله تعبير *Stratitiques* اليوناني (الإيمان بالمتوسَّطات بين الله والخلق)، أي الغنوصية بالمعنى العام للغنوصية دون زيادة أو نقصان⁵⁰ - على حد تعبيره - وبذلك انتهي إلى نفس النهاية التي انتهى إليها هارب، ولكن بمنهج آخر وبطريقة أخرى.

كانت هذه هي أبرز تطورات النقاش والجدل واللَّغَط الدائر بين الباحثين من مُتَنَصِّف القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا حول قضية الاشتقاق اللغوي للفظ الصَّابئة، ومدلوله ومعناه، وأكثر ما يُمكن توجيهِه من نقدٍ إلى هذه الفرضيات جميعاً يتلخَّص في النقاط التالية:-

▪ كلا الفريقين - أعني المندائيين والحرثانية، مع استبعاد رواية النديم عن القطيعي - لم يطلِّقوا على أنفسهم اسم الصَّابئة، وتلك التسمية جاءتهم من خارج المحيط، وأطلقها عليهم مجاوروهم. وهذه النقطة تُعدُّ من النقاط القليلة التي ليس عليها خلافٌ بين جمهور الباحثين، بالتالي فإنه من العبث البحث عن أصولها في لغات المندائيين والحرثانية أنفسهم.

▪ شابَّ البحث عن أصول لفظة الصَّابئة الاعتماد المفرط على المقاربات اللغوية لتفسير كيف عُرف الصَّابئة بهذا الاسم، وكان من شأن ذلك تعقيد القضية بدلاً من العمل على حلها⁵¹. أخذاً في الاعتبار أن جميع من قدَّموا تفسيرات مُتباعدة للاسم والمدلول لم يستطيعوا تقديم دليل مادي أو بُرهان على صحَّة ما ذهبوا إليه، فجميعهم لم ينجح في التوصل إلى

⁵⁰ تارديو: مرجع سابق، 42-43.

⁵¹ أورد جان هارب مثلاً على ما قد يقود إليه الإفراط في الاعتماد على المُجانسة في النطق وتجاهل ما سواها بأن قال بأن الصَّابئة كذلك يُمكن اشتقاقها بسهولة - ودون الحاجة إلى الكثير من الأفعال - من اسم مدينة

نصيين "Suba" أو "Suhaya"، HAJARPE: op. cit, p 29.

نصّ واحد في أدبيّات اللغات التي ادّعوا اشتقاق ذلك الاسم منها يعودُ إلى حقب ما قبل الإسلام، ويتضمّن في طيّاته صراحةً الإشارة إلى الصّابئة، وكل تلك التفسيرات - وبلا استثناء - جاءت مبنية على الظنّ والتّخمين، وليس لواحدٍ منها أفضليّة على الآخر، إذ لا يرتبط أحدُها ببرهانٍ قاطع، وكما لاحظ جان هارب عن حقّ: «إنّ هذه الفرضيّات جميعاً هي فرضيات لم تثبت صحّتها، وهي في جوهرها مجرّد افتراضات جاء بها المُستشرقون، وليست لها أيّة قيمة من النّاحية التّاريخيّة»⁵².

▪ معظم الفرضيّات التي تنطبق بشكلٍ آليّ على المندائيّين وعلى طقوسهم التّعميديّة - بشكلٍ تبريريٍ مخض - لم تكن بالإجابة على كيفية انطباق الاسم ذاته على صابئة حرّان؟ وهم لا يمارسون التّعميد قط، وبالتالي جرّ هذا الاتجاه هؤلاء الباحثين - قسراً - إلى رفض وجود علاقة مباشرة بين المندائيّين وصابئة حرّان، وكانوا أكثر من غيرهم حمّاسة للقبول بما جاء عند النّديم اعتماداً على كتابات أحد النّساطرة الذي ادّعى انتحال صابئة حرّان للاسم زمن المأمون لأغراضٍ سياسيّة، وذلك تحلّصاً من الحرج الذي يُسبّبه القول بارتباط الكلمة بشعيرة التّعميد⁵³، وحتى الذين قبلوا

⁵² HJARPE: op. cit, pp 17 - 18.

⁵³ أوضح مثال على ذلك موقف الأستاذ أوليري الذي يقول ما نصّه: «إن قصة الحرّائيّين مع المأمون ما هي إلى محاولة لتفسير كيف أصبح الحرّائيّون يُسمون بالصّابئين، وهو اسم تأكّد لدينا الآن أنه لا ينطبق عليهم». انظر: - دي لاسي أوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة وهيب كامل، القاهرة 1962، 237؛ وانظر أيضاً كارا دي فو الذي قال ما نصّه: «من الواضح أن الصّابئة الذين ذكّهم القرآن وجعلهم في ثلاث مواضع يعدّون من المنديا (المندائيّون)، ولا شك أن اسم الصّابئة مُشتقّ من الأصل العبري «صَبَعَ» أي غَطّيس، ثم أُسقطت العين، وهو يدلّ بلا ريب على المَعْمَدائيّين، أولئك الذين يمارسون شعيرة التّعميد أو الغطّاس، وربما كان الصّابئة الوثنيّون الذين لم يعرفوا هذه الشّعيرة على الإطلاق قد اصطنعوا هذا الاسم من قبيل الحيلة مُبتغين أن ينعموا بالسّاحة التي أظهرها القرآن لليهود والنّصارى»، كارا دي فو: الصّابئة، مرجع سابق، 14: 89، وماكس مايرهوف يُشاطرهم الاعتقاد بأنّ انتحال الحرّائيّة للاسم، انظر: مايرهوف: من الإسكندريّة إلى بغداد، مقال منشور ضمن كتاب الثّراث اليوناني في الحضارة الإسلاميّة، دراسات لكبار المُستشرقين، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت د.ت، 70.

بهذا التفسير ورفضوا رفضاً قاطعاً قضية انتحال صابئة حرّان للاسم، فإثمهم وقعودهم في ذات الحرج فتهرّبوا عمداً من الإجابة على سؤال جوهرى وهو: كيف انطبّق المسمّى ذاته على الحرثانيّة أيضاً؟.

■ الأمر ذاته ينطبق على الفرضيات التي تربط الاسم بعبادة النجوم والتي اضطُئعت اضطناعاً لتبرير كيف عُرف صابئة حرّان بهذا الاسم. وهي أيضاً لا تُفسّر لنا كيف تأتّى انطباق المسمّى نفسه على صابئة البطائح المندائيين؟، وهم الذين لا يعبدون الكواكب والنجوم!!، كما إنّ أكثر هؤلاء الباحثين لم يغن بدراسة علاقة تسمية المسلمين الأوائل بالصابئة، باستثناءات قليلة كما عند بيدرسن وهارب وتارديو، وإذا كانت الصابئيّة بصورتها المجردة تعني ممارسة التعميد، وإذا كان القرآن الكريم يعني الصابئة المندائيين، لماذا أطلق مُشركو قُريش على النَّبي وصَّحبه لقب الصَّابئة؟⁵⁴.

■ رغم أنّ كلمة «الصَّابئة» عربيّة الجُرس والمعنى، وتُشتقّ من فعل عربي ثلاثي بسلاسة، ودون الحاجة إلى الافتعال، وعلى نحو قياسيٍّ في قواعد

⁵⁴ يشير بيدرسن إلى صعوبة تصوّيب ما رآه خوالسون من أن صابئة القرآن هم المندائيون، وأن ذلك يخلّق تعقيدات كبيرة أبرزها عدم استطاعة تفسير تسمية قُريش للنبي ﷺ وصحبه بالصابئة في ضوء هذا، انظر: PEDERSEN: *The sabians*, p 386. في حين يُبدى يوليوس فلهاوزن دهشته من تلقّب المُشركين للمسلمين الأوائل بالصابئة، لكنه في الوقت نفسه يرفض مطلقاً الربط بين التسمية وبين أي من المندائيين والحرثانية على السواء، تاريخ الدولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأمويّة، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريّة، القاهرة 1968، 3. وجواد علي ينص أنه لا يستقيم فهم كلمة صابئ التي عرفها العرب قبل الإسلام تحت راية المندائيّة والحرثانيّة جيّماً، وأن هاتين التسميتين إنما عمّتا في الإسلام، لا قبله، المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 6: 702، في حين يلمح سباهي إلى رأي غريب وهو أن قريشاً أطلقت على النبي ﷺ وصحبه اللقب نفسه الذي اتصف به المندائيّون لتشابه العقائد. (!؟)، انظر:-

عزيز سباهي: إلى أي قوم ينتمي الصَّابئة المندائيّون؟، مقال منشور ومُتاح على الشبّكة الدولية للمعلومات

على الرابط التالي:- http://www.mandaeanunion.org/History/AR_History_033.htm

العربية ذاتها. على الرغم من ذلك فإنَّ جميع هؤلاء الباحثين - باستثناء خُوَالِسُونٍ وَغُضْبَانَ رُومِي - لم يهتموا بإبراز أسباب استبعاد اشتقاق الكلمة من الجذر العربي «صَبَأ».

- إلى جانب ذلك كان هناك خطأ منهجي يجري في دوائر الاستشراق على نحو متعمد، وهو رفض أصالة الجذور العربية كلما كان ذلك ممكناً!!، وقد كان بعض المستشرقين يعمدون في حال غموض الجذر العربي إلى البحث عن معاني الجذر العبري المقابل، ضارين عرض الحائط بقدم العربية وراثتها غير المحدود بالجذور اللغوية مقارنة بالعبرية، وبالرغم من أن المستشرقين المحدثين قد أفلحوا عن هذا المنهج المعكوس الآن؛ فقد تراكت مراث من المصطلحات التي اعتقد الباحثون بأصلها غير العربي، وما زالت دوائر البحث تأخذ بهذه التفسيرات دون إعادة النظر فيها⁵⁵، لذا كان من الطبيعي أن يوجد من بين المستشرقين من يرد لفظة الصابئة إلى أقرب لفظٍ عبريٍّ ممكن.

- اقترأ الباحثين لقدَم التَّسمية، وردُّها إلى ما قبل العصور المسيحيَّة⁵⁶، ليس له ما يُبرِّره اللهم إلَّا إطلاق مُشركي قُريش اللقب نفسه على المُسلمين الأوائل، ولكن الإيغال به في القدم حيث سادت اللغة الآرامية ربُوع الشَّرق الأذني، يعد - في نظري - تَطَرُّفا لا شك فيه، وبالتالي التماس الجذر نفسه في الآرامية وهي اللغة الأم لكل من العبريَّة والعبريَّة، كما فعل نُولدكه، قاده - وغيره - إلى أنه من الصَّعوبة بمكان

⁵⁵ انظر أمثلة من هذه التَّخْبُطَات في دراسة جُوزيف هُوروفيتس عن الدَّخِيل في القرآن الكريم. *Jewish Proper*.
Names and derivatives in the Koran, Berlin 1930. وخاصة تعليقه على مادة قَسْطَاس.

⁵⁶ سباحي: أصول الصابئة المندائيين، 32.

القول بأن الصَّابِنة اشْتُقَّتْ من «صَبَأ» العَرَبِيَّة، لا سِيَّما وأن الجذر العربي لا يَحْمِلُ في طَيَّانِهِ مَغْزًى دِينِيًّا ما ذا مَعْنَى خاص، كما لا يرتبط بدلالة ما لها علاقة بأيٍّ من الفرقين اللتين عُرِفتا بالاسم نفسه فيما بعد.

■ أصاب خُوالِسونَ البَحْث في تاريخ الصَّابِنة بِسَهْمٍ نافذٍ عبر افتراضاته حول الصَّابِنة الحَقِيقِيَّين، وأنَّهم وحدهم هم الصَّابِنة المندائيُّون، وقد ظَلَّتْ دوائر البحث أسيرة لهذه التَّصورات - أو كما يَحُلُّو للبعض وصفها بالتَّخْطُّطات - حتى يومنا هذا، رغم عدم وجود أدلَّة تؤيد ذلك لا في القرآن الكريم نفسه، ولا في المَصادر العربية المُعاصرة. فيما شَقَّتْ هذه التَّفسيرات طريقها إلى المَعاجِم والمُوسوعات ودوائر المَعَارِف، ليس بفضل وجاهتها وإنَّما بفضل إضْرار الباحثين على تَوَاتُرِها، والتَّقلُّبِ العِلْمِيِّ لِبَعْضِ قائلِها⁵⁷. ولقد وُجِدَ بالفعل بَعْضُ المُستشرقين الذين رَفَضُوا مُسَلِّمَات خُوالِسون، حول الصَّابِنة الحَقِيقِيَّين، وحول الاشتقاق من طقس التَّعميد، وفَضَّلُوا البحث من البَدءِ بعيدًا عن هذه التَّصورات، وكان مِنْهُم شيرِنَجَر، وجان هَارِب، وميشيل تارديو، ووصلُوا إلى نتائج مُهمَّة في هذا الصَّدَد، أبرزها: صَابِنة القرآن لِيَسُوا بحالٍ من الأُحوال هم الصَّابِنة المندائيُّون⁵⁸، كما لا يُمكن أن تَكُون الكلمة مُشْتَقَّةً من جِذْرِ آرامي أو حتَّى مَندائيٍّ بِما يُفيد التَّعميد والازْتِماس في الماء⁵⁹.

57 يعلق تارديو على الارتباك الذي أصاب الأوساط البحثية منذ صدور دراسة خُوالِسون بقوله: «ما أجل أن يقوم باحث بتعقب الآثار التي خلفها خُوالِسون في الأجيال اللاحقة!، حيث سيكون بالإمكان عندهذا توضيح العديد من التحليلات التي سيطرت على الاستشراق [بخصوص الصابنة] من أواسط القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا، خصوصًا عندما لا يظهر اسم خُوالِسون». تارديو: صابنة القرآن، 51 - 52.

58 يطلق كورت زودلف على هؤلاء الباحثين اسم «المُشكِّكين»، ويَتَّهمهم بضعف الإلمام بطبيعة الأدب والميثولوجيا المندائية، ويُطالبهم بمزيد من البراهين على آرائهم، انظر: K. RUDOLPH: *Problems of a*

إن رَفُضَ تصوّرات المستشرقين حَول مَغزى الاسم واشتقاقه من شأنه أن يُعوّد بنا إلى نُقطة البداية، من حيث التّساؤل من جَدِيد، من هُم هؤلاء الصّابئة؟، وهل تَصَارِبَت المَصَادِر العربيّة حَقًّا في تَحْدِيدِهِمْ؟. وما علاقة هؤلاء الصّابئة بِتسمية المُشركين للمُسلمين الأوائل بالاسم نفسه؟، وكيف عُرف كل من المَندائيّين والحَرَنائيّة على السّواء بالصّابئة؟، هذا ما سَيُناقشه الفصل التّالي تَفْصِيلًا.

في حين يَتَّهمه ميشيل تارديو *history of the development of the Mandaean religion*, 1966, p 211. بِإِعَادَةِ صياغة وتقديم مَجْطَعات خُوالِسون «بِإِصرارٍ لا يَتَزَعَّع»، وأنه كان يَتَوَجَّب عليه إِعَادَةُ النّظر في آرائه بعدما ظَهَرَت دراسة هَارِب النّقديّة التي هَدَمَت نظريّة خُوالِسون من جُذورها، انظر: - تارديو: صابئة القرآن، 53.

59 HJARPE: op. cit, pp 17 – 18; A. SPRENGER: *Des Leben und die des Mohammed nach bisher grosstenteils unbenutzten quellen bearbeitet*, Berlin 1865, Vol. 1, p 498. وانظر أيضًا ميشيل تارديو: صابئة القرآن وصابئة حران، 10.

الفصل

الثاني

2

دلالة مُصطلح:

الصَّابئة في المصادر العربية

«إِنَّ الشَّعْجَ الْقَائِمَ عَلَى تَقْدِيمِ الشُّدَائِيَّينَ دُونَ غَيْرِهِمْ عَلَى أَتَمِّهِمُ الْعِنُيُونِ يَوْضِفُ الصَّابِئَةَ فِي الْقُرْآنِ بِحِجَابٍ أَنِ يَتِمَّ اسْتِيعَادُهُ فَوْرًا، فَلَا شَيْءَ يُوحِي بِأَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ كَانَتْ زَاتِ الْفِئَةِ خَاصَّةً فِي غَرْبِ شِبْهِ جَنْزِيرَةِ الْعَرَبِ. كَمَا أَنَّ الصَّابِئَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْقُرْآنِ جَنْبًا إِلَى جَنْبِ مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، كَمَا أَنَّهَا كَلِمَةٌ بِحِجَابٍ أَنِ يَكُونَ لَهَا ارْتِبَاطُهَا الْبَاسِطُ - وَعَمَّا كَتَبَ - بِمُتَعَقِّدَاتِ النَّبِيِّ (ﷺ)، وَالْأَفْلَسُ نَفْسُهُمْ أَبَدًا كَيْفَ تُعَمِّتُ النَّبِيُّ (ﷺ) بِالصَّابِئِ؟، وَكَذَلِكَ كُلُّ سَمٍّ يَبَادِرُ إِلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ».

تعرّضت المصادر العربية لهجوم واسع من قِبَل بعض المُستشرقين بدعوى تَصَارُفها في تحديد المعنيتين بالصَّابئة في القرآن الكريم، بل وامتدَّ النقاش بين بعض الباحثين إلى تقييم قيمتها في دراسة عقائد الصَّابئة وتأريخهم بوجه عام. على صعيد آخر - وكما رأينا - حاول بعض المُستشرقين التماس اللفظ في كُلِّ من الآرامية والعبرية والمندائية القديمة، لكنَّهم جميعًا - ودون استثناء - لم يتوصَّلوا إلى نصٍّ واحد بهذه اللُّغات يتحدَّث صراحةً عن الصَّابئة، ويُشير إلى صابئة حَرَّان أو المندائيين بلقبهم الذي عُرفوا به في ظلِّ الإسلام، ألا وهو «الصَّابئة».

لذا فالحديث عن قَدَم اللَّقَب وعودته إلى ما قبل العصور المسيحية ليس في الواقع إلَّا فرضية لا تقوم عليها قرينة واحدة. وعلى العكس فإنَّ هناك ما يُشير إلى أن لقب الصَّابئة قد استُحدث في ظلِّ الإسلام، يُؤيِّد ذلك ما جاء عند مَار يَعْقُوب الرَّهاوي مُطْران الرُّها (ت90هـ/ 708م) في كتابه «الأيام السَّنة» والذي عدَّد أسماء الحرَّانية بقوله: «وهؤلاء القوم عند النَّاس هم أسماءٌ مختلفة، منها: الكلْدان والحرَّانيون والحنُوفون»¹.

ولا شك أن إغفال الرَّهاوي ذكر لقبهم الأوسع انتشارًا - أعني الصَّابئة - أمر مُلفت للنَّظر، وهذا من شأنه أن يُؤكِّد احتمالًا من اثنين: إمَّا أنَّ التسمية قد أطلقها المسلمون على أقوام مُعينين من أهل الدَّمة، وأنها لم تكن شائعة إلَّا بين العرب الفانحين في هذا العصر المُبكر، لذا لم يُلق لها يعقوب الرَّهاوي بالآ، أو رُبَّما لم يعرفها أصلًا. أو أنَّ القَطيعي كان يُقرِّر وإقاعًا حين ادَّعى انتِحال الحرَّانية للاسم، وهو ما لا أميلُ إليه أو أقولُ به²، ولا شك أن المرحوم جواد علي كان ناقد البصيرة - رغم عدم تعرُّفه على نص الزهاوي المُتقدِّم ذكره - حين قرَّر أنَّ تسمية الصَّابئة؛ سواء المندائيين أو الحرَّانية إنما تمت في ظلِّ الإسلام لا قبله³.

¹ كتاب الأيام السَّنة، نقله إلى العربية مار غريغوريوس صليبا شمعون، ضمن منشورات التَّراث السُّرياني (الكتاب الرابع) حلب 1990، 100.

² سأناقش رواية القَطيعي بالتفصيل لاحقًا، انظر الفصل السَّادس.

³ المُفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 6: 702.

إنَّ الاشتقاق الصَّحيح للفظ «الصَّابِئة» يأتي من «صَبَأَ» العربي ودُون الحاجة للافتعال، أو افتراض التعريب. ولكن لا اعتقدُ أنَّ محورَ هذا الجذر يدور حول «صَبَأَ» بمعنى خرج من دينٍ إلى دينٍ آخر، وإنَّما من «صَبَأَ» بمعنى مَال. فثَمَّةُ مُلاحظة هَامَّةٌ لاحظها العلماء واللُّغويون القُدَّامى، لكن البَّاحثين المعاصرين لم يُعيروها - على أهمَّيتها - أدنى التفات، وهي اشتباك معاني الفعلين «صَبَأَ» المَهْمُوز الآخر، و«صَبَأَ» المُعْتَل الآخر، والذي يُشتق من الجذر «صَبَوُ» في لفظة «الصَّابِئين» رَغْمَ التَّفَاوُت في المعاني التي يُعطيها كلُّ منهما.

وكما يتَّضح من خلال المقارنة بين الجذرين أنَّهما يتَّفَقان رَسْمًا، ولا يختلفان نَظْمًا إِلَّا في وجوب الهمز في «صَبَأَ»، لكنَّهما يختلفان جذريًّا في المعاني التي يُعطيها كُلُّ منهما، فبينما لا يُعطي صَبَأَ المَهْمُوز الآخر سوى معاني: الخروج من دينٍ إلى دينٍ آخر، وعَحْضِ الظُّهُور البَيِّن، والهَجُوم المَبَاغِت؛ لا يُعطي «صَبَأَ» المُعْتَل الآخر سوى عَحْضِ المَيْل عن الجَادَّة⁴، وبالرَّغم من أنَّهما لا يلتقيان في معنى واحد؛ فَإِنَّهُ كثيرًا ما سُمِعَ من العرب «صَبَأَ» في مقام صَبَأَ⁵.

فقد سُمِعَ منهم قولهم «الصُّبَاة» و«الصَّابِين»، و«الصَّابُون»، و«الصُّبُوءة». وقالوا أيضًا «صَبُوتَ» بدلًا من «صَبَّاتَ»⁶. ولم يقف الأمر حول كلام العرب فحَسْب، بل امتدَّ إلى

⁴ كما يفهم ذلك بجلاء من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]. ومن «صبا» تشتق الصَّابَةُ بمعنى الميل إلى الحق الذي يُخْرِجُ الرِّجَالَ عن حُدُودِ الْوَقَارِ، ويقال أيضًا الصَّبِي والصَّبِيان وذلك لغلبة الميل والطَّيَش والحِفَّة عليهم، وسميت ريحُ الصَّبا بهذا الاسم لأنَّها تَمِيلُ وتَجَنَّبُ وتُشْمَلُ، وصبا إلى الشيء: حَنَّ إليه، وصبا فلان إلى فلانة: مال إليها، وبالجملة لا يُعطي الفعل «صَبَأَ» إلا المعاني التي تفيد عَحْضِ الميل، وضد الاشتقاق، الرَّخْخَشِي: أساس البلاغة، 535 - 536؛ ابن منظور: لسان العرب، 4: 2397-2399.

⁵ أورد ابن منظور تسمية قُرَيْش للنبي ﷺ وصحبه «الصُّبَاة» ضمن معاني صَبَأَ، ولم يُدرجها ضمن اشتقاقات صَبَأَ، لسان العرب، 4: 2398.

⁶ ومن الأمثلة على اشتباك معاني «صَبَأَ» و«صَبَأَ» ما رواه القُرطبي عن الدَّارِقُطني في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج عُمر مُتَقَلِّدًا بسيفٍ قليل له إن خَنَتَكَ وأَخَتَكَ قد صَبَّوْا، القُرطبي: تفسيره، 14: 5. وقال ابن منظور في مُعْجمه: «وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصَّابِيَّ لأنَّه خرج من دين قُرَيْش إلى الإسلام، ويسمُّون مَنْ يدخل في دين الإسلام صَبَّوْا». انظر: - لسان العرب، 4: 2385. وقد لفت تشابك الجذرين «صَبَأَ» و«صَبَأَ» في «الصَّابِئين» و«الصَّابُون» نظر المُستشرق فَنسَكَ خلال استعراضه لمادة

قراءات القرآن الكريم نفسه، ففي إحدى القراءات؛ وهي قراءة نافع المدني (ت169هـ/ 785م) - والمعروفة بقراءة أهل المدينة - عُدِلَ فيها عن نطق «الصَّابِثين» و«الصَّابِثون» إلى «الصَّايين» و«الصَّابون»⁷. وقد لَفَّتَت تلك الظاهرة نظر عالم مُفسِّر ولُعُويّ مُدَقِّق هو الإمام القرطبي (ت671هـ/ 1272م)، فقال بجواز اشتقاق الصَّابِثين من كل من «صَبَا» و«صَبَا» معًا بحسب النِّية، فَمَنْ هَمَزَ آخِرَهُ جَعَلَهُ مِنْ صَبَا يَصْبُو، وَمَنْ لَمْ يَهْمِزْهُ جَعَلَهُ مِنْ صَبَا يَصْبُو⁸.

إذن فهل هُنَاكَ دِلَالَةٌ ما لاشتباك الجذرين؟ في الواقع نعم، ويزداد الأمر تعقيدًا إذا أخذنا في الاعتبار اشتباك جذرٍ ثالث مع «صَبَا» و«صَبَا» في المعنى نفسه، ألا وهو «خَنَفَ»، الذي لا يُعْطِي من المعاني - أَيْضًا - سِوَى مُحَضِّ الْمَيْلِ⁹. ومن المُتَعَارَفِ عليه بين عُلَمَاءِ اللُّغَةِ أَنَّ الْجِذْرَ خَنَفَ، هُوَ جِذْرُ سُرْيَانِيٍّ الْأَصْلِ، تَعَرَّبَ وَانْتَقَلَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ عِبْرَ اتِّصَالِ الْعَرَبِ بِالسُّرْيَانِ، فَهُوَ تَعَرِّيبٌ لِجِذْرِ سُرْيَانِيٍّ هُوَ «خَنْبُو»¹⁰ وَهُوَ يَعْنِي فِي السُّرْيَانِيَّةِ الْمَعْنَى نَفْسَهُ الَّذِي تَعَرَّبَ بِهِ

«صَبَا» في معجمه المُفَهَّرَسِ لِأَلْفَاظِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، فَأَحَالَ فِي حَاشِيَةِ جَانِبِيَّةٍ عَلَى مَادَّةِ «صَبَوُ»، فَنَسَنَكَ: الْمُعْجَمُ الْمُفَهَّرَسُ لِأَلْفَاظِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، لَيْدِن 1936، 3: 231. وَالشُّهُرِسْتَانِي عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ يُعْطِي «صَبَا» مَعَانِي «صَبَا» كُلِّيًّا غَيْرَ عَابِيٍّ بِالْفُرُوقِ اللَّغَوِيَّةِ الدَّقِيقَةِ بَيْنَهُمَا حِينَ يَقُولُ: «الصَّبْوَةُ فِي مُقَابَلَةِ الْخَنْبِيَّةِ. وَفِي اللُّغَةِ: صَبَا الرَّجُلُ إِذَا مَالَ وَزَاغَ، فَبُحْكَمَ مِيلَ هَؤُلَاءِ عَنِ الْحَقِّ، وَزَيَّغَهُمْ عَنِ تَنْجِجِ الْأَنْبِيَاءِ قِيلَ لَهُمُ الصَّابِثَةُ، وَقَدْ يُقَالُ: صَبَا الرَّجُلُ إِذَا عَشِقَ وَهَوَى، وَهُمْ يَقُولُونَ: الصَّبْوَةُ هِيَ الْأَنْجِلَالُ عَنِ قَيْدِ الرُّجَالِ»، الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ كِلَانِي، بَيْرُوت 1982، 2: 5.

⁷ القرطبي: تفسيره، 2: 161.

⁸ المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

⁹ أَصْلُ الْخَنْفِ فِي اللُّغَةِ مَيْلٌ إِحْدَى الْقَدَمَيْنِ عَلَى صَاحِبَتِهَا، وَهُوَ مَا يُسَبِّبُ بَدْوَرَهُ مَيْلٌ فِي الْمِشْيَةِ، وَرَجُلٌ أَخْنَفَ وَامْرَأَةٌ خَنْفَاءُ لَا يَمْشِيَانِ مَشْيًا مُسْتَقِيمًا، وَمِنْ أَسْمَاءِ الْعَرَبِ: الْأَخْنَفُ، بِمَعْنَى الْمَثَلِ الْمِشْيَةِ لَخَنْفٍ فِي بَاطِنِ قَدَمِهِ، وَلَقِبَ أَحَدُ أَشْهُرِ رِجَالِ الْعَرَبِ وَهُوَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْأَخْنَفِ لَاغِيًا جَاجَ كَانَ فِي رِجْلِهِ، وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ حَدِيثُ الرَّجُلِ الَّذِي اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فِي رَفْعِ إِزَارِهِ بِقَوْلِهِ: «إِنِّي أَخْنَفُ، تَضَطَّكَ رُكْبَتَايَ» مَسْنَدُ أَحْمَدَ، 32: 223.

¹⁰ لَا وَجُودَ لِحَرْفِ الْفَاءِ فِي السُّرْيَانِيَّةِ، وَكَانَ السُّرْيَانُ يَسْتَعِضُّونَ عَنْهُ بِمَا نَعْرِفُهُ الْيَوْمَ بِحَرْفِ الْبَاءِ الثَّقِيلَةِ، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْمُتَعَادِلِ قَلْبُ الْبَاءِ الثَّقِيلَةِ إِلَى فَاءٍ فِي أَغْلَبِ الْمُعَرَّبَاتِ مِنَ الْيُونَانِيَّةِ وَالسُّرْيَانِيَّةِ مَعًا، وَالْجِذْرُ السُّرْيَانِيَّ Hnpa مَعْنَاهُ الْحَرْفِي مَالٌ أَوْ زَاغٌ أَوْ ضَلَّ، لَكِنْ صِفَةٌ وَثْنِي Pagan لَيْسَتْ ضَمْنِ الْمَعَانِي الْحَرْفِيَّةِ =

وهو «قال»، وقد استخدمها السريان لوصف صابئة حَرَآن بالضالين أو الزائغين، ومن الغريب أن من العلماء المسلمين من تنبه إلى هذا¹¹.

وقد تسرب ذلك اللفظ السرياني إلى شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام، فقد اشتهرت به فرقة دينية عُرفت بالحنفاء، وهم قوم من المؤخدين، منهم من توصل إلى وحدانية الله - عز وجل - عقلاً، فرفض الشرك وعبادة الأصنام¹²، ومنهم من تمسك بديانة إبراهيم الخليل عليه السلام وعقيدته في التوحيد الخالص¹³، وعلى أية حال فإن المعلومات التي نستقيها عن الحنفاء من خلال المصادر شحيحة جداً، ومع ذلك فإننا نعرف أن هذا الاصطلاح قد أطلق على التمسكين بسنة إبراهيم عليه السلام في التوحيد، والحنان، وحج البيت دون تعظيم الأصنام، إذ كان العرب يُسمون من يفعل هذا «حنيفاً»¹⁴. وأهم معلوماتنا عن الحنفاء نستقيها من القرآن الكريم نفسه، في قوله تعالى:-

لللمعة السريانية، لكن السريان ربّما أرادوا بالفعل ذلك المعنى وصفاً لصابئة حَرَآن، كما يذهب فون جرونباوم، انظر:- G. E. VON GRUNEBAUM: *Classical Islam, a history, 600 AD to 1258 AD*, 4th Printing, New Jersey 2009, p 25. وهذا يتطابق مع قول البيروني: «وقد قيل أن هؤلاء الحنانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة، بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية»، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق إدوارد سخاوا، لبيزج 1923، 206، ويذهب كل من سينغ وأجوان إلى أن الجذر السرياني «حنَبو» ربّما كان مصري الأصل، فقد وجدت كلمة «حنَبو» Hanapu في نقوش تل العمارنة بمعنى «المعارضين» أو «المنافقين»، انظر:- N.K. SINGH, A. R. AGWAN: *Encyclopedia of the Holy Qur'an*, New Delhi, 2000, p 1203، والمثير للدهشة أن المقرئ استخدم كلمة الحنفاء بنفس هذا المعنى المصري القديم في عنوان كتابه «أتماظ الحنفا بأخبار الأئمة الحنفا».

¹¹ المسعودي: التنبيه والإشراف، بيروت 1968، 79-80.

¹² أحمد أمين سليم: جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، الإسكندرية 1997، 249.

¹³ JONATHAN PORTER BERKEY: *The formation of Islam; religion and society in the Near East*,

Cambridge 2003, p 48.

¹⁴ ابن منظور: لسان العرب، 2: 1026، وانظر أيضاً:- FRANCIS E. PETERS: *The Arabs and Arabla on the*

MAHIMOUD AYOUB: *The Qur'an and its* 1st eve of Islam, New York 1999, p 267.

interpreters, New York 1984. vol. 1, p 164.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
 [البقرة 135]. ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران 68]. ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
 [آل عمران 95]. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
 ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم 30]. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة 5].

إذا تأملنا الآيات السابقة فسنخرج بالتالي:-

- الحنيفية هي صورة التوحيد الخالص النقي، وهي نقيض الشرك بالله، كما أنها فطرة الله في خلقه.
- هي تراث إبراهيم الخليل عليه السلام، تمسك بها بعض العرب ممن رفضوا عبادة الأوثان والأصنام.
- الحنيفية الحققة جاء الإسلام لإقرارها لا لنسخها، ونبيذ ما دُون ذلك من مظاهر الشرك بالله.
- الحنيفية كانت اتجاهًا توحيدياً نقيًا خالصًا لم يتأثر باليهودية ولا بالنصرانية¹⁵.

ويبدو أنَّ ديانة الحنفاء لم تكن مُنتشرة انتشارًا واسعًا في شبه الجزيرة العربية¹⁶، فلم يحفظ لنا التاريخ سوى أسماء بضعة نفرٍ ممن كانوا عليها¹⁷، وعلى الرغم من هذا كان للحنيفية تأثيرها

¹⁵ روى البخاري في صحيحه بعضًا من مظاهر حنيفية زيد بن عمرو بن نفيل: وأبرزها أنه على دين إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يعبد إلا الله. صحيح البخاري: باب مناقب الأنصار، 5: 40. وقد أيد كل من وات وييل أن يكون حنفاء شبه الجزيرة العربية قد كونوا تيارًا توحيديًا مستقلًا تمامًا عن اليهودية والنصرانية وكذلك بعيدًا عن مؤثرات صابئة حرَّان ذات الطابع الوثني، انظر: - W. MONTGOMERY WATT, RICHARD BELL: Introduction to Qura'n, Edinburgh university press, 1970, p16.

¹⁶ وهذا ما يُفهم بجلاء من مقولة المسعودي: «ولمَّا أَكْثَرَ عَمْرُو بْنُ لُحْيٍ مِنْ نَصَبِ الْأَصْنَامِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَغَلَبَ عَلَى الْعَرَبِ عِبَادَتُهَا، وَأَنْمَحَتْ الْحَنِيفِيَّةُ مِنْهُمْ إِلَّا لَمَعًا». مروج الذهب ومعادن الجواهر، 1: 326.

¹⁷ أمثال زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحوثر، وسويد بن غامر المصطليقي، وعُمَيْرُ بْنُ جُنْدُبِ الْجُهَنِيِّ، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ. للتفصيل عن اتجاهاتهم الدينية والعقائدية انظر: - محمود عرفة محمود: العرب قبل الإسلام، القاهرة 1998، 273-276.

الفكري والعقدي الواسع في الديانات التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية، حتى أن التوحيد وعبادة الله - عز وجل - انتقلت إلى العقائد ذات الطابع الوثني لأغلب القبائل العربية من عبدة الأصنام، فنحن نلاحظ أنه حتى الديانات الوثنية كانت ذات طابع توحيدي في نهاية المطاف، وإن اضطلع بطابع وثني متأثر إلى حد ما بالغنوصية عبر الإيمان بالوسائط بين الباري وخلق¹⁸.

وكيفما كان الأمر فقد استخدم مشركو قريش كلا التعبيرين «صبا» و«صبا» بدون تمييز لوصف ميل المسلمين عن دينهم. كما واستخدموا تعبير «الحنفاء» والصائبين بالمعنى نفسه، فنحن نعرف أن الحنفاء كان قد التصق بهم المسمى نفسه «الصائبون» قبل ظهور الإسلام¹⁹، ونفهم من ذلك أن المراد بالصائبين المائلين أو الزائغين، وليس الخارجين عن ديانة قومهم كما قد يتبادر إلى الذهن من خلال المعنى اللغوي الدقيق للفعل صبا. إلا أن الحنفاء كانوا يرتضون تسميتهم بالحنفاء، طالما أن نبيهم وإمامهم - أعني إبراهيم عليه السلام - كان يوصف بالحنيف، كما أن اللفظة عندهم اتخذت معاني المائلين عن كل دين أعوج، أو المائلين إلى الدين الحق²⁰، إلا أنهم كانوا في الوقت نفسه يستقبلون وصفهم بالصائبين بنوع من الحساسية المفرطة، ولعل العرب المشركين كانوا يستخدمون اللفظة الأخيرة في مقام الاستهجان أو السب²¹.

¹⁸ يقول تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾. [يوسف 106] ويقول أيضا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَرْثِيَهُنَّ اللَّهُ زُلْفَى﴾ [الزمر 3].

¹⁹ المسعودي: التنبيه والإشراف، 79. والجدير بالذكر أن جواد علي أشار إلى أن كلتا الكلمتين «صبا - حنف» كانتا تُستخدمتا بمعنى واحد في لهجات العرب الجنوبية، وخرج جواد علي من هذا بنتيجة وهي: أنه لا فرق يذكر بين الكلمتين من ناحية المعنى، انظر: - المفضل، 6: 451.

²⁰ يقول ابن منظور أن «الحنيف» اصطلاحاً هو المائل إلى الحق، لسان العرب، 2: 1025-1026؛ وعند الرَّحْمَنِي أن الحنيفية هي الميل عن كل دين أعوج، أساس البلاغة، 1: 218، كما عند ابن عرفة الذي نقل عنه ابن منظور قوله: «إنما قيل للمائل أخنف تفاولاً بالاستقامة» لسان العرب، 2: 1026، وبهذا المعنى أخذها محمد بيكثال في ترجمته لمعاني القرآن الكريم فقد ترجم «الحنفاء» بمعنى "those who turn away" MUHAMMAD M. PICKTHALL: *The meaning of the glorious* - انظر from the existing idolworship

Qur'an; text and explanatory translation, 2 edition New York 1996, P. iv.

²¹ وهذا - في اعتقادي - ما يبرر غضب المسلمين من تسميتهم بالصائبة، فإذا كانت الصائبة هذه كلمة مشتقة من «صبا» بمعنى خرج عن دين قومه؟، فلماذا يعتبرها المسلمون سبة وقد نزل القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَيَا دِينِ. [الكافرون 1-6].

والثَّابِتُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلَ دَعُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْحَنْفَاءِ رَافِضِينَ تَسْمِيَةَ الْمُشْرِكِينَ لَهُمْ بِالصَّابَةِ فِي عَصْرِ صَدَرِ الدَّعْوَةِ²²، فَقَدْ نَزَلَتْ بَعْضُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَكِّيِّ اخْتِفَاءً بِالْحَنِيفِيَّةِ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالتَّمَسُّكِ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَفِي أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»²³، «وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»²⁴، وَدَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ بِقَوْلِهِ «هَلْ لَكَ فِي الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَّةُ؟»²⁵، وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِذَلِكَ صَارَتْ كَلِمَةُ «حَنِيف» فِي ذِهْنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ مُرَادِفَةً تَمَامًا لِكَلِمَةِ «مُسْلِم».

وَنَخْرُجُ نَحْنُ سَبَقَ بِتَتِيحَةِ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ يُذَكَّرُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْاِصْطِلَاحِيَّةِ بَيْنَ أَلْفَازِ الصَّابَةِ - الْحَنْفَاءِ، وَأَنَّ «حَنْفَ» وَ«صَبَا» وَ«صَبَا» كَانَتْ جَمِيعًا تُسْتَخْدَمُ بِالْمَعْنَى نَفْسُ، وَهُوَ الْوُضْعُ بِالْمَلِيلِ. وَفِي هَذَا فَإِنَّ الْمُسْتَشْرِقَ جُوسَ بِيَدْرِسَنَ يَسْتَحَقُّ الثَّنَاءَ عَلَى جُهْدِهِ الْاِسْتِثْنَائِيِّ فِي هَذَا الصَّدَدِ، فَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ نَوَّهَ إِلَى وَجُودِ عِلَاقَةٍ قَوِيَّةٍ بَيْنَ صَابَةِ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ الْحَنْفَاءِ، بَلْ ذَهَبَ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ حِينَ قَرَّرَ أَنَّ صَابَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُمْ هَؤُلَاءِ الْحَنْفَاءِ أَنْفُسُهُمْ²⁶.

وَفِي الْوَاقِعِ لَمْ يَنْطَلِقْ بِيَدْرِسَنَ مِنْ قَرَاغٍ، فَالْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْحَنْفَاءِ وَالصَّابَةِ فِي الْعُرْفِ الْعَرَبِيِّ هِيَ عِلَاقَةٌ مُحَقَّقَةٌ كَمَا رَأَيْنَا، وَلَكِنْ يَجْدُرُ التَّسَاوُلُ، هَلْ يَتَوَقَّفُ اِصْطِلَاحُ الصَّابَةِ عِنْدَ الْحَنْفَاءِ فَحَسَبَ كَمَا يَذْهَبُ بِيَدْرِسَنَ؟، وَإِذَا كَانَ الصَّابَةِ هُمْ هَؤُلَاءِ الْحَنْفَاءِ فَحَسَبَ فَلِمَاذَا كُلُّ هَذَا التَّضَارُّبِ الَّذِي نَشَأُ بَيْنَ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ فِي تَحْدِيدِهِمْ؟، وَمَا هِيَ طَبِيعَةُ الْعِلَاقَةِ الَّتِي تَرْتَبُطُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْحَنْفَاءِ وَبَيْنَ الْمُنْدَائِيِّينَ وَالْحَزْنَانِيَّةِ، وَهُمْ جَمِيعًا قَدْ اشْتَرَكُوا فِي حَمْلِ اللَّقَبِ ذَاتِهِ؟، وَهَلْ اشْتَمَلَ ذَلِكَ اللَّقَبُ عَلَى أَقْوَامٍ آخَرِينَ؟، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَنْ هُمْ؟ وَمَا هِيَ الْقَوَاسِمُ الْمَشْتَرَكَةُ الَّتِي تَجْعَلُهُمْ يَشْتَرِكُونَ جَمِيعًا فِي حَمْلِ اللَّقَبِ ذَاتِهِ؟.

²² ابن منظور: لسان العرب، 2: 1026.

²³ البخاري: صحيحه، باب الإيثار، 1: 16.

²⁴ ابن حنبل: مسنده، 36: 624.

²⁵ المصدر نفسه، 24: 417.

²⁶ D. S. MARGOLIOUTH: *The relation between* - فارن أيضًا - PEDERSEN: *the Sabians*, pp 387- 389

Arabs and Israaelites prior to the rise of Islam, London 1924, p 82.

الواقع أنّه لن يتأتّى لنا الإحاطة والفهم العميق لمصطلح الصّابئة بوضوح وجلاء إلا من خلال تحليل النصوص الواردة في المصادر العربيّة على اختلافها، خاصّة تلك التي تتضمّن في طيّاتها الإشارة إلى تحديد دقيق للأقوام التي حملت هذا اللقب، ثم إخضاع ما يُسفر عنه ذلك التحليل من نتائج للدراسة، ثم الخروج بنظرية عامّة حول ذلك اللقب، والسّمات المشتركة بين الأقوام التي حملته.

إن تحليل النصوص المهمّة والتي جاءت في ثنايا المصادر، وتضمّنت الإشارة بوضوح إلى الأقوام التي لُقبت بالصّابئين، أو وُسمت بالصّابئيّة، يكشفُ بجلاء عن مدلول وكُنه كلمة «الصّابئة» في الكتابات الكلاسيكيّة الإسلاميّة، فليس هو المفهوم الضيق الذي يعني كُلاً من الحنفاء والمندائيّين والحرثانيّة فحسب، بل امتدّ ليشمل سائر أديان العالم القديم برُميتها في مرحلة ما قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث الكبرى، فأديان العالم القديم انحصرت عند العلماء المسلمين في ديانة واحدة وهي «الصّابئيّة». فقد دخل تحت هذا المصطلح كلٌّ من: الهنود²⁷ والفرس حتّى ظهور الزرادشتيّة²⁸، وأهل العراق من النبط²⁹ والكلدان والسريان³⁰ قبل اعتناقهم للنصرانية. واليونان³¹ [الإغريق]، والرّوم³² [الرّومان] عبّور ما قبل قُسطنطين الكبير، والذي كان أوّل من اعترف بالمسيحيّة كديانة مُعترف بها ضمن ديانات الإمبراطوريّة

²⁷ الأسفرايني: التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، بيروت 1983، 150.

²⁸ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو اليسوعي، بيروت 1912، 17.

²⁹ الشهرستاني: الملل والنحل، 1: 231.

³⁰ أبو بكر الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق عبد السلام شامين، بيروت 1994، 1: 51. قارن أيضًا المجريطي: غايّة الحكيم، 80؛ قارن أيضًا ابن وحشية النبطي الذي يعدّ كل من النبط القدماء والسورانيون [السريان] والكلدان والكسّدان والحرثانية ضمن فرق الصّابئة، انظر: - شوقُ المُستَهام في معرفة رموز الألقام، تحقيق جُوزيف هاتمر، لندن 1806، 114.

³¹ المسعودي: التنبيه والإشراف، 106؛ البيروني: الآثار الباقية، 205.

³² المسعودي: المصدر نفسه، 118.

الرُّومَانِيَّة، بِالإِضَافَةِ إِلَى قِبْطِ مِصْر³³ [المَصْرِيُّونَ الْقُدَمَاء] عَصُورَ مَا قَبْلَ انْتِشَارِ الْمَسِيحِيَّةِ بَيْنَهُمْ، كَمَا دَخَلَ ضِمْنَ هَؤُلَاءِ الصَّابِنَةِ أَيْضًا أَهْلُ الصِّينِ³⁴، وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ قَبْلَ دُخُولِ النَّصْرَانِيَّةِ الْبِلَادِ³⁵، بِالإِضَافَةِ إِلَى الصَّقَالِبَةِ³⁶، وَكَذَا الْأَثْرَاكُ مِنْ سُكَّانِ الْأَصْفَاقِ الَّتِي تَلِي بِلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ. هَذِهِ الْأُمَمُ عَلَى تَنَوُّعِ دِيَانَاتِهَا وَتَعَدُّدِهَا كَانَ يَشْمَلُهُمْ جَمِيعًا مُسَمًّى الصَّابِنَةِ.

وَإِذَا أَمَعْنَا النَّظَرَ، فَلَمْ يَكُنِ الْخُتْفَاءُ هُمْ كُلُّ الصَّابِنَةِ، كَمَا لَمْ يَكُنْ مُسَمًّى الصَّابِنِينَ يُرَادُ بِهِ الْغَنُوصِيُّونَ بِشَكْلِ عَامٍ، بَلْ إِنَّمَا نَجِدُ أَنَّ تَسْمِيَةَ «الصَّابِنَةِ» كَانَتْ شَدِيدَةً الْعُمُومِيَّةَ إِلَى حَدٍّ يُثِيرُ الدَّهْشَةَ، وَأَنْسَحَابَهَا عَلَى الْخُتْفَاءِ وَالْفِرْقِ الْغَنُوصِيَّةِ فَحَسَبَ هُوَ جُزْءٌ فَقَطْ مِنَ الْحَقِيقَةِ.

فَقَطْ كُلُّ مَا يُلْفَتُ النَّظَرُ فِي الْمَعْطِيَاتِ السَّابِقَةِ هُوَ تِلْكَ الْعَلَاقَةُ الدَّقِيقَةُ وَالْحَسَّاسَةُ بَيْنَ الْخَفِيفَةِ وَالصَّابِنَةِ كَمُضْطَلَحَيْنِ مُتَدَاخِلَيْنِ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَرَى جَانِ هَارِبٍ أَنَّ كِلَا الْمُضْطَلَحَيْنِ اتَّخَذَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَعْنَى عَكْسَتِهِ عِلَاقَةُ الْإِسْلَامِ بِالْأَدْيَانِ الْكِتَابِيَّةِ الْأُخْرَى، فَنَجِدُ صُورَةَ الْخُتْفَاءِ تَعَكِّسُ صُورَةَ الْإِسْلَامِ وَهِيَ تَرْمِزُ إِلَى التَّوْحِيدِ النَّقِيِّ الْخَالِصِ، وَتَتَضَمَّنُ فِي طَيَّانَاتِهَا الْإِسَادَةَ، بِعِبَارَةِ أُخْرَى يَظْهَرُ الْخُتْفَاءُ فِي الْكُتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ عَصُورَ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، أَمَّا صُورَةُ عَامَّةِ الصَّابِنَةِ فَهِيَ تَعَكِّسُ صُورَةَ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِيمَا بَعْدَ، وَتَتَضَمَّنُ فِي طَيَّانَاتِهَا التَّنِيدَ، وَتَعَكِّسُ صُورَةَ الضَّلَالِ وَالزَّيْغِ، أَيْ صُورَةَ أَقْرَبِ أَهْلِ الذِّمَّةِ كَمَا عَرَفَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَأَنْسَحَبَتْ عَنْهُمْ عَلَى عَصُورِ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ عَلَى حَدِّ تَشْخِيصِ هَارِبٍ³⁷.

وَلَا أَظُنُّ أَنَّ الصَّوَابَ قَدْ حَالَفَ هَارِبَ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، إِذْ إِنَّ الْكُتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ - لَا سِيَّامَا الْمُبَكَّرَةَ مِنْهَا - تَتَعَامَلُ مَعَ اضْطِلَاحِي الْخَفِيفَةِ وَالصَّابِنَةِ عَلَى اعْتِبَارِ أَتَّهَمَا مُتَرَادِفَانِ، مَعَ

³³ القفطي: إخبار العلماء، 20.

³⁴ المسعودي: أخبار الزمان، ومن أباداةُ الحدثان، وعجائب البلدان، والغامر بالماء والعمران، القاهرة 1938، 71.

³⁵ المسعودي: مروج الذهب، 1: 244؛ أبو بكر الدَّوْدَارِي: الدُّرَّةُ الْيَتِيْمَةُ فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْقَدِيمَةِ، الْقِسْمُ الثَّانِي

مِنْ كِتَابِ كَنْزِ الدَّرَرِ وَجَامِعِ الْغُرَرِ، تَحْقِيقُ إِدْوَارْدَ بَدِين، بَيْرُوتَ 1994، 95.

³⁶ الدَّوْدَارِي: الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 2: 90.

³⁷ HAJARPE: *Analyse critique*, P 24.

مُراعاة عدم المسّاس بحقيقة أنّ الحُنفاء في شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام هم من الموحّدين من أتباع إبراهيم عليه السلام، ولا علاقة لهم البتّة بالحُنفاء من أهل الملل القديمة، ويظهر ذلك بجلّاء عند المشعّودي³⁸، والبيروني³⁹، وصاعد الأندلسي⁴⁰، بينما تحاول الكتابات المتأخّرة تحجّب ذلك الخلط في استخدام مُصطلح الحنيفيّة كمُرادف للصّابئيّة، بل كمُقابل لها، فتقتصرُ على إثبات الصّابئيّة فقط كصفةٍ لأذيان الأمم القديمة، والحنيفيّة كصفةٍ للتّوحيد، كما نرى بوضوح عند الشّهريستاني والذي جعل الصّبوة - أي الوثنيّة - في مقابل الحنيفيّة أي التّوحيد الحاصل⁴¹، وحذا حذوه القفطي وأبو الفدا⁴² وابن كثير⁴³ وابن خلدون⁴⁴ والقلقشندي⁴⁵.

وقد رأينا من قبل أنّ اصطلاح الحُنفاء هو اصطلاح سُرياني قديم أُريد به الإشارة إلى هؤلاء الوثنيين القدماء، لذا كان من الطّبيعي ألا يندرج تحته بقاياهم من صابئة حرّان فحسب من دون أن يشمل أسلافهم من الإغريق والرّومان والمصريّين وسائر الأمم القديمة قبل اعتناقهم للنّصرانيّة. كما رأينا فيما سبق كيف دخل هذا المصطلح نفسه - أغني الحُنفاء - إلى لغة العرب فخصّوا به هؤلاء الموحّدين على ملّة إبراهيم عليه السلام، أو هؤلاء الذين اعتقدوا في التّوحيد عقلاً ورفضوا عبادة الأصنام، كما رفضوا اعتناق الملل الكنيانيّة كاليهودية والنّصرانيّة. ومن الواضح أن هذا التّدخل في استخدام مُصطلحي الصّابئة والحُنفاء هو نتيجة اختلاف معاني كلا المُصطلحين في التراثين السّرياني ونظيره العربيّ.

³⁸ التنبيه والإشراف، 106.

³⁹ الآثار الباقية، 206.

⁴⁰ طبقات الأمم، 17.

⁴¹ الملل والنحل، 2: 5.

⁴² المختصر في أخبار البشر، القاهرة د.ت، 1: 81 - 82.

⁴³ البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسين التركي، القاهرة 1997، 3: 86.

⁴⁴ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، نشرة خليل شحادة؛ سهيل زكار، بيروت 2000، 2: 89.

⁴⁵ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة 1922، 5: 392.

لذا فقد مالت الكتابات العربية المتأخرة - والتي تخلصت من ذلك التشويش الذي سببه ذلك التأثير السرياني - إلى تقسيم هؤلاء الصابئة إلى صابئة حنفاء، أي هؤلاء الموحدين، وقد أدرجت المصادر العربية ضمن هؤلاء الحنفاء من وُحِدَ الله وفقاً لدعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام بعيداً عن كلتا المؤثرات اليهودية والنصرانية، إلى جانب من توصل إلى وُحْدَانِيَّةِ الله - عز وجل - عقلاً، وهؤلاء هم الصابئة الفلاسفة، وهذا المسمى الأخير ربما أراد العلماء المسلمين به - على الأرجح - الإشارة إلى الفرق ذات التوجه الغنوصي الفلسفي القائم على التوحيد بلا كتاب ولا نبي.

أما الصابئة المشركون فقد كانوا ينقسمون بدورهم إلى قسمين عظيمين: القائلون بالهياكل، وهم عبدة الكواكب والنجوم والأجرام السماوية، والآخرين هم القائلون بالأشخاص، وهم عبدة الأضنام والأوثان⁴⁶. وهي عبادات تميّزت بها حضارات مصر وبلاد الرافدين، والإغريق، والرومان، وأهل الهند والصين، والأتراك والاندلس قبل انتشار المسيحية.

نخرج مما سبق بالتتابع التالية:

- تسمية الصابئة هي تسمية عربية محلية مشتقة من الجذر العربي «صَبَا» بمعنى مال، وتعني أهل الليل القديمة قبل ظهور الديانات السماوية، ونشأت بين العرب بتأثير انتشار لفظة سُرْيَانِيَّة وصف بها السريان ديانة الحرثانية، فالجذر المعرب «حَنَف» بمعنى «مال» إنما هو جذر سُرْيَانِي عَرَبٌ بنفس معناه، وهو في الأصل تسمية أطلقها النصارى السريان على الحرثانية⁴⁷ بمعنى المائلين أو الزائغين، وتعرّب الجذر السرياني في العربية

⁴⁶ نفسه، 2: 58-60.

⁴⁷ وفي شأن إطلاق السريان لفظة الحنفاء على عابدي الكواكب والنجوم، راجع: - يعقوب الزهاوي: الأيام

إلى «حَنَفٍ»، واستُخدمت لفظة «الحَنَفَاء» محلياً في شبه الجزيرة العربية على الذَّم من قبل المُشركين لوصف مُناوئهم في الدِّين، بمعنى: «الرَّاغِبِينَ» أو «المَائِلِينَ» أو «الصَّالِينَ»، وبين هؤلاء الحَنَفَاء أَنفُسُهم بمعنى المَائِلِينَ إلى الدِّين الحقِّ، أو المَائِلِينَ عن كُلِّ دينٍ أَعْوَجَ. كما استُخدمت المعاني المُشتَقَّة من مُكافئ «حَنَفٍ»، «صَبَاً»، كـ «الصَّبُوءة» و«الصُّبَاة» و«الصَّابِينَ» كمرادفاتٍ للفظ «الحَنَفَاء»، وأجاز العرب همز «صبا»، فسمع منهم «الصَّابِنِينَ والصَّابِتُونَ».

■ اتَّسع نطاق اللفظ اصطلاحياً مع الوقت نتيجة تداخلات مُعقدة بين التُّراث العربي القائم على اعتبار الحَنَفَاء قَوْم من المُوحِّدين من أتباع ديانة إبراهيم عليه السلام، وبين التُّراث السُّرياني والذي يَعتبر الحَنَفَاء قَوْم من الوثنيين الذين فضَّلوا البقاء على وثنيَّتهم ورغبوا عن المسيحيَّة، ومن ثمَّ شمل لفظ الصَّابِئِينَ اصطلاحاً كلَّتا الفِرقتين، فانقسموا إلى صابئة مُوحِّدين، وصابئة مُشركين، وهؤلاء انقسموا بدورهم إلى قِسْمين هُما: أَصْحَاب الهَيَاكِل، وَأَصْحَاب الْأَشْخَاص. وبذلك امتدَّ اللَّقبُ ليُصبح علماً على الديانات الوثنيَّة القديمة، ليشمل المُضريين والباليين والإغريق والرومان في مرحلة ما قبل ظُهور الديانات السَّماوية.

السته، 100. وانظر أيضاً: - ماري بن سُلَيْمَانَ: أخبار بطارقة كرسى المشرق، 56. ويُشير المجريطي إلى كتاب مُقدس لصابئة حرَّان يُدعى مُصحف الحَنَفَاء، انظر: - غَايَةُ الْحَكِيم وَأَوَّلَى التَّجَبُّتِينَ بِالتَّقْدِيم، تحقيق هيلموت ريتز، هامبورج 1927، 205. ولا نُخبرنا المصادر عن موقف صابئة حرَّان إزاء تلقيبهم بالحَنَفَاء قبل انْتِشار الإسلام، ولعلَّهم كانوا يضيِّقون بها. لكنَّهم تَمَسَّكُوا كثيراً بهذا اللَّقب بعد ظُهور الإسلام، نظرًا لما لهذه الكلمة في الإسلام من وقع مُقدس في نفوس المسلمين، ففي ترجمة ابن خُلِّكَان لأبي إسحاق الصَّابِئ يُشير إلى أنَّه كان من الحَنَفَاء، وفيات الأعيان وأنباء الرِّمَّان، تحقيق إحسان عيَّاس، بيروت 1968، 1: 54. قارن أيضاً: - ابن العِباد الحَنْبَلِي: شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط؛ عمود الأرناؤوط، دمشق 1989. 4: 438-439.

- صَابِئَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُمْ الْمُوحِدُونَ فَحَسَبَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَالَّذِينَ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ الْآخَرِيِّ، عَلَى اخْتِلَافِ هَذِهِ الْأُمَمِ وَاخْتِلَافِ دِيَانَاتِهَا، يُدْعَمُ ذَلِكَ أَنَّ آيَتِي الْبَقَرَةِ وَالْمَائِدَةِ جَعَلَتِ الصَّابِئِينَ إِلَى جَانِبِ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِمَّنْ يَحْظَوْنَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يُلَفَّتِ النَّظَرُ فِي الْآيَتَيْنِ حَقًّا - وَلَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَى ذَلِكَ الْمُفَسِّرُونَ - هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والمعروف أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالْمَسِيحِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ تَشْتَرِكُ جَمِيعًا فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهَذَا الشَّرْطُ قَدْ وُضِعَ خَصِيصًا لَتَجْدِيدِ مَنْ هُمُ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الصَّابِئِينَ الْمَعْنِيُّونَ بِالِدُخُولِ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ، أَيْ هَؤُلَاءِ الْمُوحِدُونَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ فَحَسَبَ مِنْ بَيْنِ جُمُوعِ الصَّابِئِينَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَذَلِكَ قَبْلَ ظَهُورِ الْإِسْلَامِ الَّذِي نَسَخَ تِلْكَ الشَّرَائِعَ جَمِيعًا⁴⁸.

وَفِي ضَوْءِ مَا تَقَدَّمَ يُمَكِّنُ فَهَمُ رَوَايَةِ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةٍ فِي الْفَخْرِ بِقَوْمِهِ مِنَ الصَّابِئِينَ، يَقُولُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ⁴⁹:

«وَأَبِي الْحَسَنِ [ثَابِتُ بْنُ قُرَّةٍ] حُطْبَةٌ وَصَفَ بِهَا حِرَّانَ
وَالصَّابِئَةَ وَرَدَّ فِيهَا مَا تُعْرِيهِ:-
«لَقَدْ اضْطَرَّ الْكَثِيرُونَ أَنْ يَتَقَادُوا لِلضَّلَالِ خَوْفًا مِنْ

⁴⁸ وَيُدْعَمُ وَجْهَ نَظَرِي أَنْ سَبَبَ نَزُولِ الْآيَةِ 62 مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ كَمَا جَاءَ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ: هُوَ وَصَفَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ ﷺ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ عَاشَ بَيْنَهُمْ قَبْلَ اعْتِنَاقِهِ الْإِسْلَامَ، وَحَدِيثُهُ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ سَيَعْتَنِي نَبِيًّا خَاصًّا يُدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، فَلَمَّا فَرَّغَ سَلْمَانُ ﷺ مِنْ ثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: يَا سَلْمَانُ! هُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى سَلْمَانَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا...﴾ الْآيَةِ. وَهَذَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُؤَيِّدَ مَا أَقُولُ بِهِ مِنْ أَنَّ صَابِئَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُمْ أَهْلُ الْمِلَّةِ الْقَدِيمَةِ مِنَ الْمُوحِدِينَ الْقَائِلِينَ بِالتَّوْحِيدِ وَالبَعْثِ، مَا بَادَ مِنْهَا وَمَا بَقِيَ زَمَنَ ظَهُورِ الْإِسْلَامِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَقْصُودِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

⁴⁹ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: تَارِيخُ الزَّمَانِ، تَرْجَمَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ الْأَبْ إِسْحَاقُ أُرْمَلَةُ السَّرْيَانِي، بَيْرُوتَ 1986، 48-49.

العذاب. أمّا أبائونا فقد احتملوا ما احتملوا - بعونه تعالى -
 ونجوا ببسالة. ولم تندس مدينة حرّان هذه المباركة بضلال
 الناصرة قطعاً. فنحن هم الوارثون والمورثون للصّابئة المتشيرة
 في الدنيا، فالذي يَحْتَمِلُ برجاء وثيق أنقال الصّابئة يُعَدُّ ذا حظٍّ
 سعيد. لَيْتَ شعري مَنْ عَمَرَ الْمَسْكُونَةَ؟ وابْتَنَى الْمَدْنَ؟، أليسَ
 خَيْرَ الصّابئة وملوكهم؟! مَنْ أَسَّسَ الْمَرافِئَ والأَنْهَارَ؟، مَنْ
 شَرَحَ الْعُلُومَ الْعَامِصَةَ؟، لَمَنْ تَجَلَّتْ الْأَلْهُوِيَّةُ الْمَلَقَنَةُ لِلْكَهَانَةِ،
 وَالْمُعَلِّمَةُ الْمُسْتَقْبَلَاتِ؟ إِلَّا لِمُشَاهِيرِ الصّابئة. فهُمْ الَّذِينَ أَوْضَحُوا
 ذَلِكَ كُلَّهُ، وَكُتِبُوا عَنْ طِبِّ النَّفُوسِ وَخَلَاصِهَا، وَلَقِّنُوا كَذَلِكَ
 طِبَّ الْأَجْسَادِ، وَأَفْعَمُوا الدُّنْيَا أَعْمَالاً صَالِحَةً وَحَكِيمَةً. هِيَ
 دُعَاةُ الْفَضِيلَةِ، فَلَوْلَا عُلُومُ الصّابئة لَأَمْسَتْ الدُّنْيَا قَفَرَاءَ
 فَارِغَةً، مُتَقَلِّبَةً فِي الْعُوزِ».

لا يُمكن أن نفهم حديث ثابت بن قُرة في ضوء المنظور الضيق الذي يعتبر الصّابئة
 فريقين فحسب هما: المندائيون والحرثانيّة، خاصّة حديثه عن «الصّابئة المتشيرة في الدنيا»، وعن
 تعمير المسكونة، وبناء المدن وإنشاء المرافئ والأنهار، وبصفة أخص الفقرة التي يتحدّث فيها
 عن «خيرة الصّابئة وملوكهم»، ومن الواضح أن ثابت بن قُرة يعني بوصفه الصّابئة مفهومًا
 أكبر وأشمل من هاتين الفريقيّتين الدينيّتين الصّغيرتين. إنّه - وببساطة - يتحدّث عن أهل
 الحضارات القديمة، في عصور ما قبل ظهور وانتشار المسيحيّة، وحديثه هذا يعكس نفس
 المفهوم الإسلامي الواسع لمصطلح الصّابئة كما مرّ بنا، ويترتب على هذا دخول كل من
 المندائيّين والحرثانيّة معاً ضمن مصطلح الصّابئين بمعناه الكبير العام، ودون الحاجة للخوض
 في المزايل التي فرضتها قضية الصّابئة الحقيقيّين، والتي أثّرت تأثيرًا عميقًا على الدّراسات
 والبحوث المتعلّقة بالصّابئة منذ طرح خوالص رؤياه في هذه القضيّة وحتى يومنا هذا.

الفصل

الثالث

3

أصول الصَّابئة المندائيين

«إنَّ البَحثَ في نِشأةِ المُعتقداتِ الدِّينيةِ للصَّابئةِ المندائيين وتطوُّرها، وتاريخِ هذهِ المجموعةِ وتفاعلِها مع البيئاتِ النَّكريمِيَّةِ التي وُجدت فيها يُعدُّ أمرًا في غايةِ الصَّعوبةِ والتَّعقيدِ. وليسَ أمامَ الباحثِ فُرصةُ القطعِ في أيِّ منها دونَ أن يُفسِّرَ بموضوعيَّةٍ، إنَّ الفُرصةَ الذي يُلَفُّ تاريخَ هذهِ الطائفةِ ومُعتقداتها لا يمدُّ مجالاً للباحثِ في التَّعقيدِ بطريقةٍ واحدةٍ يمتارها للمُعالَبةِ؛ فهو ما إن يشرعَ في تناولِ الأمرِ، استنذَرَ إلى المعطياتِ النَّكريمِيَّةِ - وهي محدِّداتُها نزرًا يسيرًا جدًّا، وتنطوي على تَعقيداتٍ وإشكالاتٍ كثيرةٍ - حتَّى يجمدَ نفسه بعدَ لُحْيِ إمامِ أبوابِ مُوصدةٍ، فيضطرُّ للعودةِ سهِ أجلِ تناولِ الموضوعِ سهِ زاويةٍ أُخرى أُملأُ في دفعِ التَّقصِّي حُلَّةٍ أُخرى إلى الأمامِ».

عزير سباهي

حَوْلَ صِفَتَيِ الرَّافِدِينَ، وبِخَاصَّةٍ فِي الْمَنَاطِقِ السُّفْلَى مِنَ النَّهْرَيْنِ - وفيما يصطَلح الجُغْرَافِيَّونَ عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالْبَطَّائِحِ - حَيْثُ يَصُبُّ النَّهْرَانِ الْعَظِيمَانِ مِيَاهَهُمَا فِي تِلْكَ الْأَهْوَارِ، اسْتَوْطَت - وَلَا تَزَالُ - طَائِفَةُ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّينَ، وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ مُجَاوِزُوهُمْ اسْمَ الصَّابَةِ، بَيْنَمَا لَمْ يَعْرِفُوا هُمْ أَنْفُسَهُمْ بِهَذَا الْاسْمِ قَطْ - كَمَا سَبَقَ الْقَوْلُ - بَلْ أَطْلَقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ اسْمَ «الْمَنْدَائِيَّينَ» وَهِيَ لَفْظَةٌ أَرَامِيَّةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْجِذْرِ الْأَرَامِيِّ «مَنْدَع» بِمَعْنَى «عَرَفَ». فَهُمْ: «أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ»، أَوْ «الْعِرْفَانِيَّينَ»¹، وَهِيَ تَسْمِيَةٌ لَهَا دَلَالَتُهَا الْغَنُوصِيَّةُ الَّتِي لَا تَخْفَى.

وَيَفْضَلُ بَاطِنِيَّةُ هَذِهِ الْمِلَّةِ، وَالْقِيُودَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَى إِطْلَاعِ الْأَغْيَارِ عَلَى دِقَاقِي هَذَا الدِّينِ؛ لَمْ يَعْرِفْ جِيرَانَهُمْ - وَعَلَى الْأَخْصَ الْمُسْلِمِينَ - هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْبَسِيطَةَ، وَظَلُّوا يَدْعُونَهُمْ بِالْاسْمِ الَّذِي أَطْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ - وَهُوَ الصَّابَةِ، أَوْ صَابَةِ الْبَطَّائِحِ، أَوْ الْمُتَغَسِّلَةِ - فَقَدْ أَحَاطَ الْمَنْدَائِيُّونَ دِينَهُمْ وَعَقَائِدَهُمْ بِسِيَاحِجِ هَائِلٍ مِنَ السَّرِّيَّةِ بِحَيْثُ لَمْ يَتِمَكَّنْ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَةِ دِيَانَتِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، رَغْمَ الْمُحَاوَلَاتِ الْجَادَّةِ الَّتِي حَاوَلَهَا الْبَعْضُ مِنْهُمْ، حَتَّى إِنَّ الْبِيرُونِيَّ ذَكَرَ أَنَّهُ بَحَثَ طَوِيلًا فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ الصَّابَةِ الْكَائِنِينَ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ حَوْلَ قُرَى وَاسِطَ فَمَا حَصَلَ مِنْ أَسْبَابِهِمْ شَيْئًا بَيِّنَةً، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ².

تَدُورُ اعْتِقَادَاتُ الْمَنْدَائِيَّينَ حَوْلَ وَجُودِ خَالَتِي أَرْيَ وَاحِدَ مُنْزَرَةٍ³، وَاعْتِقَادَهُمْ فِي اللَّهِ يُشَبِّهُ كَثِيرًا اعْتِقَادَ بَاقِي الطَّوَائِفِ الْغَنُوصِيَّةِ، فَهُمْ يُدْرِكُونَهُ عَنْ طَرِيقِ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ، وَهُمْ لَا يُعْبَرُونَ عَنْهُ إِلَّا بِصِغَةِ الْجَمْعِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ انْبَعَثَ مِنْ ذَاتِهِ⁴، وَيَلِي الْإِلَهَ - الْكُلِّيَّ الْقُدْرَةَ - مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ التُّورَانِيَّةِ (الْمَلَائِكَةِ)، وَهُمْ الْقُدْرَةُ عَلَى أَفْعَالِ الْآلِهَةِ لَكِنَّهُمْ لَيْسُوا بِالْآلِهَةِ،

¹ J. JACOBSEN BUCKLEY: *Mandaean religion*, in: the encyclopedia of religion, Vol. 9, p 150.

² الْقَائِنُونَ الْمَسْعُودِي، 1: 367.

³ E. S. DROWER: *The canonical prayer book of the Mandaeans*, p 9.

⁴ الْعِبَارَةُ الْمَنْدَائِيَّةُ «إِلَهَ إِذْ مِنْ نَافَثِي أَفْرِشٍ» وَتَرْجَمُ بِالْعَرَبِيَّةِ إِلَى «الْإِلَهُ الَّذِي انْبَعَثَ مِنْ ذَاتِهِ»، نَعِيمٌ بِدَوِي؛ غَضْبَانٌ رُومِي، مَقْدَمَةُ النُّشْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِكِتَابِ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّينَ لِلْيَدِيِّ دِرَاوَر، 19.

فلهم القدرة على الخلق، وهم مخلوقات مُتوسّطة بين الرُّوحانيّة والماديّة، فالروحانيّات لديهم مخلوقة من كلام الله، وكلام الله لا يصل إلا بواسطة مخلوق بين النور والثراب⁵، ويُعد ذلك تجسيداً للمعتقدات الغنوصية بوجود وسائط بين الخالق وخلقهِ، وهذه المخلوقات تعمل على إدارة الكون وتحقيق مشيئة الخالق.

كما يعتقد المندائيون بالبعث والحساب والحياة الأخرى بعد الوفاة، لكن العقيدة المندائيّة تتميز بنظرية العالم الموازي، إذ يعتقد المندائيون بنهاية العالم⁶، لكنهم لا يعترفون بقيام الحياة الأبديّة على أنقاض الحياة الأولى في هذا العالم، وإنّما يعرفون العالم الآخر بأنّه عالم مواز، أي كائن في اللحظة نفسياً، كما هي الحال بالنسبة لعالمنا الماديّ، فالروح تُحاسب بعد الموت مباشرة، ولا وجود للبرزخ ولا للقيامة في المندائيّة، فالمندائيون يؤمنون بنهاية العالم ولكن ليس بالضرورة قيام الدنيوتة لأنّها قائمة الآن بالفعل، لذا فهم يعتقدون أنّ الروح خالدة بيننا الجسد فإن⁷.

ويؤمن المندائيون بالحساب والعقاب، وأنّ الأبرار منهم يذهبون بعد الوفاة إلى عالم النور، بينما يذهب المذنبون إلى عالم الظلام، ولا يصوم المندائيون بالامتناع عن الطعام والشراب، وإنّما يُحظر عليهم أكل اللحوم لحمسة أسابيع فحسب من العام، وهم كذلك يُتزوّنون الله، ويُعظمون ملائكته، ويعتقدون أنّ مقرّ الملائكة في الكواكب السبع السّيارة، ولذلك فإن تعظيمهم للنجوم هو تقديس للملائكة لا للكواكب نفسها⁸.

⁵ المرجع نفسه، 21.

⁶ دراور: الصابئة المندائيون، 49.

⁷ بدوي؛ رومي: مقدمة كتاب الصابئة المندائيون، 19.

⁸ بدوي؛ رومي: المرجع نفسه، 21. قارن أيضاً تشابه بعض الأفكار ذات الأصل الغنوصي مع بعض الفرق المسيحية التي وُسمت بالهرطقة بشأن خلق الملائكة السبعة للعالم في: - ماري بن سُلَيان: أخبار بطارقة كُرسى المشرق، 14-15. ومن الواضح أنّ عبادة الملائكة واعتبارها خالقة العالم قد تسرّبت بشكل ما إلى شبه الجزيرة العربيّة حيث وُجدت فيها بعض الأفكار الغنوصيّة المشابهة، نستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبا: 40].

يُؤْمِنُ الْمَنْدَائِيُّونَ أَيْضًا أَنَّ دِينَهُمْ دِينٌ قَدِيمٌ، بَلْ إِنَّهُ أَقْدَمُ الْأَدْيَانِ عَلَى الْأَرْضِ، فَهُمْ يَنْسُبُونَ كِتَابَهُمُ الْمُقَدَّسَ الرَّئِيسَ «الْكَتَرُ رُبَا» إِلَى آدَمَ ~~الْكَتَرُ~~، كَمَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ سَامَ بْنَ نُوحٍ هُوَ جَدُّهُمْ الْأَعْلَى، وَنَبِيُّهُمْ بَعْدَ آدَمَ وَنُوحٍ⁹، كَمَا يَعْتَقِدُونَ بِوُجُودِ صِلَاتٍ قَوِيَّةٍ بَيْنَ عَالَمِ الْأَحْيَاءِ وَعَالَمِ الْأَمْوَاتِ، وَهُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِخِدْمَةِ أَزْوَاجِ الْأَسْلَافِ، أَهْمُهَا: الْوَجْهَةُ الطُّقُسِيَّةُ لِأَزْوَاجِ الْأَسْلَافِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ تَقْدِيمِ أَطْعِمَةٍ وَصَدَقَاتٍ لِأَزْوَاجِ الْأَسْلَافِ «زِدَقَةَ بَرِيحَا»، كَمَا يَعْتَقِدُ الْمَنْدَائِيُّونَ فِي الْأَزْوَاجِ الْحَيَّةِ «مَلُوحُون»، وَيَعْتَقِدُونَ بِتَعَدُّدِ جَنْسِيَّاتِهَا وَأَدْيَانِهَا كَمَا عِنْدَ الْبَشَرِ، وَأَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ مُوَكَّلٌ بِعَذَابِ النَّفُوسِ «الْمُطْرَائِي»¹⁰.

عَلَى أَنَّ أَهَمَّ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمَنْدَائِيَّةُ هُوَ تِلْكَ الطُّقُوسُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالتَّعْمِيدِ، فَالتَّعْمِيدُ عِنْدَ الْمَنْدَائِيِّينَ يُخَالِفُ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي الْمَسِيحِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ الْأُولَى، فَهُوَ لَيْسَ طَقْسًا لِلنَّدَمِ وَإِعْلَانِ التَّوْبَةِ بِالضَّرُورَةِ كَمَا نَجِدُهُ فِي الْيَهُودِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأُولَى، وَإِنَّمَا هُوَ طَقْسٌ تَطْهَرِيٌّ بِأَمْتِيَّازٍ، فَكُلُّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَنَجَّسَ بِهِ الْبَدَنُ مِنْ أَنْوَاعِ النَّجَاسَاتِ - كَالْجَنَابَةِ، أَوِ الطَّمْثِ، أَوِ الْوِلَادَةِ، أَوْ مَسِّ الْمَيِّتِ وَالْحَائِضِ، وَغَيْرِهَا - تَسْتَوْجِبُ الْعِمَادَ فِي الْمَاءِ الْجَارِي قَبْلَ مُحَاسِنَةِ أَيِّ نَشَاطٍ دِينِيٍّ أَوْ حَيَاتِيٍّ اِعْتِيَاديٍّ، وَالتَّعْمِيدُ فِي الْمَنْدَائِيَّةِ لَا يَنْبَغُ مِنَ الْإِيْيَانِ بِقُدْرَةِ الْمَاءِ فِي حَذِّ ذَاتِهِ عَلَى الذَّهَابِ بِالنَّجَاسَاتِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغُ مِنَ تَقْدِيسِ الدِّيَانَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ لِلْمَاءِ الْجَارِي، فَلَا يَجُوزُ الْعِمَادُ إِلَّا فِيهِ¹¹.

وَيَعْتَقِدُ الْمَنْدَائِيُّونَ كَذَلِكَ فِي نُبُوَّةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ~~الْمَسِيحِي~~ (يَهْيَى يُوَهَانَا)، لَكِنَّهُ عِنْدَهُمْ لَيْسَ بِنَبِيِّ كَصُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ التَّقْلِيدِيِّينَ كَمَا فِي الْأَدْيَانِ السَّامِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَدَوَّرُ اعْتِقَادَاتُ الْمَنْدَائِيِّينَ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ مَبْعُوثُ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ، جَاءَ إِلَى الْأَرْضِ لَتَفْخِيزِ مَهَمَّةٍ خَاصَّةٍ، وَلَيْسَ كَنَبِيِّ يُسَرُّ

⁹ بدوي، رُومي: المرجع نفسه، 20، W. BRANDT: *The Mandaean*, Encyclopedia of religion and ethics,

edited by J. Hastings, Vol. VIII, p 380.

¹⁰ وهي قرية من مفهوم التطهير، ففي هذا المحل تُعَذَّبُ الْأَرْوَاحُ الَّتِي اقْتَرَفَتْ الْخَطَايَا، وَيَكُونُ عَذَابُهَا عُدُودًا بِأَمْدٍ مَعْلُومٍ، وَحَسَبَ نَوْعِ تِلْكَ الْخَطَايَا وَدَرَجَاتِهَا، ثُمَّ تَسْتَطِيعُ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِلْتِقَاقِ بِعَالَمِ النُّورِ «الْمِي دَنْهُورَا».

¹¹ KURT RUDOLPH: *Mandaicism*, Leiden 1978, p 10.

أَمَّا عَنْ كُتُبِ الْمَنْدَائِيِّينَ الدِّينِيَّةِ؛ فَيُضْطَلَحُ الْبَاحِثُونَ عَلَى تَقْسِيمِ الْأَدَبِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ الْمَنْدَائِيَّةِ إِلَى سِتٍّ مَجَامِعٍ:

- المجموعة الأولى: نصوصٌ سرية خاصة بالكهنة، وهي مُدَوَّنة في شكل لَفَافٍ، الواحدة منها تُدعى - اضْطِلَاحًا - بِالْذِّيوان، ككتاب «ألفٍ تَربيرٍ شِيالَةٍ» [ألفٍ واثنَا عشر سُؤالًا]، «أَلْمَا رِيشَا رُبَا» [العَالَمُ الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ] «أَلْمَا رِيشَا رُوطَةٍ» [العَالَمُ الرَّئِيسُ الصَّغِيرُ] «دِيوانُ مَلَكُوتَا إِيْتَا» [ديوانُ مَمْلَكَةِ السَّمَاءِ الْعُلْيَا].
- المجموعة الثانية: وهي كَرَارِيس تُشْرَحُ كَيْفِيَّةَ أدَاءِ الطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ ومنها: «شرح طِرَاسَةِ دَتَاغَةَ شِيَشْلَامِ رُبَا» [شرحُ تَنْوِيجِ شِيَشْلَامِ الْعَظِيمِ]، «شرح د قَايِنِ شِيَشْلَامِ رُبَا» [شرحُ زَوَاجِ شِيَشْلَامِ الْعَظِيمِ]، «شرح دُبرِوَانِيَا» [شرحُ الْإِيَّامِ الْحَمْسَةِ]، «دِيوانُ مَصْبُتَا دِهِيلِ زِيوَا» [دِيوانُ تَعْمِيدِ هِيلِ زِيوَا].
- المجموعة الثالثة: وتضمُّ مَجْمُوعَةَ الْأَنَاشِيدِ وَالتَّرَاتِيلِ وَالصَّلَوَاتِ الَّتِي تُتْلَى فِي طُقُوسِ التَّعْمِيدِ، وكذلك الصَّلَوَاتِ عَلَى أَرْوَاحِ الْمَوْتَى، ككتاب «إِنْيَانِي» أو «الْقِلْسَتَا» [كتاب الصَّلَوَاتِ الْقَانُونِيَّةِ].
- المجموعة الرَّابِعَةُ: النُّصوصُ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَسَاطِيرِ الْمَنْدَائِيَّةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ خَلْقِ الْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ وَالصَّرَاعِ بَيْنَ قُوَى النُّورِ وَالظُّلَامِ وَيَوْمِ الْحِسَابِ،

¹² أَدَّى اعْتِقَادُ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ فِي نُبُوَةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى اعْتِبَارِ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُمْ فِرْقَةً مِنَ النَّصَارَى مِنْذُ دُخُولِ الْإِسْلَامِ الْعِرَاقَ وَحَتَّى نَهَايَةِ الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ، وَهَذِهِ الْمِيزَةُ أَتَاكَتْ لَهُمْ طَوَالَ الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُعَامَلَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْمَنْدَائِيُّونَ بِالْفِطْرَةِ أَمِيَّةَ اعْتِقَادِهِمْ فِي نُبُوَةِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَضْيِيقِ الشُّوْءِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى، وَقَدْ لَاحِظَتْ دَرَاوَرُ أَنَّ الْمَنْدَائِيِّينَ يُحْسِنُونَ نَقَاطَ التَّشَابُهِ الصَّغِيرَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُجَادِلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ الْأُخْرَى، فَهَمْ يُجَيِّوْنَ السَّائِلَ بِأَنْ يَحْيَى نَبِيًّا كَمَا أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ مُحَمَّدٌ ﷺ - حَسْبَمَا يَتَطَلَّبُ الْحَالُ - نَبِيُّكُم، دَرَاوَر: الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيِّونَ، 41.

ومن أبرزها: «الكَتَرُ رُبَا» [الكَتَرُ الْعَظِيمُ]، «دِرَاشَةُ دِينِيَا» [دَارِسَةُ تَعَالِيمِ يَحْيَى

الْمَسِيحِيِّ]، «دِيَوَانُ أَبَاثَر»، دِيَوَانُ «حَرَّانِ جُوشَا» [حَرَّانِ السُّفْلَى (الدَّاخِلِيَّةِ ١٩)].

• المجموعة الخامسة: وهي المجموعة التي تُضَمُّ كُتُبُ الْفَلَكِ وَفَقًا لِلْعَقِيدَةِ
الْمَنْدَائِيَّةِ ومنها: «سِفَرُ مِلْوَاشَةِ» [كِتَابُ الْبُرُوجِ]، وَكِتَابُ «شَبَانِي شَبَانِي»
[سَاعَاتُ النَّهَارِ].

• المجموعة السادسة: وهي تتألف من كُتُبِ الطَّلَاسِمِ وَالْأَذْيَعِ وَالنُّصُوصِ
السَّحَرِيَّةِ لَطَرْدِ الْأَرْوَاحِ الْحَقِيقَةِ، وَأَذْيَعِ أُخْرَى لاسْتِجْلَابِ عَطْفِ الْقُوى
الرُّوحَانِيَّةِ، وَمَا أَشْبَهَ¹³.

ومنذُ بدأ اهتمام العلماء بالصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ تَصَارَبَتْ آرَائُهُمْ حَوْلَ أَصْلِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ،
وَأَصُولِ عَقَائِدِهَا وَنَشَأَتِهَا، وَالْمَوْطِنِ الَّذِي انْحَدَرُوا مِنْهُ، حَتَّى بَاتَ مُجَرَّدَ عَرْضِ هَذِهِ الْآرَاءِ عَلَى
كَثَرَتِهَا وَتَضَارُفِهَا - فِيمَا تَنَفَّقَ بِشَأْنِهَا وَمَا تَخْتَلَفُ فِيهِ - أَمْرًا شَدِيدَ التَّعْقِيدِ. وَبَعْدُ النِّقْصُ الْكَمِّي
الشَّدِيدُ فِي الْمَادَّةِ سِوَاءِ التَّارِيخِيَّةِ مِنْهَا أَوِ الْآثَرِيَّةِ أَتَبَرُّزُ عَوَامِلُ هَذَا التَّضَارُبِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي
يَسْتَلْزِمُ مِنَ الْمُؤَرِّخِ الْكَثِيرِ مِنَ الْجَهْدِ فِي مُحَاوَلَةِ لَرَأْبِ تِلْكَ النِّقَاطِ الْخِلَافِيَّةِ الَّتِي لَا تَحْسِمُهَا
الْأَدَلَّةُ الْمَادِّيَّةُ.

فَمَسْأَلَةُ أَصْلِ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ هِيَ مَسْأَلَةٌ خِلَافِيَّةٌ شَائِكَةٌ، فَالْأَسَاطِيرُ الْمَنْدَائِيَّةُ تُقَدِّمُ
الْمَنْدَائِيَّةَ الْأَوَّلَ عَلَى أَتَمِّهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّيْثَانِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُمْ قَدَّمُوا مِنَ الشَّيْثَانِ مِنْ جِهَةٍ
فَلَسْطِينِ، كَمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ جَلِيًّا فِي كِتَابِهِمْ «حَرَّانِ جُوشَا»¹⁴، فَالْمَنْدَائِيُّونَ يَعتقدُونَ أَنَّ أَصُولَهُمْ

¹³ BUCKLEY: *The great stem of souls; reconstructing Mandaean history*, New Jersey 2005, pp 9-12.

سِبَاهِي: أَصُولُ الصَّابَةِ، 13 - 16، وَسِبَاهِي يَقْرَأُ بِأَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ الضَّرْبِ بِهِمْ فِي مَسْأَلَةِ تَحْدِيدِ الْفَتْرَةِ
الزَّمَنِيَّةِ بَيْنَ تَبْنِيِ الْمَنْدَائِيِّينَ لِهَذِهِ الْعَقَائِدِ وَبَيْنَ بَدَايَةِ تَدْوِينِهَا، سِبَاهِي: الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ، 19.

¹⁴ لَمْ تَكُنِ السَّيِّدَةُ دِرَاورُ تُعَبِّرُ - فِي بَدَئِ الْأَمْرِ - أَقْصَالَ الْكَهَنَةِ بِأَنَّهُمْ جَاءُوا مِنَ الشَّيْثَانِ أَيْ التَّضَاتِ، لَكِنَّمَا
اكتشفت فيما بعد أن هناك سبباً وراء إصرار رجال الدين المندائيين على القول بأنهم جاءوا من الشَّيْثَانِ، فَقَدْ
لاحظت أن المندائيين يعتقدون أن الشَّيْثَانِ هِيَ الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ، وَهِيَ أَرْضُ الثَّوَرِ، أَمَّا الْجَنُوبُ فَهِيَ الْأَرْضُ
الْمُنْخَفِضَةُ، وَهِيَ أَرْضُ الظَّلَامِ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ فِي الشَّيْثَانِ يَتَمَيَّزُونَ بِبَيَاضِ الْبَشَرَةِ، أَمَّا أُولَئِكَ

الضاربة في القدم ومصريّة الأصل، وأنّهم كانوا على ديانة المصريين القدماء¹⁵، وأنّ أسلافهم الأوائل هاجروا من مصر إلى أورشليم، وهناك اضطهدهم اليهود فغادروا فلسطين إلى حرّان، وتستطرّد الأسطورة المندائية بأنّه في حرّان وجد «النّاصورائي» (أي المندائيّ الأوائل) إخوة لهم في الدّين (يعنون صابئة حرّان على الأزجج)، ثم هاجروا إلى منطقة أسطورية تُدعى جبل ماداي وهناك تخلّصوا كلّياً من مضطّهديهم، ثم هاجروا منها إلى جنوب العراق لاحقاً¹⁶. يبدأ مخطوط حرّان جويثا هكذا¹⁷:

«واستقبلتهم [أي النّاصورائي] حرّان؛ المديّنة التي كان فيها النّاصورائي، ولهذا فليس من سبيل للملوك اليهودائي [اليهود] إليهم، وكان على رآسهم ملك أردوان¹⁸!»، وقد عزّلوا أنفسهم عن العلامات السّبع، ودخلوا في جبل ماداي، حيث أصبحوا أحراراً من تسلّط جميع الأجناس¹⁸.

لقد تمخّض البحث طوال قرنين تقريباً عن نظريّتين: هما نظريّتا الأصل الشّرقي

الجويثيون فهم سُود ومظهرهم قبيح كالشّياطين، وبالتالي طرّحت دراوير احتمال أن يكون ذلك الإضرار مبنيّاً على اعتقادات دينية أكثر منها على ذكريات هجرة تاريخيّة واقعيّة، دراوير: مرجع سابق، 49. نجد دراوير صعوبة في فهم إصرار المندائيّين على أن المصريين القدماء كانوا على دينهم، وتعتقد أن ذلك عصيّ على التّفسير، دراوير: مرجع سابق، 50 - 51. الطّريف أن المندائيّين لا يزالون يحتفلون بإقامة وجبة طقسيّة (لوفاني) لأرواح الموتى الميصرّيين الذين غرقوا في البحر أثناء مطاردتهم لبني إسرائيل، دراوير: الصّابئة المندائيّون، 139.

دراوير: مرجع سابق، 45 - 46؛ رُشدي عليان: أصحاب الرّوحانيّات، مقال منشور بمجلّة المورّد العراقيّة، مج 5، ع 2، بغداد 1976، 61.

لشّوء الخط فالصفحات الأولى مفقودة كما نوّهت السيّدّة دراوير.

The Haran Gawaita, and The Baptism of Hibil-Ziwa, trans. By E. S. DROWER, cita del Vaticano 18

3. p. 1953، ويصف ديوان حرّان جويثا اليهود بأنهم خبيثاء وأنهم حليفي الرّوحه [رُوح الشرّ والظّلام] بل إنهم جُنّدها الطّيعون، رُشدي عليان: أصحاب الرّوحانيّات، 63. وطبقاً للأساطير المندائيّة فإن يسوع المسيح كان ناصورائيّاً لكنّه «حرّف كلمات التّور، وأبدلها بالظّلام، وغير دين أولئك الذين كانوا على الدّين الصّحيح، وبَدّل جميع الشّعائر»، رُشدي عليان: أصحاب الرّوحانيّات، 62، أما بالنسبة ليحيى بن زكريّا فالأسطورة المندائية تصفه بأنّه كان معلّم ومُعتمد وشاف، وتصفه أيضاً بأنّه علّم الحواريّين، وجعل الكسّاحين يسيرون على أرجلهم، دراوير: الصّابئة المندائيّون، 47.

والأصل الغربي، وكناتهما تنطوي على قدر كبير من التعقيد، فضلاً عن افتقارهما لأدلة قاطعة، وكناتهما أيضاً لا تستطيعان السير قدماً إلى آخر الدرب دون أن ترك بعض الثغرات العvisية على التفسير، وسبب هذا الخلط والتعقيد هو ذلك المزيج العجيب الذي تتلاقى فيه عقائد الصابئة، وتلك الطقوس التي هي خليط من عقائد ومذاهب شتى جمعت بين عقائد بلاد ما بين النهرين وفلسطين بحيث يمكن القول بأن المعتقدات المندائية ذات طبيعة توفيقية، وأنه من قبيل التسطيح القول بأن لها مصدرًا واحدًا فقط.

وتتلخص نظرية الأصل الشرقي في أن المندائيين إما هم بقايا سكان بلاد ما بين النهرين القدماء، أو ربما كانوا من الوافدين الآراميين على البلاد¹⁹، وفي كلتا الحالتين فهم قد ورثوا قدرًا كبيرًا من العقائد الدينية البابلية، لكنهم تأثروا إلى حد كبير بالمعتقدات الدينية الفارسية - وبخاصة الزرادشتية، بحكم مجاورهم مع الفرس، وباليهودية من خلال الجماعات اليهودية التي كانت تسكن بلاد ما بين النهرين²⁰، كما تأثروا بالمسيحية من خلال الاختكاك المباشر بالمناويين والنساطرة. وأخيرًا بالمسلمين بحكم الجوار المباشر. وقد تزعم هذه النظرية خوالسون، وبرانديت، وكيسلر، وزيمرن، وليدزبارسكي (لا سيأ في أبحاثه الأخيرة) والليدي دزاور (في أبحاثها الأولى)²¹.

¹⁹ الطريف أن الأنثروبولوجي الأمريكي هنري فيلد الذي عمل بالعراق لمدة طويلة، ذهب إلى أن الصابئة المندائيين ربما ينحدرون من أصول آرامية قديمة، استنادًا إلى الدراسة التي أجراها لقياسات الجمجمة وبعض السمات الجسدية لعينة من الكهنة المندائيين الذين لا يتزوجون إلا فيما بينهم طبقًا لما تقتضيه شريعتهم، وهذا جعل من الكهنة رجال الدين طبقة متغلقة على نفسها، انظر: - دراور: مرجع سابق، 64.

²⁰ يهود ما بين النهرين توزعوا وفقًا لمعطيات تاريخية بين الأماكن النائية بمرتفعات كردستان وهم أسرى السبي البابلي الأول، وعند بابل القديمة إلى الجنوب من الأنبار، أحمد سوسة: ملامح من تاريخ اليهود القديم في العراق، عمان 2000، 40 - 44. قارن أيضًا: يوسف رزق الله غنيم: نزعة المشتاق في تاريخ يهود العراق، بغداد 1924، 50 وما بعدها.

²¹ EDWIN M. YAMAUCHI: *Gnostic ethics and Mandaean origins*, Cambridge 1970, p 8.

وَيَسْتَنْدُ أَصْحَابُ نَظَرِيَةِ الْأَصْلِ الشَّرْقِيِّ إِلَى ذَلِكَ التَّشَابُهِ الْقَوِيِّ بَيْنَ الْمُنْدَائِيَّةِ فِي صُورَتِهَا الْحَدِيثَةِ وَبَيْنَ الْعَقَائِدِ الْبَابِلِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، فَالْمُنْدَى - وَهُوَ بَيْتُ الْعِبَادَةِ الْمُنْدَائِيِّ - عِبَارَةٌ عَنْ كُوخٍ يَشْبَهُ فِي رَسْمِهِ وَتَصْمِيمِهِ «الْبَيْتَ» وَهُوَ الْمَعْبَدُ الْبَابِلِيُّ الصَّغِيرُ الْمَقَامُ مِنَ الْقَصَبِ الْمَطْلِيِّ بِالطِّينِ²² وَهُوَ تَقْلِيدٌ بَابِلِيٌّ قَدِيمٌ، حَيْثُ كَانَ الْكَهَنَةُ الْبَابِلِيُّونَ يَجْلِسُونَ بِالْخَارِجِ، وَيَسْتَقْبِلُونَ النَّاسَ لِعَرْضِ مَسَائِلِهِمْ عَلَى الْإِلَهِ الْقَائِمِ فِي الْكُوخِ الطِّينِيِّ.

كَمَا تَقْتَرِبُ شَعَائِرُ الْمَوْتِ وَالْوَفَاةِ عِنْدَ الْمُنْدَائِيِّينَ بِنَظِيرَتِهَا الْبَابِلِيَّةِ، فَاعْتِقَادُ الْمُنْدَائِيِّينَ بِأَنَّ رُوحَ الْمُتَوَفَّى نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ حَوْلَ الْقَبْرِ، ثُمَّ تَبْدَأُ رَحَلَتُهَا فِي الْحَيَاةِ الْأُخْرَى لِلْحِسَابِ، وَيَتَوَلَّى رَاشِنُو الْبَابِلِيِّ - وَهُوَ نَظِيرُ أَبَاثَرِ الْمُنْدَائِيِّ - وَزْنَ أَعْمَالِ الشَّخْصِ، فَإِذَا مَالَتْ مَوَازِينُهُ نَحْوَ الْخَيْرِ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ أَمَامَهُ فُرْصَةٌ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ ذُنُوبِهِ، وَيُلْزَمُ ذَوِيهِ أَنْ يَقْدُمُوا كَفَّارَةً عَنْهُ، وَهَذَا مَا يُقَابَلُ «الْمُسَخَّتَةِ» فِي الْعَقِيدَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ²³.

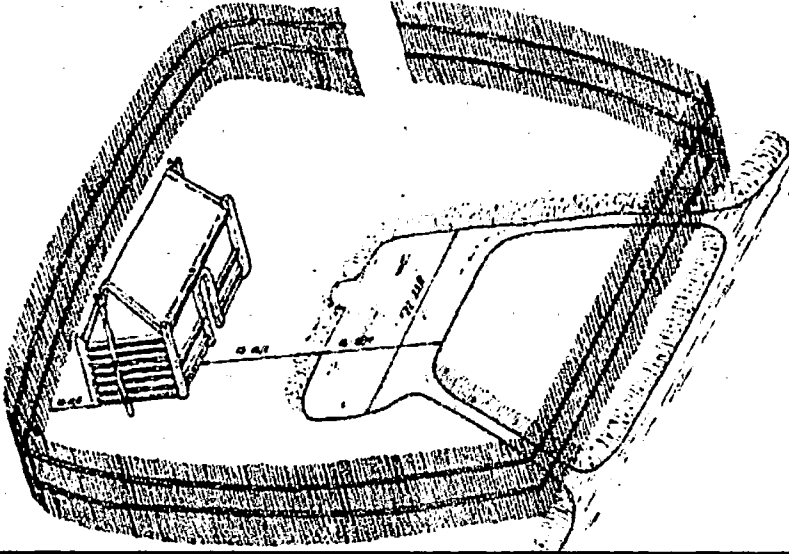
لَقَدْ قَرَّرْتُ دَارُور - لَا سِيَّامَا فِي أَبْحَاثِهَا الْأُولَى - أَنَّ طُقُوسَ الْمُنْدَائِيِّينَ الدِّينِيَّةَ تَقْتَرِبُ مِنَ الْمَنَاجِيعِ الْمَزْدَكِيَّةِ إِلَى دَرَجَةٍ عَبَّرَتْ عَنْهَا بِأَنَّهَا جَاءَتْ أَكْثَرَ مِمَّا تَوَقَّعْتُ، فَالتَّشَابُهِ بَيْنَ الطَّقُوسِ الصَّابَةِ [الْمُنْدَائِيَّةِ] وَالْمَسِيحِيَّةِ النَّسْطُورِيَّةِ وَالْبَارِثِيَّةِ²⁴ قَوِيٌّ، كَمَا أَنَّهَا لَمْ تُخَفِّ دَهْشَتَهَا مِنْ وَجُودِ طَائِفَةٍ بَابِلِيَّةٍ قَدِيمَةٍ يُمْكِنُ تَمْيِيزُهُ بِسُهُولَةٍ فِي دِيَانَةِ الْمُنْدَائِيِّينَ، وَخَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِبِنَاءِ «الْمُنْدَى» وَوُضُوعِهِ كَمَا سَبَقَ الْقَوْلُ، كَمَا أَنَّ الْمَبَادِئَ الَّتِي تُشَخِّصُ الطَّقُوسَ الْمُنْدَائِيَّةَ وَالْبَارِثِيَّةَ مُتطَابِقَةٌ بِشَكْلِ مُذْهِلٍ، بَيْنَمَا تَبْتَعِدُ كَثِيرًا فِي الرُّوحِ وَالْمَبَادِئِ عَنِ الطَّقُوسِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَهَذَا وَخَدَهُ كَانَ دَافِعًا لَكِي تَقَرَّرَ دَارُورُ أَنَّ الشَّعَائِرَ الْمُنْدَائِيَّةَ فِي جَوْهَرِهَا أَقْرَبُ لِلرُّوحِ الْإِيرَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الرُّوحِ الْيَهُودِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ²⁵.

²² دارور: الصَّابَةُ الْمُنْدَائِيَّةُونَ، 199؛ سَبَاهِي: أَصُولُ الصَّابَةِ، 65.

²³ سَبَاهِي: أَصُولُ الصَّابَةِ، 67 - 68.

²⁴ الْبَارِثِيُّونَ هُمْ بَقَايَا الْفَرَسِ الزَّرَادَشْتِيِّينَ الَّذِينَ انْتَقَلُوا بَعْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى الْهِنْدِ وَاسْتَقَرُّوا هُنَاكَ، سَبَاهِي: أَصُولُ الصَّابَةِ، 100.

²⁵ دارور: الصَّابَةُ الْمُنْدَائِيَّةُونَ، 28.



كروكي للمندى (بيت العبادة المندائي)²⁶.

وفي نظر أنصار الأصل الشرقي فإنَّ المؤثرات الرئيسيَّة في ديانة الصَّابئة والخطوط العريضة في هذه الديانة يمكن اقتفاء أثرها بعمق في التُّراث البابلي القديم²⁷، في حين تظهر بعض المؤثرات الأخرى وكأنَّها مؤثرات ثانويَّة تطورت إليها الديانة فيما بعد، فالاعتقاد بقُدرة الأجرام السماوية في التأثير على مصير الإنسان هو تأثيرٌ بابليٌ مخض كما يبدو لأوَّل وهلة، وكذلك تشابه نظريَّة الخلق البابليَّة الأولى مع نظرية نشأة الكون عند الصَّابئة المندائيين، بالإضافة إلى بعض التأثيرات الرئيسيَّة الأخرى في ديانة المندائيين كمظاهر الحياة الأخرى بعد

²⁶ المصدر: - KURT RUDOLPH: *Mandaism*, P 8، ويُلاحظ أن المندى لا تصحُّ إقامته إلا على تجرى مائي، وتحفر قناة من ذلك المجرى إلى داخل المندى - كما هو مبين في الشكل - كي يتسنى للكهنة إجراء الطقوس الدينيَّة التي تتطلب التَّطهُّر بالماء الحي (الجاري) وعلى رأسها التَّعميد، وتطهير الأواني الطقسية.

²⁷ شرحت دراور تفصيلاً تشابه دور ووظيفة الكهَّان المندائيين مع وضع ووظائف كهنة بابل القديمة، انظر: الصَّابئة المندائيون، 28 وما بعدها.

الموت والحساب والدينونة وبعض الظواهر العقائدية كتقديس الماء الجاري²⁸، فرسوم التعميد لها ما يُماثلها على نحو أو آخر في التراث البابلي القديم²⁹، كما إن بعض ما ورد في الأساطير المندائية القديمة يظهر أكثر تناسبا مع بيئة الأهوار - جنوب بلاد ما بين النهرين - أكثر منها مع بيئة مجرى نهر الأردن جنوبي فلسطين³⁰.

أما عن كيفية وصول التقاليد والعادات الغنوصية وبعض الشعائر اليهودية والتعميد والاعتقاد بنبوة «يوحنا المعمدان» [يحيى بن زكريا ~~عليه السلام~~] فهي - في نظر أنصار نظرية الأصل

²⁸ طقوس تقديس الماء - الذي تدعوه المندائية بالماء الحي - وممارسة التعميد لها ما يناظرها في التراث البابلي القديم الذي يُقدّس الماء الجاري. بل هناك من بين الباحثين من يشك في أن تلك الطقوس والممارسات عبارة عن تقاليد تسربت إلى اليهودية من الشرق. وليست طقوسا أصيلة في اليهودية - سيما في عصورها الأخيرة - ولم تُمارس على نطاق واسع بين مختلف الجماعات المنشقة عن اليهودية إلا في الجنوب حيث تصلح بيئة نهر الأردن لذلك. أمّا عن مهد تلك الممارسات فيعتقد الباحثون القائلون بالأصل الشرقي أنها سادت في حوض ما بين النهرين حيث البيئة المناسبة أكثر لتلك الطقوس. سباهي: أصول الصابئة، 62-63.

²⁹ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، تاريخ الفترات القديم، الطبعة الثانية، بغداد 1955، 225. فعلى سبيل المثال كان ينبغي على كبير كهنة بابل الاغتسال في ماء الفرات الجاري قبل دخول قدس الأقداس في أعياد بابل القديمة، انظر: - مارجريت روثن: تاريخ بابل، ترجمة زينة عازر؛ ميشال أبي فاضل، باريس 1984، 133، وكان الماء المقدس وحده هو الذي يُستخدم لتطهير المعبود، المرجع نفسه، 131 - 132.

³⁰ مثال شديد الوضوح كما في كتاب «دراشة ديبيا» أو «كتاب تعاليم يحيى» يرد في فصل «الصيد وقصة الأنفس» الكثير من الرموز والمصطلحات، وهو ما يدل على أن المؤلف - أو ربما المؤلفين - لهذا السفر من بيئة الصيادين بالأهوار، وقد علّق ميد MEAD على هذا الجزء بقوله إنه عسير بالفعل على الترجمة، وذلك لكثرة الاضطرابات التقنية المتعلقة بعملية الصيد التي ترد فيه، ورغم كل الجهود والتحريات اللغوية الواسعة التي بذلها المترجم فقد عجز عن فهم معنى عدد غير قليل من الكلمات التي وردت فيه، وفي هذا ما يؤكد أيضا عملية البيئة العراقية التي كُتب في ظلها هذا النص. انظر: - G. R. MEAD : *The Gnostic, John the Baptizer*, London, 1924, pp 72 - 73. - سباهي: مرجع سابق، 79. وفي الوقت ذاته نجد ارتباطا يمكن وصفه بالوثيق بين الأساطير المندائية وبين مثلتها السومرية، من ذلك الارتباط بين ليليث الشيطانة في الفكر السومري والتي تسبب في وفاة الأطفال وبين زهريل زوجة هيبيل زيوا في الفكر المندائي، وذلك حسب ملاحظة أحد رجال الدين المندائيين، انظر: - عبد الحميد أفندي عبادة: مندائي، أو الصابئة الأقدمون، باعتناء رشيد الخيون، لندن 2003، 23.

الشَّرْقِي - تَقَالِيدٌ وَافِدَةٌ، آتَتْ مِنْ فَلَسْطِينِ إِلَى الْمَنْدَائِيَّينَ فِي يَسْتَنَهِمِ الْأَصْلِيَّةَ بِحَوْضِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ بِالْعِرَاقِ، فَذَلِكَ الْأَثَرُ الْغَنُوصِيُّ الْوَاضِحُ فِي الدِّيَانَةِ وَفَدَ عَلَى دِيَانَةِ الصَّابِنَةِ عَلَى مَرَاجِلِ وَتَبَعًا لاحتياجات مُعَيَّنَةٍ.

وقد مثلت رواية النَّدِيمِ عن علاقة الحَنَسَجِ أَوْ الْحَنَسَجِ³¹ بِالْمَنْدَائِيَّينَ جِسْرًا مُنَاسِبًا لِتِلْكَ التَّأْثِيرَاتِ الْغَنُوصِيَّةِ الْقَادِمَةِ مِنَ الشَّرْقِ، فَحَسَبَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ النَّدِيمِ:-

«الْمُعْتَسِلَةُ؛ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ كَثِيرُونَ بَنَوُاجِي الْبَطَّانِحِ، وَهُمْ صَابِنَةُ الْبَطَّانِحِ، يَقُولُونَ بِالْأَغْتِسَالِ، وَيَغْسِلُونَ جَمِيعَ مَا يَأْكُلُونَهُ، وَرِئِيسُهُمْ يُعْرِفُ بِالْحَنَسَجِ، وَهُوَ الَّذِي سَرَعَ الْمَلَّةَ، وَيَزْعَمُ أَنَّ الْكَوْتَيْنِ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، وَأَنَّ الْبَقُولَ مِنْ شَعْرِ الذَّكَرِ، وَأَنَّ الْأَكْشَوْتَ مِنْ شَعْرِ الْأُنْثَى، وَأَنَّ الْأَشْجَارَ عُرُوقَهُ. وَهُمْ

³¹ رُسم اسم الحَنَسَجِ [وهي الصيغة الأكثر تداولاً بين جُوع الباحثين] بطرق مُختلفة في مُختلف نشرات الفهرست للنَّدِيمِ، فقرأها فلوجل في أوَّل نشرة من نشرات الفهرست والتي صَدَرَتْ فِي لِيْبِزْجِ عَامِي 1871 - 1872م «الْحَنَسَجِ»، وَفِي طَبْعَةِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي قَدَّمَ لَهَا وَرَاجِعُهَا الْأَسْتَاذُ أَحْمَدُ أَمِينٌ وَالتِّي ظَهَرَتْ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى عَامَ 1929 «الْحَسِيحِ»، وَفِي نَشْرَةِ رِضَا مُجْتَدِّدِ الَّتِي صَدَرَتْ بِطَهْرَانِ عَامَ 1971 «الْمَحْسَجِ» [؟] وَإِنْ ذَكَرَ فِي حَوَاشِيهِ أَنَّ إِحْدَى النُّسخِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا فَلوجلُ تَوَكَّدَ عَلَى قِرَاءَةِ نَشْرَةِ الْقَاهِرَةِ لِلْأَسْمِ «الْحَسِيحِ»، وَقَرَأَهَا أَيْمَنُ فَوَادِ سَيِّدٌ فِي أَفْضَلِ النُّشَرَاتِ الَّتِي حَظِي بِهَا كِتَابُ الْفَهْرَسْتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهِيَ نَشْرَتُهُ الصَّادِرَةُ بِلَنْدَنِ عَامَ 2009 «الْحَنَسَجِ»، وَقَدْ تَقَصَّيْتُ مِنَ الدَّكْتُورِ أَيْمَنِ فَوَادِ سَيِّدٍ عَمَّا إِذَا كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ لِأَسْمِ رِئِيسِ الْمُعْتَسِلَةِ مِنْ وَاقِعِ مَطَالَعَتِهِ لَعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ النُّسخِ الْخَطِيَّةِ لِكِتَابِ الْفَهْرَسْتِ فَأَفَادَ بِالْإِجْتَابِ، وَاسْتَبَعَدَ قِرَاءَةَ نَشْرَةِ الْقَاهِرَةِ لِأَسْمِ الْحَسِيحِ لِأَسْبَابٍ فَنِيَّةٍ، وَقَدْ أَثَارَ وَرُودَ الْأَسْمِ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ «الْحَسِيحِ» التَّنَاقُضَ فِي أَوْسَاطِ الْبَحْثِ عَمَّا إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ هُوَ الْمَسِيحُ ﷺ وَوَقَعَ التَّحْرِيفُ بِفَعْلِ أَحْطَاءِ النَّسَاجِ!، انْظُرْ:- PEDERSEN: *The Sabians*, p 386؛ سَبَاهِي: أَصُولُ الصَّابِنَةِ، 105، غَيْرَ أَنَّ التَّمَعَّنَ فِي نَصِ النَّدِيمِ الْوَاردِ أَعْلَاهُ، خَاصَّةً عِبَارَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا «وَرِئِيسُهُمْ يُعْرِفُ بِالْحَنَسَجِ» لَوْ قَرَأْنَاهَا «وَرِئِيسُهُمْ يُعْرِفُ بِالْمَسِيحِ» فَسَتَتَبَايَنَتِ الدَّهْشَةُ، فَلَوْ أَرَادَ النَّدِيمُ الْإِشَارَةَ إِلَى عِلَاقَةِ الْمُعْتَسِلَةِ بِالْمَسِيحِ ﷺ لَمَا اسْتَعْدَمَ أَبْدَا كَلِمَةً يُعْرِفُ، وَعَلَى ذَلِكَ لَا أَمِيلُ إِلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ الَّذِي يَمِيلُ إِلَى رِبْطِ الْمَسِيحِيَّةِ مُبَاشَرَةً بِالْمَنْدَائِيَّةِ عِبَرِ افْتِرَاضَاتٍ وَاهِيَةٍ لَا تَصْمُدُ أَمَامَ النَّقْدِ.

أَقَاوِيلَ شَنِيعَةٍ تَجْرِي مَجْرَى الْخُرَافَةِ، وَكَانَ تَلْمِيزُهُ يُقَالُ لَهُ
شَمْعُون، وَكَانُوا يُوَافِقُونَ الْمَانَوِيَّةَ فِي الْأَصْلَيْنِ، وَتَفْتَرِقُ مِلَّتَهُمْ
بَعْدَ، وَفِيهِمْ مَنْ يُعَظِّمُ النُّجُومَ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا»³².

من غير المعروف من أين استقى النديم روايته عن الحنّسج EL-KESAI، لكن روايته
مثلت مخرجاً مريحاً للقائلين بأنّ يقال سَعَائِرُ التَّعْمِيدِ من بيئة نهر الأَرْدُنْ إلى بلاد ما بين النهرين،
وكذا علاقة المندائيين بيوحنا المعمدان، ولذلك تمسّك بها خوالسُون بشدّة³³. لكن القول
بوجود علاقة مباشرة بين الحنّسج وبين المندائيين لا يخلو من تعقيدات كثيرة يغضُّ أصحاب
نظرية الأصل الشرقي النظر عنها، فمن المعروف أن الحنّسج كان يهودياً معروفاً بصرامته
وتزاهته، وكانت له شعبية كبيرة بين طوائف البحر الميت، وكانت دعوته يهودية أصولية تقوم
على التمسك بالشريعة اليهودية، والتقيّد بأحكام السبت، وممارسة الحِثان، وكان يُقرُّ الزّواج
ويتوجّه بالصلاة نحو الهيكل بأورشليم³⁴.

ليست أول تلك التعقيدات النّاجمة عن التصديق على وجود علاقة مباشرة بين
الحنّسج وبين المندائيين هو خلوّ كتب المندائيين من أي إشارة إلى هذا الحنّسج وجماعته، هذه
واحدة. أمّا الثانية: كيف تأتّى أن تحوّلت جماعته من جماعة يهودية أصولية محافظة تتقيّد بأحكام
السبت إلى ما هي عليه الآن من شدّة العداوة لليهود واليهودية؟! أمّا الثالثة: فهي أنّه لا شيء
مما ذكره النديم عن جماعة الحنّسج يمتُّ بصلة للمندائيين اللهم سوى الاغترسال في مياه النهر
الجارية (التعميد)، خلا ذلك فجميع ما ذكره النديم بعد ذلك لا ينطبق على المندائيين بحالٍ من
الأحوال.

³² الزهرشت، 2: 411.

³³ CHWOLSOHN: *Die Ssabier*, Vol. I, p 119

³⁴ عن الحنّسج وحياته وتعاليمه وبيته التي عاش فيها انظر: - W. BRANDT: *El-Kesaites*, Encyclopedia of

Religion und Ethics, Vol. IX, pp. 202 - 209. صباهي: أصول الصابئة، 105 - 107.

وكما يترتبُ على قبول رواية النديم على علاقتها بخصوص علاقة الحنجج بالمندائيين من إثارة إشكاليات كثيرة فإنه يترتب أيضًا على رفضها مشكلة كبيرة، فالتسليم برفض العلاقة بين الحنجج والمندائيين من شأنه أن يضربَ الذهن تلقائيًا إلى افتراض خطير، وهو أن النديم كان يتحدث عن طائفة أخرى هي المعنية بوصفه «صابئة البطاينح» وكانت تُدعى بالمغتسلة، ومارست التعميد، وعاشت في المنطقة نفسها التي عاش المندائيون فيها، وهذا من شأنه أن يجعلنا على حذر كلما تكررت عبارة «صابئة البطاينح» في المصادر العربية - والتي - وبموجب هذا الطرح - لا تشير إلى المندائيين وحدهم في كل الأحوال كما يذهبُ ج. ب. سيجال³⁵، وهذا من شأنه أن يزيد الأمر تعقيدًا.

ويُعلّل أنصار نظرية الأصل الشرقي كراهية المندائيين لليهود بأن الجاليات اليهودية الكبيرة على ضفتي الفرات هي التي دار بينها وبين المندائيين النزاع، وربما وصل الأمر إلى حدّ إزغام يهود العراق لأعدادٍ من المندائيين على الازتداد عن دينهم، حيث تُشخص الأساطير المندائية ذلك النزاع في محاولات اليهود المستمرة إزغام ميريائي ابنة هيرودس الملك على الازتداد عن المندائية لدينها القديم (اليهودية)، ثم ما أعقب ذلك من اضطهادات قاسية وقعت من قبل اليهود للناصريين (المندائيون الأوائل)، وعلى هذا يعتقد أنصار نظرية الأصل الشرقي أن الصراع بين اليهود والمندائيين دار فعليًا على شواطئ الفرات، وحين استعادت المندائية - حينما بدأ تدوين الكتابات المقدسة - جعلت أماكن هذا الصدام أورشليم نفسها³⁶.

تبقى مسألة شائكة أخرى عند أصحاب نظرية الأصل الشرقي، وهي علاقة

J. B. SEGAL: *Pagan Syriac Monuments in the Vilayet of Urfa*, in: *Anatolian studies*, Volumes 3-4. ³⁵

1953, p 110.

³⁶ سباهي: أصول الصابئة، 139.

الْمَنْدَائِيَّينَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ. وَأَنْصَارَ نَظَرِيَّةِ الْأَصْلِ الشَّرْقِيِّ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ لَيْسَتْ ثَمَّةُ عَلاَقَةٍ مُبَاشِرَةٍ تُرْبِطُ بَيْنَ الْمَنْدَائِيِّينَ وَبَيْنَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، فَهَم لَيْسُوا مِنْ تَلَامِيذِهِ، فَيُوحَنَّا لَا يَظْهَرُ فِي نَصُوصِ الطَّقُوسِ وَالسَّخَرِ وَالتَّعْمِيدِ فِي الثَّرَاثِ الْمَنْدَائِيِّ الْقَدِيمِ، كَمَا إِنَّ الْإِشَارَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِشَأْنِهِ - وَيَدُونِ اسْتِثْنَاءً - مُتَأَخَّرَةٌ تَمَامًا، وَلَا تَظْهَرُ فِي النُّصُوصِ الْمَنْدَائِيَّةِ الْأَوَّلَى، وَفِي الْغَالِبِ تَذَكُّرُ اسْمِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالصِّيْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَحْيَى «يَهْيَا»، أَوْ مُقْتَرَنَةً - جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ - بِالصِّيْغَةِ الْعِزْرِيَّةِ الْأَرَامِيَّةِ يُوحَنَّا «يَهَنَّا يَوْهَانَا»، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الصَّلَةَ مُفْتَعَلَةٌ وَبَدَأَتْ مَعَ دُخُولِ الْإِسْلَامِ الْعِرَاقَ وَلَيْسَ قَبْلَ ذَلِكَ.

هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ تَعَالِيمُهُمْ، وَلَمْ يُصَوِّرْ كَنِيَّ تَقْلِيدِيٍّ، أَوْ حَتَّى كَمَسِيحٍ أَوْ مُخَلَّصٍ أَوْ كَمُؤَسَّسٍ لِلطَّائِفَةِ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يُؤَسِّسْ حَتَّى طَقَسَ التَّعْمِيدِ فِي دِيَانَةِ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ³⁷، كَمَا إِنَّ الْإِشَارَاتِ الْوَارِدَةَ بِشَأْنِ الْأُرْدُنِّ لَا تُقَرَّنُ بِيَحْيَى ~~الْمَنْدَائِيِّ~~ فِي أَيِّ مِنَ الْحَالَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا، يُضَافُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ أَنَّ التَّعْمِيدَ عِنْدَ الْمَنْدَائِيِّينَ لَيْسَ طَقْسًا لِلنَّدَمِ وَالتَّوْبَةِ ائْتِدَاءً كَمَا فِي تَعَالِيمِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَأَنَّ كُلَّ الْمَادَّةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ يَحْيَى مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُنَاكَ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ تَأْخُذْ صُورَتَهَا النَّهَائِيَّةَ فِي الْمُعْتَقَدَاتِ الْمَنْدَائِيَّةِ إِلَّا مَعَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ، أَيْ لَيْسَ قَبْلَ الْقَرْنِ السَّابِعِ³⁸، وَذَلِكَ لِأَغْرَاضٍ تَعَلَّقَتْ بِتَطْلُعِ الْمَنْدَائِيِّينَ لِمُعَامَلَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ.

³⁷ التُّورَانِي «هِيل زِيوا» هُوَ مَنْ تَنَسَّبَ إِلَيْهِ الْأَسَاطِيرُ الْمَنْدَائِيَّةُ تَأْسِيسَ ذَلِكَ الطَّقُسِ، وَتَأْخُذُ دَرَاوَرُ هَذِهِ النُّقْطَةَ كَحُجَّةٍ عَلَى أَنَّ عَلاَقَةَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ بِالْمَنْدَائِيِّينَ غَيْرُ مُضْطَمَّةٍ، وَأَنَّهُ كَانَ عَلَى عَلاَقَةٍ فَعْلِيَّةٍ بِالنَّاصُورَانِيِّ الْقَدَمَاءِ، الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّونَ، 41.

³⁸ 100. p. WALTER WINK: *John the Baptist in the Gospel tradition*, Cambridge 1968, وانظر أيضًا تفنيد

سِبَامِي لِلدَّلِيلِ الَّتِي سَاقَهَا وَنَكَ حَمَاوَلًا لِإِبْرَاهِيمَ صِلَةَ يَحْيَى ~~الْمَنْدَائِيِّ~~ بِالْمَنْدَائِيِّينَ قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ، أَصُولُ الصَّابَةِ، 124 - 130.



39 كاهن مندائي يُباشر تعميد أحد أبناء طائفته

أما أنصار نظرية الأصل الغربي للصابئة المندائيين، وهي النظرية التي تمثل الوجه المعكوس لنظرية الأصل الشرقي؛ فيعتقد أنصارها أن منشأ الصابئة كان إلى الغرب من العراق وبين طوائف البحر الميت - في بيئة شرقي الأردن - ممن كانوا يمارسون طقوس التعميد هناك، وقد تزعم هذا الاتجاه ليدزبارسكي (في أبحاثه الأولى ثم تراجع عنه إلى القول بالأصل الشرقي في أبحاثه الأخيرة)، وعلى العكس منه تخلت الليدي دراور في أبحاثها الأخيرة عن حماسها لنظرية الأصل الشرقي وتبنت بحذر نظرية الأصل الغربي، دون التخلي عن علاقة الحسج بالمندائيين، كما تحمس لها رودلف ماكوخ، وكورت رودلف.⁴⁰

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الصابئة المندائيين هم في الأصل أنصار أحد المذاهب التي تفرعت عن اليهودية، وأنهم هاجروا هرباً من اضطهاد المؤسسة الدينية اليهودية، وذلك على نحو أقرب لما تؤدّيه الأسطورة المندائية، ويحتج القائلون بنظرية الأصل الغربي للصابئة بأن

39 المصدر: - BUCKLEY: *The Mandaean; ancient texts and modern people*

40 EDWIN M. YAMAUCHI: *Gnostic*, pp. 9-10.

الصَّابِئَةُ الْمُنْدَائِيَّةُ هُمْ خَلِيطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ فَلَاسْطِينَ مَمَّنْ يَحْمِلُونَ مُعْتَقَدَاتٍ يَهُودِيَّةً مَسِيحِيَّةً مُشْتَرَكَةً هَرَبًا مِنَ الْأَصْطِطْهَادِ، وَاخْتَلَطَ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ بِأَهْلِ بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ فِي بَيْتَانِهِمْ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَحْمِلُونَ بِدَوْرِهِمْ بَقَايَا مِنْ دِيَانَةِ الْبَابِلِيِّينَ الْأُولَى، وَأَدَّى هَذَا إِلَى الْإِمْتِزَاجِ إِلَى ذَلِكَ التَّعْقِيدِ فِي أَصُولِ الْعَقَائِدِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِهِ دِيَانَةُ الصَّابِئَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ.

وَمِنَ الْقَرَّانِ الَّتِي يُسَوِّقُهَا أَنْصَارُ الْأَصْلِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ الْأَسَاطِيرَ الْمُنْدَائِيَّةَ تُظْهَرُ الْمُنْدَائِيَّةِ عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ جَاءُوا مِنَ الشَّامِ، وَأَنَّهُمْ هَاجَرُوا مِنْ فَلَاسْطِينَ بِتَأْثِيرِ اصْطِطْهَادِ الْمَوْسَسَةِ الدِّينِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ هُمْ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ ذَلِكَ تَحْضُضٌ اخْتِلَاقٌ. كَمَا إِنَّ قُوَّةَ أَثَرِ الْغَنُوصِيَّةِ فِي الْمُنْدَائِيَّةِ جَعَلَتْ الْعَدِيدَ مِنَ الْبَاحِثِينَ الْقَائِلِينَ بِالْأَصْلِ الْعَرَبِيِّ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْغَنُوصِيَّةَ هِيَ الْعُنْصَرُ الْأَصِيلُ فِي الدِّيَانَةِ، وَمَا عَدَاهَا هِيَ تَأْثِيرَاتٌ ثَانَوِيَّةٌ، حَتَّى أَنَّهُمْ يَنْعَتُونَ الْمُنْدَائِيَّةَ بِأَنَّهَا آخِرُ الدِّيَانَاتِ الْغَنُوصِيَّةِ الْحَيَّةِ.

وَقَدْ أَصَابَ الرَّخْمُ نَظْرِيَّةَ الْأَصْلِ الْعَرَبِيِّ لِلْمُنْدَائِيَّةِ بَعْدَ اكْتِشَافِ مَخْطُوطَاتِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ الشَّهِيرَةِ بَوَثَائِقِ قَمْرَانَ، وَكَذَلِكَ اكْتِشَافِ مَكْتَبَةِ كَامِلَةَ لِبَعْضِ الطَّوَائِفِ الْغَنُوصِيَّةِ فِي نَجْعِ حَمَّادِي بِصَعِيدِ مِصْرٍ⁴¹، وَأُظْهِرَتْ هَذِهِ الْوَثَائِقُ تِلْكَ الْجَذُورَ الْعَمِيقَةَ لِبَعْضِ الْمَهَارَسَاتِ الدِّينِيَّةِ

⁴¹ اكْتُشِفَتْ مَخْطُوطَاتٌ نَجْعِ حَمَّادِي عَامَ 1945م، وَقِصَّةُ اكْتِشَافِهَا وَأَخِيرًا اسْتِقْرَارُهَا بِالْمَتْحَفِ الْقَيْطِي بِالْقَاهِرَةِ لَا تَخْلُو مِنَ الطَّرَافَةِ، حَيْثُ اكْتُشِفَ أَحْوَانُ أَمِيَّانَ يَمْعَلَانِ بِالزَّرَاعَةِ، وَيُدْعِيَانِ خَلِيفَةَ وَمَعْدِ ابْنَا عَلِي السَّيَّانِ عِنْدَمَا كَانَا يَبْحَثَانِ عَنْ يَسَادٍ لِحَفْلِهِمَا جَزَّةً خَزَفِيَّةً أَسْفَلَ هَضْبَةِ «جَبَلِ الطَّرِيفِ» بِالْقُرْبِ مِنْ دَيْرِ الْقُدَيْسِ بِأَخْوَمِ، عَلَى الضَّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِلنَّيْلِ قُبَالَةَ نَجْعِ حَمَّادِي، فَظَنَّا أَنَّهُمَا عَثَرَا عَلَى خَبِيْثَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَقَامَا بِكَسْرِ الْجَزَّةِ، فَوَجَدَا بِدَاخِلِهَا عِدَدًا كَبِيرًا مِنَ اللَّفَافِيفِ وَالْمَخْطُوطَاتِ الْبَرْدِيَّةِ، وَلَمْ يَقْطِعْنَا أَوَّلَ الْأَمْرِ لِقِيَمَتِهَا، وَاسْتَعْدَمْنَا أَكْثَرَهَا كَوَقُودَ لِلْفُرْنِ بِمَنْزِلِهَا، وَسَلِمَتْ مِنْ ذَلِكَ الْإِغْدَامِ الْعَفْوَِي 13 مَجْمُوعَةً تَقْبِيسَةً (مَخْطُوطَةٌ مَجْلُودَةٌ) مِنَ الْبَرْدِيِّ بِطَرِيقِ الصَّدْفَةِ، حَيْثُ هَرَبَ الشَّقِيقَانِ مِنَ الْقَرْيَةِ لِنِزَاعَاتٍ ثَارَتْ بَعْدَ أَنْ تَوَرَّطَ وَالدُّهُمَا فِي جَرِيْمَةِ قَتْلِ، وَسَلَّمَا دَارَهُمَا وَمَا تَحْوِيهِ لِأَحَدِ الْقَسَاوِسَةِ عَلَى سَبِيلِ الْأَمَانَةِ، وَعِنْدَمَا شَاهَدَ مُدَرِّسُ قَيْطِي كَانَ زَوْجَ شَقِيقَةِ الْقَيْسِ تِلْكَ اللَّفَافِيفِ شَكَّ فِي أَنَّهَا مُدَوَّنَةٌ بِالْقَيْطِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَرَبِّمَا كَانَ لَهَا بَعْضُ الْأَهْمِيَّةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَثَرِيَّةِ، فَحَمَلَ وَاجِدَةً مِنْ تِلْكَ الْمَخْطُوطَاتِ إِلَى الْقَاهِرَةِ حَيْثُ تَوَجَّهَ بِهَا إِلَى الْمَتْحَفِ الْمِصْرِيِّ، وَعَلَى الْفَوْرِ أَثَارَتْ إِهْتِمَامَ الْبَرُوفْسِيُورِ إِبْرِيْنِ دِرِيُوتُونِ مَدِيرِ الْمَتْحَفِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَاسْتَشَارَهَا لِحَسَابِ الْمَتْحَفِ بِمَبْلَغِ 250 جَنْيَةٍ مِصْرِيَّةٍ، وَأَنَارَ ظُهُورَ تِلْكَ الْمَخْطُوطَاتِ فَضُولَ مُجَارِ الْأَثَارِ وَالْعُلَمَاءِ الْأَجَانِبِ فَبَدَأُوا مَفَاوِصَاتٍ جَادَّةً مَعَ مَالِكِيَّهَا الَّذِينَ اسْتَشْطَرُوا فِي مَطَالِبِهِمُ الْمَادِيَّةِ، وَكَانَ الْمُقَابِلُ الْمَادِي الَّذِي طَلِبُوهُ فَوْقَ إِمْتِكَانَاتِ الْمَتْحَفِ

المندائية وتشابهها الشديد مع طقوس أتباع هذه المذاهب على نحو يُرجّح أنّها ظهرت في البيئات التي انتشرت فيها تلك العقائد على الأقل.

فمثلاً تقارب الاعتقاد بشئانية الظلام والثور، والحير والشر، وهي ثنوية شاعت بتأثير التعاليم البابلية الفارسية في منطقة الشرق الأدنى⁴²، كما يقترب المندائيون من الأسينيين⁴³ في

القيطي، وخوفاً من تسرب المخطوطات إلى خارج مصر وتكرار مأساة أوراق الجنييزة القاهرية الشهيرة؛ نجح المتحف القبطي في استصدار إذن من النيابة العامة بمصادرة تلك المخطوطات وتويعض مالكيها وفقاً للأحكام التي كانت تنظم الإتجار في الآثار آنذاك، وسرعان ما توفّر العلماء على دراسة المخطوطات لمعرفة أصحابها، وعُرفت المجموعة لاحقاً بين العلماء «بمكتبة نجع حمادي». وهي عبارة عن مُصنّفات لإحدى الفرق الغنوصية التي عاشت بصعيد مصر، وتحتوي هذه المخطوطات الثمينة على بعض الأناجيل والكتابات الغنوصية المحظورة كنسياً، وكان لها شأن عظيم في معرفة الغنوصية عن كتب، وبأفلام الغنوصيين أنفسهم، إذ حتّى زمن اكتشاف تلك المخطوطات لم تكن نعرف عن الغنوصية إلا ما وصل إلينا عن طريق آباء الكنيسة المُعادين لها، بصفة خاصة إيريناوس، هيوليئس، أيفانيوس، وتشمل مخطوطات نجع حمادي الثلاثة عشر على 48 كتاباً، تبلغ في مجملها 1000 صفحة، من بينها 794 صفحة حُفظت كاملة وبحالة مُمتازة، واللغة التي كُتبت بها هي اللغة القبطية، حيث دُوت 10 مجلدات «بالقبطية الصعيدية»، أما الثلاث الأخر فقد دُوت «بالأخيمية الجنوبية». ويمتد زمن تدوين هذه المجموعة من المخطوطات من نهاية القرن الثالث إلى بداية القرن الرابع الميلادي، عن تلك الوثائق الفريدة وأهميتها وكيفية العثور عليها انظر مقدمة النشرة الإنجليزية لتلك الوثائق: *The Nag-Hammadi library in English*, trans. and edited by JAMES RICHARD SMITH, Leiden 1977, pp 3 - 26. وللتوسع حول مكتبة نجع حمادي تجد مجموعة متنوعة من الدراسات عن تلك المخطوطات من مختلف الجوانب الدينية والتاريخية في العمل التجميعي:-

Essays on the Nag-Hammadi texts, edited by PAHOR LABIB, MARTIN KRAUSE, Leiden, 1975.

WAYNE A. MEEKS: *The prophet-king; Moses traditions and the Johannine Christology*, Leiden 1976,⁴²

p 267.

⁴³ الأسينيون: أخوية مارقة تأسست بعيداً عن سُلطة كهنة الهيكل اليهودية، وأقامت مُستوطنات جنوب البحر الميت، واشتهروا بورعهم، وكرهيتهم للمظاهر الدنيوية الفانية، واحتقارهم للمال والثروات، وكذلك كراهيتهم للنساء الذي وصل عند البعض منهم إلى حدّ التبتّل ورفض الزواج، كما عرفوا بحرصهم على التطهر الجسدي، وذلك بواسطة المبالغة في الاغتسال بالماء، وعلى الأرجح فإن نشأة التعميد كرمز للتوبة والتّدم قد نشأت في وسط أسيني، أو متأثر بالأسينية انظر:- مقدمة موسى ديب خوري للنشرة العربية من مخطوطات قمران، القسم الأول:- التّوراة: كتابات ما بين العهدين، دمشق 1998، ص 35 وما بعدها،

DOLORES CANNON: *Jesus and the Essenes*, New York 1992, pp 28 - 56. ; CHRISTIAN DAVID

Ginsburg: The Essenes; their history and doctrines, London 1955, pp 5-31.

طقوس التطهر وارتداء الملابس البيضاء أثناء طقس التطهر، وهو أمر مُحال عند المندائيين، وكذلك في نظرهم العامة تجاه صرامة مراعاة المقاييس الأخلاقية كاحترام الناس، والتزاهة في التعامل، والالتزام بالعدالة والحق، وتوقيع من هم أكبر سنًا، والتقوى بشكل عام، وهي قيم شاعت في منطقة الشرق الأدنى بتأثير الفلسفة الرواقية الإغريقية. وهناك بعض النواحي الأخرى التي يقترب فيها المندائيون من الأسينيين كطرق الدفن، واستقبال الشمال كقبلة⁴⁴، وهي أمور تثير التساؤل عن علاقة كلتا الفِرقتين ببعضهما البعض، والأهم من ذلك وجود تماثل بين بعض النصوص المندائية ونصوص إنجيلية لا سيما في افتتاحية إنجيل يوحنا⁴⁵ إضافة إلى العثور على كتابات مندائية وسط أوراق الجنيزة اليهودية⁴⁶.

كما إن ذلك العداء الشديد الذي تُضمّره المندائية لليهودية في كتاباتها المقدسة، تُشير بوضوح - في نظر أصحاب نظرية الأصل الغربي - إلى حقبة مريبة من الصراع بين الديانتين، ومن الطبيعي أن تكون فلسطين هي مسرح النزاع في صراع مثل هذا، فإله إسرائيل الذي تدعوه المندائية بـ«أدوناي» هو إله شيرير، لا يُضمّر للمندائيين ودًا، وهو يُقرن بشامش (أحد الكواكب السبعة الأشرار المكلف بالشمس)، وإن ميسا (موسى عليه السلام) هو نبي للروها (قوى الظلام)⁴⁷. كذلك مكانة يوحنا المعمدان المتميزة في العقيدة المندائية مقارنة بالموقف العدائي الذي تتخذه من دعوة المسيح عليه السلام على نحو يمكن تفهّمه في ضوء العداء الشهير والمعروف بين تلاميذ المسيح وتلاميذ يوحنا المعمدان⁴⁸ بالإضافة إلى مراسم التعميد، والتطهير بالماء الجاري

⁴⁴ سباهي: أصول الصابئة، 99 - 101.

⁴⁵ نفسه، 36.

⁴⁶ EDWIN M. YAMAUCHI: *Gnostic*, p 2.

⁴⁷ سباهي: نفسه، 102.

⁴⁸ إن الفقرات الواردة في إنجيل متى: «أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لنست أهلًا أن نخجل جذاه، هو سيُعمدكم بالروح القدس». متى 3: 11؛ «حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليُعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليّ، فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نُكمل كل بر». متى 3: 13-16؛ «الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه». متى 11: 9-12، وهي فقرات لها علاقة - في نظر البعض - بالمعارك والتراعات التي كانت مُستعرة بين تلاميذ

هي - كما يُرجَّح أنصار نظرية الأصل الغربي - ما يُميِّز طقوس تلاميذ يوحنا المعمدان، ويُشير بوضوح إلى بيئة البحر الميت جنوبي فلسطين.

على ذلك يُرجَّح أنصار نظرية الأصل الغربي أن المندائيين الفارَّين بدينهم من فلسطين هم قوام المهاجرين إلى بلاد ما بين النهرين، حيث اختلطوا بسكانها وتأثروا إلى حد ما بتعاليم الديانة البابلية الأولى، وبالتالي خرجت لنا تلك العقائد الدينية الفريدة التي تُميِّز المندائية اليوم. وهذه الهجرة المُتَرَصِّة إلى جنوب العراق حدثت في وقت مُتأخِّر بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وهناك اكتسبت تلك الديانة ذلك المظهر الشرقي الحاصل ذي السمات البابلية والآشورية، بالإضافة إلى ذلك المظهر الغنوصي المميِّز لها⁴⁹.

أمَّا اللغة المندائية؛ فهي بدورها أُخِيجة أخرى، لكنها تميل إلى تغضيد نظرية الأصل الشرقي، فهي لغة تفرَّعت - لا شك - عن الآرامية القديمة⁵⁰، فالمندائية تحوي قدرًا هائلًا من المفردات ذات الأصل الآرامي والأكدى والبالي والفارسي في مزيج واحد يُوحى بتأثرها بظروف بلاد ما بين النهرين؛ تاريخيًا وجغرافيًا، في حين أن تأثرها بالعبرية كان في أضيق نطاق،

يوحنا وبين تلاميذ المسيح وقت تدوين متى للإنجيل، وأراد فيها تمجيد المسيح وإظهار يوحنا على أنه مُهد لدعوته، ولعلَّ تلاميذ يوحنا كانوا يَختبِئون بتقديم أستاذهم بأنَّه قام بتعميد المسيح كما يتَّضح من قراءة ما بين السطور لفقرات إنجيل متى سألقة الذكر.

⁴⁹ E. S. DROWER: *The secret Adam*, Oxford 1960, pp 95 – 101; E. M. YAMAUCHI: op. cit, pp 60 - 62

سباهي: أصول الصابئة، 111.

⁵⁰ كانت اللغة الآرامية قد أصبحت منذ القرن الرابع ق.م لغة عالمية، فقد ابتلعت جميع اللهجات واللغات الأخرى في منطقة الشرق الأدنى باستثناء شبه الجزيرة العربية ومصر، ثوريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري، ترجمة إسماعيل العربي، الدار البيضاء 1990، 136، وعن اللغة المندائية وعلاقتها بالآرامية الأم وتأثيرات العربية فيها بصورتها الأخيرة بصورة أخص انظر:- أوبية الخميسي: علاقة المندائية بالعربية، مجلة المورد العراقية، مج 4، ع 2، بغداد 1975، 67 - 70؛ إبراهيم السامرائي: دراسات في اللغة، بغداد 1961، 211 وما بعدها؛ صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، بيروت 1968، 51.

وعَزَّزَ ذلكَ نظريةَ القائِلينَ بالأُصولِ الشرقيَّةِ للمندائيِّينَ. وعلى ذلكَ قَرَّرَ كلٌّ من بركيت وتُولِدَكَه أن لُغةَ المندائيِّينَ بِشكلِها الحَالي لا تَدَعُمُ نظريَّةَ الأُصلِ الغَربيِّ⁵¹، فاللُغةُ المندائيَّةُ أَقربُ إلى لُغةِ التَّلُمُودِ البابليَّةِ، وكِلتا اللُغَتَينِ مُتجاوِرتَينِ مِنَ النّاحيةِ الجُغرافيَّةِ، وعُلماءُ السّامياتِ يميلُونَ الآنَ إلى أن لُغةَ التَّلُمُودِ البابليَّةِ كانت تُستخدَمُ في بابِلِ العُليّا، والمندائيَّةُ في بابِلِ السُّفلى⁵².

أما الأبجديةُ المندائيَّةُ؛ فأحدُ أبرزِ مُناصري قضيةِ الأُصلِ الغَربيِّ للصّابئةِ المندائيِّينَ وهو رُوبرت مأكُوخُ يعتقدُ أن الأبجديةَ المندائيَّةَ هي صورةٌ مُطوَّرةٌ عن الأبجديةِ النَّبطيَّةِ، وقد جاءَ بها المندائيُّونَ مِنَ الغَربِ، ولكن بعضُ الباحِثينَ أمثالَ نيفيه وكُوكسينَ يعتقدونَ أن الأبجديةَ المندائيَّةَ هي صورةٌ مُطوَّرةٌ عن الأبجديةِ العيلاميَّةِ التي انتشرت في فارسَ وبلاد ما بين النّهرين قُبيلَ ظُهورِ المَسيحيَّةِ.

خُلاصةُ القولِ لم يتمخَّضَ عن البَحْثِ في أُصولِ الصّابئةِ المندائيِّينَ بينَ الشَّرقِ والغَربِ أيُّ حُسمٍ لقضيةِ الأُصلِ سواءَ على الصّعيدِ الإثني أو العقائدي، فكِلتا النّظريَّتينِ لا يَقومُ عليهما دليلٌ، وإن كانَ الباحِثونَ اليومَ يميلُونَ أَكثَرَ للقولِ بالأُصلِ الغَربيِّ للمندائيِّينَ فذلكَ بتأثيرِ عاملينَ فحسبَ، أولُهما: ظُهورُ ونشرِ وثائقِ قُمرانَ ووثائقِ نَجْعِ حَمّادي في وقتٍ مُتزامنٍ وتأثيرِهما العميقُ في الدّفعِ بالدراساتِ الخاصَّةِ بالغنُوصيَّةِ إلى آفاقٍ أَرَحَبَ من ذي قبلَ، وبطبيعةِ الحالِ انعكسَ ذلكَ جُزئيًّا على قضيةِ أَصلِ المندائيِّينَ ونشأتهم. وثانيها: ميلُ ثلاثةٍ من كبارِ العُلماءِ المُتخصِّصينَ في المندائيَّاتِ - في الحِقْبةِ الأخيرةِ - وهُم السَّيدةُ دَراور، ورُودلف مأكُوخُ، وكُورت رُودلفُ لنظريَّةِ الأُصلِ الغَربيِّ قد أثَّرَ تأثيرًا جَمًّا في دُعمِ الأوساطِ العلميَّةِ لها،

⁵¹ BURKITT F. C: *Church and Gnosis*, Cambridge university press, 1932, p 111; NOLDEKE:

Mandaean bibliography, Oxford university press, 1933, p 63.

⁵² مُراد كَامِلٌ؛ مُحَمَّدُ حمدي البكري؛ زَاكِيَّةُ مُحَمَّدُ رُشدي: تاريخُ الأدبِ الشَّرياني، القاهرة د.ت، 12.

خاصّة في صَوء خفوت صوت أصحاب نظريّة الأضل الشّرقي، التي أصبح يُنظر إليها على أنها نظريّة كلاسيكيّة قديمة. مع ذلك فإنّ جميع ما ساقه دُعاة الأضل الغربي لا تكفي - باعترافهم أنفسهم - لحسَم هذه القضية. وتطلُّ فكرة البحث عن أصول الصّابئة بين من تبقّى بين البابليين أو بين من اندمج معهم من الجماعات الآرامية تُغري المرء رغم افتقارها إلى أدلّة ماديّة حاسمة⁵³.

⁵³ سباهي: المرجع نفسه، 61-62.

الفصل

الرابع

4

أصول صابئة حرّان

«وَأَنَا هَذِهِ الطَّائِفَةُ أَيْضًا أَيْعَنِي
الْمَرْنَانِيَّةُ فَلَمَّا لَمْ تُطْلِعْ أَحَدًا مِنْ
الْأُسَمِّ شَيْئًا مِنْ الْأَسْرَارِ الْغَيْبِيَّةِ
وَالذِّخَائِرِ الْهَرُوسِيَّةِ، بَلْ كَانُوا
يَتَدَاوَلُونَهُ بَيْنَهُمْ جِيلًا جِيلًا إِلَى يَوْمِنَا
هَذَا».

أبيه وَهْشِيَّة

في العراق الأعلى¹، وإلى الجنوب من مدينة الرُّها²، وعلى نهر بانْيَاس³ تقع مَدِينَةُ حَرَّانَ *Charrae*⁴، مَهْدُ عِبَادَةِ إِلَه الْقَمَرِ الْأَكْدِيِّ «سِين»⁵. وقد اضْطَبَعَتِ الْمَدِينَةُ خِلَالَ الْعَصْرِ

¹ اضطلع الجغرافيون المسلمون على فصل إقليم العراق (بلاد ما بين النهرين) عن امتداده الجغرافي الطبيعي أعلى نهر الفرات، واعتبروه إقليمًا مُستَقْلًا، أطلقوا عليه اسم إقليم الجزيرة الفراتية؛ ويبدو أن هذا التقسيم الذي درج عليه الجغرافيون المسلمون مُستمدٌّ من تقسيمات قديمة تعود لبطليموس الجغرافي - أراد منها - فيما يبدو فصل بابل القديمة عن ما عداها من البقاع، وترتَّب على ذلك خروج أجزاء تُعدُّ جزءًا لا يتجزأ من إقليم العراق جُغرافيًا كالمَوْصِل، والائْبَار، وَحَرَّانَ ورأس العين والرَّقَّة، وهو ما يُضْطَلَح على تسميته «بالعراق الأعلى».

² تُعرف الآن بأورفا *Urfa*، وتضمها اليوم الحدود السياسية للجمهورية التركية.

³ أحد رَوافِد الفُرات.

⁴ حَرَّان أكبر مَدَن ديار مُقَرَّر بالجزيرة، وكانت تقع على طريق تجاري قديم كان يربط الخليج العربي بالشَّام والأناضول وشرقي أوروبا، وبينها وبين الرُّها مسيرة يوم واحد، ورغم أن اسمها تعريبٌ واضح لاسمها القديم *Charrae* فإن الجغرافيين المسلمين لم يتعرفوا على اسمها القديم، ومن ثم اعتقدوا أنها من بناء «هاران» أخيه إبراهيم الخليل عليه السلام، ومنه استمدَّت اسمها، وقد وصفها الجغرافيون المسلمون بأنها واسعة العِيارَة، بُنيت على أرضٍ سهليَّة مُبسِطة، مُسَوَّرة، ولها أربعة أبواب كبيرة، ولها في غربيها دُورَات، وشمالها خَرِب، ولها قَرْى مُتَّصِلَة بها تُضَمُّ كل قَرْية خَلْقًا كثيرًا. وبأغلاها تَلَّة فيها يوجد مُصَلَّى الصَّابِئِينَ (هيكُل القمر). عن حَرَّان وموقعها وبعض التفاصيل الجغرافية عنها انظر: - الحميري: الرُّوضُ المِعْطَار، 191 - 192؛ بَأثُوت الحَمَوِي: مُعْجَمُ الْبُلْدَان، 2: 271 - 272؛ ابن حَوْقَل النَّصِيبِي: صُورَةُ الْأَرْض، الْقَاهِرَة د.ت، 190؛ ابن خُرْدَاذْبَة: الْمَسَالِكُ وَالْمَمَالِك، 54؛ أَبُو الْفِدا: تَقْوِيمُ الْبُلْدَان، تحقيق رينود؛ م. كوكين ديشلان، باريس 1840، 277.

⁵ أقدم ذكر لعلاقة إله القمر الأكدي سِين بمدينة حَرَّان ورد في الكِتابَاتِ الْأَشُورِيَّة، حيث ورد في أحد النُقُوش أن شُلْمَا ناصِر الثالث دخل حَرَّان سنة 857 ق.م و جلب إليها جالية آشورية اختلطت بشعبها الآرَامِي، وابْتَنَى بها قَصْرًا ومعبدًا للإله سِين إله القمر، محمد عبد الحميد الحمد: صَابِئَةُ حَرَّان وإخْوَانُ الصَّفَا، دِمَشْق 1998، 8؛ وعن عِبَادَةِ إله الْقَمَرِ سِين انظر: TAMARA M. GREEN: *The city of the Moon god, religious traditions of Harran*, Leiden 1992, pp 21- 27. نُغْزِرُ عِشْتَارَ، الطبعة الثامنة، دِمَشْق 2008، 72 - 73. جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّهُ قَدْ عُثِرَ عَلَى تَمَائِيلَ لِلإله سِين بِأَرْضِ حَرَّانَ، وكذلك على بعض الْأَخْتِمِ الْأَسْطُوَانِيَّة، وعلى بعض المنحوتات الحجرية، وهو يَصُورُ على هيئة هِلَالٍ ذِي قَرْنَيْنِ بَارِزَيْنِ، انظر: الْأَبْ سَهِيل قَاشَا: أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، بيروت 1998، 299. ومن المدهش أيضًا أن نعرف أن عَرَبَ الْيَمَن كانوا يرمزون لإله للقمر برأس الثور وقرناه، توفيق بَرُوء: تاريخ العرب القديم، دِمَشْق 1996، 97. وقد أدرك العلماء المسلمون علاقة حَرَّان بعِبَادَةِ إله الْقَمَر، انظر على سبيل المثال قول البيروني «إنَّ حَرَّانَ مَدِينَةٌ مَنْشُوبَةٌ لِلْقَمَرِ، وَبُنِيَتْ عَلَى صُورَتِهِ»، الآثار الباقية، 205.

الهللينستي ثقافة حرّان الدّينية ذات الأصول الشّرقية بصبغة هللينية قويّة كما هي الحال في أزجاء الشّرق الأدنى كافّة، وذلك نتيجة هجرة أعداد كبيرة من اليونانيّين إليها منذ تم فتحها على يد الإسكندر المقدوني، وبالتالي اضطبغت الرّوح الوثنيّة الشّرقية بالغربيّة في مزيج مُدهش شكّل جوهر عقيدة صابنة حرّان⁶.

وبرغم وقوع حرّان في منطقة تُعدُّ مهد الثقافة السّريانيّة المسيحيّة الكلاسيكيّة، فقد وقفت تلك المدينة بالرّصد لانتشار المسيحيّة وقاومتها بكلّ قوّة، حيث تجمّعت بها جاليات كبيرة من الذين فضّلوا البقاء على وثنيّتهم ورفضوا اعتناق المسيحيّة من مختلف بقاع شرق أوروبا والآناضول والشرق الأدنى.

وكان لغلبة الرّوح اليونانيّة على المدينة أن أسماها جيرانهم من النّصارى السّريان *Helleno-polis* بمعنى مدينة الهلّينين أو اليونانيّين الوثنيّين⁷. كما أطلقوا على صابنة حرّان أسماء متعدّدة، كالحرّانيّة والكلدان والحنّفاء.

نالت حرّان شهرةً واسعة في أرجاء العالم القديم بوصفها المعقل الوحيد الباقي من معاقل الوثنيّة بالإمبراطورية الرّومانيّة⁸. إذ كان الوثنيّون يُشكّلون الغالبية السّاحقة من

⁶ TAMARA M. GREEN: op. cit, p 44.

⁷ ماكس ماير هوف: من الإسكندرية إلى بغداد، مرجع سابق، 70. ولم تغب تلك الصّبغة الهلّينية في ديانة الحرّانيّة عن المسلمين، فالمسعودي وصف صابنة حرّان بأنّهم «بقايا اليونان وحشويّة الفلاسفة المتقدّمين»، مروج الذهب، 1: 71.

⁸ زار الإمبراطور جوليّان المُلقّب بالمرتد حرّان عام 363م، وقدم القرابين لألهتها، فيما رفض زيارة الرّها ذات الأغلبية المسيحيّة، وأدرك مسيحيو الرّها أنّ الإمبراطور أراد الخطّ من شأن مدينتهم، وإعلاء قيمة حرّان بإزائها، وهو ما سبّب أجواء من الكراهية المتبادلة بين المدينتين استمر حتى ما بعد الفتح الإسلامي

لكلتاهما. انظر: - TAMARA M. GREEN: *The city of the Moon*, p 50.

سُكَّانِهَا⁹، وِيَاءَتِ جُهُودِ الْأَبَاطِرَةِ الرُّومَانِ - الْمُتَحَمِّسِينَ لِلْمَسِيحِيَّةِ - بِالْفَقْشِ فِي إِقْنَاعِ أَهْلِ حَرَّانَ بِهَا، فَقَتَعُوا مِنْهُمْ صَرِيبةَ الرَّأْسِ مُقَابِلَ الْأَمَانِ¹⁰.

كان الحرانانية يتحدثون الآرامية بأفصح لهجاتها، كما كانوا يتقنون إلى جانب ذلك اليونانية والسريانية، ويُعلِّل الباحثون ذلك بتحرُّر المدينة نسيباً من المؤثرات اليهودية والمسيحية¹¹. وكانت نخلة الصابنة الحرانانية باطنية، تقوم على كتمان المعتقدات والطقوس، وغالباً ما نشأ هذا في المرحلة التي كانت الديانة مُهدَّدة بتأثير انتشار المسيحية الواسع، وانهار سُمعة الوثنية القديمة، فتفوقعت الوثنية - ذات الأصول البابلية القديمة المتعلقة بعبادة الأجرام السماوية، والمختلطة بالفلسفة اليونانية الوافدة - وبصفة خاصة الفيثاغورية¹² والأفلاطونية المحدث¹³ - على نفسها مُكوِّنة ديانة سريّة غير قائمة على التبشير، اعتبرت نفسها

⁹ زات إخذى الرّاهبات - وتدعى إيجيريا - حرّان وذكرت أنّها لم تعبد بها مسيحيين عدا بعض رجال الإكليروس والرهبان الاتقياء الساكنين هناك، لأنّ الشّكان كانوا جميعاً من الوثنيين، تارديو: مرجع سابق، 49، ويفهم من البلاذري أنّ الحرّانانية كانوا يُشكّلون أيضاً أغلبية الشّكان عند دخول فاتحها عياض بن غنم، فقد أغلّقوا دونه أبواب المدينة، وشرطوا عليه أن يتوجّه إلى الرّها أولاً، فما صالحه عليه نصارى الرّها قبل به الحرّانانية وصاحّوه عليه أيضاً، فقبل عياض وتوجّه إلى الرّها وصالحهم على الجزية، فقبلت حرّان بالشروط نفسها. البُلْدَان، فتوحها وأحكامها، تحقيق سهيل زكّار، بيروت 1992، 205 - 207.

¹⁰ القفطي: إخبار الحكماء، 24؛ النديم: الفهرست، 2: 143 - 144.

¹¹ أوليري: علوم اليونان، 235؛ مراد كامل؛ محمد حمدي البكري: تاريخ الأدب السرياني، 20 - 21.

¹² الفيثاغورية نسبة إلى مؤسسها فيثاغورس الحكيم (عاش في القرن السادس ق.م)، وهي مدرسة فلسفية قامت على أساس تنظيم أخوي يشبه أخويات الرهبان في الأديرة، وتقوم الفلسفة الفيثاغورية على ركنين: أحدهما رياضي والآخر أخلاقي، أمّا الرياضي منها فقد اختص بدراسة خصائص الأعداد واشتباط العلاقة ما بينها وبين هندسة العالم وطبيعة الخلق والحال، أما الشق الأخلاقي الفلسفي منها فيتلخص في أن بلوغ السعادة القصوى لا يتم إلا عن طريق تطهير النفس، والاعتقاد بسمو النفس على الجسد، وأقررت الفيثاغورية أيضاً مبدأ التناسخ، انظر: - أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية، القاهرة 1965، 16 - 26.

¹³ الأفلاطونية المحدث: تيارٌ فلسفي أثر تأثيراً واسعاً في ديانات الشرق الأدنى القديم، حتى أن آباء الكنيسة أنفسهم اعترفوا بتأثيرها في المسيحية الأولى، وأنها صارت جوهر الميتافيزيقا في المسيحية، وهذه المدرسة

ورثة المجد العابر للحضارات القديمة - وعلى الأخص المصرية والبابلية والإغريقية الرومانية - في حقب ما قبل ظهور المسيحية والإسلام¹⁴، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد في كتمان أمور

نسب إلى مؤسسا أفلوطين (ت270م)، وهو فيلسوف سكتندري يعود أصله إلى مدينة أسبوط بصعيد مصر، ولا نعرف إلا القليل عن حياته بسبب ما عُرف عنه من احتقار للعالم المادي، حتى أنه كان خجلاً من ذكر نسبه وتاريخ أجداده، وندين بمعلوماتنا عنه لجريغوريوس الصوري (ت304م)، ومنه نعرف أن أفلوطين بدأ دراسته للفلسفة بالإسكندرية في السابعة والعشرين من عمره، وغالباً فإن ولعه بديانة الفرس جرّه للانخراط في حملة عسكرية قادها الإمبراطور جودليان على فارس، ونجّاه بحياته بأعجوبة وعاد أدراجه إلى أنطاكية، ثم لم يلبث أن توجه إلى روما وهو في الأربعين من عمره، وهناك بدأ محاضراته عن مذهب الذي لُقّب بالأفلاطونية المحدثة، تمييزاً لها عن فلسفة أفلاطون الإغريقي القديم، للمزيد عن سيرة أفلوطين انظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، 324-329؛ أوليري: علوم اليونان، 29؛ ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية، بيروت 1991، 190 وما بعدها. والأفلاطونية المحدثة فلسفة تلفيقية أكثر منها مذهباً جديداً، استقى أفلوطين مذهب من أفكار أفلاطون الإلهي - كما كان يدعوه - ومن أمونيوس ونومنيوس، وتقوم على مبدأ تفسير الوجود بنظرية الفيض، عن طريق ثالث عُرف بثالوث أفلوطين، ويُعتقد أن نظرية التثليث المسيحي هي مجرد تطوير لثالوث أفلوطين، وثالوث أفلوطين يتكوّن من الباري الذي فاض عنه العقل الأول، والعقل الأول فاضت عنه النفس، أوليري: المرجع نفسه، 32. وتُنكر الأفلاطونية كل قيمة للعالم المادي، وتُقرّ أن العالم الروحاني صدر عن العلة الأولى (العقل الأول) أو الإله الأعلى، الذي صنع العقل الثاني، والذي بدوره خلق العالم المادي، والعالم قسباناً روحانيّاً وسُفليّاً، والنفس هي محور الالتقاء بين العالمين، وتعكس كالمِرآة روائع العالم الإلهي، وهي عند الموت تعود إلى صفاتها الإلهية بعد تحرّرها من تدنيس الجسد الذي يعود للعالم السفلي، وتدور في دوائر حدّدتها سلفاً العناية الإلهية، فهي إمّا تُرْجى فتعود إلى جسد أذنّى رتبة كحيوان أو نبات وخلافه، وإما خيرة فتتحد بالذات الإلهية، ويختلف موقف أفلوطين عن الغنوصيين في نقطة جوهرية، فأفلوطين يُنكر تماماً أي دور للمعرفة في الخلاص، ويقول بأن التقوى واحتقار العالم المادي هما وسيلتا الخلاص. للتوسع حول الأفلاطونية المحدثة، انظر: عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، القاهرة 1979، 109 - 122؛ كامل حمود: تاريخ الفلسفة العربية، بيروت 1991، 55 - 58؛ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، 106. والغريب أن الفلاسفة المسلمين لم تعرّفوا على أفلوطين المؤسس الحقيقي للأفلاطونية الحديثة، والتي تأثروا بها بشدة، وإنما تعرّفوا على الأفلاطونية الحديثة من خلال تلميذه بروقلس، يوسف كرم: المرجع نفسه، 330؛ نيكلسون: الصوفية في الإسلام، ترجمة نور الدين شريّة، القاهرة 2002، 22. وعلى الرغم من أنّهم كانوا يعرفون كتاب أفلوطين الشهير «التأشوعات» إلا أن ناقله للعربية ابن ناعمة الجمنصيّ نسب خطأ إلى أرسطو طالس.

¹⁴ ابن العربي: تاريخ الزمان، 48-49.

المِلَّة، فبعض التّقاليد اليُونانيّة الفلسفيّة القديمة قد لعبت دورًا كبيرًا في حرص الحرّانيّة على كتمان عقيدتهم أيضًا¹⁵، يُضاف إلى ذلك رغبة الحرّانيّة في عدم التّشويش على لقبهم الذي أنسبهم احترام المسلمين، وهو «الحنّفاء» وهو ما كان من شأنه أن يؤثّر على وضعهم كأهل ذمّة¹⁶، كل هذه العوامل مجتمعة جعلت الحرّانيّة يُبطنون أكثر ممّا يظهرون من الحقائق حول ديانتهم.

لسوء الحظ لم تصل إلينا أيّ من كتابات الحرّانيّة الدينيّة، رغم أن بعض علماهم ألف في أصول الديانة والطّقوس الدينيّة كتبًا عديدة، ولم يتبق سوى مقولة لثابت بن سنان، حفظها لنا أبو حيّان التّوحّيدي (ت416هـ/1025م)، قد يكون لها مدلول على أن الكتابات الدينيّة لدى صابئة حرّان كانت مُخلّطة بالشّئون الدّنيويّة - وعلى الأخصّ الفلاحة - وذلك على غرار كتاب الفلاحة النّبطيّة الذي ترجمه ابن وحشيّة عن لغة النّبط القُدّماء¹⁷.

ومحور اعتقادات الحرّانيّة أن للعالم صانعًا مُدبّرًا حكيمًا، مُنزّها عن مُماثلة المصنوعات، واحد في ذاته، وكثير في رُؤى العين¹⁸، وهو الاعتقاد ذاته الذي ذهب إليه الفيلسوف الإغريقي «برقْلُس» PROCLUS (ت485م) من أن المعبود واحدٌ أزليّ في الأصل، يتكثّر بتكثّر

¹⁵ قد يكون منشأ نظرية الضنّ بالعلم على غير أهله هو ممارسات المدرسة الفيثاغورسية القديمة التي كانت تُخصّص دروسًا للعامة، وأخرى للخاصّة، وكان المعلّمون يتّقون ما يُدرّس ويُشرح في الحلقتين، مُخذّرين من خلط هذا بذلك، وبذل العلم إلى غير أهله، وقد بقي هذا التّقليد سائدًا في كثير من المدارس الفلسفيّة اليونانيّة، فأرسطو كان يُعطي دروسًا بالنّهار للخاصّة، ودروسًا أخرى ليلاً للجمهور، انظر: أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفيّة، 17. قارن أيضًا: ابن وحشيّة الذي يقول ما نصّه: -«اعلم أيها الحكيم العارف أن التّراصة الخاصّة لم يُطلعوها على أشرارهم غير أبناء جنيّهم، خوفًا على أشرارهم لتلاّ تضع مع غير أهلها من أولاد السّفلة وفُساد العالم وخُرابه». شوق المُستهام، 91.

¹⁶ يرى خوالسون في هذا ضربًا من ضروب الخداع استخدمه الحرّانيّة بمهارة لتضويه المسلمين فيما يخصّ ديانتهم وعقائدهم وطّقوسهم، انظر: - CHIWOLSOHN: op. cit, vol. I, pp 470- 471.

¹⁷ أبو حيّان التّوحّيدي: المُقابسات، باعِثناه حسن السّنْدوبي، الكُوَيت 1992، 272.

¹⁸ النّدِيم: الفهرست، 2: 357-358؛ الشّهرستاني: الملل والنحل، 1: 54؛ شيخ الرّبوّة: نُخبّة الدّهْر، 44؛

CHIWOLSOHN: op. cit, Vol. II, p 3.

مخلوقات وتعدّد صورها، باعتبار كل صورة فيضاً عنه¹⁹. كما أنّ هناك أرسطية ملحوظة في عقائد الحرنائية، فقد جاء على لسان أحمد بن الطيّب السرخسيّ بأن الحرنائية يقولون بالهيوولي²⁰ والصورة والعدم والزمان والمكان والحركة كما قال أرسطو في «سمع الكيان»²¹.

واعتقدوا أيضاً أن الباري أبدع الفلك وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب، وجعلها مدبّرات هذا العالم، وهم الآباء، والعناصر هُنَّ الأمّهات، والمركبات هُنَّ المواليد، والآباء أحياء ناطقون، يؤدّون الآثار إلى العناصر، فتقبلها العناصر في أرحامها، فيحصل من ذلك المواليد، فيتشخص الإله به في العالم المادي²².

وهم يُقرّون بأنهم عاجزون عن الوصول إلى الباري بدون الوسائط، والواجب التقرّب إليه بتوسّط الرّوحانيين المقدّسين المُطهّرين عن الموادّ الجسديّة، والمُنزّهين عن الحركات المكانية

¹⁹ صنّف يحيى بن عديّ النّصراني (ت 364هـ/ 974م) رسالته المعنونة بـ «مقالة في التّوحيد» وخص منها قسمًا عنوانه: «هل الله واحد، أم واحد وكثير؟» للرد على الحرنائية بالذات في عقيدتهم بأن الله واحد في ذاته، ويتكثّر بكثرة مخلوقاته في ذات الوقت، انظر رسالة لمؤلف المذكور أعلاه: نشر وتحقيق الأب سمير خليل اليسوعي، روما 1980، 195 - 221.

²⁰ الهيوولي: اصطلاح إغريقي نقل إلى العربية، وهو يعني جوهر كل جسم حامل لصورته، أي المادة الأصلية التي يتألف منها هذا الجسم، كالخشب للسرير، والنفّضة للخاتم. وكالدّهَب للدينار. فالهيوولي هو المادة، والعنصر، والطينة، وإذا أطلق مُصطلح الهيوولي - دون تحديد - فإنه يعني طينة العالم، أي جسم الفلك الأعلى وما يحويه من الأفلاك والكواكب، ثم العناصر الأربعة التي تتألف منها كافة العناصر في نظر الفلاسفة الطبائعيين وهي: التراب، النار، الماء، الهواء، أما الصورة، فهي هيئة الشّيء وشكله التي يتصوّر الهيوولي بها، وبها يتم الجسم، ويتخذ شكله المرئي، كشكل السرير بالنسبة لهيولته وهي الخشب، واستدارة الدّينار بالنسبة لهيولته وهي الدّهَب، وبصفة عامة فالجسم مؤلف من الهيوولي، والصورة معاً وفي نفس الوقت، ولا وجود لهيوولي يخلو من الصورة إلا في الوهم، والعكس صحيح. فالصورة هي الشّكل والهيئة والصّيغة، الخوارزمي: مفاتيح العلوم، 131.

²¹ النّديم: الفهرست، 2: 361. فخر الدّين الرّازي: مُحصّل أفكار المُتقدّمين والمُتأخّرين من العلّماء والحكّماء والمُتكلّمين، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة د.ت، 84. جدير بالذكر أن ثابت بن قُرة هو الذي شرّح كتاب سَمْع الكيان لأرسطو، وقد شجع هذا البعض بالقول بأن كل مقولات الحرنائية التي تناقلتها المصادر العربية تُنسب بالضرّورة إلى ثابت بن قُرة، الحمد: مرجع سابق، 120.

²² شيخ الزبوة: نُخبة الدّهَر، 47؛ الشّهَرستاني: المِلل والنّحل، 2: 54؛ CHWOLSOHN: op. cit, vol. II. P 401.

والتغيرات الزمانية، وهي السيارات السبع، ولذلك فهم يتوسلون بالنجوم والكواكب للوصول إلى ملك الملوك²³.

ومن الجلي أن عبادة الأجرام السبعة السيارة²⁴ كانت ميراث مدينة حرّان العريقة ممّا تبقى من أطلال الديانة البابلية القديمة التي كانت حرّان أحد قلاعها، ولما كانوا يعتبرون أنفسهم ورثة المصريين القدماء، والإغريق، والرومان؛ فقد قدّسوا كلّ ما كان من بنائهم، واعتبروه رمزاً لهيكل من الهياكل السبع المخصصة لعبادة وتقديس الكواكب السيارة، فهيكल الحرنانة الرئيسي بحرّان، والأهرام بمصر، والمسجد الأموي في دمشق، والذي زعموا أنه بُني على أطلال هيكل قديم لهم، وبيت المقدس²⁵، وهيكل قديم بقرغانة²⁶، وهيكل قديم ببُلخ - كان بيتاً مقدّساً للنار عند المجوس²⁷، وحتى الكعبة المشرفة اعتبرها الحرنانة ضمن هياكلهم السبعة²⁸، وكانوا يصلّون لردّها عليهم وعودة دولتهم كما كانت أيام ازدهارها²⁹. ومن ثم لم يكن بين أيدي الحرنانة من هياكلهم سوى هيكلين فحسب، استنزهم عياض بن غنم عن أحدهما فأصبح مسجد حرّان الجامع، وأقرهم على هيكلهم الثاني والذي عُرف بهيكل القمر.

²³ البيروني: الآثار الباقية، 205؛ ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، 2: 238؛ الفخري: تلخيص البيان في ذكر فروق أهل الأديان، تحقيق رشيد البندر، لندن 1994، 222؛ المقدسي: البدء والتاريخ، القاهرة (د.ت) 4: 22.

²⁴ وهي: الشمس والقمر (النّيرين). وزُحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد (الخنس السيارة). الخوارزمي: مفيد العلوم، ومفيد المهوم، القاهرة 1323 هـ 75؛ فخر الدين الرازي: اعتقادات فرق المشركين، تحقيق محمد عبد الرزاق، القاهرة 1938، 90.

²⁵ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، 1: 444.

²⁶ شيخ الزبوة: نخبة الدهر، 43.

²⁷ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

²⁸ ياقوت: معجم البلدان، 4: 529؛ المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بخط المقرئ، القاهرة 1999، 1: 115؛ القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والتدليل، تحقيق محمود محمد الحصري، القاهرة 1958، 5: 152؛ المقرئ: السلوك، 1: 29؛ CHWOLSOHN: op. cit., vol. II, p. 29.

605.

²⁹ النديم: الفهرست، 2: 371.

كما آمن الحرثانية أيضًا أن الفلك حثهم على طلب الحكمة، وعن دفع كل ما ناقض الفطرة، وأن يلزموا الفضائل وأن يتجنبوا الرذائل³⁰، واعتقدوا أيضًا أن كل روح من أرواح هذه الكواكب قد تجلّى للإنسان في أزمينة مختلفة، وعلمته تلك الرقوم والتعاويد والرقي التي من شأنها أن تجعله يحظى برضاها³¹.

ولكتابات المسعودي عن عقائد صابئة حرّان أهمية بالغة، ذلك أن المسعودي اقترب منهم وزار هياكلهم، وربطته أواصر الصداقة بعالم حرثاني منهم يدعى مالك بن عقّبون، ترجم له بعضًا من النقوش اليونانية على جذران هياكلهم، يقول المسعودي³²:-

«ولهذه الطائفة المعروفة بالحرثانيين والصابئة فلاسفة، إلا أنهم من خشوية الفلاسفة وعوامهم، مبينون لخواص حكمائهم في مذاهبهم، وإنّا أضفناهم إلى الفلاسفة إضافة سبب لا إضافة حكمة، لأنهم يونانية، وليس كل اليونانيين فلاسفة، إنما الفلاسفة حكماءهم.

ورأيت على باب مجمع الصابئة بمدينة حرّان مكتوبًا على مدقة الباب بالسريانية قولاً لأفلاطون؛ فسرّه مالك بن عقّبون وغيره منهم وهو: «مَنْ عَرَفَ ذَاتَهُ تَأَلَّه»³³ وقد قال

³⁰ المقدسي: البدء والتاريخ، 4: 22.

³¹ الرّازي: السر المكتوم في أسرار النجوم، نسخة مطبوعة على الحجر صدرت باعتماد المستشرق فرمايش، عن نسخة نادرة دخلت في ملك شخص يدعى ميرزا محمد شيرازي، ولا يعرف أين يستقر الأصل الآن، القاهرة د.ت، 11؛ ويتحدث ابن وحشية عن السيد «دواني» الصّابئ [!؟] الذي تحدّث إليه كل من الشمس والقمر، شوق المستهام، 126.

³² مروج الذهب، 1: 467-468.

³³ هذه العبارة وردت بنصّها في كتاب أولوجين لأفلاطون كما ترجمها ميشيل تاردويو: «إذا ما بحثت بحثًا كاملاً فإنك ستعرّف على الإله الكامن فيك، وحينها تعرّف على ذاتك نفسياً، باعتبارك ذاك الذي يصدر عن الله الأزلي الوجود حقاً»، تاردويو: مرجع سابق، 30، قارن: - DAVID PINGREE: *The Sabians of Harran and*

the classical tradition, international journal of the classical tradition, Vol.9, No.1, 2002, pp 27-28.

أَفْلَاطُونُ: «الإنسان نَبَاتٌ سَمَاوِيٌّ، والدَّلِيلُ على هذا أَنَّهُ شَبِيهُ شَجَرَةٍ مُنْكَوَسَةٍ أَصْلُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَفُرُوعُهَا فِي الْأَرْضِ».

لم يَتَبَقْ لَنَا من وصف المَسْعُودِي الحَيِّ لِلحَرْنَانِيَّةِ سِوَى حَدِيثِهِ الْقِيَمِ عَنْ «بَيْتِ مَغْلِيَّتِيَا» وَهُوَ آخِرُ هَيَاكِلِهِمْ بِحَرَان³⁴:-

«وَالَّذِي بَقِيَ مِنْ هَيَاكِلِهِمُ الْمُعْظَمَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ - وَهُوَ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثُلُثَاثَةً - بَيْتٌ لَهُمْ بِمَدِينَةِ حَرَانَ فِي بَابِ الرِّقَّةِ يُعْرَفُ بِمَغْلِيَّتِيَا، وَهُوَ هَيْكَلُ آزَرَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَهُمْ³⁵، وَلِلْقَوْمِ فِي آزَرَ وَابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ كَلَامٌ كَثِيرٌ لَيْسَ كِتَابُنَا هَذَا مُوَضِّعًا لَهُ.

³⁴ نَالَ حَدِيثُ الْمَسْعُودِي عَنْ هَيْكَلِ مَغْلِيَّتِيَا اهْتِمَامًا خَاصًا مِنْ مَرْجَلِيوْت، وَهُوَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ هَيْكَلًا آخِرًا لَصَابِنَةِ حَرَانَ، مَعَ مَعْلُومَاتٍ أُخْرَى تُؤَكِّدُ إِزَالََةَ تَمَائِيلِ الْأَلْهَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ، مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُشِيرَ إِلَى أَنَّ صَابِنَةَ حَرَانَ لَمْ يَعُودُوا يَشْكُلُونُ أَغْلَبَ السُّكَّانِ وَاقْتُ زِيَارَةِ الْمَسْعُودِي لِحَرَانَ، انْظُرْ:- MARGOLIOTH: *Harranians*, in

Ency. of religion and ethics, vol. 6, pp 519 -520.

³⁵ وَاقَعَ الْأَمْرُ لَا نَعْرِفُ الْكَثِيرَ حَوْلَ عِلَاقَةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَدِينَةِ حَرَانَ، فَالْمَسْعُودِي الَّذِي زَارَ حَرَانَ عَامَ 332هـ/ 943م لَسُوهُ الْحَظَّ لَمْ يُفَسِّرِ الْقَوْلَ فِي اعْتِقَادِ صَابِنَةِ حَرَانَ فِي إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَكَرَ أَنَّ لَهُمْ فِيهِ وَفِي أَبِيهِ آزَرَ مَقَالَاتٍ لَمْ يَسْغَعِ إِيْرَادُهَا غَحَافَةَ الْإِطَالَةِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَغْلَبَ سُكَّانِ حَرَانَ كَانُوا مِنَ الْوَثْنِيِّينَ إِلَّا أَنَّ رَاهِبَةً مَسِيحِيَّةً تُدْعَى إِيجِيرِيَا زَارَتْ الْمَدِينَةَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ بَغِيَّةً تَقْدِيسَ مَزَارِ إِبْرَاهِيمَ وَزَوْجَتِهِ رِفْقَةً، تَارْدِيُو: مَرْجِعٌ سَابِقٌ، 49. وَلَعَلَّ الْمَكَانَ الَّذِي زَارَتْهُ إِيجِيرِيَا الرَّاهِبَةُ هُوَ نَفْسُ الْمَكَانِ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ جُبَيْرٍ وَذَكَرَ أَنَّهُ مَأْوَى وَمُسْتَرَاخٌ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَتِهِ سَارَّةَ، وَاصِفًا إِيَّاهُ بِأَنَّهُ عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْبَلَدَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ، رَحْلَةُ ابْنِ جُبَيْرٍ، 220. وَابْنُ بَرَكِيَّةٍ يَقُولُ عَنْ ابْنِ سُنُجُلَا النَّصْرَانِيِّ قَوْلَهُ «إِنَّ الْحَرْنَانِيَّةَ يَقُولُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا خَرَجَ عَنْ مَجْلَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ لِأَنَّهُ ظَهَرَ فِي قَلْبَتِهِ بَرَصٌ، وَكَانَتْ يَخْلُتُهُمْ أَنَّ مِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَهُوَ نَجِسٌ، وَيُحْرَمُ عَلَى عَامَّتِهِمْ مَحَاطَّتُهُ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَتِ النَّبِيَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَخَلَ إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ أَصْنَانِهِمْ بِحَرَانَ، فَسَمِعَ مِنَ الصَّنَمِ صَوْتًا يَقُولُ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمَ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِنَا بِعَيْبٍ وَاحِدٍ، وَجِئْتَنَا بِعَيْنَيْنِ، أَخْرُجْ وَلَا تُعَاوِدِ الْجَمْعَ إِيَّانَا، فَحَمَلَهُ الْغَيْظُ عَلَى تَخْطِيمِهَا، وَخَرَجَ مِنْ مَجْلَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ، ثُمَّ أَنَّهُ نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَهُ وَأَرَادَ ذَبْحَ ابْنِهِ لِلْمُسْتَرَى، فَلَمَّا عَلِمَ كَوْنَهُ الْمُسْتَرَى صَدَقَ تَوْبَتُهُ فَذَبَحَهُ بِكَبْشٍ»، الْأَنْبَارُ الْبَاقِيَّةُ، 204 - 205. قَارِنْ أَيْضًا:- الْجَمْعِي: الرُّؤُوسُ الْمِفْطَارُ، 191؛ الْقَضَاعِي: عَيُونُ الْمَعَارِفِ وَفُنُونُ أَخْبَارِ الْخِلَافَةِ، تَحْقِيقُ جَمِيلِ الْمَصْرِيِّ، مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ 1995، 90، عَبْدُ الْحَكِيمِ الدَّنُونُ: تَارِيخُ الشَّامِ الْقَدِيمِ، دِمَشْقُ 1999، 174.

ولابن عَشُونِ الحَرَّائِيُّ القَاضِي - وكان ذا فَهْمٍ ومَعْرِفَةٍ،
وَتُوفِيَ بعدَ الثُّلُثِائَةِ - قَصِيدَةً طَوِيلَةً يَذْكُرُ فِيهَا مَذَاهِبَ
الحَرَّائِينَ المَعْرُوفِينَ بِالصَّابَةِ، ذَكَرَ فِيهَا هَذَا الِتِّبْتَ وَمَا تَحْتَهُ مِنْ
السَّرَادِيبِ الأَرْبَعَةِ المَتَّخِذَةِ لِأَنْوَاعِ صُورِ الأَصْنَامِ الَّتِي جُعِلَتْ
مِثَالًا لِلأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ، وَمَا اِرْتَفَعَ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الأَشْخَاصِ
الْعُلُوتِ، وَأَسْرَارِ هَذِهِ الأَصْنَامِ، وَكَيْفِيَّةِ إِيْرَادِهِمْ لِأَطْفَالِهِمْ إِلَى
هَذِهِ السَّرَادِيبِ، وَعَرَضَهُمْ لَهَا عَلَى هَذِهِ الأَصْنَامِ، وَمَا يُخْبِرُ
ذَلِكَ فِي أَلْوَانِ صِبْيَانِهِمْ مِنَ الِاسْتِحَالَةِ إِلَى الصُّفْرِ وَغَيْرِهَا لِمَا
يَسْمَعُونَ مِنْ ظُهُورِ أَنْوَاعِ الأَصْوَاتِ وَفُنُونِ اللِّغَاتِ مِنْ تِلْكَ
الأَصْنَامِ والأَشْخَاصِ، بِحِيلٍ قَدْ اتَّخَذَتْ وَمَنَافِيخٍ قَدْ عُمِلَتْ:
تَقِفُ السَّدَنَةُ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ فَتَتَكَلَّمُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الكَلَامِ، فَتَجْرِي
الأَصْوَاتُ فِي تِلْكَ المَنَافِيخِ والمَخَارِقِ وَالمَنَافِذِ إِلَى تِلْكَ الصُّورِ
المَجُورَةِ والأَصْنَامِ المُشَخَّصَةِ، فَيُظْهِرُ مِنْهَا نُطْقًا عَلَى حَسَبِ مَا
قَدْ عُمِلَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، فَيَضْطَاطُونَ بِهِ العُقُولَ، وَتُسْتَرَقُّ بِهَا
الرِّقَابُ، وَيُقَامُ بِهَا المُلْكُ وَالمَلِكُ، وَمَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
قَوْلُهُ:-

إِنَّ نَفْسَ الْعَجَائِبِ يَنْتَ هُمْ فِي سَرَادِيبِ
تُعْبِدُ فِيهِ الْكَوَائِبُ أَصْنَامُهُمْ خَلْفَ غَائِبِ

وَيَعْتَقِدُ مِثْشِيل تَارْدِيُو أَنَّ صَابَةَ حَرَّانَ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَ النُّجُومَ كَمَا تُصَوِّرُهُم المَصَلَدَرُ
العَرَبِيَّةُ، وَالَّتِي نَقَلَتْ بِدَوْرِهَا مُعْظَمَ أَخْبَارِهِمْ عَنِ المَصَادِرِ السُّرْيَانِيَّةِ، وَأَنَّ دِيَانَتَهُمْ كَانَتْ ذَاتَ
طَّابَعٍ غَنُوصِيٍّ³⁶، وَاسْتِنَادًا إِلَى رِوَايَةِ المَسْعُودِيِّ السَّابِقَةِ مِيزَ تَارْدِيُو بَيْنَ عَامَّةِ الصَّابَةِ الحَرْنَانِيَّةِ،

³⁶ صَابَةُ حَرَّانَ وَصَابَةُ الْقُرْآنِ، 42 - 43.

وهم عبدة الكواكب ومقدمي القرابين والدُّخن، وبين حكماء الحرثانية، وكانوا غنوصيو التَّوَجُّه، متأثرين بالفيثاغورثية والأفلاطونية الحديثة، وكانوا يرفضون عبادة الكواكب، وتقديم القرابين وغيرها من مظاهر عبادات العامة من بني جلدتهم³⁷.

ولا أعتقد في صحّة ما ذهب إليه تارديو، والذي استنتج أن المسعودي يتحدث عن خواصّ وعوام الصّابنة الحرثانية، وأنّ الخواص هم حكماءهم، وأنّ العوام هم عامة صابنة حرّان، وكان هؤلاء مبائنين لهؤلاء في العقيدة، بينما في الحقيقة: وكما يجبر النص بذاته يُقارن المسعودي بين فلاسفة صابنة حرّان (وهم حشوية وعوام الفلاسفة) وبين حكماء يُونان القدماء (الخواص) ويقول إنّهم مبائنون لهم في مذاهبهم، وأنّه - أي المسعودي - أضافهم (أي فلاسفة صابنة حرّان) إليهم - أعني حكماء اليونان - لا لشيء إلا رابطة الانتماء العرقي، وليس إضافة حكمته، فليسوا امتداداً لهم، فشتان بين فلاسفة يُونان الأوائل، وما آل إليه شأن الفلسفة في حرّان على عصره.

إذن لم يكن المسعودي يتحدث عن ديانتين، ولا عن شروخ مذهبيّة، كما أن رفض حكماء الطائفة تقديم القرابين والدُّخن، ورفض عبادة الكواكب ما هي في نهاية الأمر إلاّ محض استنتاجات لتارديو لم يتطرّق المسعودي إليها مطلقاً. فعبادة النجوم وتقديسها ظاهرة أصيلة في ديانة الحرثانية، والشواهد من داخل نطاق المصادر العربيّة وخارجها كثيرة على ذلك، من ذلك أن أسقف الرُّها إمبريوس قد أصدر منشوراً بإبطال عادة الضرب على النحاس المرافق لحسوف القمر لأنّه طقس وثني يمارسه صابنة حرّان فيه تمجيد للإله سين³⁸. وهناك ردّ عنيف من قبل مار يعقوب الرُّهاوي على أحد فلاسفة الحرثانية - للأسف لم يُسمّه - وكان ذلك الفيلسوف يُدافع بشدّة عن القضاء والقدر الصادر عن الكواكب السبعة³⁹.

³⁷ المرجع نفسه، 20 - 21.

³⁸ الحوري عبد الله الشّبابي: تاريخ الكنيسة الأنطاكية المارونية، بيروت 1900، 1: 29.

³⁹ كتاب الأيام الستة، مصدر سابق، 45.

ولدينا كذلك عُملة تُعوَد إلى أَحَد ملوك حَرَّان ويُدعى الأَبَجَر أَرِيو (!؟) يظهر عليها
ثَلُوث حَرَّان المُقَدَّس: القَمَر والزَّهْرَة والشَّمْس⁴⁰. كما تُثَبِّتُ أَشْياءَ المَوَاضِع بِحَرَّان وَصَوَاحِيهَا
كَتَرَعُوز (قَرِيَّة الزَّهْرَة «تَرَعَاثَا»)⁴¹ وَسَلَمِيسين (صَنَمُ القَمَر)⁴² بِاعْتِقَادِ الحَرْنَانِيَّةِ فِي الكَوَاكِبِ
وَالْأَجْرَامِ السَّاهِيَّةِ، لَيْسَ عَلَى الْمُسْتَوَى الشَّعْبِيِّ فَحَسَبَ كَمَا يَذْهَبُ تَارْدِيُو؛ بَلْ عَلَى مُسْتَوَى
النُّخْبَةِ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْحُكَّامِ.

كَمَا أَنَّ ثَابِتَ بَنِ قُرَّةِ الَّذِي يَنْتَمِي لَهُذِهِ النُّخْبَةُ نَفْهَسَا - أَغْنَى فِلَاسِيفَةَ صَابِنَةَ حَرَّانَ، وَالتِّي
يَعْتَقِدُ تَارْدِيُو أَنَّهَا مُبَايَنَةٌ لِلْعَامَّةِ فِي اعْتِقَادَاتِهَا - قَدْ أَفْرَدَ عِدَّةَ رِسَالَتٍ حَوْلَ مَا يَصْلُحُ وَمَا لَا
يَصْلُحُ مِنَ الْقَرَابِينِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَأَنْوَاعِ الدُّخَنِ (الْبُخُورِ) لِلْكَوَاكِبِ، بِحَسَبِ اعْتِقَادَاتِ الحَرْنَانِيَّةِ،
كَمَا يَرَوِي الْمَسْعُودِي نَفْسَهُ خَبَرَ اسْتِثْنَانِ ثَابِتُ بَنِ قُرَّةِ لِلْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ - إِيَّانَ مُطَارِدَتِهِ لِخَادِمِهِ
وَصَيْفِ التُّرْكِيِّ - كَيْ يَذْهَبَ وَيُقَدَّسَ وَيُقَدَّمَ الْقَرَابِينِ بِأَطْلَالٍ هَيْكَلٍ «اسْقَلَابِيُوس» بِأَنْطَاكِيَّةِ،
وَالْمَخْصَصِ لِعِبَادَةِ الشَّمْسِ⁴³، وَهَذَا وَحْدَهُ كَفِيلٌ بِإِثْبَاتِ أَنَّ ثَابِتَ بَنِ قُرَّةِ الْفِيلَسُوفُ لَمْ يَكُنْ
يُخَالِفُ عَامَّةَ الحَرْنَانِيَّةِ فِي تَقْدِيرِهِمُ لِلْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ.

وَهُنَاكَ دَلِيلٌ آخَرُ وَرَدَ عَلَى لِسَانِ فخر الدِّين الرَّازِي (ت 606هـ / 1209م) نَقَلَهُ عَلَى
لِسَانِ ثَابِتِ بَنِ قُرَّةِ أَيْضًا، وَهِيَ رِوَايَةٌ طَوِيلَةٌ مُؤَدَّاهَا أَنَّ الْمُؤَفَّقَ طَلَحَةَ غَضَبٍ عَلَى ثَابِتِ بَنِ قُرَّةِ
لَا أَمْرَ سَعَى فِيهِ يُخَصِّصُ وَلَدَهُ الْمُعْتَصِدَ، وَهِيَ جَرِيرَةٌ قَالَتْ عَنْهَا ثَابِتُ بَنِ قُرَّةِ نَفْسَهُ أَنَّهَا تَسْتَوْجِبُ

⁴⁰ الحمد: صابنة حَرَّانَ وإخوان الصِّفا، 10.

⁴¹ يعتقد أن الرِّبَّة «الزَّهْرَة» عِنْدَ الحَرْنَانِيَّةِ هِيَ نَفْسُهَا رَبَّةُ الْخَصْبِ وَالتَّهَامِ السُّورِيَّةِ «تَرَعَاثَا» كَمَا أَنَّهَا هِيَ نَفْسُهَا
«اللَّات» مَعْبُودَةٌ عَرَبِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ، وَكَذَلِكَ الْإِتْبَاطُ بِالْبَيْتِ شِمَالِ الْحِجَازِ، وَالتِّي يَظُنُّ الْمُتَخَصِّصِينَ أَنَّهَا
تَجَسَّدُ لِلشَّمْسِ، وَلَا يُعْرَفُ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ مَتَى وَكَيْفَ أَصْبَحَتْ «تَرَعَاثَا» رَمْزًا لِلزَّهْرَةِ بَدَلًا مِنْ
الشَّمْسِ، وَرَبِّمَا كَانَتْ كَذَلِكَ مُنْذُ الْبَدْءِ كَمَا يُرْجِّحُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ، انظر: - تاريخ دولة الأتباط، عَيَّان 1987،
128.

⁴² عن هذه المَوَاضِعِ الْمُحِيطَةِ بِحَرَّانَ انظر: - ياقوت: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، 2: 27 - 3: 271.

⁴³ مُرُوجُ الذَّهَبِ، 1: 459؛ وَعَنْ هَيْكَلِ اسْقَلَابِيُوسِ انظر: - أَرِسْطُوطَالِيْس: سُرُّ الْأَشْرَارِ الْمَعْرُوفِ بِكِتَابِ
السِّيَاسَةِ وَالْفَرَاثَةِ فِي تَدْبِيرِ الرِّئَاسَةِ، الْمُنْسُوبِ إِلَى أَرِسْطُوطَالِيْسِ، نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ يُوحَنَّا بَنُ الْبَطْرِيقِ، طَبْعَةٌ
حَجَرِيَّةٌ د.م، د.ن، د.ت؛ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحَمْدُ: التَّأْثِيرُ الْآرَامِيُّ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، دِمَشْقُ 1999، 16.

القتل، فساعدته رُوح رُحْل التي كانت مُتَّصِلَةٌ به وأيقظته وساعدته على الهرب من رجال المُوَفَّق، واستترَ إلى جِين، وتضرَّع إلى رُحْل ليُصلِح له قلب المُوَفَّق - على حدِّ تعبيره - وكيف أنَّ ذلك تعذَّر لأن رُحْل كوكبٌ بارد الطَّبع، بطى الحرَّكة، فلم يزل يُراضي رُوحانية رُحْل بالقرايين وأشكال الدُّخن فلم يَسْتَجِب، فاستعان بالزَّهرة فأدَّت العَرَض المطلوب⁴⁴.

كما نقل الثعالبي بينين من قصيدة لأبي إسحاق الصَّابي أحسبه يمدِّح فيها الأمير عضد الدولة البُويهي، لها دلالتها على مكانة الكواكب والأجرام السَّماوية في اعتقادات الحرَّانية:

وَالصَّابُثُونَ يَرُونَ أَنَّكَ مُفْرَدٌ فِي الْحُسْنِ إِفْرَارًا لِفِرْدِ مَا جِدَ
كَالزَّهْرَةِ الزَّهْرَاءِ أَنْتَ لَدَيْهِمْ مَسْعُودَةٌ بِالْمُسْتَرَى وَعُطَارِدُ⁴⁵

ومن أهمِّ مظاهر عبادات الحرَّانية الصَّلَاة، وصَلواتهم ثلاث، الأولى عند طلوع الشَّمس، والثانية عند زوالها، والثالثة عند غروبها، وقبيلتهم جهة الجَنُوب⁴⁶، ويُصلُّون كُلَّ يَوْمٍ لِلْكَوْكَبِ الَّذِي هُوَ رَبُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَالَسَّبَتْ لِرُحْل (فُرْقُس)، والأحد للشَّمس (إِيلْيُوس)، والاثنين للقَمَر (سِين)، والثلاثاء للمُرِّيخ (لَارِيس)، والأربعاء لِعُطَارِد (نَابِق)، والخميس للمُسْتَرَى (بَال)، والجمعة للزَّهرة (بَلْثِي)، والصَّلَاة عندهم لا تُكون إلَّا على طُهور⁴⁷.

ويؤمن الحرَّانية بأنَّ النَّبِيَّ هو البريء من المذمومات في النَّفس، ومن الآفات في الجِسم، وأنَّ في مذاهبهم صلاح للفرد وللعمارة في الأرض، وهُم لا يُكذِّبون الأنبياء ولكنَّهم في الوقت نفسه لا يُوجبون اتِّباعَهُمْ، فمن أطاعَهُمْ فهو سَعِيدٌ ناجٍ، وأنَّ من أذَرَكَ بعقله ما دَعُوا إليه فوافَقَهُمْ فيه وعَمَل بوصاياهم فهو سَعِيدٌ أيضًا، وإنَّ لم يتقيَّد بِهِمْ، فدَعَا الأنبياء حقًّا، لكنها

⁴⁴ الرَّازِي: السَّرُّ المَكْتُوم، 4 - 5.

⁴⁵ يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ فِي حِمَاةِ أَهْلِ الْعَصْرِ، تَحْقِيقُ إِبْرَاهِيمَ صَفَر، الْقَاهِرَةُ د.ت، 2: 247.

⁴⁶ الْمَسْعُودِي: التَّنْبِيهِ وَالْإِشْرَاف، 138.

⁴⁷ الْمُقَدِّسِي: الْبَدَأُ وَالتَّأْرِيخ، 4: 23؛ التَّنْدِيم: الْفَهْرَسْتُ، 2: 359 - 366؛ الْبِيروني: الْأَثَارُ الْبَاقِيَّة، 206.

لَيْسَتْ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ لِلنَّجَاةِ⁴⁸. وعدد الأنبياء الذين دُعُوا إِلَى اللَّهِ لَا تُحْصَى كَثْرَةً⁴⁹، وَلَا يَرَى الْحَرَنَانِيَّةُ النَّبُوتَ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ - كَمَا تَعْرِفُهَا الْأَدْيَانُ السَّائِيَةٌ - بَلْ عِنْدَهُمْ أَنَّ النَّفْسَ الطَّاهِرَةَ الَّتِي سَلِمَتْ مِنْ أَذْنَانِ هَذَا الْعَالَمِ تَتَّحِدُ بِهَا مَوَادُّ عُلُوبَةٍ، وَبِالنَّاتِلِ فَهَمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ⁵⁰.

وَمِنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَمُعَلِّمِهِمْ هِرْمِسُ⁵¹ وَأَعَاذِيمُونُ⁵²، وَفِيثَاغُورَسُ، وَبَابَا الصَّابِيُّ⁵³،

⁴⁸ ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، 2: 239؛ ابن الجوزي: بيان مذاهب الفرق الصّالة، القاهرة 1999، 63.

⁴⁹ المقدسي: البدء والتاريخ، 4: 24.

⁵⁰ المقرئ: الخطط، 1: 115.

⁵¹ يعتقد الباحثون أَنَّ أَصْلَ شَخْصِيَّةِ هِرْمِسِ الْحَكِيمِ الَّذِي عُرفَ بِاسْمِ «هِرْمِسِ الْهَرَامِيسَةِ» أَوْ «هِرْمِسِ الْمُثَلَّثِ بِالْحِكْمَةِ» *Hermes Trismegiste*، وَالَّذِي عَاشَرَ قَبْلَ الطُّوفَانِ، هُوَ هِرْمِسُ الْمِصْرِيِّ (أَوْزَرِيسُ)، وَاعْتَقَدَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ - تَقْلًا عَنْ مَصَادِرَ ذَاتِ طَبِيعَةٍ كِتَابِيَّةٍ - أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ اخْتُوخَ النَّبِيِّ الْوَاردِ ذَكَرُهُ فِي التَّوْرَةِ، أَيْ النَّبِيِّ إِدْرِيسَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ الَّذِي أَخْبَا تَعَالِيمَ آدَمَ وَثَبِثَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُعْتَقِدَاتِ الْهِرْمِيسِيَّةَ الَّتِي شَاعَتْ فِي الْعَصُورِ الْهَلَلِينِيَّةِ هِيَ مِصْرِيَّةُ الْأَصْلِ، اخْتَلَطَتْ فِيهَا بَعْدَ بَثْرَاثِ هَلَلِينِي، إِلَى جَانِبِ بَعْضِ الْمُؤَثِّرَاتِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْبَارِئِيَّةِ-الْبَابِلِيَّةِ، مِيسِيَا إِلِيَاد: تَارِيخُ الْمُعْتَقِدَاتِ وَالْأَفْكَارِ الدِّينِيَّةِ، تَرْجُمَةُ عَبْدِ الْهَادِي عَبَّاسٍ، دِمَشْقَ 1987، 2: 322. وَارْتَبَطَ ذَكَرُهُ عِنْدَ الْفِرْقِ جَمِيعًا بِالْعَدِيدِ مِنَ الْأَسَاطِيرِ، مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يَجِيذُ 72 لِسَانًا (لُغَةً)، وَأَنَّهُ عَلَّمَ النَّاسَ أَصُولَ السِّيَاسَةِ الْمَدْنِيَّةِ، وَعَيَّنَ لَهُمْ أَعْيَادَهُمْ، وَبَنَى الْهَيَاكِلَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَرَّسَ فِي الْكُتُبِ، وَقَرَأَ الْعُلُومَ، وَخَاطَبَ الثِّبَابَ، وَأَمَرَ بِالْقَرَّابِينَ وَالْبُخُورِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَرَّفَ النَّاسَ الْبُرُوجَ وَالْكَوَاكِبَ وَمَقَادِيرَ دَوْرَانِ الْفَلَكَ، وَنَبَّهَ النَّاسَ عَلَى عِجَابَاتِ صُنْعِ اللَّهِ فِيهَا، انْظُرْ: الْقَضَائِي: عَيُونُ الْمَعَارِفِ، 74؛ أَبُو بَكْرٍ الدَّوَادَارِيُّ: الدَّرَةُ الْيَتِيمَةُ فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْقَدِيمَةِ، 66؛ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْمَعَارِفُ: تَحْقِيقُ ثُرُوتِ عُكَّاشَةِ، الْقَاهِرَةَ 1981، 20-21؛ ابْنُ زُوَلَّاقٍ: فَضَائِلُ مِصْرَ وَأَخْبَارُهَا وَخَوَاصُّهَا، تَحْقِيقُ عَلِيِّ مُحَمَّدٍ عَمْرٍ، الْقَاهِرَةَ 1999، 17. وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِصَابِئَةِ حَرَّانَ نَبِيٍّ، وَتَعْرِفُ شَرِيعَتَهُ بَيْنَهُمْ - كَمَا جَاءَ عِنْدَ الْقَفْطِيِّ - بِالْقِيَمَةِ، إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ، 2-3؛ وَيَحَاوِلُ سِبَاهِي أَنْ يَجِدَ صِلَةً مَا بَيْنَ إِخْتُوخَ وَإِدْرِيسَ وَأَسْطُورَةَ «إِنْشِ إِثْرَا» [الْإِنْسَانُ الْأَثِيرِيُّ أَوْ الْمَلَكُ حَرْفِيًّا بِالْمَدْنَانِيَّةِ] عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ إِدْرِيسَ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَشَخْصِيَّةَ «إِنْشِ إِثْرَا» تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانِ السَّاهَوِيِّ [وَسُوطٌ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْمَلَكِ]، سِبَاهِي: أَصُولُ الصَّابِئَةِ، 140.

⁵² أَعَاذِيمُونُ: هُوَ شَيْثُ بْنُ آدَمَ ~~عَلَيْهِ~~ الشَّهْرَسْتَانِي: الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ، 2: 4، وَيَقَالُ أَنَّ شَيْثَ حَمَلَتْ بِهِ حَوَّاءَ بَعْدَ فَجِيعَةِ آدَمَ فِي وَلَدِيهِ هَآبِيلَ وَقَايِنَ، وَأَنَّ مَعْنَى اسْمِهِ «هَبَةُ اللَّهِ»، وَيَرْتَبِطُ اسْمُ شَيْثَ بِبَنِ آدَمَ عِنْدَ الْحَرَنَانِيَّةِ بِالْحِكْمَةِ، وَيَتَسَبَّبُ إِلَيْهِ تَعَالِيمُهُ عَنِ الْقَدَمَاءِ الْخَمْسَةِ وَهُمْ الْبَارِي، وَالنَّفْسُ، وَالْعَقْلُ، وَالْمَكَانُ، وَالْخَلَاءُ. (الْوُجُودُ وَالْعَدَمُ) الشَّهْرَسْتَانِي: نَفْسُهُ، 2: 45، وَعَنْ شَيْثَ وَحَيَاتِهِ انْظُرْ: - الْمَسْعُودِي: مَرْوَجُ الذَّهَبِ، 1: 29-27.

⁵³ لَيْسَ لَدَيْنَا شَيْءٌ مَوْثُوقٌ عَنْ بَابَا الْحَرَنَانِيِّ هَذَا، كُلُّ مَا نَعْرِفُهُ عَنْهُ مُسْتَمَدٌّ مِنْ مُجَادِلِيهِ مِنْ كُتَّابِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ «نَبِيِّ حَرَّانَ». مَرَادُ كَامِلٍ؛ عَمَدُ حَمْدِي الْبَكْرِي: تَارِيخُ الْأَدَبِ السَّرْيَانِيِّ، 41-42.

وسوار جدُّ أفلاطون لأُمِّه⁵⁴. وهم يأخذون بمحاسن ما عند أهل الشرائع، ولا يؤالون أهل مِلَّةٍ ويُعادون أُخرى، ولا يتعصبون لمِلَّةٍ على مِلَّةٍ، والمِلَّةُ عندهم نَواميس لصالح العالم، فلا معنى لمُحاربة بعضها بعضًا، بل يُؤخذ بمحاسنها وما تُكَمِّل به النُفوس، وتتهذَّب به الأخلاق⁵⁵.

وهم يحتفظون من التُّراث الإغريقي القديم بنشابه مملكة الآلهة بالبشر، فهم يعتقدون أنَّ هذه النُجوم السبعة التي هي الآلهة ذُكُورٌ وإناث، وأنها تتناكحُ ويعشق بعضها بعضًا، وأنها تُنجِسُ وتُسعدُ⁵⁶. وعلى الأرجح كان الحرثانية يُمارسون عادة إخراج الطَّعام للموتى، تمامًا كالمندائيين⁵⁷، كذلك آمَن الحرثانية بنوع من أنواع التَّناسُخ، وانتقال الأرواح في أجساد حَيَّة أُخرى. وقد نقل أبو بكر الرَّازي عن ثابت بن قُرَّة الصَّابِئ الحرَّاني قوله: «إذا مات الإنسان انتقلت رُوحه إلى نوع البهيمة التي تُوافق خُلُقَه في الحياة»⁵⁸، كما نقل ابن الجوزي عن يَحْيَى بن بَشِير النُّهاوندي قوله إنَّ: «الصَّابِئَة الحرثانية يزعمون أنَّ الأرواح الخيرة تصعدُ إلى الكواكب الثَّابتة، وإلى الضِّيَاء، وأنَّ الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظُّلْمة، وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى، وأنَّ الثَّواب والعقاب في التَّناسُخ»⁵⁹.

⁵⁴ البيروني: الآثار الباقية، 205؛ ابن وخشيَّة: شوقُ المُنتَهام، 130؛ ابن كَمُونَة اليهودي: تنقيحُ الأبحاث

للليل الثلاث، تحقيق مُوشي بيرلمان، منشورات جامعة كاليفورنيا 1967، 21.

⁵⁵ ابن قيم الجوزية: أخكام أهل الذِّمة، 2: 241.

⁵⁶ التَّديم: الفهرست، 2: 372.

⁵⁷ المصدر نفسه، 2: 370.

⁵⁸ محصل أفكار المتقدمين، 92؛ وانظر أيضًا إخوان الصِّفا: رسائل إخوان الصِّفا، القاهرة 1996، 4: 296؛

الشَّهرستاني: المِلل والنحل، 2: 55.

⁵⁹ ابن الجوزي: تليس إبليس، بيروت 1991، 80؛ المقدسي: البدء والتاريخ، 2: 143؛ قارن ابن العبري

الذي يقول بأن أنفُس المارقين منهم تعذب عند الله تسعة آلاف دور ثم تعود إلى بارئها، تاريخ مختصر الدول، 153.

ويتضح من ذلك مدى تأثير الفيثاغورثية على عقائد الحرانية⁶⁰، فالقول بالتناسخ هو ميراث فيثاغورثي واضح، وإن لم يكن بنفس عمق مؤثرات الأفلاطونية الحديثة، والتي اعتنقها الحرانية على مذهب الفيلسوف الإغريقي بروقلس، والتي شكّلت جوهر عقائد الحرانية لا سيما الميتافيزيقية منها، فعقائدهم حول الباري، ونشأة الكون، ونظرية الفيوضات، واعتقاداتهم في ذات الباري وتكثّره بتكثّر مخلوقاته، توضّح ما للأفلاطونية المُحدثة من تأثير عميق بحق في ديانة الحرانية، هذه العقائد اتّحدت في مزيج فريد مع ميراث حرّان البابلي في عبادة الكواكب والنجوم واعتقادهم بتأثيرها على مصائر البشر، لتخرج إلى الوجود ديانة الحرانية ذات الطابع التلفيقي المميّز والفريد، والذي جعلهم في نظر أصحاب الديانات السماوية التوحيدية في منزلة وسط بين التوحيد والوثنية القديمة.

⁶⁰ من المعروف أن ثابت بن قرة كان يُجلّ فيثاغورس، ويعتقد في مذهبه الطبائعي، ويُترّفه وأصحابه عن الخطأ واللبس، انظر: - السُّجُستاني: صِوانُ الحكمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، طهران 1974، 301-302. ولعلّ هذا ما جعل لويس ماسينيون على سبيل المثال يدعُو ثابت بن قرة بالفيلسوف الطبائعي، انظر: - آلام الحلاج، ترجمة الحُسين مُصطفى حلاج، دمشق 2004، 193-194، مع ملاحظة أن ماسينيون لم يكن ليُفرّق كثيراً بين صابئة حرّان والنَّبَط القدماء، فهو يدعُو ابن وحشية وتلميذه ابن الرّيات بالصّابئين.

الفصل

الخامس

5

الأوضاع الديموغرافية

«وغمه وأسلافنا - رحمهم
الله - منذ دهر طويل نقابل
القضاء والقدر في استبقاء هذه
الثيلة الضعيفة، والذماء القليل،
وسبيلنا أن نصبر ونثبت».

أبو إسحاق الصائبي

إنَّ دراسة الأوصاع الديُّمو جرافيَّة لطوائف الصَّابئة أمرٌ محفوفٌ بمصاعبٍ شتَّى؛
فمن جهة تُشكِّلُ ثدرة الوثائق إحدى أهم تلك المصاعب، فوثائق رسمية كصكوك الجزية وما
شابه كان من الممكن أن تُعطينا قدرًا أدقَّ وأغزر من المادَّة العلميَّة حول أماكن استقرار الصَّابئة
وأعدادهم، بل وأوصاعهم المعيشيَّة أيضًا. لكن ضياعها لا يترك أمانًا في هذا الصَّدِّد سوى
المعلومات التي نستقيها عنهم من خلال المصادر المُعاصرة، والتي لا تكاد تُلقِي الضَّوء على
أوصاع سُكَّان سواد العراق المعيشيَّة والحياتيَّة إلا لَمَّا، وهي مُشكلة عامَّة يتعرَّض لها الباحثون
في أوصاع الطوائف والأقليات، كما إنَّها أبرزُ معوقات تقدُّم دراسات التَّاريخ الاجتماعي في
المجتمعات الإسلاميَّة في العصور الوُسطى.

وبالنسبة للمندائيين فسواء هاجروا من فلسطين إلى بلاد ما بين النهرين، حسبما
يعتقد أنصار نظريَّة الأضل الغربي، أم كانت بلاد ما بين النهرين هي موطنهم الأوَّل حسبما
يعتقد الباحثون من القائلين بنظريَّة الأضل الشرقي؛ فإنَّ تلك المنطقة الواسعة والمُمتدَّة ما بين
واسط والبصرة والتي أطلق عليها الجغرافيون المسلمون اصطلاحًا اسم البَطَائح¹ - تلك
الجزر التي شكَّلتها منذ القدم البحيرات العذبة والرَّوافد والنُّهيرات المتفرَّعة عن نهر الفرات -
كانت هي المناطق التي استوطنتها المندائيُّون الأوائل منذ عصور ما قبل الفتح الإسلامي
للإِراق وحتى يومنا هذا. ففي تلك البيئة الزراعيَّة الخصبَّة والغنيَّة بمجاري الأنهار والرَّوافد
والمُستنقعات العذبة تبلَّورت عقائد المندائيِّين المتعلِّقة بتقدِّس الماء الجَّاري واعتباره رمزًا
للحياة.

¹ البَطَائح (جمع بَطِيحَة) هي الجزر التي تُحيط بها البحيرات والمستنقعات والمياه الجارية، وتكتنفها غابات
القصب، وتسمَّى بالبَطَائح لأنَّ المياه تبطَّح في تلك الأراضي، أي سالت وأتسعت مجاريها، ياقوت: مُعجم
البلدان، 1: 534-535؛ شهراب: عجائب الأقاليم السبعة، تحقيق هانز فون مزيك، فينا 1929، 79؛
البكري: مُعجم ما استُعجم، تحقيق مُصطفى السَّقا، بيروت د.ت، 1: 259.

ومنطقة البطائح - جنوبي العراق - عبارة عن جُزر من اليابس تُحيط بها مُستنقعات المياه العذبة التي نتجت عن فيوضات روافد الفُرات، وتكتنفها غابات كثيفة من القصب². أمّا تلك الأراضي المكشوفة والتي لا تنتشر بها غابات القصب فكانت تُسمّى بالأهوار³، وتمتدُ منطقة البطائح والأهوار من جنوبي واسط وحتى مدينة البصرة المطلّة على الخليج العربي، وكانت قديماً تبدأ بغابات كثيفة من القصب يليها هور كبير يُسمّى بخي⁴، ثم غابات أخرى من القصب، ثم الهور الثاني ويُسمّى بكمهي⁵، وبعده غابات أخرى كثيفة من القصب ثم الهور الثالث ويُسمّى بصريّان⁶، تمتدُ من بعده أزقة من القصب الكثيف، ثم الهور الرابع ويُطلق عليه اسم المُحمديّة⁷، وهو أعظم تلك الأهوار وأكبرها من حيث المساحة، ثم غابات كثيفة من القصب تمتدُ حتى فم نهر أبي الأسد على مشارف البصرة⁸.

وكانت بيئة البطائح والأهوار بيئة زراعية بالدرجة الأولى، إذ كانت تضمُ أخصب السهول الفيضية الطينية التي شكّلتها روافد الفُرات. ولما كانت طبيعة تلك الأرض غنيّة بالمياه والمستنقعات؛ فقد جادت بها بعض الزراعات التي تجود في تلك المناطق عادة كالأرز⁹ وقصب السكر¹⁰، كما كان صيد الأسماك وما يتعلّق بها كالتجارة فيها، وصنع الشباك والقوارب من أبرز نشاطات السكّان الاقتصادية. في الوقت نفسه حالت ظروف المنطقة الجغرافية - والتي

² الإذريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة د.ت، 1: 292-393.

³ سهراب: عجائب الأقاليم السبعة، 135.

⁴ هور السعدية الآن.

⁵ هور السنية الآن.

⁶ هور العودة الآن.

⁷ هور الحمار الآن.

⁸ سهراب: المصدر نفسه، 135.

⁹ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت د.ت، 152.

¹⁰ ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت 1970، 112.

جعلت منها بيئةً شبيهةً مُنزعلة - دون انتشار التيارات المدنيّة بها، إلى الحدّ الذي جعل أحد الجغرافيين يصفها بأنّها «منطقة قفر من العلوم والآداب»¹¹، ولعلّ هذا ما يُفسّر جزئيّاً حفاظها على تراثها البابلّي القديم، ومن ثمّ فإنّ السّفر إلى البطائح والاستقرار بها لم يكن محبباً لدى النّاس آنذاك، خصوصاً لمن لم يألّفها، فقد انتشرت بها الأوبئة، لا سيّما الحمّى النّاجمة عن انتشار البعوض بتلك البيئة الحارّة الرّطبة¹².

وظلّت بيئة سّواد العراق - حتى بعد الانتشار الواسع للإسلام في مختلف أرجاء العراق - بيئةً نبطيّة خالصة، وظلّ اسم النّبط - والذي أطلقه سكّان المّدن على أهل السّواد بصفةٍ عامّة - لقباً عامّاً وشاملاً يُطلَق على مختلف فئاتهم وطوائفهم¹³. وذلك رغم كون السّواد الأعظم من السّكان يدينون بالإسلام إلّا أنّ النبطيّة ظلّت لغة التّعامل اليومي بين الفلاحين من أهل السّواد، وكانت العربيّة تُستخدم بشكلٍ ثانويّ في القرى والتّجمعات السّكانيّة خارج نطاق المّدن الكبيرة كواسط والرّضافة وكسّكر والبصرة، وربّما لهذا السّبب كان سكّان المّدن الكُبرى ممن يتفّاصحون بالعربيّة يتهكّمون على سكّان البطائح ويصفوئهم بأنّهم عَفْطِيُون¹⁴.

وقد تركّزت أكثر أعداد الصّابئة المندائيّين بأماكنٍ مُختلفةٍ من البطائح، فديوان حرّان جويثا على سبيل المثال يتحدّث عن وجود أربعمئة مَسْكَنَة¹⁵ كانت مُنتشرة بأرجاء العراق

¹¹ القزويني: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

¹² نفسه، نفس الصفحة.

¹³ بدري محمد فهد: المُجتمع العراقي في العصر العبّاسي، مقال منشور ضمن موسوعة حضارة العراق، بغداد 1985، 55.

¹⁴ المقدسي: أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، باعثناء دي غويه، ليدن 1909، 34. والعَفْط هو اللكنة، ويُقال فلان عَفْط أي يَلْكَن ويَلْحَن في الحديث. الرّغشري: أساس البلاغة، 1: 666.

¹⁵ المَسْكَنَة هي المندى أو المعبّد المندائي.

خلال العصر العبّاسي¹⁶، وهذا كفيلاً بتوضيح كثرة أعداد المندائيين وانتشارهم الكثيف جنوبي العراق خلال العصر العبّاسي، فإذا افترضنا أن كل مشكّنة كانت تدّعم روحياً ما بين 10 إلى 20 أسرة مندائية - وهو افتراض معقول - في متوسط عدد خمسة أفراد للأسرة الواحدة فإننا نكون بإزاء تعداد يتراوح ما بين 20.000 إلى 40.000 مندائيّ انتشروا بأنحاء البطائح المختلفة، وربّما كان التقدير الأخير - أو قريباً منه - هو الأقرب للواقع في ضوء إشارة النديم إلى غزارة أعدادهم بنواحي البطائح¹⁷.

وتعدّ مدينة ميسان - وهي مدينة كبيرة تقع في منتصف الطريق بين واسط والبصرة - وكذلك دسّميسان التي تقع إلى الجنوب منها من أكثر الأماكن التي انتشر بها الصّابئة المندائيون¹⁸، وكان أكثر سكّانها من الشيعة، كما تركّزت بها أقلية لا بأس بها من اليهود¹⁹. فقد نصّ النديم على ذلك في معرض ذكره لأصل ماني مؤسس الديانة التي نسبت إليه، إذ وفقاً للنديم فقد أمر فتق - والد ماني - بالالتحاق بالمغتسلة الذين كانوا يكثرون بنواحي ميسان والإقامة معهم والدّخول في مذهبهم²⁰.

ونصّ النديم لا يُشير إلى أن المندائيين كانوا يشكلون طائفة رئيسية بنواحي دسّميسان فحسب، بقدر ما يُشير إلى أنه بالرغم من أن المندائية كانت ديانة غير تبشيرية، إلّا أن بعض الزّرادشتية المهاجرين من فارس إلى العراق قد اعتنقوها وعاشوا جنباً إلى جنب

¹⁶ E. S. DROWER: *Harran Gawaita*, p 10.

¹⁷ الفهرست، 2: 411. وكان يقول سيوفي قد قدر أعداد المندائيين بالعراق عام 1887 بنحو أربعة آلاف نسمة فحسب، انظر: -، M. N, SIOUFFI: *Etudes sur la religion des soubbas ou subéens leurs dogmes*,

leurs moeurs, paris 1880, p 158.

¹⁸ E. YAMAUCHI: *Jewish Gnosticism. The prologue of John Mandaean parallels*, in: *Studies in Gnosticism and Hellenistic religions*, presented to Gilles Quispel, Leiden 1981, p 475.

¹⁹ ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5: 280؛ بنيامين التّطيلي: رحلة بنيامين التّطيلي، ترجمها عن العبريّة عزرا حدّاد، بيروت 1996، 150.

²⁰ الفهرست، 2: 379-380.

بجوار المندائيين حتى ذابوا فيهم بشكل تام²¹، ولعل هذا هو السبب في وجود بعض المؤثرات الزرادشتية والتي يمكن تمييزها بسهولة في المندائية، كالاعتقاد بثنائية قوى النور والظلام.

انتشر المندائيون أيضًا بأعداد متفاوتة باماكن مختلفة في قلب منطقة البطائح، إذ يتحدث النديم عن ذلك قائلاً²²: - «المغتسلة: هؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح، وهم صابئة البطائح يقولون بالاغتسال، ويغسلون جميع ما يأكلونه».

كما انتشر الصابئة المندائيون بأعداد كبيرة بمدينة الطيب ونواحيها، وهي مدينة كبيرة بين واسط وخورستان، ولم يُحقّق بعد موقعها إلى الآن²³. لكننا نعرف أن معظم أهلها كانوا من النبط الذين أسلموا، وحتى عصر ياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1228م) فإن أعدادا لا بأس بها من سكّانها كانوا من الصابئة المندائيين²⁴.

وبتلک المدينة هذه دون أحد الكهنة المندائيين الديوان المعروف بـ«القليستا» أو الصلوات الكهنوتية *The Canonical Pray Book*. ومن خلال خاتمته نعرف أن العرب المسلمين الفاتحين قد تعرّفوا إلى المندائيين للمرة الأولى بتلك المدينة، فقبلوا منهم الجزية وأقروهم على ديانتهم²⁵، فقد جاء في خاتمة النسخ لهذا الديوان ما ترجمته السيدة دراور من المندائية إلى الإنجليزية²⁶: -

²¹ G. WIDENGREN: *Manichaeism and its Iranian background*, in: *The Cambridge history of Iran*,

Cambridge University Press, 2nd edition, Cambridge university press, 1986, pp 965-966.

²² الفهرست، 2: 411؛ قارن أيضا: - المسعودي: مروج الذهب، 1: 169.

²³ رُبما تقع إلى الشرق من مدينة العمارة بالعراق، وهناك شك في أنها ربما تقع داخل الحدود الإيرانية طالما أنها وُصفت بأنها كانت تقع في منتصف الطريق بين واسط وخورستان، وبسباهي يُعرب عن تفاوله إزاء اكتشاف موقع هذه المدينة يوما ما، ويتوقع أن تُسفر الحفريات بها عن مزيد من المعلومات التي من شأنها أن تُغيط اللثام عن كثير من الأحاجي حول تاريخ وعقائد المندائيين. انظر: أصول الصابئة، 216.

²⁴ معجم البلدان، 4: 60.

²⁵ E. S. DROWER: *Harran Gawāta*, p 16.

²⁶ E. S. DROWER: *The Canonical Praybook*, p 71.

«and RAMUJA son of QAIMAT said: «I worte this
Diwan in the town of Tib in the years when ANUS
sun of DANQA departed with the heads of the people
in the years when the Arabs advanced».

«وَقَالَ رَامُوجَا بْنُ قَابَاتٍ: كَتَبْتُ هَذَا الدِّيَّوَانَ فِي مَدِينَةِ
الطَّيِّبِ فِي السَّنَاتِ الَّتِي ذَهَبَ فِيهَا أَنْشُ بْنُ دُنْقَا وَبُصْحَبَتُهُ
رُؤَسَاءُ الْقَوْمِ فِي السَّنَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَ فِيهَا الْعَرَبُ».

كذلك تركزت جموع من الصّابئة المندائيين بالبِقَاعِ المُحِيطَةِ بَيْنَ نَهْرَيَّ مَعْقِلٍ
وَالْأُبْلَةِ²⁷. كما تحدّث البيروني عن أَمَاكِينٍ تَمَرَّكُزُ الْمَنْدَائِيِّينَ قُرْبَ كَسْكَرٍ²⁸ وَالْقُرَى الْمُحِيطَةِ بِهَا
حَوْلَ مَدِينَةِ وَاسِطٍ بِقَوْلِهِ²⁹: «وَقَدْ يُوجَدُ أَكْثَرُهُمْ بِوَاسِطٍ وَسَوَادِ الْعِرَاقِ بِنَاحِيَةِ جَعْفَرٍ
وَالْمَحَامِدَةِ وَنَهْرَيَّ الصَّلَةِ»³⁰.

ويُشير الحطّيب البغدادي عبر ترجمته للزّاهد مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ (ت 200هـ / 815م)
إِلَى انْتِشَارِ الصّابئة المندائيين بِمَنْطَقَةِ نَهْرَبَانَ مِنْ أَعْمَالِ وَاسِطٍ³¹. كما تُشير رَسَائِلُ أَبِي إِسْحَاقَ

²⁷ الجُمَيْرِي: الرُّوضُ الْمُعْطَارُ، 8، بَدْرِي مُحَمَّدُ فَهْدٍ: الْمُجْتَمَعُ الْعِرَاقِي، 57.

²⁸ كَسْكَرُ مَدِينَةٍ بَيْنَ وَاسِطٍ وَالبَصْرَةِ عَلَى طَرَفِ الْبَطَانِحِ. تَقَعُ إِلَى الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ وَاسِطٍ، اشتهرت بِزِرَاعَةِ
الْأُرْزِ الْجَيِّدِ. الْقَزْوِينِي: آثَارُ الْبِلَادِ، 466.

²⁹ الْبَيْرُونِي: الْقَانُونُ الْمُسَعُودِي، 1: 267.

³⁰ نَهْرُ الصَّلَةِ: نَهْرٌ يَنْبُعُ مِنْ وَجْهَةِ قُرْبِ كَسْكَرٍ وَيَسْتَمِرُّ فِي جَرَيَانِهِ حَتَّى يَصُبَّ بِالْأُبْلَةِ قُرْبَ الْبَصْرَةِ، وَيُقَالُ إِنَّ
الْخَلِيفَةَ الْمُهَدِّيَّ هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِحِفْرِهِ، وَجَعَلَ الْمُتَحَصِّلَ مِنْ خَرَايجِهِ لِنَفَقَةِ وَعِيَارَةِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، انظر:-
يَاقُوتُ الْحَمَوِي: مُعْجَمُ الْبِلَادِ، 5: 371.

³¹ الحطّيب البغدادي: تَارِيخُ بَغْدَادَ، تَحْقِيقُ بَشَّارِ عَوَّادٍ مَعْرُوفٍ، بَيْرُوتَ 2001، 15: 264-265؛ قَارَنَ
أَيْضًا:- ابْنُ الْجَوْزِيِّ: مَنَاقِبُ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ وَأَخْبَارُهُ، تَحْقِيقُ صَادِقِ مُحَمَّدٍ الْجَمِيلِي، مَجْلَةُ الْمَوْرَدِ الْعِرَاقِيَّةِ،
ع 4، مَج 9، بَغْدَادَ 1980، 617.

الصَّابِئِ إِلَى أَنَّ بَعْضَ الْمُنْدَائِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِصَيْدِ السَّمَكِ عَلَى نَهْرِ يُسَمَّى بُرْيَه³² اسْتَشْفَعُوا بِهِ - وَهُوَ إِذْ ذَاكَ رَهْنُ الْإِعْتِقَالِ - عِنْدَمَا أَمَرَ مُتَوَلِّي بَيْتِ الْمَالِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ شَاذَانَ بِأَنْ تُجْمَعَ مِنْهُمْ ضَرِيَّةٌ عَلَى صَيْدِ السَّمَكِ مِنَ النَّهْرِ، فَأَرْسَلَ أَبُو إِسْحَاقَ لَهُ لَافِتًا نَظَرَهُ بِأَنَّهُ لَمْ تَجْرَ سَابِقَةً فِي عَصُورِ الْخُلَفَاءِ بِأَنَّ لَبِيَّتَ الْمَالِ حَقُوقًا فِي الصَّيْدِ مِنَ النَّهْرِ، وَيَلْتَمِسُ مِنْهُ رَفْعَ الظُّلْمِ عَنِ الْقَوْمِ³³.

وَمِنَ الْمُدْهَشِ أَنَّ لَدَيْنَا أَيْضًا مَا يُشِيرُ إِلَى وَجُودِ جَالِيَّةٍ مِنَ الصَّابَةِ الْمُنْدَائِيِّينَ بِبَغْدَادِ نَفْسِهَا، فَغَرَسَ النُّعْمَةُ بْنُ هِلَالِ بْنِ الصَّابِئِ يَنْقُلُ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي ضَمَّنَهَا كِتَابُهُ الْهَفَوَاتِ النَّادِرَةِ عَنْ شَخْصٍ يُدْعَى أَبَا سَعْدٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَانْدَائِيِّ³⁴، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ بِمَحَلَّةِ نَهْرِ طَابَقِ³⁵ غَرْبِي بَغْدَادَ، إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ وَجُودَ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ هَلُّوا لِقَبِ «الْمُنْدَائِيِّ» أَوْ «الْمَانْدَائِيِّ» مِنَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَتَرَكُوا سُكْنَى قُرَى وَاسِطَ وَرَحَلُوا إِلَى بَغْدَادَ كَمَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ، وَأَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْمُنْدَائِيِّ الْوَاسِطِيِّ³⁶. وَأَبِي الْعَبَّاسِ الْمَانْدَائِيِّ، وَكَانَ أَحَدُ الْمُنْدَائِيِّينَ مِنَ الَّذِينَ أَشْهَرُوا إِسْلَامَهُمْ³⁷، وَهُنَاكَ أَيْضًا أَحَدُ الْفُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَوِي الْأَصُولِ الْمُنْدَائِيَّةِ وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ بُخْتِيارِ الْمُنْدَائِيِّ الْوَاسِطِيِّ³⁸.

وَقَدْ لَفَّتَتْ هَذِهِ النَّسْبَةُ الْغَرِيبَةُ - أَعْنِي الْمُنْدَائِي - أَنْتَظَارَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، يَشْهَدُ بِذَلِكَ

³² نَهْرُ بُرْيَه نُحِيرُ صَغِيرٌ بِالْبَصْرَةِ يَقْطَعُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ مِنْ دَجَلَةٍ، يَأْقُوتُ الْحُمُوي، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، 1: 484.

³³ رَسَائِلُ الصَّابِئِ، نُسخة مَكْتَبَةِ جَامِعَةِ لِيدِن، وَرَقَةٌ 77 و-77 ط.

³⁴ كَذَا وَرَدَ رَسْمُهَا بِالْهَفَوَاتِ النَّادِرَةِ.

³⁵ غَرَسَ النُّعْمَةُ بْنُ هِلَالِ بْنِ الصَّابِئِ: الْهَفَوَاتِ النَّادِرَةِ، تَحْقِيقُ صَالِحِ الْأَشْتَرِ، دِمَشْقَ 1967، 60. وَنَهْرُ طَابَقِ

إِحْدَى مَحَلَّاتِ (أَحْيَاءِ) بَغْدَادَ غَرْبَ دَجَلَةٍ، كِي لِيَسْتَرْنَج: بَغْدَادُ فِي عَهْدِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، تَرْجُمَةُ بِشِيرِ يَوْسُفَ

فَرَنْسِيْسَ، بَغْدَادَ 1936، 79-81.

³⁶ الْمِرْبُي: تَهْذِيبُ الْكَمَالِ، تَحْقِيقُ بِشَارِ عَوَادَ مَعْرُوفَ، بَيْرُوتَ 1980، 5: 16.

³⁷ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: الْمُنْتَظَمُ، 18: 83.

³⁸ الذَّهَبِيُّ: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، 43: 187.

هذا الحوار القصير الذي دار بين الفقيه مُحَمَّد بن أحمد بن بُخْتِيار المندائي وبين مجموعة من مُريديه وتلاميذته، يقول الذَّهبي³⁹: «وُسئِلَ عن معنى الماندائي فقال: كان أجدادي قوماً من العجم تأخَّر إسلامهم فُسُمُوا بذلك». وتُلاحظ كيف راوَعَ أحمد بن بُخْتِيار وابتعدَ عن الحقوض في الدلالة الدينية للقب المندائي حتى لا يُشَوِّش على اللقب الذي عرف به المسلمون قومه وهو «الصَّابئة»، ومن ثمَّ لا يُؤثِّر على وضع بني جلدته كأهل ذمَّة.

وربَّما كان بالقرب من مقابر الشُونِيزِيَّة غربيَّ بغداد تواجد لبعض المندائيين، وبصفة خاصَّة على ضِفَاف نهر كَرخَايا⁴⁰. فعلى الأقل كانت هناك مقابر لهم بتلك البقعة، فقد نصَّ الشَّريف الرُّضي على أنَّ أبا إسحاق قد دُفِنَ بأرض الجُنيَّة قُرب الشُونِيزِيَّة⁴¹، على مقربةٍ من نهر كَرخَايا⁴²، ولَمَّا كان أَبُو إسحاق الصَّابِي قد دُفِنَ على الشَّعائر الدِّينية المندائيَّة⁴³، فإنَّ وجود الجبَّانة إلى جانب وجود رجال الدين المندائيين الذين قاموا بشعائر الدفن يُشير على الأرجح إلى تواجد للمندائيين شرقيَّ بغداد.

أمَّا بالنسبة للصَّابئة الحُرثانيَّة فقد تركَّزوا بمدينة حرَّان نفسها، حيث شكَّلوا أغلبيَّة السُّكان بها⁴⁴، لكن عوامل طبيعيَّة وسياسيَّة لعبت دورها في قلبِ المَوازِين الدِّيموجرافيَّة

³⁹ الذَّهبي: المصدر نفسه، 43: 188.

⁴⁰ نهر كَرخَايا: نهر ينبع من الثُّرات ويشقُّ حيَّ الكرخ شرقي بغداد، ليسترنج: المرجع نفسه، 58.

⁴¹ الشُونِيزِيَّة: مقبرة كبيرة ببغداد بالجانب الغربي من بغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3: 424.

⁴² الشَّريف الرُّضي: رسائل الصَّابِي والشَّريف الرُّضي، تحقيق مُحَمَّد يُوسف نجم، الكويت 1961، 56؛ قارن أيضاً الصَّفدي: الوافي بالوفيات، باعثناء أحمد الأرناؤوط؛ تركي مصطفى، بيروت 2000، 6: 103؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت د.ت، 4: 169.

⁴³ تفصيلاً انظر الفصل التاسع.

⁴⁴ المقدسي: أحسن التقاسيم، 42؛ MICHAEL G. MORONY: *Iraq After the Muslim Conquest*, Georgia،

2005, p 409.

بالمدينة لصالح المسلمين والنصارى الشريان، فمن ناحية ساهمت نكباتهم المتتابعة خلال عصر الرّشيد على خلفية قضية الرأس - والتي ستعرض لتفاصيلها لاحقاً⁴⁵ - إلى إعلان بعضهم للإسلام، في حين اعتنق بعضهم النصرانية وربما اليهودية أيضاً على سبيل التّقيّة⁴⁶. وتكرّر ذلك مرة ثانية على يد المأمون - كما سيأتي أيضاً⁴⁷ - فأعلنت عائلاتُ بأكملها من الصّابئة الحرّانية إسلامها خوفاً من تهديد الخليفة، في حين هرب من المدينة عددٌ آخر فراراً بدينه⁴⁸. كما ساهمت الطّبيعة أيضاً في خروج عددٍ كبير من الحرّانية من حرّان، تمثل هذا في السيول القويّة التي ضربت المدينة عام 226هـ/840م وأدّت إلى تصدّع أسوارها وإلحاق أضرارٍ جسيمة بمبانيها⁴⁹.

أقامت جالياتٌ متفاوتة في العدد من الحرّانية بالمُدن والقرى المجاورة لحرّان وعلى رأسها «تُرْعوز» وهي قرية كبيرة بالقرب من حرّان، وكان الحرّانية يُمثلون غالبية سكّانها، وكان لهم بها هيكلُ الزّهرة، ويقول ياقوت أن معنى «تُرْعوز» بلغة الصّابئة هو بابُ الزّهرة⁵⁰. كما كانت «سَلْمُسِين» أو «صَلْمُسِين» والتي تعني بالشرّانية «صَنَم القمر»، وهي قرية قريبة من حرّان كان أغلب سكّانها من الحرّانية، وكان بها هيكلٌ صغير لإله القمر يسين، ومنه اتّخذت اسمها⁵¹.

كذلك تَمَرَّكَزَت أعدادٌ كبيرة من الحرّانية بقرية دير كاذبي على مقربة من حرّان أيضاً،

⁴⁵ انظر الفصل السادس

⁴⁶ ماري بن سُلَيان: أخبار بطارقة كُرْمِي المشرق، 75.

⁴⁷ انظر الفصل السادس

⁴⁸ التّديم: الفهرست، 2: 361-363.

⁴⁹ ابن العبري: تاريخ الزّمان، 34.

⁵⁰ ياقوت الحموي: مُعْجَم البلدان، 2: 27.

⁵¹ ياقوت الحموي: المصدر نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

وكان الحرانية يخرجون إليها في شهر نيسان (أبريل) للاحتفال بعيد صنم الماء⁵²، كما كانت هناك جالية من الحرانية تعيش بكفر ثوثا⁵³، وكانت كفر ثوثا هي المدينة نفسها التي هاجر إليها ثابت بن قرة إبان خروجه هجرته من حرّان. وهناك عدد آخر من الحرانية استوطن قرية تدعى بّتان، وهي من أعمال حرّان، ويُنسب إليها الفلكي الحراني الشهير أبو عبد الله محمد بن جابر بن سينان البّتاني⁵⁴، كما كان بالرّها - ذات الأغلبية النصرانية - جالية لا بأس بها من الصّابئة الحرانية⁵⁵.

ومن حرّان هاجرت أيضًا أعدادٌ غفيرة من الحرانية إلى الرّقة⁵⁶ حتى شكّلوا بها جالية كبيرة العدد، وحول الرّقة انتشرت جالياتٌ متفاوتة من الحرانية بسائر مُدن وقرى ديار مُصّر⁵⁷. وقد شكّل الحرانية المهاجرون إلى الرّقة ومُدن وقرى ديار مُصّر طلائع المهاجرين إلى بغداد، وعلى الأخص آل زهرون الصّابئ، والذين هاجروا من حرّان إلى الرّقة أولًا، ثم من الرّقة إلى بغداد في نهاية المطاف. وليس ممّا بين أيدينا ما قد يُعيننا على تحقيق تاريخ خروج آل زهرون من حرّان إلى الرّقة.

لكنّ هناك بعض الإشارات التي قد تكون مُفيدة في تحقيق تاريخ هجرتهم الثانية من الرّقة إلى بغداد، من ذلك إشارة القفطيّ إلى أنّ أبا الحسن الحرّاني قد وُلد بالرّقة سنة

⁵² النديم: الفهرست، 2: 373؛ إخوان الصّفا: رسائل إخوان الصّفا، 4: 306. وعن عيد صنم الماء عند الحرانية انظر الفصل التاسع.

⁵³ ابن خَلِّكان: وفيات الأعيان، 1: 314.

⁵⁴ ابن خَلِّكان: وفيات الأعيان، 5: 164؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2: 397.

⁵⁵ المقدسي: أحسن التقاسيم، 142.

⁵⁶ الرّقة قصبة ديار مُصّر على الفُرات، تقع إلى الشّرق من حرّان. المقدسي: أحسن التقاسيم، 141.

⁵⁷ رسائل الصّابئ، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقات 212 و - 213 و.

283هـ/896م⁵⁸. ولما كُنَّا نعرف أنَّ ابن أخيه أبي إسحاق الصَّابِئ قد ولد ببغداد عام 313هـ/925م⁵⁹ فإنَّنا نستطيع القول بأن هجرة آل زهرون من الرِّقَّة إلى بغداد تَمَّت ما بين العقد الأخير من القرن الثالث الهجري/التَّاسع الميلادي والعقد الأوَّل من القرن الرَّابِع الهجري/العاشر الميلادي.

وكَيْفَمَا كان الأمرُ فلم يَكُنْ آل قُرَّة ولا آل زهرون طليعةَ المهاجرين الحِرنانيَّة إلى قلب العراق، فهُنَاكَ دلائلٌ تُشير إلى تواجد الحِرنانيَّة بالعراق مُنذ وقتٍ مُبَكَّر جدًّا، فقد تواجدت في البَصْرة جاليةٌ من الحِرنانيَّة مُنذ عصر الخليفة أبي جعفر المنصور على الأقل، فالصَّفدي يسوق عرضاً في ترجمة حماد عَجْرَد الشَّاعر (ت155هـ/771م) الحديث عن شاعرٍ حِرنانيٍّ كان مُقيماً بالبَصْرة ويُدعى رُوح بن سنان الحِرناني الصَّابِئ⁶⁰. ما يُشير إلى وجود الصَّابئة الحِرنانيَّة بالبَصْرة بأقصى جنوب العراق مُنذ مُتَّصَف القرن الثاني الهجري/الثَّامن الميلادي على الأقل.

وعلى أيِّ حالٍ فقد كانت هجرات العلماء الحِرنانيَّة من حِرنان والرِّقَّة إلى بغداد استجابةً للظُّروف والتَّغيرات التي شَهدتها الحياة الثقافيَّة مُنذ بدايات القرن الثالث الهجري/التَّاسع الميلادي، فقد أَضحت بغداد أَحد أكبر مراكز إحياء التُّراث الهلِّليني والسُّرياني، فقد ترتَّب على إنشَاء بيت الحكمة في عصر المأمُون أن صارت بغداد مقصِّد العلماء من كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْب، وكان العلماء من الحِرنانيَّة يُمَيِّزون عن غيرهم بأنَّهم كانوا على أَطلاع عميق بالتُّراثين اليُوناني والسُّرياني، وخاصَّةً فيما يتعلَّق بعلوم الفلك والطَّب والفلسفة، هذا إلى جانب معرفتهم المُمتازة بالسُّريانيَّة واليُونانيَّة والعربيَّة، ومن هؤلاء المهاجرين من العلماء الحِرنانيَّة العالم الفلكي الشَّهير أبو عبد الله مُحَمَّد بن جابر بن سنان البِتَّاني الحِرناني (ت317هـ/929م) وكان قد هاجر من حِرنان إلى الرِّقَّة، ثم تَرَكَها وقَدِم إلى بغداد وخدم الخليفة المُكْتَفي، وكان مُعلِّماً لولده جَعْفَر بن المُكْتَفي⁶¹.

⁵⁸ القَفْطِي: إخبارُ العلماء، 80؛ ابن أبي أَصْبِيعة: عيُون الأَثَباء، 311.

⁵⁹ ياقُوت الحموي: مُعْجَم الأَدَباء، 1: 131.

⁶⁰ الصَّفدي: الوافي بالوفيات، 13: 89.

⁶¹ القَفْطِي: إخبارُ العلماء، 184-185.

كما لعب الاضطهاد الديني الذي مارسه الكهنة الحرنانية بحرّان في حقّ مُناوئهم في العقيدة دورًا كبيرًا في ترك مُعظم هؤلاء المُناوئين لِمَسْقَط رأسه والالتجاء إلى مَا حَوْلَهَا، وكان من أبرز هؤلاء المارقين عن المؤسسة الدينية الرّسميّة للحرنانيّة ثابت بن قُرّة الذي كان صَيرفيًا ميسُور الحال بحرّان واختلف مع المرجعيّة الدينيّة للطائفة حول بعض أمور الدّين⁶²، كان الحرنانية أيضًا مُعتادين على السّفر إلى جُوف العراق خاصّة إلى مدينة سامراء⁶³، وربّما كان هذا في حدّ ذاته مؤثّرًا على وجود جالية بها من الحرنانيّة بها يعملون بالتجارة والصّيرفة وما شابه.

وفي أخريات العصر البُويهيّ، وكتيجة للأوضاع المُتردية للطائفة عقب وفاة أبي إسحاق الصّائب، وإسلام حفيده هلال بن المُحسن الصّائب في مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نجد أنّ بعض آل قُرّة قد ترك بغداد وهاجر إلى قُرى بابل الثّانية واستقرّ بها، كحسّ بن فرج بن عليّ بن دُواد بن سنان بن ثابت بن قُرّة، والذي هاجر واستقر بنو قان كما نفهم ذلك بجلاء من خلال خاتمة *Colophon* مخطوط شوق المُستهام لابن وحشيّة النّبطي⁶⁴.

كما كانت قد نَزَحَتْ أعدادٌ كبيرةٌ من الحرنانيّة من حرّان إلى مُختلف أنحاء العراق والشّام عقب سقوط المدينة في أيدي بني نُمير عام 422هـ/ 1030م، ثم خرابها بشكلٍ نهائيّ وتسويتها بالأرض على أيدي جحافل المغول بقيادة هولاكو عام 657هـ/ 1258م، وقد استقرّ بعض هؤلاء المهاجرين الحرنانيّة بدمشق وظلّوا بها حتى سقوطها في يدي سُلطان المغول غازان خان⁶⁵.

⁶² ابن خَلِّكان: وفياتُ الأعيان، 1: 313-315.

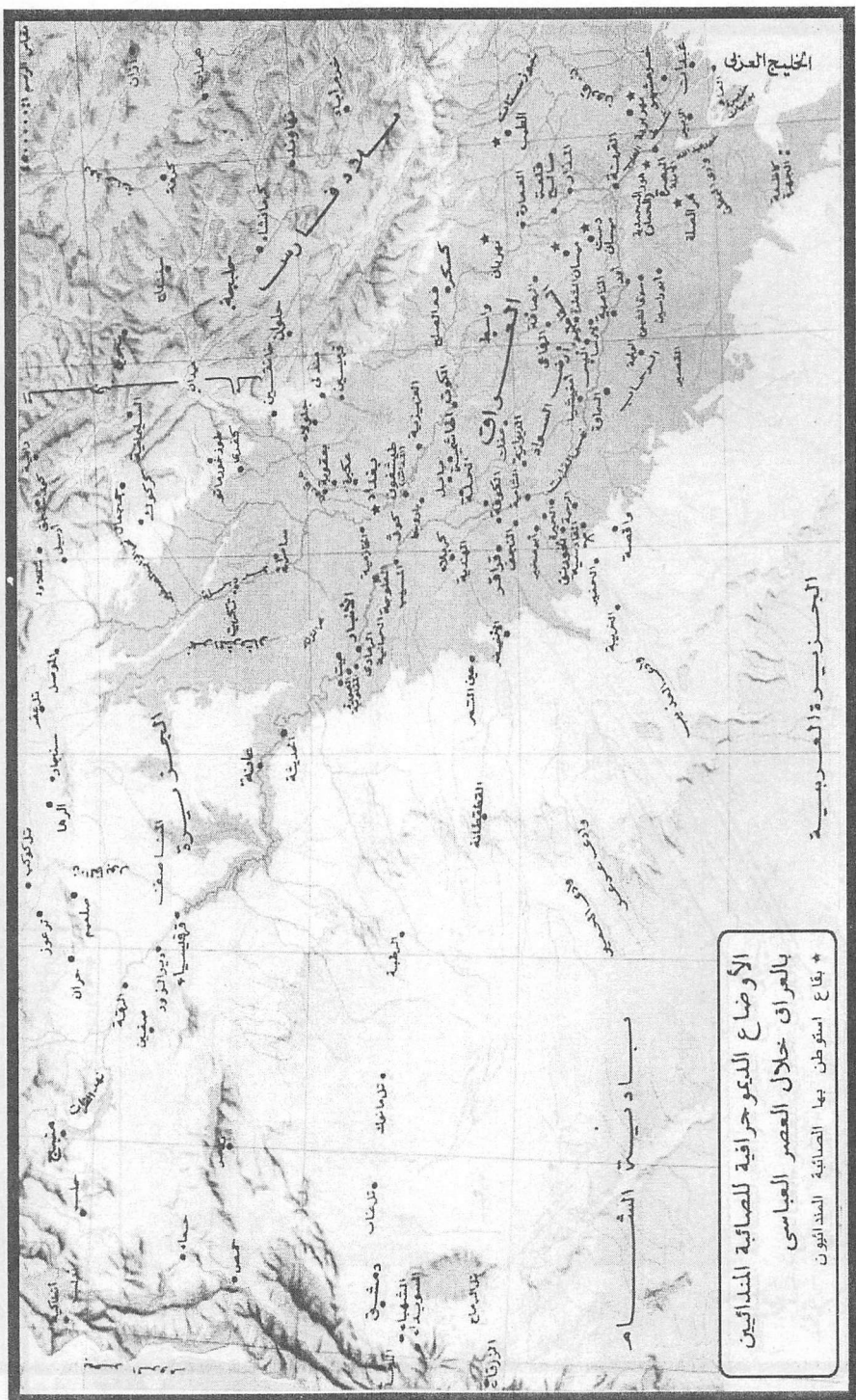
⁶³ صِوان الحِكْمة، 300.

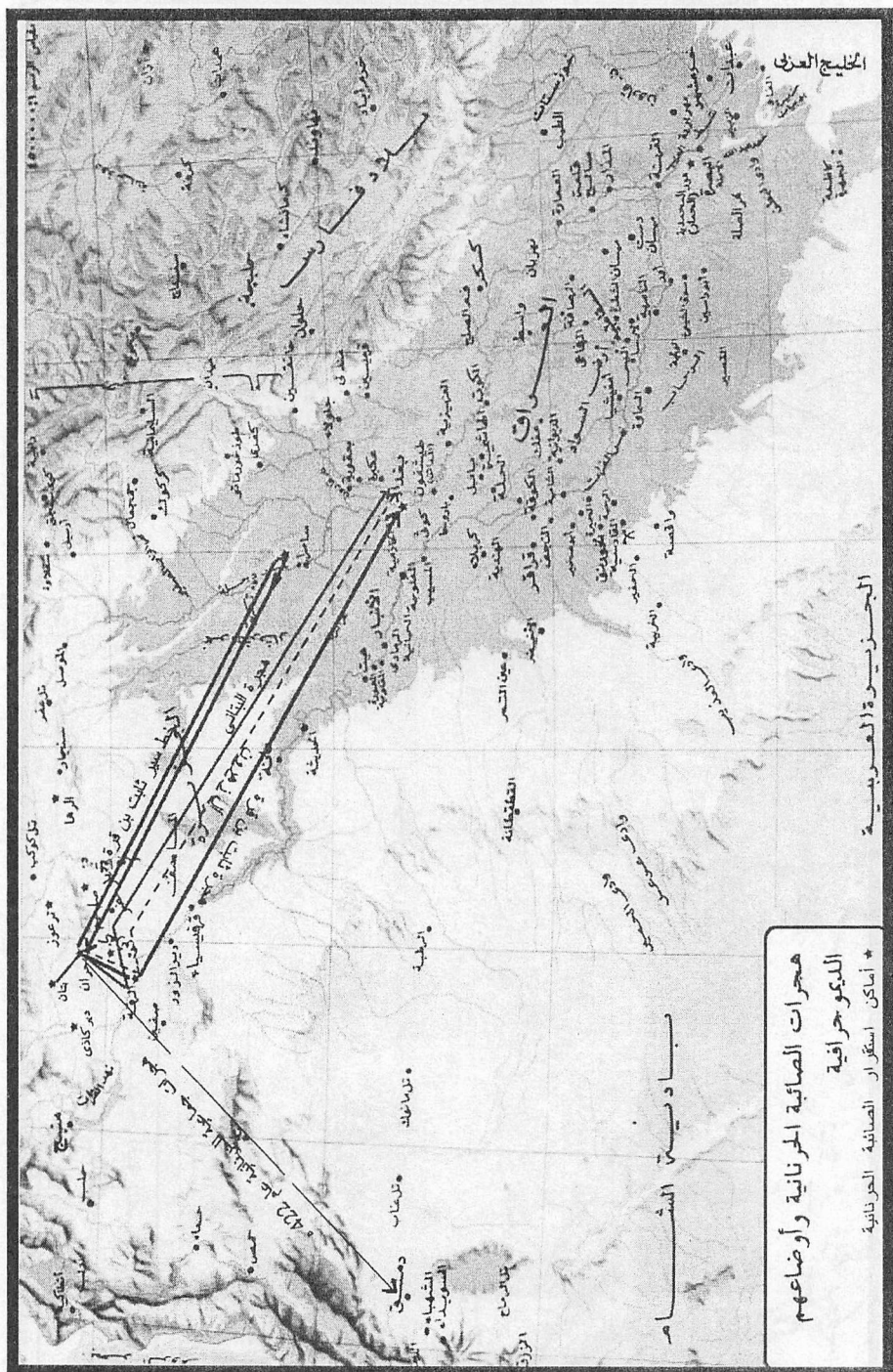
⁶⁴ نُسخة مكتبة ميُونخ، Cod. Ara 789، ورقة 77ظ.

⁶⁵ تفصيلًا انظر الفصل الثامن.

خرج من كتابه الف نسخة المخطبة في المصلى
 للملك حسن بن خروج بن علي بن برلوعود بن منان
 بن ثابت بن قيس الحارثي الباطلي النوفلي يوم الثلاثاء
 المبارك شوال شهر ربيع الآخر سنة ٤١٣ الهجرية وبلغ
 عشرين وقد تم الف نسخة المنقولة عن الف نسخة
 عن شيخها يوم ربيع المبارك في شهر محرم ٦٦٦ الهجرية
 سنة ستين وماية وكفى ولحق نقلت هذه عن
 بنت يوم الجمعة المبارك عام حادي وخمس ٦٦٦ الهجرية
 سنة ستين وماية وكفى

خاتمة مخطوط شوق المشتهام لابن وحشية، نسخة مكتبة ميونخ





هجرات الصائبة الحرفانية وأوضاعهم
الديكور الحرفانية
* أماكن استقرار الصائبة الحرفانية

الفصل

السادس



الصابئة من ظهور الإسلام

وحتى نهاية عصر المأمون

«وقد ينبغي يا أمير المؤمنين - أئدك الله - أن تتقدم في الركن بأهل زنة نبيك وابنه عمك محمد ﷺ، والتقدم لهم؛ حتى لا يظلموا ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم. ولا يؤخذ شيء من أسوالهم إلا بمن يحب عليهم. فقد روي عنه رسول الله ﷺ أنه قال: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه».

من وصايا القاضي أبي يوسف يعقوب الرشيد

عقب مَوْقِعَةِ الْقَادِسِيَّةِ 15هـ/ 636م توغَّلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي أَرَاظِي السَّوَادِ بِالْعِرَاقِ مِنْ دُونِ عَائِقٍ يُذَكَّرُ، وَمَعَ اقْتِرَابِهِ مِنْ مَدِينَةِ الطَّيِّبِ خَرَجَ إِلَيْهِ وَفَدَّ مِنَ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ بِزُعَامَةٍ رَجُلٍ دِينَ مَنْدَائِي يُقَالُ لَهُ «أَنْشُ بْنُ دُنْقَا» اضْطَحَبَ مَعَهُ نَفَرًا مِنْ زُعَمَاءِ الْمَنْدَائِيِّينَ؛ رَحَّبُوا بِالْأَمِيرِ، وَحَلُّوا إِلَيْهِ نُسخَةَ مِنْ كِتَابِهِمْ «الْكَتَرُ رُبَّا»، فَرَحَّبَ بِهِمُ الْأَمِيرُ، وَأَقْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَمَّنَهُمْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَذَرَائِهِمْ، مُقَابِلَ أَدَائِهِمْ لِلْجِزْيَةِ أَسْوَةً بِأَهْلِ الْكِتَابِ¹.

بُعِيدَ ذَلِكَ - وَبِالتَّحْدِيدِ عام 18هـ/ 639م - وَقَفَ الْقَائِدُ عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ الْفَهْرِيُّ تَحْتَ أَسْوَارِ حِرَّانَ، طَالِيًا مِنْ أَهْلِهَا التَّسْلِيمَ مُقَابِلَ الْأَمَانِ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ خَرَجَ إِلَيْهِ وَفَدَّ مِنْ رُؤَسَاءِ الْحَرَنَانِيَّةِ، طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَبْعَثَ بِجَيْوشِهِ إِلَى الرَّهَّا، فَمَا صَالَحَهُ عَلَيْهِ نَصَارَى الرَّهَّا أَقْرَهُ الْحَرَنَانِيَّةَ أَيْضًا. فَوَافَقَ الْأَمِيرُ، وَوَجَّهَ بَعُوثَهُ إِلَى الرَّهَّا؛ فَسَلَّمَتْ لَهُ، وَصَالَحَتْهُ عَلَى الْجِزْيَةِ، فَفَتَحَ الْحَرَنَانِيَّةَ أَبْوَابَ مَدِينَتِهِمْ لِلْقَائِدِ عِيَاضَ، وَصَالَحُوهُ عَلَى الشَّرُوطِ نَفْسِهَا الَّتِي صَالَحَهُ عَلَيْهَا نَصَارَى الرَّهَّا².

إِذَنْ فَكَلَّمَا الْفِرْقَتَيْنِ - الْمَنْدَائِيَّةَ وَالْحَرَنَانِيَّةَ - تَمَتَّعًا بِوَضْعِيَّةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْذَ عَصْرِ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِذْ قُبِلَتْ مِنْهُمَا الْجِزْيَةُ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْآيَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي نَزَلَتْ لِنَتْظِيمِ شُئُونِ الْجِزْيَةِ لَمْ تُثَرِ إِلَّا بِقَبُولِهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: - «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» [التوبة 29]. إِلَّا أَنَّ الْخَلِيفَةَ الثَّانِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؓ اسْتَنْزَسَ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَوَازِ اخْتِاقِ الْعَجَمِ - مِمَّنْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ - بِأَهْلِ الْكِتَابِ فِي قَبُولِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ، وَإِقْرَارِهِمْ عَلَى دِينِهِمْ، فَقَدْ قَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ³ قَائِلًا لِأَصْحَابِهِ «سُئِلُوا بِهَمِ سُنَّةِ أَهْلِ الْكِتَابِ»⁴.

¹ DROWER: *The canonical praybook of the Mandaeans*, p 71.

² الْبَلَّاذُورِيُّ: الْبُلْدَانُ وَفَتْوحُهَا وَأَحْكَامُهَا، 205 - 206.

³ هَجَرَ؛ قِصَّةُ الْبَحْرَيْنِ، فَتَحَتْ صُلَحًا عَلَى عِضْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى يَدِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ، إِذَا سَنَةَ 8هـ أَوْ 10هـ وَصَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَهَا - وَكَانُوا مِنَ الزَّرَادَشْتِيَّةِ عَلَى الْجِزْيَةِ، وَبِذَلِكَ تَأَصَّلَ فِي التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ جَوَازُ قَبُولِ الْجِزْيَةِ مِنَ الْعَجَمِ مِمَّنْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ، انْظُرْ: - يَاقُوتُ: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، 5: 452-453.

⁴ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: الْمَوْطَأُ، دُبِّي 2003، 2: 670؛ ابْنُ زَنْجَوِيَّةٍ: الْأَمْوَالُ، تَحْقِيقُ شَاكِرِ ذَيْبٍ فَيَّاضَ، الرِّيَّاضُ 1986، 1: 136.

وخلال عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان كاد أن يحدث تعديل جوهري في وضع الصابئة المندائيين في العراق، ذلك أن عامله على العراق زياد بن أبيه سمع من بعض ندمائه أن المندائيين كالمسلمين يصلون خمس صلوات في اليوم، كما أنهم يستقبلون قبلة المسلمين في صلواتهم؛ فهم أن يضع عنهم الجزية، فنصح بعض العلماء بالعدول عن ذلك، لأنهم سمعوا أنهم يعبدون الملائكة⁵.

ولا تكاد المصادر المعاصرة تمدنا بمعلومات ذات طبيعة أدق عن التنظيمات الإدارية وأبرز المستجدات في أوضاع المندائيين عقب فتح العراق؛ باستثناء ما تقدم من إقدام زياد بن أبيه على وضع الجزية عنهم ثم تراجع عن ذلك. ولكن بالنسبة للحرانانية فقد حرص الأمويون - رُبما منذ عصر عبد الملك بن مروان - على تنصيب رئيس للطائفة، غالبا ما يكون من أخصر بُلانها ليكون بمثابة هزمة الوصل بين الدولة والطائفة. وقد ظل هذا التقليد متبعا بين الحرانانية طوال العصر العباسي. فقد أمدنا محمد بن إسحاق النديم بقائمة كاملة تُحصى رؤساء الصابئة الحرانانية منذ عصر عبد الملك بن مروان حتى ما بعد عصر الخليفة العباسي الراضي بالله، بقوله⁶:-

تاريخ رؤساء الصابئين الحرانيين الذين جلسوا على
كُرسي الرئاسة في الإسلام منذ عهد عبد الملك بن مروان وذلك في
سنة أربع وألف للإسكندر.

أولهم: ثابت بن أخوسا، رأس أربعين سنة. ثابت
بن طُبُون، رأس ست عشرة سنة. ثابت بن قُرثيا، رأس سبع عشرة
سنة. ثابت بن إيليا، رأس عشرين سنة. قُرّة بن ثابت بن إيليا رأس
إحدى وعشرين سنة. جابر بن قُرّة بن ثابت، رأس عشر سنين.

⁵ ابن كثير: تفسيره، 1: 286.

⁶ الفهرست، 2: 374-375.

سِنَان بن جَابِر بن قُرَّة بن ثَابِت بن إيليا. رأس تِسْع سِنين.
عَمْرُوس بن طِيَّيَا، رأس سَبْع عشرة سنة. مِيخَائِيل بن أَهْر بن
بُقْرَارِيس، رأس ثلاث عشرة سنة، يَتَقِين بن قُضْرُونَا، رأس خمس
سِنين. مِغْلَس بن طِيَّيَا، رأس خمس سِنين. عُثْمَان بن مَالِي، رأس
أربعًا وعشرين سنة. قُرَّة بن الْأَشْتَر، رأس تِسْع سِنين، الْقَاسِم بن
الْقَوْقَانِي، رأس تِسْع سِنين، وكان هذا الرَّجُل - أَغْنِي الْقَاسِم -
مُسَافِرًا ثم عَادَ فَرَأَسَ أَزْبِع سِنين، نِسْطَاس بن يَحْيَى بن زُوْنَق،
رأس اثنتين وأربعين سنة. وبعد هؤلاء مَن لم يَجْلِس على كُرْسِيِّ؛
وكان مُطَاعًا يَجْرِي مَجْرَى الرُّؤْسَاء سَعْدُون بن خَيْرُون من بني
هَرَقْلِيس؛ حَكِيم بن يَحْيَى من بني هَرَقْلِيس.

تَكْتَمُ النَّدِيم مَصْدَرُهُ فِيمَا يُخَصُّ هَذِهِ الْقَائِمَةُ، مَعَ ذَلِكَ لَا تَنْقُصُهَا الْمِصْدَاقِيَّةُ، فَهَنَّاكَ
رِسَالَةً ضَمِنَ رِسَائِلَ أَبُو إِسْحَاق الصَّابِيُّ، مُوجَّهَةً إِلَى شَخْصٍ يُدْعَى نَوْرُ بْنُ حَكِيمٍ بِحَرَآن⁷،
يُخَاطِبُهُ فِيهَا عَلَى أَنَّهُ رَأْسُ الْحَرَنَانِيَّةِ بِحَرَآنَ وَالْجَزِيرَةِ الْفُرَاتِيَّةِ، وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ نِمْرًا هَذَا مِنْ وَلَدِ
حَكِيمٍ بِنِ يَحْيَى مِنْ آلِ هَرَقْلِيسٍ آخِرِ هَذِهِ السَّلَالَةِ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْهَا النَّدِيمُ. وَيُمْكِنُ إِعَادَةُ
تَرْتِيبِ تِلْكَ السَّلْسَلَةِ مِنْ وِلَاةِ أُمُورِ الْحَرَنَانِيَّةِ تَارِيخِيًّا، بَلْ وَمُقَابَلَتِهَا عَلَى عُهُودِ الْخُلَفَاءِ، لِأَنَّ
النَّدِيمَ - لِحُسْنِ الْحِظِّ - أَعْطَانَا مُفْتَاخًا لَهَا، وَهُوَ تَارِيخُ وَلايَةِ ثَابِتِ بْنِ أَحُوسَا فِي عِضْرِ عَبْدِ
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَامَ 1004 بِالتَّقْوِيمِ الشَّرْيَانِيِّ⁸، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِعَامِ 74هـ/ 693م.

⁷ رِسَائِلُ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ، نُسخةٌ مَجْلِسِي شُورَايِ إِيْرَانِ، 82 ط - 83 و.

⁸ التَّقْوِيمُ الشَّرْيَانِيُّ وَيُنْسَبُ عَلَى سَبِيلِ الْخَطَأِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ الْأَكْبَرِ، وَالْآخَرَى أَنَّ يُنْسَبُ إِلَى سَلِيْقُوسِ نِيْكَاتُورِ
أَحَدِ كِبَارِ قَادَةِ الْإِسْكَانْدَرِ الْأَكْبَرِ، وَمُؤَسِّسِ الدَّوْلَةِ السَّلِيُوقِيَّةِ، فَهُوَ الَّذِي وَضَعَ ذَلِكَ التَّقْوِيمَ وَافْتَحَهُ يَوْمَ
الْإِثْنَيْنِ 1 تَشْرِينَ الْأَوَّلِ [أَكْتُوبَر] مِنْ عَامِ 312 ق.م، وَهُوَ الْعَامُ نَفْسُهُ الَّذِي وَافَقَ اسْتِيلَاؤُهُ عَلَى فَلَاسْطِينِ،
وَالسَّنَةِ الشَّرْيَانِيَّةِ تَعْمَدُ التَّقْوِيمَ الشَّمْسِيَّ، وَتَعْدَادُ أَيَّامِهَا لِلْسَّنَةِ الْبَسِيطَةِ 365 يَوْمًا، تُكْبَسُ كُلُّ أَرْبَعَةِ سَنَوَاتٍ
لِتُصْبِحَ 366 يَوْمًا، وَشَهْرُ شَبَاطٍ [فَبْرَايِر] ثَانِيَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا فِي السَّنَةِ الْبَسِيطَةِ، يُكْبَسُ كُلُّ أَرْبَعَةِ سَنَوَاتٍ
لِيُصْبِحَ 29 يَوْمًا، وَتَبْدَأُ السَّنَةُ الشَّرْيَانِيَّةُ بِشَهْرِ كَانُونِ الثَّانِي [بَنَازِير] وَتَنْتَهِي بِكَانُونِ الْأَوَّلِ [دِيْسَمْبَر] وَهُوَ
بِذَلِكَ مُطَابِقٌ لِلتَّقْوِيمِ الْجُولْيَانِيِّ الَّذِي طُوِّرَ فِيهَا بَعْدَ لِيُسَمَّى التَّقْوِيمُ الْمِلَادِي الْمُسْتَعْمَلُ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ وَالَّذِي
يَعْتَمَدُ تَارِيخَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ بَدَايَةَ لَهُ.

رئيس الطائفة	تاريخ الرئاسة بالتقويم اليوتاني	تاريخ انتهاء الرئاسة بالتقويم اليوتاني	مدة الرئاسة (بالسنة)	المكان بالتقويم الميلادي	المكان بالتقويم الهجري	الطائفة بمصوّر الخلفاء
ثابت بن أحوسا	1004	1028	24	693 - 717	74 - 99	عبد الملك بن مروان - الوليد بن عبد الملك - سليمان بن عبد الملك - عمر بن عبد العزيز
ثابت بن طبرون	1028	1044	16	717 - 733	99 - 115	عمر بن عبد العزيز - يزيد بن عبد الملك - هشام بن عبد الملك - الوليد بن يزيد
ثابت بن قرقيا	1044	1061	17	733 - 750	115 - 133	الوليد بن يزيد - يزيد بن الوليد - إبراهيم بن الوليد - مروان بن محمد - أبو المعاس السفاح
ثابت بن إيليا	1061	1081	20	750 - 770	133 - 153	أبو المعاس السفاح - أبو جعفر المنصور
قرية بن ثابت بن إيليا	1081	1102	21	770 - 791	153 - 175	أبو جعفر المنصور - المهدي - هادي - هارون الرشيد
جابر بن قرية بن ثابت	1102	1112	10	791 - 801	175 - 185	هارون الرشيد
سنان بن جابر بن قرية بن ثابت بن إيليا	1112	1121	9	801 - 810	185 - 195	هارون الرشيد - الأمين
عمر بن طيبا	1121	1138	17	810 - 827	195 - 212	الأمين - المأمون
ميخائيل بن إهر بن يقرأوس	1138	1151	13	827 - 840	212 - 226	المأمون - المتصم
نقش بن قسرونا	1151	1156	5	840 - 845	226 - 231	المتصم - الواثق
مفلح بن طيبا	1156	1161	5	845 - 850	231 - 236	الواثق - المتوكل
عشيان بن مالي	1161	1185	24	850 - 874	236 - 261	المتوكل - المتصم - السنين - المنذر - المهدي - المعتمد
قرية بن الأشتر	1185	1194	9	874 - 883	261 - 270	المعتمد
القاسم بن القوقاي	1194	1203	9	883 - 892	270 - 279	المعتمد - المعتمد
قدطاس بن يحيى بن زونق	1203	1245	42	892 - 934	279 - 323	المعتمد - المنذر - القاهر - الراضي

؟	؟	؟	؟	؟	يقوم مقام الرئيس	سمعون بن خبرون من بني هرقليس
؟	؟	؟	؟	؟	يقوم مقام الرئيس	حكيم بن يحيى من بني هرقليس
؟	؟	؟	؟	؟	يقوم مقام الرئيس	نعم بن حكيم

جدول بقوائم رؤساء الصابئة استنادًا إلى قائمة النديم، ورسائل أبي إسحاق الصّابئ⁹

وما كَاد الأمرُ يستقرُّ للعبَّاسيّين حتّى استفتى الخليفة أبو جعفر المنصور الإمام أبا حنيفة النعمان في شأن الصّابئة، وجواز إقرارهم على دينهم وقبول الجزية منهم، فأفتاه الإمام بجواز إقرارهم على دينهم، وجوب أخذ الجزية منهم قياسًا على موقف النبي ﷺ من مجوس هجر، وأسوة بما سبق وأن أقره عمر بن الخطاب معهم، مع كراهة أكل ذبائحهم، وتحريم الزواج منهم¹⁰.

وهذا الاستثناء الأخير خصَّ به الإمام أبو حنيفة صابئة حرّان دون المندائيين، وترتّب على ذلك أن دخل الصّابئة المندائيون في عداد أهل الذّمة في الإسلام كغيره من فرق النّصارى، فقد دَفَعَت صِلات المندائيين يحيى بن زكريّا رحمته الله - وكذلك مُمارستهم للتعميد -

⁹ اعتمدتُ قوائم ابن العبري الواردة في كتابه تاريخ الزمان في التحويل من التقويم السرياني إلى الميلادي، ومن ثم الهجري، لكنني لا أفرصُ دقّة القائمة بطبيعة الحال، فهي تعتمد مُدد الولاية التي ذكرها النديم، ولا تتضمّن في طيّاتها احتمال فراغ المنصب لأي سبب من الأسباب، كما أنّ هناك نوعًا من التداخل والتشويش بدءًا من ولاية القاسم بن القوقاني ومن جاء بعده، فالنديم ينص على أنه رأس تسع سنين، ثم سافر وعاد ورأس أربع سنوات أخرى، دون أن يبين دخول تلك السنوات الأربع ضمن نطاق إجمالي مدته البالغة تسع سنوات أم لا. وعلى كل حال سيكُون من الجيّد أن نضع باعتبارنا هامشًا للخطأ يتراوح ما بين عشرة إلى عشرين عامًا عن التواريخ المعطاة بأعلاه.

¹⁰ المآوردي: الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، الكويت 1989، 183؛ ابن بطلان: مقالة في مناقضات علي بن رضوان، المعروفة بالمقالة المصرية، ضمن كتاب خمس رسائل لابن بطلان ولابن رضوان الميصرى، جمع وتصحيح يوسف شُخْت، ماكس ماير هوف، القاهرة 1937، 66-67.

الفُقهاء المسلمين إلى إلحاقهم بالنصارى، فأطلقوا عليهم لقب «الصَّابئة اليُوحَناسِيَّة» نسبةً إلى يوحنا المعمدان¹¹. هذا إلى جانب لقبهم الأوسع انتشاراً وهو «الصَّابئة المُغتسِلة»، ولا شك أنَّ كِلتا التسميتان تعكسان ما تبلور في أذهان المسلمين من علاقة مُؤكَّدة للمُندائيين بالنصارى، وبالتالي كان طبعياً أن يلحقوا بهم على قَدَم المساواة في المُعاملة الشرعية، فرفع الحرج عن المسلمين في أكل ذبائحهم والزواج من نسائهم. وكان ثم ما لأهل الكتاب إجمالاً، وعليهم ما عليهم، كما أُلزموا الجزية أسوةً بهم¹².

أما الحرثانية فقد أُجروا نجرامهم مع اختلاف يسير، فقد حُرِّم على المسلمين نكاح نساء الحرثانية والأكل من ذبائحهم¹³، لكنَّ هذه الاستثناءات الطفيفة لم يكن لها على الصَّعيد العملي أي تأثير سلبي على وضعهم بشكل عام. خاصَّة وأن كِلتا النحلتيْن كانتا مُحَرَّمان على أتباعهما الزواج من الأغنياء مُطلقاً، ومن ثمَّ يُمكن القول بأنَّ هذه الاستثناءات لم يكن لها أي تأثير يُذكر على الصَّعيد الاجتماعي.

مع ذلك لقي الحرثانية بعض المتاعب خلال عصر المنصور على يد واليه على الجزيرة موسى بن كُتب التميمي الذي كان معروفاً بتشده مع أهل الذمة عموماً، لا سيَّما أنَّه أمر بمنع احتفالات أهل الذمة بأعيادهم خارج الهياكل والكنائس والمعابد¹⁴. وقد ظلَّ هذا الخطر يسري على الحرثانية حتى عصر الخليفة الأمين كما سنرى بعد.

وخلال عصر هارون الرَّشيد لَمَس الخليفة غياب نظرية شرعية متكاملة لمعاملة أهل الذمة، فكلف القاضي أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، تلميذ أبي حنيفة

¹¹ أبو بكر الجصاص: أحكام القرآن، 3: 318.

¹² CHWOLSOHN: op. cit, vol. 1, p 567.

¹³ أبو يوسف يعقوب: الحراج، 139.

¹⁴ الرَّهاوي المجهول: تاريخ الرَّهاوي المجهول، عرَّبه عن السَّريانية الأب ألبير تونا، بغداد 1986، 1: 256-

(ت 182هـ / 798م) بإعادة هيكلة أوضاع أهل الذمة وفقاً لقواعد الشرع الخفيف، وأمره بتصنيف رسالة في ذلك ليستفيد منها في التطبيق، فصنّف أبو يوسف رسالته الشهيرة المسماة بالخراج¹⁵.

ولم يُخالف أبو يوسف أستاذه أبي حنيفة في جواز إلحاق الصّابئة بأهل الكتاب فيما يخصّ قبول الجزية منهم¹⁶. وبذلك تأسّل وضع الصّابئة عموماً كقوم يجرون مجرى أهل الذمة في ديار الإسلام، يُقرّون على دينهم، وتؤخذ منهم الجزية كغيرهم من اليهود والنصارى، ويُمارسون شعائرتهم واحتفالاتهم وأعيادهم شريطة أن تُمارس داخل هياكلهم، وألا يجهروا بها علناً. وكان هذا الإجراء قد اتُخذ من قبل في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ولم يكن هذا الشرط الأخير محلّ ازتياع من قِبل الحرانية، خاصّة وأنهم كانوا يُمثلون أغلب سكّان مدينة حرّان آنذاك، لكنهم التزموا بهذا الشرط على مَضَض.

وكان من الممكن أن تمضي أيام الرّشيد بسلام على الحرانية لولا وقوع حادثة خطيرة ترتبت عليها نتائج وخيمة أثناءها - وبعدها أيضاً لعقود طويلة - فقد اتهم بعض الكهنة

¹⁵ راجع في ذلك مقدمة كتاب الخراج، وغالباً لمس الرّشيد الحاجة إلى وضع مثل هذا التنظيم بعد أن هرب كثير من أهل الذمة من أراضيهم، وتركوا العمل فيها بعد أن أمر الرّشيد في مُستهلّ حكمه برفع قيمة الجزية على نحو عجز الفقراء والمزارعين منهم عن دفعها، انظر: الرّهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، 2: 1. ويؤكد الأزدي ما ردّده الرّهاوي المجهول بحديثه عن والي الرّشيد على الجزيرة يحيى بن سعيد الحرشي، وكان معروفاً بعسفه مع أهل الذمة، خاصّة عند جمع الجزية، فقد قدّر الأزدي ما جباّه الحرشي بأكثر من ستة آلاف ألف درهم [سنة ملايين درهم] بعد أن طالب ذمّة الجزيرة جميعهم - ومنهم الحرانية - بخراج ستين تمثا قبل ولايته. الأزدي: تاريخ الموصل، تحقيق على حبيبة، القاهرة 1967، 287. كل هذا جعل أصوات احتجاجات أهل الذمة تصل إلى أذن الرّشيد ببغداد، فطلب الرّشيد من قاضيه أبي يوسف يعقوب أن يضع له تاصيلًا فقهياً للجزية وحدودها المقررة على أهل الذمة، خاصّة وأنّ أبا يوسف يُشير بالفعل في مُقدمة رسالته - بعبارات واضحة ولا تحتمل التأويل - إلى رغبة الرّشيد الملّحة في رفع ظلم وقع بالفعل على أهل الذمة، مقدمة كتاب الخراج، 5.

¹⁶ الخراج، 131-132.

الخرناتية بتقديم قربان بشري للكواكب في هَيْكَل الْقَمَر بحرّان. لا نعرف الكثير عن تفصيل ووقائع تلك القضية من خلال المصادر التي بين أيدينا، قماري بن سليمان الكاتب النُصراني يروى تلك الواقعة باقتضاب شديد، بقوله¹⁷: «وتناول الحرائيون رجلاً على رسمهم ليجعلونه قرباناً، ويقطعون رأسه؛ فأقلت، وخبر الرّشيد بحالهم؛ فأمر بقتلهم واستبصاهم، وتفرّقوا في البلاد». هناك أيضاً إشارة عابرة - لكنها مبشرة - إلى تلك القضية من خلال رواية النديم على لسان إيشع القطيعي النُصراني الكاتب، إذ وصف المأمون الخرناتية في الحوار الذي دار بينه وبين رؤسائهم بأصحاب الرّأس في زمن والده الرّشيد¹⁸.

إذن كان الدليل الذي أمسك به الرّشيد في تورط الخرناتية في هذا الأمر هو شهادة الضّحية نفسها، وتصمت المصادر تماماً عن هويّة هذا الرّجل، كما تضمّت أيضاً علماً إذا كان الرّشيد قد تحقّق من اتهام هذا الرّجل للخرناتية في شأن احتجازه ومحاولة قتله وتقديمه كقربان لأهّتهم، لكن الخليفة - على الأرجح - قد توسّع في التّحقيقات التي جرت في هذا الشأن، لأنّ أحكاماً بهذه الصّرامة لم تكن لتصدّر من قبل خليفة كالرّشيد دون تبنّي كاف¹⁹.

¹⁷ أخبار بطاركة كرسي المشرق، 75.

¹⁸ الفهرست، 2: 362.

¹⁹ لا نستطيع إثبات ما تردده المصادر حول ظاهرة تقديم الخرناتية للأصاحي البشرية أو نفيه، لكنني قد أكون أقرب إلى الشك في صحة ما تناقلته المصادر عن تلك العادات، فهذا الاتهام ظلّ يتردّد من آن لآخر من قبل الشريان للخرناتية، وعلى ذلك فاختيال تعرّض الخرناتية لمكيدة محكمة من قبل التّساطرة ليس ببعيد عن التّصور، كما إن تلك الروايات نفسها ردّدت الكثير من الحرافات التي لا يقبلها العقل حول تلك الممارسات الشرية المنسوبة للخرناتية. فمثلاً ينقل النديم عن إيشع القطيعي قوله أن الخرناتية يعمدّون إلى الجيلة في خطف رجل له سمات معينة كلّما بلغ عطارده شرفه (أعلى مدار له)، فيوضع ذلك الرّجل في الزيت، حتّى تلين مفاصله، وتُجذب رأسه وتُفصل عن فقراتيه برفق، فتخرج حيّة بعروقها [!!!؟]، وعينها مبصرة ولكن من دون أن تطرف. وتُجيب تلك الرّأس علماً تُسأل عنه من أحوال الغيب والرّخص والغلاء وقيام وسقوط الدّول، واحتياجات الكواكب السّبعة من العبادات والدّخن والبُخور. انظر: - الفهرست، 2: 365 وما بعدها؛ قارن أيضاً المجريطي: غاية الحكيم، 139 - 140؛ البيروني: الآثار الباقية، 205.

ويُبدى جنان هارب تشكّكه في حقيقة تقديم الخرناتية للأصاحي البشرية، وقد تتبّع مقولات تقديم الخرناتية للأصاحي البشرية لأهّتهم في المصادر العربيّة، ويعتقد - وهو محقّ تماماً - أنّها جميعاً منقولة من مصادر

ورغم أنَّ المَصادر العربيَّة لم تنطَرَق إلى هذه الواقعة ولم تُؤرِّخ لها، إلا أنه بالإمكان تأريخها بشيء من الدِّقة، فاعتمادًا على الجَهِشِيَّارِي الذي نقل خبر إعدام أحد الحَرَنانِيَّة لِرُقعة رفعها إلى الرَّشيد يُلومُه فيها على ما أَلحقَه بقومِه، خَتَمَ الجَهِشِيَّارِي روايَته بتعليقٍ له قيمته، إذ ذكر أنَّ إعدام ذلك الحَرَنانِي كان قبل نكبة البَرَامِكَة بثلاث سَنوات أو نَحوها²⁰، وبما أنَّ الرَّشيد قد أمر بإعدام جَعْفَر بن يَحْيَى البَرَمَكِي عام 187هـ/ 803م²¹ يمكن القول بأنَّ وقعة الرَّأس قد حَدَثت أثناء إقامَةِ الرَّشيد بالرَّقة - قَريبًا من حَرَّان - بين عامي 183هـ/ 799م - 184هـ/ 800م وذلك قبل أن يتركها ويعود إلى بَغدَاد.

ومن الواضح أنَّ الخليفة قد أُلغى - على خلفيَّة تلك القضية - تلك العَلاقة بين الدَّولة والطائفة الحَرَنانِيَّة، والمبنِيَّة على الإقرار على الدَّيانة مُقابل أداء الجزية، وهو ما نُسْتَجِه مُباشرة من المؤرِّخ الرَّهاوي المَجْهُول الذي يُنصُّ على أنَّ صُلحًا أُبرِمَ بين إبراهيم القُرشي - والي حَرَّان من قَبْل الأَمِين - وبين الحَرَنانِيَّة عام 1126 من تقويم الإسكندر، ويُنصُّ على أنَّ يَسْمَح السَّوَالِي لِلحَرَنانِيَّة بِمُمارَسَةِ طُقُوسِهِم واختِلافِائِهِم علنًا مُقابل العَودة لأداء الجزية²²، ونُسْتَج من ذلك أنَّ الحَرَنانِيَّة ظلُّوا حتى قُرب نهاية عصر الأَمِين لا يُؤدُّون الجزية، إذ إنَّ عام 1126 من تقويم الاسكندر يُقابل عام 198هـ/ 813م وهي السَّنة الأخيرة من خِلافة مُحَمَّد الأَمِين، أي أنَّ الرَّشيد قام بِإلغَاء اعتراف الدَّولة بالطائفة، ورفض قُبول الجزية منهم، وهو وضعٌ خطيرٌ

-

سُريانيَّة، فاللَّدِيم ينقل عن اثْنَيْنِ مِنْهُم هُما: أَبُو يُوسُفَ إِسْحَع القطيعي، وسَعِيد بن وهب بن إبراهيم النَّصْراني، وابن الجوزي يستمدُّها من نصرانيٍّ يُدعى يَحْيَى بن بشير النَّهاوندي، والبَيرُوني يستمدُّها من عبد المسيح بن إِسْحاق الكِنْدِي النَّصْراني. فبما لم يتعرَّف هارب على مَصادر شيخ الزُّبُوة الدمشقي في كتابه نُجْبة الدَّهر، والمجريطي في كتابه غَايَةِ الحَكِيم، ولكنه واصل تَتَبُّع الروايات التي تعرف عليها حتى توَصَّل إلى أن المصدر الأول لها هو أَيْفانُوس في كتابه *Panarion*، وهي رُوايات مُستَقاة من مُناظرات وضعها السُّريان

بغرض دحض الوثيقة والمَناوِيَّة معًا، للتفصيل انظر: J. HJARB: op. cit, pp 124 - 129.

²⁰ الوُزراء والكَتَّاب، تحقيق مُصطَفَى السَّقا؛ إبراهيم الإبياري؛ عبد الحفيظ شَلبي، القاهرة 1938، 238 - 239.

²¹ الطَّبْرِي: تاريخ الرُّسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1964، 8: 287.

²² الرَّهاوي المَجْهُول: تاريخ الرَّهاوي المَجْهُول، 2: 22.

لأي طائفة أو نخلة في ديار الإسلام، إذ يعني ذلك الوضع بالتبعية الإقرار الضمني بإباحة الدماء والأموال، وعدم وجود أي التزام من قبل الدولة تجاه الطائفة فيما يتعلق بصيانة النفوس والممتلكات.

لكن لا يجب أن نقودنا عبارة «فأمر بقتلهم واستئصالهم» إلى استنتاج أن الرشيد قد قام بمذابح جماعية بحق صابئة حرّان، إذ اعتقد أن ما فعله الرشيد لم يتعد الأمر بقتل كل من تورط من الكهنة الحرانية في قضية القربان البشري، وعرض أبناء الطائفة على الإسلام أو دين مُعترف به مع أداء الجزية أو السيف، فهرب منهم من هرب، كما ينص على ذلك ماري بن سُلَيْمان²³.

على إثر ذلك انتحل عدد من الحرانية النصرانية أو الإسلام خوفاً من القتل، وكان منهم أيضاً من رفض ترك دينه، فاستتر حتى تهدأ ثورة غضب الخليفة، ثم عاد إلى ممارسة حياته الطبيعية دون أن يمسّه أذى، فمن حُسن حظهم أن الخليفة غادر الرقة في السنة نفسها إلى بغداد واستقر بها، وهو ما ساعد على عدم تنفيذ أوامره بالصرامة التي كان يُمكن أن تنفذ بها حال وجوده بنفسه، وقریباً على هذا النحو من مساكن الحرانية، وإلا فكيف نُفسر وجود من فاوض إبراهيم القرشي من الحرانية فيما بعد على إعادة اعتراف الدولة بطائفتهم مقابل أداء الجزية، هذا بالإضافة إلى أن مذابح جماعية ضد طائفة بأكملها هو عمل كان لا بد وأن يُلفت نظر المؤرخين المسلمين والشريان والبيزنطيين، والذين لا نجد في حوارياتهم أي تسجيل لشيء من هذا القبيل، وهذا ما يقودنا للاعتقاد بأن عقاب أبناء الطائفة بالقتل كان في أضيق نطاق، وشمل المتورطين مباشرة في تلك القضية، فيما ترك الباب مفتوحاً لمن يرغب منهم في الإفلات من السيف باعتراف الإسلام أو النصرانية، هذا بخلاف من فرّ منهم من المدينة.

وخلال عصر الأمين - القصير نسبياً - عاد شأن الحرانية إلى الازدهار، فيُقرّر ميخائيل الشرياني أنه خلال عصر الأمين عاد شأن الوثنية بحرّان إلى الظهور، فسيقت

²³ أخبار بطارقة كُرسي المشرق، 75.

أُضْحِيَّاتِ الْحَرْنَانِيَّةِ مِنَ الثَّيْرَانِ إِلَى الْمَعَابِدِ وَهِيَ مُزَيَّنَةٌ وَالْأَجْرَاسُ عَلَى قُرُونِهَا، وَسَارَ خَلْفَهَا الرِّجَالُ بِالْمَزَامِيرِ²⁴، وَذَلِكَ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيَّ - وَالِي حَرَّانَ مِنْ قَبْلِ الْأَمِينِ - كَانَ قَدْ أَذِنَ لِلْحَرْنَانِيَّةِ أَنْ يَحْتَفِلُوا بِأَعْيَادِهِمْ عِلَانِيَّةً، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَحْدُثْ مِنْذُ عَصْرِ الْمَنْصُورِ، فَاطْمَأْنَنُوا وَبِالْعَوَا فِي مَظَاهِرِ احْتِفَالَتِهِمُ الدِّينِيَّةِ، وَطَافُوا فِي الْأَزْقَةِ بِالْأَهَازِيكِ وَآلَاتِ الطَّرَبِ، وَقَرَّبُوا الْقَرَّابِينَ لِأَهْلَتِهِمْ²⁵.

²⁴ MICHAEL LE SYRUS: *Chronique de Michael le Syrus*, tr. By J. B. Chabot, Paris 1899, tom II, p 497.

²⁵ ابْنُ الْعِبري: تَارِيخُ الزَّمَانِ، 23؛ وَقَدْ نَقَلَ لَنَا ابْنُ وَحْشِيَّةٍ صُورَةَ طَرِيقَةٍ عَنْ هَذَا السَّرِّ وَالْقُرْبَانِ الَّذِي كَانَ الْحَرْنَانِيَّةُ يُارِسُونَهُ، يَقُولُ ابْنُ وَحْشِيَّةٍ: «وَلَهُمْ أَيْضًا سَرٌّ آخَرٌ مِنْ أَعْظَمِ أَسْرَارِهِمْ. فَإِذَا كَانَ يَوْمَ عِيدِهِمْ يَأْخُذُونَ سَبْعَ ثِيْرَانٍ وَسَبْعَ جِلَّانٍ [لَا حَظَّ دَلَالَةِ الرِّقْمِ 7 الَّذِي يَتَكَرَّرُ فِي طُقُوسِ الْحَرْنَانِيَّةِ كَثِيرًا، وَغَالِبًا لَهُ مَغْزَى دِينِي يَتَعَلَّقُ بِعِبَادَاتِ السَّيَّارَاتِ السَّبْعِ] وَيَطْعَمُونَهُمُ النَّبَاتَ الْمَعْرُوفَ بِحَشِيَّةِ الزَّهْرَةِ وَتَاجِ الْمُلُوكِ [الْحُشْحَاشِ] - وَيُسَمُّونَهُ بِلِسَانِهِمْ شِيكَرَكَ - فَيَعْلَقُونَهُمْ بِهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَيَسْقُونَهُمْ مِنَ الْمَاءِ الطَّهَوْرِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْأَسْبُوعِ كُلُّوْنَ [كَذَا وَالصَّوَابُ كُلُّوْا] تِيَجَانَهُمُ بِالذَّهَبِ وَأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ. وَيَجْعَلُونَهُمْ مُرْبُوطِينَ بِسَلَّاسِلِ الذَّهَبِ، وَيَبْدُونَ [وَيَبْدَأُ] الْكَهَنَةُ [الْكَهَنَةُ] يَصْلُونُ وَيَسْبُحُونَ وَيَقْرَءُونَ فِي الْهَيْكَلِ الْكَبِيرِ الْجَامِعِ. وَالتَّاسُ فِي مَرَاتِبِهِمْ سَاجِدِينَ لِلَّهِ خَاشِعِينَ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ رَئِيسُ الْمَذْبَحِ لِلْقَرَّابِينَ، وَيُشِيرُ بِالْعَصَا الْمُثَلَّثَةِ لِلثَّيْرَانِ وَالْجِلَّانِ فَتَحُلُّ قِيُودُهُمْ مِنْ غَيْرِ فِعْلِ فَاعِلٍ، وَيَتَقَدَّمُونَ بِلَذْبِيحٍ [لِلذَّبِيحِ] وَيَمْدُدُونَ أَعْنَاقَهُمْ بِأَرَادَتِهِمْ فَيَذْبَحُونَ. وَيَأْخُذُ الرَّئِيسُ الرُّءُوسَ وَيَجْعَلُهَا عَلَى تَابُوتِ السَّرِّ. [وَأَيْقِرُّوْا الْأَجْسَادَ مُحَرَّقَةً بِأَنْوَاعِ الطَّيِّبِ كَالْعُودِ وَالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ وَالْكَافُورِ وَاللُّوبَانِ [الْلبانِ] وَالْأَصْطَرَاكِ. وَيُقَرِّمُوا لِلصَّلَاةِ الْكُبْرَى، وَقَدْ لَيْسَ كُلُّ ذِي زِيٍّ زِيَّةً، وَهُمْ يَقْرَأُونَ الصُّحُفَ، ثُمَّ يَخْرُؤُ سَاجِدِينَ سَاعَةً، وَيَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَحَيْثُ يَشْدُو أَوَّلُ رَأْسٍ مِنَ الْمَذْبُوحَةِ يَتَكَلَّمُ بِجَمِيعِ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَقَعُ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثُ هَكَذَا حَتَّى يَتِمُّوا، فَيُثَبِّتُ الْكَاهَنُ جَمِيعَ مَا يَسْمَعُهُ وَيَسْتَعْدُوا لَوْقُوعِهَا، وَهَكَذَا لَهُمْ أُمُورٌ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَتُهَا غَيْرُهُمْ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ كَيْفَانِهِمْ لَخَفَايَا أَسْرَارِهِمْ، وَيَقُولُونَ هَكَذَا أَمَرْنَا أَبُونَا آدَمَ وَشَيْثَ وَهَرْمِسَ أَيْ إِدْرِيسَ الْمُثَلَّثَ بِالنُّعْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ». ابْنُ وَحْشِيَّةٍ: شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ، 98-99؛ وَيُرْوَى الْمَجْرِيطِيُّ قَرِيبًا بِقَوْلِهِ: «وَيَقُولُونَ أَنْ أَوَّلَى الْقَرَّابِينَ لَزَحْلُ الثُّرَى وَهُوَ الْخَلْقُ الْحَسَنُ، وَهُمْ يَعْظُمُونَ التَّاجَ الَّذِي عَلَى رَأْسِهِ مِنَ الْقُرُونِ، [رَمَزَ عِبَادَةِ إِلَهِ الْقَمَرِ سِينَ] وَيَقُولُونَ أَنَّهُ أَمْلَحُ الْبَهَائِمِ وَأَوَّلَاهَا بِالْقَرَّابِينَ، فَهُمْ يَقْرَبُونَهُ لَهُ - خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ يَعْلَفُوهُ - حَشَائِشَ تَلْتَقِطُهَا الْأَبْكَارُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَيَرْجِعْنَ فِي طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ لِتَنَامَ سَرٌّ أَيْسَرُ إِلَيْهِنَّ، وَيَكُونُ الْعِجْلُ دُونَ شَعْرَةٍ بَيْضَاءَ، وَهُمْ يَجْعَلُونَ عَلَى عَيْنِيهِ سِلْسِلَةً مِنْ ذَهَبٍ إِلَى تَجْمَعُ بَيْنَ قَرْنَيْهِ، وَيَحْكُونَ هَذَا أَيْضًا عَنْ هِرْمِسَ، فَإِذَا أَرَادُوا ذَبْحَهُ لَمْ يَسْتَعِصْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَحْتِجْ أَنْ يَشْدُوهُ بِالْفَحَّارِ - وَهُوَ الْحَبْلُ - ثُمَّ يَشْدُونَهُ قَدَامَهُ

وعلى أيّ حال فتوقيت ذلك الصلح لانتظر، فهذا العام كما ينصّ كل من الرّهائي المجهول وميخائيل السرياني هو عام 1126 بالتقويم السرياني؛ الموافقة لعام 198هـ/ 813م وهي تلك السنة نفسها التي تمكّن فيها المأمون من التخلّص من أخيه الأمين والاثني عشر بالخلافة. قد يعني هذا أنّ حاجة الأمين الملحة إلى المال هي - على الأرجح - السبب وراء إبرامه لذلك الصلح مع الحرّانية، وتأسيساً على هذا فقد لا يكون التسامح فقط وراء خروج الصلح بهذه الصورة التي خرج بها، فاشتراط الحرّانية الاختفال بأعيادهم علانية - وهو أمر لم يحدث منذ عصر المنصور - يُشير إلى أنّ الحرّانية قد ضغطوا بقوة لتسمح لهم الدولة لهم بهذا الاستثناء، واحتفلوا بأعيادهم علناً للمرة الأولى منذ زمن طويل، على حين ظلّ الحظر نفسه على الاختفالات العلنية مطبقاً على النصارى واليهود، وهذا ما يُفسّر اهتمام المصادر السريانية بهذا الحدث.

استمرّ ازدهار الطائفة خلال عصر المأمون، وكان من الواضح أن الحرّانية قد تجاوزوا تلك المحنة التي سببها مرسوم الرشيد من قبل. ومع العقو الذي منحه لهم الأمين منذ الاتفاق الذي نجحوا في إبرامه مع واليه إبراهيم القرشي، ومع تلك الحرّة التي نعم بها الحرّانية في عصر الأمين وعودتهم إلى ممارسة حياتهم وتجارتهم بشكل طبيعي فقد حقّقوا ثراء ملحوظاً، وبسبب ذلك الثراء كادوا يقعون في مأزق عظيم في أواخر أيام المأمون، فقد كاد المأمون أن

بيخّر وصلاة من صلاة اليونانيين، فيدثو إلى مكان الذبح، فيضع قرنه على حافة المشكن، وهو نقيع صغير مُستدير، ويذبحه الذابح ذبحة لا يعود في جرّ السكين عليه، ويقطعون الرأس، ويعملونه على العلائنا [كذا]، فيترجم علماً يتحرك من لسانه وأذنيه وشفته وعينه، ثم ينظرون إلى الدّم الذي في المشكن من عُصفريته ورغوته، وما يستدير عليه من الزبد فيستدلّون بذلك على ما في دولتهم لأنّ الدولة عندهم رُحليّة، وما ابتداء به رُحل من الأدوار فاله يهود. وهذه الذبيحة تكون عندهم من انتقال الشمس إلى الثور المجريطي: غاية الحكيم، 228. وهذه الطقوس التي يتحدّث عنها المجريطي كانت تُمارس بالفعل في المعابد الرومانية، ويقال أن اضطهاد دقلديانوس للنصارى بدأ مع إفساد طقوس فحص كبِد أضحية بواسطة الكهنة من فاحصي أحشاء الحيوانات Hauruspices. انظر: PHILIP FRANCIS ESLER: *The early*

.Christian world, London 2000, Vol II, p 848.

يتخذ - مجدداً - قراراً بعدم قبول الجزية منهم، ويرفض الاعتراف بهم كأهل ذمة، ومن ثم يُعيد تخييرهم بين الإسلام أو السيف. فلسوء حظَّ الحرثانيَّة زار المأمون حرَّان وهو في طريقه إلى بلاد الرُّوم متأهباً للغزو، وأثناء إقامته بحرَّان قابل وفداً من رؤسائهم خرجوا لاستقباله والدُّعاء له، ولَفَتَ نظر المأمون أنَّ زِيَّهم من الأقيَّة²⁶ - وكان لِيَّاس الملوِك والأُمراء - وأحفظه ذلك، خاصَّةً أنَّه لم يَكُنْ قد مرَّ وقتٌ طويلٌ على مرسومِ الرَّشيدِ بإلزام أهل الذِّمة جميعاً بلبس الغيار²⁷.

في الواقع لدينا رواية تفصيليَّة ووحيدة عن تلك الأحداث أوردتها التَّدِيم على لِسَانِ إِيُشعُ القَطِيعي، وهو كاتبٌ نصرانيٌّ مجهُول، لا نعرف عنه سوى اثنيَّاته إلى القطيعة²⁸ كما يتَّضح من التَّمعُّن في نسبته. بخلاف ذلك لا نعرف شيئاً عنه، ولم يصلنا عنه سوى عنوان كتابه الذي

²⁶ الأقيَّة (المُفرد قباء) ضربٌ من الأثواب الفاخرة، مفتوحةٌ من الأمام كالعباءة، وتمتاز في الغالب بالطول المُفرط الذي يمتدُّ لأكثر من طول مُرتديها ذاته، كما كان لها كُتَّان وإِيعان. للتَّفصيل عن ذلك النوع من

الملابس انظر: R. DOZY: *Dictionnaire des Noms des Vetements Chez Les Arabes*, Amesterdam

1854, pp 52-62.

²⁷ الغيار زِيٌّ مُحدَّد كان يُفرض على أهل الذِّمة في حال تطبيقِ الشُّروط العُمريَّة عليهم، ويبدو أنَّ الخليفة عُمر ابن الخطَّاب كان يكرِّه تشبُّه أهل الذِّمة بالمُسلمين الفاتحين لأسباب أمنيَّة في زمن الفتوحات، ومن ثمَّ فَرَضَ على أهل الذِّمة عُخالفة المُسلمين في المَظْهَرِ والهيئَةِ، ويتكوَّن الغيار من أزدية طويَلة عسليَّة اللون، تُحكم على البَدَنِ بواسيطة زَنار [منطقة]، بالإضافة إلى قُلنسوة [غطاء للرَّأس] حيث مُنع أهل الذِّمة - حال تطبيقِ الشُّروط العُمريَّة - من ارتداء العمامة، عن أحكام الغيار أنظر تفصيلاً: - ابن قَيم الجوزية: أحكام أهل الذِّمة، 2: 1262 وما بعدها.

²⁸ هُناك عدَّةُ عمالٍ في بغداد عُرِفَت باسم القطيعة، وهي على وجه الحَضَرِ قطيعة إِسحاق، قطيعة أُم جُفَفر، قطيعة بني جِدار، قطيعة الرِّقيق، قطيعة الرِّبيع، قطيعة رُيسانة، قطيعة زُهَير، قطيعة العَجَم، قطيعة العَكِّي، قطيعة عيسى، قطيعة النُّقهاء، قطيعة أبي النُّجم، قطيعة النُّصارى، وعلى الأرجح فسبة القطيعة زُبيَّا كانت إلى قطيعة النُّصارى ببغداد، وهي بحلة مُتَّصلة بنهر طابنٍ من روافد دجلة بشارقيَّ بغداد. ياقوت الحموي: مُعجم البُلدان، 4: 427-429.

استقى منه النديم تلك الرواية، وهو كتاب «الكشف عن مذاهب الحرانين المعروفين في عصرنا بالصابئة»، يقول محمد بن إسحاق النديم²⁹:-

«قال أبو يوسف إيشع القطيعي النصراني في كتابه: «في الكشف عن مذاهب الحرانين المعروفين في عصرنا بالصابئة»:

إن المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر يريد بلاد الروم للغزو، فتلّاه الناس يدعون له، وفيهم جماعة من الحرانين، وكان زعيم إذ ذاك ليس الأقيية، وشعورهم طويلة بوقرات - كوفرة قرة جد سنان بن ثابت - فأنكر المأمون زعيمهم، وقال لهم: من أنتم من الذمة؟! فقالوا: نحن الحرانية. فقال: أنصاري أنتم؟ قالوا: لا. قال: فيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فمجوس أنتم؟ قالوا: لا. قال لهم: أفلكم كتاب أم نبي؟ فجتمعوا في القول، فقال لهم: فأنتم إذن الرنادقة عبدة الأوثان وأصحاب الرأس في أيام الرشيد والدي. وأنتم حلال دماؤكم، لا ذمة لكم، فقالوا: نحن نؤدي الجزية، فقال لهم: إنما تؤخذ الجزية ممن خالف الإسلام من أهل الأديان الذين ذكرهم الله - عز وجل - في كتابه، وهم كتاب، وصالحهم المسلمون عن ذلك، فأنتم ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء، فاختاروا الآن أحد أمرين: إما أن تتحلوا دين الإسلام، أو ديناً من الأديان التي ذكرها الله في كتابه، وإلا قتلنكم عن آخركم، فإني قد أنظرنكم إلى أن أرجع من سفرتي هذه، فإن أنتم دخلتم في الإسلام أو في دين من هذه الأديان التي ذكرها الله في كتابه، وإلا أمرت بقتلكم واستئصال شأفتكم.

²⁹ الفهرست، 2: 362-364.

ورحل المأمون يُريد بلد الروم، فغيَّروا زِيَّهم، وحلَّقوا شعورَهم، وتركوا لبس الأقيية، وتنصَّر كثيرٌ منهم، ولبسوا زَنَانِير، وأسلم منهم طائفَةٌ، وبقي منهم شِرْذمةٌ بحالهم، وجعلوا يَحْتَالُونَ ويضطَّربُونَ، حتى انتدب لهم شيخٌ من أهل حرَّان فقيه، فقال لهم قد وجدتُ لكم شيئًا تنجُونَ به، وتسلمُونَ من القتل، فحملوا إليه مالا عظيما من بيتِ مالهم - أحدثوه منذ أيام الرِّشيد إلى هذه الغاية، وأعدَّوه للنَّوَابِ - وأنا أشرح لك أيُّدك الله السَّبب في ذلك - فقال لهم إذا رَجِع المأمون من سفره فقولوا له نحنُ الصَّابِتُونَ، فهذا اسم دينٍ قد ذكره الله - جل اسمه - في القرآن، فانتحلُّوه فأنتم تنجُونَ به.

وَقُضِيَ أَنَّ المأمون تُوفي في سَفَرته تلك بالْبِذَنْدُون³⁰، وانتحلُّوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت؛ لأنَّه لم يكن بحرَّان ونواحيها قومٌ يُسمَّون بالصَّابِئَة. فلَمَّا اتَّصل بهم وفاة المأمون ارتدَّ أكثر من كان تنصَّر منهم، ورجع إلى الحرَّانية، وطَوَّلوا شعورَهم حسب ما كانوا عليه قبل مرور المأمون بهم على أنَّهم صابِتُونَ، ومنعهم المسلمون من لبس الأقيية لأنَّه من لبس أصحاب السُّلطان، ومن أسلم منهم لم يمكنه الازداد خوفاً من أن يُقتل؛ فأقاموا مُتَسَرِّين بالإسلام، فكاثروا يتزوجون بنساء حرَّانيَّات، ويعملون الولد الذكر مُسلماً، والأنثى حرَّانيَّة، وهذه كانت سبيل كلِّ أهل يَزَعُوز، وسَلَمَسِين - القريتين المشهورتين العظيمتين بالقرب من حرَّان - إلى مُنذ نحو عشرين سنة، فلَمَّا الشَّيخَيْن المعروفين بأبي زَرَّارة وأبي عَرُوبَة - علماء شيوخ أهل حرَّان بالفقه والأمر بالمعروف - وسائر مشايخ أهل حرَّان وفقهائهم اختسبوا

³⁰ البِذَنْدُون: قرية صغيرة تقع بالقرب من طَرَسُوس، عنها انظر: - باقوت: مُعْجَم البُلْدَان، 1: 430-431.

عليهم ومنعواهم من أن يتزوّجوا بنساء حرّانيات - أغني صابنات - وقالوا لا يحلّ للمسلمين نكاحهم لأنهم ليس من أهل الكتاب، وبحرّان أيضًا منازل كثيرة إلى هذه الغاية بعض أهلها حرّانية ممّن كان أقام على دينه في أيام المأمون، وبعضهم مُسلمون، وبعضهم نصارى ممّن كان دخل في الإسلام وتنصّر في ذلك الوقت إلى هذه الغاية، مثل قوم يُقال لهم بنو أبلوط وبنو قيطران، وغيرهم مشهورين بحرّان»³¹.

اختلف الباحثون في تحليل هذه الرواية، فقد تمسّك بها خوالسُون بشدّة، وكانت دُعامة التي أقام عليها نظريته أن المندائيّين هم الصّابنة الحقيقيّون، وأنّ صابنة حرّان انتحلّوا الاسم أيام المأمون ليضمّنوا بهذا معاملة المسلمين لهم على أنّهم أهل دَمّة³²، كما أخذ بها على

³¹ والمصادر العربيّة التي حلّصت تلك الرواية لا تُشير إلى مصدرها التي استقت منه تلك الرواية، وعلى الأرجح أخذتها عن التّدِيم نفسه (ت383هـ/993م) باستثناء حُزّة الأصفهاني (ت360هـ/970م) الذي رُيّا تعرف على رواية القطيعي من خلال كتاب الأخير مُباشرة، والذي يقول ما نصه: «وهؤلاء الأمم كانوا في قديم الدّهر - قبل ظهور الشّرائع صنفًا واحدًا، مُسمّين باسمين، سَمِينيّين وكَلْدَانِيّين، ... وبقاياهم السّاعة بمدينتيّ حرّان والرّها، وقد أسقطوا عن أنفُسِهِم هذا الاسم من أيام المأمون وتسمّوا بالصّابنين لأمر يطول شُرّحه». تاريخ سيني ملوك الأرض والآنياء، بيروت د.ت، 7، أما باقي النّقولات فجميعها مُتأخّرة عن كتاب الفهرست، من ذلك رواية الخوارزمي (ت387هـ/997م) «والكلدانيّون هم الذين يُسمون الصّابنين، والحرّانيّين، وبقاياهم بحرّان والعراق.... وسُمّي هؤلاء صابنين في أيام المأمون». الخوارزمي: مفاتيح العلوم 46، وكذلك القاضي عبد الجبّار (ت415هـ/1024م) والذي يقول ما نصه: «ولا يمتنع أن تكون الفرقة التي حكينا عنها أنّها تدّعي التمسّك بشريعة شِيث بن آدم هي التي أراد الفقهاء دون الحرّانيّين. وقد قيل أنّه جرى في أمرهم في أيام بعض الخلفاء ضربٌ من الجيلة اغتصموا به من القتل». المغني في أبواب التّوحيد والعدل، 5: 154. والبيروني (ت440هـ/1048م) بقوله: «وقد يقع الاسم على الحرّانية.... وهذا الاسم أشهر بهم من غيرهم وإن كانوا تسمّوا به في الدولة العبّاسية في سنة ثمان وعشرين ومائتين، ليعدّوا في جملة من يؤخذ منه الجزية ويُرعى له الدّمة، وكانوا قبلها يُسمون الخلفاء والوثنيّة والحرّانيّة». الآثار الباقية، 318. ومن الواضح أن سنة 228هـ التي أشار إليها البيروني هي سنة 218هـ وهي سنة وفاة المأمون، وحصل التحريف من عشر إلى عشرين بفعل النساخ. وجاء عند المقرئزي (ت845هـ/1442م): «... وعرفوا بالنبط وبالحرّانيّين ولم يبقَ لهم إذ ذاك مُلك منذ غلبهم فارس، فلمّا كانت أيام المأمون أسقطوا عن أنفُسِهِم اسم الكلدانيّين وتسمّوا بالصّابنين» السّلوک، 1: 29.

عِلاتها إدوارد جيون³³، أوليري³⁴، كارا ديفو³⁵، ماير هوف³⁶، نعيم بدوي، غضبان رومي³⁷، عادل العوا³⁸. في حين تحفظت عليها دراور كوّن مصدرها هو كاتب نسطوري يُضمر العداء لصابئة حرّان³⁹، ورفضها عزيز سباهي رفضاً قاطعاً⁴⁰.

EDWARD GIBBON: *The decline and fall of the Roman empire*, London 2004, vol. V, p 570.

علوم اليونان، 237.

في مقاله الصابئة، دائرة المعارف الإسلامية، 14: 89.

من الإسكندرية إلى بغداد، 70.

انظر مُقدّمتهما لكتاب الليدي دراور، الصابئة المندائيون، 16-17. وقد دفع الحساس الباجين المذكورين أعلاه - كونها مندائين - نظرية أن المندائيين هم صابئة القرآن الكريم، ومن ثم تبرّءا من عقائد صابئة حرّان - عبدة الكواكب والنجوم - وقد أثار هذا موجة من الاستياء بين أبناء الطائفة المندائية، فالمندائيون لا ينظرون بعين الرضا للقائلين بأن الحرانية فرقة أخرى لا تنتمي إليهم، إذ أن المنجزات العلمية للعلماء الحرانيين ومكانتهم في البلاط العباسي جعلت المندائيين يشعرون بأن هذا جزء لا يتجزأ من تاريخهم، والتنازل عنه لصالح القول بأن الحرانية يمثلون فرقة أخرى لا تنتمي إليهم بمثابة التنازل طوعية عن قسم عزيز من تاريخهم القومي، وقد نقل عبد الحميد أفندي عبادة عن الشيخ دجيل أحد الرؤساء الدينيين للمندائيين (ت 1965م) قوله أنه يعتقد أن المندائيين أنفسهم هم أحد عشائر الحرانية!!، انظر: - مندائي، أو الصابئة الأقدمون، 53. وبالطبع ينطلق هذا الموقف من مُقدمات عاطفية يمكن تفهّمها، لكنه في الوقت ذاته لا يُشكّل موقفاً موضوعياً ابتداءً، بل إن أكثر الباحثين المندائيين موضوعية ونزاهة وهو عزيز سباهي جاهر علناً بهذا الموقف المبني على أسس عاطفية أكثر منها علمية موضوعية بقوله: «وقد مال بعض الكتاب في العهد العباسي، وفي الحاضر أيضاً إلى تصديق ما ذهب إليه القطيعي، وحاولوا أن يفسروا الأمر بوجود جماعتين مُبائيتين، واحدة موحدة هم الصابئون المندائيون، وأخرى وثنية انتحلت اسم الصابئة كما يقول القطيعي، وذهب غيرهم إلى أن من قصدهم القرآن باسم الصابئة هم صابئة البطانيح أو المغتسلة كما يدعّوهم النديم، أما الحرانيون فهم كفر انتحلوا اسم الصابئة لكي يدخلوا في عداد أهل الكتاب، وقد تبني بعض كتاب الصابئة الحديثين التفسير الأول [الإيحاء لنعيم بدوي وغضبان رومي] دون أن يدركوا أنهم يوقعون أنفسهم في تناقض واضح، فهم أولاً لا يملكون ما يُميّز بين الفتيين سوى الزعم بأن الحرانيين - أو الحرانيين كما كان يدعّوهم المؤرخون آنذاك - يعبدون الكواكب، وهو زعم يخلط بين عبادة الكواكب والأهمية التي يُعطِيها الأقوام التي تأثرت بالفلك البابلي لدور الكواكب والبروج والأفلاك في التأثير على ما يجري على الأرض، وهو ما يخالف المعتقدات المندائية، إن هؤلاء الكتاب المندائيين يفخرون - شأن كل المندائيين - بالمنجزات العلمية والفلسفية التي حقّقها عديد من المندائيين في المجتمع العباسي، وبالمكانة العالية التي نالها علماؤهم آنذاك، مُتناسين أن من قصدهم القطيعي بروايته هم هؤلاء الحرانيون البارزون بالذات». أصول الصابئة، 30 - 31.

حقيقة إخوان الصفا، دمشق، 1993، 35.

دراور: الصابئة المندائيون، 24.

بنى سباهي (انظر: أصول الصابئة، 3 وما بعدها). دُفّعه في نقض الرواية على القرائن التالية: 1 - رواية أحاد، إذ لم يُشر إليها أحد، في حين أن حياة المأمون ونشاطاته كانت موضع عناية خاصة من جانب الرواة والمؤرخين.

فُقد كتاب القطيعي، ولم يتبق منه سوى تلك السطور التي نقلها عنه النديم، وفُقدان الكتاب يُضاعف من صعوبة نقد الرواية اعتيادًا عليها وحدها، فالرواية في حد ذاتها ليس بها ما يُفيد تاريخ تدوينها، وليس أمامنا سوى البحث في الرواية نفسها عمّا عساه أن يثني بتاريخ تدوينها، وهو ما من شأنه أن يجيب على تساؤلاتنا حول ما إذا كان القطيعي مُعاصرًا لتلك الأحداث أم لا؟.

أول تلك الإشارات التي قد تُفيد في معرفة تاريخ تلك الرواية حديث القطيعي عن أن أهل نساء ترعوز وسلمسين كن يتزوجن من حرثانية دائوا بالإسلام تقيّة، وأن هذا كان سبيلهم إلى نحو عشرين عامًا مضت، وهذا من شأنه أن يلقي بظلال من الشك على مُعاصرة القطيعي للحديث، فقد تُوفي المأمون عام 218هـ/ 833م وإضافة 20 عامًا بعد هذا التاريخ سيجعلنا على يقين من أن القطيعي دوّن تلك الرسالة بعد عام 238هـ/ 852م على أقل تقدير.

-

وهذا ليس صحيحًا، فبعض المصادر العربية ردّت ما ذكره القطيعي، راجع الحاشية 31 أعلاه.
2- اختار القطيعي للواقعة - التي زعمها - زمانًا يسبق وفاة المأمون مباشرة، كي لا تبقى للقصة ذيول يتابعها المأمون من بعد. وهذا أيضًا لا يُعد دفعًا يُعوّل عليه، فالثابت بالفعل أن المأمون زار حرّان في طريقه إلى غزو بلاد الرّوم، وهذا حدث في أخريات أيامه. وكان أهل الدّمة والجزية أحد أهمّ أولوياته في غزواته تلك، المسعودي: مروج الذهب 2: 357-358.

3- لا يُعقل أن المأمون وهو الرّجل واسع العلم والأطلاع لا يعرف شيئًا عن صابئة حرّان. وهذا أيضًا دفع لا يُعوّل عليه، فهذا ثابت من خلال الحوار نفسه، إذ أن المأمون قد وصفهم «بأصحاب الرّأس» في عصر والده الرّشيد وهذا يعني أنه يعرفهم جيّدًا.

4- يذكر القطيعي أن الحرثانية كانوا يؤدّون الجزية، فعل أيّ أساس كانوا يدفعونها، إذا لم يكن قد أُعترِف بضابّتهم من قبل أسوة بأخوتهم بالعراق؟!، وإذا لم يكن الأمر كذلك فكيف سكّت عنهم الحُكّام المسلمون؟!

من الواضح أن وضع الحرثانية مع المندائيين في كتّة واحدة بقبول الجزية منها لا يُشير من قريب أو بعيد إلى أن المسلمين اعتبروها فرقة واحدة، راجع في ذلك فتوى الإمام أبي حنيفة الذي فرق بينها بوضوح ولم يعتبرهما فريق واحد. ووفق القاعدة الشرعية تجب الجزية على من له كتاب وتحمل للمسلمين ذبائحهم ونساءهم، وتجب أيضًا على من له شبهة كتاب، [من انتحل كتابًا سبًا أو قسّمًا منه كالشّامة] ومن ليس له كتاب مُطلقًا، مع كراهة الذبائح والنكاح، وكذلك تجب على من لم يُعرف عن ملّته شيئًا، انظر: أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت 2000، 153-154.

وإذا أخذنا بالاعتبار أيضًا إشارة القطيعي لِسنان بن ثابت في قوله: «وشعورهم طويلة بوفرات كَوْفَرَة قُرَّة جد سنان بن ثابت». فسيُدلُّنا هذا على أنه كتب رسالته هذه وقت أن كان الشَّيخ الرَّئيس سِنَان بن ثابت (ت 331هـ/ 942م) رأس طائفة الحرَّانية ببغداد، وهذا قطعًا يُشير إلى أنَّ تلك الرِّسالة دُوِّنت بعد عام 288هـ/ 900م، وهو عام وفاة ثابت بن قُرَّة طالما أنَّ القطيعي لم يُشر إليه، وأشار إلى ابنه سِنَان بن ثابت. وسنخلُص من هذا إلى أنَّ تلك الرواية دُوِّنت بين عامي 289هـ/ 901م - 331هـ/ 942م.

إذن فمن حيث المبدأ فالقطيعي لم يُعاصر تلك الواقعة، أمَّا من حيث جوهر الرواية؛ فلا بُدَّ وأن تتَّاب المرء الدَّهْشَة من الحُوار الذي دار بين الخليفة المأمُون وبين رؤساء الحرَّانية - والذي يُفترض أنَّه تمَّ عام 218هـ/ 833م - والذي بمُوجبه رَفَض المأمُون اعتِبار الحرَّانية من أهل الدِّمة، فحتَّى عصر المأمُون كان الفُقهَاء المالكيَّة والشَّافعيَّة والحنفيَّة يرون وجوب أخذ الجزية ممَّن له كِتَاب ومن له شُبْهَة كِتَاب أو نبيّ، ومن ليس له كِتَاب أو نبيّ، بل ومن لم تُعرف نيحلته⁴¹، مع التفرُّيق بينهم في تحليل أكل الذِّبائح والمُنَاكحة، ولم تُكن تُقبل الجزية من المُرتد عن الإسلام أو عرب شبه الجزيرة العربيَّة، وهؤلاء وحدهم الذين لم يَكُن أمامهم من خيارٍ يسوى الإسلام أو السَّيف⁴²، ولم يتم إعادة النِّظر في هذه الآراء إلا بعد فتوى الفقيه الشَّافعي أبي سعيد الاضطخري في عصر الخليفة القَاهِر بالله - والتي سنعرض لها لاحقًا⁴³ - بعدم قبول الجزية من صابئة حران لأنَّه ليس هم كِتَاب ولا نبيّ. ونخلُص من هذا إلى أن الحُجج الفقهيَّة

⁴¹ وحتى عندما ظهر المذهب الحنبلي في النِّصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي فإنَّه أقرَّ تلك

القاعدة الشرعية نفسها، انظر ذلك عند الفقيه الحنبلي أبي يعلى الفراء: الأخكام السلطانية، 153 وما بعدها.

⁴² عملاً بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ إِقَانِ اللَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[الأنفال: 39]، لكن العديد من الفقهاء يرون أن تلك الآية تُسخت بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، ولذلك قبل الخليفة عمر بن الخطاب الجزية من نصارى تغلب مُضَاعَفَة،

انظر: - قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، 223-224.

⁴³ انظر الفصل السابع.

التي استند إليها المأمون في ذلك الحوار - أو بالأحرى نُسبت إليه - حول عدم قبول الجزية من الحرانية كانت متأخرة تمامًا عن عصره بقرن كامل على الأقل.

وما يُلفت النظر حقًا أنَّ الاضطخري في فتواه بعدم قبول الجزية من صابئة حرّان لم يُشير مطلقًا إلى واقعة المأمون مع الحرانية والتي كان من الممكن - حال معرفته بها أو اطلاعه عليها - أن تُعصّد فتواه بعدم قبول الجزية من صابئة حرّان، وهذا من شأنه أن يجعلني أقرّر أنَّ رسالة القطيعي دُوّنت بعد صدور فتوى الاضطخري لا قبلها، أي أنَّ القطيعي قد أعاد صياغة الأساس الفقهي لفتوى الاضطخري ناسبًا إيّاها إلى المأمون.

هناك - أيضًا - طابعٌ مسرحيٌّ واضحٌ برواية القطيعي، ففيما تحتاح الحيرة طائفةً بأكملها في البحث عن مخرجٍ للمأزق الذي وضعهم فيه الخليفة يأتي فقيه مجهول بالحلّ، ويطلب منهم أن ينتحلوا لدينهم اسمًا غير الذي عُرفوا به منذ القدم، وتمنحه الطائفة مقابل ذلك الاقتراح أجرًا جزيلاً!! والسؤال الآن: لماذا يُجهّدُ الحرانية أنفسهم في البحث عن مُسمّى لديانَتهم يُرضي الخليفة، وعندهم اسمٌ لطالما التّصق بهم قبل ظهور الإسلام، وهو «الحنّفاء»!!؟، والذي يخطئ باحترام أكثر بين المسلمين من المُسمّى الذي تزعم الرواية أنّهم دفعوا لمن اقترحه عليهم أموالًا طائلة. كما أنه ليس به شبهة انتحال.

لقد سبق تناول مُصطلح الصّابئة في المصادر العربية ودلالته ومعناه، وبطبيعة الحال فإنَّ الحرانية يعدّون من بين تلك الأقوام التي أطلق عليهم المسلمون لقب الصّابئة، ومع ذلك فإنَّ هناك عددٌ من الأدلّة التي تُثبت أنَّ الحرانية كانوا يُدعون بالصّابئة قبل عصر المأمون، يأتي على رأسها:-

- أولاً: ذلك الصّابئ الحرّاني الذي كان مسئولاً عن ديوان الحاتم في أيام الوليد بن عبد الملك والذي كان يُدعى «شُعيب الصّابئ»⁴⁴.

⁴⁴ الجهشيارى: الوزراء والكتاب، 47.

- ثانياً:- فتوى أبي حنيفة النعمان في عصر أبي جعفر المنصور في شأن صابئة حرّان وجواز أخذ الجزية منهم وحرمة نكاح نسائهم وأكل ذبائهم، وتفريقه بينهم وبين المندائيين في المعاملة الشرعية.
- ثالثاً: ما جاء عند الصفدي في ترجمة حمّاد عجرد⁴⁵:-

«قال خلفُ بن المُثنّى: كان يجتمعُ بالبصرة عشرةٌ في مجلسٍ لا يُعرفُ مثلهم: الخليل بن أحمد صاحب العروض؛ سُنيٌّ، والسيد الحميري الشاعر؛ رافضيٌّ، وصالح بن عبد القدوس؛ ثنويٌّ، وسفيان بن مجاشع؛ صفريٌّ، وبشار بن برد؛ خليعٌ ماجن، وحمّاد عجرد؛ زنديقٌ، وابنُ رأس الجالوت الشاعر؛ يهوديٌّ، وابن نظير النصراني؛ مُتكلِّمٌ، وعمرو ابنُ أخت المؤيد؛ مجوسيٌّ، وروحُ بن سنان الحرّاني الشاعر؛ صابئيٌّ؛ فيتناشد الجماعة أشعاراً وأخباراً».

وحمّاد عجرد هذا توفّي عام 155هـ/ 771م، أي في خلافة أبي جعفر المنصور. وهذا يعني أن الحرّانية كانوا يتلقّبون بالصّابئة قبل ميلاد المأمون نفسه. كل هذه الأدلة من شأنها أن تهدم رواية القطيعي من أساسها فيما يخصّ انتحال صابئة حرّان لاسم الصّابئة.

ولكن يجدر بنا التساؤل: هل كل ما جاء في رواية القطيعي محض تلفيق وكذب؟. في الواقع لا أميل إلى القول بهذا أيضاً، فلقاء المأمون بالحرّانية مؤكّد طالما أنّه دخل حرّان وبقي بها أياماً، ولا يمكن تصوّر أنّ رؤساء الطائفة لم يذهبوا إلى الخليفة للترحيب به، خاصّة وأنّها

⁴⁵ الصفدي: الوافي بالوفيات، 13: 89.

المرّة الأولى التي يزور خليفة للمسلمين مدينتهم منذ مقتل مروان من مُحمّد آخر خلفاء بني أميّة، كما أنّنا نعرف أنّ ارتداء الأقيّة بحضرة المأمون كان يُضايّقه بالفعل⁴⁶.

ويتجلّى عند فحص القسم الأخير من رواية القطيعي بدقة - وهو القسم الذي يذكّر فيه أسماء فقهاء مسلمين من أهل حرّان ومن تولّوا الحسبة بها، وأماكن وبيوتات وأسماء عائلات حرّانية أشهرت إسلامها بعد تلك الواقعة مع المأمون - أنه من الصّعب التّسليم أنّ القطيعي اخترّع تلك الوقائع والأسماء اختراعاً، خاصّة إذا ما قارّنا هذا القسم من الرواية بالجزء الذي يتحدّث فيه عن انتحال صابئة حرّان لمُسمّى الصابئة، وينسب الفكرة إلى فقيه مجهول.

فالمقارنة بين هذين الشّقين توضّح لنا أنّ هناك قسماً واقعيّاً في الرواية، يتلخّص في أنّ المأمون غَضِب على صابئة حرّان - بالفعل - وخيّرهم بين الإسلام أو انتحال دين آخر أو السّيف، بناءً على ذلك أسلم عددٌ منهم، في حين اعتنق النّصرانيّة عدداً آخر، وبقي البعض على دينه يتوجّس مما يتّويه المأمون معهم عند عودته، ويتنظر اللّحظة الأخيرة، فإذا استحكمت الأمور أعلن إسلامه، أو اعتنق النّصرانية ومارس شعائر دينه الأصلي سرّاً، أمّا إذا سارت الأمور على ما يرام وأنشغل عنهم الخليفة لم يُصبهم ضررٌ يذكّر، واستمرّوا في أداء الجزية، وهو ما حدث بالفعل؛ فقد توفّي الخليفة وهو في طريق العودة، وبذلك عاد من كان مُرتداً نقيّةً منهم إلى دينه، أما الذين أعلنوا إسلامهم منهم فإنهم لم يتمكّنوا من العودة إلى دينهم القديم، خوفاً من إقامة حدّ الرّدة عليهم، وبناءً على ذلك مارسوا شعائرهم سرّاً، وتزوّجوا من بني جلدتهم، وهذا كان مثار سخط الفقهاء المسلمين بحرّان وأعمالها.

ألا يُشير كلّ هذا إلى أنّ المأمون لم يفعل شيئاً إلا إحياء مرسوم والده الرّشيد بشأن الحرّانية، وأنّه أعلن رفضه لعمّو أخيه الأمين عنهم، وبالتالي رفض قبول الجزية منهم، خاصّة وأنّ المأمون أشار إلى تورّطهم من قبل - في عهد والده الرّشيد - في واقعة الرّأس أثناء حوارهِ

⁴⁶ يقرر أبو طاهر طيفور أنّ أحدًا لم يكن يجرؤ على ارتداء قباء بحضرة المأمون، كتاب بغداد، تحقيق هنس كلر، بيروت د.ت، 8. ولعل جهل الحرّانية بهذا هو ما جعل المأمون يتحفّظ تجاههم ويعاملهم بهذه الغلظة.

معهم. لقد كان مرشوم الرشيد بخصوص صابئة حرّان شديد الشبه بها أمر به المأمون، القتل في حال الإضرار على البقاء على الديانة، الإسلام، أو دين آخر مُعترف به مع أداء الجزية.

إذن ما فعله المأمون لم يتعدّ كونه مُجرّد إحياء لمرشوم والده الرشيد لا أكثر ولا أقل، وترتّب على ذلك إسلام عددٍ منهم، فيما لم يستطع من أسلم منهم الاّزبداد عن الإسلام خوفاً من القتل، مثل آل أبلوط وآل قيطران فلبجئوا إلى تلك الحيل التي منعهم منها بعضُ فقهاء المسلمين.

صفوة القول: كل ما فعله القطيعي هو أنّه أفحم - وبمهارة - في واقعة لها أصولها الحقيقية قصّة لا تنقصها الحبكة، ليُشكّك في أمر دمتهم من الناحية الشرعية، ويُعيد إثارة تلك القضية من جديد، لا سيّما بعد صدور فتوى من فقيه شافعيّ جليل في حُجْم أبي سعيد الاضطخري، ودون أن يدري أن الجزء الذي أفحمه بالذات في تلك الرواية سيخلّق ارتباكاً لا حصر لآثاره في الدراسات التي ستتناول تاريخ هذه الطائفة فيما بعد.

الفصل

السابع

7

الصابئة من مُنتصف القرن الثالث الهجري

وحتى دخول البويهيين بغداد

«واصلُ رياسَةِ الصَّابئةِ في هذه البلاد
ومَحْفُرةُ الخلفاءِ ثابتٌ بهِ قُرَّةٌ، ثُمَّ تَنَشَّتْ
أَهْوَالُهُمْ، وَعَلَّتْ مَرَاتِبُهُمْ وِبرَعُوا».

محمَّد بهِ إسْحاقُ التَّدِيمِ

كما رأينا؛ خرج الصَّابنة الحرنائيَّة من مِحْنَةٍ كادت تُعصف بهم في أخريات أيام المأمون، إذ لم يلبث الخليفة أن تُوفيَّ بالقرب من طَرُسوس بعد عدَّة أسابيع من وعيده للحرنائيَّة، ولا تكاد المصادر تُعطينا أدنى فكرة عمَّا إذا كانت الامتيازات التي حصلوا عليها في عصر الأمين قد استمرَّت أم لا عقب زيارة المأمون لحِرَّان، ولكن كيفما كان الأمر فقد وضع مرسوم الخليفة المُتوكِّل الذي صدر عام ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م نهاية لها، فقد أمر الخليفة المُتوكِّل بتطبيق الشُّروط التي يقال لها الشروط العُمرية على أهل الدِّمة، وإجبارهم على لبس الغِيَار، ووفقاً لمرسوم الخليفة فقد نهى عُمَّاله وولاته على الأقاليم عن استخدام أحد من أهل الدِّمة في الدَّواوين العامَّة، فضلاً عن التَّشديد عليهم بمنعهم من الاحتفال بأعيادهم علانيَّة، وأن تقتصر احتفالاتهم على معابدهم وكنائسهم وهياكلهم^١.

على صعيد آخر تتابعت خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي موجات من الهجرات الجماعيَّة لصابنة حِرَّان إلى بَغداد^٢، وكان من ضمن هؤلاء المهاجرين رجلٌ قُدِّر له أن يكون بحقٍّ مؤسِّس مجد الصَّابنة الحرنائيَّة ببغداد، هذا الرَّجل هو ثابت بن قُرَّة.

وُلد ثابت بن قُرَّة بحِرَّان عام ٢٢١هـ/ ٨٢٦م^٣، وكان يعمل صيرفيًّا في بادئ الأمر، وهي مهنة كانت شائعة في مدينةٍ احترَف أهلها العمل بالتجارة^٤، كما كانت له اهتمامات

^١ الطُّبري: تاريخ الرُّسل والملوك، ٩: ١٧١-١٧٤؛ ابن الأثير: الكامل، ٦: ١٠٦؛ السُّيوطي: تاريخ الخلفاء، دمشق ١٣٥١هـ، ٢٣٠؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزَّمان، نشرة خليل المنصور، بيروت ١٩٩٧، ٢: ٨٦. ابن العبري: تاريخ الزَّمان، ٣٧.

^٢ يتحدَّث ابن العبري عن سيُول قويَّة ضربت حِرَّان عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م وأخربتها على حدِّ تعبيره، تاريخ الزَّمان، ٣٤. وربما كان لهذه الكارثة الطَّبيعية أثرٌ كبيرٌ في خروج بعض عائلات الحرنائيَّة من حِرَّان إلى المناطق المحيطة بها كالزَّرق وكفر ثونا وبغداد.

^٣ ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، تحقيق نزار رضا، بيروت د.ت، ٢٩٧؛ ابن طائوس البغدادي: فرج المَهموم بتاريخ علماء النُّجوم، النُّجف د.ت، ٢٠٢-٢٠٣.

^٤ SELMA TIBI: *The medicinal use of opium in ninth-century Baghdad*, Leiden 2006, p 93.

بدراسة الفلسفة والرياضيات والموسيقى، وولع أيضًا بدراسة التراث اليوناني والسرياني^٥.
وتلك العلوم واللغات التي أجادها ثابت قد تُشجّع على القول بأنّ له أصولاً أرسطوقراطية،
ليس فقط لأنّ التفرّغ لدراسة ذلك الكمّ من العلوم يُشير - على الأزجَح - إلى وضع ماديّ
جيد. إضافة إلى أنّ حرصه على ذكر سلسلة نسبه - وفيهم نفرٌ من عصور ما قبل دخول
الإسلام حرّان، ومن ثمّ شيوع الأسماء والكنى العربية بين أهلها - تُشي بفخر ثابت بن قُرّة
بأصله. أمّا عن سبب هجرة ثابت من حرّان إلى بغداد فالنديم - وهو أقدم من ترجم لثابت بن
قُرّة - يقول أن محمّد بن موسى بن شاكر قابله في طريق عودته من بلاد الرّوم، وأعجب بعلمه
وفصاحته فاضطّجه معه إلى بغداد ليُعمل مترجمًا عنده، ثم لم يلبث أن أدخله في جملة مُنجمي
الخليفة المُعتضد^٦.

أمّا المعلومات الأكثر تفصيلًا عن حياة ثابت بن قُرّة بحرّان فلأننا نستقيها من خلال
ابن خُلّكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) الذي يقول^٧:-

«أبو الحسن ثابت بن قُرّة ... كان في مبدل أمره
صغيرًا بحرّان، ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعُلم الأوائِل
فمهر فيها، وجرى بينه وبين أهل مذهبه أشياء
أنكروها عليه في المذهب، فرافعوه إلى رئيسهم؛ فأنكر عليه
مقالته ومنعه من دخول الهيكل، فتأب ورجع عن ذلك، ثم
عاد بعد مُدّة إلى تلك المقالة، فمنعوه من الدُّخول إلى
المُجمّع، فخرج من حرّان ونزل كفر ثوثا، وأقام بها مُدّة إلى
أن قَدِم محمّد بن موسى من بلاد الرّوم راجعًا إلى بغداد،
فاجتمع به فرآه فاضلًا فصيحًا، فاستضجبه إلى بغداد وأنزله

^٥ النديم: الفهرست، ٢: ٢١٣.

^٦ المصدر نفسه، ٢: ٢١٢-٢١٣.

^٧ وفيات الأعيان وأنباء أهل الزّمان، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت ١٩٦٨، ١: ٣١٣-٣١٤.

في داره، ووصله بالخليفة، فأدخله في جملة المنجمين، فسكن بغداد وأولد الأولاد، وعقبه بها إلى الآن».

إذن فقد كان سبب خروج ثابت بن قرة من حرّان هو وجود خلافات مع المؤسسة الدينية الرسمية للطائفة، وهي خلافات لا تدرى كنهها تحديداً، ولم تُفصّل فيها المصادر^٨، وتأسيساً على ذلك فقد حرّمه رئيس الطائفة - وهو عثمان بن مَالِي الحرّاني الصّابي - الذي تولّى رئاسة الطائفة ما بين عاميّ ١١٦١-١١٨٥ للإسكندر^٩، والتي توافّق ٢٣٦هـ / ٨٥٠م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م - من دخول الهيكل، فترك حرّان مُلتجئاً إلى كفر ثوثا، ثم إلى بغداد بعد ذلك بدعوة كريمة من مُحمّد بن موسى بن شاكِر^{١٠} ليُعمل عنده في حقل الترجمة من اليونانية والسريانية. وأقام في داره وتعلّم على يده، فوجِب حقه عليه فوصله بالعتصم، وأدخله في جملة منجميه^{١١}.

^٨ أوليري: علوم اليونان، ٢٣٨. ولا يزال سبب انشقاق ثابت بن قرة وخلافه مع الحرّانيين المحافظين المتسكنين بالشريعة مجهولاً، ويعتقد خوالسون أن الخلاف مذهبي، CHWOLSOHN: *Die Ssabier*, vol. 1, pp. 484-488، في حين يعتقد هارب أن الخلاف شكلي لا يتعدّى رؤية كلّ منهما لبعض الطقوس، HAJARPE: *Analyse critique*, P.38. والطريف أن هذا الخلاف ليس له ما يبرّره، فكلاهما لا يملك أي أدلة أو حتى مجرد قرائن تُعضد دعواه.

^٩ عنه وعن مدة رياسته راجع الفصل السادس.

^{١٠} محمّد بن موسى بن شاكِر؛ أكبر الإخوة الثلاث (أحمد والحسن) الذين اشتهروا في التاريخ ببني موسى بن شاكِر المنجم، نبغوا في دراسة علوم القدماء، وأرسلوا البعثات إلى بلاد الرّوم ليأتوا منها بالكتب النفيسة، كما عملوا على جلب من يترجمها إلى العربية، كما قاموا هم أنفسهم بترجمة جانب منها، وأنفقوا في سبيل ذلك أموالاً طائلة. ومن أبرز أعمالهم قياس محيط الأرض في زمن الخليفة المأمون اعتماداً على قياس زاوية القطب الشمالي في بقعة مستوية من الأرض، فقاموا بالتجربة الأولى في صحراء سينجار، ثم بالتأكد من نتائج ذلك القياس في برية الكوفة، عن الإخوة الثلاث وجهودهم في الحياة العلمية انظر: - النديم: الفهرست، ٢: ٢٢٤-٢٢٦؛ ابن خلكان: وفیات الأعيان، ٥: ١٦١-١٦٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق بشّار عواد معروف، بيروت، د.ت، ١٢: ٣٣٨-٣٣٩؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات، ٥: ٥٧-٥٨.

^{١١} أحمد فؤاد الأهواني: الكندي فيلسوف العرب، سلسلة أعلام العرب، رقم ٢٦، القاهرة د.ت، ٦١: سعيد الديوه جي: بيت الحكمة، بغداد ١٩٧٢، ١١٦؛ N.K. SINGH, M. ZAKI KIRMANI: *Encyclopaedia of Islamic science and scientists, art of, Thabit ibn Qurra*, New Delhi 2005, vol. I, pp. 1028-1030. وانظر أيضاً: ROSHDI RASHED: *Thabit ibn Qurra, from Harran to Baghdad*. in: *Thabit Ibn Qurra: Science and Philosophy in Ninth-Century Baghdad*, edited by ROSHDI RASHED, Berlin 2009. pp 18-20.

لا أعتقدُ في دَقَّةِ الشُّقِّ الثَّانِي من كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ، إذْ إِنَّهُ من المعروف أن مُحَمَّدَ بنَ مُوسَى بنِ شَاكِرٍ قد تُوُفِّيَ عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م^{١٢}، بينما تَوَلَّى الْمُعْتَصِدُ الخِلافةَ عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، أي أنَّ مُحَمَّدَ بنَ مُوسَى لم يُدْرِكْ خِلافةَ الْمُعْتَصِدِ، كما أنَّ سِنَانَ بنَ ثَابِتٍ بنَ قُرَّةٍ يقولُ أنَّ والدَهُ وجَدَّهُ كانا بِسَامِرَاءَ عندما حَمَلَتْ والدَتُهُ بِهِ^{١٣}، مع ذلك لم تذكر المصادر التي ترجمت لثابت أنَّ سَامِرَاءَ كانت من بين المُدُن التي هاجر إليها ثابت قبل اسْتِقرارِهِ ببغداد، كذا فإنَّ التَّأَمُّلَ فيما ورد على لِسَانِ حَفِيدِهِ ثَابِتِ بنِ سِنَانَ من أنَّ الموفق كان يَأْمُرُ ثابتَ بنَ قُرَّةٍ بالدخول على ولده أبي العَبَّاسِ - الذي لُقِّبَ فيما بعد بالمُعْتَصِدِ - لِيُرْفَهُ عَنْهُ بعدما أَمَرَ بِحَبْسِهِ لِأَمْرِ ما اقْتَرَفَهُ، من شَأْنِهِ أنْ يَجْعَلُنَا نُعِيدَ النَّظَرَ في هذه الرِّوَايَاتِ التي تَفْتَرِضُ أنَّ أَحَدًا ما قَدَّمَ ثَابِتًا إلى الخليفة المُعْتَصِدِ فَأَعْجِبَ بعلمه وفصاحته، ذلك أنَّ ثابتَ بنَ قُرَّةٍ كان معروفًا في البَلَاطِ في عهد المُعْتَمِدِ^{١٤}.

تأسيسًا على ذلك؛ نجدُ أنَّ رِوَايَاتِ معرفة مُحَمَّدَ بنِ مُوسَى بنِ شَاكِرٍ بثابتِ بنِ قُرَّةٍ بكفر ثُوثًا واستِصحابِهِ معه إلى بغداد وإدخاله إلى جُمْلَةٍ منجَّمي المُعْتَصِدِ غير دقيقة، ويُمكن القَطْعُ بأنَّ العَلاقةَ بدأت بين ثابت وبين آل مُوسَى بنِ شَاكِرٍ - الذين عمل لديهم ثابت كـمُترجمٍ - عقب هجرة الأخير إلى بغداد وليس قبلها بحالٍ من الأحوال.

التَّحَقُّقُ ثَابِتٍ فور هِجرته ببغداد بيني مُوسَى بنِ شَاكِرٍ المُنْجَمِ ليعمل عندهم مُترجمًا وناقلاً من اللِّسَانِ السُّرْيَانِي إلى العربي، ثم ما لَبِثَ أنْ اِزْتَبَطَ بعَلاقةٍ وطيدة بالأمير أبي العَبَّاسِ أحمد الذي تَلَقَّبَ فيما بعد بالمُعْتَصِدِ بالله، وقد بَلَغَ من نَفوذِ ثابت وتأثيرِهِ على الأمير الشاب أنَّ غَضَبَ المُوفقِ طَلَحَ والد المُعْتَصِدِ على ثابتِ بنِ قُرَّةٍ وطلبه ليقْتُلَهُ لَأَنَّهُ بَلَغَهُ أن ثَابِتًا يَحْضُرُ المُعْتَصِدَ على أمرٍ يُعَارِضُهُ، وهي جَريرةٌ قَدَّرَ ثابتُ نَفْسَهُ أنَّ المُوفقَ قد يَقْتُلُهُ بسببِها، فحشيَّ ثابت على نَفْسِهِ وهَرَبَ واستتر، وسُرَّعان ما عَفَا عَنْهُ المُوفقُ، لَكِنَّهُ غَضِبَ على ابْنِهِ، وأَمَرَ بِحَبْسِهِ^{١٥}.

^{١٢} التَّذَمُّدُ: الفهرست، ٢: ٢٢٦؛ ابن خَلِّكان: وفيات الأعيان، ٥: ١٦٣؛ الدَّهْمِي: سِير أعلام النبلاء، ١٢:

٢٣٩؛ الصَّفَدِي: الوافي بالوفيات، ٥: ٥٨.

^{١٣} السُّجِسْتَانِي نَقَلَ عن سنان بن ثابت، صَوَانِ الحِكْمَةِ، ٣٠٠.

^{١٤} ابن أبي أصيبعة: عيُونُ الأَنْبَاءِ، ٢٩٥.

^{١٥} الرَّازِي: السَّرُّ المَكْتُوم، ٤ - ٥.

وخلال حبس المعتضد ازدادت أواصر العلاقة بين الأمير الشاب وبين ثابت بن قرة، إذ أمر الموفق أن يدخل ثابت بن قرة على الأمير في محبسه ليُرْفَه عنه، وخلال تلك الفترة ازداد إعجاب الأمير الشاب بثابت بن قرة^{١٦}.

كانت مكانة ثابت التي بلغها في بلاط الخليفة المعتضد^{١٧} قد شجعت غيره من الحرانية على الهجرة إلى بغداد، فأوكلوا إليه أمورهم الدنيوية والدنيئة معاً، وقد أغرى ذلك الباحثين إلى الاعتقاد بأن ثابتاً ومن هاجر معه من الحرانية إلى بغداد قد انشقوا عن الطائفة الأم بحرّان، وأسسوا مذهباً مستقلاً عنها في بغداد^{١٨}. قد يكون ذلك صحيحاً، لا سيما إذا وضعنا بالاعتبار أن ثابتاً إنما ترك حرّان بسبب خلافات مع المؤسسة الدنيئة الرئيسية بحرّان، أي يمكن القول بحدوث انشقاق ديني، نجم عنه وجود مؤسستان متباينتان في الاتجاهات في كل من حرّان وبغداد^{١٩}. وقد لمس ثابت نفسه ذلك الفراغ الذي سيُعبَأُ الشأفة عن المؤسسة الدنيئة والهياكل المقدسة للطائفة، فشرع في تنظيم أمور الجالية الحرانية ببغداد وخاصة من الناحية الدينية، وبكل تأكيد كان ذلك أحد أسباب كثرة مؤلفاته الدينية، هذا ما نفهمه ضمناً من حديث السجستاني عن ثابت بن قرة والذي جاء به: «وقد رأيتُ له عِدَّة مُصَنَّفَات في مذاهبهم، هي عُمدتهم الآن»^{٢٠}.

^{١٦} ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٢٩٥.

^{١٧} كان المعتضد يخصّ ثابت بن قرة بمعاملة خاصة، فضلاً عن جلوسه بمجلسه والوزير وعلّام الخليفة قائمين؛ كان الخليفة يُكنّي ثابت في الخلوات، وفي المَلأ يُسمّيه، ويروي أبو إسحاق الصّامع أن ثابتاً بينما كان يمشي مع المعتضد في بُستان في دار الخليفة للرياضة - وقد اتّكأ المعتضد على يد ثابت ومُها يتماشيان، ثمّ سحب المعتضد يده من يد ثابت بغتة، ففرع ثابت - وكانت للمعتضد هيئة - فلما استقر ثابت من المعتضد عما عساه يكون قد بدر منه، قال له المعتضد: «يا أبا الحسن سهوْتُ ووضعتُ يدي على يدك، واشتدّت عليها، وليس هكذا يجب أن يكون، فإنّ العلماء يعلّون ولا يُعلّون». ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٢٩٦.

^{١٨} CHWOLSOHN: *Die Ssabier*, vol. II, pp III- V.

^{١٩} TAMARA M. GREEN: *The city of the Moon god*, p 164.

^{٢٠} السجستاني: صوان الحكمة، ٢٩٩.

كان النفوذ والثروة الكبيرة التي أحرزها ثابت ببغداد بداية تحول حقيقي في أوضاع صابئة بغداد من الحرانية، فقد كان رئيس الطائفة ببغداد من أخصص مُنادمي الخليفة وأقرب مُستشاريه إليه. وليس هناك من دليل على قوّة العلاقة التي ربطت بين المعتضد وبين ثابت بن قرة سوى ما رواه المسعودي من أن المعتضد عندما اضطر إلى الخروج من بغداد إلى ثغور الشام لِقِتال وصيف التُّركي^{٢١}، افتقد الجلوس إلى ثابت بن قرة والاستئناس به، فأرسل إليه رسالة يطلب منه فيها أن يوافيه بأنطاكية^{٢٢}.

ومع ذلك كانت أزمة ثابت مع الموقف بمثابة درسٍ قاسٍ له حول وجوب التحلي بالحدز وعدم التدخل في السياسة إلا بقدر ما يطلب منه الخليفة المشورة، إذ اعتاد ثابت أن ينأى عمّا ليس من شأنه، مُكتفياً بالخطوة التي جلبها عليه كونه نديم الخليفة ومُستشاره^{٢٣}.

توفي ثابت عام ٢٨٨هـ / ٩٠٠م، بعد أن أحدث طفرة في أوضاع الحرانية، لا سيّما ببغداد، كما ثبتت أوضاعهم الماليّة والاقتصاديّة، وضمن لهم نفوذاً كبيراً في بلاط الخلافة، فبرزوا ضمن النخبة من أعيان مجتمع بغداد^{٢٤}. ومن ثمّ آلت رئاسة صابئة بغداد بعد وفاة ثابت بن قرة إلى ابنه الطيّب القدير سنان بن ثابت بن قرة.

وفي خلافة المكتفي بالله بدأ نجم بيت آخر من بيوتات الصابئة ببغداد في الصعود، إذ استطاع الطيّب إبراهيم بن زهرون التقرب من الخليفة المكتفي، وأن يصبح طبيبه الأثير، ومن أخصص مُنادميه^{٢٥}. ونتج عن زيادة نفوذ الصابئة الحرانية في بلاط الخلفاء أنّهم استطاعوا أن

^{٢١} كان وصيف التُّركي غلاماً ليوسف بن أبي السّاج عامل المعتضد على أزمينية، وخرج عن طاعة إيمره وأعلن الثورة عليه، فخشي المعتضد من استفحال أمره فخرج إليه، وأوقع به قرب عين زُرْبة بالشّام وعاد به إلى بغداد أسيراً، الطبري: تاريخ الرُّسل والملوك، ١٠: ٧٩-٨١.

^{٢٢} المسعودي: مروج الذهب، ١: ٤٥٩.

^{٢٣} هلال بن المحسن الصّابي: رُسُوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عوّاد، بغداد ١٩٦٤، ٨٩.

^{٢٤} النديم: الفهرست ٢: ٢١٢-٢١٣.

^{٢٥} هلال الصّابي: رُسُوم دار الخلافة، ٨٨.

يَقُومُوا بِدَوْرٍ نَشِيطٍ فِي الدَّفَاعِ عَنِ الطَّائِفَةِ وَكِبْحِ جِهَاتٍ مُعَارِضِيهِمْ، وَالْحَيْلُولَةِ دُونَ اسْتِصْدَارِ مَرَايِسِهِمْ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُهْدَدَ أَمْنُ الطَّائِفَةِ مُجَدَّدًا.

لَكِنْ نَقُودُهُمُ الْقَوِيُّ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ كَانَ أَشْبَهَ بِنَقُودِ جَمَاعَاتِ التَّكْنُوقِرَاطِ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا الْحَدِيثَةِ، فَقَدْ كَانُوا يَبْنُونَ نَقُودَهُمْ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ عَلَى تَخْصُّصَاتِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ، وَبِصِفَةِ خَاصَّةٍ إِجَادَتِهِمُ التَّامَّةَ لِعُلُومِ الطَّبِّ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْأَدَبِ وَسَائِرِ عُلُومِ الْأَقْدَمِينَ وَعَلَى الْأَخْصَصِ الْفَلَكِ وَالتَّنْجِيمِ، وَبِذَلِكَ يَتَقَرَّبُونَ مِنَ السُّلْطَةِ دُونَ رَغْبَةِ حَقِيقَتِيَّةٍ فِي الْمَنَاصِبِ السِّيَاسِيَّةِ. إِذْ كَانَ وَضْعُ طَائِفَتِهِمُ الْحَسَّاسِ كَقَوْمٍ يَجْرُونَ بِجَرَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ أَكْبَرِ الدَّوَافِعِ الَّتِي دَفَعَتْهُمْ لِهَذَا الْحَذَرِ.

كَانَ الْحَرَنَائِيَّةُ قَدْ بَلَغُوا شَأْوًا كَبِيرًا فِي النُّقُودِ خِلَالَ عَصْرِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ، فَقَدْ كَانَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ - رَئِيسُ الطَّائِفَةِ - وَوَلَدُهُ ثَابِتُ بْنُ سِنَانَ مِنْ أَخْصَصِ أَطِبَّاءِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَأَخْطَاهُمْ بِثِقَتِهِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَصْبَحَ الطَّبِيبُ الْأَوَّلُ فِي حَاضِرَةِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ أَنْ أَصْدَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَدِرُ مَرْسُومًا عَامَ ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م يَقْضِي بِأَنْ يُشْرَفَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى جَمِيعِ الْبِيَهَارِسْتَانَاتِ بِبَغْدَادٍ^{٢٦}، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْمُقْتَدِرُ أَنْ أَصْدَرَ مَرْسُومًا تَالِيًا بِزِيَادَةِ صَلَاحِيَّاتِ سِنَانَ بْنِ ثَابِتٍ بِالتَّرْخِيسِ لِلْأَطِبَّاءِ بِالْعَمَلِ، وَطَبِيقًا لِلْمَرْسُومِ فَقَدْ أُمِرَ مُحْتَسِبُ بَغْدَادَ بِمَنْعِ أَيِّ طَبِيبٍ مِنْ مُزَاوَلَةِ الطَّبِّ بِبَغْدَادَ بِأَسْرِهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَحْتَبِرَهُ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَيُرْخِصَ لَهُ كِتَابِيًّا بِذَلِكَ^{٢٧}.

كَمَا اِزْتَبَطَ وَلَدُهُ ثَابِتُ بْنُ سِنَانَ اِزْتِبَاطًا قَوِيًّا بِالْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى بْنِ الْجَرَّاحِ، فَكَانَ مِنْ أَخْصَصِ مُسْتَشَارِيهِ وَتُدْمَائِهِ^{٢٨}. وَقَدْ سَاهَمَ هَذَا الْوَضْعُ فِي تَحْقِيقِ اسْتِقْرَارِ لَا بَأْسَ بِهِ لِلطَّائِفَةِ بِبَغْدَادَ، وَأَدَّى إِلَى ازْدِيَادِ مُضْطَرِّدِ فِي نَقُودِهِمْ وَمِنْ ثَمَّ ثِرَوَاتِهِمْ أَيْضًا، فَالْصَّابِئَةُ الْحَرَنَائِيَّةُ لَمْ يَنْسُوا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ أَنْاسٍ اخْتَرَفُوا التَّجَارَةَ مِنْذُ الْقِدَمِ، فَلَمْ يَكْتَفُوا بِإِقْطَاعَاتِ الْخُلَفَاءِ وَإِنَّمَا اسْتَشْتَمَرُوا

^{٢٦} ابن أبي أصيبعة: عيُونُ الْأَثْبَاءِ، ٣٠١.

^{٢٧} ابن أبي أصيبعة: الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ٣٠٢؛ الْقُفْطِيُّ: إِنْجَارُ الْعُلَمَاءِ، ١٣٠.

^{٢٨} مَسْكُوتُهُ: تَحَارِبُ الْأُمَمِ، تَحْقِيقُ هـ. ف. أَمْدَرُوز، الْقَاهِرَةُ ١٩١٤، ١: ٢٩.

أموالهم في ضمان خراج البلدان^{٢٩}، وهكذا تضخمت ثرواتهم إلى الحد الذي أصبح ملحوظاً؛ لا سيما في عهد القاهرة بالله.

ومع ذلك فقد وقعت في أخريات عهد المقتدر حادثة كادت تعصف بهم مرة أخرى، ذلك أن قاضي حرّان ويدعى هارون بن إبراهيم بن حمّاد بن إسحاق الأزدي قد وقع إليه كتاب فيه أدعية وتراويل وطلسمات للآلهة التي يعبدها صابئة حرّان، فأمر هارون القاضي على الفور أحد المترجمين السريان بترجمته، وأرسل به القاضي هارون مترجماً للعربية إلى الوزير علي بن عيسى ببغداد يسأله فيه تحكيم شرع الله في الحرانية. ولا نعرف شيئاً عن هذه الواقعة إلا من خلال النديم الذي ذكر ما نصّه^{٣٠}:-

^{٢٩} أبو إسحاق الصّابي: رسائل أبي إسحاق الصّابي، نسخة مكتبة الجامع الأزهر، ورقة ٦٦ ظ.

^{٣٠} ووفقاً للنديم كان هذا الكتاب يحتوي على أسرارهم الخمسة وجاء فيه:- «حكاية أخرى في أمرهم [أي الحرانية]:- وقع إليّ جزء قد نقله بعض الثقلة من كتبهم، ويحتوي على أسرارهم الخمسة فأما أول السر الأول فسقصة منه ورقة، وآخر كلمات فيه هذه الكلمات بلفظ الناقل:- «كالخروف في القطيع، والعجل في البقر، ومحادثة الرجال المعزّمين الرّعافين الأقربائين المرسلين إلى بيت البوغداريين [!؟] ربنا القاهرة ونحن نسره.

وأول السر الثاني، وهو سر الأبالسة والأوثان، فمن كلامهم: «يقول الكاهن لأحد الغلمان: أليس الذي أعطيتني قد أعطيتني، وما سلّمت إليّ منه فقد سلّمت، فيجيب ويقول: للكلاب والغربان والنمل، فيجيب قائلاً له: وما الذي يجب علينا للكلاب والغربان والنمل، فيجيب قائلاً: يا كُفراه إنهم إخواننا، والرّب القاهرة ونحن نسره. وآخر السر الثاني أيضاً: كالخراف في الغنم، والعجّاجيل في البقر، ومثل حادثة الرجال الرّعين الأقربائين الدّاخلين في بيت البوغداريين، بيت القاهرة ونحن نسره.

وأول السر الثالث: ويقول أيضاً أنتم بنو البوغداريين أي القول والتّنظر، فيجيب من اتّفق ويقول من خلفه نحن ناصتو، وآخر السر الثالث: وقد يتطهّر مثل الخراف والغنم والعجّاجيل في قطع البقر، ومثل حادثة الرجال يتردّدون إلى بيت البوغداريين، ربنا القاهرة ونحن نسره.

وأول السر الرابع: يقول الكاهن من بعد ذلك: يا بني البوغداريين كوئوا سامعين، فيجيب من خلفه من اتّفق قائلاً، نحن ناصتو، فينادي: كوئوا ناصتين، فيجيئون قائلين نحن سامعون. وآخر السر الرابع:

«... وقد كان هارون بن إبراهيم بن حماد بن إسحاق القاضي - لما كان يلي بحرّان وأعمالها القضاء - وقع إليه كتابٌ شريانيّ فيه أمرٌ مذهبهم وصلواتهم، فأخضّر رجلاً فصيحاً بالشريانيّة والعربيّة، ونقله له بحضرته من غير زيادة ولا نقصان، والكتاب موجودٌ، كثيرٌ بيد الناس، واحتسب هارون بن إبراهيم حمله إلى أبي الحسن عليّ بن عيسى».

=

التردّد إلى بيت البوغداريّين، ربنا القاهر ونحن نسره.
وأول السر الخامس يقول الكاهن: يا بني البوغداريّين كونوا سامعين، فيجيئون قائلين: نحن راضيون [كذا] فيقول: كونوا ناصتين، فيجيئون أيضاً قائلين: نحن سامعون، فيبتدي قائلًا: وأبي، فلاني قائل ما أعلم وما أقصر عنه.

وآخر السر الخامس: المتوجهين إلى بيت البوغداريّين، ربنا القاهر ونحن نسره.
قال صاحب الكتاب وعدد الأمثال التي تُقال من الكاهن في هذا البيت في هذه السبعة الأيام، اثنان وعشرون مثلاً، تُقال فيهم على سبيل أحذوتة تُنشد وتُرثّل. فأما الغلمان الذين يترسّمون بالدخول إلى هذا البيت فلأنهم يقيمون فيه سبعة أيام يأكلون ويشربون، ولا تنظر إليهم امرأة في هذه السبعة الأيام، ويأخذون الشراب من السبعة الكاسات المصفوفة التي يُسمونها «يسورا»، ويمسحون ذلك الشراب على أعينهم، ومن قبل أن يقولوا أو يلفظوا بشيء يطعمونهم خبزاً وملحاً من تلك الأكؤس، ومن تلك القُرص والفراريج. وفي اليوم السابع فلأنهم يأكلونه عن آخره. وقد يكون أيضاً في ذلك البيت قُرص من شراب موضوعاً في زاوية، ويسمونه «فاعاً» ويقولون لرئيسهم فيقرأ: مُبدع يا كبيرنا، فيجيب قائلًا: لتمام الإجابة مُسطبراً [كذا] انتقظا [كذا] الوتر، فهو سر السبعة الغير مقهور».

قال عماد بن إسحاق: - الناقل لهذه الأسرار الخمسة كان عفتياً غير فصيح بالعربيّة، أو أراد بنقلها على هذا النسيج والرذاعة الصدق عنهم، والتحرّي لألفاظهم، فتركها على حالها في بُعد الائتلاف وتقطع الكلام». الفهرست، ٢: ٣٧٥-٣٧٨.

وقد يكون لكلمة «البوغداريين» الواردة مراراً بهذا النص الديني ارتباط ما باسم بغداد، حيث ذكر بعض العلماء أنه مُشتق من اسم صنم كان يُعبد بتلك الأنحاء، انظر على سبيل المثال: - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١: ٣٦٤.

ويتحدّث كلّ من المخريطي والمنجم الطبري عن أنّ المقتدر أمر بتفتيش هياكل الحرانيّة بحرّان والرّقة، وعثر بالفعل داخل أحدها على جُجْمة بشرية، فأمر بإخراج كهنته وبدفن الرّأس^{٣١}. وعلى الأرجح لم يتخذ المقتدر أيّ إجراءات أخرى ضد الحرانيّة، وربّما لعب طبيّاه الأثريين عنده سينان بن ثابت وولده ثابت دورًا كبيرًا في امتصاص آثار تلك القضية. وبذلك مرّت تلك الحادثة بسلام على الطائفة.

بعد مقتل المقتدر على يد قائده التركي مؤنس عام ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م كانت التّطورات كلها تجري في اتجاه سلبي بالنسبة للطائفة، بل وتأخذ منحى خطيرًا، وبات من الواضح أن الحرانيّة في بغداد على وشك الدّخول في محنة خطيرة، فقد نصّب مؤنس محمّدًا شقيق المقتدر لخلافة المسلمين فتلقّب بالقاهر بالله، فبدأ عهدُه بحملة تطهير مُنظمة لكلّ من عُرف بولائه لأخيه المقتدر، خوفًا من ضياع الخلافة من يده إلى أحد أبناء أخيه. وكان من الطّبيعي أن يتقلّص نفوذ اثنين من أقرب المقرّبين إلى المقتدر وهما سينان بن ثابت وولده ثابت بن سينان، لا سيّما أن القاهر وضع ثقته في طبيب نصرانيّ منافس لهما وهو عيسى بن يوسف المعروف بابن العطار^{٣٢}.

ثم لم يلبث القاهر بالله، أن أقدم على خطوة خطيرة بدون مقدّمات معروفة، فقد استفتى الفقهاء في أمر قبول الجزية مجدّدًا من صابئة حرّان. لا تنصّ المصادر إلّا على أنّ القاهر بالله استفتى الفقهاء في أمر صابئة حرّان، فأفتاه اثنان من كبار فقهاء الشّافعية في عصره، وهما: أبو سعيد الإصطخريّ (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)^{٣٣} وأبو الحسن المحاملي^{٣٤} بعدم قبول الجزية إلّا من

^{٣١} المخريطي: غاية الحكيم، ١٤٠؛ المنجم الطبري: رسالة في استجلاب قوى الكواكب عند الصّابئين، ورقة ١٥.

^{٣٢} سنكويه: تجارب الأمم، ١: ٢٣٦-٢٣٧.

^{٣٣} ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٣٢٠؛ القفطي: إخبار الحكماء، ١٦٦؛ فيه: أحوال النصارى، ٢٠٢.

^{٣٤} أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد الإصطخريّ؛ شيخ الشّافعية، ترجع أصوله إلى مدينة أضطخر بقارس، النّوي: تهذيب الأسماء واللغات، بيروت د.ت، القسم الثاني، ١: ١٨-١٩. وليّ أولًا قضاء قم، ثم حنبلية بغداد وقضاءها فيها بعد، وكان متشدّدًا في تطبيق أحكام الشريعة، فأخرق الملاحية وأسواق التّبذ، ابن

أهل الكتاب الذين ذكروهم القرآن الكريم، وأنَّ الصَّابئة قَوْمٌ لَا دِمَّةَ لَهُمْ، لِأَنَّهُ تَبَيَّنَ لَهُمَا أَنَّهُمْ يَخَالِفُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا آلِهَةٌ مُدَبَّرَةٌ. وَمَنْ ثُمَّ يُعْرِضُونَ عَلَى السَّيْفِ؛ فَإِنْ أَبَوْا الْإِسْلَامَ يَقْتُلُونَ^{٣٦}.

لَا نَسْتَقِي مِنْ خِلَالِ الْمَصَادِرِ شَيْئًا ذِي بَالٍ عَنْ مُقَدِّمَاتِ اسْتِفْتَاءِ الْخَلِيفَةِ الْمَفَاجِئِ لِلْفُقَهَاءِ وَرِجَالِ الدِّينِ فِي شَأْنِ صَابئةِ حَرَّانَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ عَدُولَ فِقْهِيَّانِ شَافِعِيَّانِ عَنْ رَأْيِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي جَوَازِ إِلْحَاقِ الصَّابئةِ وَالْمَجُوسِ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَإِقْرَارِهِمْ عَلَى دِينِهِمْ مُقَابِلِ الْجِزْيَةِ^{٣٧}، لَا بُدَّ وَأَنْ يُثِيرَ تَسَاؤُلَاتٍ جَمَّةٌ عَنْ ماهِيَّةِ تِلْكَ التَّغْيِيرَاتِ الْجَذَرِيَّةِ الَّتِي سَاهَمَتْ فِي خُرُوجِ تِلْكَ فَتَوَاهُمَا عَلَى هَذَا النَّحْوِ.

رُبِمَا تَكْمُنُ الْإِجَابَةُ فِي أَنَّ صَابئةَ حَرَّانَ بِيَعْدَادَ كَانُوا يُشَكِّلُونَ جَالِيَّةً مُنَشَقَّةً عَنْ مَذْهَبِ عَامَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ بِحَرَّانَ، وَكَانَتْ أُمُورُ دِينِهِمْ مَوْكُولَةٌ إِلَى رَئِيسِ الْجَالِيَّةِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةِ الَّذِي تَحَلَّى بِشَكْلِ مَا عَنْ الْحَذَرِ الَّذِي التَزَمَ بِهِ أَسْلَافُهُ تَحَاكِ كِتْمَانَ الْمُعْتَقِدَاتِ الدِّينِيَّةِ، فَرِغَتْهُ فِي تَنْظِيمِ أُمُورِ

الإخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق زوين ليفي، كمبردج ١٩٣٧، ٣٦-٣٧؛ وكان ورعاً زاهداً مُتَقَلِّلاً مِنَ الدُّنْيَا، وَقَدْ أُوْكِلَ إِلَيْهِ الْمُقْتَدِرُ قَضَاءُ سَجِسْتَانَ، الصَّفَدِيِّ: الرَوَافِي بِالْوَفَايَاتِ، ١١: ٢٨٧؛ الذَّهَبِيُّ: سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، ١٥: ٢٥٠؛ السُّبُكِيُّ: طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى، تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ عَمَدُ الطَّنَاحِي؛ عَبْدِ الْفَتَّاحِ عَمَدُ الْحُلُوفِ، الْقَاهِرَةُ د.ت، ٣: ٢٣١.

^{٣٥} أَبُو الْحَسَنِ الْمَحَامِلِيُّ، وَيُعرفُ بِالْمَحَامِلِيِّ الْكَبِيرِ، لَمْ تَذَكَرِ الْمَصَادِرُ يَسُوءَ كُنْيَتِهِ، وَكُلُّ مَا نَعْرِفُهُ عَنْهُ أَنَّهُ فَقِيهٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي سَعِيدِ الْأَصْطَخَرِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَغْدَادَ مِنْ يُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ سِوَاهُ وَالْأَصْطَخَرِيِّ وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ هُرَيْرَةَ، وَهَنَّاكَ غَمُوضٌ حَوْلَ إِذَا مَا كَانَ هُوَ جَدُّ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ حَمَلُوا الْأَسْمَ نَفْسَهُ وَتَوَلَّوْا قَضَاءَ بَغْدَادَ وَأَبْرَزَهُمُ الْقَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَحَامِلِيِّ (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م) وَأَبْنَاؤُهُ فِيهَا بَعْدَ، وَالسُّبُكِيُّ يَنْفِي هَذِهِ النَّسْبَةَ، وَيَقُولُ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَدِّ هُمْ، عَنْهُ انْظُرْ: - طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى، ٣: ٢٦٧-٢٦٨؛ ابْنُ قَاضِي شُهْبَةَ: طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ، تَحْقِيقُ حَافِظُ عَبْدِ الْعَلِيمِ خَانَ، مَنْشُورَاتُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَيْدَرُ آبَادِ الدِّكْنِ ١٩٧٩، ١: ١٦٣-١٦٤.

^{٣٦} الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: تَارِيخُ بَغْدَادَ، ٨: ٢٠٨؛ ابْنُ الْفُوطِيِّ: الْحَوَادِثُ الْجَامِعَةُ، وَالتَّجَارِبُ النَّافِعَةُ بَعْدَ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ (الْمَنْسُوبُ لِابْنِ الْفُوطِيِّ؟)، تَحْقِيقُ مُصْطَفَى جَوَادَ، بَغْدَادَ ١٣٥١هـ، ٧٠.

^{٣٧} الشَّافِعِيُّ: كِتَابُ الْأَمِّ، بِيْرُوتَ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ٤: ٢٥٤.

طائفته، وكذلك رغبته في توسيع قاعدة المؤمنين بمذهبه جعلته يُسرف في تصنيف الكتب والرسائل الدينية في شأن عقيدتهم، وإظهار دواخلها وأسرارها، بما فيها من طابع وثني قديم، فدوّن كتاباً في طبائع الكواكب وتأثيراتها، ورسالة في شرح مذهب الصّابئين، ورسالة في الرُّسوم والفروض والسُّنن، ورسالة في تكفين المَوْتى ودفنهم، ورسالة في اعتقاد الصّابئين، ورسالة في الطّهارة والنّجاسة، ورسالة فيما يصلح من الحيوان للضّحايا وما لا يصلح. ورسالة في أوقات العبادات. ورسالة أخرى في ترتيب القراءة في الصّلاة، وصلوات الإتيهال إلى الله عز وجل.

كما تابع ابنه سنان بن ثابت خطأ أبيه من بعده، فألّف رسالة في شرح مذهب الصّابئين، ورسالة أخرى في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السّبعة، ورسالة في النّجوم، ورسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه، ورسالة في نوايس هرّمس والصلوات التي يُصلي بها الصّابئون^{٣٨}، وبذلك توافرت بأيدي الفقهاء - آنذاك - عددٌ لا بأس به من الكتابات عن عقائد الحرّانية دُوّنت بأيدي مُعتقديها.

سابقاً لم يكن الأمر يجري على هذا النّحو، فمصادر العلّماء المسلمين عن الصّابئة كانت تنحصر في كتابات النّصارى الشّريان، وحتى ذلك الوقت كان باستطاعة الصّابئة إنكار ما جاء في هذه الكتابات، خاصّة وأن بعض العلّماء المسلمين استوقفهم ذلك العداء المتبادل بين السّاطرة والحرّانية، ولم يَكونوا يأخذون تلك الكتابات على محمّل الجد^{٣٩}. ولكن بعد أن اطّمان الحرّانية إلى وضعهم بالنّسبة للجزية على مذاهب أهل السّنة الأربعة، ومع ازدياد نفوذهم المضطرد منذ عصر المعتضد بالله، وازدياد ثرواتهم على نحو ملحوظ؛ تخلّوا كُليّة عن ذلك الحذر الذي انتهجه أسلافهم في إطلاع الأغيار على أسرار الديانة والعقائد.

إن التأمّل في أسس فتوى الاضطخري والمحاملي يُوحى بذلك، خاصّة قولها: - «لأنهم يقولون أن الفلك هو حيّ ناطق، وأن الكواكب السّبعة آلهة مُدبّرة»^{٤٠}. وهذه العبارة تُوجي

^{٣٨} ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، ٣٠٤؛ القفطي: إخبار العلماء، ١٣٣.

^{٣٩} البيروني: الآثار الباقية، ٢٠٥.

^{٤٠} الماوردي: الحاوي الكبير، بيروت د.ت، ١٤: ٢٩٥.

بأنَّ الاضطخري والمحاملي كانا على اطلاع على كتابات الخزانة الدنيَّة. وهو ما أدَّى إلى إعادة فتح قضيتهم ذمة أهل حرَّان من جديد.

من جهة أخرى فقد أشرف المعتضد بالله في الاعتقاد على أهل الذمة، وبلغوا أعلى الرُّتب والمناصب في عصره^١، واستمرَّ الوضع على ما هو عليه حتى عصر الخليفة المقتدر، وكان ذلك الوضع يُثير استياء المتعصِّين من العامة، وبعض المُتشدِّدين من رجال الدِّين والفُقهاء^٢، ومن ثم كانت هذه الفتوى بمثابة تعبير عن موجة من موجات السَّخط من جانب بعض العلماء تجاه سياسة عامَّة اعتمدتها الدَّولة لسنوات طويلة.

وعلى صعيد آخر؛ تولى القاهر بالله الخلافة في أعقاب مقتل الخليفة المقتدر وفي ظروف غاية في الصُّعوبة، فقد كانت الخزانة شبه خاوية عقب مقتل أكثر خلفاء بني العبَّاس إشرافاً وتبذيراً، وكان الجُند على وشك الثَّورة بسبب إلحاحهم على الحصول على رواتبهم وأعطياتهم المتأخِّرة^٣، ومن ثم رأى الخليفة في تلك الفتوى فرصة سانحة لا يترُكها طائفة ثرية كوَّنت ثرواتها جرَّاء محاباة أسلافه لهم، ولذلك فإنَّ الخليفة سُرَّعان ما رضي بقبول مبلغ خمسين ألف دينار منهم ليقرَّهم على دينهم ويقبل منهم الجزية^٤. وبذلك حقَّق القاهر ما كان يرومه من جرَّاء إضراره على تطبيق فتوى الاضطخري والمحاملي، وهو إنعاش خزائنه الخاوية بمبلغ مالي كبير.

^١ ج. موريس فيه: أحوال النَّصارى في خلافة بني العبَّاس، ١٨٠-١٨٦.

^٢ كانت أحد مظاهر هذا الرِّفص الاجتماعي لتلك السِّياسة هو كثرة الادِّعاء على هؤلاء الذِّمَّيين بأنهم كانوا يسبِّون النبي ﷺ والإسلام علناً، وكانت شائعة كهذه كافية لإثارة العامة، وبلغ بهم الأمر ذات مرَّة إلى اقتحام دار الخلافة وكادوا يفتكُّون بالوزير. انظر الطُّبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٠: ٥٢.

^٣ أشرف القاهر في تعذيب شُعب زوجة أبيه - والتي ظنَّ أنَّها تُخفي الكثير من الأموال - فعلقها أساييع من قدميها حتى قيل أن بولها كان يسيل على فيها، ثم لم تلبث أن تُوفيت بعد إطلاقه لسراحها متأثرة بذلك التعذيب، مسكويه: تجارب الأمم، ١: ٢٤٣-٢٤٤.

^٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٨: ٢٠٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٤: ٢٢٧، مع ملاحظة أن الذهبي يُخطئ وينسب واقعة استفتاء الاضطخري إلى المقتدر وليس لأخيه القاهر؛ الصَّفدي: الوافي بالوفيات، ١١: ٢٨٧؛ ابن القُوطي: الحوادث الجامعة، ٧٠.

وربما يُثور تساؤلٌ حول كيفية اختيار تلك الفكرة في رأس القاهر بالله؟ ولماذا صابئة حرّان بالذات دونًا عن أهل الذمة جميعًا؟ في اعتقادي أنّ السر يكمن في نفس الشخص الذي احتسب على الصابئة في عهد المقتدر وخلال وزارة علي بن عيسى بن الجراح، ألا وهو هارون بن إبراهيم القاضي، فتبّع سيرة هذا الرجل في أواخر عهد المقتدر وفي عهد القاهر يُوحى بذلك، فعقب وفاة المقتدر تقرب هذا القاضي من الخليفة القاهر بشكلٍ ما حتى أصبح أثرًا عنده، فاستدعاه القاهر بالله من حرّان ليؤمّه الحسبة ببغداد، وسرعان ما صُجر أهل بغداد منه جرّاء تعسّفه وتشدّده، فولاه القاهر بالله قضاء مصر وأعمالها، فاستتاب هو أحد إخوته ليلي قضاء مصر، واستمرّ في الإقامة ببغداد^{٤٥}. وعلى الأرجح فقد فاتح هذا الرجل القاهر بالله في أمر صابئة حرّان مرة أخرى، وربما عرض عليه الكتاب الذي سبق وأن حمل نسخةً مترجمة منه إلى الوزير علي بن عيسى، وهذه المرة وجدّ أذنًا صاغيةً من الخليفة، فأمر الخليفة باستفتاء الفقهاء في شأن صابئة حرّان بعد أن اختمرت في ذهنه فكرة ابتزازهم ليفدّوا أنفسهم بالمال.

على أي حال فخرج فتوى كهذه تُعارض الأصول التي استقرّت عليها المذاهب الأربعة لم يكن ليُمرّ دون معارضة فقهية شديدة، فقد رفض أغلب الفقهاء بشدة إيجاب الصابئة على الإسلام أو قتلهم في حال رفضهم التخلّي عن دينهم، فابن تيمية (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) يُقرّر أن فقهاء كثيرون نازعوا أبي سعيد الاضطخري في فتواه^{٤٦}، إلا أنّ الخليفة - ورغم تلك المعارضة القويّة - آثر الأخذ بفتوى الاضطخري والمحاملي، لدوافع اقتصادية بحثة لا علاقة لها بتطبيق الشريعة كما سبق القول. وبناءً على تلك الفتوى استدعى القاهر طيّبهُ سنان بن ثابت بن قرة، وخيّره بين الإسلام أو السيف، فخشي سنان على نفسه وأعلن إسلامه بين يدي الخليفة^{٤٧}، ثم لم يلبث أن اضطُرَّ إلى الهرب والاستتار، ولا تُخبرنا المصادر بشيء عن أسباب هروب سنان من وجه القاهر سوى أنّه رأى أنّ القاهر كلّما أمره بشيء أخافه^{٤٨}، وهذا أمرٌ

^{٤٥} القضاعي: عيون المعارف، ٥١٢.

^{٤٦} رسالة الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ٤٥٧.

^{٤٧} التديم: الفهرست، ٢: ٣١٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٥: ١٥٢؛ ابن الجوزي: المتظّم، ١٤: ٢٨.

^{٤٨} مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق عمر السعيد، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات

العربية، دمشق ١٩٧٣، ٤: ٣٨١.

منطقي، فالخليفة لم يعد يثق بطبيبه لا سيّما وأنه يعلم في قرارة نفسه أن طبيبه الخاص يدين بالولاء لأبناء أخيه المقتدر، وزادت الجفوة بينهما بعد أن أجبره القاهر على ترك دينه، وسنان أدرك بغريزته أن الخليفة فقد ثقته به، ففر بنفسه قبل أن يأمر القاهر بحبسه أو قتله.

كيفما كان الأمر فقد اضطر سنان إلى ترك العراق بأسره والهرب إلى خراسان، كما هرب واستتر سائر أهل بيته، فهرب الطيب ثابت بن سنان، وشقيقه إبراهيم بن سنان بن ثابت الفلكي وعالم الرياضيات الشهير الذي كان يُراقب بدقة حركة الأجرام السماوية ويستعد لنشر نتائج الرصد الذي أجراه، لكنه هرب قبل أن يظفر به القاهر ويُجره على ترك دينه، وتحدث في مقدمة رسائله الفلكية عن تلك المحنة التي بقوله^٩:-

«وقد كانت لنا رغبة في التّعلم لم يحدث بعدها زهدٌ فيه. لكن حالت دونه حوائل، ومنعت عنه موانع، وأتصل الشُّغل بما لم نستدعيه ولا اخترناه، ولا سلكنا بجهدنا سبيلاً يُؤدّي إليه، من نكبات مُتتابعة وثلم في الحال، وخوف في خلال ذلك مُحوجّ إلى الاستتار ولم يمكن معه الاستقرار في موضع واحد».

ولم يعد آل قرّة إلى بغداد إلا بعد عزل الخليفة القاهر عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، وعودة الخلافة إلى أبناء المقتدر مرة أخرى. ولكن لما لم يكن في إمكان سنان بن ثابت الارتداد عن الإسلام فقد مات عليه عام ٣٣١هـ/ ٩٤٢م. في الوقت ذاته فقد صمد آل زهرون بشدة إزاء هذه المحنة، ولعلهم أدركوا بحاستهم أن القاهر يبتزهم للحصول على أكبر قدر من المال ليفتدوا به أنفسهم، فقد أمر الوزير أبي جعفر عبيد الله بن القاسم بحبس أبي الحسن ثابت بن

^٩ إبراهيم بن سنان الصّابي: رسالة إبراهيم بن سنان في وصف المعاني التي استخرجها في الهندسة وعلم النجوم، ضمن مجموع رسائل ابن سنان الصّابي، تحقيق أحمد سليم سعدان، الكويت ١٩٨٣، ٢٣.

زهُرُونِ الْحَرَائِي°، وَنَجَّحَ فِي نِهَآيَةِ الْأَمْرِ فِي إِقْنَاعِ الْخَلِيفَةِ بِقَبُولِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْهُمْ، فَوَافَقَ الْخَلِيفَةَ وَعَقًّا عَنْهُمْ وَتَرَكَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ°¹.

وَتَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ نَتَآئِجٌ شَدِيدَةٌ الْوَقْعَ فِي بَنِيهِ الطَّائِفَةِ نَفْسَهَا فِي بَغْدَادَ، فَبَيْنَمَا اضْطَرَّ الشَّيْخُ الرَّئِيسَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ إِلَى إِشْهَارِ إِسْلَامِهِ تَحْتَ وَطْأَةِ التَّهْدِيدِ بِالْقَتْلِ ثُمَّ هَرَبَ وَاسْتَرَّ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بَنُوهُ أَيْضًا، وَلَمْ يَعُودُوا إِلَى بَغْدَادَ إِلَّا بَعْدَ عَزْلِ الْقَاهِرِ وَعَوْدَةِ الْخِلَافَةِ إِلَى أَتْبَاءِ الْمُقْتَدِرِ، رَفَضَ طَبِيبُ حَرَّانِيٍّ مِنْ آلِ زَهُرُونِ التَّخْلِيَّ عَنْ دِينِهِ، فَحُجِسَ وَكَادَ يُقْتَلُ، حَتَّى نَجَحَ وَبَنُوهُ فِي مُفَاوَضَةِ الْقَاهِرِ عَلَى أَنْ يَفْتَدُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَنِي جِلْدَتِهِمْ بِمَبْلَغٍ مَالِيٍّ كَبِيرٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ أَزْدَادَ نَفُوذَ وَثَقُلَ آلُ زَهُرُونِ الصَّابِئِ عَلَى حِسَابِ آلِ قُرَّةَ. وَأَصْبَحَ صَابِئُ بَغْدَادَ مِنَ الْحَرْنَانِيَّةِ يَلْقَبُونَ أَبِي الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ زَهُرُونِ بِالشَّيْخِ الرَّئِيسِ°².

عَلَى هَذَا النَّحْوِ انْتَهَتْ أَزْمَةُ الْحَرْنَانِيَّةِ مَعَ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ، لَكِنْ تِلْكَ النِّهَايَةُ ذَاتَهَا خَلَقَتْ وَضْعًا خَطِيرًا وَمُتَآزِمًا بِالنِّسْبَةِ لِتِلْكَ الطَّائِفَةِ، لَا سِيَّيَا بَعْدَ أَنْ شَكَّلَتْ فَتَوَى الْأُصْطَخَرِيَّ وَالْحَامِلِيَّ ضَرْبَةً قَوِيَّةً لَا عَتَبَارَهُمْ قَوْمًا يَجْرُونَ بِجَرَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَتَسْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُهُمْ، وَتُؤْخَذُ مِنْهُمْ الْجَزِيَّةُ وَيُقَرَّرُونَ عَلَى دِينِهِمْ، هَذَا مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى كَانَ الْمَخْرَجُ مِنْ تِلْكَ الْمِحْنَةِ وَالَّذِي ارْتَضَاهُ الْخَلِيفَةُ الْقَاهِرُ بِفِدَاءِ أَنْفُسِهِمْ جَعَلَهُمْ أَكْثَرَ عُرْضَةً لِلانْتِزَازِ مُجَدَّدًا.

وَكَانَ مِنْ شَأْنِ مِحْنَةِ الصَّابِئِ فِي عَصْرِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ أَنْ جَعَلَتْهُمْ أَكْثَرَ ارْتِبَاطًا بِأَبْنَاءِ الْمُقْتَدِرِ، فَقَدْ عَادَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ لِسَابِقِ نَفُوذِهِ كَطَبِيبٍ خَاصٍّ لِلْخَلِيفَةِ الرَّاضِيِّ بِاللَّهِ، كَمَا اسْتِعَادَ وَلَدَهُ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ نَفُوذَهُ بِتَنْصِيْبِهِ طَبِيبًا خَاصًّا لِلْمُتَّقِيِّ لِلَّهِ فِيهَا بَعْدَ°³. لَكِنْ الْحَرْنَانِيَّةُ بِبَغْدَادَ لَمْ يَلْبُسُوا

°° ابن أبي أصيبعة: عيُونُ الْآثَبَاءِ، ٣١٠.

°¹ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِي: تَارِيخُ بَغْدَادَ، ٨: ٢٠٨؛ الذَّهَبِيُّ: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، ٢٤: ٢٢٧، الصَّفْدِي: الْوَافِي بِالْوَقَايَاتِ، ١١: ٢٨٧.

°² ابن أبي أصيبعة: الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ٣٢٧.

°³ الْقِطْطِي: إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ، ٧٢؛ الزُّرْكَانِيُّ: الْأَعْلَامُ، قَامُوسُ تَرَاجُمِ الْأَشْهُرِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْتَعَرَبِينَ وَالْمُسْتَشْرَقِينَ، بِيْرُوتَ ١٩٨٠، ٢: ٩٨؛ عَمَرُ رِضَا كَحَّالَةَ: مُعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ، بِيْرُوتَ د.ت.، ٣: ١٠٠.

أَنْ تَعَرَّضُوا لِمِحْنَةٍ أُخْرَى فِي عَصْرِ أَمِيرِ الْأُمَرَاءِ أَبِي الْوَفَا تَوْزُونَ، وَلَا نَكَادُ نَقِفُ عَلَى آيَةٍ تَفَاصِيلُ عَنْهَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ مَا نَقَلَهُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مِنْ خَطِّ الْمُحَسَّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالِ الصَّابِيِّ، فِي مَغْرَضٍ حَدِيثِهِ عَنْ عَمَلِ وَالِدِهِ إِبْرَاهِيمَ هِلَالِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الصَّابِيِّ كَكَاتِبٍ لِلْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ، يَقُولُ يَاقُوتٌ^{٥٤}:-

«مَنْ خَطَّ أَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسَّنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ:
حَدَّثَنِي وَالِدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: وَصِفْتُ وَأَنَا حَدَّثْتُ،
لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ، وَهُوَ يُومِئُذٍ يُخَاطَبُ بِالْأُسْتَاذِ،
فَاسْتَدْعَى عَمِّي أَبَا الْحَسَنِ ثَابِتَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَسَأَلَهُ عَنِّي
وَالْتَمَسَنِي مِنْهُ، وَوَعَدَهُ فِي بَكْلٍ جَمِيلٍ، فَخَاطَبَنِي عَمِّي فِي
ذَلِكَ، وَأَشَارَ عَلَيَّ بِهِ، فَامْتَنَعْتُ لِانْقِطَاعِي إِلَى النَّظَرِ فِي
الْعُلُومِ، وَكُنْتُ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ شَدِيدَ الْحَاجَةِ إِلَى التَّصَرُّفِ،
لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِالنَّكْبَةِ مِنْ تَوْزُونَ^{٥٥}، الَّتِي أَتَتْ عَلَى أُمُومِنَا».

لِمَاذَا أَقْدَمَ تَوْزُونَ عَلَى مُصَادَرَةِ آلِ زَهْرُونَ؟، وَهَلِ اقْتَصَرَتِ الْمُصَادَرَةُ عَلَى آلِ زَهْرُونَ فَحَسَبَ أَمْ شَمِلَتْ جَمِيعَ صَابِنَةِ حَرَّانَ مِنَ الْمُقِيمِينَ بِبَغْدَادٍ؟. تَحْتَمِلُ عِبَارَةُ «النَّكْبَةِ مِنْ تَوْزُونَ الَّتِي أَتَتْ عَلَى أُمُومِنَا» كَلَامَ التَّفْسِيرِينَ مَعًا. تَضَمَّتِ الْمَصَادِرُ تَمَامًا عَنْ أَسْبَابِ تِلْكَ

^{٥٤} مُعْجَمُ الْأَدَبَاءِ، ١: ١٤٤.

^{٥٥} كَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَّقِي قَدْ وَلَّى الْأَمِيرَ التُّرْكِي تَوْزُونَ إِمْرَةً الْأُمَرَاءَ بَعْدَ تَحْلُصِهِ مِنْ نَفْذِ الْبَرِيدِيِّينَ، إِلَّا أَنَّهُ سُرِعَانَ مَا سَاءَتِ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْمُتَّقِي وَتَوْزُونَ بِسَبَبِ رَغْبَةِ الْآخِرِ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ بِالسُّلْطَةِ، فَاسْتَنْصَرَ الْمُتَّقِي بِالْحَمْدَانِيِّينَ، وَمَا لَبِثَ تَوْزُونَ أَنْ خَشِيَ مِنْ عَاقِبَةِ التَّدْخُلِ الْعَسْكَرِيِّ لِلْحَمْدَانِيِّينَ فَأَرْسَلَ يُطْمِئِنُّ الْخَلِيفَةَ، وَوَعَدَهُ إِنْ عَادَ إِلَى بَغْدَادٍ أَنْ يُضِيحَ مِنْ تَمَالِيكِهِ، فَاطْمَأَنَّ الْمُتَّقِي لَوْعُودِ تَوْزُونَ فَعَادَ إِلَى الْعِرَاقِ مُجَدِّدًا، فَعَزَلَهُ تَوْزُونَ بَعْدَ أَنْ سَمَلَ عَيْنَيْهِ، وَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِلْمُسْتَكْفِيِّ بِاللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُوفِيَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَغَرَقَتْ بَغْدَادُ فِي خِضَمٍّ مِنَ الْقَوَاضِي بَعْدَ أَنْ أَلَتْ السُّلْطَةَ الْفَعْلِيَّةَ لِكَاتِبٍ مِنْ كُتَّابِهِ يُدْعَى ابْنَ شِيرَزَادَ، وَكَانَتْ تِلْكَ مُقَدِّمَاتُ دُخُولِ مُعَزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ بَغْدَادَ دُونَ مُقَاوَمَةٍ وَدُونَ إِرَاقَةِ نُقْطَةِ دِمَاءٍ وَاحِدَةٍ، عَنْ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ انْظُرْ:-
مُسْكُوْبَةُ: تِجَارِبُ الْأُمَمِ، ٢: ٦٩-٨٤؛ مَجْهُولٌ: الْعَيُونُ وَالْحَدَاتِقُ، ٤، ق ٢، ٤٠٥-٤٣١ ابن الأثير الكاميل: ١٧٢: ٧ وما بعدها.

المصادرة. فهل أعاد تَوَزُون الكَرَّة وابتزَّ الحرنانيَّة من جديد بفَتْوَى الاضْطَحْرِي والمَحَامِلِي؟، ليس هذا مُستبعدًا، فمع حَاجة الجُنْدِ لِلْمَال في هذا العَصْرِ - المُضطرب سياسيًا - قد يفعل القادة كل ما يُمكنهم للحصول عليه.

لكن اللَّافِت للنَّظَر حقًا - رغم كونه لا يَرْتَبط مُباشرةً بحديث أبي إِسْحَاق الصَّابِئ عن مُصادرة تَوَزُون هُـم - هو ما رَوَاه ابن الأثير في حَواثِر عام ٣٣٢هـ/ ٩٣٣م من أَنَّ الخليفة المُتَّقِي خاف من غدر كَاتِب الأمير تَوَزُون ابن شِيرَزَاد فَأَرْسَلَ إلى الحَمْدَانِيَّين بِالْمَوْصِل يَطْلُب تَجْرِيدَ من الجُنْد ثَامَن خُرُوجَهِ مِنْ بَغْدَاد، وَتَحُولَ دُونَ ظَفَرِ ابن شِيرَزَاد بِهِ، فَأَرْسَلُوا لَهُ فِرْقَةً مِنْ الجُنْد بِقِيَادَةِ الأمير الحُسَيْن بن سَعِيد بن حَمْدَانَ، فَخَرَجَ الخليفة مِنْ بَغْدَاد فِي حَامِيَتِهَا، وَخَرَجَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَعْيَانِ بَغْدَاد وَفِي جُمْلَتِهِمْ ثَابِتُ بن سِنَان بن ثَابِت بن قُرَّة^{٥٦}. إِذْنً فَقَدْ تَخَلَّى ثَابِتُ بن سِنَان عَنْ حَذَرِ أَسْلَافِهِ مِنَ التَّدْخُلِ فِي مَجْرِيَّاتِ السِّيَاسَةِ بِشَكْلِ عُلْنِيٍّ وَدَفَعَهُ وَلَاوَهُ لِلْمُقْتَدِرِ وَأَبْنَائِهِ - أَوْلِيَاءِ نِعْمَتِهِ وَزِعْمَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِ - إِلَى مُنَاصَرَةِ الخليفة المُتَّقِي بِشَكْلِ سَافِرٍ ضِدَّ تَوَزُون، وَرَغِمَ أَنَّ الْمَصَادِرَ لَا تُحَدِّثُنَا عَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا الْمَوْقِفُ هُوَ مَوْقِفُ الحرنانيَّةِ جَمِيعًا مِنْ المُتَّقِي، أَمْ هُوَ مَوْقِفٌ فَرْدِيٌّ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ مِنْ كِبَارِ بَيْتِ آلِ قُرَّةِ فَحَسَبَ، فَلَيْسَ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ - فِي ضَوْءِ هَذَا - أَنْ يَكُونَ الحرنانيَّةُ قَدْ نَاصَرُوا الخليفة المُتَّقِي فِي صِرَاعِهِ ضِدَّ تَوَزُون بِشَكْلِ عُلْنِيٍّ وَسَافِرٍ، وَجَاءَ إِجْرَاءُ تَوَزُونِ بِمُصَادَرَتِهِمْ - عَقِبَ تَخَلُّصِهِ مِنَ المُتَّقِي عام ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م - بِمُثَابَةِ عِقَابِ جَمَاعِي هُـم.

^{٥٦} الكامل، ٧: ١٧٨.

الفصل

الثامن

8

أوضاع الصّابئة في العصور

العبّاسية المتأخّرة

«وقد صغَّ أنّه لا يجوز أن يرقى إلى هذه الرتبة إلا مُسلم، ولا يحتجّ بالصّابئ، وإنه كتب للمطيع والطائع سه خُلفاء بني العبّاس؛ ونعزّ الدولة وعزّ الدولة سه ملوك الدّيلم؛ وهما يومئذ عُندة الإسلام وعُضد القلافة؛ وهو على ديه الصّابئة. فإنّ الصّابئ كان سه أهل ملّة قليل أهلها، ليس لهم ذكر ولا ملكة، وليس منهم محارب لأهل الإسلام، ولا لهم دولة قائمة فتخسى غائلته وتُخاف عاقبته».

القلّشندي

بحلول عام 334هـ/ 945م دفعت الخلافة العباسية ثمنًا باهظًا إزاء استحداث منصب أمير الأمراء، إذ أقدم الخليفة الرّاضي على تلك الخطوة ظنًا منه أنها كفيلة بضبط أحوال البلاد وإعادة الهبة إلى الخلافة، وفي الواقع لم تُؤت هذه الخطوة بثمارها، بل زادت الأمور تعقيدًا، فقد استحكم النزاع بين الخليفة وبين أمير الأمراء على السّطة من جهة، كما تنافس عددٌ كبير من الأمراء على الاستيثار بهذا المنصب الرفيع من جهة أخرى¹، وكتيجة مباشرة لتلك الفوضى وذلك الاضطراب السياسي سقط العراق بأسره فريسة سهلة في أيدي أمراء بني بويه من الشيعة الدّيلم².

كان البويهيون شيعةً على المذهب الزّيدي، لكن ظروف اغتياقهم للتّشيع كانت ظروفًا استثنائية؛ قياسًا لباقي الفرق والطوائف الشّيعية، فقد كان أجداد البويهيين من الدّيلم يديّون - على الأرجح - بإحدى الديانات الوثنية³ التي انتشرت في إقليم ديلمان⁴ حيث يقطنون، ولم يعتنقوا الإسلام إلا على يد الدّاعية العلوي الحسن بن علي

¹ شهد عام 329هـ/ 940م وحده وصول أربعة أمراء إلى هذا المنصب عن طريق استخدام القوة العسكرية، وهم بجكم التركي، وأبو عبد الله البريدي، ومحمد بن رائق، ثم أبي الوفا توزون. للتفصيل انظر: - مسكويه: - تجارب الأمم، 2: 13 وما بعدها.

² الدّيلم هم إحدى القبائل التي تنتمي إلى الشعوب الهندو-أوربية والتي هاجرت في عصور موعلة في القدم من موطنها الأصلي بأواسط آسيا إلى أطرافها وشرق أوربًا، حيث ورد عند المؤرخ الإغريقي بوليبيوس POLYBEIUS في القرن الثاني ق.م الإشارة إلى شعب يُسمى *Delyamaioi* انظر: - S. MINORSKI. *La domination des Daylamites*, Paris, 1932, p 3.

³ يكتنف الغموض ديانة الدّيلم قبل اعتناق الإسلام، لكن المقدسي يقول بأنهم لم يكونوا ينحازون لملة أو يعتنقون أي دين. أحسن التقاسيم، 369، ويذهب ميثورسكي بأنهم ربّما دائوا بإحدى الديانات الوثنية القديمة. MINORSKI : op. cit, p 5.

⁴ وهو نفسه الإقليم الذي أشار إليه بطليموس الجغرافي في القرن الثاني ق.م باسم إقليم *Delymais*، ويجب أن يكون ثمة تفرقة بين إقليم ديلمان قبل وبعد قيام الدولة البويهية، ففي البداية لم يكن مُسمّى بلاد الدّيلم أو ديلمان يُطلق سوى على مساحة صغيرة محصورة داخل مقاطعة جيلان، وهي المنطقة الكائنة بين طبرستان والجبال وبحر الخزر، ليسترنيج: بلدان الخلافة، 207؛ MINORSKI: Ibid. أما بعد قيام الدولة البويهية فقد مال الجغرافيون المسلمون إلى القول بأن إقليم ديلمان يضم كل المقاطعات الواقعة إلى الجنوب من بحر الخزر، ابن حوقل: صورة الأرض، 319؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، 353.

ابن الحسين الملقَّب بالأطروش (ت 304هـ / 916م)⁵. ومن ثم تركت هذه الظروف نفسها تأثيراً كبيراً على نظام حكمهم، وعلى نظرهم لمختلف الفرق والأديان والطوائف. فلم يكن البويهيون يحملون على عاتقهم ثقل صراع دام لقرون مع أهل السنة، لذا كانوا أكثر انفتاحاً على الآخر بالقياس لباقي الفرق الشيعية الأخرى، فلم يجدوا صعوبة تذكر في التعامل مع غيرهم سواء من المسلمين سنة أو شيعة على اختلاف طوائفهم، والحال نفسه مع أهل الذمة على اختلاف نحلهم.

ونظراً لأن الأطلاع السياسية كانت هي ما يُحرِّكهم فقد أبقوا على الخلافة العباسية السنية كما هي، وفي الوقت نفسه خاضوا صراعاً صارياً مع الحمدانيين بالموصل وهم شيعة مثلهم⁶. بل إننا نجد أن تلك الميوعة وعدم وضوح البعد الديني والمذهبي في سياسة بني بويه

⁵ الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقَّب بالأطروش العلوي، أحد أبرز الثوار العلويين ضد الخلافة العباسية، أعلن الثورة على الخليفة المعتذر، وبايعه الدَّيلم بعد أن اعتنقوا الإسلام على يديه، وحاول أحمد بن إسماعيل السَّاماني والي خراسان التصدي له، فهزَّمه واستولى على طبرستان عام 301هـ / 913م وتلقَّب بالإمام الناصر لدين الله. ثم لم يلبث أن توفِّي بآمل سنة 304هـ / 916م. الصفدي: الوافي بالوفيات، 12: 69-70.

⁶ كما لم يعترفوا بشرعية الخلافة الفاطمية في مصر وكانوا شيعة مثلهم أيضاً، انظر: - محمد عبد الحي شعبان: الدولة العباسية، بيروت 1981، 196. وكانت عوامل تلك المرونة الدينية نفسها كامنة في بنية النظام البويهي السياسي نفسه، فقد اعتمد البويهيون على جيشهم في التوسع الذي بدأ من إقليم ديلم، وشمل فارس وأجزاء من بلاد ما وراء النهر، حتى امتد - في أزهي عصور بني بويه - إلى الموصل وديار مصر بإقليم الجزيرة، وكان قوام جيش بني بويه من الدَّيلم الشيعة والأتراك المرتزقة من السنة، وكان صراع على السلطة بين كلا القسمين كفيلاً بإحداث فتنة سرعان ما تأخذ أبعادها المذهبية، ومن ثم كانت لعبة التوازن التي مارسها حُكَّام بني بويه هي ترك الخلافة العباسية السنية على حالها، والعمل على تخفيف حدة الصراع المذهبي بقدر الإمكان، فترك أمراء بني بويه المناصب السياسية الكبرى كالوزارة والقضاء بأيدي السنة، وألحقوا بهم أهل الذمة كمُساعدين لهم في إدارة شؤون الدَّواوين، فكان منهم الكتَّاب، وولاة الدَّواوين، وجُباة القراج، وضامني الضياع والإقطاعات، بل بلغ من تسامح بني بويه تجاه الأقليات الدينية بالسَّاح باستخدام الزرادشتية المجوس في الدَّواوين. كأي سعد بهرام بن أزدشير المجوسي الكتَّاب، وكان أحد كتَّاب ديوان الرِّسائل المرموقين في عصر عز الدولة بُختيار، وأبي سهل سعيد بن الفضل المجوسي، والذي عمل ككتَّاب بديوان الرِّسائل انظر: - رسائل الصَّايغ، نسخة عاشر أفندي، ورقة 80 ظ. ، ونسخة دار الكتب المصرية، ورقة 85 ظ؛ ونسخة تَشيسر بيتي ورقة 101و.

قَادَ الْبَاحِثِينَ لِلتَّخَبُّطِ فِي تَحْدِيدِ مَا إِذَا كَانُوا شِيعَةً عَلَى الْمَذْهَبِ الزَّيْدِيِّ أَمْ الْإِمَامِيِّ الْإِسْنِيِّ عَشْرِي، وَهُوَ الْمَذْهَبُ الْأَوْسَعُ انْتِشَارًا بَيْنَ الشَّيْعَةِ فِي فَارَس⁷.

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَى عَصْرِ بَنِي بُوَيَه - إجمالاً - لَقَبَ الْعَصْرِ الذَّهَبِيِّ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ بِالْعِرَاقِ، فَقَدْ مَالَ الْبُويهيُّونَ إِلَى الْاعْتِمَادِ عَلَيْهِمْ، وَبِصِفَةِ خَاصَّةٍ طَائِفَتِي النَّصَارَى وَالصَّابئة. وَهُوَ تَوَجُّهُ ذَكِي، حَيْثُ أَنَّ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ يَعْنِيهِمَا سِوَى تَحْقِيقِ أَكْبَرِ نَفُوذٍ مُمَكِّنٍ، وَأَكْبَرِ مَكَاسِبٍ مَادِيَّةٍ دُونَ الْاِسْتِثَارِ بِالسُّلْطَةِ نَفْسَهَا، كَوْنِهِمْ يَفْتَقِرُونَ إِلَى أَهَمِّ مُقَوِّمَاتِهَا وَهِيَ الْإِسْلَامُ بِحَسَبِ شُرُوطِ الْوَلَايَةِ فِي الْاضْطِلَاحِ الْفِقْهِيِّ الْإِسْلَامِيِّ⁸. لَيْسَ مِنَ الْغَرِيبِ إِذْنُ أَنْ تَزْدَهَرِ أَوْضَاعُ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِشَكْلِ عَامٍ فِي ظِلِّ حُكْمِ بَنِي بُوَيَه، وَأَنْ تَنْتَعِشَ أَوْضَاعُهُمُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ، وَأَنْ يَزْدَادَ نَفُوذُهُمْ، فَالاطَّلَاعُ عَلَى الرَّسَائِلِ ذَاتِ الصَّبْغَةِ الرَّسْمِيَّةِ فِي رِسَائِلِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي الَّذِي شَغَلَ مَنْصِبَ مُتَوَلِّي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ كَفَيْلٍ بَيَاضَاحَ سِيَاسَةَ بَنِي بُوَيَه فِي خَلْقِ مَسَاحَاتٍ وَاسِعَةٍ مِنَ التَّوَازُنِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ بَلْ وَمَنْ يَجْرُونَ مَجْرَاهُمْ أَيْضًا.

لِذَا كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَزْدَادَ نَفُوذُ الصَّابئةِ فِي الْعَصْرِ الْبُويهيِّ، فَقَدْ مَثَلَ التَّسَامُحُ

⁷ يَعْتَقِدُ كَلُودُ كَاهَنَ أَنَّ بَنِي بُوَيَه كَانُوا أَقْرَبَ إِلَى الْإِمَامِيَّةِ الْإِسْنِيِّ عَشْرِيَّةٍ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ، انْظُرْ مَقَالَهُ: - بَنُو بُوَيَه، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، 8: 465، وَلَا رَيْبَ لَوْ أَنَّهُ قَدَّرَ لِكَاهَنَ الْاطَّلَاعَ قَبْلَ وَفَاتِهِ عَلَى الْمَجْمُوعَةِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي تَمَّ الْعُثُورُ عَلَيْهَا وَنَشَرَهَا مِنْ كِتَابَاتِ الْأَثَمَةِ الزَّيْدِيَّةِ لَغَيَّرَ رَأْيَهُ، فَمَنْ خَلَّاهَا نَلْمَسُ بَوْضُوحَ أَنَّ حُكَّامَ بَنِي بُوَيَه ظَلُّوا عَلَى الْوَلَاءِ وَالتَّبَعِيَّةِ لِلدَّعَاةِ الْعَلَوِيِّينَ الزَّيْدِيَّةِ، حَيْثُ ظَلَّ عِبَادُ الدَّوْلَةِ بَنُو بُوَيَه يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ قَائِدَ جَيْشِ الْإِمَامِ الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ الْمَهْدِيِّ لِدِينِ اللَّهِ الزَّيْدِيِّ، بَيْنَمَا قَامَ مُعَزُّ الدَّوْلَةِ بِدَعْوَةِ هَذَا الْإِمَامِ إِلَى بَعْدَادَ لِيَتَّبِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ، لَكِنَّهُ عَادَ وَخَشِيَ عَاقِبَةَ تَصَرُّفِهِ لِأَسْبَابٍ سِيَاسِيَّةٍ بَخْتَةٍ، انْظُرْ: - الْإِمَامُ النَّاطِقُ بِالْحَقِّ: الْإِفَادَةُ مِنْ تَارِيخِ الْأَثَمَةِ السَّادَةِ، ضَمَّنَ كِتَابَ أَخْبَارِ الْأَثَمَةِ الزَّيْدِيَّةِ، 103، مُحَمَّدُ بْنُ الْمُحَلَّى: الْحَدَاتِقُ الْوَرْدِيَّةُ فِي مَنَاقِبِ الْأَثَمَةِ الزَّيْدِيَّةِ، ضَمَّنَ كِتَابَ أَخْبَارِ الْأَثَمَةِ الزَّيْدِيَّةِ، 247.

⁸ الْمَاوَرْدِيُّ: الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ، 30؛ JOHN J. DONOHUE: *The Buwayhid dynasty in Iraq 334H. / 945 to*

403 H./1012, Leiden 2003, p 189.

الذي أبداه بنو بويه تجاه أهل الدِّمة تشجيعاً لهم على لعب دور أكثر زخماً على السَّاحة، وساعدهم ذلك المناخ المواتي عن التَّخَلِّي تماماً عن الحذر الذي التزموه تجاه المناصب ذات الطَّبيعة السِّياسِيَّة من ذي قبل، حتى أنَّ أحدهم - وهو أبو إسحاق الصَّابِي - استُخْلِفَ عدَّة مرَّات للقيام بمهامِّ الوَزيز، بل وكاد أن يلي الوَزارَة نفسها، وهي سابقةٌ ليس لها مثيلٌ في تاريخ الخِلافة العبَّاسِيَّة.

والشَّيء الملاحظ في هذا الطُّور من تاريخ الصَّابِنة هو انجسار دور آل قُرَّة الرُّعَماء التقليديِّين للصَّابِنة الحرَّانيَّة، وبروز دور آل زهرون الصَّابِي بنفوذهم الكبير في العصر البُويهي، وقد يتبادر إلى الدَّهن السَّاؤل عن ماهِيَّة تلك العوامل التي أدَّت إلى تراجع دور آل ثابت بن قُرَّة مُؤسِّس نِعْمة الصَّابِنة ببغداد على حد تعبير المؤرِّخين المُعاصرين. لقد سبق لنا وأن تناولنا الأحداث التي واكبت نكبة الحرَّانيَّة في عصر القَاهِر بالله من فشل آل قُرَّة في التَّصدي لِأزمَتهم مع الخليفة، بل وهرب رؤسائهم من وجْهه، واعتناق رئيس الطَّائفة للإسلام، في حين استطاع آل زهرون التَّوصل إلى اتِّفَاقٍ مع الخليفة، يضمن بقاء الطَّائفة على دينها. يُضاف إلى ذلك أن النَّابِيين من آل زهرون لم يسلكوا نفس مسلك آل قُرَّة بظهورهم كَنُخْبة من المُثَقِّفين والعُلَماء والأطباء ومُنَادِمي الخُلفاء للحصول على النُّفوذ والجاه، كما سلك أمثالهم من آل قُرَّة من قبل، بل استند نفوذهم إلى مناصب رسميَّة.

ويُمكن القول بأن الصَّابِنة في هذا الدَّور كانوا قد تعلَّموا درساً لا يُنسى خلال مُحنَّتهم أيام القَاهِر بالله. ولعلَّ ذلك أسَّهم في تغيير منهجهم من التَّقرب من الحُكَّام فَحَسْب وخدمتهم بعلومهم التي برعوا فيها - وعلى رأسها الطَّب - إلى السَّعي لتسلُّم زمام السُّلطة نفسها، وهو ما يُعدُّ استجابة ذكيَّة وسريعة لِمُقْتَضَيات الوضع الجديِّد الذي خلقه سيطرة البُويهيِّين على مقاليد السُّلطة بالعراق. هذا في الوقت الذي استمرَّ فيه آل قُرَّة في طريقتهم القَدِيمة في استِغْلال التَّمَوُّق العِلْمي للوصول إلى النُّفوذ. إن التَّأمُّل في تلك الأسْطر التي نقلها ياقوت الحموي عن هلال بن المُحسِّن الصَّابِي عن كَيْفِيَّة صُعُود نجم جدِّه أبي إسحاق الصَّابِي كافِية لإظهار كيف نجح آل زهرون في تخطِّي الحواجز النَّفْسِيَّة التي كانت تحُول بينهم وبين

الأنخراط في الحياة السَّياسِيَّة بشكلٍ فعَّال، يقول ياقوت⁹:-

«وحدَّث جلال بن المحسَّن: حدثني جدِّي أبو إسحاق
- ثم وجدت هذا الخبر بخطَّ المحسَّن بن إبراهيم - قال:
حدَّثني والدي أبو إسحاق، قال: كَانَ والدي أَبُو الحسن
يُلزِمُنِي فِي الْحَدَاثَةِ وَالصَّبَا قِرَاءَةَ كُتُبِ الطَّبِّ، وَالتَّحْلِي
بصنَاعته، وَيُنْهَانِي عَنِ التَّعَرُّضِ لغير ذلك، فَقَوِّتُ فِيهَا قُوَّةً
شَدِيدَةً، وَجَعَلَ لِي بِرِسْمِ الخِدْمَةِ فِي الْبَيْمَارِسْتَانِ عَشْرُونَ¹⁰
دِينَارًا فِي كُلِّ شَهْرٍ. وَكُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الرُّؤَسَاءِ،
خِلَافَةً لَهُ، وَنِيَابَةً عَنْهُ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ كَارَهُ لِلطَّبِّ، وَكَانَ إِذَا
أَحْسَسْتُ بِهَذَا مَتْنًى، يُعَاتِبُنِي عَلَيْهِ، وَيُنْهَانِي عَنْهُ، وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، لَا
تَغْدِلُ عَنْ صِنَاعَةِ أَسْلَافِكَ».

إن تتبَّع مراحل ترقِّي أبي إسحاق الصَّابِي وصعود نجمه خلال النُّصف الثَّاني من القرن
الرَّابِع الهجري/ العاشر الميلادي من خلال المَصَادِر المُعاصرة يعد أمرًا غايَةً فِي الصُّعُوبَةِ، ذَلِكَ
أَنَّ تِلْكَ المَصَادِر لَمْ تُرَكِّزْ إِلَّا عَلَى وَلايَةِ أَبِي إِسْحَاقَ لِدِيَوَانَ الْإِنْشَاءِ، ثُمَّ عَزَمَ عِزُّ الدَّوْلَةِ بُخْتِيَارَ
عَلَى تَوَلِّيَتِهِ الْوِزَارَةَ فِيمَا بَعْدَ، لَكِنَّ الْعَدِيدَ مِنْ تِلْكَ الْمَرَاكِجِ يُمكنُ تَتَبُّعُهُ مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الرِّسَالِ
الرَّسْمِيَةِ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ فِي عَهْدِهِ، فَقَدْ عَمِلَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي كَاتِبًا لِبَعْضِ
الرُّؤَسَاءِ فِي بَادئِ أَمْرِهِ¹¹، وَتَارِيخُ التَّحَاقُّقِ بِالْعَمَلِ ككَاتِبٍ بِدِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ غَيْرَ مُحَقَّقٍ، لَكِنَّهُ مَعَ
دُخُولِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِغَدَادَ كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي وَاحِدًا مِنْ أَشْهُرِ الْكُتَّابِ بِدِيَوَانِ الرِّسَالِ،

⁹ ياقوت الحموي: مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، 1: 142-143.

¹⁰ كَذَا وَرَدَتْ عِنْدَ يَاقُوتَ، وَصَوَابُهَا عَشْرِينَ.

¹¹ ياقوت الحموي: مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، 1: 142.

وقد التحق بخدمة الوزير أبي مُحَمَّد الحسن بن مُحَمَّد المهَلَّبِي (ت 352هـ / 963م)¹²، وصار من أشدَّ خواصِّه قُرْبًا وإثرة، حتى قيل أنَّه لم يكن يرى الدُّنيا إلَّا به¹³. وقد أهَّلته تلك المكانة من الوزير المهَلَّبِي أن يُخاطب الأمير مُعزَّ الدَّولة في شأن ولاية أبي إِسْحَاق ديوان الإنشاء عقب وفاة مُتوَلِّيه أبي إِسْحَاق بن ثَوَابَة عام 349هـ / 960م¹⁴. وحتى عام 351هـ / 962م لم يُسند لأبي إِسْحَاق أي منصبٍ آخر بخلاف رئاسته لديوان الرِّسائل. نفهم ذلك بجلَاء من خلال صدر إحدى الرِّسائل المؤرَّخة بهذا العام، كتبتها عن الخليفة المُطيع لله، بشأن نقل خراج سنة 350هـ / 961م إلى سنة 351هـ / 962م، وفيها وصف أبو إِسْحَاق نفسه بصاحب ديوان الرِّسائل¹⁵.

وفي عام 352هـ / 963م استخلف الوزير المهَلَّبِي أبي إِسْحَاق الصَّابِي ليقوم بمهام الوزير في غيَّته، عندما أمَّره مُعزَّ الدَّولة بالخروج مع الجيش إلى عَمَّان لطرد القرامطة منها¹⁶. وكانت تلك هي المرة الأولى التي يجمعُ فيها أبو إِسْحَاق بين الوزارة وبين رئاسة ديوان الإنشاء، وهي أرفع مرتبة وصل إليها ذمِّي في تاريخ الدَّولة العبَّاسية، ففي رسالة لأبي إِسْحَاق الصَّابِي أُرسلها مُهنِّئًا الوزير المهَلَّبِي على نجاحه في طرد القرامطة من عَمَّان وإعادتها لسيادة بني بُويه مؤرَّخة بعام 352هـ / 963م تطرَّق أبو إِسْحَاق الصَّابِي إلى شكر الوزير مُمتنًّا له على ثِقته به في استخلافه وتوَلَّيته مهام الوزارة أثناء غيَّته، ومُعَدِّدًا أيَّاده عليه¹⁷.

¹² كان خليفة أبي جعفر الصَّيمري وزير مُعزَّ الدولة التُّوفِي 337هـ / 948م، وعندما خلا منصب الوزير بوفاته الصَّيمري ولَّاه مُعزَّ الدولة الوزارة، ابن الأثير: الكامل، 7: 233.

¹³ ياقوت: مُعجم الأدياء، 1: 132.

¹⁴ ابن الأثير: الكامل، 7: 268؛ الحمَّاني: تكملة تاريخ الطُّبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1982، 391؛ الدَّهبي: تاريخ الإسلام، 27: 75؛ ابن خُلِّكان: وفيات الأعيان، 1: 52؛ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العبَّاسي الثاني، دار المعارف، القاهرة 1973، 561؛ فيه: أحوال النَّصارى، 228.

¹⁵ رسائل الصَّابِي، نُسخة عاشر أفندي، ورقة 88ظ.

¹⁶ مسكويه: تجارب الأمم، 2: 196؛ ابن الأثير: الكامل، 7: 278.

¹⁷ رسائل الصَّابِي، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 29 و.

وقد نال أبا إسحاق ضررٌ بعد وفاة الوزير المهلبّي في طريق عودته من عُمان إلى بغداد عام 352هـ/ 963م، فأمر مُعزُّ الدّولة بمُصادرة ورثته وكتّابه جميعًا، وذلك في محاولة منه لتدأرك العَجْز المَالِي الذي أَصَاب خزانة الدّولة قُبيل وفاة المهلبّي¹⁸، إلا أنّهُ سرعان ما عفا عن أبي إسحاق، ففي صدر إحدى الرّسائل غير المؤرّخة أُرسلها شَخْصٌ يُدعى أَبُو علي بن محمد الأتباري، وصفَ فيها أبا إسحاق الصّابيّ بخليفة الوزير أبي الفضل العبّاس بن الحسين الشّيرازي بحضرة الأمير مُعزّ الدّولة¹⁹. وهذه هي المرّة الثّانية التي نعرف فيها أن أبا إسحاق شغل منصب خليفة الوزير، وهو ما يثني بكفاءته الإداريّة، وثقة مُعزّ الدّولة به.

وكان من الطّبيعي أن يُولي الأمير عزّ الدّولة بُختيار ثقته لخواصّ والده، وفي مُقدّمَتهم أبي إسحاق الصّابيّ، فعقب وفاة مُعزّ الدّولة عام 356هـ/ 966م أعاد الوزير أبو الفضل العبّاس بن الحسين الشّيرازي تقليد ديوان الرّسائل لأبي إسحاق الصّابيّ، ثم لم يلبث أن نَصَبَهُ أميرًا على البصرة فجمع بذلك بين ديوان الرّسائل وإمارة البصرة، فاستخلف على ديوان الرّسائل ببغداد ابن عمّه أبي الخطّاب المُفضّل بن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الصّابيّ، وهذا ما نفهمه بجلاء من صدر إحدى الرّسائل الدّيوانيّة التي أُرسلها أبو الخطّاب للأمير عزّ الدّولة²⁰. وفي صدر رسالة أخرى أُرسلها أبو إسحاق إلى أبي أحمد الحسين بن موسى العلوي نقيب الطّالبيّين وصف فيها نفسه بأمر البصرة²¹.

ورغم أن كِلتا الرّسالتان غير مؤرّختين إلا أنّهُ ليس من الصّعب تحديد تاريخها بدقّة، فمن المعروف أن دخول الوزير الشّيرازي البصرة عنوة جاء في أعقاب عصيان الأمير حبّشي ابن مُعزّ الدّولة لأخيه عزّ الدّولة بُختيار، وامتناعه عن مُبايعته بالإمارة خلفًا لوالده، فأمر

¹⁸ ابن الأثير: الكامل، 7: 287؛ ياقوت الحموي: مُعجم الأدباء، 1: 133.

¹⁹ رسائل الصّابيّ، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 6و؛ نسخة تشيستر بيتي، ورقة 56ظ، نُسخة عاشر أفندي، ورقة 118 اظ.

²⁰ رسائل الصّابيّ، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 19 اظ.

²¹ رسائل الصّابيّ، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 12 و.

بُخْتِيار وزيره الشيرازي بالتوجه للبصرة وإعادة الأمور إلى نصابها، وتمكّن الشيرازي بالفعل من دخول البصرة بعد مقاومةٍ سيرة، وأسر حبشي وأرسله إلى بُخْتِيار عام 357هـ/ 967م²²، وبذلك نفهم من كلتا الرّسالتين أنّ بُخْتِيار ولّى إمرة البصرة لأبي إسحاق الصّابي بعد عزل أخيه حبشي عن إمارتها عام 357هـ/ 967م، وفي الوقت ذاته أقرّه على رئاسة ديوان الإنشاء بحضرته ببغداد، فتوجّه أبو إسحاق إلى البصرة، واستخلف على ديوان الرّسائل ابن عمّه أبي الخطّاب المُفَضَّل بن ثابت بن إبراهيم. وهذا من شأنه أن يُعطينا فكرةً عن النفوذ الواسع لآل زهرون في الحياة السّياسية وقتئذٍ.

كذلك نجد في ثانيا إحدى الرّسائل التي أرسلها أبو إسحاق الصّابي إلى أحد أصدقائه بواسط - وهي غير مؤرّخة أيضًا - يُعبّر له فيها عن سعادته بتولية الأمير بُخْتِيار له النّظر في أمور واسط²³. ولا نستطيع تحديد ما إذا كانت ولاية أبي إسحاق لواسط قد جاءت بعد ولايته على البصرة أم قبلها، وهل جاءت علاوةً على ولايته للبصرة ولديوان الرّسائل معاً أم عُزل عن إحداهما أو كليتهما.

على أيّ حال فلم يلبث بُخْتِيار أن انقلب على وزيره العبّاس بن الحُسين الشيرازي وعزله وصّادره عام 362هـ/ 972م²⁴، ومن غير المعروف على وجه التّحديد سبب انقِلاب الأمير البُوَيْهي على وزيره، ولكن - وعلى ما يبدو - لعب أبو إسحاق الصّابي دوراً ما في ذلك، لأنّ الوزير أبا العبّاس عندما عاد إلى الوزارة مرّةً ثانية في نفس العام كان أوّل ما فعله هو مُصادرة أملاك أبي إسحاق وآله وإقطاعيّهم بما فيهم والدته نفسُها، ممّا استدعى من أبي إسحاق أن يكتب له مُستجدياً إياه أن يُطلق له ماله وإقطاعاته التي صّادها الوزير، ويُقسم له بأنّه برئ ممّا يتّهمه به الوزير بشأن الإيقاع به عند الأمير بُخْتِيار²⁵.

²² ابن الأثير: الكامل، 7: 304.

²³ رسائل الصّابي، نُسخة مكتبة جامعة ليّدن، ورقة 100 ظ.

²⁴ ابن الأثير: الكامل، 7: 337.

²⁵ رسائل الصّابي، نُسخة تشيستر بيتي، ورقة 73 و. ونُسخة مجلّسي سُوراي إيران، ورقة 71 ظ.

وسُرعان ما عزل بُختيار وزيره الشِّيرازي، وعزم على تولية أبي إِسْحَاق الصَّابِئ للوزارة إنْ هُوَ أَسلم، فطيقاً لقواعد الولايات الشَّرعية - التي استقر عليها الفُقهَاء آنذاك - يُجوز استخدام أهل الذِّمة في الولايات الصُّغرى إنْ كانوا أَهلاً لها، أما الولايات الكُبرى كالإمامة والوزارة وإمارة الجيْش والقضاء فلا تُعقد إلا لِمُسْلِم مُستوفٍ لشُروطها²⁶، وبالتالي لم يَكُنْ أمام بُختيار إلا أنْ يعرض الإسلام على أبي إِسْحَاق الصَّابِئ قبل أنْ يُؤليه النُّظر في شُئون الوزارة، ولما كان أَبُو إِسْحَاق الصَّابِئ معروفاً بالتَّشدد في دينه فقد رَفَضَ اعتناق الإسلام²⁷. وفيما يبدو لجأ بُختيار إِزاءَ تَصَلُّبِ موقف أبي إِسْحَاق إلى توليته مهام الوزارة بشكلٍ فِعْليٍّ دون تسميته بها، وهذا ما نُسْتَتِجُه بشكلٍ غير مُبايِثٍ من خلال رسالة تعزية أُرسلها أَبُو إِسْحَاق من واسط إلى عمِّه ورئيس الطائفة أبي الحَسَن ثابت بن زهُرُون، يُعزِّيه في ولده أبي الخطَّاب المُفَضَّل بن ثابت والذي كان يشغل منْصِبَ رئيس ديوان الإنشاء بالوكالة عن أبي إِسْحَاق بِيَعْدَاد، وقد اعتذر أَبُو إِسْحَاق لعمِّه عن حُضور الجنازة وتلقِّي العزاء مُتعلِّلاً بأن خِدمة الأمير كلها مُنوطَةٌ به، وأنه لا يسعه التملُّس منها على حدِّ قوله²⁸، وهذا العذر الذي قدَّمه أَبُو إِسْحَاق قد يُشجِّع على القول بأنَّ بُختيار اعتمد على أبي إِسْحَاق لإدارة شُئون البلاد بعد رفض أبي إِسْحَاق للوزارة، أي أنَّ بُختيار كلَّفَه بالقيام بمهام الوزير دون تسميته بهذا اللُّقب.

على أيِّ حال فلم يلبث أَبُو الحَسَن ثابت بن إبراهيم بن زهُرُون الحرَّاني - رئيس الطائفة - أنْ تُوفِّي عام 365هـ/975م²⁹. وعقب وفاته غرقت الطائفة في خضمٍّ من الفوضى نتيجة عدم اتِّفاقها على رئيس، وكان أَبُو إِسْحَاق الصَّابِئ يرى أنَّه أحقُّ برئاسة الطائفة ببغداد من

²⁶ المأوردي: الوزارة، تحقيق مُحمَّد سليمان داود، فؤاد عبد المنعم أحمد، القاهرة 1976، 34 - 35.

²⁷ الثَّعالبي: يتيمة الذَّهر، 2: 233؛ الذَّهبي: تاريخ الإسلام، 27: 75؛ العِبر في خبر من غَبر، 2: 164؛ ابن تَغري بردي: النجوم الزَّاهرة، 4: 169؛ الصَّفدي: الوافي بالوفيات، 6: 101-102؛ ابن خُلِّكان: وفیات

الأعيان، 1: 52؛ ياقوت الحموي: مُعْجَم الأَدبَاء، 1: 131؛ JOHN J. DONOHUE: *The Buwayhid*, p 188.

²⁸ رسائل أبي إِسْحَاق الصَّابِئ، نسخة تشيستر بيتي، ورقة 30 ظ.

²⁹ ابن أبي أصيبعة: عيُون الأَثَبَاء، 311.

غيره، بإزاء نفوذه المتعظيم في بلاط البُويهيّين، وحاول الظهور بمظهر زعيم الطائفة رغم المعارضة الشديدة من جانب أقربائه من آل زهرون الأكبر سنّاً منه، ومن آل قُرّة الذين نقموا اختكار آل زهرون لهذا المنصب. هذا ما نفهمه بجلاء من شكوى أبي إسحاق في رسالته لشيخ الطائفة بحرّان نير بن حكيم بن يحيى، وهي وثيقة على جانب كبير من الأهمية في معرض دراسة أوضاع الحرّانية ببغداد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. يقول أبو إسحاق³⁰:-

«.... ووجدتُ أكثر أسباب هذا الضعف والوهن إنّه هو عدم الرّئيس الرّاعي، وتخاذل الرعيّة المرؤوسّة، ونشوءها على سوء الطّاعة، وفساد العادة، وتشتّت السّمل والجماعة، فكل واحد منها يرى أنّ الأمر لا يَنْتَظِم إلّا به وخده، وأنّ قِسطه الأقلّ مِنْه، ومتى أقاموا على هذا الرّأي وعمّهم الدُّخول فيه تداعي البُنيان، وتضعُضت الأركان، واستمرّ الانتشار بعد الانتظام، وإذا همّمتنا بتقليد الأمر من يقوم [به]، ومن يُوجب للشرعية نصبه والاتباع له؛ لم يجد الاختيار يتفق، ولا التّساعد يقع، ثم إن وقعاً واجتمعاً؛ لم ينشط المنصوص عليه، وامتنع أشدّ الامتناع؛ لما يراه من ضيق الأحوال وفتور النّيات، ونقصان الطّاعة، وتضييع الفروض، والاستيخفاف بالحقوق، وهذا داءٌ نحن أطبّاؤه، وعليّنا وعندنا دواؤه، ومتى قعدنا عنه فقد لحقنا بطبقة العامّة في الفشل وترك العمل، وأخللنا بها أوجه الله علينا من الاجتهاد الذي لا عُذر لمن ترّكه، ولا حُجّة بمن صدّف عنه».

³⁰ رسائل الصّائغ، نُسخة مجلّسي سُوراي إيران، ورقة 82و.

وكَيْفَمَا كَانَ الْأَمْرُ فَإِنَّ النُّفُوزَ الْكَبِيرَ لِأَبِي إِسْحَاقَ جَعَلَهُ عَمَلِيًّا الرَّئِيسَ الْفِعْلِيَّ لِلطَّائِفَةِ غَيْرِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ، لَيْسَ فَقَطْ لِعَامَّةٍ صَابِئَةٍ بِغَدَادٍ مِنَ الْحِرْنَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا لِلصَّابِئَةِ فِي حَرَّانَ وَالرَّقَّةِ وَدِيَارٍ مُضَرٍ بِأَكْمَلِهَا، حَتَّى إِنَّهُ مِنَ الْمُدْهَشِ أَنْ نَجِدَ أَنْ نَفُوزَهُ قَدْ تَخَطَّى حُدُودَ الدَّوْلَةِ الْبُيُوتِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَانَ يُخَاطَبُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّةِ - رَغْمَ الْعَدَاوَةِ الَّتِي كَانَ الْحَمْدَانِيُّونَ يَكْتُونُهَا لِلْبُيُوتِيِّينَ - بِاسْمِ طَائِفَتِهِ. وَأَنَّ الْحِرْنَانِيَّةَ بِالرَّقَّةِ كَانُوا يَسْتَنْجِدُونَ بِهِ لِيَتَدَخَّلَ إِذَا مَا أَصَابَهُمْ ظُلْمٌ أَوْ عَسْفٌ، يَبْدُو ذَلِكَ وَاضِحًا خِلَالَ رِسَالَةٍ مِنْ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِئِيِّ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّةِ يَسْتَجِدِيهِ لِإِطْلَاقِ مِيرَاثِ أَحَدِ بَنِي جَلَدَتِهِ تَوْفِيَّ بِالرَّقَّةِ وَصَادَرَتِ الدَّوْلَةُ تَرَكَّتَهُ كَوْنَهُ لَمْ يُخْلَفْ ذِكْرًا لِرِثَّتِهِ³¹.

كَمَا عَمِلَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِئِيُّ عَلَى اسْتِغْلَالِ نَفُوزِهِ كَوْزِيرٍ فَعَلِيٍّ لِعَزِّ الدَّوْلَةِ بِخُتْيَارٍ وَلِلْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلْحَصُولِ عَلَى اعْتِرَافٍ رَسْمِيٍّ مِنَ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ بِذِمَّةِ طَائِفَتِهِ وَحَقُوقِهَا، فَاسْتِطَاعَ الْحَصُولَ - لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مِنْذُ عَصْرِ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - عَلَى اعْتِرَافٍ رَسْمِيٍّ مِنْ قَبْلِ الْخِلَافَةِ بِطَائِفَتِهِ، عَلَى شَكْلِ مَنْشُورِ أَمَانٍ صَادَرَ عَنِ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ؛ يَعْتَرِفُ فِيهِ بِصَابِئَةِ حَرَّانَ كَأَهْلِ ذِمَّةٍ هُمْ مَا لِأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ، لِحُسْنِ الْحِظِّ فَقَدْ وَصَلَتْنَا الصُّورَةَ الرَّسْمِيَّةَ لِذَلِكَ الْمَنْشُورِ ضِمْنَ دِيْوَانِ رِسَائِلِهِ³²:-

نُسْخَةٌ مَنْشُورِ كِتَابٍ لِلصَّابِئِينَ الْمُقِيمِينَ بِحَرَّانَ وَالرَّقَّةِ وَدِيَارٍ

مُضَرٍ

هَذَا كِتَابٌ مَنْشُورٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْكَرِيمِ لِلْجَمَاعَةِ

الصَّابِئِينَ الْمُقِيمِينَ بِحَرَّانَ وَالرَّقَّةِ وَدِيَارٍ مُضَرٍ:-

³¹ رسائل الصابئ، نسخة تشيستر بيتي، ورقة 96 ظ.

³² رسائل الصابئ، نسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقات 212 و - 213 و.

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ بِصِيَانَتِكُمْ وَحِرَاسَتِكُمْ، وَالذَّبَّ
عَنْ حَرِيمِكُمْ، وَالْحَيَاطَةَ مِنْ وِرَائِكُمْ، وَدَفْعَ الظُّلْمِ وَالظَّيْمِ
عَنْكُمْ، وَتَوْفِيتَكُمْ مَا يُوجِبُهُ الْعَهْدُ وَالذِّمَّةُ لَكُمْ، وَإِنْصَافَكُمْ فِيهَا
يُجْتَنَبُ مِنْ حَوَالِكُمْ، وَحَمْلَكُمْ فِيهَا عَلَى عَادِلٍ رُسُومِكُمْ،
وَالْتَحْلِيلَةَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَوَارِيثِكُمُ الْحُشْرَةَ³³ وَغَيْرَهَا. أَصُولُهَا
وَفُصُولُهَا، وَكَثِيرُهَا وَقَلِيلُهَا، وَتَرْكُ مُدَاخَلَتِكُمْ فِيهَا،
وَمُشَارَكَتِكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ كُلِّهَا، إِذْ
كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى فِيهَا - وَفِي مَوَارِيثِ الْمُخَالِفِينَ بِأَسْرِهَا
- رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فِي الْأَثَرِ الثَّابِتِ عَنْهُ،
إِذْ يَقُولُ: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مَلَّتَيْنِ». وَتَمَكِينُكُمْ مِنْ حُضُورِ
مُصَلِّيَاتِكُمْ، وَمَسَاجِدِكُمْ وَمَجَامِعِكُمْ وَمَشَاهِدِكُمْ؛ لِإِقَامَةِ
فَرَائِضِ دِينِكُمْ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَاتُكُمْ، مِنْ غَيْرِ مَنَعٍ لَكُمْ،
وَلَا إِلْحَاقِ أَذْيَةٍ، وَلَا هَضِيمَةٍ بِكُمْ.

فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرِهِ، وَلْيَعْمَلْ بِهِ
جَمِيعٌ مِنْ غُرَضِ هَذَا الْكِتَابِ عَلَيْهِ مِنْ وُلاَةِ الْحَرَجِ، وَالْمُعُونَةِ،
وَالْأَحْكَامِ، وَالْمَوَارِيثِ، وَالْحِسْبَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمِنْ
خَاصَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ، وَلِيَحْذَرُوا مِنْ مُخَالَفَتِهِ وَالتَّجَاوُزِ
لَهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

³³ الموارث الحشرية هي تركات من يقضون نخبهم دون وريث شرعي، وكان الفقهاء يرون أن تؤول ثروات من يموتون دون وريث إلى الإمام ليتصرف بها في وجوه البر، ومن ثم أنشيء ديوان خاص للموارث الحشرية، كان موكلاً بالاستيلاء على تلك التركات. وامتد عمل هذا الديوان - لا سيما في أوقات الأزمات الاقتصادية - لتركات أهل الذمة الذين يقضون دون ورثة، وكان هناك نزاعاً بين أهل الذمة وبين المسلمين حول شرعية ما يقوم به الديوان من الاستيلاء على أموال أهل الذمة ممن لا وريث لهم، ليس أولها أن الديوان كان يطبق الشريعة الإسلامية على أهل الذمة فيما يخص الإزث دون الرجوع إلى شرائعهم، وليس آخرها مطالبة كل طائفة من طوائف أهل الذمة بأن تؤول تلك التركات إلى الطائفة نفسها، وليس إلى بيت مال المسلمين. للتفصيل حول ديوان الموارث الحشرية وآليات عمله، والجدل الفقهي الذي ثار حول مدى شرعيته انظر: - قدامة بن جعفر: الحراج وصناعة الكتابة، 245 وما بعدها.

إنَّ ما يُلفت النَّظر في ذلك العهد هو عَدَم الإشارة إلى الحرنائيَّة ببغداد والبصرة وواسط والبطائح، واكتفاء العهد بالإشارة للصَّابئة المقيمين بحرَّان والرَّقة وديار مُضر بأسرها، وربَّما كان المغزى السَّياسي وراء اكتفاء المنشور بالإشارة لتلك البقاع أنها كانت خاضعة إجمالاً لسلطان الحمدانيِّين، لذا فإنَّ هذا المنشور كان مُوجَّهاً للحمدانيِّين بالدرجة الأولى، وربَّما يشجِّع هذا على القول بصُدور نُسختين من المنشور: خصَّت الأولى الحرنائيَّة بالبِقاع التي كان يُسيطر عليها البُويهيِّين كبغداد والبصرة وواسط والبطائح وغيرها، فيما قصد هذا المنشور الصَّابئة تحت حُكم الحمدانيِّين.

ولا شكَّ أنَّ استصدار منشور رسميٍّ بهذه القوَّة يتضمَّن الاعتراف بحقوق الصَّابئة في مُمارسة عباداتهم وحرِّية عقائدهم وحَقَّهم في موارِثهم الحثريَّة، قد ساعد أبا إسحاق الصَّابئ على تَبوُّأ مكانةٍ رفيعةٍ بين قومه، فقد ألغى هذا المنشور كلَّ الآثار التي تربَّت على فتوى الاضطخري، ونجح أبو إسحاق الصَّابئ في تويُّ زعامة طائفته دون مُنازع، وليس أدلَّ على ذلك ممَّا رواه القفطي أنَّ عَصْد الدولة عَرَض على أبي إسحاق أنَّ يَرَحَلَ معه إلى فارس وأنَّ يخدمه كوزيرٍ لَهُ، فاعتذر أبو إسحاق مُتعلِّلاً بأنَّ أحوال أهلِه من الصَّابئة تُفسدُ بغيَّته³⁴. ويُعدُّ ذلك دليلاً على أنَّ أبا إسحاق كان رئيس الطائفة وقت دخول عَصْد الدولة ببغداد للمرَّة الأولى عام 364هـ/ 974م.

فعندما أَرَّاح عَصْد الدولة ابن عمَّه بُختيار وتمكَّن من الاستيلاء على العراق وضمَّها إلى إمارته بفارس؛ ازداد ارتباطه بأبي إسحاق الصَّابئ، حتَّى أنه عَرَض عليه - بعد تدخُّل والده رُكن الدولة وإجباره عن الجلاء عن العراق وإعادتها لابن عمَّه بُختيار³⁵ - أن يَرَحَلَ معه إلى

³⁴ القفطي: إخبار العلماء، 54.

³⁵ كان عز الدولة بُختيار قد استنجد في بادئ الأمر بابن عمَّه عَصْد الدولة عقب عصيان مُقدم الترك في جيشه سُبُكتكين الحاجب، وسُرَّعان ما تحوَّل الأمر إلى فتنة مذهبيَّة بين الدَّيلم والترك شارك فيها أهل بغداد ونتج

فارس³⁶، إلا أن أبا إسحاق كان يخشى ضياع زعامته لطائفته التي عمل جاهداً للحصول عليها، فاعتذر من الأمير عضد الدولة عن السفر معه³⁷. ورغم ذلك الاعتذار فإن عضد الدولة خشي انتقام بُختيار من أبي إسحاق الصّابي كونه وخدمه وأعلن ولاءه وأنحياز له، فاشتراط عضد الدولة على بُختيار أن يكتب الأخير عهداً أمان لأبي إسحاق الصّابي؛ يؤمّنه فيه على نفسه وماله وولده، فقبل بُختيار بذلك على مضض³⁸.

ورغم ذلك لم يأمن أبو إسحاق على نفسه فأثر الهرب والاستتار، وتوسّط بعض أعيان الدولة لدى بُختيار للعفو عن أبي إسحاق، وعودته إلى خدمته فقبل بُختيار بذلك، وعاد أبو إسحاق إلى خدمة الوزير محمد بن بقیّة، لكنه سرعان ما قبض عليه وصودر مرةً أخرى³⁹. ثم لم يلبث أن أطلق سراحه لحاجته الملحة إليه، خاصّة أن نُذر المواجهة الثانية كانت تلوح في الأفق مع ابن عمه عضد الدولة، فأجأته كفاية أبي إسحاق الصّابي الإدارية، وعلاقته الجيدة بأبي تغلب الحمّداني بالموصل - والذي كان بُختيار بأمس الحاجة للتّحالف معه - إلى تنصيبه مجدّداً كرئيس لديوان الإنشاء⁴⁰.

=

عن ذلك طرد بُختيار وأتباعه من الديلم من بغداد، ولما وصل عضد الدولة بجنوده اشتبك مع التّرك قرب بغداد فهزمهم وشتت شملهم، ثم ما لبث أن اتهم ابن عمه بالسّفه والانشغال عن أمور الدولة باللّهو والنّساء فأمر باعتقاله وخبيسه، وضم العراق فعلياً إلى إمارته بفارس، إلا أن تدخل الأمير رُكن الدولة حال بين عضد الدولة وبين أطاعه بضمّ العراق، فقد أجبره والده على إطلاق سراح ابن عمه، وإعادة الإمارة إليه. وبالتالي لم يكن أمام عضد الدولة إلا الانصياع لوالده، فأطلق سراح ابن عمه، وأعاد إليه إمارته، وعاد أدراجه إلى فارس من حيث جاء، ابن الأثير: الكامل، 7: 350.

³⁶ الثعالبي: بتيمة الدّهر، 2: 233؛ الذّهبي: تاريخ الإسلام، 27: 75؛ العير في خبر من غير، 2: 164؛ ابن تغري بردي: التّجوم الزّاهرة، 4: 169؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات، 6: 101-102؛ ابن خلّكان: وفيات الأعيان، 1: 52؛ ياقوت الحموي: مُعجم الأدباء، 1: 131.

³⁷ القفطي: إخبار العلماء، 54.

³⁸ ياقوت: مُعجم الأدباء، 1: 135.

³⁹ نفسه، 1: 136.

⁴⁰ رسائل الصّابي، نسخة الجامع الأزهر، ورقة 78 أ.

وما لبثت أن اشتعلت نيران الحرب مُجدِّداً بين ابني العم من جديد، فاشتبكاً في معركة فاصلة بقصر الجصّ عام 367هـ/978م واستطاع عضد الدولة إلحاق الهزيمة بابن عمه والتخلص منه، وبذلك انفرد عضد الدولة بالجمع ما بين فارس والعراق بلا شريك⁴¹. وكان أبو إسحاق يُدرك بغريزته أن الأمير عضد الدولة قد فقد ثقته به، لا سيما أن أبا إسحاق كان قد وقف بقوة بجانب بُختيار في نزاعه الأخير مع عضد الدولة، وكان ممّا أخفظ عضد الدولة على أبي إسحاق الصّابي أنه كتب رسالة في شأن تقدم بُختيار على غيره من أقرانه من أمراء بني بُويه، وضمّن رسالته عبارات تُشهرُّ به من طرفٍ خفي⁴². على أي حال فقد استتر أبو إسحاق وإن طلب من أحد المُقرَّبين من الأمير - وهو كاتبه أبو سعد بُهرام بن أردشير المجوسي - التّوسط له عند عضد الدولة بعد أن أرسل له رسالة يطلب منه فيها العفو عنه، والإذن بالعودة إلى الخدمة ثانية، فقبل الأمير بذلك وكتبَ عهداً بالأمان إلى أبي إسحاق الصّابي⁴³.

في غضون ذلك عاد أبو إسحاق الصّابي إلى خدمة عضد الدولة، وتولّى ديوان الإنشاء مرة أخرى، وزاد عضد الدولة في تكريمه، وأمر بتوسعة إقطاعاته⁴⁴، لكن الأيام لم تصف كثيراً لأبي إسحاق، فعندما استعرت نيران الحرب مُجدِّداً بين عضد الدولة وبين أبي تغلب الحمّداني، زحف عضد الدولة إلى الموصل ودخلها بعد مقاومة شديدة من الحمّدانيين⁴⁵. وعندما فتح الأمير البُويهي خزانة الأمير الحمّداني - الهارب - عثر على عديد الرّسائل التي كتبها أبو إسحاق بخطّه إلى الأمير الحمّداني نيابة عن بُختيار، ووَجَد فيها ما أخفظه، فأرسل من الموصل إلى بغداد يطلب من وزيره أبي القاسم المطهر بن عبد الله مُصادرة أبي إسحاق الصّابي وأولاده

⁴¹ ابن الجوزي: المنتظم، 14: 256.

⁴² هلال بن المحسن الصّابي: رؤسوم دار الخلافة: 121.

⁴³ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 1: 136.

⁴⁴ غرر النعمة الصّابي: المحفّوات النادرة، 14 - 15.

⁴⁵ ابن الأثير: الكامل، 7: 378.

أبي سعيد سنان، وأبي علي المحسن على مبلغ مائة ألف درهم، واعتقلهم جميعاً ووضع القيّد في أرجلهم حتى يعود ويرى فيهم رأيه⁴⁶.

إلا أن الوزير أحسن إلى أبي إسحاق فأمر بجعل اعتقاله هو وأبنائه في منزله، واستمرّ الحال على ذلك حتى طلب عضد الدولة من وزيره قيادة الجيش لقتال عمران بن شاهين صاحب البطيحة، فافترح الوزير على عضد الدولة العفو عن أبي إسحاق الصّابي، والإذن في أن يستخلفه على الوزارة حين عودته، فقبل الأمير العفو عن أبي إسحاق الصّابي لسابق تاريخه في خدمة بني بويه، كما وافق أيضاً على إطلاق سراح أولاده، لكنه رفض توليته مهام الوزارة⁴⁷. كما لم يكن عفو عضد الدولة عن أبي إسحاق مطلقاً، لكنّه كان عفواً مشروطاً، فقد أمره بتصنيف كتاب في مآثر الديلم، فشرع أبو إسحاق في تأليفه⁴⁸، ويقال أنّه ما إن شرع في تحبسه بتأليف الكتاب الذي أرادته عضد الدولة، حتى دخل عليه أحد أصدقائه - وكان مُنْشِغَلاً بتعليق الكتاب - فسأله عما يفعل فقال: «أباطيل أنعمّها، وأكاذيب ألّفّقها»، فوصل ذلك إلى عضد الدولة فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة. فشفع فيه الوزير ونفّر من المقرّبين للأمير البويهّي؛ فأمر بتخفيف العقوبة إلى السّجن والمصادرة مجّداً⁴⁹. وبعد أربعة أعوام من الحبس والاعتقال قرّر عضد الدولة الإفراج عن أبي إسحاق الصّابي، وكان أبو إسحاق قد بلغ درجة من الفقر وشحّ الحال بعد اليسار والغنى بسبب توالي المصادرات عليه، تشهد بهذا رسالة

⁴⁶ ياقوت: مُعْجَمُ الْأَدْبَاء، 1: 137؛ أبو شجاع الرّوذراذري: الدّليل على نجارب الأمم، تحقيق هـ. ف. أميدروز، بغداد 1969، 3: 22-23.

⁴⁷ مُعْجَمُ الْأَدْبَاء، 1: 137-138.

⁴⁸ وهو الكتاب الشهير المسمّى بالتّاجي في أخبار الدّولة الديلميّة، وقد فُيّد ولم تصلنا منه سوى شذرة يسيرة بعنوان «المنتزع من كتاب التّاجي في أخبار الدّولة الديلميّة» محفوظ بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربيّة بالقاهرة، تحتوي قسماً يبدو أنّه من الجزء الأوّل من الكتاب، نشرها فيلنر ماديلونغ في كتابه المسمّى بأخبار الأئمّة الزّيدية.

⁴⁹ الثّعالي: يتيمة الدّهر، 2: 235-236؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات، 6: 101-102.

أرسلها إلى الوزير الصَّاحِب بن عَبَّاد بَقَارَس قدر فيها إجمالي ما صادرتَه الدولة من أمواله بنحو نصف مليون درهم⁵⁰.

تركَّت مُصادرات عضد الدولة المُتتابعة لأبي إِسْحَاق الصَّابِي تأثيرًا عميقًا على أوضاعه الماديَّة، حتَّى اضْطُرَّ للاعْتِياد بشكلٍ كُلِّيٍّ على المُساعدات المائيَّة والصَّلَات التي كان يُرسلها إليه أصدقاؤه، وعلى الأخصَّ الوزير الصَّاحِب بن عَبَّاد. ولم تتحسَّن أوضاعه المائيَّة بشكلٍ ملموس إلا بعد عودته مرَّةً أُخرى للخدمة مُجدَّدًا كرئيسٍ لديوان الإنشاء للأمير صَمصام الدولة؛ إذ سُرعان ما توفِّي عضد الدولة عام 372هـ/982م بعد أن عَهِدَ بِحُكْم العراق من بعده لابنه صَمصام الدولة، ولا نَعرِف الكثير عن نشاط أبي إِسْحَاق خلال عصرِ صَمصام الدولة، جُلَّ ما نَعرِفُه من خلال صَدْر إحدى الرِّسائل المؤرَّخة بِربيع الأوَّل عام 375هـ/985م أنَّ أبا إِسْحَاق عاد للخدمة بِديوان الإنشاء⁵¹.

وسُرعان ما اغتزل أَبُو إِسْحَاق الحياة السياسيَّة بما جرَّته عليه من نِعمٍ وويلات، إذ فقد القدرة على العمل في أواخر أيَّامه وبالتَّحديد بدءًا من عام 376هـ/976م بعد إصابته بِمرضٍ من أمراض العِظام جعل حركته ثَقِيلَةً، فقد كان أَبُو إِسْحَاق دائم الشَّكوى لرفيقه وصديق عمره الشَّريف الرُّضَيِّ من إصابته في البداية بِنوعٍ من أنواع الزَّمانة (الشَّلَل) بِشكلٍ جُزئيٍّ⁵²، ثم ما لبث أن تحوَّل إلى شَلَلٍ كاملٍ لدرجة اقْتَضَتْ استعمالَ حَفَّةٍ لِيُحْمَلَ عليها كُلِّما أراد قِضَاءَ الحاجة⁵³. ثم ما لبث أن توفِّي عام 384هـ/944م عن عُمر ناهزٍ واجدًا وسبعين عامًا⁵⁴.

وكما كان ثابت بن قُرَّة مؤسِّس نِعمة الصَّابِنة بِبغداد، فإنَّه يُمكن اعتِبار أبي إِسْحَاق

⁵⁰ مجهول: المُختار من رسائل أبي إِسْحَاق الصَّابِي، تحقيق شَكيب أَرْسِلان، بعنْدًا 1898، 408-409.

⁵¹ رسائل الصَّابِي، نُسخة عاشر أفندي، ورقة 134و.

⁵² الشَّريف الرُّضَيِّ: رسائل الصَّابِي والشَّريف الرُّضَيِّ، 7.

⁵³ الشَّريف الرُّضَيِّ: المصدر نفسه، 15.

⁵⁴ القِفْطِي: إخبار العلَّماء، 54.

الصَّابِيُّ مُجَدِّدُ هَذِهِ النِّعْمَةِ لِلصَّابِنَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ بِبَغْدَادٍ، فَقَدْ اسْتَطَاعَ أَبُو إِسْحَاقَ بِفَضْلِ نَفْوَهِ الْوَاسِعِ تَأْمِينَ بَنِي جَلَدَتِهِ بِالْعِرَاقِ وَحَرَانٍ وَدِيَارٍ مُضَرَّ بِأَسْرَافِهَا، كَمَا اسْتَطَاعَ الْقَضَاءُ عَلَى آثَارِ فِتْوَى الْاضْطِرَّاءِ بِاسْتِصْدَارِ عَهْدِ أَمَانٍ مِنَ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلْحَرْنَانِيَّةِ، تَعَرَّفَ فِيهَا الْخِلَافَةُ بِذِمَّةِ الْحَرْنَانِيَّةِ، وَتَكْفُلُ لَهَا حَقُوقَهَا فِي حُرِّيَةِ الْعِبَادَةِ وَالْعَقِيدَةِ.

وَلَا نَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنْ أَوْضَاعِ الصَّابِنَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ، فَلَا تُفِيدُنَا الْمَصَادِرُ الْمُعَاَصِرَةُ بِشَيْءٍ ذِي بَالٍ فِي هَذَا الصَّدَدِ، كَمَا أَنَّنَا نَفْتَقِدُ مَصْدَرًا مِنْ أَهَمِّ مَصَادِرِنَا عَنْ أَوْضَاعِ الطَّائِفَةِ؛ أَلَا وَهِيَ مَجْمُوعَةُ رَسَائِلِهِ بِالإِضَافَةِ إِلَى تِلْكَ الْمَجْمُوعَةِ مِنَ الرِّسَالِ الْمُبَادَلَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ وَاللَّتَّانِ تَوَقُّفًا بِوَفَاتِهِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ، كَمَا أَنَّ فَقْدَانِ تَارِيخِ صِهْرِهِ ثَابِتِ بْنِ سِنَانٍ، وَكَذَلِكَ تَارِيخِ حَفِيدِهِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِيِّ، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَارِيخِ مُحَمَّدِ غَرَسِ النِّعْمَةِ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِيِّ تُضَاعِفُ مِنْ صُعُوبَةِ دِرَاسَةِ أَوْضَاعِ الصَّابِنَةِ فِي أُخْرِيَّاتِ الْعَصْرِ الْبُيُوتِيِّ.

وَرَبَّمَا آلَتْ رِثَاسَةُ الطَّائِفَةِ لَوْلَدِهِ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ لِأَنَّهَا آلَتْ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ لِحَفِيدِهِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِيِّ⁵⁵، وَالَّذِي كَانَ يَشْغُلُ مَنْصِبَ رَئِيسِ دِيْوَانِ الْإِنِّشَاءِ لِلْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ⁵⁶. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِجْمَالًا بِأَنَّ نَهَايَاتِ الْعَصْرِ الْبُيُوتِيِّ شَهِدَتْ أَقْوَلَ نَجْمِ الصَّابِنَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ بِبَغْدَادٍ، فَقَدْ أَسْلَمَ رَئِيسُ الطَّائِفَةِ نَفْسُهُ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ الصَّابِيِّ عَامَ 403هـ/1012م⁵⁷. وَاشْتَهَرَ آلُ بَيْتِهِ عَنِ اعْتَنَقُوا الْإِسْلَامَ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَخْفَادُهُ مِنْ نَسْلِ وَلَدِهِ مُحَمَّدِ الْمَلْقَبِ بِغَرَسِ النِّعْمَةِ - كَوَاحِدٍ مِنْ أَشْهَرِ بَيُوتَاتِ بَغْدَادِ. وَاسْتَمَرُّوا فِي تَوَلَّى الْمَنَاصِبِ الرَّفِيعَةِ وَعَلَى رَأْسِهَا الْقَضَاءُ حَتَّى اجْتِيَاحِ الْمُغُولِ بَغْدَادَ عَامَ 656هـ/1258م.

⁵⁵ القفطي: إخبار العلماء، 108 - 193.

⁵⁶ الصَّفْدِيُّ: الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ، 2: 141.

⁵⁷ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: الْمُتَنَزَّم، 16: 13؛ ابْنُ كَثِيرٍ: الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، 15: 739-740.

أَمَّا الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَةُ مِنْهُمْ مَنْ فَضَّلُوا الْبَقَاءَ عَلَى دِينِهِمْ؛ فَقَدْ رَحَّلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَغْدَادٍ، إِلَى الْقُرَى وَالْمُدُنِ الْمُحِيطَةِ بِبَابِلِ الْقَدِيمَةِ كَنُوقَانَ⁵⁸ وَأَنْدَمَجَ هُنَاكَ بَبَقَايَا النَّبُطِ، كَمَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ خَاتَمَةُ مَخْطُوطِ شَوْقِ الْمُسْتَهَامِ لِابْنِ وَحْشِيَّةِ النَّبْطِيِّ⁵⁹.

لَمْ تُغْلَقْ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ بَنِي جِلْدَتِهِمْ بِحَرَّانَ نَفْسَهَا، فَقَدْ سَقَطَ آخِرُ مَعَاوِلِهِمْ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَيْدِي الْبَدُوِّ مِنْ بَنِي تُمَيْرٍ عَامَ 422هـ/ 1030م الَّذِينَ اسْتَوْلَوْا عَلَى هَيْكَلِ الْقَمَرِ آخِرَ هَيَاكِلِهِمُ الْمُقَدَّسَةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى اعْتِنَاقِ عَدَدٍ مِنْهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فِيمَا قَرَّ مِنَ الْمَدِينَةِ عِدَّةٌ آخَرُ مِنْهُمْ وَتَشَتَّتُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْبُلْدَانِ الْمُجَاوِرَةِ، كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِيِّ الْمَوْرُخِ الْوَحِيدِ الَّذِي أَبَى إِلَّا أَنْ يَقْصَّ عَلَيْنَا كَيْفَ آلَ مَصِيرِ مَدِينَةِ الْقَمَرِ وَقَطَّانِهَا مِنَ الصَّابِنَةِ الْحَرَّانِيَّةِ، يَقُولُ الْأَنْطَاكِيُّ⁶⁰:-

«... وَكَانَ بَنُو تُمَيْرٍ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَى جَمِيعِ حِصُونِ
الْجَزِيرَةِ، وَحَصَّلَ كُلُّ مِنْهَا فِي يَدِ أَمِيرٍ مِنْ أُمَرَائِهِمْ، وَتَغَلَّبَ عَلَى
حَرَّانَ بَعْضُ الْأَشْرَافِ فَاسْتَعَانُوا بِأَحْدَانِهَا وَتَقَوَّوْا بِهِمْ عَلَى
غَيْرِهِمْ، وَاسْتَضَامُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَنَهَبُوهُمْ، وَأَفْسَدُوا أَخْوَاهُمْ،
وَخَرَجَ أَكْثَرُهُمْ عَنْهَا هَارِبِينَ، وَأَخَذُوا أَيْضًا مَجْمَعًا لِلصَّابِنَةِ،
وَهُوَ الْمُسَمَّى الْهَيْكَلِ الَّذِي عَلَى اسْمِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ هُمْ فِي
الْمَسْكُونَةِ هَيْكَلُ سِوَاهُ، وَجَعَلُوهُ مَغْقَلًا، وَأَسْلَمَ كَثِيرُونَ مِمَّنْ فِي
حَرَّانَ مِنَ الصَّابِنَةِ - وَكَانُوا جَمَاعَةً وَافِرَةً الْعَدَدِ - خَافَةً مِنْهُمْ».

⁵⁸ نُوقَانَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ بِإِقْلِيمِ بَابِلَ بِالْعِرَاقِ، اشتهرت بصناعة القدور، وخرج منها نفرٌ من أهل العلم، عنها انظر:- ياقوت الحموي: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، 5: 360.

⁵⁹ شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ، 136.

⁶⁰ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِيِّ: تَارِيخُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِيِّ، تَحْقِيقُ عُمَرَ عَبْدِ السَّلَامِ تَدْمَرِي، بَيْروت 1990، 428-429.

لا نسمعُ عن الحرنانيَّة مرة أُخرى قبل أن تقتحم جَحَافِلُ هُولاكو خَانَ حَرَان عام 657هـ/1258م، والتي أَعَمَلَت القَتْلَ في سُكَّانِهَا، ثُمَّ سَوَّوْا المَدِينَةَ بِالْأَرْضِ، فَلَمْ تَقُمْ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّارِيخِ قَائِمَةٌ⁶¹، حَتَّى أَعَادَهَا مَعَاوِلُ الْإِثَارِيِّينَ إِلَى سَطْحِ الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى. وَيَبْدُو أَنَّ قَلِيلًا مِنَ الصَّابِئَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ فَرَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ حَرَانَ إِلَى دِمَشْقَ مَعَ اسْتِيْلَاءِ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى هَيْكَلِ الْقَمَرِ، فَمَنْشُورُ الْأَمَانِ لِأَهْلِ دِمَشْقَ الَّذِي أَصْدَرَهُ قَازَانُ قَائِدُ جِيُوشِ سُلْطَانِ الْمَغُولِ غَازَانَ خَانَ الْمُؤَرِّخِ بِعَامِ 699هـ/1299م أَشَارَ إِلَى الصَّابِئَةِ، حَيْثُ جَاءَ فِي الْمَنْشُورِ «...وَأَنَّ لَا يَتَعَرَّضُوا [أَيِ الْمَغُولِ] لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَذْيَانِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئَةِ، فَلِئَلَّا يَبْذُلُوا الْجِزْيَةَ لِتَكُونَ أَمْوَالُهُمْ كَأَمْوَالِنَا»⁶². وَهَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي تَأْتِي فِيهَا الْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى ذِكْرِ الصَّابِئَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ.

أَمَّا عَامَّةُ الْمَنْدَائِيِّينَ فَقَدْ اسْتَمَرُّوا عَلَى حَالِهِمْ، مُنْعَزِلِينَ عَنْ جُورَاهُمْ حَوْلَ مَجَارِي الْمِيَاهِ بِمَنْطَقَةِ الْأَهْوَارِ جَنُوبِي الْعِرَاقِ، وَلَمْ يُعَدِ الْمُسْلِمُونَ يَتَبَرُّونَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، بَلْ نَعَمُوا بِمُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسَهُمْ فِي نَهَايَاتِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ. فَفِي عَصْرِ الْحَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ - أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ/الثَّانِي عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ - وَرَدَ ذِكْرُ الْمَنْدَائِيِّينَ عِنْدَ الْمُؤَلِّفِ الْمَجْهُولِ صَاحِبِ كِتَابِ الْحَوَادِثِ الْجَامِعَةِ - وَالَّذِي تُسَبِّحُ عَلَى سَبِيلِ الْخَطِّاءِ لَابْنِ الْفُوطِيِّ - إِذْ نَقَلَ ذَلِكَ الْمُؤَلِّفُ وَثِيقَةً مُهِمَّةً بَعَثَ بِهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ فَضْلَانَ مُتَوَلِّيَ دِيْوَانِ الْجَوَالِي إِلَى

⁶¹ ابن شدَّاد: الأغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشَّام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبارة، دمشق 1991، 1:

66؛ المكي بن العميد: تاريخ ابن العميد، تحقيق كلود كاهن، Bulletin d' Etudes Orientales, Vol. 15, p. 171.

⁶² الذَّهَبِيُّ: تاريخ الإسلام، 52: 77؛ ابن أَيْك الدَّوْدَارِيُّ: الذَّر الْفَاخِر فِي سِيرَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ، الْجُزْءُ التَّاسِعُ مِنْ كِتَابِ كِتْرِ الدَّرَرِ وَجَامِعِ الْغُرَرِ، تَحْقِيقُ هَانِسِ رُوبَرْتِ رُويْمِر، مَنَشُورَاتُ الْمَعْهَدِ الْأَلْمَانِيِّ لِلْآثَارِ، الْقَاهِرَةُ 1983، 22.

الخليفة، وهذه الوثيقة عبارة عن تقرير عن أوضاع أهل الذمة في ذلك العصر، يقول ابن فضلان⁶³:-

«الصَّابِئَةُ قَوْمٌ من عبدة الكواكب يسكنون في البلاد
الواسطية (يعني حول واسط وأعمالها) لا ذمة لهم، وكان في
قديم الزمان لهم ذمة، فاستفتى القاهر أبا سعيد الاضطخري
من أصحاب الشافعي في حقهم، فأفتاه بإراقة دمائهم وأن لا
تقبل منهم الجزية، فلما سمعوا بذلك له خمسين ألف دينار
فأمسك عنهم. وهم اليوم لا جزية عليهم، ولا يؤخذ منهم
شيء، وهم في حكم المسلمين، والأمر أعلى».

تري السيدة دراور أن صابئة حران - من العلماء المرموقين ذوي التفوذ والحظوة في
البلاط العباسي - قد كسبوا لإخوتهم في أهوار الجنوب؛ الذين هم أكثر بدائية وبساطة - على
حد وصفها - درجة من التسامح والمعاملة العادلة⁶⁴، والواقع - وعلى العكس تمامًا من
تكهنات السيدة دراور - فقد كافح صابئة حران طويلاً للحصول على معاملة تُشبه معاملة
إخوانهم من سُكَّان أهوار الجنوب.

⁶³ الحوادث الجامعة، 69-70.

⁶⁴ دراور: الصَّابِئَةُ المتدائون، 56.

الفصل

التاسع



الأعرافُ والعادات

والتقاليد الاجتماعية

«ولأئنا أهلُ شريعةٍ قد
ضائق حلقنهما. وعُمدت
جَمْرُثها. فليسَ تسهلُ علينا
الفجائع سرُّولنَّها على ذوي
الكثرة. ولا تندملُ ندوبها فينا
اندمالها منه أولي القوَّة».

أبو إسحاق الصَّابي

الزواج والحياة الأسرية

نظَر الصَّابِئَةُ المَندائِيُّونَ إلى الزَّوْجِ على أَنَّهُ طَقْسٌ حَيَاتِي مُقَدَّسٌ، فالزَّوْجُ بالنِّسبةِ لَهُم كانَ فرضًا دينيًّا، فَهُم لِيَسُوا مُخَيَّرِينَ في إِمْضَائِهِ، كما لا يَشِذُّ الكَهَنَةُ ورجالُ الدِّينِ عن هذه القَاعَةِ، ففي الشَّرِيعَةِ المَندائِيَّةِ تُحْرَمُ العَزُوبَةُ مُطْلَقًا على الرِّجَالِ، كما يُحْرَمُ التَّبَتُّلُ على النِّسَاءِ أَيًّا كانتِ الأسبابُ، حتَّى ولو كانَ الهَدَفُ من ذلك هو الزُّهْدُ في متاع الدُّنْيَا، والرَّغْبَةُ في الانْقِطَاعِ للعبادةِ، فالمتزوِّجُ في العقيدةِ المَندائِيَّةِ سَيَكُونُ آمِنًا من حيثِ التَّحِاقُ بِأَبَائِهِ¹ في الحَيَاةِ الأبدِيَّةِ، كما إِنَّ الطَّقُوسَ الضَّرُورِيَّةَ لِاتِّحَاقِهِ بِعَالَمِ الأَثْوَارِ «أَلْمِي دَنهُورَا» سَتَجْرِي بَعْدَ وفاته على أَكْمَلِ وَجْهِه²، ومن هذه الزَّاويَةِ تُخْتَلَفُ المَندائِيَّةُ عن النِّصْرَانِيَّةِ تَمَامًا في النِّظَرَةِ إلى الزَّوْجِ، فبينما نَظَرَتِ النِّصْرَانِيَّةُ إلى الانْقِطَاعِ عن النِّسَاءِ على أَنَّها أحدُ مَظَاهِرِ التَّفَانِي والإِخْلَاصِ في العِبَادَةِ³ حَرَّمَتِ المَندائِيَّةُ إلتِحاقَ الأَدَى بِالجَسَدِ لِكِبْثِ الشَّهَوَاتِ كَالْخِصَاءِ وَالْخِتَانِ إلى درجَةِ الخُرُوجِ عن المِلَّةِ⁴.

فحتَّى المَلائِكَةُ والكائِنَاتُ الثُّورَانِيَّةُ (إِثْرِي) كانت تَتَزَوَّجُ من نِسَاءِ سَمَاوِيَّاتٍ⁵ لَذا فالزَّوْجُ خَارِجُ نِطاقِ الطَّائِفَةِ بالنِّسبةِ للمَندائِيِّينَ يُعَدُّ خُرُوجًا عن الدِّينِ⁶، ومع ذلك فقد أَثَارَتِ مُلاحِظَاتُ الجَاحِظِ⁷ عن شِيعَةِ الخِصَاءِ في أَوَسَاطِ الصَّابِئَةِ بعضَ الازْتِيَاكِ في الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تناولتِ الحَيَاةَ الاجْتِمَاعِيَّةَ لِلصَّابِئَةِ. كما يَتَحَدَّثُ عن شَخْصٍ بَعِيْنِهِ يُدْعَى أَبَا المُبَارَكِ الصَّابِئِ حَصَى نَفْسَهُ وَتَفَرَّغَ لِلنُّسْكِ والعِبَادَةِ، وكانَ الخُلَفَاءُ يَبْعَثُونَ إِلَيْهِ وَيَسْمَعُونَ مِنْهُ لِقَرَطِ عِلْمِهِ.

¹ أحد الملائكة الثورانيين، وهو المؤكل بحساب النفوس الطيبة.

² دارور: الصَّابِئَةُ المَندائِيُّونَ، 93.

³ جاء في إنجيل متى «لأنه يوجد خُصيان ولَدُوا هَكَذَا من بَطُونِ أمهاتهم، ويوجد خُصيان خُصَّاهم النَّاسُ، ويوجد خُصيان خُصُّوا أَنْفُسَهُمْ لأجل مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، من استطاع أن يَقْبَلَ فليَقْبَلْ» متى 19: 12.

⁴ التَّذْيِيمُ: الفِهْرَسْتُ، 2: 360.

⁵ دارور: الصَّابِئَةُ المَندائِيُّونَ، 119.

⁶ دارور: نَفْسُهُ، 39.

⁷ الجَاحِظُ: الحَيَوَانُ، تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونُ، القَاهِرَةُ 1965، 1: 125. قَارَنَ أَيْضًا لِلْمُؤَلِّفِ نَفْسَهُ: -رِسَالَةُ الرَّدِّ عَلَى النِّصْرَانِيَّةِ، ضَمِنَ مَجْمُوعَ رِسَائِلِهِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونُ، القَاهِرَةُ 1964، 3: 323.

في الواقع يصعبُ القولُ بأنَّ الجاحِظَ لم يَكُنْ على عِلْمٍ بتحريمِ المُغتَسِلةِ أو صابئةِ البطائِحِ لِلخِصاءِ أو الحِثانِ، فهو ابنُ مدينةِ البُصرة، أي أنَّه كان يعرفُ المندائيينَ عن كُتُب، بل إنَّه يُشيرُ إلى أنَّه كان على علاقةٍ بذلك الصَّابِئِ الذي تحدَّثَ عنه⁸. كما يصعبُ القولُ أيضًا بأنَّ المندائيينَ مارسوا هذه العادةَ حتى بالنسبةِ لكِبَارِ السَّنِ والمُتزوِّجين منهم، وذلك ببساطةٍ لأنَّ العَقيدةَ المندائيةَ قد حرَّمتَ تمامًا إلحاقَ الأذى بالجسدِ لأيِّ سببٍ كان. فهل كان الجاحِظُ يتحدثُ عن قومٍ آخرين غير المندائيينَ عَرَفَهُمُ المُسلمونَ أيضًا باسمِ الصَّابئةِ؟، أم كان مردُّ هذا التناقُضِ كامِنًا في اِختِلافِ المندائيينَ أَنفُسَهُم في النَّظرِ إلى مُمارسةِ عاداتِ الخِصاءِ واعتِزالِ النِّساءِ، وهل كانت هُناكَ تأثيراتٌ مانويَّةٌ ونصرانيَّةٌ مُشتركةٌ جعلت بعضَ المندائيينَ يُقرُّون الخِصاءَ كأحدِ مَظاهرِ التَّفاني والإخلاصِ في العِبادةِ. في الواقعِ لدينا قَريئةٌ قويَّةٌ على ذلك، وإنَّ كانت لا تنهضُ حَلَّ الدَّليلِ، فالنَّدِيمُ يتحدثُ عن أنَّ الهاتِفَ الذي آتَى فَتَقَّ والدَ مَاني - حينَ حملت منه زوجته - أمره بأن يُلْتَحَقَ بِالمُغتَسِلةِ، وحرَّمَ عليه أكلَ اللحمِ، وشُربَ الحَمَرِ، وإتيانَ النِّساءِ⁹.

قد يُشيرُ هذا بوضوحٍ إلى أنَّه قد وُجدَ بين المُغتَسِلةِ أو المندائيينَ من اعتُبرَ اعتِزالِ النِّساءِ بمثابةِ نوعٍ من أنواعِ الطَّهارةِ. هذا بالإضافةِ إلى أنَّ تَذْيِلاتِ النُّسخِ على الدَّواوين واللفائفِ الدِّينيةِ تُوحِي بوجودَ انشِقاَقاتٍ دينيَّةٍ حادَّةٍ بين المندائيينَ وَقَعَت خلالَ العصرِ العبَّاسيِّ، فعلى سبيلِ المِثالِ يُشيرُ كتابُ حَرَّانِ جُويثا إلى انشِقاقٍ كبيرٍ حدثَ بِزعامةِ كاهِنٍ يُقالُ له قِيقِل، عمَدٌ إلى تحريفِ المُعتقداتِ المندائيةِ، وأقَدَمَ على تَذوينِ أفكاره هذه ووزَّعها بين أَتباعه من رجالِ الدِّينِ، ثم عادَ عنها لاجِئًا ودعا أَتباعه إلى حَرَقِها فاستَجابَ البَعضُ ورفضَ البَعضُ الآخرَ، وظلَّ على قناعتِهِ بِهذه الأفكارِ والمُعتقداتِ التي دعا إليها قِيقِل، والتي اعتُبرت في نظرِ المُحافظينَ بمثابةَ خُروجٍ عن الدِّينِ المندائيِّ القَويمِ¹⁰، فهل كانَ الامتِناعُ عن إتيانِ النِّساءِ أحدَ

⁸ الجاحِظ: الحيوان، 1: 126-128.

⁹ الفِهرست، 2: 379-380.

¹⁰ سِبْاهي: أَصُولُ الصَّابئةِ، 199.

أَوْجِهْ هذه الخِلاَفات الدِّنيَّة؟! تَظَلُّ هذه الأَسْئَلَة - وَغَيرها - مُعَلَّقة لِحِين العُشُور عَلى نُصُوصٍ أُخَر تَبَدَّد لَنَا ذَلِك الغَمُوض.

عَلى أَيْ حَال فَقد كَانَت رُسُوم الزَّوَاج «قَابِين» عِند المَندائِيِّين مِنَ البَسَاطَة بِمَكَان، فَقد كَانُوا يَعْرِفُون المَهر، فَقد وَردَ في كِتَابَاتِهِم المُقَدَّسَة أَنَّ هَيْبَل زِيوَا¹¹ حِينَ تَزَوَّجَ مِنْ زَهْرَيْل¹² أَعْطَاهَا ثَوْبًا مُرْصَعًا بِالْأَخْجَارِ الكَرِيمَة¹³، وَتَقْتَضِي رُسُوم الزَّوَاج عِند المَندائِيِّين أَنَّ يَتَقَدَّمَ العُرُوسَانِ إِلَى شَاطِئِ النَّهَرِ ثُمَّ يَقُوم رَجُل الدِّينِ بِتَعْمِيدِ العُرُوسَيْنِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ بِالمَاءِ الحَيِّ [الجَّارِي]، ثُمَّ يَعُودُ العُرُوسَانِ إِلَى الدَّارِ حَيْثُ تُعَدُّ «زِدْقَة بُرْجِيَّة» [الوَجْبَة الطَّقْسِيَّة لِزَوَاجِ الأَسْلَاف] وَهِيَ وَجْبَةٌ مُكَوَّنَةٌ مِنَ الجَوْزِ وَالرَّيْتِ وَالتَّمَرِ وَاللُّوزِ، وَرَبَّمَا يُضَافُ إِلَى تِلْكَ الوَجْبَة السَّمَكُ المَشْوِيُّ وَبَعْضُ الحَمَرِ¹⁴.

وَلَمْ يَكُنِ الأَمْرُ لِيُخْتَلَفَ كَثِيرًا بِالنَّسْبَةِ لِصَابِنَة حَرَّانَ، فَالْحَرَنَانِيَّةُ كَانُوا يَزُوجُونَ أَبْنَاءَهُمْ فِي سَنٍّ صَغِيرَةٍ نَسَبًا، وَيَتَمَتَّعُ الزَّوَاجُ بِمَكَانَةٍ مُقَدَّسَةٍ أَيْضًا فِي عَقِيدَةِ الحَرَنَانِيَّةِ، فَلَمْ يَكُونُوا يَقيِّمُونَ بِالْأَمَلِ لِلْمَتَّعِ الحَسِيِّ النَّاتِجَةِ عَنِ عِلَاقَةِ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ، فَالْوَطْءُ عِنْدَهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَطَلْبُ الْوَلَدِ فَحَسَبَ¹⁵، وَعَلى الأَرَجَحِ لَمْ تَنْتَشِرْ بَيْنَهُمْ عَادَةُ التَّسَرِّيِّ بِالجَوَارِي، فَالْإِشَارَة

¹¹ أَحَدُ المَخْلُوقَاتِ التَّوَرَانِيَّةِ الكَبَارِ فِي العَقِيدَةِ المَندائِيَّةِ، فَهُوَ ابْنُ «مَندَا دِهِي» [عارِف الحَيِّ] وَهُوَ الكَائِنُ الإِثْرِي الْوَحِيدُ الَّذِي يَعْرِفُ طَبِيعَةَ الْبَارِي «هِيَ مَلَكَة دَنْهُورَا» [الحَيُّ، مَلَكُ التَّوَر] سَبَاهِي: المَرْجِعُ نَفْسَهُ، 156-155.

¹² زَهْرَيْل أُخْتُ الزَّوْهَا (مَلَكَة الظَّلَامِ)، خَطَبَهَا هَيْبَلُ زِيوَا لِنَفْسِهِ أَثْنَاءَ هُبُوطِهِ الاضْطِرَارِيِّ إِلَى مَلَكَةِ الظَّلَامِ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا وَأَنْجَبَ مِنْهَا ابْنَهُ بَنَاهِيلَ، وَالَّذِي لَعِبَ الدَّوْرَ الْأَكْبَرَ فِي خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَاضِي. سَبَاهِي: المَرْجِعُ نَفْسَهُ، 156؛ WILLIS BARNSTONE, MARVIN MEYER: *The Gnostic Bible*, Boston 2003, pp 528-529.

¹³ دَرَاوَر: الصَّابِنَةُ المَندائِيَّةُونَ، 119.

¹⁴ دَرَاوَر: المَرْجِعُ نَفْسَهُ، 128؛ أَحْمَدُ الْقُدُوي: الْمَرْأَة فِي الْعِرَاقِ خِلَالَ عَهْدِي الْبُيُوتِيِّينَ وَالسَّلَاجِقَةِ، رِسَالَة مَاجِسْتِرٍ غَيْرِ مُنْشُورَةٍ بِكُلِّيَّةِ الآدَابِ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ، 2005، 111؛ مَلِيحَة رَحْمَة اللَّهِ: صُورٌ مِنَ الْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ فِي المُجْتَمَعِ الْعَبَّاسِيِّ فِي الْعِرَاقِ، مَقَالٌ مُنْشُورٌ بِالمَجَلَّةِ التَّارِيخِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ، مَج 17، الْقَاهِرَة 1970، 32.

¹⁵ الْمُقَدَّسِي: الْبَدْءُ وَالتَّارِيخُ، 4: 23.

إلى امتلاك الحرثانية للعبيد والعلمان متعددة في رسائل أبي إسحاق الصّابي¹⁶ لكن ليس هناك إشارة إلى جارية واحدة مطلقاً.

وفي اعتقادي أنّ وجوب الزواج على أبناء كلتا الطائفتين - مندائين وحرثانية - وفي سنّ مبكرة - راجع بالأساس إلى كون كلتا الملتين قائمتين على أسس غير تبشيرية، ومن ثمّ فالأمر يتعلّق هنا بعشيرة تغتنق ديناً وليس العكس، من ثمّ فإنّ انتشار هذا الدّين - أو بعبارة أخرى زيادة أعداد من يعتنقون هذا الدّين - رهنّ بزيادة أفراده ذاتياً، وهذا في اعتقادي هو ما جعل كلتا الشريعتين - أعني المندائية والحرثانية - تنظران إلى الزواج على أنّه واجب الفرد تجاه عشيرته، وأنّه بدونه لا يكتوّل إيمان المرء، وربّما لهذا السّبب لم تحدّد شريعة الصّابئة المندائيين بشكل عام عدد النّسوة اللّائني يُمكن أن يجمّع الرّجل بينهنّ، فقد أبيع للمندائي الزواج بدون حدّ أقصى، فقط لم يكن الأمر يستلزم سوى أن يتعهّد الرّجل بالمساواة بين زوجاته اللّائني يجمّعهنّ في عصمته¹⁷.

وطقوس الزواج عند الصّابئة - مندائين وحرثانية - تشابه إلى حدّ كبير، فلا زواج إلّا بطقوس وشهود، لكنهم أقرب للنّصارى في مسألة الطّلاق، فلا طلاق إلّا بحجّة عن فاحشة ظاهرة، ولا تُراجع المطلّقة البتّة¹⁸، فقط تُبيع العقيدة المندائية الزواج الثّاني للمطلّقة والأزمنة، وهناك مراسيم خاصّة ومختصرة لهذا النوع من الرّيجات، بيد أنّه يُجرّم على أطفال من زيجّة كهذه أن يصيروا كهاناً أو أن يمارسوا أي نشاط دينيّ لثلاثة أجيال على الأقل¹⁹، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على نظرة الاستيهجان تجاه الزواج من النّيب على الصّعيد الاجتماعي.

¹⁶ رسائل أبي إسحاق الصّابي، نسخة تشيستر بيتي، ورقة 52و.

¹⁷ دراور: الصّابئة المندائيون، 117؛ اليوزبكي: تاريخ أهل الذمة، 380-381؛ العدوي: المرأة في العراق، 111.

¹⁸ المقدسي: البّء والتّاريخ، 4: 23.

¹⁹ دراور: الصّابئة المندائيون، 117.

وكان ميلادُ طِفْلٍ في مُجتمع الصَّابئة مُناسبة شديدة البَهجة، لا سِمْيًا إذا كان ذلك الطِّفل ذَكَرًا، وأوَّل ما يَستوقف النَّظر هو شِدَّة إِيْمَان الصَّابئة سِواء المندائيِّين أو الحُرانيَّة بتأثير الكَوَاكِب والأفلاك على مَصرِ البَشَر، فقد كان الصَّابئة المندائيُّون إذا وُلِد لهم مولودٌ اعتقدوا أنَّ كوكبًا من الكَوَاكِب السَّبعة هو المُتولِّي لِسَعْدِهِ ونَحْسِهِ وأنَّه هو المُدبِّر له، فيأخذون طالع المولود ويسمُّونه باسم فَلَكيٍّ «مُلَواشَة»، وهو الاسم الذي الذي يَستخدمُه صاحِبُه في كافَّة الطَّقوس الدِّينية بها فيها طَّقوس الزَّواج نفسه²⁰.

كما كان الحُرانيَّةُ يَعتقدون بتحكُّم النُّجوم والأجرام السَّماوية في حَيَاة البَشَر بِشَكل تام، وكانوا يَبيِّنُون طالع المولود بالنَّظر في مَواقِع النُّجوم، فيستبشرون به إذا كان طالعُه جيِّدًا ويَشاءُ مُنْه إنْ كان بَعكسٍ ذلك، فقد اعتقد الصَّابئة الحُرانيَّة أنَّ مَوجُودات العالَم السُّفلي - أي العالم المادي - مُرتَبَّةٌ على تأثير الكَوَاكِب والرُّوحانيَّات التي هي مُدبِّرات للكَوَاكِب، وفي اتِّصالِها يَظهر النُّحسُ من السَّعد، وبِاستِطلاعِها يَظهر الحُسْن والقُبْحُ في الحَلَقِ والأخلاق²¹. ويَروي السُّجستاني عن سِنان بن ثابت أنَّ قُرَّة جدَّه رأى منامًا كأنه جاءه كِتاب من حِرَّان يَشمَل على التَّهْنِئة بِميلاده، فأخذ الجَدُّ الطَّالع فكان سَبْع درجَات للسَّرطان، وبعد أَيَّام ورد عليه كِتاب بِالْفِعل بِميلاد سِنان يَشمَل على يوم ميلاده، فأعاد أخذ طالعُه فكان فيه ما أثبتَه سابقًا في رُصدِه²².

ومن حُسْن الحِظِّ فَإِنَّ هُنَاكَ رِسالة أَرْسَلها أَبُو إِسْحاق الصَّابِئ لأبي سَعِيد سِنان ابنه يَهنِّئُه فيه بِميلاد ابْنِه له، وهذه الرِّسالة تُمِيط اللُّثام عن الكَثير من مُعتقدات الصَّابئة الحُرانيَّة وعاداتهم الاجتماعيَّة المُرتَبطة بتلك المُناسِبة، ففي حَالَة ابْنَة أَبِي سَعِيد سِنان فقد وُلِدَت والرَّصد يَبيِّن أنَّ الزَّهرة في شَرفِها [أَعلى مدارِها] وهي عَلامَة جيِّدة في حَدِّ ذاتِها، لكن المَريخ في الوَقْت ذاتِه كان شَدِيد القُرب من القَمَر، وهي عَلامَة من عَلامات النَّحس وسُوء الطَّالع، ولهذا فقد

²⁰ دراور: المرجع نفسه، 118-119.

²¹ الشَّهرستاني: نَهاية الإقْدَام في عِلْم الكَلَام، باعْتِناء الفَريد جِيوم، أكسفُورد 1931، 1: 110.

²² السُّجستاني: صِوان الحِكْمَة، 300.

كان هذا سبباً من أسباب الحزن والكآبة التي شاعت في الأسرة كلها، لا سيما وأنَّ والدة الصبية أصابتها - فيما يبدو - حمى النفاس عقب ولادتها، وأشرفت على الهلاك، فتأكد بهذا للأسرة سوء طالع الفتاة، يقول أبو إسحاق الصَّابِي لابنه أبي سعيد سنان:

«... ورأيتُكَ - لاَ عَدمُتُكَ - تَطعنُ على مَولِدِهَا؛ فإنَّ كانَ
هَذَا القَوْلُ عن تَأْمَلٍ تَأْمَلْتُهُ فَقَدْ ظَلَمْتَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ حِكَايَةً عن
بعضِ المُتَجَمِّينَ فَقَدْ غَلَطَ في حُكْمِهِ؛ لَأَنِّي وَجَدْتُ الزَّهْرَةَ في دَرَجَةِ
الطَّالِعِ، وَلَوْ أَنَّ نَازَ²³ هَذِهِ الفَضِيلَةَ كُلَّ عَيِّبٍ وَرَذِيلَةٍ لَعَدَلْتُهُ وَقَوَّمْتُهُ،
وَقَابَلْتُهُ وَأَصْلَحْتُهُ، وَلَعَلَّكَ كَرِهْتَ قُرْبَ القَمَرِ مِنَ المَرِيخِ، وَقَدْ كَانَ
قَارِبَهُ بِدَرَجَتَيْنِ، وَهُوَ مَأْمُونٌ لَكُونِهِ في بُرْجِ العَقَرِ، وَهُوَ بَيْتُهُ لَا
يُفَارِقُهُ في نَوْبَةِ اللَّيْلِ الَّتِي يَكْفُ من عَادِيَتِهِ، وَلَيْسَ مُجَابِداً وَلَا مُرَبِّعاً،
وَلَا مُقَابِلاً لِلطَّالِعِ، وَبَاقِي الكَوَاكِبِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَرَزَتْ تَبْرِيزُ الزَّهْرَةِ
فَلَيْسَتْ فَاسِدةَ الأَحْوَالِ، وَلَا مَذْمُومَةُ العَوَاقِبِ.

ودليلك منها رجل وهو سليم من كل ما ينحسه، فمن أين
قلت ما قلت؟! وما هذا الجزع من بعد مولودة لعلها أبرك وأفضل
من عدة ذكور؟! وأين يذهب بك عن حسن اليقين بالله، والشكر
له، والصبر لحكمه، والقول بما يرضيه؟! وعن تسلية من يليك من
حرمتنا؟ - حفظهن الله - وتسكينهن وإظهار السرور هن؟، فإن في
ذلك استدامة للنعم، واستدفاعاً للنقم، ومسرّة للأولياء، ومكبة
للأعداء²⁴.

ويدل خطاب أبو إسحاق لابنه على أن التَّكْبِيرَ يَنجِبُ الإناثَ لم يكن محبباً عند الصَّابِئَةِ
الحرثانيَّة، وهذا لا يعني هذا بالضرورة أن ميلاد الأُنثَى كان حدثاً سيئاً في حد ذاته، لكنهم

²³ كذا، ولعله أراد «وإن قابلت».

²⁴ رسائل الصَّابِي، نسخة مجلسي شُوراي إيران، ورقة 20و.

كأنوا يتوقون إلى الذُّكور، فالذُّكور هم ضَمَانٌ تَحْلِيدِ اسْمِ الأُسْرة، وهم أَيْضًا الأَيْدِي العَامِلَة، كما أَنَّهُم المُدَافِعُونَ عَنِ العَشِيرَة، وَالضَّامِتُونَ لاسْتِمْرَارِهَا، وَهُوَ مَا نَفَهُهُ مِنْ جُزْءٍ آخَرَ مِنَ الرِّسَالَة نَفْسَهَا، يَقُولُ أَبُو إِسْحَاق الصَّابِي: -

«ووصل كتابك بما وهب الله لك من المولودة التي سوى الله خلقها، وضمن رزقها، وأسعد طالعها، وأيمن طائرها، وفهمته. وأقلقني ما دلَّ عليه ذكرك إياها من كراهتك لها، ووجومك منها. وأعوذ بالله من أن تذهب في ذلك عن صواب الرأي، وسبيل الحزم، وسداد القول، ورشاد الفعل، وأن يخفى عليك مواقع صنع الله لك، ولي فيك، إذ كان - عز وجل - قد سلم والدتها - صانها الله - من الخطر، ووقاها من الحذر، بعد أن أشفقت بحداثة سنّها، وبرقه جسمها عليها، وأشفقنا عليها منها. ولم يقتصر بك على ذلك حتى حاك فيها من آفات الخلق وعوارضه، وزيادته ونقصه، فلم يلد²⁵ إغابة نعرها، ولا علة تضرها، وقد علمت أن ذلك بما²⁶ حدث فيلقاه الناس بالصبر للنازل والتسليم لأمر الخالق، والثقة منه - تبارك وتعالى اسمه - بالتعويض من عاجل البلوى بأجل النعمى.

وما أراك تدعي علم ما استسرَّ وانطوى عنك من حسن الاختيار لك، وكم من أنثى أضلحها الله وأصلح بها، وجعل الخير والبركة فيها، والكثرة والنجاة منها، ومن ذكرٍ خالف مذهب أبيه، وباتن أعراقه وذويه، فلم تحمد خلائقه ولم تؤمن بوائقه. ثم أنك وقرينتك - أبقاكما الله - في أول نشيئكما، وعُتقوان شبايبكما، ومُقبِل

²⁵ كذا، ولعله أراد «فلم يزد».

²⁶ كذا ولعلها «إذا».

عُمْرُكُمَا، وَمُسْتَأْنَفُ أَمْرِكُمَا، وَالْأَيَّامُ بَيْنَ أَيْدِيكُمَا، وَالْأَمَلُ مُنْفِصِحٌ لَكُمَا، وَلَمْ تَيْسَسَا - وَلَا يَنْسِنَا فَيْكُمَا - مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ هَذِهِ الْمَوْلُودَةُ أَخُوَّةً يَكُونُ لَنَا مِنْهُمْ وَبِهِمْ زِيَادَةُ الْعَدَدِ، وَقُوَّةُ الْعَصْدِ، فَإِنْ جَدَّيْ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَهْرُونَ، وَأَبَا سَعِيدَ سِنَانَ بْنِ ثَابِتٍ لَمْ يُرْزَقَا الذُّكُورَ إِلَّا بَعْدَ الْإِنْثَاءِ، وَلِلَّهِ فِي ذَلِكَ تَقْدِيرٌ هُوَ أَعْلَمُ بِهِ، وَتَدْبِيرٌ هُوَ أَحْكَمُ فِيهِ²⁷.

ونستدلُّ من تلك الرِّسالة أيضًا على أنَّه كان من المُتَّبَعِ عند الحرنانيَّةِ عند ميلاد الأطفال دفع مُبلغ من المَالِ للوالدة على سبيل الهدية، وكان من عادات الحرنانيَّةِ أيضًا أنَّه متى بلغ منهم صبيٌّ حدَّ الإِذْرَاكِ وَقَدَّرَ على التَّصَرُّفِ أَثَرَا بِهِ إِلَى الْهَيْكَلِ، فَعَرَضُوهُ عَلَى ضُرُوبِ الصَّنَاعَاتِ وَالْمِهْنِ الْمُخْتَلِفَةِ فَبِإِذَا اخْتَارَ وَاحِدَةً مِنْهَا سَلَّمُوهُ إِلَى الْمُتَخَصِّصِينَ فِيهَا، فَيَحْذَقُ فِي تِلْكَ الصَّنَاعَةِ²⁸.

الاعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية

اعتمد المندائيون التقويم الشمسي، فقسموا السنة إلى إثنا عشر شهرًا، كل شهر ثلاثين يومًا، مع خمسة أيام كيسة أطلقوا عليها اسم «البنجة»، ونتيجةً لأنَّ المندائيين لم يتعرفوا على رُبع اليوم الذي تكمل الأرض خلاله دورتها حول الشمس فإنَّ الفصول الأربعة كانت تفقد باستمرار تراثيَّتها المنطقية على شهورهم²⁹.

ويحتفل المندائيون بعيد رأس السنة «دهفة ربًا» وهو ذكرى يوم الخليفة وبدء الحياة، ولهذا السبب لم يكن يُسمح للمندائيين بالذبح أو إنهاء حياة أيِّ كائن مُطلقًا، لذا كانوا يُكثرون من الذبح في اليوم السابق على العيد، وهو آخر يومٍ من السنة، كما كانوا يُعدُّون الحُبز بكميات

²⁷ رسائل الصَّابِئ، نُسخة مجلّسي سُوراي إيران، ورقة 20 و.

²⁸ الجُميري: الرُّؤس المِغْطَار، 191؛ المِجْريطِي: غَايَةُ الْحَكِيم، 226 - 227.

²⁹ دراوَر: الصَّابِئَةُ الْمَنْدَائِيُون، 144.

كافية للعيد. كما كانوا - في الوقت نفسه - يُسَلِّمُونَ قُطْعَانَ مَا شِيتَهُمْ لِجيرانهم، ثم يَحْبِسُونَ أنفسهم في دُورهم ليومٍ ونصف اليوم، لا يَتَبَغْيِي خلالها أَنْ يَغْمَضَ للمندائي جفن، حيثُ يعتقدون أَنَّ الأزواج الحارسة تَخْرُج من البيت في الثلاثة أَيَّام الأولى من السَّنة، وهذا أَمْرٌ خَطِيرٌ في اعتقادهم، فالعالم يُصبح بِدُونِ حَمَاةٍ، وتَظَلُّ قُوَى الشَّرِّ وَالظَّلَامِ حُرَّةً طَلِيقَةً، لا يُوجَدُ ما يَعُوقُهَا. بعدها يتَوَجَّبُ على الجميع الخُرُوج إلى النَّهْرِ للتَّعْمِيد³⁰.

وفي اليوم السادس من الشَّهر الأوَّل من السَّنة المندائية عيد «نُورُوز رُوطَه» ويعتقدُ المندائيون أَنَّ أَبْوابَ أَبْائِثَر - الإِثْرِي المُوَكَّل بالأزواج الطَّاهرة - تُفْتَحُ أَمَامَ الْمُتَّقِينَ، فيُجَاب الدُّعاء. ومن المُعتَاد في هذا اليوم أَنَّ تُطْفَأَ جَمِيعُ الأَنْوَارِ والنَّيران، وَيُوزَعُ المندائيون الأَطْعِمَةُ على الْفُقَرَاء منهم، كما يَمُرُّ الْكَهَنَةُ على الدُّور لِيُوزَعُوا عَلَيْهَا أَكَالِيلُ الأَسْرِ وَالصَّفْصَاف؛ لِنَقِيَّتِهَا مِنَ الأَخْطَارِ³¹.

وفي اليوم الثَّامن عَشَرَ من شَهر «نُورا» [الشَّهر الرَّابِع في التَّقْوِيم المندائي] يَقَعُ الْعِيدُ الصَّغِير، «دَهْفَةُ حُشِينَة» ويستمرُّ هذا الْعِيدُ لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، تُقَامُ خلالها مَرَايِمُ التَّعْمِيدِ والأَذْعِيَةِ لِلْمُتَوَفَّين «لُوفَانِي»، وهذا الْعِيدُ يُمَثِّلُ اخْتِفَالًا بِعَوْدَةِ هَيْبِلَ زِيوَا إِلَى عَالَمِ الأَنْوَارِ مِنْ عَالَمِ الظَّلَامِ³². وَهَذَا الْعِيدُ يُبَايِلُ عِيدَ الْكُرْمُوسِ عِنْدَ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ كَمَا سَيَأْتِي، فَهُوَ إِحْيَاءٌ لَتَقْلِيدِ بَابِلَ قَدِيمٍ فِي الْاِخْتِفَالِ بِعِيدِ الإِلَهِ تَمُّوز، وَيَتِمُّ الْاِخْتِفَالُ بِهِ فِي أَوَّلِ تَمُّوزَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ وَحْشِيَّة³³ أَوْ فِي النِّصْفِ مِنْهُ عَلَى قَوْلِ النَّدِيمِ³⁴، وَيَجُوزُ أَنَّ صَابِنَةَ حَرَّانَ كَانُوا يَحْتَفِلُونَ بِهِ فِي النِّصْفِ مِنْ تَمُّوزَ، أَمَّا المندائيون فَمِنْ الصُّعُوبَةِ بِمَكَانٍ مُخْذِدٍ تَارِيخَهُ نَظَرًا لِأَنَّ أَعْيَادَهُمْ لَيْسَتْ ثَابِتَةً عَلَى مَدَارِ السَّنةِ الشَّمْسِيَّةِ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ مَرْدُّ ذَلِكَ التَّنَاقُضِ.

³⁰ دراور: نفسه، 146.

³¹ دراور: نفسه، 149.

³² دراور: نفسه، 150.

³³ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية،

دمشق 1993، 1: 397.

³⁴ النديم: الفهرست، 2: 368.

وعيدٌ تمَّوز هذا مأخوذٌ عن التراث البابليِّ القديم، وهو يُجسِّد مأساة الإله السُّومريِّ تمَّوز إله الخصب الذي اختطفته شياطين الجحيم السُّفلي - بإيعاز من زوجته عشتار - وعذِّبته ثم قتلته في نهاية الأمر، فتتج عن ذلك إصابة العالم بالجفاف، ورَّخفُ المَوْت على كُلِّ شَيْءٍ، فنَدِمَت عشتار على فعلتها واستنجدت بألهة سُمَّر، وتمَّ التَّوصُّل إلى تسوية بين الآلهة وبين شياطين الجحيم تقضي بأن تُسَلِّم أخته الإلهة «جشتي أناثا» نفسها نصف العام وتقضيه في الجحيم، ويُسَلِّم تمَّوز نفسه لشياطين الجحيم في النصف الثاني من العام، وهو مؤسس الجفاف في الحريف والشتاء بطبيعة الحال، وأسطورة تمَّوز ترمز إلى ذلك الصراع الأبدي بين قوى المَوْت والفناء، وقوى الإخصاب والحياة.³⁵

يقول ابن وخشية³⁶:

«والصَّابُّون كُلُّهم في زماننا من
البابليِّين والحرنايين جميعاً - إلى وقتنا هذا -
يُؤخَّون ويكُون على تمَّوز في الشَّهر المُسمَّى تمَّوز
في عيدٍ لهم فيه منسوب إلى تمَّوز، ويعدِّدون تغديداً
عظيماً وخاصَّة النساء فإنَّهن يُقمن هاهنا ويحرَّران
جميعاً فينؤخَّون ويكُون على تمَّوز».

³⁵ وتمَّوز هو الإله البابلي البديل لديموزي إله الإنثبات والإخصاب عند السُّومريِّين، والذي نزل إلى العالم السُّفلي ووجب على جميع النُساء أن يَكينه كُلَّ عام حتَّى يعود مجدداً في الرِّبيع التَّالي، وهو يُقابل أوزوريس المصري، هنري عبود: مُعجم الحضارات السَّامية، 406. وكانت تُقام في أعياده اختفالات صاخبة ومُكرسات جنسيَّة ترمز إلى الإخصاب. وفي يفر حزقيال ما يُشير إلى أنَّ نساء أورشليم كنَّ يُجيين هذا اليوم بالنَّواح على تمَّوز بالهيكل نفسه، حز: 8-14. وقد انتقلت أسطورة تمَّوز إلى النصرانيَّة عبر الاختفال بعيد القديس جورجس الذي قتلهُ الوثنيُّون وعاد من المَوْت فقتلوه عَشْرَ المَرَّات وكان يعود إلى الحَيَاة في كُلِّ مرَّة. عن تمَّوز وأسطورته وصداها الوايس في الشَّرق القديم راجع: ميرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات الدُّنيَّة، ترجمة عبد الهادي عبَّاس، دمشق 1987، 1: 87-91. وانظر أيضاً الفصل الطَّريف الذي عقده فراس السَّواح عن تمَّوز في دراسته الشَّيقة: -لُغز عشتار، 263-344؛ راجع أيضاً: -هنري س. عبود: مُعجم الحضارات السَّامية، مادُّنا تمَّوز -أدونيس، 56.

³⁶ الفلاحة النبطيَّة: 1: 297-298.

وحالياً يحتفل المندائيون بهذا العيد بدون نوح أو عويل، وتدلُّ فقرة وردت في كتاب «الكنز ربا» على أنهم كانوا يذهبون إلى مكان يُدعى بيت تموز، حيث يقيمون هناك ثمانية وعشرون يوماً يجزؤون الأغنام ويمزجون الكتوس، ويصنعون الحُبز ويندبون³⁷.

واليوم الأول من شهر سِرطانه [الشهر السادس من شهور السنة المندائية] يقع يوم «عاشوري»، وهو ذكرى غرق المصريين الذين غرقوا أثناء مطاردة النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل بالبحر الأحمر، وقد مرَّ بنا من قبل كيف كان المندائيون يعتبرون المصريين القدماء على دينهم³⁸، لذا اعتادوا إحياء ذكرى غرقى المصريين بإقامة وجبة طقسية على أزواجهم «لوفاني»³⁹.

وتقع الأيام الخمسة الكبسة [البُنجة] التي يكبس المندائيون السنة بها بين شهري شنبلته [الشهر الثامن] وشهر «قيناً» [الشهر التاسع]، وهي اختفالات دينية أكثر مما هي أعياد، إذ يتجمع فيها المندائيون - وقد يأتون من أماكن بعيدة - لأقرب مندى، وذلك للعباد وتلاوة الأدعية وإقامة الصدقة المباركة على الموتى «زدقة بريجة». فحسب اعتقاداتهم تأتي تلك الأزواج من عوالم الأنوار لتشارك في وجبات الطعام الطقسية وتبارك المختفلين⁴⁰.

ونظراً لأنَّ أيام البُنجة تُعدُّ أياماً ثورانية مباركة؛ فإنَّ المرضى المصابين بأمراض خطيرة، أو المختضرين الذين يترقبون موتهم بين لحظة وأخرى كانوا يحضرون بمساعدة ذويهم للتعميد بهاء النهر، وكما لاحظت السيدة دزاور فإنَّ هذا العبادة في الماء الجاري لشخص عليل تُعدُّ بمثابة رغبة حقيقية في الوفاة في ظلِّ هذه الأيام المباركة عند المندائيين، فالمرضى ويبار السن منهم يتوقون لمغادرة هذا العالم في هذا الوقت، حيث لا شياطين ولا وحوش مُفترسة تعترض طريق الأزواج لعالم الأنوار⁴¹.

³⁷ دراور: المرجع نفسه، 139.

³⁸ راجع الفصل الثالث.

³⁹ دراور: نفسه، 151.

⁴⁰ نفسه، 152.

⁴¹ نفسه، 153.

والعيدُ الأوَّل الذي يأتي بعد البُنْجَة يتسعين يومًا هو عيد «دهفة ديانَه» وهو يُوافق الأوَّل من شهر هِيطة [الشهر الحادي عشر] وهو عيد الاختِفَال بتعميد آدم ^{عليه السلام}، وفيه يجبُ على الاتقياء القيام بالعماد أسوةً بأبي البشر، وهو مناسبةٌ سعيدة يُفضَّل فيها المندائيون عماد أبنائهم الصغار للمرَّة الأولى، وإهداءهم الملابس الطَّقْسِيَّة «الرَّسْتَة» التي ستلازمهم حتى بلوغهم مبلغ الرِّجال، حيثُ ينبغي تغييرها لثواب نمو الجسم، ومن تقاليد المندائيين في ذلك اليوم تخريم ذبح الحيوانات في اليوم الذي يلي العيد⁴².

أما الصَّابئة الحرَّانيَّة فقد اعتمدوا أيضًا التقويم السُّرياني السُّمسي، لكنَّ حساب أعيادهم وصيامهم اعتمد على أساس الشُّهور القمرية، بعبارة أخرى استخدموا مَرِيجًا من التقويمين السُّمسي والقمرية، فقد احتفظوا من التقويم السُّمسي بأشياء الأشهر فحَسَب، لكنَّهم استخدموا الأهلَّة لحسابها⁴³، ويبدأ العام عند الحرَّانيَّة بظهور هلال كائون الآخر [يناير]⁴⁴. وبالرَّغم من أنَّ السَّنة القمرية أقصر من السَّنة السُّمسية بما يقرب من ثلث شهر تقريبًا، فإنَّهم لجأوا في سبيل تثبيت أعيادهم على التقويم السُّمسي إلى كَبَس شهر كاملٍ كُلَّ ثلاث سنوات، ويُجْعَلونه بعد آذار [مارس]، ويُطلقون عليه اسم آذار الثاني فتصير شُهُور تلك السَّنة الكبيسة ثلاثة عشر شهرًا⁴⁵.

والعيد الكبير للحرَّانيَّة يقعُ في اليوم الأوَّل من شهر نيسان [أبريل] وفي الثلاثة أيام الأولى يُصلُّون ويضرعون للإلهة بلثي [الزَّهرة] لتحفظهم وتقيهم من الشرور⁴⁶. وكانت لهم

⁴² نفسه، 154.

⁴³ الحميري: الرُّوض المغطار، 192؛ والبيروني يُلَفِت النَّظْر إلى أنَّ كُلَّ من المانويَّة والحرَّانيَّة يتشابهون في طَريقة حساب صومهم اعتمادًا على الأهلَّة، القانون المسعودي، 1: 92.

⁴⁴ j. HJARPE: *The holy year of the Harranians, some remarks on the festival calendar of the Harranian*

Sabians, in *Orientalia Suecana*, Vol. XXIII-XXIV, (1974-1975) p 73.

⁴⁵ البيروني: الآثار الباقية، 319؛ j. HJARPE: op.cit, p 72.

⁴⁶ النديم: الفهرست، 2: 366.

طقُوس عند بدء العام، ففي اليوم السادس من نيسان يذبحون قرباناً - ويُفصلون الثور - للإله سين إله القمر، ويجب عليهم الصيام في اليوم الثامن، ويُستحب أن يفتروا بلحْم الضأن⁴⁷.

كما اعتاد الحرنانيّة في نيسان على الخروج إلى دير كاذي⁴⁸ وهو يقع إلى الشرق من حرّان، وينتظرون في كل عام عودة صنم الماء والذي - وفقاً للأساطير الحرنانيّة - هرب بعد نزاع مع الآلهة إلى بلاد الهند، وأقسم على ألا يدخل حرّان مجدداً، لكنّه في الوقت نفسه وعد بتفقد الحرنانيّة بدير كاذي كل عام⁴⁹، وكان الحرنانيّة يخرجون رجالاً ونساءً بأعدادٍ غفيرة متوقعين عودة صنم الماء من منفاه الاختياري، وجعل هذا التقليد الحرنانيّ إخوان الصفا يتحدثون عن أن انتظار الحرنانيّة لعودة صنم الماء يشبه انتظار اليهود لخروج المسيح المنتظر⁵⁰.

وكان الحرنانيّة يذبحون ثلاثة ثيران، وتسعة خرفان تكريماً لصنم الماء، كما كانوا يحرّقون خرفاناً وديكة كثيرة⁵¹. وفي اليوم الثامن والعشرين يخرجون إلى دير لهم في قرية تُسمّى «سبتي» على باب من أبواب حرّان يُقال له باب السراب، ويذبحون ثوراً كبيراً لهزمس النبي، ويذبحون تسعة خرفان كقربان لباقي الآلهة⁵².

وفي السابع والعشرين من حزيران [يونيو] تُقام مراسم تسميس السرّ لإله الشمال الذي يُطير النّشاب [!؟]، ومعلوماً عن هذا العيد مُستمدّة من النّديم، فنحنُ نعرف أن من شعائر الحرنانيّة أنّهم ينصبون في هذا اليوم مائدة، ويَجعلون عليها سبعة أقسام للآلهة السبعة، ويُحضّر الكمر (الكاهن) قوساً ويُطلق منها اثنا عشر سهماً مُشتعلة، ثم يمشي الكمر على يديه

⁴⁷ البيروني: الآثار الباقية، 320.

⁴⁸ البيروني: المصدر نفسه، 321.

⁴⁹ النّديم: الفهرست، 1: 373.

⁵⁰ رسائل إخوان الصفا، 4: 306.

⁵¹ النّديم: الفهرست، 2: 367؛ إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، 4: 306.

⁵² النّديم: المصدر نفسه، 2: 367-368؛ قارن البيروني: الآثار الباقية، 320.

ورجله محاكياً مشية الكلب حتى يردّ تلك السهام جميعاً. ويتشائم الحرنائيّة إذا انطلقاً أحد هذه الأنسهم قبل وصول الكمّر إليه، وإذا حدث ذلك فمعناه أن الكواكب السبعة ترفض مباركة العيد، وإن جمعتها الكمّر قبل انطفاؤها فقد باركت الكواكب مراسيم العيد⁵³.

وعند حلول شهر تمّوز [يوليو] يحتفل الحرنائيّة بذكران تمّوز، أو عيد الكرّموس، وفيه ينوحون ويبكون على تمّوز كما سبق بيانه. ومن أكبر أعيادهم عيد المنقلب الصيفي وهو العيد الكبير عند الصابئة الحرنائيّة⁵⁴، ويبدأ من الحادي عشر من تمّوز ويستمرّ حتى منتصف الشهر، ويسبقه صيام يدعى صيام الكوجك⁵⁵ ومدته أربعون يوماً، ويسمّي البيروني هذا العيد بعيد التبريك⁵⁶، وكان حكماء الصابئة الحرنائيّة يجتمعون في الهيكل وهم يلبسون زيّاً خاصاً بألوان معينة، ويأكلون الثمار الرطبة واليابسة، فإذا قضوا ما عليهم من صدقات للمعبود انصرفوا⁵⁷. وفي السابع والعشرين من تمّوز يحرق عيد بيت القصاب⁵⁸. ولا نعرف شيئاً عن مغزى الاختفال بهذا العيد، إلّا أنّه من الطقوس التي يجب أن تمارسها النساء الحرنائيّات في هذا اليوم ألا يأكلن شيئاً مطخوناً في رحا، بل يجب أن يقتصرن على أكل الحنطة المبّلولة، والحمص والتمر والزبيب⁵⁹.

ويحتفل الحرنائيّة بعيد الاعتدال الحريفي، ويقام قرب نهاية أيلول [سبتمبر]، وعيد المنقلب الشتوي، ويقول إخوان الصفا عن مراسم الاختفال به عند الحرنائيّة: «كان حكماء الصابئة تتخذ هذا اليوم يوم حزن وكآبة وندم واستغفار، وكانوا يصومونه ولا يفطرون»⁶⁰.

⁵³ النديم: الفهرست، 2: 368.

⁵⁴ البيروني: المصدر نفسه، 321؛ القلقشندي: صبح الأعشى، 2: 429؛ حنين بن إسحاق: آداب الفلاسفة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، منشورات معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1985، 51.

⁵⁵ رسائل أبي إسحاق الصّائبي، نسخة عاشر إندلي، ورقة 17 ا و.

⁵⁶ البيروني: القانون المسعودي، 1: 267-268.

⁵⁷ إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، 4: 266-267.

⁵⁸ البيروني: الآثار الباقية، 321.

⁵⁹ النديم: الفهرست، 2: 368.

⁶⁰ إخوان الصفا: المصدر نفسه، 4: 266-267.

وفي تشرين الأول [أكتوبر] قُرب مُتَصَفِه يعملون إخراج الطَّعام للموتى، وهو ما يُشابه الوجبة الطَّقسية لأرواح الأسلاف عند المندائيين، وكان الحرثانية يشترُون خلال ذلك العيد من كُلِّ شيءٍ يُؤكل من أصناف اللحوم والفواكه الرطبة واليابسة، ويطبخون مُختلف أصناف الطَّعام والحلوى، ثم يُحرق جميع ذلك باللَّيل للموتى، ويُحرق مع هذا الطَّعام عظمٌ من فخذٍ جَمَلٍ ويُجعل ذلك للكلب من الوحوش التي تُطارِد الأرواح في العالم الآخر، ويدعى كَلب المُوذية [كذا] حتَّى لا يَنبَح على موتاهم فيفزعون، ويصبُّون أيضًا لموتاهم على النار خمرًا ليشربوه، كما يأكلون الطَّعام المَحروق⁶¹.

وفي السَّابع من كانون الأوَّل [ديسمبر] يُحتفل الحرثانية بعيدِ صَتم الزَّهرة، وينصبُّون خلالَه قُبَّةً يسمُّونها الحَدر، على الرُّخامة التي في محراب الهَيْكل، ويُعلِّقون عليها أصناف الفاكهة والرياحين، ويذبُّحون الذَّبائح كقرايين للزَّهرة، وتستمرُّ هذه الاختفالات سبعة أيَّام، وفي أعقاب هذا العيد يجلسُ رئيس الكُمرين (الكهنة) على منبرٍ مُرتفع، ثم يخطُب فيهم حُطبة هم يدعُو فيها لجماعتهم بالبقاء وكثرة النسل، والعلوُّ على جميع الأمم، ويردُّ دولَّتهم وإيَّام مُلكيهم إليهم، ثم ينزل عن المنبر، فيأكلون من الذَّبائح ويشربون، ويأخذ الرَّئيس من كُلِّ رَجُل دِرْهَمين في هذا اليوم لبيت مالهم⁶².

وفي رسالة من أبي إسحاق الصَّابئ إلى عضد الدولة يُهنِّئه فيها بمُناسبة يَوم ميلاده يتحدَّث عن عيدٍ من أعياد الصَّابئة الحرثانية الكُبرى ويُسمَّى «عيد السَّمع»، ولم تأتِ المصادر - التي أسهبت في الحديث عن أعياد الحرثانية - على ذِكر عيدٍ للحرثانية بهذا الاسم، وهو ما يشعُرنا بالدهشة، ويبدو ممَّا ذكره أبو إسحاق الصَّابئ أنَّه كان عيدًا كبيرًا، ويومًا من أيَّامهم

⁶¹ النَّدِيم: الفهرست، 2: 370.

⁶² البيروني: الآثار الباقية، 319.

«... وَأَمَّا الصَّابُوتُونَ؛ فَإِنَّهُ زَادَ خُصُوصًا
بِهِمْ، وَعِظَمًا عِنْدَهُمْ، لِأَنَّهُ نَصَّ عَلَى يَوْمٍ بَعِيْنِهِ مِنْ
الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ عِيْدُهُمُ الْمَعْرُوفُ بِعِيْدِ
الشَّمْعِ، وَلَا انْتِقَالَ لَهُ عَنْهُ إِذْ كَانَ عِيْدًا شَمْسِيًّا لَا
يَزُولُ عَنْ إِيَّانِهِ، وَلَا يُسْتَبَدَّلُ بِمَكَانِهِ، وَلَهُمْ فِي
تَنْفِيزِهِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ أَخْبَارٌ وَأَثَارٌ، حَتَّى أَنَّهُ إِذَا اتَّفَقَ
أَنْ يُوَلَّدَ فِيهِ وَلَدٌ لِأَحَدِ الرَّعَايَا؛ تَوَسَّعُوا خَيْرَهُ
وَرُشِدَهُ، وَرَشَّحُوا يَوْمَهُ وَغَدَهُ».

وَمِنْ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ الْجَلَالِيَةَ الْحَرَنَانِيَّةَ مِنَ الْمُقِيمِينَ بِبَغْدَادٍ قَدْ تَأَثَّرَتْ بِجَوَارِهَا مِنْ مُخْتَلَفِ
الْمِلَلِ وَالطَّوَائِفِ، فَاحْتَفَلُوا مَعَهُمْ بِالْأَعْيَادِ ذَاتِ الطَّابَعِ الْاجْتِمَاعِيِّ، كَعِيْدِ النَّيْزُورِ⁶⁴، كَمَا
اِحْتَفَلُوا أَيْضًا بِعِيْدِ الْمَهْرَجَانِ⁶⁵، بَلِ الْمَدْهَشُ أَنَّهُمْ كَانُوا يُهَيِّتُونَ أَنْفُسَهُمْ بِعِيْدِ الْفِطْرِ الْإِسْلَامِيِّ،
وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِرُكَّتِهِ⁶⁶.

الْمَأْكَلُ وَالْمَلْبَسُ

كَانَ الصَّابِتَةُ الْمُنْدَانِيَّةُونَ بِحَقِّ طَائِفَةٍ مُمَيَّزَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الْمُجْتَمَعِ، فَقَدْ كَانَ يُمَكِّنُ التَّعَرُّفَ
عَلَيْهِمْ مِنْ خِلَالِ لِبَاسِهِمْ، فَقَدْ كَانَ الْبَيَاضُ هُوَ لَوْنُ اللَّبَاسِ الْمُفَضَّلِ لِأَغْلَبِ الْمُنْدَانِيِّينَ، إِذْ إِنَّ

⁶³ رسائل أبي إسحاق الصَّابِي، نُسخة عاشر أفندي، ورقة 198و.

⁶⁴ المصدر نفسه، نُسخة مجلدي سُوراي إيران، ورقة 148ظ. وعيد النيروز أو النَّوْزُوز (اليوم الجديد) هو عيد
رَأْسِ السَّنَةِ الْفَارْسِيَّةِ، يَقَعُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ أَفْرُودِينَ مَاه (الشَّهْرِ الْأَوَّلِ فِي التَّقْوِيمِ الْفَارْسِيِّ)، وَهُوَ
الْيَوْمُ الَّذِي يَعْتَقِدُ الزَّرَادُشْتِيَّةُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ النَّوْرَ فِيهِ، الْقَلْقَشَنْدِي: صُبْحُ الْأَعْشَى، 2: 408.

⁶⁵ نفسه، نُسخة الجامع الأزهر، ورقة 192، ونسخة عاشر إفندي ورقة 193و. وعيدُ الْمَهْرَجَانِ أَحَدُ الْأَعْيَادِ
الْفَارْسِيَّةِ الْكُبْرَى، وَهُوَ عِيدُ الْاِحْتِفَالِ بِالْانْقِلَابِ الشُّتَوِيِّ، وَيُوَافِقُ يَوْمَ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ مَهْرْمَا
(الشَّهْرِ الثَّامِنِ فِي التَّقْوِيمِ الْفَارْسِيِّ)، الْقَلْقَشَنْدِي، صُبْحُ الْأَعْشَى، 2: 410.

⁶⁶ رسائل أبي إسحاق الصَّابِي، نُسخة تشيستر بيتي، ورقة 60و.

البياض في العقيدة المندائية هو رمزٌ مملكة النور⁶⁷. وكان الرداء الديني «الرسته» هو اللباس الذي يصاحب المندائي منذ صباه وحتى دفنه في قبره، فلا تصح الطقوس الدينية كالزواج والميلاد والتعميد بدونه، كما كان المندائي يكفن في رسته حال وفاته.

وتألف رسته العامة من المندائيين من خمس قطع، وهي: القميص، والدشة⁶⁸، الشروال (الشروال)، التكة⁶⁹، البرزقنا (العمامة)، التصفية⁷⁰، الهميانة (الزئار)⁷¹، ورسته الكاهن أو رجل الدين المندائي تزيد بقطعتين عن رسته العامة، وهما: الثاغة (التاج)⁷²، الشوم ياور⁷³. ويعدُّ عدم ارتداء المندائي للرسته مُبطلًا للطقوس الدينية التي يقوم بها كافة. كما إنَّ عدم ارتداء المتوفي لرسته حال دفنه يعيقه عن بلوغه عالم الأنوار، بالرغم من أنَّ هناك طقوس بديلة يؤدِّيها الكهنة لتساعد المتوفين من غير مُرتديها على بلوغ عالم الأنوار⁷⁴. والصَّابئة المندائيون يكرهون اللون الأزرق في لباسهم، ويعتبرونه محرَّمًا، رغم أنَّ كُتُبهم الدينية لا تُبج لنا بسبب كراهية هذا اللون في اللباس⁷⁵، وفي حال الجنابة، أو مسَّ الطامث، فإنَّه يلزمهم الغسل، وتغيير الثياب كُلِّها⁷⁶.

67 دراور: الصَّابئة المندائيون، 77.

68 رُقعة من نفس نوع القماش تُحاط من الخارج من أعلى الناحية اليمنى من فتحة الصدر، دراور: نفسه، 77.

69 الحيط الذي يشدُّ الشروال إلى البطن، دراور، نفسه، 78.

70 قطعة طويلة من القماش نفسه تُلقى على الكتفين، دراور، نفسه، 78.

71 نسيج مجوف، يُلف على الجسد بكيفية مُعيَّنة بحيث تتقاطع من الأمام، ثم تُربط بعقدتين، وتُدسُّ النهايتان في

الحصر، دراور، نفسه، 79.

72 حلقة مجوفة من الحرير الأبيض أو القطن، دراور، نفسه، 80.

73 حلقة من ذهب تُلبس في خنصر اليد اليمنى، دراور، نفسه، 80.

74 دراور: مرجع سابق، 81.

75 وقد قيل الكثير في سبب تغليب كراهية المندائيين للون الأزرق، فقولهم أنَّهم تأثروا بالعرب في كراهيتهم للزرق

«زُرق العيون»، إلى دخول مواد غير طاهرة تدخل في صناعة هذا اللون، وتعتبر من مُسيئات النجاسة عند

القوم، ويعتقد الكرمل أن العلة أقدم من ذلك بكثير، وترجع إلى اعتقادات الأمم السامية القديمة في علاقة

اللون الأزرق بالفناء والموت، الكرمل: الصَّابئة المندائية، المشرق، مج 5: 496.

76 التديم: اليهريست، 2: 360.

أما الصَّابئة الحَرَنائية فقد اعتادوا على إطالة شعورهم على نحو مُبالغ فيه، بحيث يسترسل خلفَ ظهورهم، كما اعتادوا ارتداء الأقبية⁷⁷، كما كانوا يلبسون خواتم مُميّزة منقوش عليها عجائب من رسوم الحيوانات، وهي تقوم مقام الأخراز لتقي المرء من الجنِّ وسائر الأرواح الحبيثة⁷⁸.

وبالنسبة للمأكُل؛ فعند المندائيين تنصُّ عقيدتهم على أن هيبيل زيوا - بعد خلق العالم المادي - علّم آدم الحلال من الطعام، وهو كُل نبتٍ له بذر، وغيره يُعدُّ حرامًا، ومن ثمَّ تُحرّم العقيدة المندائية أكلَ الفِطْر، كما دخل في دائرة التَّحريم كُل ما افتَرَس من الطَّير، بما فيها الطُّيور آكلة الأسماك، كما تُحرّم لحوم الجمال والخيول والحنازير والكلاب والفئران والأرانب، والقِطَط، والبقر والجاموس⁷⁹. وأغلب أنواع السمك تُثَلّ لحمًا طيبًا طاهرًا للمندائيين، ولو أنَّ العقيدة المندائية تُحرّم بعضها.

واللُّوفاني - أو الوجبة الطَّقسيَّة التي تُقام على أرواح المُتوفِّين من الأسلاف - تقومُ فلسفتُها على إنكان اتحاد أرواح السلف والأحياء في عشاءٍ مُبارك، أو قُداسٍ للطعام، وأنَّ القُوَّة التي يمنحها هذا الطعام تصبُّ في خدمة كليهما، أغني الأحياء في الدُّنيا، والموتى في الآخرة⁸⁰، ويتكوَّن اللُّوفاني من الحُبْز وبعض السمك المشوي وقِطعة من شحم الإلية، وبعض لحوم الطُّيور وبعض اللُّوز والرَّمَّان والعنب والزَّبيب، وهذه الأصناف بذاتها هي أصناف ضروريَّة لهذا الطَّقس، ويُطلق عليها «طُبُوثة»، ويُمكن أن يُضاف إليها بعضُ الفواكه الموسميَّة⁸¹.

⁷⁷ النديم: المصدر نفسه، 2: 362.

⁷⁸ المصدر نفسه، 2: 365.

⁷⁹ دراور: الصَّابئة المندائيون، 100.

⁸⁰ دراور: المرجع نفسه، 260.

⁸¹ دراور: نفسه، 270.

أَمَّا الصَّابِئَةُ الحَرْنَانِيَّةُ فَقَدْ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ شَرِيعَتَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا ذَبِيحَةً أَوْ يَقْدُمُوا قَرْبَانًا إِلَّا كُلَّ ذَاتِ رِثَةٍ وَدَمٍ⁸²، وَأَلَّا يَتَنَاوَلُونَ لَحْمًا ذَكَاهُ غَيْرُهُمْ، وَهُمْ فِي هَذَا يَتَشَابَهُونَ كَثِيرًا مَعَ الْمَنْدَثِيِّينَ، كَمَا كَانَ الحَرْنَانِيَّةُ يُحَرِّمُونَ كُلَّ مَا لَهُ أَسْنَانٌ فِي اللَّحْيَيْنِ، وَمِنَ الطَّيْرِ كُلِّ مَا لَهُ مِخْلَبٌ، فَحَرَّمُوا لَحُومَ الْكِلَابِ وَالْحَمِيرِ، وَالْحَيُولِ، وَسَائِرِ الْوَحْشِ، كَمَا حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَحُومَ الْحَتَّازِيرِ وَبَعْضِ الْأَسْيَاكِ⁸³، خَاصَّةً الْأَسْيَاكَ الرَّعَادَةَ⁸⁴، كَمَا كَانُوا يُحَرِّمُونَ لَحُومَ الدَّجَاجِ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَصْرَحُونَ بِأَكْلِ كَبِدِهِ لِلتَّدَاوِي أَوْ لِصِنَاعَةِ الْأَذْوِيَّةِ⁸⁵، كَذَلِكَ كَانُوا يُعْلَقُونَ أَجْنِحَتَهَا بَعْدَ تَحْفِيفِهَا فِي أَغْنَاقِ الصَّبِيَّانِ كَحِرْزٍ وَوَقَايَةٍ مِنَ السَّخَرِ⁸⁶، وَكَذَلِكَ حُرِّمَ عَلَيْهِمْ أَكْلُ لَحُومِ الْجِمَالِ، وَكَانُوا يُفَرِّطُونَ فِي كَرَاهِيَةِ الْجَمَلِ حَتَّى أَتَاهُمْ اعْتِقَادُ أَنَّ مَنْ مَشَى تَحْتَ خِطَامِ بَعِيرٍ لَمْ تُنْقَضْ حَاجَتُهُ⁸⁷، كَذَلِكَ دَخَلَ فِي دَائِرَةِ التَّحْرِيمِ هَذِهِ فِرَاحُ الْحَمَامِ، وَالْجَرَادِ، وَبَعْضُ أَنْوَاعِ نَبَاتِ الْأَرْضِ كَالْبَاقِلَاءِ وَالثُّومِ وَاللُّوبِيَا وَالْقَنَبِيطِ وَالْكَرْنَبِ وَالْعَدَسِ⁸⁸.

وَاعْتَقَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ تِلْكَ الْأَنْوَاعَ الْأَخِيرَةَ وَالتِّي لَا غَبَارَ عَلَيْهَا فِي الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ قَدْ حُرِّمَتْ عَلَى الْحَرْنَانِيَّةِ بِشَكْلِ غَيْرِ عَقَائِدِي، وَإِنَّمَا كِمِيرَاثُ طَبِيٍّ إِغْرِيقِي حَمَلُوهُ جِبِلًّا فَجِيلًا، فَالصَّفْدِي يَقُولُ أَنَّهُمْ حَرَّمُوا لَأَنَّ تِلْكَ الْأَطْعِمَةَ اشْتَهَرَ عَنْهَا تَبْلِيدُ الْحَوَاسِ وَإِفْسَادُ جَوْهَرِ الْعَقْلِ⁸⁹، وَخَاصَّةً الْحَمَامِ، فَيُقَالُ أَنَّ فِي دِمَاغِهِ رَطُوبَاتٌ مُؤْذِيَةٌ لِلْأَجْسَادِ⁹⁰،

⁸² التَّدِيم: الْفَهْرَسْتُ، 2: 360.

⁸³ التَّدِيم: الْفَهْرَسْتُ، 1: 57.

⁸⁴ الْبِيرُونِي: الْأَثَارُ الْبَاقِيَّةُ، 205.

⁸⁵ الْفَقْطِي: إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ، 260.

⁸⁶ التَّدِيم: الْفَهْرَسْتُ، 2: 374.

⁸⁷ التَّدِيم: الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، 2: 360؛ الْمَقْدِسِي: الْبَدءُ وَالتَّأْرِخُ، 4: 23؛ الْحُسَيْنِي الْعُلَوِي: بَيَانُ الْأَدْيَانِ، 30.

⁸⁸ التَّدِيم: الْفَهْرَسْتُ، 2: 360؛ الْقَلْقَشَنْدِي: صُبْحُ الْأَعْيُنِ، 1: 41-42.

⁸⁹ الْقَلْقَشَنْدِي: الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، 5: 82.

⁹⁰ الصَّفْدِي: الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ، 6: 101.

واعتقد ابن بطلان أيضًا أنها حُرِّمت لمَصْرَّة فيها على الطَّيِّعة الإنسانيَّة تبيِّنُها حُكْمًاؤُهم⁹¹، لكنني اعتقد أنَّ هُناك خلفيَّة دينيَّة وراء ذلك التَّخريم، فقد ذكر النَّعَالِي أنَّ أبا إسحاق الصَّابِي حَضَرَ يَوْمًا مائدة المُهَلَّبِي، فامتنع عن الأكل لِباقِلَاء كانت عليها - لِأَنَّهُ مَحْرَمٌ عَلَى الصَّابَةِ كَيْفَمَا كان من السَّمَك ولَحْم الحَتَزِير ولَحْم الجَمَل وفراخ الحَمَام والجَرَاد - فلما أَلَحَّ عليه المُهَلَّبِي بتناول الطَّعَام قال الصَّابِي: أَيُّها الوَزيز؛ لا أُرِيد أن أعْصِي الله في مأكول⁹².

وللأسف الشديد لا نستطيع تحري الخلفيات الدينية وراء الحكمة في تحريم تلك الأنواع، فقد فُقدت الكتب والرسائل التي صنفها ثابت بن قُرة عن أنواع القرايين الصَّحايا الحيوانية التي تُذبح في الهيكل للتَّقَرُّب إلى الكواكب السَّبعة. لكننا نعرف أنَّ الحرثانيَّة لا يقربون في ذبائحهم من الكباش الأبلق والأسود، ولا مُنكسر العظم، ولا أغور العين، وإذا ذبحوه أخرجوا الكبد، ونظروا فيها فإن أصابها خذش من السَّكَّين يقولون أن صاحب الأُضحية يناله نكبة، ثم تُسَلَق الكبد وتُفَرَّق قطعًا على من يحضُر الصَّلَاة في الهيكل⁹³.

وقد اختلفت الأقوال في شرعية أكل لحْم القُرْبَان عند الحرثانيَّة، فإخوان الصِّفا يقولون أنَّ الحرثانيَّة كانوا يأكلون القُرْبَان أو الأُضحية وسائر لحوم ذبائحهم كيفما شاءوا إلا لحوم دُبوك الدُّور، فإنَّها مُخصَّصة للكهنة ومُتناول السَّر⁹⁴. أمَّا ابن العِبري فيقول بأن الحرثانيَّة مُحَرَّم عليهم تناول لحْم القُرْبَان، وأنَّه قرأ في كتاب لِثابت بن قُرة ذكر فيه ما يصلح من الحيوان لتقريب الصَّحايا ذكر فيه أنَّ أكثر قرايينهم من البقر والماعز وسائر ذوي الأَرْبع إلا الجُرُور من الإبل، ثم قال: «وقرايينهم كثيرة، لا يأكلون منها، بل يحرقونها»⁹⁵. أما ابن المُطَهَّر المقدسي فقد

⁹¹ ابن بطلان البغدادي: تحسُّ رسائل لابن بطلان، 38.

⁹² النَّعَالِي: نتيمة الدَّهر، 2: 234.

⁹³ المجرطي: غاية الحكيم، 226.

⁹⁴ رسائل إخوان الصِّفا، 4: 304.

⁹⁵ ابن العِبري: تاريخ مُختصر الدُّول، 153.

وقفَ موقفاً وسطاً بقوله: «أَتَمُّهُمْ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَمِجْرَقُونَ الْعَظْمَ وَشَحْمُ الْكُلَى»⁹⁶. واستناداً لابن العبري - والذي كانت مقولات ثابت بن قرة هي مضدُّه - فإن قضية شرعية أكل لحوم القرابين في الهيكل ربَّما كانت أحد أوجه الخلاف بين ثابت بن قرة وبين كهنة الهيكل بحرَّان.

الأوضاع الاقتصادية والمعيشية

عاش الصَّابئة المندائيون في أمنٍ في كنف الخلافة العبَّاسية، فنعُمُوا بمعاملة أهل الذمة نتيجة اقتراب عقائدهم من النصرانية بشكل ما كما سبق بيانه. وقد اشتغلوا ببعض المهن التي أمَلَّتْها طبيعة بيئة البطائح الجغرافية، فكان صيد السمك⁹⁷ وصنع القوارب والشباك، هذا بالإضافة إلى الزراعة من أهم المهن التي اشتهوها.

أمَّا الصَّابئة الحرنائية فكاني طائفة اجتماعية انقسموا إلى عدَّة طبقات، فكان عامَّتْهم يعملون كأطبَّاء بالبيارسنانات أو ككتَّاب بالدَّواوين⁹⁸. ونعرف أن دخل الطَّبيب الحرنائي المبتدئ ببيارسنانات بغداد كان عشرين ديناراً⁹⁹، أما الصَّفوة منهم فقد ترتَّب على وضعهم كطبقة من النخبة - بسبب العلوم التي أجادوها وتفنَّنوا فيها - أن ازدادت ثرواتهم وبالتالي مكانتهم الاجتماعية. حقًّا كانت الدولة تُصدر أملاكهم بين الحين والآخر لأسباب مُتعدِّدة، ولكنَّهم لا يلبثون أن يُعيدوا تكوينها مرَّةً أخرى، وقد تحدَّث هلال بن المحسن الصَّابئ في مُقدِّمة كتابه رسوم دار الخلافة عن النِّعم التي غمَّرتُه وغمَّرت أسلافه في ظلِّ الخلافة العبَّاسية¹⁰⁰.

⁹⁶ البدء والتاريخ، 4: 23.

⁹⁷ رسائل الصَّابئ، نسخة ليدن، ورقات 77 ظ-78 و. وتضمَّت المصادرُ حِيال مهنة كان المندائيون من أشهر روادها، وتسمَّيت بهجرة أعدادٍ لا بأسَ منهم إلى الخارج، ألا وهي صناعة الفضة والنقش عليها، وبراعة المندائيين في هذه المهنة كانت عطفًا إعجاب الرِّحالة الأوروبيين، لكن المصادر لا تحدَّثنا عن شيء من ذلك، وإن كان الظنُّ يغلبُ على أن هذه المهنة كانت متوارثة بينهم.

⁹⁸ التوحيد: المقابسات، 52.

⁹⁹ ياقوت الحموي: مُعْجَمُ الْأَدْبَاء، 1: 142.

¹⁰⁰ مقدمة هلال بن المحسن الصَّابئ لرسوم دار الخلافة، 6.

والصفوة منهم خَدَمَ الخلفاء بصناعته كَنَابَتِ بن قُرَّة الذي أَمَرَ له الخليفة المُعتضد بإقطاعات جَليلة دَرَّت عليه ثروات طائلة¹⁰¹، وأبو الحسن الحرَّاني وثابت بن إبراهيم الحرَّاني الذين أفرَدَ لهما عَصْد الدولة رِزْقاً سنِيّاً وضمَّهما إلى أطبائه¹⁰². وأبو إسحاق الصَّابِغ الذي تَضَاعَفَت ثروته جَرَاءَ عمله بالدَّواوين وإمارة المُدن حتَّى قَدَّرَ هو نفسه أَمْواله التي صَادَرَتها الدولة منه بِنِصْف مليونِ دِرْهَم¹⁰³. كما يتحدَّث في رسائله عن ضَيْعَةٍ له كانت تُعرف بِقَرْيَةِ الفُرس¹⁰⁴، وفي رسالةٍ أُخرى يتحدَّث عن ضَيْعَتَيْنِ له بِقَرْيَةٍ يُقال لها «يَالُوس» و«وَقَف مُزْنَة»¹⁰⁵.

وعندما مَاتَ ابن عمِّه أبو الخطَّاب الصَّابِغ تركَ عَدَّةً ضِيعاً لَوَرَثته بِقَرْيَةِ «دِيرِ قُنَى»، و«دِيرِ العَاقُول»¹⁰⁶، وفي إحدى رسائله يتحدَّث عن ضَيْعَةٍ له بِوَاسِطٍ وَلَّى أَمْرَهَا أَحَدُ غِلْمَانِهِ¹⁰⁷. وكذلك عندما مَاتَ هِلَال بن المُحَسَّن الصَّابِغ قُدِّرَت تَرَكَتُهُ بِحوالي ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَار¹⁰⁸، وعندما مَاتَ وَلَدُهُ غَرْس النُّعْمَةِ قُدِّرَت تَرَكَتُهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَار¹⁰⁹.

كما اسْتَشْتَمِرَ الحِرْنَانِيَّةُ أَمْوالهم في ضِمَانِ القُرَى والبِلدان، وكان دُخُولُ الصَّابِغَةِ الحِرْنَانِيَّةِ فِي ضِمَانِ خَرَاكِ البِلدان سَبَباً فِي مُنَازَعَاتٍ نَشِبَتْ بَيْنَهُمْ حَوْلَ أَحَقِّيَّةِ كُلِّ مِنْهُمْ فِي ضِمَانِ بَعْضِ البِلدان¹¹⁰.

¹⁰¹ ابن فضل الله العُمري: مَسَالِكُ الأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الأَمْصَارِ، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي 2003، 9: 307.

¹⁰² العمري: المصدر نفسه، 9: 312.

¹⁰³ راجع الفصل الثامن.

¹⁰⁴ رسائل أبو إسحاق الصَّابِغ، نسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 24و.

¹⁰⁵ المصدر نفسه، ورقة 70 ط.

¹⁰⁶ نفسه، نُسخة لِيدَن، ورقة 94و.

¹⁰⁷ نفسه، نُسخة لِيدَن، ورقة 101و.

¹⁰⁸ ابن الجوزي: المُتَنَزِّه، 15: 269.

¹⁰⁹ الصَّفندي: الوافي بالوفيات، 5: 111.

¹¹⁰ انظر الفصل العاشر.

وعلى صعيد وضع المرأة الصّابئة في المجتمع فقد نِعِمَت المرأة بمكانة اجتماعية مُتَمَازة في مُجْتَمَع الصّابئة، لا سِوَا المندائيين، فبحسب العقيدة المندائية لم يتزوّج أبناء آدم من أخواتهم، وإِنَّمَا أُرْسِلَت البَنَات إلى عالم آخر هو أرض العَهْد «مَشُونِي كَشَطَا» [المملكة التورانية السّماوية] وجرى بفتيات من أرض العَهْد إلى أولاد آدم فتزوّجوا منهن، بعبارة أخرى فإنَّ المرأة - وفقاً لعقائد الصّابئة المندائيين - لَيْسَتْ من أَصْل هذا العالم المادي، بل أتت من عالم الطّهارة، وعلى هذا الأساس فتسميهُ الابن باسم أمّه أزقي من تسميته باسم أبيه¹¹¹.

وليس هناك أدل على الوضع المُميز للمرأة من أنّه قد سُمِح لها بأن تلي أعظم المناصب الكهنوتية عند المندائيين، فنوع الجنس لم يكن ليقف عائقاً أبداً أمام تَدشِين المرأة ككاهنة، وليس هناك على الصعيد النظري أي موانع قد تحول إلى وُصول الكاهنة إلى أعلى المراتب الكهنوتية عند المندائيين، بل إنَّ بعضهنَّ بالفعل وصل إلى تلك المرتبة خلال العصر العباسي كما جاء في تذييلات النسخ في كتاب حَرَّان جويثا، ومنهنَّ امرأة تُدعى «حُونِيَّة» أو «حَيُونَة»¹¹² ويوجد في كتاب الكَتر رُبا ذكر لكاهنات مندائيات، والمندائيون أنفسهم الآن يؤكدون أنّه كان من بين أسلافهم كاهنات من النساء الموقرات، يُذكرن بأسمائهنَّ في دعائهم للأسلاف «أبَا هَاثان»¹¹³.

كما نِعِمَت المرأة عند الحرنائية أيضاً بمكانة مُتَمَازة، فقد سادت قيمُ احترام الرجال للنساء، وعدم التّحقير من شأنهنَّ، وعلى سبيل المثال فإنَّ الرّسائل التي خَلَفَهَا أَبُو إِسْحَاق الصّابئ تُظهر بعض مظاهر هذا الاحترام الذي نالته المرأة في مُجْتَمَع الصّابئة الحرنائية، فعند

¹¹¹ رشيد الحيون: الصّابئة في الذّكرة الإسلامية، مقال مُلحق على كتاب مندائي أو الصّابئة الأقدمون، 125.

¹¹² سباهي: أصول الصّابئة، 227-228.

¹¹³ دراور: الصّابئة المندائيون، 225.

حديثه عن زَوْجَةِ ابْنِهِ يَقُولُ «صَاتَهَا اللَّهُ»¹¹⁴، وعندما يَذْكُرُ حَرِيمَ دَارِهِ يَقُولُ «حُرْمَتَا حِفْظُهُنَّ اللَّهُ»¹¹⁵، وفي حديثه لولده الذي حزن لعدم إِنْجَابِ زوجته لطِفْلٍ ذَكَرَ قَالَ لَهُ عَنِ الْإِنَاثِ وَفَضْلِهِنَّ: - «وَكُنَّ مِنْ أَنْثَى أَصْلَحَهَا اللَّهُ، وَأَصْلَحَ بِهَا، وَجَعَلَ الْخَيْرَ وَالْبِرْكَهَ فِيهَا وَالْكَثْرَةَ وَالنَّجَابَةَ مِنْهَا». وَيُمْكِنُ أَنْ نَتَبَيَّنَ قِيَمَ اخْتِرَامِ الصَّابِئَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ لِلْمَرْأَةِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ رِسَائِلِهِ، فَهُوَ يُعَاتِبُ ابْنَ عَمِّهِ أَبَا الْخَطَّابِ الْمُفْضِلَ الصَّابِيَّ وَيَسْتَشْفَعُ لِنَفْسِهِ بِحُقُوقِ الْأُمَمَاتِ وَالْحَالَاتِ وَالْعَمَّاتِ.

كَمَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مُكْتَمَلَةً الْأَهْلِيَّةِ، مِثْلُهَا مِثْلُ الرِّجَالِ، فَكَانَ لَهَا حَقُّ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْمُتَلَكَّاتِ نِيَابَةً عَنِ الزَّوْجِ، حَتَّى مَعَ وَجُودِ أَبْنَاءٍ لَهَا بَلَغُوا مَبْلَغَ الرِّجَالِ، فَفِي رِسَالَةٍ مِنْ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيَّ إِلَى ابْنِهِ أَبِي سَعِيدٍ سَنَانٍ يَتَنَبَّأُ فِيهَا بِقُرْبِ نَهَايَتِهِ - اعْتِمَادًا عَلَى رَصْدِهِ لَطَالِعِهِ وَتَوَعُّكِ صِحَّتِهِ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ - وَيَطْلُبُ مِنْهُ فِيهَا أَلَّا يُخْبِرَ أَحَدًا بِمَرَضِهِ بِسُوءِ زَوْجَتِهِ أَمْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَنْ يُسَلِّمَهَا كُلَّ مَا يَدُهُ مِنْ حِسَابٍ وَدَرَاهِمٍ. يَقُولُ أَبُو إِسْحَاقَ¹¹⁶: -

«وَأَوَّلُ مَا سَيَلُكُ أَنْ تَعْمَلَهُ أَنْ تُسَلِّمَ إِلَى والدَيْكَ - أَبَقَاهَا
الله - كُلَّ مَالِي فِي يَدِكَ مِنْ حِسَابٍ وَدَرَاهِمٍ وَدَنَانِيرٍ وَقَلِيلٍ وَكَثِيرٍ،
وَتَأْخُذَ خَطَّهَا بِحُصُولِ ذَلِكَ فِي يَدِهَا وَاحِلَهُ مَعَكَ لِتُسَلِّمَهُ إِلَيَّ».

كَمَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْعَبُ دَوْرًا اجْتِمَاعِيًّا نَشِطًا فِي أَوْسَاطِ الطَّائِفَةِ، نَسْتَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ بِمَا ذَكَرَهُ الْفَيْفُطِيُّ نَقْلًا عَنْ غَرَسِ النُّعْمَةِ بْنِ الصَّابِيَّ:

«وَحَكَى غَرَسُ النُّعْمَةِ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّئِيسِ أَبِي الْحَسَنِ هِلَالُ
بْنِ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الصَّابِيَّ قَالَ: كَانَ وَالِدِي اعْتَلَّ فِي الْمَحْرَمِ فِي

¹¹⁴ رسائل الصَّابِيَّ، نُسخة مجلسي سُورَايِ إِيْرَانِ، وَرَقَةُ 20و.

¹¹⁵ الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، وَالْوَرَقَةُ نَفْسُهَا.

¹¹⁶ رسائل أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيَّ، نُسخة مَكْتَبَةِ جَامِعَةِ لَيْدِنِ، وَرَقَةُ 16او.

سنة ست وثلاثين وأربعمئة علة صعبة وكان أبو الحسن بن سنان
جاريًا على عادته في هجرانه، فراسلته وسألته الحضور فوعد
وأخلف، ومضت إليه نساء من أهله وأهلنا فبحوا عليه ما
فعله¹¹⁷.

وليس أدل على مكانة المرأة في مجتمع الصابئة مما ورد على لسان أبي سعيد سنان بن
إبراهيم بن هلال الصابي من عبارات عاطفية مؤثرة وردت في جواب منه على رسالة تغزية في
وفاة زوجته¹¹⁸:-

«ولو شَرَحْتُ لك -أدام الله عزك- ما مسني من هذه
اللوعة، وبرح بي من هذه اللذعة -خاصة مع مشاهدة من كانت
الماضية -رضي الله عنها- تحضنهم وترأهم من ولدي -في
الوحدة بعدها، والوحشة لها، والحنين إليها والحسرة عليها؛
لا طنبت وأوردت عليك ما المشاركة تقتضيك التألم له، والازتماض
منه، لكنني أرفهك عن طول الشكوى، وأعرك بجنبي هذه
البلى».

المجالس الاجتماعية

شارك الصابئة -مندائين وحرثانية- في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، فكانوا
يحضرون مجالس العلم والكلام، فكان أبو إسحاق الصابي وابن عمه أبو الخطاب المفضل أحد
رواد حلقة السمر التي كانت تُعقد في دار أبي سليمان المنطقي إلى جانب أبي حيان التوحيدي
وغیره من صفوة العلماء والمفكرين، وكانت تُطرح في تلك الحلقة قضايا فكرية وفلسفية
ورياضية، وربما خُصصت للهو وسماع الغناء¹¹⁹.

¹¹⁷ القفطي: إختيار العلماء، 260-261.

¹¹⁸ رسائل أبي إسحاق الصابي، نسخة تيسر بيتي، ورقة 35و.

¹¹⁹ التوحيدي: المقابسات، 326؛ السجستاني: صوان الحكمة، 342.

كما كان أبناء أبي إسحاق الصَّابِئ - وخاصةً المُحَسِّن - يَحْضُرُونَ مَجْلِسَ أَبِي بَكْرٍ
الْحَرَّازِ 381هـ/ 991م، وقَرَّطَهُم الصَّفْدي كَوْنُهُمْ كَانُوا الْمَصْدَرِ الْوَحِيدَ لِمَرْيَاتِهِ
ومَقَالَاتِهِ¹²⁰. وكان هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ الصَّابِئِ يَحْضُرُ مَجَالِسَ الْعِلْمِ وَخَاصَّةً الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ
بِالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ كَوْنَهُ كَانَ مُغْرَمًا بِهَذِهِ الْفُنُونِ¹²¹، كما كان يَحْضُرُ مَجَالِسَ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ،
وَعَلِيِّ بْنِ عِيْسَى الرَّمَّانِيِّ¹²². بل وَكَانَتْ لَهُ مَجَالِسُهُ الْعِلْمِيَّةُ الْخَاصَّةُ بِهِ - وَكَانَ يَحْضُرُهَا نَفَرٌ مِنْ
أَجْلِ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْحَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ وَالَّذِي حَضَرَ كَثِيرًا مِنْ مَجَالِسِ هِلَالِ بْنِ
الْمُحَسِّنِ الصَّابِئِ، وَكُتِبَ عَنْهُ، وَوَصِفَ بِالصَّدُوقِ الثَّقَةِ¹²³.

وَلَمْ يَتَوَقَّفِ الْأَمْرُ عَلَى الصَّابِئَةِ الْحَرَنَائِيَّةِ؛ فَغَرَسَ النُّعْمَةُ بْنُ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِئِ
يَتَحَدَّثُ عَنْ كَاتِبٍ يُدْعَى أَبَا سَعْدٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ الْمَانْدَائِيِّ، وَكَانَ
يُشَارِكُ فِي حَلَقَاتِ السَّبْرِ الَّتِي يُشَارِكُ بِهَا بَعْضُ الْكُتَّابِ بِالْذِّيَّانِ، وَيَتَبَادَلُونَ الْأَسْتِثَارَ وَالنُّوَادِرَ،
وَكَانَ نَدِيمًا لَغَرَسِ النُّعْمَةِ مُحَمَّدَ بْنَ هِلَالِ الصَّابِئِ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِالْحَيَاةِ
الثَّقَافِيَّةِ فِي عَصَرِهِ، فَهُوَ يُجَدِّثُ غَرَسَ النُّعْمَةِ تَأْرَةً عَنِ الْجُرْهُمِيِّ الشَّاعِرِ¹²⁴، وَتَأْرَةً يُجَدِّثُهُ عَنِ
الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى نَقِيبِ الْعُلُوِّينِ¹²⁵، وَتَأْرَةً يَحْدِثُهُ بِحَدِيثٍ وَقَعَ لَهُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ ظُرَفَاءِ بَغْدَادَ
بَيْنَهُمْ أَحَدُ الْعُلُوِّينِ¹²⁶، وَتَأْرَةً عَنْ بَعْضِ الْعَامِلِينَ بِالذِّيَّانِ مِنَ الْكُتَّابِ وَالضُّمَنَاءِ¹²⁷.

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ الصَّابِئَةُ مُؤَلَّعِينَ بِحَضُورِ الْمُنَظَّرَاتِ وَالْإِسْتِزَارِ فِيهَا¹²⁸. وَعُرِفَ الْحَلِيفَةُ
الْمَأْمُونُ وَلَعَهُ بِعَقْدِ الْمُنَظَّرَاتِ، فَكَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ رَأْسِ الْجَالُوتِ وَجَائِلِيقِ النَّصَارَى وَرَأْسِ

¹²⁰ الصَّفْدي: الرَوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ، 8: 53.

¹²¹ الْقِفْطِيُّ: إِنْبَاءُ الرُّوَاةِ عَلَى أَنْبَاءِ النُّحَاةِ، الْقَاهِرَةُ 1981، 1: 134.

¹²² ابْنُ تَغْرِي بَرْدِي: التَّجْوِيزُ الزَّاهِرَةُ، 5: 61.

¹²³ الْحَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: تَارِيخُ بَغْدَادَ، 16: 117.

¹²⁴ غَرَسُ النُّعْمَةِ بْنُ الصَّابِئِ: الْهَفُوتَاتُ النَّادِرَةُ، 55.

¹²⁵ الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 59.

¹²⁶ نَفْسُهُ، 60.

¹²⁷ نَفْسُهُ، 65.

¹²⁸ التَّوْحِيدِيُّ: أَخْلَاقُ الْوَزِيرِينَ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ بْنِ تَاوَيْتِ الطَّنْجِي، بَيْرُوتَ 1991، 301.

الصَّابِئِينَ فِي عَصْرِهِ وَكَانَ يُدْعَى عِمْرَانُ الصَّابِئِ - وَرُجِّحَ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مَنَدَائِيًّا بِسَبَبِ مَا نَعَرَفَهُ عَنْ مَوْقِفِ الْمَأْمُونِ الْمُعَادِي لِصَابِئَةِ حَرَّانَ، وَبِسَبَبِ مَا يَذْكُرُهُ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِئِ مِنْ افْتِقَارِ الْحَرَنَائِيَّةِ بَبْغَدَادَ إِلَى رِجَالِ الدِّينِ¹²⁹. وَقَدْ ذَارَتْ مُنَاطَرَةٌ طَوِيلَةٌ فِي الْإِلَهِيَّاتِ بَيْنَ الْإِمَامِ عَلِيِّ الرِّضَا وَبَيْنَ عِمْرَانَ الصَّابِئِ بِحَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ¹³⁰.

كَمَا كَانَتْ هُنَاكَ مَغْنِيَّةٌ صَابِئِيَّةٌ ذَائِعَةُ الصِّيتِ، وَتُدْعَى تَرْفُ الصَّابِئَةِ كَانَتْ ذَاتَ صَوْتٍ نَدِيٍّ وَكَانَ يَطْرُبُ بِهَا النَّاسُ، وَكَانَ يَجْلِسُهَا بِحَيِّ الْكَرْخِ شَرْقِيَّ بَغْدَادَ¹³¹.

الموت وشعائر الدفن

اعْتَقَدَ الْمَنَدَائِيُّونَ بِوُجُودِ حَيَاةٍ أُخْرَى بَعْدَ الْمَوْتِ، كَمَا آمَنُوا بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْحَيَاةِ الْآخَرَى بَعْدَ الْوَفَاةِ، وَأَنَّ الْأَبْرَارَ مِنْهُمْ يَذْهَبُونَ بَعْدَ الْوَفَاةِ إِلَى عَالَمِ النُّورِ، بَيْنَمَا يَذْهَبُ الْمُذْنِبُونَ إِلَى عَالَمِ الظُّلَامِ، وَيَعْتَقِدُ الْمَنَدَائِيُّونَ بِنَهَايَةِ الْعَالَمِ¹³² لَكِنَّهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِقِيَامِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ عَلَى انْتِفَاضِ الْحَيَاةِ الْأُولَى فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُونَ الْعَالَمَ الْآخَرَ بِأَنَّهُ عَالَمٌ مُوَاوِزٌ، أَيْ أَنَّهُ كَائِنٌ فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا كَمَا هِيَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ لِعَالَمِنَا الْمَادِّيِّ، فَالرُّوحُ مُحَاسَبٌ بَعْدَ الْمَوْتِ مُبَاشَرَةً، وَلَا وَجُودَ لِلتَّبْرُخِ وَلَا لِلْقِيَامَةِ فِي الْمَنَدَائِيَّةِ، فَالْمَنَدَائِيُّونَ يُؤْمِنُونَ بِنَهَايَةِ الْعَالَمِ وَلَكِنْ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ قِيَامَ الدَّيْنُونَةِ لِأَنَّهَا قَائِمَةٌ الْآنَ بِالْفِعْلِ، لِذَا فَفِي اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الرُّوحَ خَالِدَةً بَيْنَمَا الْجَسَدُ قَانَ¹³³.

وَوَفَقًا لِلْعَقَائِدِ الْمَنَدَائِيَّةِ فَقَدْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يُجَهَّزَ الْمُخْتَضِرُ قَبْلَ الْمَوْتِ بِفَتْرَةٍ، حَيْثُ

¹²⁹ تفصيلًا انظر الفصل العاشر.

¹³⁰ عَنْ مُنَاطَرَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ الرِّضَا وَعِمْرَانَ الصَّابِئِ أَنْظَرُ تَفْصِيلًا: - الْمَجْلِسِيُّ: بِحَارِ الْأَنْوَارِ، بَيْرُوتَ 1983، 311: 10 وما بعدها؛ ابْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِي: تُخَفُّ الْعُقُولُ، تَحْقِيقٌ عَلَى أَكْبَرَ الْبَغْدَادِيِّ، طَهْرَانَ 1363 هـ، 2: 424.

¹³¹ التَّوْحِيدِي: الْإِمْتِنَاعُ وَالْمُؤَانَسَةُ، تَحْقِيقُ أَحْمَدَ أَمِينٍ؛ أَحْمَدُ الزَّيْنِ، بَيْرُوتَ د.ت، 2: 170؛ الْأَزْدِيُّ: حِكَايَةُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغْدَادِيِّ، تَحْقِيقُ آدَمَ مَيْتِزْ، هَيْدِلْبِرْجَ 1902، 81؛ الرِّسَالَةُ الْبَغْدَادِيَّةُ، الْمُنَسُوبَةُ إِلَى أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ، تَحْقِيقُ عُبُودِ الشَّالْجِيِّ، كُولُونِيَا 1997، 253.

¹³² دِرَاوَر: الصَّابِئَةُ الْمَنَدَائِيُّونَ، 49.

¹³³ بَدَوِي: رُومِي: مَقْدَمَةُ كِتَابِ الصَّابِئَةِ الْمَنَدَائِيُّونَ، 19.

يتم إعداد بضع طقوس، حيث يجب أن يُعمد المُختَصَر، أمّا من يدهمه الموتُ فجأةً بحيث لا يُدرك العِمَاد وهو على قيد الحياة، فتؤدّى عنه طقوسٌ دينيّةٌ بديلةٌ للتعميد الأخير لتساعد رُوح المتوفّى إلى بلوغ عالم الأتوار، إذ لا يُعمد إلّا الجسد الذي لا زالت تنبض به الحياة، أمّا الجسد الذي تُفارقه الرُوح فهو نَجَس، يُلَفّ ويُدفن على حاله بدون عِمَاد¹³⁴.

لذا فقد كان المُختَصَر يُراقب باستمرار، ويوضع بجانبه أثناء فيه ماءٌ يُجدّد باستمرار من أقرب نهر جارٍ، فإذا حانت نهايته يتم تعميده وهو ما يزال على قيد الحياة، ويُسجى جثمانه بحيث يكون مواجهًا «لأوتار» [الملك الموكل بنجم القطب الشمالي]، كما يجب ألا يخيم الظلام على الغرفة التي يرقد فيها المُختَصَر، ويجب أن يلبس المُختَصَر رداءه الديني الكامل «الرّسّنة»، وأثناء ذلك يقوم الكهنة ببناء «المدلّته»¹³⁵، وهي نعش يُصنع من أغواد القصب، ليحمل عليه الجثمان إلى مئواه الأخير، أمّا الكرسيّ أو التّابوت فيُصنع باستعمال أغواد القصب أيضًا، على شكل أحزمة عموديّة، والغرض منه هو ضمان تثبيت الجثمان وعدم سقوطه أثناء تحرك الجنازة¹³⁶. فيما تشغل النساء في تحضير «اللوفاني» (الوجبة الطّقسية على رُوح المتوفّى)¹³⁷.

ومن العجيب أنّ أبا إسحاق الصّابيّ - وهو الحرثانيّ الأضلّ - قد دُفن فيما يبدو على الشعائر المندائيّة، فقد نقل لنا الشّريف الرّضي في قصيدته التي رثا فيها أبا إسحاق الصّابيّ مشهدًا مهمّيًا وفريدًا لجنازته، ويُستتج منه بوضوح أنّ أبا إسحاق الصّابيّ قد دُفن وفقًا للشّعائر الدينيّة المندائيّة التّقليديّة، وربّما على أيدي رجال الدين المندائيّين أنفسهم، يقول الشّريف الرّضي في مطلع قصيدته:-

أرأيت من حلّوا على الأغواد؟! أرأيت كيف خبا ضياء النّادي؟¹³⁸

¹³⁴ الكرّملي: الصّابنة أو المندائيّة، مجلة المشرق، مع 5، 489.

¹³⁵ دراور: الصّابنة المندائيون، 264.

¹³⁶ الكرّملي: المرجع نفسه، مع 5، 489.

¹³⁷ دراور: المرجع نفسه، 261-263.

¹³⁸ الشّريف الرّضي: ديوان الشّريف الرّضي، 155.

إذن فقد كان النعش الذي حمل جثمان أبي إسحاق الصّابئ يُشبه كثيراً «المنذلتا» المندائيّة، وبالرغم من ذلك التّطابق في شعائر الدّفن بين المندائيّين والحرّانيّة فقد كان هناك - على ما يبدو - بعض الفروق الطّفيفة بينهما، منها: إيّان المندائيّين بعدم لطم الخدود أو البكاء على الميت، واعتبار ذلك ممّا يُعيق الرّوح على بلوغ عالم الأتوار¹³⁹.

أما الحرّانيّة فعلى العكس، فلا يُوجد في تقاليدهم ما يمنع البكاء واللطم على المتوفّي، فهلال بن المحسّن الصّابئ عندما اعتلّ علّة خطيرة، وظنّ أهل بيته أنّه يُختصر؛ اغترلت النّساء الدّار إلى جناح منها، واشتغلن باللّطم والنّواح عليه، وكان ما زال على قيد الحياة¹⁴⁰، كما يختلّفون فيما بينهم أيضًا في ظاهرة بناء القبور ونصب الشّواهد عليها، فالمندائيّون لا يرحّبون بأيّ بناء فوق حفرة القبر، ذلك أنّ الجسد - وفقًا لعقيدتهم - فان، ولا فائدة تُرجى منه بعد خروج الرّوح، لذا لا يكرّثون بيناء المقابر أو وضع الشّواهد عليه¹⁴¹ بينما نقل لنا ياقوت الحموي وصفًا قبيًا لمقابر الحرّانيّة بحرّان على لسان الشّاعر ابن النّبيّة المضرّي¹⁴²:-

«حدّثني ابن النّبيّة الشّاعر المضرّي قال: مرّرتُ مع الملك

الأشرف بن العادل بن أيّوب في يومٍ شديد الحرّ بظاهر حرّان على

¹³⁹ الكرملّي: الصّابئة المندائيّة، مرجع سابق، 491.

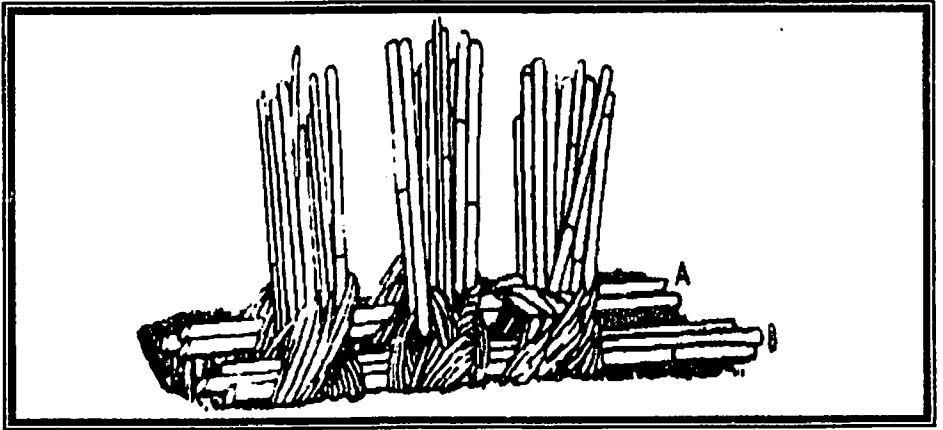
¹⁴⁰ غرس النّعمة بن الصّابئ: كتاب الرّبيع، ضمن كتاب شذرات مفقودة في التّاريخ، جمع وتحقيق إحسان عباس، بيروت 1998، 348. ومع ذلك لا يمكن أن نطمئن تمامًا إلى أن عقائد الحرّانيّة الدينيّة كانت تمنع اللّطم والنّدب والعويل على المتوفّي، فالكرملّي يذكر أنّ عقائد المندائيّة تمنع هذه المظاهر من الحزن على المتوفّي منعًا باتًا إلا أن وجودهم بين العرب قد أدخل هذه العادات إليهم على حدّ قوله، الكرملّي: المرجع نفسه، نفس الصّفحة، وعلى ذلك فالقول بأن هذا خلاف بين الفرقتين قد لا يكون دقيقًا تمامًا، فقد يكون الحرّانيّة قد تأثروا بالمسلمين والنّصارى واليهود الذين كانوا يُمارسون هذه العادات.

¹⁴¹ ومع ذلك لاحظت دراور أنّ بعضًا من المندائيّين - محاكاة منهم للمسلمين والنّصارى - قد أخذوا ببناء حجري فوق القبور (طابوق)، ووضع الشّاهد عليه، ولكنها أقرّت بأن تلك العادة ليست شائعة، وأن المرّة يدخل إلى مقابر المندائيّين فلا يرى إلا قبرًا حجريًا أو اثنين على الأكثر في المقبرة كلّها. دراور: الصّابئة المندائيّون، 265.

¹⁴² ياقوت الحموي: مُعجم البلدان، 2: 272.

مقابرها، ولها أهداف طوال على حجارة كأنها الرجال القيام، وقال
لي الأشرف بأي شيء تشبه هذه؟، فقلت ازتجالاً:

هَوَاءٌ حَرَّانِكُمْ غَلِيظٌ مُكَدَّرٌ مُفْرَطٌ الْحَرَارَةُ
كَأَن أَجْدَانِهَا جَجِيمٌ وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ



المدلتا [التعش المدائني] المصنوعة من أغواد القصب والبوص¹⁴³

¹⁴³ المصدر: - دراوير: الصابئة المدائنيون.

الفصل

العاشر

10

العلاقات بين الصابئة

والطوائف الدينية الأخرى

«صَابِئَةُ الْبَطَائِعِ؛ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى
مَذْهَبِ النَّبِطِ الْقَدِيمِ. يُعَظِّمُونَ النُّجُومَ،
وَلَهُمْ أَمْثَلَةٌ وَأَصْنَامٌ. وَهُمْ عَائَةُ الصَّابِئَةِ
الْعَرُوفِينَ بِالْمَرْتَانِيِّينَ. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ
غَيْرُهُمْ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا».

مُحَمَّدٌ بِهِ إِسْحَاقُ النَّدِيمِ

علاقة الصابئة المندائيين بصابئة حران

مُنذ أن عبّر النَّدِيم عن حيرته بخصوص العلاقة التي تربط بين صابئة البطائح أو المندائيين بالحرثانية في معرض ذكره لصابئة البطائح من المندائيين¹ وحتى يومنا هذا ليس بمقدور أحد أن يفصل في هذه القضية بشكلٍ باتٍ وحاسم، فتلک القضية تنطوي على تعقيدات وإشكالات جمة، فمن جهة ساهم عدم العثور على أي أدبيات دينية تخص عقائد صابئة حران في دخول آراء الباحثين ونظرياتهم في علاقة المندائيين بالحرثانية باب التكهّنات والافتراضات. كما ساهمت التعقيدات التي خلقتها نظرية خوالسُون ومدرسته حول الصابئة الحقيقيين في زيادة الغموض واللبس والتشويش حول طبيعة تلك العلاقة، هذا بالإضافة إلى التعقيدات الأخرى التي خلقتها رواية إيشع القطيعي حول انتحال صابئة حران للمسمى في عصر المأمون كما سبق بيانه.

والأمر اللافت للنظر حقاً هو عدم وجود خلافات جوهرية بين معظم الباحثين في القول بأنّه لا دليل على وجود روابط بين المندائيين والحرثانية سواء على المستوى الإنشائي أو الديني العقائدي، فمُنذ أن عبّر خوالسُون عن شكّه في وجود أي علاقة حقيقية بين كلتا الطائفتين²، فلا خلاف بين الباحثين تقريباً حول صحة ما ذهب إليه خوالسُون في هذا الصدد، وإجمالاً فنقّي وجود علاقة حقيقية بين المندائيين والحرثانية هو بمثابة رأي عام بين الباحثين الآن، إلا أنّ واحدة من أبرز دارسي المندائيّات - وهي السيدة دراور - عبّرت عن موقف مُحالف، فقد كانت ترى في صابئة حران طائفة من الصابئة المندائيين المثقفين المتأثرين بالفلسفة اليونانية³.

وقد يبدو في اعتقاد دراور الكثير من التساهل والتسطيح، فهو يبدو ضد الحقائق

¹ الفهرست، 2: 411.

² CHWOLSOHN: *Die Ssabier und der Ssabismus*, vol. 1, p 182.

³ دراور: الصابئة المندائيون، 24.

الجغرافية والإثنية معاً. وهي متأثرة حتماً بمقولة النديم التي أورد أن صابئة البطائح هم عامة الصّابئة الحرثانية، وقيل أنهم غيرهم مجلّة وتفصيلاً⁴. كما أنّها متأثرة بالأجواء الأسطورية في ديوان حرّان جويشا، والذي أشار بوضوح إلى وشائح قويّة تربط المندائيين بالحرثانية، فالأسطورة المندائية أشارت إلى حرّان على أنّها المدينة التي هاجر إليها النّاصورائي الأوائل القادمين من فلسطين هرباً من اضطهاد اليهود، وطبقاً للأسطورة المندائية فقد وصّف هؤلاء النّاصورائي الحرثانية بأنّهم إخوة لهم في الدّين⁵.

ورغم هذه الإشارة الواضحة إلى حرّان فإنّه لا بدّ وأنّ تستوقفنا بعض الملاحظات، أولها: أنّنا إذا سلّمنا جدّاً بصحّة الأسطورة المندائية وأنّ المندائيين قدّموا بالفعل من فلسطين إلى بلاد ما بين النّهرين، وأنّهم عرجوا على حرّان في طريقهم إلى جنوب العراق، وأنّهم وجدوا الحرثانية إخوة لهم في الدّين، فهذا لا يعني بالضرورة اعتبار الفرقتين طائفةً واحدة، إذ إنّ الأسطورة بذاتها تتحدّث عن مجرّد تشابه في العقائد فحسب.

وبعيداً عن الأساطير المندائية؛ فالمعطيات التاريخية بحدّ ذاتها لا تُشير إلى وجود علاقة بين كلتا النّحلتين، فنحن نعرف كيف تبلّورت معتقدات الحرثانية، وكيف ظهرت تلك المعتقدات إلى النور، وبالرغم من أنّنا لا نعرف الكثير عن ظروف نشأة المندائية وتطوّرها، فمن المستبعد وجود صلات إثنية أو عرقية بين كلتا الطائفتين. مع ذلك يتعيّن علينا أن نبحث عن إجابة للسؤال الملح الذي يفرض نفسه وهو: كيف اتّفق ذكر اسم مدينة حرّان بالذات في ديوان حرّان جويشا؟! ولماذا لم تتكرّر الإشارة إليها في غيره من كتب المندائيين المقدّسة؟.

قد تكون الإجابة كاميّة في الظروف التاريخية التي دوّن هذا الديوان في أثنائها، فأقدم نسخة عُثر عليها من هذا الديوان يرجع تاريخ نسخها إلى عام 1088هـ/ 1677م، أمّا عن تاريخ تدوين الديوان نفسه فقد كان ذلك - وعلى وجه اليقين - بعد عصر الفتوحات

⁴ الفهرست، 2: 411.

⁵ راجع الفصل الثالث.

الإسلامية، فيشير كاتب الديوان مرارًا إلى العرب الفاتحين في عدّة مواضع من الديوان، كما يشير إلى مُعاملة هؤلاء الفاتحين المُتساحجة تجاه قومه⁶، وهناك من الدّارسين - اعتيادًا على قائمة تذييلات النّسخ في خاتمة الديوان - من يعتقد أنّ تاريخ تدوينه متأخّر عن عصر الفتوحات الإسلامية، ويرجعونه مباشرة إلى أواسط العصر العبّاسي⁷، أي بين القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين/ الثّاسع والعاشر الميلاديين، وهي ذات الفترة التي شهدت هجرات مُكثّفة للحرّانية من حرّان إلى جوف العراق، إذن فربّما كانت الإشارة إلى حرّان والحرّانية في هذا الديوان رَجْع صدى للعلاقات الطّيبة التي ربّطت بين الطّائفتين آنذاك. بل وربّما فسّر ذلك عدم ورود إشاراتٍ أُخرى عن حرّان والحرّانية في الكُتب المندائية الأقدم.

كذلك سنجدُ أنّ طبيعة المُعتقدات الدّينية لدى كلتا الطّائفتين تقفُ بذاتها حائلًا دون افتراض وجود علاقة حقيقيّة تربط بينهما، فبينما آمَن الحرّانية بالكواكب السّبعة وبنوا لها الهياكل وقدّموا لها القرابين؛ فإنّ فهم طَبيعة تقديس المندائيّين للكواكب والنّجوم يُعدُّ أمرًا غايةً في التّعقيد، فالعقيدة المندائية الكلاسيكيّة تعتبر الكواكب السّبعة رمزًا لقوى الشرّ والظلام، وهي تُلعَن في أكثر الكُتب المقدّسة بوصفها تجسّدًا لقوى الشرّ في الكون⁸، فطبقًا للأساطير المندائية فالرُّوها (مَلَكَةُ الظّلام) صَاحِبَت ابنها وأنجبت منه السّبعة الأشرار (الكواكب السّيارة السّبع)، ثمّ عادت وصاحبت أختها وأنجبت منه اثنا عشر وخشًا (البروج الفلكيّة)⁹.

وفي ذات الوقت تُعتبرها بعض الكِتابات المندائية المقدّسة بمثابة منازل للملائكة السّبعة المُوكّلين بحفظ الكون¹⁰، وقد عثر الأثاريّون على العديد من الشّقف الفخاريّة التي دُوّنت

⁶ DROWER: op. cit., pp 14-15.

⁷ عزيز سباهي: أصول الصّابئة، 133.

⁸ *Diwan Alma Risala Zuta*, in: *A pair of Nasorean commentaries: two priestly documents*, Trans. & edited by E. S. DROWER, Lieden 1963, Vol. I, p70.

⁹ سباهي: المرجع نفسه، 72 وما بعدها.

¹⁰ نعيم بدوي؛ غضبان رومي: مُقدّمة كتاب الصّابئة المندائيّين لليدي دراور، 21.

عليها أذعيةٌ كُتبت بالمندائية القديمة لتَمْجيد هذه الكواكب وطلبِ العَوْن منها، كما عُشر أيضًا على شُفِّفٍ مُثَمِّلَةٍ صَبَّت اللعنات على تلك الكواكب بوصفها رمزًا لقوى الشر، ومن ثمَّ فإنه يبدو هناك تناقضٌ واضحٌ من العصيِّ تفسيره لطبيعة نظرة المندائيين للكواكب والنجوم، وقد أثار ذلك التناقض السيدة دراور نفسها حتَّى أنَّها قالت بأنَّ المفاهيم الخاصَّة بتقدِّيس الكواكب أو لعنها في العقيدة المندائية قد اختلطت كليًّا ولم يعد من السَّهل فهمها¹¹.

فهل كان مرْدُّ هذا التناقض في طبيعة نظرة العقيدة المندائية إلى الكواكب هو وجود تأثير حرَّائيٍّ قويٍّ في العقائد المندائية؟. فربَّما تبادلت العقيدتان التأثير والتأثر على نطاقٍ محدود. لكننا لا نستطيع أن نَمضي بعيدًا في هذه التكهُّنات في ضوء افتقارنا لأيِّ أدلَّة ماديَّة من شأنها أن تؤيِّد ذلك أو تنفيه.

أمرٌ آخر يستعصي علينا فَهْمُه في ضوء اعتبار المندائيين والحرنائيَّة فرقةً واحدة، وهو أنَّ الحرنانية لم يَكونوا يُمارسون التعميد؛ فلا الطَّبيعة البيئية في حرَّان، ولا طَّبيعة عِبَادات الحرنانية أعطت اهتمامًا يذكر لهذا الطَّقْس، ومع أنَّه لا يُمْكِننا إهمال أن الكثرة الكثيرة من معلومتنا عن الحرنانية وصلت إلينا بغير أقلام الحرنانية أنفسهم؛ إلَّا أنَّ افتراض أن الحرنانية كانوا يُمارسون التعميد، وأنَّ هذا الطَّقْس - الذي كان يُمارس على شواطئ الأنهار نهاريًّا جهاريًّا - لم

¹¹ تقول دراور: «إن الدَّواوين الطَّلُسميَّة كلها في نفس الرُّوحية والأسلوب، وقد استُنسخت وأعيد استِنساخها من قرون، وغالبًا دون إدراك؛ لأنَّ بعض الأسماء والأرواح الطَّلُسميَّة التي لا تزال تذكر فيها قد اختفت من الدِّين الأصلي، وهي غير موجودة في أي كتاب من كُتُبهم المقدَّسة، وتُعتبر هذه الأخرى الصَّغيرة واقبيًا ضد الأمراض وسوء الطالع والعين الشريرة، ولا يُكلف استِنساخها ما يُكلفه استِنساخ الكُتب المقدَّسة، وهي على الأغلب عادةً وثنيَّة، ويمدُّ الإنسان فيها - عَرَضًا - كائناتٍ تُعامل في الكُتب المقدَّسة كشياطين، ولكنها تظهر في الأخرى ككائناتٍ نافعة، فمثلًا إنَّ الكواكب السَّبعة وعلامات البروج الإثني عشر تُعلن في أكثر الكُتب المقدَّسة، إلَّا أنَّها تُعامل في الأخرى مُعاملة الصَّديق والحليف، وأنا افترض جرَّاء هو تَعويذة حبٍّ مرفوعة إلى عشتار (الزَّهرة) تبدأ هكذا: «باسم لبيات سيِّدة الآلهة والنَّاس» وتظهر مع ذلك إشاراتٍ عداويَّةٍ للكواكب وعلامات البروج أحيانًا في نفس الجزر، وفي الحقيقة فإنَّ التَّقالييد الدينيَّة الأصليَّة والتَّعاويذ قد اختلطت اختلاطًا كليًّا». دراور: الصَّابئة المندائيون، 71-72.

يُلفت نظر الكُتّاب الشَّريان ولا المسلمين الذين عرفوهم عن كُتب هُو أمرٌ بعيدٌ عن النُّصُور.

وكما أنَّه يُمكننا تقرير أنَّ الحرنانيَّة لم يَكُونوا يُمارسون التَّعميد، فإنَّه أيضًا لا وجودٌ لدليلٍ حول اعتقاد الحرنانيَّة في النِّبيِّ عيسى عليه السَّلام، فلا تُردَّد المصادِر شيئًا عن علاقةٍ للحرنانيَّة بالنِّبيِّ عيسى، في حين تنبَّه الكُتّاب المسلمون لعلاقة المندائيِّين بذلك النِّبيِّ، بل وأطلقوا عليهم اسم اليُوحنا سَيِّئ إلى جانب الأسماء التي عرفوهم بها كالصَّابئة والمُعْتَسِلة وصابئة البَطائِح، وكانت تلك العلاقة إلى جانب التَّعميد بمثابة جِسرٍ قويٍّ ربط العقائد المندائيَّة بالأديان السَّماوية وعلى الأخصَّ النَّصرانيَّة والإسلام¹²، ومن ثَمَّ كان ذلك أحد الأسباب الجوهريَّة التي حدَّت بالمسلمين إلى مُعاملة المندائيِّين على أنَّهم أهلُ ذمَّة بالمعنى الكامل لذلك المُصطلح في الفقه الإسلامي¹³.

في حين أنَّ غياب تلك الرِّوابط نفسها والتي تُربط بين عقائد الحرنانيَّة والأديان السَّماوية كان من شأنها تغييد علاقة الحرنانيَّة بالمسلمين، بل والسَّبب في مُعاملتهم على أنَّهم بقايا الوثنيِّين الذين لا يجرُّون مجرَى أهل الذِّمة. ومن منظورٍ تجريديٍّ - وبعيدًا عن مصادِر معلُوماتنا عن عقائد الحرنانيَّة ومدى دقَّتِها - فإنَّ وقوف المسلمين بجلاء على صِلَةٍ مُفترضةٍ للحرنانيَّة بنبيِّ الله عيسى بن زكريَّا عليه السَّلام من المُفترض أن تَضَع الحرنانيَّة في كَفَّةٍ واحدة مع المندائيِّين في المُعاملة الشَّرعية، لكن أنفراد المندائيِّين وحدهم بتلك المُعاملة لا يضعُّ لنا هامِشًا - ولو ضئيلاً - في افتراض أن هناك عقائد مُشتركة أو حتَّى مُتشابهة فيها يُحَصُّ التَّعميد والاعتقاد في بُوَّة عيسى عليه السَّلام.

¹² STEPHAN A. HOELLER: *Gnosticism: new light on the ancient tradition of inner knowing*, New York

NESTA H. WEBSTER: *Secret Societies and Subversive Movements*, New York، 2001، p 132. قارن أيضًا: -

York 2007، p 89.

¹³ أبو بكر الجصاص: *أحكام القرآن*، 3: 318.

أمر آخر من عوامل التَّبَاطُئ التي يُمكن رصدها والتي قد تساعد في ازدياد الشُّك في حقيقة الروابط التي كانت تربط الفريقين ببعضهما، ألا وهو طبيعة المَعْبَد أو الهَيْكَل في كلتا النُّحلتين، فبينما كان المَعْبَد المَندائي «الْمُنْدَى» بيتًا بسيطًا مَبْنِيًّا من الطِّين والقَصَب والبُوص، ويُسْتَرط أن يُبنى قريبًا من النهر الجاري وبمُوصَفَاتٍ مُعَيَّنة، كان الهَيْكَل الحِرناني مَعْبَدًا حَجَرِيًّا مَهِيًّا مَبْنِيًّا على الطُّرُز الوثنيَّة القديمة، وقد أَمَدَّنَا اثنان من العُلَمَاء المُسلمين الثَّقَات بوصفٍ عامٍّ له؛ فالمسعودي زارَهُ وقَدَّم وصفًا له¹⁴، والرَّحالة ابن جُبَيْر زار المسجد الذي كان فيها مَضَى هَيْكَلًا للحِرنانيَّة استنزلهم عنه عِيَاضُ بن غَنَم وحوَّله إلى مَسْجِدٍ جامع للمُسلمين¹⁵، وهذا التَّبَاطُئ في شَكَل المَعْبَد عند كلا الفَرِيقين من شأنه أن يُلقي بظلالٍ من الشُّك حول وُحْدَةِ العقائد بين كلتا الفِرَقَتين.

هناك أيضًا اختلافات بين الفِرقتين تتمثَّل في الاختِفَال بالأعياد والسَّعَاتِر الدِّينيَّة، بالإضافة إلى أن بعض التَّأثيرات الدِّينية المُشرقيَّة وعلى الأخص المَزْدَكِيَّة والزَّرادشتيَّة كالاغْتِقَاد في ثُنائيَّة النُّور والظُّلَام لا نلحَظ لها أثرًا في عقائد الحِرنانيَّة، وبالمِثْل فإنَّ آثار الفِيتاغُورسيَّة

¹⁴ مَرْوَج الذَّهَب، 1: 467-468.

¹⁵ وصفه ابن جُبَيْر الذي زاره إبان قيامه برحلته أواخر القرن السَّادس الهجري/ الثاني الميلادي بقوله: «ويَتَصَلُّ بهذه الأسْوَاق جَامِعُهَا المُكْرَم، وهو عَتِيقٌ مُجَدَّد، قد جاء على غَايَةِ الحُسْن، وله صَخْرٌ كَبِيرٌ فيه ثَلَاثُ قِيَابٍ مُرتَفَعَةٍ على سُورٍ رُخَام، وتَحْتَ كُلِّ قُبَّةٍ بِنَاءٌ عَذْبَةٌ، وفي الصَّحْنِ أيضًا قُبَّةٌ رَابِعَةٌ عَظِيمَةٌ، قد قامت على عَشْرِ سِوَارٍ من الرُّخَام، دَوَّرَ كُلَّ سَارِيَةٍ تِسْعَةَ أَشْبَارٍ، وفي وَسْطِ القُبَّةِ عَمُودٌ من الرُّخَام عَظِيمٌ الحَرَم، دَوَّرَهُ تَحْتَهُ عَشْرُ شِبْرٍ، وهذه القُبَّةُ من بُنْيَانِ الرُّوم، وأَعْلَاهَا مُجَوَّفٌ كَأَنَّهُ البُرْجُ المُشِيدُ، يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُخْزِنُ لَعُدَّتَهُم الحَرَبِيَّةَ، والله أَعْلَم. والجَامِعُ المُكْرَمُ سُقْفٌ بِجَوَائِزِ الحَشَبِ والحَنَائِيَا، وَخَشْبُهُ عِظَامٌ طَوَالَ لِسَعَةِ البَلَاط، وَسِعَتُهُ تَحْتَهُ عَشْرُ خُطُورَةٍ، وهو خَمْسَةُ أَبْلَاطَةٍ، وما رَأَيْنَا جَامِعًا أَوْسَعُ حَنَائِيَا مِنْهُ، وَجِدَارُهُ المُتَّصِلُ بالصَّحْنِ الذي عليه المَدْخَلُ إِلَيْهِ مُفْتَحٌ كُلُّهُ أَبْوَابًا، عِدْدُهَا تِسْعَةٌ عَشَرَ بَابًا، تِسْعَةٌ يَمِينًا وَتِسْعَةٌ شِمَالًا، والتَّاسِعُ عَشْرُ مِنْهَا بَابٌ عَظِيمٌ وَسَطُ هَذِهِ الْأَبْوَابِ، يُنْمِيكُ قَوْسُهُ مِنْ أَعْلَى الجِدَارِ إِلَى أَسْفَلِهِ، بِهِئُ الْمُنْتَظَرِ، جَمِيلُ الوَضْعِ، كَأَنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ المُدُنِ الكِبَارِ، ولِهَذِهِ الْأَبْوَابِ كُلُّهَا أَغْلَاقٌ مِنَ الحَشَبِ البَدِيعِ الصَّنُوعَةِ والنَّقْشِ، تَنْطَبِقُ عَلَيْهَا عَلَى شَبِّهِ أَبْوَابِ مَجَالِسِ القُصُورِ، فَشَاهَدْنَا مِنْ حُسْنِ بِنَاءِ هَذَا الجَامِعِ وَحُسْنِ تَرْتِيبِ أَسْوَاقِهِ المُتَّصِلَةِ بِهِ مَرَأًى عَجِيبًا قَلَّمَا يُوجَدُ فِي المُدُنِ مِثْلَ انْتِظَامِهِ»، اغْتِيَارُ النَّاسِكِ بِذِكْرِ الْأَثَارِ وَالْمَنَاسِكِ، المَعْرُوفُ بِرَحْلَةِ ابْنِ جُبَيْر، بِيْرُوت 1964، 221.

والأفلاطونية المحدثنة والتراث الهللياني بصفة عامة تبدو غير ملحوظة تمامًا في المندائية، هذا إلى جانب اختلاف الشعائر والصلوات التي تتحدث عنها المصادر، والتي تُوحى بأننا بإزاء نِخلتين مُتباينتين بالمعنى الكامل لذلك التعبير.

حقًا هناك بعض النقاط التي تُجسّد تشابهًا في الممارسات الدينية بين الفرقتين، تتمثل في الاختفال ببعض الأعياد التي لها سماتٌ مُشتركة بين الطائفتين كالاختفال بعيد تمّوز، وهناك أيضًا بعض نواحي التشابه في تحليل ألوانٍ مُعيّنة من الطعام عند كلتا النِخلتين وتخريمها كما رأينا من قبل¹⁶، لكن هذه التشابهات يُمكن ردّها إلى التراث البابليّ المُشترك بين كلتا الطائفتين، أو إلى التأثيرات الغنوصيّة التي تسلّلت إلى كلتا النِخلتين في ظروف تاريخيّة مختلفة.

وربّما يكون العامل الحاسم في هذا الصّد هو شكوى أبي إسحاق الصّابي - وهو الحرثانيّ المُتشدّد في دينه - من ذلك الفراغ الديني الذي تشكّوه طائفته ببغداد نتيجة غياب رجال الدين، وقد تُكوّن هذه الأسطر القيّمة التي دوّنها أبو إسحاق من الأهميّة بمكان عند دراسة ارتباط العقائد المندائيّة بمثلتها الحرثانيّة، يقول أبو إسحاق في رسالته إلى نير بن حكيم بن يحيى الزعيم الروحي للحرثانيّة بحرّان¹⁷:

«... وبالله لو كنّا - معشر أهل هذا الدّين قطيعًا من غنم، أو سرّحًا من نِعم؛ حتى نخلو من رُعاة ترعانا وحفظة تحفظنا!!، ولما جاز أن يجمع الله منا آييين، ولا يُصلح لنا ذات بين، فكيف ونحنُ أمة - وإن قلّ عددها - لا بُد أن تُفرض فيها الوصايا، والموارِيث، والمنازعات، والمداينات، والمناكحات، والمخالطات، والحاجة إلى تربية اليّتامى، وتزويج الأيتامى، وإزقاد الضّعفاء، ومواساة الغرباء، وإقامة الصّلوات، وجباية الصّدقات، وعمارة المساجد، وإحياء السّنن، ونظريّة الرّسوم،

¹⁶ راجع الفصل التاسع.

¹⁷ رسائل أبي إسحاق الصّابي، نسخة مجلّسي شُوراي إيران، ورقة 82 ظ.

وتعييد الأعياد، وتُثبِت الدِّين في قُلُوب أَصَاغِرٍ ما عَرَفُوا فَضْلَهُ، وأَكْبَارٍ
قد اسْتَقْلَوْا حَمْلَهُ».

يبدو واضحًا في تلك الأسطر - وبشكل جليٍّ - ذلك الفَراغ الروحي الذي تشكّوه
طائفة الحرثانيّة ببغداد نتيجة غياب رجال الدِّين والكهنة، وقد يجدر بنا التّساؤل؛ إذا كانت
الفرقتان حقًا نَحْلَةً واحدة فلماذا يشكو أبو إسحاق الصّائبي هذا الفَراغ الروحي نتيجة غياب
رجال الدِّين؟!، في الواقع لن يستقيم فهم حديث أبي إسحاق الصّائبي في ضوء اعتياد كلتا
الطائفتين فرقةً واحدة، وعلى هذا فإننا أقرب إلى التعاطي مع التّيار الدّاعي إلى اعتبار كلتا
النّحلتين ملّتين مُتَفَصِّلَتَيْن.

رغم ذلك فهناك عددًا من الشّواهد التي يَسْتَعِصِي فهمُها في ضوء اعتبار كُلٍّ من المندائيّة
والحرثانيّة فرقتين دينيّتين مُستقلّتين كُلٌّ عن الأخرى، من هذه الشّواهد اسم «زهرُون» جدّ أبي
إسحاق الصّائبي، فبالرغم من أنّ أبا إسحاق الصّائبي حرثانيّ الأصل هاجرت عائلته من الرّقّة
إلى بغداد وولّد هو نفسه بعيد تلك الهجرة، فإن اسم جدّه «زهرُون» يستوقف النّظر، فهذا
الاسم مندائيّ صرف، وهو اسم أحد ملائكة النّور في العقائد المندائيّة، فطيقًا للأساطير
المندائيّة يستقلّ هذا الإنثري (الملاك) بُصْحَبَةً «شامش» (المَلِك المُوَكَّل بحفظ الشّمس) فلك
الشّمس كل صياح وحتى غروب الشّمس¹⁸، ولا يُمكن تفسير هذا التّشابه في ضوء افتراض
وجُود مجال قوي للتّأثير والتّأثّر في بيئة جنوب العراق حيث اختلط المهاجرون الحرثانيّة
بالمندائيّين المُستوطنين بها. وذلك ببساطة لأنّ زهرُون الجّد كان حرثانيًّا قح عاش ومات
بحرّان، قبل هجرة أخفّاده إلى قِصبة الخِلافة العبّاسية بزمانٍ طويل.

من تلك الشّواهد أيضًا أنّ هلال بن المُحسن الصّائبي حفيد أبي إسحاق الصّائبي - الذي

¹⁸ دراور: الصّابئة المندائيّون، 26. ولا يزال الاسم يُستخدم بين المندائيّين إلى اليوم كأحد الأسماء الشّائعة

بينهم، نعيم بدوي؛ غضبان رومي: مقدمة كتاب الصّابئة المندائيّون لليدي دراور، 16.

أسلم وحسن إسلامه - كما تنصُّ على ذلك المصادر¹⁹ عندما تزوج امرأة مُسلمة وأنجب منها ولداً ذكرًا أسماه مُحَمَّدًا غَرَسَ النُّعْمَةَ، وقد استغرقت الأوساط الإسلامية طبيعة ذلك الاسم، وفسره البعض بأنه كالاسم المصحوب بلقب²⁰، تمامًا كما استوقف دارسي المندائيّات، إذ إنّ غَرَسَ النُّعْمَةَ هذه ربّما كانت ترجمة عربية دقيقة للقب مندائي صرف وهو: «شَيْتِل طَابَا» وهو لقب يُطلقه المندائيون على شَيْث بن آدم²¹.

ومن العجيب أنّ أبا إسحاق الصّابيّ - وهو الحرثانيّ الأصل - قد دُفن على الشعائر المندائية، فقد نقل لنا الشّريف الرضي (ت406هـ/ 1015م) في قصيدته التي رثا فيها أبا إسحاق الصّابيّ مشهدًا فريدًا لجنازته، يُستنتج من خلاله أنّ أبا إسحاق الصّابيّ قد دُفن وفقًا للشّعائر الدينية المندائية التقليدية كما رأينا من قبل²²، بل وربّما على أيدي رجال الدّين المندائيّين أنفسهم، طالما أنّه كان دائم الشّكوى من عدم وجود رجال دين حرثانيّة ببغداد.

وهناك أيضًا بعض نواحي التّشابه الأخرى بين كلتا الفِرقتين، منها على سبيل المثال ذلك التّأثير الغنوصي المتفاوت الأثر في كلتا النّحلّتين، والمُتمثّل بالإيمان بوجود الوسائط بين الباري وخلقِهِ، وقيام كلتا النّحلّتين على أساس غير تبشيري، وباطنيّة كلتا النّحلّتين، وترتيب الكهنوت في كلتاهما، كما أنّ كلتاهما تُقرّان بحتميّة حفظ أسرار الدّيانة وفق نظام صارم، يُحرّم فيه على العامّة الاطّلاع على أسرار الدّين، ولا يُحوز رجال الدّين أنفسهم من المعرفة إلّا على قدر رُتبهم التي ارتقوا إليها في سلك الكهنوت، ويُختصر فقط الكلام في الدّين وممارسة الشعائر الدّينيّة على طبقة الكهنة ورجال الدّين فحسب، وكلتاهما تتشابهان أيضًا في إقرارهما بحظر اطلّاع الأغيار على دقائِق الدّين، ووجوب حفظ الكُتب المقدّسة بعيدًا عنهم.

¹⁹ ابن خلّكان: وفيات الأعيان، 6: 101.

²⁰ ابن ماثولاً: إكمال الكمال، القاهرة د.ت، 5: 215. وربّما كان ذلك بداية أفعاله التي شكّت امرأته في أنّ زوجها ما زال على دينه القديم، بل وأرادت أن تفرّق عنه، انظر: ابن الجوزي: المنتظم، 16: 15.

²¹ عزيز سيّاهي: أصول الصّابيّة، 165-166.

²² تفصيلًا: راجع الفصل التّاسع.

وليس أمّامنا بإزاء تلك النّقاط التي تبقى مُستعصيةً على الفهم إلّا افتراض وجود مجالٍ مُشتركٍ من العقائد ونقاط تماس عديدة بين كلتا النّحتين، ساهمت في أن تنظر كلتاها إلى الأخرى نظرة الأخوة في الدّين حسبما جاء في كتاب حرّان جويثا، حتّى وإن بدت هناك بعض الاختلافات الجوهرية بينهما. فالفقرات التي نقلها ابن العبري عن ثابت بن قرة وحديثه عن الصّابئة المنتشرة في الدّنيا²³ كفيلة بتوضيح أنّ الحرّانية كانوا يقرّون بوجود فريقٍ أخرى تُشاركهم المعتقدات ذاتها مُنتشرة في أنحاء المعمورة، وأنّ الحرّانية - من وجهة نظره - كانوا هم الوارثون والمورثون لاعتقادات الصّابئة في الأرض²⁴.

وفي المندائية هناك ما قد يُوازي اعتقاد الحرّانية في وجود إخوة لهم يتحلّون ديناً قريباً من دينهم، ففي ديوان حرّان جويثا نفسه عبارة مُلفتة للنّظر، ففي معرض حديث النّاسخ عن النّاصورائي قال ما نصه: «كانت الأقوام تتجرّأ واللّغات تتعدّد». ويُردف بقوله: «حتّى لغات النّاصورائيين قد تضاعفت»²⁵، فهل نستنتج من هذا أن المندائيين عاملوا صابئة حرّان كنّاصورائيين مثلهم، حتّى وإن خالفوهم في الطّقوس والاعتقادات؟ وهل اعتقد كل من المندائيين والحرّانية أنّ جوهر النّحتين واحد في نهاية الأمر.

ورغم أنّنا لا نستطيع أن نُحيط بشكلٍ واضح بطبيعة العلاقات الاجتماعية التي ربطت بين المندائيين والحرّانية، وهل قويت إلى مرحلة الزّواج والمصاهرة، أم توقّفت عند حدّ الاستيعانة بالكهنة منهم لإجراء الطّقوس الدينيّة كحلّ عملي لغياب رجال الدّين الحرّانية، مع ذلك فوزود اسم أبي سعيد المندائي كأحد المصادر الرئيسيّة التي استقى منها غرس النّعمة بن هلال الصّابئ مادّته في كتابه الهفوات النّادرة توضّح لنا أنّ الحرّانية كانوا يختلطون بالمندائيين ويحضرون مجالسهم العلميّة، وينقلون عنهم²⁶.

²³ راجع الفصل الرابع.

²⁴ ابن العبري: تاريخ الزّمان، 48-49.

²⁵ 14. DROWER: Haran Gawaita, p 14، ويستنتج سباهي من هذه العبارة أنّ أقواماً أخرى انضمت إليهم من

القرس وغيرهم، أو أن المندائيين تورّعوا على مناطق متعدّدة وصاروا يتحدّثون بلهجاتٍ أخرى غير تلك التي دونت بها مُعتقداتهم، سباهي: أصول الصّابئة، 221.

²⁶ راجع في ذلك غرس النّعمة بن الصّابئ: الهفوات النّادرة، 55-59-60-62-65-73.

لا يُمكنني الجزم بشكل باتٍّ وحاسمٍ في قضية وحدة الطائفتين، مع ذلك فإنني أقربُ إلى الشكِّ في وجود علاقةٍ إثنيَّة أو دينيَّة ما بينهما، لكن هذا لا يمنعُ من أنَّ كلتا الطائفتين نظرتا إلى بعضهما على أنَّهما أتباع ديانةٍ واحدةٍ في جَوهرها، وذلك بغضِّ النظر عن التباين في العقائد والممارسات الدينيَّة. ومع ذلك الموقِف المبدئيِّ فإنني أُعوِّلُ أن تُساعد الاكتشافات الأثريَّة في المستقبل في دفع التَّقضيِّ في تلك القضية إلى الأمام باستتاف التَّقريب في موقع حرَّان الأثريِّ وما حوله، والعثور على بعض الكتابات الدينيَّة للحرانية والتي يُمكن أن نقف من خلالها بجلاء على طبيعة موقِف الحرانية الديني، كما أُمِّلُ في أن يكتشف الآثاريون موقع مدينة الطَّيب الغامضة، وأن يُستأنف التَّقريب في نواحي ميسَّان لاكتشاف طبقات دستُميسَّان الأثريَّة. والأمل ليس ببعيد أن يظهر إلى النور - مُجدِّداً - عددٌ من النُّصوص سواء كانت مندائيَّة أو حرانيَّة من شأنها أن تُطيء اللثام بشكل أكبر عن طبيعة العلاقة بينهما.

العلاقات الاجتماعية بين أبناء الجالية الحرانية في مجتمع بغداد

من المدهش حقاً أن نعرف أنَّ أوامر العلاقات بين أفراد الطائفة الحرانية على الصَّعيد الاجتماعي لم تكن على ما يُرام، فبخلاف ما عُرف عن الأقليات من شيوع رُوح المودة والترابط بينهم، حفاظاً على الهوية وخوفاً من الدَّويان في الآخر؛ فقد كان الأمر بالنسبة للحرانية على التَّقريب من ذلك، فقد ساد بينهم شعورٌ بالعداوة، ناتجٌ عن الغيرة والتَّحاسد، ولعلَّ هذا ما عبَّر عنه القفطي بقوله²⁷ «ولهؤلاء الصَّابئة من سُوء الأخلاق، ومُعادة الأهل بعضهم بعضاً ما لا يكون عليه أحدٌ غيرهم، حتَّى لا يُرى منهم اثنان مُتَّفِقين ولا مُجتمعين، بل يسعى بعضهم في بغضٍ ويُقحِّح كل واحدٍ على الآخر بكل ما يجد إليه السَّيل».

ويُسوق القفطي مثلاً يُبرهن به على سيادة تلك الرُّوح العدائيَّة في مُجتمع الحرانية، وهو أنَّ أحد الأطباء الحرانية - ويُدعى أبا الحسن بن سنان - كان أخوه أبو الفضل بن سنان قد مَرِض وأُشرف على الهلاك، وكانت بينهما جَفوةٌ قبل مَرَضِهِ، فما كان من أخيه الطَّيب إلَّا أن

²⁷ إخبار العلماء، 260.

ذهب إليه، وأشرف على علاجه حتى برء من مرضه، فلما ذهب الخليل ليشكر أخاه على إنقاذه لحياته، رفض الطبيب أن يفتح له داره، وقال له: «ارجع إلى دارك فقد عدنا إلى ما كنا عليه من المهاجرة»²⁸.

كما يقص علينا عرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن الصابي كيف أن والده هلالاً كان قد مرض في المحرم من سنة 436هـ/ 1044م مرضاً أشرف به على الهلاك، وكيف امتنع أحد بني جلدتهم من الماهرين بالطب عن زيارته لمُشاهدة وقعت بينه وبين هلال، وكان آل هلال يسألونه الحضور فيعدُّ ويخلف، وهلال يزيد في مرضه إلى الحد ذهب معه إدراكه وبقي كذلك عشرين يوماً حتى زاره الطبيب²⁹.

ويؤكد أبو إسحاق الصابي على طبيعة العلاقات الاجتماعية المتردية بين مختلف فئات المهاجرين الحرانية ببغداد، ويُعدّد مظاهر هذا التردّي كسوء الطاعة، وفساد العادة، وتشبث الشمل والجماعة، وأن كل واحد منها يرى أن الأمر لا يتنظم إلا به وحده، وأن قسطة الأقل منه³⁰. والمتأمل فيما تخلف إلينا من سجلات ووثائق القوم ضمن رسائل أبي إسحاق الصابي سيلحظ بالفعل أن الحرانية لم يكونوا يقيمون كبير وزنٍ للراوابط الأسرية وشائج القرى، فأبو إسحاق الصابي يكتب إلى شقيقه أبي الفضل جابر بن هلال يلومه لأنه أرسل له رسالة مملوءة بالغلظة والجفاء بدلاً من أن يُهنئه بمولود رزقه، وفي المقابل يتهم أبو الفضل جابر شقيقه أبا إسحاق الصابي بالجفاء وإطراح حقوقه عليه كونه شقيقه الأكبر، ويُعيره بأن والده هلال بن زهرون مات ساخطاً عليه³¹.

وفي إحدى رسائله يلوم أبو إسحاق الصابي ابن عمه أبا الخطّاب المُفضّل لأنه طوال محنة المتعاقبة لم يسع لمكافئته أو معاصדתه، ولا جرى منه ما يجري بين ذوي اللُحمة الواحدة

²⁸ القفطي: نفسه، نفس الصفحة.

²⁹ المصدر نفسه، 260-261.

³⁰ رسائل أبي إسحاق الصابي: نسخة مجلّبي شُوراي إيران، ورقة 82و.

³¹ المصدر نفسه، نسخة مكتبة تيسيريتي، ورقة 60ظ.

على حدِّ قوله³²، كما كَتَبَ إلى ابْنِهِ أَبِي سَعِيدٍ سِنَانٍ يَشْكُو إِلَيْهِ - مَرَّ السَّكْوَى - مِنْ جُورِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي الْخَطَّابِ الْمُفَضَّلِ عَلَى صَمَانِهِ، وَدَخُولِهِ فِيهِ بِالْحِيلَةِ لِلْاِسْتِيلَاءِ عَلَى نَيْفٍ وَعَشْرِينَ جَرِيًّا³³ كَانَتْ تَدْخُلُ كُلَّ عَامٍ ضِمْنَ حُدُودِ صَمَانِهِ، وَنَفَهُمْ مِنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَنَّ رَئِيسَ الطَّائِفَةِ أَبَا الْحَسَنِ الْحَرَّانِي قَدْ دَخَلَ طَرَفًا فِي تِلْكَ الْخُصُومَةِ مُنْحَازًا إِلَى وَلَدِهِ الْمُفَضَّلِ، وَهُوَ مَا أَغْضَبَ أَبُو إِسْحَاقَ بِشِدَّةٍ، وَتَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ قَطِيعَةٌ دَامَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ³⁴، وَأَذَتْ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ إِلَى عَزُوفِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ عَنْ حَضُورِ جَنَازَةِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي الْخَطَّابِ³⁵، بَلْ وَعَمَّهُ نَفْسَهُ حِينَ مَاتَ عَامَ 365هـ / 975م³⁶.

وعند وفاة أبي الخطَّابِ الْمُفَضَّلِ الصَّابِيِّ اسْتَحْكَمَتِ التَّزَاعَاتُ الْعَائِلِيَّةُ بَيْنَ آلِ زَهْرُونَ وَأَذَتْ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْأَنْقِسَامَاتِ، فَقَدْ ادَّعَى ابْنُ عَمِّهِ أَبُو مَنْصُورِ ابْنَ جَابِرِ بْنِ هِلَالِ الصَّابِيِّ³⁷ الْحَقَّ فِي ضِيَاعِ أَبِي الْخَطَّابِ بِدِيرِ الْعَاقُولِ، وَقَدْ أَنْحَازَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ إِلَى وَرَثَةِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي الْخَطَّابِ وَقَدِمَ صُكُوكًا لَوَالِي دِيرِ الْعَاقُولِ تُثَبِّتُ مِلْكِيَّةَ الضِّيَاعِ لَوَرَثَةِ أَبِي الْخَطَّابِ، وَسَأَلَ الْوَالِي تَمْكِينَ وَكَيْلَ وَرَثَةِ أَبِي الْخَطَّابِ مِنْ أَمْلاكِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ لِأَبِي مَنْصُورٍ حَقٌّ فَلْيَقَاضِ بِهِ³⁸. وَلَوْ تَقَصَّيْنَا تَفْصِيلًا طَبِيعَةَ الْعِلَاقَاتِ الْمُتَرَدِّةِ وَالْمُشَاحَنَاتِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْجَالِيَّةِ الْحَرَّانِيَّةِ بِبَغْدَادَ لَطَالَ الْحَدِيثُ، لَكِنْ الْمُحْصَلَةُ أَنَّ الْمُطَالِعَ لِرِسَائِلِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ سَيَقِفُ بَوْضُوحَ عَلَى كَثْرَةِ تِلْكَ التَّزَاعَاتِ وَالْمُشَاحَنَاتِ الْعَائِلِيَّةِ، وَكَيْفَ تَرَكْتَ أَثَرًا عَمِيقًا عَلَى الْأَوَاصِرِ الْعَائِلِيَّةِ بَيْنَ آلِ زَهْرُونَ

³² نفسه، نُسخة مكتبة تشيستر بيتي، ورقة 66 ظ.

³³ الجريب (الجمع: جريان) وحدة قياس مساحة كانت تُستخدم لقياس مساحات الأراضي الزراعية، والجريب يساوي أثُلَّ في أثُل. والأثُل وحدة قياسها ستين ذراعًا مُربَّعة، أي أن الجريب كان يساوي 3600 ذراع. الحواززمي: مفاتيح العلوم، 77.

³⁴ رسائل الصَّابِيِّ، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 19 و-23 ظ.

³⁵ المصدر نفسه، نُسخة تشيستر بيتي، ورقة 30 ظ.

³⁶ نفسه، نُسخة مكتبة تشيستر بيتي، ورقة 107 و.

³⁷ نفسه، نسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 103 ظ.

³⁸ نفسه، نسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 96 و.

الصَّابِئ، وهي العائلة التي اختكرت رئاسة الطائفة منذ وفاة سنان بن ثابت عام 331هـ/ 942م وحتى ذوبان الطائفة نهائيًا في مجتمع بغداد المسلم.

على جانب آخر فقد ظلت علاقة الجالية الحرنائية ببغداد وطيدة بأصولها في حرّان، ولعلّ كثرة المكاتبات بين أبي إسحاق الصّابئ وبين شيوخ الطائفة أو رؤسائهم الدّينيين في حرّان كفيلة بتوضيح مدى الشعور بالاعتراّب الذي عاشته الطائفة، فقد كانت صابئة حرّان يتبعون أخبار بني جلدتهم بالعراق، ويرسلون إليهم الرسائل بالتهنئة في الأعياد وبالمواساة في المحن³⁹، بل ويطلبون منهم العون إذا ألت بهم ملّة، كما فعل أهل الرّقة حين استنجدوا بأبي إسحاق الصّابئ ليطلب من الأمير سيف الدولة الحمداني الأمر بإخراج تركّة رجل يدعى قرّة بن هلال الصّابئ من دائرة الموارث الحشرية وتسليمه إلى ورثته⁴⁰.

العلاقات الاجتماعية بين الصّابئة والملل والطوائف الدينية الأخرى

بالنسبة لعلاقات الصّابئة بالمسلمين فيمكن القول بأنّ الصّابئة كانوا يتمنّعون بمرونة فائقة في نفهم الآخر واستيعاب عقائده، وقد مرّ بنا عند التّعرّض لعقائدهم كيف أنّهم كانوا لا يُنكرون النّبوات، ويعتقدون أنّ دعوات الأنبياء جميعًا حق، وأنهم دعوا إلى ما فيه خير البشريّة⁴¹، ومن ثمّ كان الحرنائية أبعد ما يكونون عن التّعصب الدّيني، فقد كانوا ينظرون إلى الدّيانات الأخرى وعلى الأخصّ الدّيانات السّماوية على أنّها أديانٌ حقّة، فقط كان كلّ ما في الأمر - من وجهة نظرهم - أنّهم أصحاب الدّين القديّم الحق.

ونستطيع أن نرصد ملامح تلك المرونة في مختلف عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعيّة، فقد كانوا يتسمّون بأسماء المسلمين ويتكلّون بكُتّاهم، وأبرز مثال على ذلك اسم واحد من أشهر علمائهم وهو أبو عبد الله محمّد بن جابر بن سنان البتّاني، والذي تسمّى باسم النّبي ﷺ، كما كان أبو إسحاق الصّابئ يصوم مع المسلمين شهرَ رمضان، ويقرأ القرآن ويستشهد بآياته في غير

³⁹ نفسه، نسخة عشر إفتدي، ورقة 117 أ.

⁴⁰ نفسه، نسخة تشيستر بيتي، ورقة 96 ظ.

⁴¹ راجع الفصل الرابع.

موضع من رسائله؛ بل كان أيضًا واسع الاطلاع على الأحاديث والآثار النبوية، وكان ذلك موضع عجب العديد من المؤرخين المسلمين⁴².

بل إنّه عندما كان يكتب لبني جلدته في أيام مباركة لدى المسلمين كان يسأل الله أن يؤتیه من فضل هذا اليوم، فعندما كتب لشقيقه أبي الفضل جابر بن هلال بن إبراهيم الصّابي رسالة وافقت يوم عيد الفطر عند المسلمين، افتتح رسالته بقوله: «كتابي أطال الله بقاءك يوم الفطر، نسأل الله لأنفسنا نصيبًا مما أنزل فيه من خير وبركة، وأجر ومثوبة»⁴³.

ولم يقتصر الأمر على الإسلام فحسب بل امتدّ ليشمل النصرانية وحتى الزرادشتية، ففي إحدى رسائل أبي إسحاق الصّابي لابن عمّه أبي الخطاب وصف فيها كلاً من أبي العلاء صاعد بن ثابت النّصراني وأبي سهل سعيد بن الفضل المجوسي بالتدين والصلاح والتقوى⁴⁴. وبالمجمل نستطيع القول بأنّه كان للصّابئة الحرنائية مقدرة كبيرة على التّعاضد مع الآخر واستيعابه، فلم يكونوا يعطون البعد الديني الأولوية عند التواصل الاجتماعي مع غيرهم من أهل الملل والأديان الأخرى.

بل إننا نجد أنّه على الرغم مما نعرفه عن العلاقات السيئة بين النّساطرة والحرنائية فمن المدهش أن نجد أن الحرنائية استطاعوا مدّ جسور الودّ بينهم وبين النّساطرة، وخاصة في زمن رئاسة أبي سعيد سنان بن ثابت للطائفة، فقد شهدت علاقة الصّابئة الحرنائية بالنّساطرة في عهده تحسّناً كبيراً، تشهد بهذا واقعة اختلاف النّساطرة في تعيين جاثليق لهم بعد وفاة الجاثليق إبراهيم سنة 325هـ/936م، حيث اشتدّ التنافس بين مطارنة جنديسابور والبصرة على كرسي الجثقة بقصبة الخلافة، وتفاقم الأمر حتى أقسم جميع المطارنة على الزهد في كرسي الجثقة، وظلّ نصارى بغداد بدون جاثليق لعدّة أشهر حتى قرّر سنان بن ثابت التّدخل في تلك الأزمة، فوصف لهم راهباً رآه في أحد الأذيرة القريبة من الموصل، ومن المدهش أيضًا أن المطارنة

⁴² ابن كثير: البداية والنهاية، 15: 449؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 4: 169.

⁴³ رسائل الصّابي، نسخة مكتبة تشيستر بيتي، ورقة 60 ظ.

⁴⁴ رسائل الصّابي، نسخة مكتبة جامعة الأزهر، ورقة 75 ظ.

فَوَضُّوا إِلَيْهِ أَمْرَ إِخْضَارِ ذَلِكَ الرَّاهِبِ، فَكَتَبَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ بِنَفْسِهِ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ أَمِيرِ الْمُؤَصِّلِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ إِلَى بَغْدَادَ. فَأَخْضَرَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ يَسِيرَةٍ⁴⁵، وَبِذَلِكَ انْتَهَتْ تِلْكَ الْأُزْمَةُ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ سِنَانِ بْنِ ثَابِتٍ.

وَقَدْ اسْتَمَرَّتْ تِلْكَ الْعَلَاqَاتُ الطَّيِّبَةُ بَيْنَ النَّسَاطِيرَةِ وَالْحَرَنَانِيَّةِ، فِي زَمَنِ رِئَاسَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْحَرَّانِيِّ لِلطَّائِفَةِ، فَعِنْدَمَا سَأَلَ نَصْرُ بْنُ هَازُونَ وَزِيرَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ جَانَلِيقَ النَّصَّارِيِّ أَنْ يُرْشِّحَ لَهُ طَبِيبًا حَازِقًا لِيَتِمَّ تَنْصِيهِهِ كَطَبِيبٍ خَاصٍّ لِلْأَمِيرِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ رَشَّحَ لَهُ عَلَى الْفَوْرِ شَيْخَ الْحَرَنَانِيَّةِ بِيغْدَادِ الطَّيِّبَ أَبَا الْحَسَنِ ثَابِتَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِيِّ⁴⁶. وَلَعَلَّنَا لَا تَنْسَى فِي هَذَا الْمَقَامِ كَيْفَ رَبَطْتَ أَوَاصِرَ الصَّدَاقَةِ الْوُطَيْدَةِ بَيْنَ ثَابِتِ بْنِ سِنَانٍ وَالْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى⁴⁷، وَبَيْنَ الْوَزِيرِ الْمُهْلَبِيِّ وَبَيْنَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ حَتَّى قِيلَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى الدُّنْيَا إِلَّا بِهِ⁴⁸، وَكَذَلِكَ الصَّدَاقَةُ الْوُطَيْدَةُ الَّتِي رَبَطَتْ بَيْنَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ وَبَيْنَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ⁴⁹.

حَقًّا وَجِدَ فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَّارِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عَادَى الصَّابَةِ لُجَرَّدَ الدِّينِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مُجْتَمَعٌ يَخْلُو مِنْ سِيَادَةِ بَعْضِ مَظَاهِرِ التَّعَصُّبِ، وَشَيْوَعِ رُوحِ التَّحَاوُسِ خَاصَّةً مَعَ الْمَكَائَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي أَحْزَرَهَا عُلَمَاءُ الصَّابَةِ فِي بِلَاطِ الْخِلَافَةِ، وَلَعَلَّنَا لَا نَغْفُلُ فِي هَذَا الْمَقَامِ تِلْكَ الْإِنْتِقَادَاتِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي نَالَهَا الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ بَعْدَ كِتَابَتِهِ مَرِئِيَّةً فِي أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ عَقِبَ

⁴⁵ مَارِي بْنُ سُلَيْمَانَ: أَخْبَارُ بَطَارِكَةِ كُرْسِيِّ الْمَشْرِقِ، 94-95؛ فِيهِ: أَحْوَالُ النَّصَّارِيِّ، 211.

⁴⁶ الْقَفْطِيُّ: إِنْخَبَارُ الْعُلَمَاءِ، 79؛ لُؤَيْسُ شَيْخُو: وَزَرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ وَكُتَّابُهَا فِي الْإِسْلَامِ، حَقَّقَهُ زَادُ عَلَيْهِ وَقَدَّمَ لَهُ الْأَبُ كَمِيلُ حَنِيئِمَةَ الْيَسُوعِيِّ، بِيْرُوتَ 1987، 94.

⁴⁷ مِسْكُويَّة: تَجَارِبُ الْأُمَمِ، 1: 29.

⁴⁸ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، 1: 132.

⁴⁹ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ: رِسَالَتُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ وَالشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، 63-112. وَانْظُرْ أَيْضًا: -تَوْفِيقُ الْيُوزْبَكِيِّ: تَارِيخُ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الْعِرَاقِ، الرِّيَاضَ 1983، 428؛ عَمَّادُ مُحَمَّدٍ سَعْدَاوِي الدِّش: أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ وَرِسَالَتُهُ، رِسَالَةُ مَاجِسْتِيرٍ غَيْرِ مَنْشُورَةٍ، كَلِيَّةُ الْأَدَابِ جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ 1955، 131.

وفاته، كونه شريفاً يرثي أحد الصابئة، افتتحها بقوله «أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ»⁵⁰، فهاجته بعض الحاضرين بقولهم: «كَلْبُ ابْنِ كَلْبٍ»⁵¹، وعلّق أخوه الشريف المرتضى وقال له: «نَعَمْ عَلِمْنَا أَنَّهُمْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ كَلْبًا كَافِرًا عَجَلُ بِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ»⁵²، فاشتعر الشريف الرضي الحرج، واضطر للدفاع عن نفسه بقوله «إِنَّمَا رَأَيْتُ فَضْلَهُ، لَا دِينَهُ»⁵³. وإذا تأملنا تلك الأسطر التي كتبها أبو عليّ الحسين بن محمد الأتباري لأبي إسحاق الصّابي وهو يُعرض فيها بديانة أبي إسحاق بقوله:

«... والله لو نَحَلَّيْتُ بالنجوم، وكتبْتُ بعُطارد، وركبت مَنَكِبَ
الفرس، وطعنت بالسَّيِّك الرامح»⁵⁴، ومدحك زهيرٍ بمدح هرم⁵⁵،
وأنت - لعمر الله - ابنِ سنان، ولكن عَدَمْتُ مثل زهير، ثم سَقَطَ عَنْكَ
شُكْرِي فَضلاً عَنْ أَنْ تَلَحَّكَ اسْتِزَادَتِي؛ لظَنَنْتُ أَنَّ قَلْبَكَ - عَمَرَهُ اللهُ
بِمَسَرَّتِكَ - لَا يَبْرُءُ مِنْ أَنَّ تِلْكَ الْفَضَائِلَ مُشُوبَةٌ مُتَقَصَّة، وتلك النعمة
مُتَحَوِّنَةٌ مُنْغَصَّة».

ولا ريب أنَّ الأتباري قصد الطعن بين السُّطور في ديانة أبي إسحاق الصّابي بتذكيره بأنّه

⁵⁰ الشريف الرضي: ديوان الشريف الرضي، بمبای 1306 هـ، 155.

⁵¹ الصّفي: الوافي، 6: 103.

⁵² القفطي: إخبار العلماء، 55.

⁵³ الصّفي: الوافي، نفس الجزء والصفحة؛ القلقشندي: صبح الأعشى، 1: 42.

⁵⁴ منكب الفرس والسَّيِّك الرامح مجموعتان نجميتان في التّصنيفات الكلاسيكية للمجموعات النجمية عند

النّجمين العرب، انظر: - ابن طاوروس البغدادي: فرج المهموم، 114.

⁵⁵ الإشارة إلى قصائد زهير بن أبي سلمى الشهيرة في مدح هرم بن سنان المزني الملقّب بممدوح زهير وشقيقه

خارجة بن سنان الذي قبل حل الدية في قتل عيسى ودبيان، انظر: - أبو عبيد البكري: فصل المقال في شرح

كتاب الأمثال، تحقيق إحصان عباس، بيروت 1979، 126.

لا يعدُّو كونه أحد الوثنيين من عبَّاد الكواكب والنُّجوم، ومن ثمَّ يدعُّوه ألاَّ يتعلَّى عليه، حتى لو صار القائم بأمر الوزارة فعليًّا دون اسمها، وقد قرأ أبو إسحاق الصَّابي ما بين السُّطور فردَّ عليه بقوله⁵⁶:-

«وَأَمَّا قَوْلُكَ - أَيُّدِكَ اللهُ - أَنَّنِي لَوْ تَحَلَّيْتُ بِالنُّجُومِ، وَكَتَبْتُ
بِعُطَارِدٍ، وَرَكِبْتُ مِنْكَبَ الْفَرَسِ، وَطَعَنْتُ بِالسَّيِّدِ الرَّامِحِ، وَمَدَحَنِي
زُهَيْرٌ بِمَدْحِ هَرَمٍ؛ لَأَنْتَقِصَنِي سَقُوطُ شُكْرِكَ فَضْلاً عَنْ أَطْرَادِ عَيْتِكَ. فَإِنْ
سَلِمَ هَذَا الْفَضْلُ مِنَ الْجُمُزِ، وَخُلِصَ مِنَ الطَّعْنِ وَالْغَمَزِ فَقَدْ صَدَّقَ
قَائِلُهُ - صَدَّقَ اللهُ فَاهُ؛ وَأَطَالَ بَقَاهُ - وَاللهُ مَا تَسْلُمُ لِي فَضِيلَةٌ مَعَ ذِمَّتِكَ،
وَلَا تَنْصَرِفُ عَنِّي شَائِنَةٌ مَعَ إِعْرَاضِكَ».

⁵⁶ رسائل أبي إسحاق الصَّابي، نُسخة مكتبة الجامع الأزهر، ورقة 57و.

الفصل

الحادي عشر

11

دور الصابئة في

تطور العلوم التجريبية

«وَقَدْ جَبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُعْنَى
بِنَفْسِهِ، وَيُكْسِبَهَا جَمَالَ الْأَدَبِ، وَفَضِيلَةَ
الْعِلْمِ مَا اسْتَطَاعَ وَقَدَّرَ، وَيَعْرِضَهُ أَيْضًا
بَعْدَ هَذَا عَلَى إِقَارَةِ غَيْرِهِ مَا اسْتَفَادَهُ مِنْهُ
زَلَك».

إبراهيم به ثابت به قُرَّة الصَّائِبِ

لا شكَّ أنَّ عقائد الحرنائية المرتبطة بعبادة الكواكب والنجوم قد جعلت لعلم الفلك مكانة متميزة بين العلوم التي عني العلماء الحرنائية بدراستها، فرضد الطالع، والتحقق من التقويم ومواقيت الأعياد جعل صابئة حرّان شغوفين بمراقبة السماء، ورصد حركات الأجرام السماوية، وقد ظلت حرّان معقل علم الفلك حتّى هاجر إلى بغداد مجموعة من أبرع العلماء الحرنائية في علم الفلك، فنشيطت الدراسات الفلكية ببغداد، وأصبحت مدرسة بغداد تُضاهي مدرسة حرّان الفلكية؛ لذا فليس من المستغرب أن يذكر النديم أن الاسطرلابات الجيدة لم تكن تُصنع إلا بحرّان، ثم تعلّم النَّاسُ في بغداد صناعتها¹، إذ لا شكَّ أن النديم يُشير من طرف خفيٍّ إلى تأثير علماء الفلك من الحرنائية - الذين هاجروا إلى بغداد - في نهضة ذلك العلم بقصبة الخلافة العباسية.

ويُعدُّ ثابت بن قُرةً واحدًا من أمهر علماء الفلك الحرنائية وأشهرهم، فقد اتفق قسماً غير يسير من حياته في مراقبة حركة الشمس²، وله ملاحظات على التقويم الشمسي ضمّنها كتابه الرئيس «رسالتان في سنة الشمس»³، كما أن له رسالة في ضبط مطالع الأبراج اعتمد عليها البيروني⁴.

وقد نقل الرّازي - لحسن الحظ - بعضًا من آراء ثابت بن قُرة الفلكية، منها أنّه كان يعتقد أن حركة الفلك بوجه عام هي حركة واحدة لم تزل ولا تزال، وأن الحركات التي تراها من كلّ جُرم على حدة هي حركات متوهمة⁵. ولعلّ هذا ما عبّر عنه ثابت في كتابه «إنطال

¹ الفهرست، 2: 264.

² ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 299؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 9: 307.

³ النديم: المصدر نفسه، 2: 228.

⁴ البيروني: القانون المسعودي، 2: 81.

⁵ فنّد أبو بكر الرّازي رأي ثابت بن قُرة عبر طرحه لقضية الزّمن وحركة الكواكب، ورأى أن حركة الفلك لو

الحركة في بروج الفلك»⁶، لازتباط عنوانه بما نقله عنه الرازي، وربما كان ذلك هو السبب الكامن وراء إغراض ثابت عن القيام برصد كامل لحركات الفلك في زيج باسمه.

ومن مؤلفات ثابت في علم الفلك أيضًا كتاب «تسهيل المجسطي»، المعروف بـ«المدخل إلى المجسطي» وهو كتاب كبير في اختصار وتبسيط عمل بطليموس القلودي الكبير في علم النجوم والمسمى بالمجسطي *Al-Magest*⁷، ومات ثابت دون أن يُتمّه، كما أن له رسالة «في حالة الفلك»، وكتاب «تركيب الأفلاك، وخلقتها وعددها وعدد حركات الجهات لها، والكواكب فيها، ومبلغ سيرها، والجهات التي تتحرك إليها»، و«كتاب في الهيئة»، وكتاب في «أشكال المجسطي»، وكتاب «رؤية الأهلّة بالجنوب»، وكتاب «رؤية الأهلّة من الجداول»، وكتاب في «إبطاء الحركة في فلك البروج، وسرعتها وتوسّطها بحسب الموضع الذي يكون فيه من الفلك الخارج المركز»، وكتاب في «محنة حساب النجوم»، ورسالة «فيما يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته»، وكتاب في «علّة كسوف الشمس والقمر»، أنجز أكثر أقسامه ومات دون

=

كانت واحدة لوجب أن يكون الرصد في زمن الرازي هو عينه في زمن أرسطوطاليس، وهذا محال، ولو افترض صحته فإنه يتوجب أن يكون زمن الرازي هو زمن أرسطوطاليس، وهذه ملاحظة ثابتة بالفعل، غير أن المثير للانتباه أن الرازي يذكر أن الكندي كان يعتقد اعتقاد ثابت في أن حركة الفلك حركة واحدة لم تنزل ولا تزل، أي في البدء والديمومة، أبو بكر الرازي: مقالة فيما بعد الطبيعة، ضمن كتاب رسائل فلسفة أبي بكر الرازي، بيروت 1982، 130-131.

⁶ النديم: الفهرست، 2: 228.

⁷ المجسطي كتاب لبطليموس الفلكي، وهو في علم الفلك والهيئة، وظلّ حتى نهاية العصور الوسطى أهم مصدر في علم الفلك، والمجسطي كلمة يونانية تعني الفاخر أو العظيم، وكان سهل بن ربان الطبري هو أول من ترجم المجسطي، للعربية، ثم راجع ترجمته وأصلحها الحاج بن يوسف بن مطر المترجم، وأصلح حنين بن إسحاق ترجمة الحاج، ثم أصلح ثابت بن قرة إصلاح حنين بن إسحاق، وقام البتاني بإصلاح إصلاح ثابت بن قرة، عن المجسطي وترجماته وشروحاته انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، منشورات لجنة إحياء التراث العربي، بيروت د.ت، 1: 142، أوليري: علوم اليونان، 216؛

REGIS MORELON: *The Astronomy of Thabit Ibn Qurra*, in: *Thabit Ibn Qurra: Science and Gerald Grudzen, Shamsur Rahman: Spirituality and Science: Greek, Philosophy*, op. cit. p 601.

Judeo-Christian and Islamic Perspectives, Indiana 2007, pp 126-127.

أن يُتِمَّه، وكتاب في «طبائع الكواكب وتأثيراتها»، وكتاب في «إيضاح الوجه الذي ذكر بطليموس أن به استخرج من تقدّمه مسيرات القمر الدورية»، ورسالة «فيما أغفله ثاؤون في حساب كسوف الشمس والقمر»، ومقالة في «حساب خسوف الشمس والقمر»، و«مختصر في علم النجوم»، ورسالة جوابية له عن «سبب الخلاف بين زيح بطليموس وبين الممتحن»⁸.

ومن أشهر الفلكيين الصابئة والذين نالوا مكانة مُميّزة في تاريخ علم الفلك؛ الفلكي الشهير أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني، وهو منسوب إلى بستان من أعمال حرّان⁹، هاجر من الرقة إلى بغداد، وخدم الخليفة المكنفي بصنّاعته، وأغرم به وبعلمه ولده جعفر بن المكنفي، وتوفي في طريق عودته من بغداد إلى الرقة على مقربة من قصر الحص عام 317هـ/929م¹⁰، وقد بلغ من تقدير القدماء لإسهاماته في علم الفلك أن قيل: «ولا يُعلم أحد من الإسلام بلغ مبلغه في تصحيح أروصاد الكواكب وامتحان حرّكاتها»¹¹.

ومن أبرز أعماله كتابه «معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك»¹²، ورسالة فلكية بعنوان «رسالة في تحقيق أقدار¹³ الانّصالات»، وهي في حساب اتّصالات الكواكب السيارة واقترابها من بعضها البعض في مداراتها، أهداها للوزير علي بن الفرات في زمن الخليفة المقتدر¹⁴. ومن أعماله أيضًا كتاب «إصلاح إصلاح ثابت بن قرة للمجسطي»¹⁵، وكتاب المقالات الأربع في القضاء بالنجوم¹⁶.

⁸ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 299.

⁹ ابن خلكان: وفيات الأعيان 5: 164؛ البيهقي: تاريخ حُكّماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، منشورات

جمع اللغة العربية، دمشق 1988، 20-29؛ WILLIAM BOYD: *The history of literature*, London 1889.

HENRY SMITH WILLIAMS: *The great astronomers*, London 1930, p 89. vol. III, pp 286-287.

¹⁰ الصّفيدي: الوافي بالوفيات، 2: 209؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، 23: 546.

¹¹ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 158.

¹² النديم: الفهرست 2: 249؛ الصّفيدي: الوافي بالوفيات، 2: 209.

¹³ وعند الصّفيدي «مقدار» راجع الوافي، 2: 209.

¹⁴ النديم: المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

¹⁵ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 214.

¹⁶ بروكلمان: المرجع نفسه، 4: 214.

غير أن عمله الخالد - والذي بدوره خلّد اسمه في تاريخ علم الفلك - هو رصده الفلكي الذي قام به وأثبتته في كتابه «الزيج»¹⁷ المعروف بين العلماء «بالزيج الصائبي»، ويبدو أنه أعاد النظر فيه ونقحه وزاد عليه في إصدار ثانٍ منه، ذلك لأن النديم يتصّن على أنه نسختان: الثانية أجود من الأولى¹⁸. ويقال إن تلميذه جعفر بن المكتفي سأله عن ابتداء رصده فأخبره أنه بدأه منذ عام 264هـ/877م¹⁹ واستمر يرصد الكواكب وميولها ونحوها بين مداراتها حتى عام 306هـ/918م²⁰. ومن الواضح أن البتاني لم يكن راضياً عن نتائج الرصد الذي أمر المأمون علماء بيت الحكمة بإخراجه²¹، فقد تحبّب تماماً للاعتماد عليه أو حتى الإشارة له، بل ألح في مقدّمته إلى أن هذا الزيج قد شابته الخطأ وأنعدام الدقة²².

وبالجُملة فإن البتاني أحد أشهر علماء الفلك في التاريخ بصفة عامّة، فقد كان زيجه أحد محطّات التطوّر الرئيسيّة للنظرية التي أطلقها كوبرنيكوس عن القطع الناقص فيما بعد، فقد وجد زيج البتاني الطّريق إلى التّرجمات اللاتينيّة إلى جانب مُصنّفات الخوارزمي والفرغاني، وعُرف بين علماء الغرب في العصور الوسطى ومطلع العصر الحديث باسم ALBATEGNIUS²³،

¹⁷ البيروني: تحديد نهايات الأماكن لتصحيح نهايات المساكن، تحقيق ب. بولجاكوف، منشورات معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة 1995، 95؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات، 2: 209.

¹⁸ النديم: المصدر نفسه، والجزء والصفحة؛ قارن أيضاً: - الصّفدي: الوافي، 2: 209.

¹⁹ الصّفدي: المصدر نفسه، والجزء والصفحة؛ أيدين صابلي: المراصد الفلكيّة في العالم الإسلامي، ترجمة عبد الله العمر، الكويت 1995، 168-169.

²⁰ ابن خُلّكان: المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

²¹ بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلاميّة، ترجمة نبيه أمين فارس، مثير التعليكي، بيروت 1968، 204.

²² البتاني: الزيج الصائبي، تحقيق كارلو نابليو، نابولي 1899، 7-8.

²³ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، بيروت 1996، 3: 403؛ إجناتيوس كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربيّة صلاح الدين عثمان هاشم، بيروت 1987، 29؛

HENRY SMITH WILLIAMS; EDWARD HUNTINGTON WILLIAMS: A History of Science, New York, 2008,

Vol. II, p 20; A. I. Sabra: The scientific enterprise, in: the world of Islam, faith, people, culture,

edited by Bernard Lewis, London 1992, p 186.

فقام أنطونو التيفولي PLATON DE TIVOLI بترجمته إلى اللاتينية قرابة عام 535هـ/ 1140م، ثم تُرجم إلى الإسبانية خلال القرن الخامس عشر، ثم أعاد الفلكي الإيطالي جون رجيومونتانوس G. REGIOMONTANUS ترجمة الرّيج الصّابي إلى اللاتينية عام 1537 بمدينة نورنبرج²⁴.

وظهرت أوّل نشرة عربيّة من كتاب الرّيج الصّابي للبتّاني في أوربّا ببولونيا عام 1645 تحت عنوان: «كتاب البتّاني في علم النّجوم؛ مع قليل من الحواشي ليوحنا رجيومونتانوس»، ثم النشرة العربيّة المحقّقة والأشهر للرّيج الصّابي باعتناء الإيطالي كارلو تالينو بنابولي عام 1899، وظلّت ملاحظات البتّاني الفلكيّة - وخاصّة عن حركة جنوح سمّت الشّمس، وظاهرة كسوف الشّمس - أحد أهمّ مراجع علماء الفلك في أوربّا حتى بدايات القرن التّاسع عشر²⁵، وأفاد منها بشكل كبير العالم الفلكي دنثورن DENTORN عام 1749م في دراسته لتسارع القمر خلال قرن كامل من الزّمان²⁶. كما اعتمد البرتغاليون نتائجهم في كشوفهم الجغرافيّة²⁷.

ومن أشهر الفلكيّين الحراننيّة الشّيخ الرّئيس أبو سعيد سيّان بن ثابت، وله في هذا العلم رسالة في «قسمة أيّام الجمعة على الكواكب السّبعة»، كتبها إلى حفيده أبي إسحاق الصّابي²⁸، ورسالة في النّجوم²⁹.

²⁴ سيجريد هونكه: أثر الحضارة العربيّة في أوربّا المعروف باسم: شمس الغرب تنطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون؛ كمال دسوقي، بيروت 1993، 146.

²⁵ سيجريد هونكه: المرجع نفسه، 146؛ M. DELAMBRE: *Histoire de l'astronomie au dix-huitième siècle*, Paris 1827, p 353.

²⁶ كراتشكوفسكي: المرجع نفسه، 116؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 213.

²⁷ محمد حبش: المسلمون وعلوم الحضارة، دمشق 1992، 60.

²⁸ القفطي: إخبار العلماء، 133.

²⁹ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 304.

ومن الفلكيين الصّابئة والذين لم يُقدّر لنا معرفة شيء عنهم ابن رُوح الصّابئ، فقد ذكره النّديم بين من اشتهر بالكفاية في علم الفلك، لكنّه - ولسوء الحظّ - لم يذكر عنه شيئاً البتّة، وترك في مُسوّدَة كتابه الفهرست بيّاضاً بما يُشير إلى أنّه سوف يعود ليدوّن بعضاً من إسهامات ذلك الفلكي، لكنّه لم يفعل لسبب ما³⁰.

ومن الفلكيين الصّابئة النّابيين إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة الحتراني، وكان نابغاً في الفلك والرياضيات، فقد أنتم كتاباً صخّماً في علم صناعة آلات رصد النّجوم، وأطلق عليه اسم «كتاب آلات الظلال»، وكان ما زال في السّابعة عشرة من عمره حين انتهى من الإصدار الأوّل منه، وظلّ يُضيف إليه حتى كره حَجْمه، فقسّمه إلى ثلاثة كُتبٍ مُنفصلة فرغ منها جميعاً حين بلغ الخامسة والعشرين من عمره³¹، أفرد القسم الأوّل لصناعة آلات الظلال، والثاني خصّصه لآلات الرّخام، والثالث في الظلّ وما يسأل العوام فيه، وأمر الرّخامة التي لا يطول فيها الظل ولا يَقْصُر³².

وترجع قيمة القسم الثاني من هذا الكتاب إلى أنّ إبراهيم بن سنان قد بيّن فيه بالبرهان الرّياضي بعض نواحي القصور في رسم الآلات المُسطّحة في عصره، خاصّة من ناحيتي الاستواء والميل، كما أنّه فصل ببساطة الخطوط التي تقوم مقام دائرة مُعدّل النّهار ودائرة الفلك المائل ومواضع البروج وغيرها من الخطوط التي تُرسم على الرّخامات التي تُستخدم في صناعة آلات الرصد، والتي كان تشابكها وتعقدها يُسبّب ضيقاً للفلكيين الذين يقومون بالرّصد³³. وكان في نيّة إبراهيم بن سنان تكملة ما بدأه جدّه ثابت بن قرة في مُراقبة حركة الشّمس، لكنّ نكبتّه ونكبة قومه في عهد الخليفة الفّاهر بالله حالّت دون ذلك، كما أوضح هو نفسه في مُقدّمة رسالته التي عَنوانها بـ «رسالة في النّجوم»³⁴.

³⁰ النّديم: الفهرست، 2: 257.

³¹ القفطي: إخبار العلماء، 43.

³² القفطي: المصدر نفسه، نفس الصّفحة.

³³ إبراهيم بن سنان: رسالة إبراهيم بن سنان في وصف المعاني التي استخرجها في الهندسة وعلم النّجوم، ضمن مجموع رسائله، 25.

³⁴ إبراهيم بن سنان: المصدر نفسه، 23.

كان إبراهيم بن سنان يتمتع بعقلية نقدية قوية، فقد رصد عدّة أخطاء في نظرية بطليموس الحكيم في قواعد الرصد في كتابه المجسطي، والتي كان جميع معاصريه يُسلمون بصحتها، بل وصنّف مقالة في كيفية الرصد، وذكر أنه برهن على صحة الرصد بطريقة على بسيط كُرة فلكية بطريق حسنة جداً على حدّ تغييره³⁵. كما كان أجراً من سلفه الثاني في الإشارة دون حرج إلى خطأ علماء بيت الحكمة في أرسادهم، ولخص إبراهيم بن سنان الأضباب - التي برهن عليها رياضياً - التي جعلته لا يثق في رصد علماء بيت الحكمة³⁶.

ومن أهتم بعلم الفلك من العلماء الحرثانية أبو إسحاق الصّابع، وكان ماهراً في صناعة الاسطرلابات وآلات الرصد، حتى اشتهر بصنع الدقيق جداً منها³⁷. واستعان به شرف الدولة البونيني مشاركة مع أبي سهل الكوهي عندما أمر عام 378هـ/988م بإجراء رصد كامل للكواكب في قبة السماء جرياً على سنة المأمون³⁸، ودون بخطه شهادته على صحة الرصد³⁹.

الرياضيات

كان ثابت بن قرة أحد أروع من اشتغل بالهندسة⁴⁰، ولم ينظر ثابت إلى الهندسة كعلم مستقل يُدرس لذاته، ولكنه نظر إليه على أنه أحد أهم العلوم المساعدة للنظر في علم النجوم

³⁵ أحمد سليم سعيدان: ملاحق على رسائل إبراهيم بن سنان بخاتمة مجموع رسائل إبراهيم بن سنان، 321.

³⁶ إبراهيم بن سنان: المصدر نفسه، 26.

³⁷ الثعالبي: يتيمة الدهر، 2: 269.

³⁸ ابن العبري: تاريخ الزّمان، 37؛ المؤلف نفسه: تاريخ مختصر الدول، 176؛ القفطي: إخبار العلماء، 54؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، 271؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزّمان في تاريخ الأعيان [الحقبة من 345-447هـ]، تحقيق جنان الهموندي، بغداد 1990، 235؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، 3: 403.

³⁹ القفطي: إخبار العلماء، 231.

⁴⁰ ابن الجوزي: المنتظم، 12: 418؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، 3: 404.

أي الفلك⁴¹. ومن أهم أعمال ثابت بن قرة في هذا الصدد رسالة في «استخراج المسائل الهندسية»⁴²، وكتاب «الشكل القطع»⁴³، وفي هذا الكتاب برهن على مسألتين أفردهما بطليموس دون برهان، وتعلقان برسم الخط المستقيم على السطح المستوي⁴⁴، وله أيضًا رسالة في تفنيد بعض البراهين الرياضية المنسوبة إلى سُقراط، عنوانها «الحجة المنسوبة إلى سُقراط»⁴⁵، ورسالة في البرهان على أن الخطين المستقيمين المرسومين على سطح مستوي إذا ضُبطا على أقل من زاوية أقل من 180° كانا غير متوازيين، وتقابلًا معًا في نهاية الأمر، أطلق عليها اسم «رسالة في السطرين المستقيمين إذا ضُبطا على أقل من زاويتين مستقيمتين التحا معًا»⁴⁶.

ومن مؤلفات ثابت في الهندسة أيضًا: كتاب في «عمل الكرة»، وكتاب في «قطع الأسطوانة»، وكتاب في «أعمال ومسائل إذا وقع خط مستقيم على خطين»، وكتاب في «المثلث القائم الزاوية»، وكتاب في «أشكال إقليدس»، وكتاب في «استخراج المسائل الهندسية»، ومقالة في «عمل شكل مخمس ذي أربع عشرة قاعدة، تحيط به كرة معلومة»، بالإضافة إلى كتابه «المدخل إلى كتاب إقليدس» الذي وُصف بأنه في غاية الجودة، وكتاب في «المربع وقطره»، وكتاب في «مساحة الأشكال المسطحة، وسائر البسط والأشكال»، وكتاب «القرسطون [الميزان]»، و«كتاب في أن سبيل الأثقال التي تعلق على عمود واحد منفصلة؛ هي سبيلها إذا جعلت ثقلاً واحداً مثبتاً في جميع العمود على تساوي»، وكتاب في «آلات الساعات التي تُسمى

⁴¹ ثابت بن قرة: رسالة ثابت بن قرة في الشكل القطع، تدقيق ريتشارد لوريش، منشورات معهد تاريخ العلوم الإسلامية، فرانكفورت 2001، 42.

⁴² النديم: الفهرست، 2: 228.

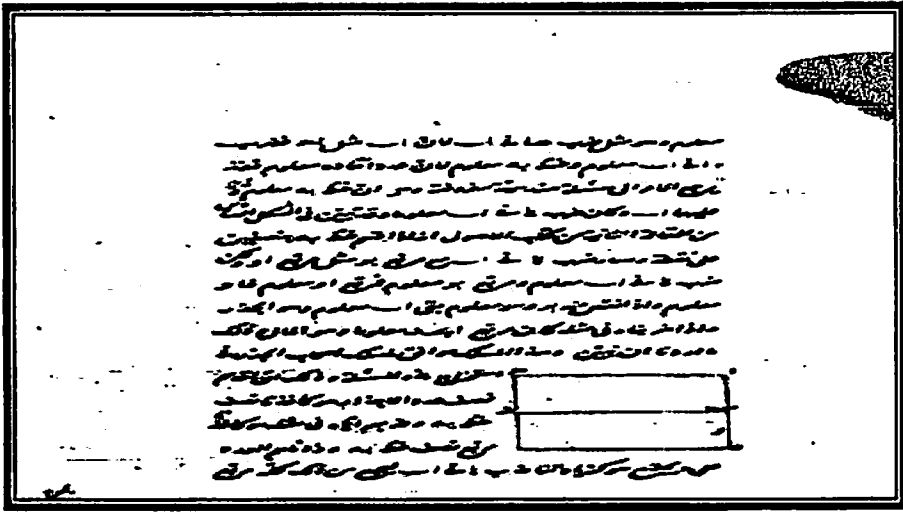
⁴³ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 229، والشكل القطع هو قطعة من دائرة رأسها إِمَّا على مركزها وإِمَّا على محيطها، الخوارزمي: مفاتيح العلوم، 187.

⁴⁴ ثابت بن قرة: رسالة ثابت بن قرة في الشكل القطع، 60.

⁴⁵ النديم: المصدر نفسه، 2: 228.

⁴⁶ ابن العبري: تاريخ الزمان، 48.

رُخَامَات»، و«كتاب في صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك»، وكتاب عُنوانه «أشكال في الجيل»، وكتاب في «قطع المخروط المكافئ»، وكتاب في «مساحة الأجسام المكافئة»، وكتاب في «أشكال الخطوط التي يمرُّ عليها ظلُّ المقياس»، ومقالة في الهندسة ألَّفها لإسماعيل بن بلبل حاجب المعتضد، وكتاب في «مساحة قطع الخطوط»، ومقالة في «تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسيَّة»، ومختصر في علم الهندسة، و«رسالة جوابيَّة عن مسائل هندسيَّة سألها عنها المعتضد بالله»⁴⁷.



ظهر الورقة الثالثة من مخطوط: «رسالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسيَّة» لثابت بن قرة نُسخة مكتبة أيا صوفيا

ومن مؤلفاته في الرياضيات: «جوامع كتاب نيقوماخُس»⁴⁸ في الأريثماتيقي [علم خواص الأعداد]، وكتاب في «النسبة المؤلفة»، ورسالة أطلق عليها اسم «رسالة في الأعداد»⁴⁹، ومن أعظم إسهامات ثابت بن قرة إدخاله نظرية الأعداد الوفاقيَّة وإثباتها لأول مرة إلى الرياضيات

⁴⁷ ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، 230.

⁴⁸ نيقوماخوس NICOMACHUS DI GERASA فيلسوف إغريقي فيثاغورثي المذهب، كان حيًّا نحو سنة 100م،

راجع الفهرست للتدبير، 2: 220.

⁴⁹ التَّدبير: الفهرست، 2: 228.

العربية، عبر كتابيه «رسالة في العدد الوقف»، وكتاب في «الأعداد المتحابّة [المتوافقة]»، وهي مجموعة من القيم الافتراضية، يتم التوصل إليها كمياً عبر معادلات مُعقّدة إذا عُرِفَت قيمة معلومة مُتغيّر واحد منها أو أكثر، وهي في الأصل نظرية رياضية صينية، ولا يُعرف بالضبط أين أُطْلِعَ عليها ثابت بن قُرة وكيف⁵⁰. ومن أشهر تلاميذه ثابت عن أخذوا عنه في الرياضيات والهندسة أبو الحسين بن كُرتيب، وأبو العلاء ابنه⁵¹، وأبو مُحمّد الحسن بن وهب⁵².

وللبتاني - أيضاً - آثارٌ كبيرة في تقدّم الرياضيات والهندسة في الحضارة الإسلامية، فنحنُ ندين له بالكثير في مجال تقدّم الرياضيات خاصة في حساب التفاضل والتكامل، فقد اعتمد العالم الإيطالي رجيومونتانوس في القرن السادس عشر على نظريات البتاني فيما يتعلّق بحساب المثلثات، ويعتقد كثير الرياضيين الآن أنّ البتاني ودراساته هي أساس معرفة الغرب بحساب المثلثات⁵³.

كما اشتهر أيضاً سنان بن ثابت بن قُرة بالبراعة في الهندسة⁵⁴، ومن تصانيفه فيها «رسالة في الاستواء»، كما أضحَ ترجمة كتاب أفلاطون في الأصول الهندسية، وزاد عليه وشرحه، وينسب إليه القفطي مقالة أنقذها إلى عضد الدولة في «الأشكال ذوات الخطوط المستقيمة متى تقع الدائرة عليها»، كما ينسب إليه إصلاحه لعبارة أبي سهل الكوهي في جميع كتبه إذ كان أبو سهل سألَه ذلك، وخاصة إصلاحه وتهذيبه لما نقله من كتاب يوسف القس من السريانية إلى العربية من كتاب أرسيميدس في المثلثات⁵⁵، والصواب أن جميع هذه الأعمال إنّما هي لأبي إسحاق الصّابي، إذ إنّ سناناً لم يُذكر عضد الدولة، ولم يُعاصر أباً سهل الكوهي.

⁵⁰ أوليري: علوم اليونان، 238.

⁵¹ النديم: الفهرست، 2: 230.

⁵² النديم: المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

⁵³ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 213.

⁵⁴ ابن العبري: تاريخ مُختصر الدول، 162.

⁵⁵ القفطي: إخبار العلماء، 133.

ومن الرياضيين الصّابئة البارزين أبي إسحاق الصّابئ صاحب ديوان الرّسائل⁵⁶، وكانت له اليد الطولى في علم الرياضة والهندسة بحسب وصف القفطي⁵⁷، والذي نسب بعضاً من آثاره إلى جدّه لأمه سنان بن ثابت، ويقول القفطي أنّه أطلع على رسالة بخطّه في حساب المثلثات⁵⁸. وله رسائل ومخطّيات لأهل العلم في الرياضيات⁵⁹.

وقد سلّمت لنا من عوادي الرّمن عدّة رسائل تبادلها أبو إسحاق الصّابئ مع الرياضي الفارسي الشهير ويّجن بن رُسْتَم المعروف بأبي سهل الكوهي⁶⁰، وهي تثبي بمدى تقدّم أبحاث الرياضيين في تلك الحقبة، ففي الرسالة الأولى يسأل فيها أبو إسحاق الصّابئ عن آخر ما توصّل اليه الكوهي من استنتاجات حول حساب مركز ثقل قوس الدّائرة⁶¹. وفي الرّسالة الرّابعة من هذه المراسلات يتحدّث فيها أبو سهل الكوهي عن حتميّة لقائه بأبي إسحاق لمناقشة نظريّة قطع النّسبة المحدودة، وفي الرّسالة الخامسة من مجموع هذه المراسلات يُعبّر فيها أبو إسحاق الصّابئ للكوهي عن عدم اقتناعه بأنّ نسبة الاسطوانة الدّائرية إلى الاسطوانة المربعة إذا تساوى ارتفاعهما هي نسبة معلومة، علاوة على ذلك فهو يُعبّر عن شكّه في بعض النتائج التي سبق وأن برهنها أرشميدس، وفي الرّسالة السادسة يُناقش أبو سهل المعاني الكثيرة لمصطلح «معلوم» وفقاً لنظريّة أرشميدس⁶²، ويؤكد لأبي إسحاق على صحّة نتائج أرشميدس المتعلّقة بقانون القوزي حول مركز الثقل لنصف دائرة، ويدعوّه إلى إعادة النّظر في شكّه لما سبق وأن أثبتّه أرشميدس من قبل في هذا الصّدّد⁶³.

⁵⁶ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 176.

⁵⁷ القفطي: المصدر نفسه، 54.

⁵⁸ المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

⁵⁹ نفسه، نفس الصفحة.

⁶⁰ من غير المعروف بالضبط سنة وفاة أبي سهل الكوهي، لكنّه كان حيّاً على الأقل عام 381هـ/ 991م، عنه

انظر القفطي: إخبار العلماء، 230-232.

⁶¹ J. L. BERGGREN: *The correspondence of Abu Sahl Al-Kuhi and Abu Ishaq Al-Sabi*, Journal for The

History of Arabic Science, vol. 7, 1983, pp 40-41.

⁶² Ibid.

⁶³ أبو إسحاق الصّابئ: رسالة أبي إسحاق الصّابئ إلى أبي سهل الكوهي وجوابها، تحقيق ج. ل. برغرن، مجلة

تاريخ العلوم العربيّة، مج 7، دمشق 1983، 103 وما بعدها.

ومن أبرع الرياضيين الصابئة أبو إسحاق إبراهيم بن سنان، وكان عالماً نابهاً بالفعل، قال

عن نفسه:

«وقد كُتبت منذ أتت لي خمس عشرة سنة
وإلى حيث انتهينا؛ إذا وجدت قضية هندسية أو
استخرجت مسألة أثبتها، فلما ميزت هذه الكتب
وصنفتها، بقيت بقايا تلك المسائل لم تدخل في
الكتب، وكان في بعض ما عملته منها في سن
الصبا بعض الاضطراب، فلم أحب أن أصيغ
الزمان الذي كتبها فيه، فجمعتها، وأجتمعت منها

نحو ثلاثمائة ورقة»⁶⁴.

ويقول القفطي عن إبراهيم بن سنان ومكانته بين مهندسي عصره: «هو مُقدَّم في ذلك،
ولم يُرَ أدكى منه»⁶⁵، ومن حسن الحظ أن القفطي ظفر برسالة له يُحصى فيها مؤلفاته في
الرياضيات والهندسة، فمن مؤلفاته في الهندسة ثلاث عشرة مقالة منها إحدى عشرة مقالة في
الدوائر المتماثلة، ومقالة أخرى أفردها لبرهان إحدى وأربعين مسألة هندسية من صعب
المسائل في الدوائر والخطوط والمثلثات والدوائر المتماثلة⁶⁶. ومن تصانيفه أيضاً مقالة في «طريق
التحليل والتركيب»⁶⁷، بته فيها على إغفال مهندسي عصره لنظرية أبلونيوس في التحليل
والتركيب، واقتضارهم على التحليل فقط⁶⁸، وتابع أبحاثه في هذا الصدد، بكتابه «استخراج
المسائل الهندسية بالتحليل والتركيب»، ومقالة بها ثلاث عشرة مسألة هندسية أسماها بـ«المقالة
المختارة»، وكتاب في «مساحة القطع المكافئ»، و«رسالة في رسم القطوع الثلاثة».

⁶⁴ إبراهيم بن سنان: رسالة إبراهيم بن سنان في وصف المعاني التي استخرجها في الهندسة وعلم التجوم، 30.

⁶⁵ القفطي: إخبار العلماء، ص 43؛ أحمد تيمور: أعلام المهندسين في الإسلام، القاهرة 1957، 21.

⁶⁶ القفطي: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

⁶⁷ إبراهيم بن سنان: المصدر نفسه، 27.

كان الطب من أكثر العلوم التي أولاهها العلماء الصابئة من الحرثانية جُلَّ اهتمامهم، فقد كان لا اعتقاد صابئة حرَّان أنَّهم ورثة حضارة الإغريق القدامى أن عملوا بجِدٍّ على إحياء ميراثهم العلمي، ومن ثم كان الطب على رأس تلك العلوم التي اهتمُّوا بدراسَتِها وبرعوا فيها. ويُعدُّ ثابت بن قُرَّة أحد أشهر الأطباء ليس فقط في العصر العبَّاسي وإنَّما في تاريخ الإسلام قاطبة، يقول ابن فضل الله العمري «لم يكن في زمانه من يُثاقله في الطب»⁶⁸، ووصفه ابن الجوزي بأنَّه كان غايةً في علم الطب⁶⁹.

ومن مُصنَّفات ثابت بن قُرَّة في الطب كتاب «رسالة في الحصى المتولِّد في المائة»⁷⁰ وكتاب «وجع المفاصل والنقرس»⁷¹، و«رسالة في البياض الذي يظهر في البدن»⁷²، وكتاب «جوامع ثابت بن قُرَّة في الأدوية المفردة للجاليُّوس»⁷³، ورسالة في «الجُدري والحُصبة»⁷⁴، كما نال كتاب الذَّخيرة في الطب المنسوب إلى ثابت شهرة عريضة كأحد أفضل المراجع التي لا بُدَّ أن يعودَ إليها دارسو الطب في العصور الوسطى⁷⁵.

ومن ضمن مُصنَّفات ثابت الطيِّبة أيضًا كتاب في «النَّبض»، وكتاب «أصناف

⁶⁸ ممالك الأبصار، 9: 307؛ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، 51؛ ابن جُلجل: طبقات الأطباء والحُكماء، تحقيق فؤاد سيِّد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيَّة، القاهرة 1955، 75؛ الذَّهبي: تاريخ الإسلام، 21: 137.

⁶⁹ ابن الجوزي: المُتَنظَّم، 12: 418.

⁷⁰ التَّنديم: الفهرست، 2: 228.

⁷¹ التَّنديم: نفسه، والجزء والصفحة.

⁷² المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

⁷³ نفسه، والجزء والصفحة.

⁷⁴ نفسه، والجزء والصفحة.

⁷⁵ نظامي عروضي سَمَرْقندي: جَهَّار مقالة، ترجمه عن الفارسيَّة عبد الوهاب عزام؛ يحيى الخشاب، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1949، 76؛ البيهقي: تاريخ حُكماء الإسلام، 21.

الأمراض»، ورسالة في «الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادتين» وهو في مقالتي، ألّفه ثابت باللغة السريانية وردّ على فيه على الكندي في بعض ما ذهب إليه، ونقله إلى العربية تلميذ له يُعرف بعبسي بن أسيد النّصراني. وأصلح ثابت بنفسه الترجمة العربية، ويروى أنه عندما بيّض ثابت هذا الكتاب أنفذه إلى إسحاق بن حنين فلقبي منه استحساناً كبيراً، وكتب في آخره بخطه «يُقرّط أبو الحسن ثابت»، ودعا له ومدّحه⁷⁶. ومما دونه ثابت بالسريانية أيضاً كتاب في «تشريح بعض الطيور»، ويُعتقد أنه الطائر المعروف ببالك الحزين، وكتاب في «أجناس ما تنقسم إليه الأدوية»، وهذا الكتاب صنّفه ثابت بالسريانية، ولم يُنقل إلى العربية، وكتاب في «أجناس ما تُوزن به الأدوية»، ولم يترجم إلى العربية أيضاً⁷⁷.

ومن مؤلفات ثابت الطبيّة - أيضاً - كتاب في «مساءلة الطبيب للمريض»، وكتاب في «سوء المزاج المختلف»، ورسالة في «تذير الأمراض الحادة»، ومقالة في الصّفرة العارضة للبدن، وعدد أصنافها وأسبابها وعلاجها، ومقالة في «صفة كون الجنين»، وكتاب في «تذير الصّحة»، ورسالة في «اختيار وقت سقوط النّطفة»، وكتاب «الخاصّة في تشريف صناعة الطبّ، وترتيب أهلها، وتعزيز المنقوصين منهم بالنّفوس والأخبار، وأنّ صناعة الطبّ أجلّ الصّناعات»، ورسالة في «قوى الأغذية»، وكتاب «البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها»، كما اختصر ثابت وشرح عدداً من أمّهات كتب الطبّ الكلاسيكيّة، أبرزها: «اختصار كتاب جالينوس»، «اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس»، «شرح كتاب السّماع الطّبيعي لجالينوس»، وقد مات دون أن يُتمّه، واختصار كتاب «جوامع كتاب الأغضاء الآلية لجالينوس»⁷⁸. ومن أشهر تلاميذه ثابت في الطبّ ولده سنان بن ثابت بن قرة، وأبو الحسن الحرّاني⁷⁹، وإبراهيم بن سنان الصّائبي⁸⁰، وابن أسيد النّصراني⁸¹.

⁷⁶ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 298.

⁷⁷ المصدر نفسه، 300.

⁷⁸ ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، 298-300.

⁷⁹ التّديم: الفهرست، 2: 330.

⁸⁰ التّديم: المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

⁸¹ نفسه، 2: 229.

ومَن برع في الطب أيضًا سنان بن ثابت بن قُرة⁸² والذي كان واحدًا من أعظم الأطباء في الإسلام، ففي عصر الخليفة المُقتدر تولى سنان الإشراف على جميع المؤسسات الصحيّة ورُتب بها المُطبِّين⁸³، فقد قُلد الإشراف على جميع بيمارستانات بغداد⁸⁴، ثم تقدّم المُقتدر بمشور منع فيه جميع الأطباء من مُمارسة المهنة ومُداواة النَّاس إلّا من أجازَه سنان بن ثابت⁸⁵، أي جمع سنان بن ثابت سلطات وزير الصّحة كما نعرفه في عصرنا الحديث⁸⁶.

أدخِل سنان بن ثابت إصلاحات واسعة في مجال الرّعاية الصحيّة، فقد عَمِل على إعادة تنظيم البيمارستانات، وضمان دُخُل ثابت لها من خلال الأوقاف التي تُوقَف عليها، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل امتدّت إصلاحات سنان الصحيّة إلى الرّعاية بمن في الجُوس من المساجين⁸⁷، كما بادر بإرسال أوّل بعثة طبّيّة تعرفها في التّاريخ، كانت وُجهتها إلى السّود وسائر أنحاء العراق لمُداواة الفقراء من الفلاحين والصّيادين، وإمدادهم بالأدوية والأغذية، وطلب من الوزير عليّ بن عيسى بأن يُدخِل في اختصاص تلك البعثة علاج أهل الدّمة أيضًا، فأجابَه الوزير إلى ذلك، مُنبهاً عليه وُضِع الأولويّة للمناطق التي تنفّس فيها الأمراض⁸⁸.

⁸² الصّولي: أخبار الرّاضي بالله والمُتقي لله، مُتّزعة ممّا تبقى من كتاب الأوراق للصّولي، تحقيق ج. هيورث، بيروت 1983، 245؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السّياسي، 3: 394.

⁸³ ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، 301-302؛ القفطي: إخبار العلّماء، 132-133.

⁸⁴ ابن الجوزي: المُتظّم، 13: 168؛ القفطي: إخبار العلّماء، 132؛ ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، 300-302؛ بابو إسحاق: أخوال النّصارى، 158؛ جُوزج مقدّمي: خطّط بغداد في القرن الخامس الهجري،

ترجمة صالح العلي، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد 1985، 28.

⁸⁵ ابن العبري: تاريخ مُختصر الدّول، 162؛ المُؤلف نفسه: تاريخ الرّمان، 54؛ القفطي: إخبار العلّماء، 130-131.

VICTOR ROBINSON: *The Story of Medicine*, New York 1943, p 185؛ 131

⁸⁶ يعتقد ماكس مايرهُوف بأنّه من المُحتمل أن يكون سنان بن ثابت قد تأكّد رُتبة رئيس الأطباء في عهد المُقتدر،

بما يعني إحياء السّنة اليونانيّة القديمة بتقسيم العلّماء إلى مراتب، وترقية كبيرهم إلى رئيس طائفة أو كبير

المدرسة، مايرهُوف: من الإسكندرية إلى بغداد، 72.

⁸⁷ القفطي: إخبار الحكّماء، 132؛ سيجريد هُونكه: شمس العرب، 232.

⁸⁸ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج9، ص311؛ HAROLD BOWEN: *The life and time of Ali*

Ibn Issa, Cambridge 1828, p 184.

توفي سنان عام 331هـ/942م مريضاً بالذرب (الدوسيتاريا)، وكان مثار العجب بين الناس أنه لم يستطع مداواة نفسه من هذه العلة التي كان يشفي منها الكثيرون⁸⁹، وقد ظلت الأمثلة تُضرب بمهارة سنان بن ثابت حتى بعد وفاته بقرون⁹⁰. ومَن تلمذ على يده أبي الحسن تلميذ سنان (ت 387هـ/997م)، ولا نعرف عنه سوى كنيته ولقبه الذي كان يُلقبه العامة به، وكان طبيبُ ببغداد أيام بني بُوَيه، وعُرف بجودة علاجه ونباهته بين الأطباء⁹¹، كما تلمذ على يده أبي الحسين بن كشكرايا الطبيب⁹².

اشتهر أيضاً شقيقه إبراهيم بن ثابت بن قرة بالمهارة في الطب، وتبلغ من مهارته في الطب أن وُصف بأنه من حذاق الأطباء، ومن مُتقدمي أهل زمانه في هذه الصناعة، وله واقعة معروفة مع السري الرفاء الشاعر بعد أن شفي الأخير من مرض عُضال على يديه، فامتدحه بقصيدة قيل إنها أحسن أبيات قيلت في طبيب⁹³. كما عُرف أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة بالحدق في الطب، غير أنه لم يُصنّف فيه، وغالباً لأنه انشغل بكتابه التاريخ الذي عُرف بتاريخ ثابت بن سنان⁹⁴، لكنه خلف والده في الإشراف على بیمارستانات بغداد⁹⁵، وأصبح مع والده سنان الطبيب الحاصر للرّاضي بالله⁹⁶.

⁸⁹ ابن الأثير: الكامل، 7: 177.

⁹⁰ ابن سبيد المغربي: النجوم الزاهرة في خَلِيّ حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، القاهرة 2000، 258؛ بابو إسحاق: أحوال النصارى، 161.

⁹¹ القفطي: إخبار العلماء، 259؛ وهو عند هلال بن المحسن الصّابي «أبو الحسين الطبيب المعروف بتلميذ سنان». ووفاته عام 389هـ، انظر: هلال بن المحسن الصّابي: تاريخ هلال بن المحسن الصّابي [الجزء الثامن]، نشر مُلحقاً على كتاب تجارب الأمم لمُسكويه، بتحقيق المُستشرق أُميدروز، بغداد 1969، 8: 337.

⁹² القفطي: إخبار العلماء، 263؛ لويس شيخو: علماء النصرانية في الإسلام، حققه وأعاد نشره الأب كميل حشمة اليسوعي، منشورات المعهد البابوي، روما 1983، 67-83؛ فيه: أحوال النصارى، 242.

⁹³ ابن خَلكان: وفيات الأعيان، 1: 314.

⁹⁴ التّديم: الفهرست، 2: 314.

⁹⁵ ابن العبري: تاريخ مُختصر الدّول، 170.

⁹⁶ مجهول: العيون والحداثيق، 4: 343.

ثم للمُتقي⁹⁷، ثم طبيباً للمطيع والأمير مُعزّ الدولة⁹⁸، وبلغ من حُظوته عند مُعزّ الدولة أنّه كان يُستدعى بين يديه ليقرأ عليه كُتُب آبِ قراط وجالينوس الطيِّبة⁹⁹. ولا نعرف الكثير عن السيرة المهنيّة لِثابت بن سنان، لكنّ ممّا يشهدُ بمهارة ثابت في التّطبيب والعلاج عنايةُ بالوزير ابن مُقلة بعد أن أمر الخليفة الرّاضي بِقَطْع يده اليمنى.

فقد رُقّي الخليفة لِحال وزيره بعد أن نَمّا إلى عِلْمه أنه لا يَنَام من شدّة الألم، وأنّ جُرحه قد تلوّث، فأمر طبيبه ثابت بن سنان بالدّخول عليه وعِلاج جُرحه، ويروي ثابت ملاحظاته عن حالة ابن مُقلة التي وصفها بأنّها كانت صعبة¹⁰⁰، ووصف حاله من تورّم ساعده المقطوع بشكل كبير، وألم الصّربان [النّشْر] الذي انتابه، وكان يُعيقه عن النّوم، وممّا ذكّره ثابت عن عناية الوزير ابن مُقلة نُسْتَشْفُ مقدار ما بلغه الطّب في تلك الحِقبة من تقدّم، وما كان عليه هذا الطّبيب الفذّ من مهارة وتمكّن، فقد صرّف عناية أوّلاً بالحالة النّفسيّة للمريض، فقد طمأنه أوّلاً على ولده، وأنه لا يزال مُستتراً وبعيداً عن عيُون رجال الخليفة، وعندما شَعر باطمئنان مريضه، وسكّون نفسه إلى هذه الأخبار الطّيِّبة سارع إلى خلع الحِرْق الغليظة التي كُسيّت بالأَملاح لمنع التّزيف، ونظّف الجرح بالكافور والصّندل وماء الورد، وأقبل على الوزير يُحادثه ويُسَامره، ولم يترك مريضه إلّا بعد أن سَكَن ألم الصّربان، وأقنعه بِتناول اليبسير من الطّعام، وسقاه الماء البارد، فتحسّنت حالته، أو بتعبير الطّبيب المأهر «رَجَعَت إليه نفسُه»¹⁰¹.

لم نحفظ لنا المصادر أَسْمَاء تلاميذه لِثابت بن سنان، ولعلّ هذا ما جعل الصّفدي يصفه - رغم اعترافه بمهارته في الطّب - بأنه كان ضئيلاً بما يُحْسِن¹⁰²، لكن على الرّغم من ذلك هُناك من الشّواهد ما يدلّ على أنه كان لِثابت مدرسته، فقد كان من تلاميذه أحمد وعمر ابنا يونس

⁹⁷ الفِظطي: إخبّار العلماء، 73.

⁹⁸ الفِظطي: المصدر نفسه، 77؛ الذّهبي: تاريخ الإسلام، 26: 304.

⁹⁹ ابن خُلّكان: وفيات الأعيان، 1: 314.

¹⁰⁰ يسكويه: تجارب الأمم، 1: 287.

¹⁰¹ يسكويه: المصدر نفسه، 1: 388؛ ابن خُلّكان: وفيات الأعيان، 5: 115.

¹⁰² الصّفدي: الوافي بالوفيات، 10: 286.

ابن أحمد، وقد رحل من الأندلس إلى بغداد في عصر الخليفة الناصر عام 330هـ / 941م، ودرس الطب على يد ثابت بن سنان، ثم عادًا إلى الأندلس في خلافة الحكم المستنصر¹⁰³.

كما اشتهر أيضًا شقيقه إبراهيم بن سنان بالمهارة في الطب¹⁰⁴، ومن الأطباء الحرانية زهرون الطبيب، والآخر لا نعرف عنه شيئًا سوى ما رواه ابن أبي أصيبعة أنه تتلمذ على يد أبي الفرج بن عبد الله الطبيب النضري¹⁰⁵.

ومن مشاهير الأطباء الصائبة أيضًا أبو الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني¹⁰⁶ (ت 369هـ / 979م)، الذي وُصف بأنه كان طبيبًا فاضلًا، كثير الدراية، وافر العلم، بارعًا في الصناعة¹⁰⁷، موثقًا في المعالجة، مُطلعًا على أسرار الطب، بيد أنه كان من مثالبه ضنه بالعلم على غيره، فمات دون أن يترك تلامذة له¹⁰⁸، اللهم إلا الطبيب النضري أبي الحسن بن بطلان البغدادي، والذي رثاه بقوله «فانطفأت بعده سرج العلم، وبقيت بعده العقول في ظلمة»¹⁰⁹.

ولا نملك الكثير عن سجله المهني لكننا نعلم أن الوزير أبا محمد المهلب كان شديد الانبهار به وبعلمه¹¹⁰، كما نعلم أنه شفى الوزير أبا طاهر محمد بن بقیة وكان على شفا الموت بعد أن سلم الأطباء بأن حالته مُستعصية على العلاج، وله من المصنفات في الطب كتاب

¹⁰³ ابن أبي أصيبعة: عیون الأقباء، 487.

¹⁰⁴ الذهبي: تاریخ الإسلام، 26: 304-305.

¹⁰⁵ ابن أبي أصيبعة: عیون الأقباء، 324؛ شیخو: علماء النصرانية، 101.

¹⁰⁶ السجستاني: تنمّة صوان الحکمة، 70-71.

¹⁰⁷ ابن كثير: البداية والنهاية، 15: 400.

¹⁰⁸ ابن الأثير: الكامل، 7: 392؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 9: 312.

¹⁰⁹ ابن أبي أصيبعة: عیون الأقباء، 327؛ قارن أيضًا مقدمة ماكس ماير هوف ويوسف شخت لكتاب خمس

رسائل لابن بطلان وابن رضوان المصري، 24.

¹¹⁰ ابن العبري: تاریخ مختصر الدول، 173-174.

«إصلاح مقالات» يحيى بن سرفيُون¹¹¹، وكتاب «جوابات مسائل سُئل عنها»¹¹²، وينقل القفطي رواية هلال بن المحسن الصَّابِي عن شدة مهارته في الطَّب أثناء علاج الوزير مُحَمَّد بن بَقِيَّة وزير عز الدولة بُخْتِيَار، وكيف أنَّه أشار بفضده فصلح حاله بعد أن كان ميؤوساً من حالته، فتعافى بعد أن كان مُشرَقاً على الهلاك، فأُجزل كُل من عز الدولة بُخْتِيَار ومُحمَّد بن بَقِيَّة عطَاءه¹¹³. كذلك عندما سُئل جاثليق النَّصَارَى «عبد يشوع» عن طيب يرشحه لعُصْد الدولة قال «ها هُنَا جَمَاعَةٌ لَا نُعَوِّلُ عَلَيْهِمْ، وَالْمَنْظُورُ إِلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ الْحَرَّانِي»¹¹⁴.

وكان أبو الحسن بن سنان الصَّابِي يتمتع بالمهارة في التَّطْيِيب، ووُصِفَ بأنَّه كان حَكِيمًا فاضلاً وطبيباً جاذباً وكان مُعاصراً لِأبي الْحَسَنِ الْحَرَّانِي الْمُتَقَدِّم ذِكْرُه¹¹⁵، وكان سَاعُودًا¹¹⁶ في السِّتَارِ سِتَانِ الْعُصْدِي، ووُصِفَ بِالتَّقَدُّمِ فِي الطَّبِّ والتَّوْفِيقِ فِي الْعِلَاجِ، وأنَّه لَمْ يَكُنْ بِالْمُقْصِرِ فِي صِنَاعَتِهِ عَنِ مَرْبِيَةِ أَسْلَافِهِ مِنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ¹¹⁷.

ومن مشاهير الكَحَّالِينَ الصَّابِيَّة - أو أَطْبَاءِ الْعُيُون - أَحَدُ بَنِي أَبِي الْحَسَنِ الصَّابِي، وَلَا نَمْلُكَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ عَنْهُ، وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارُ الْخَلِيفَةِ الرَّاضِي لَهُ لِيَقُومَ بِكُمُلِ عَيْنِ الْخَلِيفَةِ الْقَاهِرَ بَعْدَ خُلُوعِهِ¹¹⁸. ومن الكَحَّالِينَ الْحَزَنَانِيَّةِ أَيْضًا أَحَدُ بَنِي وَصِيفِ الصَّابِي وَكَانَ كَحَّالًا

¹¹¹ القفطي: إخبار الحكماء، 78؛ شيخو: علماء النصرانية، 69.

¹¹² التَّدِيم: الفهرست، 2: 315.

¹¹³ القفطي: إخبار العلماء، 78.

¹¹⁴ القفطي: المصدر نفسه، 79؛ ابن أبي أصيبعة: عُيُون الْأَنْبَاء، 310؛ ابن فضل الله العُمَرِيُّ: مسائل الأَبْصَار، 9: 312.

¹¹⁵ البيهقي: تاريخ حُكَمَاءِ الْإِسْلَام، 78؛ السُّجِسْتَانِي: تَمَّةُ صَوَانِ الْحِكْمَةِ، 70.

¹¹⁶ السَّاعُورُ كَلِمَةٌ سُرِّيَانِيَّةٌ كَانَتِ الْبَقَادَةُ يَسْتَخْدِمُونَهَا بِمَعْنَى مُقَدِّمِ الْأَطْبَاءِ، إِلَّا أَنَّ مَعْنَاهَا السُّرِّيَانِي الْمُبَاشِرُ هُوَ مُتَقَدِّمُ الْمَرْضَى. انظر: الْمُرتَضَى الزَّيْدِيُّ: تَاجُ الْعُرُوسِ فِي فَرْحِ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، تحقيق مصطفى حجازي، الكويت 1973، 12: 30-31.

¹¹⁷ القفطي: إخبار العلماء، 260.

¹¹⁸ مجهول: العيُون والحدائق، 4: 277.

ماهرًا مُتَفَنًا لَصْنَعَتِهِ¹¹⁹، وكانت تُشَدُّ إِلَيْهِ الرُّحْلَةُ، وَيَفِدُّ عَلَيْهِ التَّلَامِيذُ مِنْ أَفْصَى الْأَضْغَاعِ
كَالْأَنْدَلُسِ¹²⁰.

وَمِنَ الْأَطِبَّاءِ الصَّابِئَةِ الْمَشَاهِيرِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَهْرُونَ الْحَرَّانِي
(ت 309هـ / 921م) وَهُوَ جَدُّ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ، وَكَانَ بَارِعًا فِي الطَّبِّ¹²¹، وَتَرْجَمَ لَهُ ثَابِتُ
بْنُ سِنَانٍ فِي تَارِيخِهِ¹²²، وَوَرِثَ عَنْهُ وَلَدُهُ أَبُو الْحَسَنِ هَلَالُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَهْرُونَ الصَّابِيِّ -
وَالدَّ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ - صُنْعَتُهُ وَمَهَارَتُهُ، وَكَانَ يَنْظُرُ فِي أَمْرِ بِيَهَارِشْتَانَاتِ بَغْدَادَ وَيَقَرَّرُ بِهَا
الْأَطِبَّاءَ¹²³، وَوُصِفَ بِأَنَّهُ كَانَ طَبِيبًا حَازِقًا صَالِحَ الْعِلَاجِ، تَقَدَّمَ بِمَهَارَتِهِ عِنْدَ أَجْلَاءِ بَغْدَادَ، كَمَا
كَانَ طَبِيبًا خَاصًّا لِأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ أَبِي الْوَفَا تَوْزُونَ¹²⁴.

وَمِنَ مَشَاهِيرِ أَطِبَّاءِ الصَّابِئَةِ أَيْضًا أَبِي النَّصْرِ هَارُونَ بْنُ صَاعِدِ بْنِ هَارُونَ الصَّابِيِّ
(ت 444هـ / 1052م)، وَلَا يُعْرَفُ إِلَى أَيِّ بَيْتٍ مِنْ بَيُوتَاتِ الصَّابِئَةِ يَنْتَمِي، لَكِنْ الْقِفْطِيُّ يَقُولُ
أَنَّهُ كَانَ مِنْ صَابِئَةِ بَغْدَادِ الْمُقِيمِينَ بِهَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّهُ وَصِفَ بِأَنَّهُ كَانَ لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي
التَّطْيِيبِ، وَاشْتَهَرَ بِالصَّلَاحِ، وَكَانَ سَاعُورًا فِي الْبِيَهَارِشْتَانِ الْعُضْدِيِّ¹²⁵.

¹¹⁹ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 9: 316، ابن جُلُجُل: طبقات الأطباء، 81.

¹²⁰ القِفْطِيُّ: إخبار العلماء، 284.

¹²¹ البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام، 79.

¹²² القِفْطِيُّ: إخبار العلماء، 55.

¹²³ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، 1: 142-143.

¹²⁴ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 167.

¹²⁵ القِفْطِيُّ: إخبار العلماء، 221-222.

الفصل

الثاني عشر

12

إسهامات الصابئة

في العلوم الاجتماعية

«وَنَقَلْتُ مِنْهُ خَطَّ أَبِي الرَّفَاءِ بِهِ
عُقَيْلٌ قَالَ: حَضَرْنَا عِنْدَ بَعْضِهِ
الْصَّدُورَ فَقَالَ: قُلْ بَقِيَ بَيْنُنَا
مُؤَرِّخٌ بَعْدَ أَبِيهِ الصَّائِبِيِّ؟!!» فَقَالَ
الْقَوْمُ: لَا، فَقَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ، يَخْلُقُ هَذَا الْبَلَدَ الْعَظِيمَ بِهِ
مُؤَرِّخٌ!!».

أبيه الجوزي

كانت الكتابة التاريخية أحد أبرز أوجه إسهامات الصّابئة في الحياة العلميّة والثقافية بوجه عام، ولعلّ ذلك راجع إلى فخر الصّابئة الحرّانية بميراث آبائهم وأجدادهم من الإغريق القدامى، لذا فقد كان من المعتاد أن يُفرد علماءهم عدّة مُصنّفات في تاريخ الآباء والأجداد، وذلك أمرٌ ملحوظ في تراثهم بصفة عامّة، بل قد يصل الأمر إلى التأريخ للعائلة فحسب، فقد صنّف ثابت بن قرة كتاباً في «تاريخ مشاهير أسرته وسلسلة آبائه»¹، كما صنّف أيضاً عملاً أسماه «تاريخ ملوك السريان الأقدمين»²، وصنّف ابنه سنان بن ثابت «رسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه»³، كما صنّف أيضاً «رسالة في تاريخ الملوك السريان»⁴، وصنّف أبو إسحاق الصّابي «رسالة في تاريخ آبائه وأجداده»⁵، وصنّف حفيده هلال بن المحسن الصّابي «رسالة في مآثر أهله»⁶.

كما كتب ثابت بن قرة كتاباً في «سيرة المعتضد بالله» بناءً على طلب الخليفة، لكن يبدو أن من بدأ بتأليف هذا الكتاب ووضع نواته الأولى هو أحمد بن الطيّب السرخسي نديم المعتضد، وصديق ثابت بن قرة الحميم، ولم يكن قد اكتمل بعد حين أمر المعتضد بقتل السرخسي، فطلب الخليفة من ثابت بن قرة إكمالاً وأمدّه بما يحتاج إليه من وثائق، لكنه مات أيضاً دون أن يُتمّه، فأكملهُ سنان ولده، ومن هنا نشأ الخلط حول نسبة هذا الكتاب⁷، فالأزدي ينسبه مباشرة إلى ثابت بن قرة⁸، والمسعودي والتوحي يشيران إلى أنه من تصنيف سنان بن ثابت⁹، وابن

¹ ابن العبري: تاريخ الزمان، 48.

² ابن العبري: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

³ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 304.

⁴ القفطي: أخبار العلماء، 133؛ ياقوت الحموي: معجم الأدياء، 3: 1405.

⁵ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 304.

⁶ الصّفي: الوافي، 27: 219.

⁷ شاکر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت 1979، 2: 64-65.

⁸ الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، القسم الخاص بأخبار الدولة العباسية، تحقيق محمد بن مسفر الزهراني، المدينة المنورة 1407هـ، 205.

⁹ مروج الذهب، 1: 11-12؛ الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالحي، بيروت 1978، 2: 354.

العديم ينسبه إلى سنان بن ثابت وإن أكَّد أنَّ سنان كان أميناً، فلم يشجَّل القسم الذي فرغ منه أحمد بن الطَّيِّب، وكان يُشير بين الفينة والأخرى إلى أنَّه ينقل من خطه¹⁰.

وبعدَّ ثابت بن سنان من أبرز المؤرِّخين الذين تصدَّوا للتَّاريخ لعصرهم، بل وأنفق عمره كاملاً فيه، حيثُ لم يُعرف له مُصنَّفات آخر غير تاريخه الذي أطلق عليه اسم «كتاب التَّاريخ» مُجرِّداً، فنُسب إليه وصار يُعرف بين المؤرِّخين بـ«تاريخ ثابت بن سنان»، وهو تاريخٌ قيِّم في بابه، قصَّده به مؤلِّفه التَّدبيل على تاريخ الطُّبري¹¹، وافتتحه بأحداث عام 295هـ/907م¹² وحتى وفاته.

ولكن من غير المعروف بالضبط سبب اختيار ثابت لهذا العام دون غيره لبدأ منه تاريخه، على الرَّغم من أنَّ الطُّبري قد أنهى تاريخه بحوادث عام 302هـ/914م، أي كان من المنطقي أن يفتتح ثابت تاريخه بأحداث عام 303هـ/915م، بدلاً من أن يتداخل مع تاريخ الطُّبري في بعض السَّنوات، فهل أراد ثابت أن يبدأ تاريخه من تاريخ تقليد المُقتدر الخلافة؟، هذا احتمال وارد بطبيعة الحال، فقد مرَّت بنا من قبل تلك الصَّلوات الوطيدة التي ربطت الحرانيَّة بالمُقتدر وآبائه¹³، لكن اللَّافَت للنَّظر في عادات المؤرِّخين الصَّابئة أنَّ هلال بن المُحسن الصَّابئ عندما أراد التَّدبيل على تاريخ خاله ثابت بن سنان داخله أيضاً في بعض السَّنوات، وبدأ تاريخه من سنة ميلاده المُوافقة لعام 361هـ/971م، فهل أراد ثابت بن سنان افتتاح تاريخه من سنة مولده والوصول به إلى آخر سِنِّي حياته؟. هذا هو الأرجح لديّ، وما أميل إليه، لا سيَّما وأنَّنا نعرف أنَّ ثابت لم يتوقَّف عن التَّاريخ حتى وفاته¹⁴.

¹⁰ بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دمشق 1988، 3: 101.

¹¹ جان سوافاجه؛ كلود كاهن: مصادر التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار خلوجي؛ عبد الوهاب علوب، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1998، 218؛ GEORGE MAKDISI: *History and politics in*

eleventh-century Baghdad, New York 1990, p 4.

¹² ابن الجوزي: المُنتظم، 13: 79.

¹³ راجع الفصل السابع.

¹⁴ الذهبي: العبر في خبر من عبر، 2: 115.

على أي حال فالروايات تتضارب في السنة الحاتمة لتاريخ ثابت بن سنان، وتضطرب المصادر أيضًا في تحديد تاريخ وفاته، فالصفدي يتحدث عن أن تاريخ ثابت انتهى بأحداث سنة 360هـ/970م¹⁵، وغالبًا ما بنى الصفدي تقديره هذا على النسخة التي كانت بحوزته من تاريخ ثابت، ومن سنة افتتاح ذيل تاريخ ثابت لإلال بن المحسن الصابئ. بينما ذهب ابن الأثير إلى انتهاء تاريخ ثابت بن سنان بعام 363هـ/972م، لكنه أقر بوفاة ثابت عام 365هـ/975م¹⁶، أما القفطي، وابن أبي أصيبعة، وابن العبري، والذهبي، وابن العباد الحنبلي فقد ذهبوا جميعًا إلى وفاة ثابت عام 363هـ/972م وانتهاء تاريخه بالعام نفسه¹⁷، فيما ذهب كل من النديم وياقوت الحموي وابن تغري بردي إلى وفاة ثابت عام 365هـ/975م وانتهاء تاريخه في العام نفسه الذي توفي فيه¹⁸.

ومن الواضح أن ذلك الشوش والازتيك في تحديد سنة انتهاء تاريخ ثابت ووفاته راجع إلى نسخة المجلدة الأخيرة من تاريخ ثابت، والتي كانت متداولة في أسواق الوراقين، فقد كان هناك بعض النسخ التي تنتهي بأحداث عام 360هـ/970م وقد أدت إلى اجتهد الصفدي في تاريخ انتهاء كتاب التاريخ لثابت وزمن وفاته، في حين كان هناك نسخ أخرى أكثر كمالًا وتنتهي بأحداث عام 363هـ/972م، كالنسخة التي كانت بحوزة ابن الأثير واعتمد عليها في تاريخه، وهذا وحده كافٍ لاستبعاد رواية الصفدي، ويضعنا بين الاختمالين الثاني والثالث، وهو انتهاء تاريخ ثابت بعام 363هـ/972م، أو 365هـ/975م.

¹⁵ الصفدي: الوافي، 10: 286.

¹⁶ ابن الأثير: الكامل، 7: 363؛ وابن كثير ينقل عنه، قارن البداية والنهاية، 15: 364.

¹⁷ القفطي: إخبار العلماء، 77؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 307؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 170؛ المؤلف نفسه: تاريخ الزمان، 67؛ الذهبي: العبر في خبر من غير، 2: 115؛ المؤلف نفسه: تاريخ الإسلام، 26: 304؛ ابن العباد الحنبلي: شذرات الذهب، 4: 334، ورجح فؤاد سزكين ذلك العام لوفاة ثابت.

انظر: تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية عمود فهمي حجازي، الرياض 1991، 1: 1؛ 2: 164.

¹⁸ الفهرست، 2: 314؛ معجم الأدباء، 2: 772؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 4: 114.

من المفارقات أنَّ الصَّفدي نفسه يزوي - دون أن يتَّبه إلى أن روايته هذه كفيلة بدخض دغواه في وفاة ثابت عام 363هـ/ 972م - أن ثابت بن سنان دخل على عضد الدولة عندما دخل الأخير بغداد، فاعتمده عضد الدولة كطبيب له وصار يُنوب مع أطبائه¹⁹. ونحن نعرف أن عضد الدولة دخل العراق مرَّتين، أولاً كانت عام 364هـ/ 973م، وهذا يُشير قطعاً إلى أن ثابت بن سنان كان حيّاً إلى عام 364هـ/ 973م.

وهذا يعود بنا مباشرة إلى رواية النَّدِيم وياقوت الحموي، وإذا كانت هناك ثمة ملاحظة على كلتا الروايتين فهي أنَّ النَّدِيم يُعطي تاريخاً دقيقاً باليوم والشَّهر والعام لوفاة ثابت بن سنان وهو حادي عشر ذي القعدة سنة 365هـ/ 975م²⁰، وهذه الدِّقة تُضفي الكثير من المصداقية على روايته، لا سيَّما وأنه كان الوحيد الذي عاصره من بين جميع من ترجَّوا له، أمَّا رواية ياقوت الحموي فهي تتفق مع النَّدِيم في التَّاريخ نفسه، ولكنَّه يعتمد على مصدر لا يُدخض في هذا الصَّد، وهو تاريخُ هلال بن المُحسن الصَّائبي، والذي ترجم لحال والده بطبيعة الحال ضمن وفيات عام 365هـ/ 975م.

إذن فنستطيع أن نُقرِّر بشكلٍ حاسم وفاة ثابت بن سنان في أخريات عام 365هـ/ 975م لا قبلها بحالٍ من الأحوال، ولكن هذا لا يُجيب بالضرورة على التَّساؤل الآخر، وهو متى انتهَى تاريخ ثابت؟، لحسن الحظ لدينا وثيقة نادرة من شأنها حسم هذا الجدل بشكل تام، وهي عبارة مجموع في تاريخ القرامطة استلَّه وراق مجهول من تاريخي الطُّبري وثابت بن سنان، ينتهي بأحداث عام 365هـ/ 975م، ولحسن الحظ فقد ذُيِّل هذا الوراق المجموع بعبارة قاطعة الدلالة إذ يقول «إلى هنا انقطع المُؤلِّف لمرضه أو لوفاته في هذه السَّنة». إذن فقد انتهَى تاريخ ثابت في عام وفاته نفسه أي عام 365هـ/ 975م.

ورغم أن تاريخ ثابت بن سنان قد فُقد بكامله، فقد وصل إلينا مُختصر له، وإن نُسب إلى

¹⁹ الرازي بالوفيات، 10: 286.

²⁰ الفهرست، 2: 314.

غيره، فمن الواضح تمامًا أن منسكويه قد قام بتلخيص تاريخ ثابت في القسمين الخامس والسادس من تاريخه المسمى بتجارب الأمم، والأدلة والقرائن في هذا الصدد كثيرة، أبرزها:

• منسكويه نفسه يتحدث في افتتاح أحداث عام 340هـ/ 951م بأنَّ أكثر ما يحكيه بعد هذه السنة إمَّا عن مُشاهدة وعَيان، أو خبرٌ مُحصَّل يجري عنده مجزئ ما غايته²¹. وهذا قاطع الدلالة في أنَّه كان ينقل عن غيره قبل عام 340هـ/ 951م.

• منسكويه - أيضًا - يُشير إلى أنَّه ينقل عن ثابت بن سنان ابتداءً من أحداث عام 295هـ/ 907م، وهي السنة نفسها التي افتتح بها ثابت بن سنان تاريخه، وحتى أحداث عام 340هـ/ 951م على الأقل، وطوال تلك النقولات الموسَّعة؛ فإن منسكويه أشار إلى أنَّه يستقي من تاريخ ثابت بن سنان في ستة عشر موضعًا مختلفًا، علمًا بأنَّه لم يُشير إلى أيِّ مصدر آخر استقى منه خبرًا واحدًا خلا ثابت بن سنان.

• حتَّى في الأخبار التي لا يصرِّح فيها منسكويه بشكل صريح بأنَّه ينقل عن تاريخ ثابت بن سنان فإنَّه يلجأ مباشرةً إلى المصادر الشفاهية نفسها التي استقى منها ثابت مادته، وهم كُتَّاب الدَّواوين في أيام المُقتدر والقاهر والراضي والمُتقي، وبعض الوزراء ممن خدموا هؤلاء الخلفاء، كعلي بن عيسى، وابن الفرات، وأبي علي بن مُقله، علمًا بأنَّهم جميعًا كانوا قد توفُّوا قبل ميلاد منسكويه نفسه، وهذا يعني أنَّ هناك حلقة مفقودة بين هؤلاء الرِّواة وبين منسكويه، وهذا الحلقة لا يُمكن أن تكون إلَّا تاريخ ثابت بن سنان، وهذه الملاحظة سبق وأن أقرَّ بها المُستشرق أميدروز والذي عمِل

²¹ منسكويه: تجارب الأمم، 2: 137.

على تحقيق القسمين الآخرين من تجارب الأمم، والذي نفى جملة وتفصيلاً أصالة القسم الخامس وأكثر السّادس من تجارب الأمم لمُسكويه، وأقرّ ينسبته إلى ثابت بن سنان²².

• ذلك التشابه الذي يصل إلى حدّ النّقل الحرفي بين تاريخ مسكويه وبين كتاب «نُحْفة الأمراء في تاريخ الوزراء» لهِلال بن المُحسّن الصّائبي²³، خصوصاً عندما يُصرّح هلال بن المُحسّن الصّائبي بأنّ مصدره في مرويّاته هو ثابت بن سنان، بينما لا يُصرّح مسكويه بمصدره.

• الملاحظة السّابقة نفسها تنطبق عند المقارنة بين التّصوُّص التي يستقيها سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الرّمان عن ثابت بن سنان، وبين مرويّات مسكويه خصوصاً عندما لا يظهر اسم ثابت بن سنان في تجارب الأمم.

• ذلك التّطابق أيضًا بين تاريخ مسكويه، وبين ذلك القسم الذي انتزعه الورّاق المجهول من تاريخ ثابت والمتعلّق بأخبار القرامطة.

• وذلك التّطابق أيضًا بين اختصارات المؤرّخ السّرياني إيليا بر شتايا التي اختصرها عن تاريخ ثابت بن سنان من أحداث بدءاً من عام 320هـ/932م²⁴ مع الأحداث المطوّلة التي يرويها مسكويه في تجارب الأمم، فبالرغم من أنّ كتاب بر شتايا دوّن بالسّريانية فإنّ

²² AMEDROZ: *The Tajarib Al-Umam of Abou-Ali Miskawayh*, Der Islam, Vol. V, 1914. pp 24 - 25.

²³ DOMINIQUE SOURDEL: *L'originalité du Kitāb Al-Wuzarā' de Hilal Al- Sabi'*, Arabica, vol. V, 1958,

pp 276-277. وانظر أيضًا هاملتون جب: علم التّاريخ، بيروت 1981، 77. وهذا التشابه لفت نظر

الأستاذ عبد السّتار أحمد فزّاج تحقّق نُحْفة الأمراء لهِلال بن المُحسّن الصّائبي، فعمل على توضيح ومقابلة النّسخة الوحيدة التي عُثر عليها من كتاب نُحْفة الأمراء بتاريخ مسكويه المُسمّى تجارب الأمم.

²⁴ انظر: - إيليا بر شتايا: تاريخ إيليا بر شتايا، نقله إلى العربية يوسف حبي، منشورات مجمع اللغة السّريانية، بغداد 1975، 191، وما بعدها.

عَيْنُ النَّاقِدِ لَا يُمكنُ أَنْ تُحْطَى هَذَا التَّطَابُقُ السِّيَاقِي بَيْنَ الْكِتَابَيْنِ.

- شهادة ابن العبري بأنَّ جميع من جاء بعد ثابت نقل عنه، ولولا تاريخه لأمست الفترة التي عاصرها ثابت في طيِّ النسيان، فهو الذي حفظها عنه نقل المؤرخون من بعده²⁵.

وإذا كان هناك شيئاً يستحقُّ التَّنويه فهي ملاحظاتُ المُستشرقِ مرجليوث التَّقدية على تاريخ مسكويه المُسمَّى بتجارب الأمم، والذي وصفه بأنَّ مؤهلاته في كتابة التاريخ أعظم من سلفه الطَّبري²⁶، وامتدح عدم غلبة الميول الدِّينية عليه لدرجة أنَّ القارئ المُتعمِّق في تجارب الأمم لا يمكن أن يعرف - سوى في فقرة واحدة - أنَّ مؤلفه مُسلم، واستغرابه كذلك من أنَّ مسكويه الذي أضاع عُمره في دراسة الكيمياء لا تبدو تلك الدِّراسة واضحة في كتابه بقدر ما يبدو الطَّبِّ واضحاً بجلاء، على الرَّغم من أنَّ مسكويه لم يكن طبيباً على الإطلاق!!²⁷.

ولا شك أنَّ مرجليوث يستحقُّ التَّقدير على ملاحظاته الثَّابتة إلى حدِّ يثير الدهشة، ولو تمعَّن مرجليوث في مصادر مسكويه في تاريخه لأدرك أنَّ الأجدَر بذلك الثَّناء هو ثابت بن سنان نفسه، فهو ذلك المؤرِّخ غير المُسلم الذي لم يكن متعصباً لدين أو لمذهب، وهو الطَّبيب الذي ترك التَّأليف في الطَّبِّ وتفرَّغ لكتابة التاريخ. لكن هذا لا يعني أنَّنا لا نشكرُ لِمسكويه صنيعة لقيامه بتلخيص تاريخ ثابت بن سنان، إذ لولاه هو وابن الأثير، وابن الجوزي، وبسبب ابن الجوزي، والذهبي لفقد تاريخُ ثابت جُملةً وتفصيلاً.

ورغمُ فَقْدانِ تاريخ ثابت، فإنَّ نقولات المؤرِّخين المتأخِّرين عنه تبيُّ بعض سِمات الكتاب ومصادر مادَّته، وتربيته ومُعالجته لها، فمن الواضح تماماً من خلال استقراء نقولات المؤرِّخين عن تاريخ ثابت بن سنان أنَّ مؤلفه قد رتَّب الأحداث حولياً بدءاً من أحداث عام

²⁵ ابن العبري: تاريخ الزَّمان، 67.

²⁶ مرجليوث: دراسات عن المؤرِّخين العرب، ترجمة حُسين نصَّار، القاهرة د. ت، 144.

²⁷ مرجليوث: المرجع نفسه، 146-147.

295هـ/ 907م، وحتى سنة وفاته، وجرياً على عادة الطبري كان ثابت يَحْتِمُ حوادث السَّنة بذكر الطَّرائف أو خَوَارِق الطَّبيعة والنُّوادر ممَّا عَاينَهُ بنفسه، أو تَمَّ إلى عِلْمِهِ بالسَّماع²⁸، ثم يَحْتِمُ أحداث العام بذكر وفيات الأعيان.

ومن الواضح أيضاً أنَّ ثابتاً قد اعتمد في تاريخه على مُشاهداته الشَّخصية²⁹، فقد كان طَبِيب الخلفاء، ومن الشَّخصيات المُهمَّة التي سَاهَمَتْ في صُنْع تلك الأحداث، فنحن نَعرف أنه كان أحد أبرز أنصار الخليفة المُتقي في صِراعه مع تُوْزُون³⁰، كما كان مُقرباً من مُعزِّ الدَّولة حتَّى أنه رافقه في حُلَّتِهِ على المُوَصِّل لحرب ناصِر الدَّولة الحَمْداني³¹. كما كان يأخذ الأَخْبَار من مصادرها إذا لم يُعَاينها، فقد كان شَدِيد الصِّلَة بالوُزراء فهو يُجَالِس الوزير عَلِيَّ بن عِيْسَى وزير المُقتدر³²، وهو مُصدره المُباشر في العَدِيد من رواياته التي رَوَاهَا عَنْهُ³³، كما كان نَدِيّاً للوزير أَبِي عَلِيَّ بن مُقْلَة³⁴، بالإضافة إلى تَدْوِينِهِ لَشَهَادَاتٍ عَدِيدٍ كَبِيرٍ مِنْ كُتَّاب الدَّوَاوِين، ومن ثَمَّ كان أَغْلَب تاريخه عبارة عن مَادَّة شَفَاهِيَّة اسْتَقَاهَا عَنْ عَايِنُوا الحَدَث نفسه، أو وَثَاق أَطْلَعَ عَلَيْهَا هو بنفسه، وكان الوزير عَلِيَّ بن عِيْسَى يُدْرِك شَغَف ثابت بِالْأَطْلَاع على الوَثَاق، وكان يُمَدُّهُ دوماً بِهَا³⁵، وإذا كان ثَمَّة فَضِيلَة تُنسَب إلى ثابت بن سِنَان فَهِيَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُلْقِي بِالْكَلام على عَوَاهِنه، بل كان دائم الإِحَالَة إلى مصادره.

وكانت مَوْضُوعِيَّة ثابت بن سِنَان أحد أَهَمِّ أسباب اخْتِفَاء المؤرِّخين اللَّاحِقِينَ وتقديرهم لِلجُهد الذي بذله في تاريخه، لا أدَلَّ على ذلك من أَنَّ نَقُولَات المؤرِّخين عن تاريخ

²⁸ ابن الجوزي: المُتَظَم، 13: 93؛ 140: 251؛ ابن تَغْرِي بردي: النُّجُوم الزَّاهِرَة، 3: 384.

²⁹ ابن الجوزي: المُصْدَر نفسه، 13: 93-140-151.

³⁰ راجع الفُضْل السَّابِع.

³¹ ابن الأثير: الكَامِل، 7: 283.

³² مِسْكُويَة: تِجَارِب الأُمَم، 1: 29.

³³ مِسْكُويَة: المُصْدَر نفسه، وَاجْزَاء وَالصَّفْحَة.

³⁴ نفسه، 1: 200.

³⁵ نفسه، 1: 29.

ثابت فيما يخص تقسيمه للقاهر بالله - الذي أسهم في نكبة أسرته وقومه، وتشتيت عائلته وهرب والده - تأتي أكثر اعتدالاً وإنصافاً من تقييم أبي بكر الصولي الذي دوّن تاريخه في ظلّ خلافة أبناء المقتدر والذي لم يجد مثله إلا ونسبها إلى القاهر³⁶، ومن ثمّ لقي تاريخ ثابت استحساناً كبيراً من جانب المؤرخين المسلمين اللاحقين، فقال عنه ابن كثير أنه أجاد في تاريخه وأحسن³⁷، وقال ابن العبري بأنّه لم يُكتب في التّاريخ أكثر ممّا كتّب ثابت بن سنان، ولولاه لجهل شيء كثير من التّاريخ³⁸. ومع ثناء المؤرخين اللاحقين على تاريخ ثابت فإنهم ساعدوا بطريق غير مباشر على التّقليل من أهمّيته، وذلك عن طريق اللّجوء بشكل مباشر إلى المصادر التي حلّصت عن تاريخه، وأبرزها تجارب الأمم لمسكويه، والمتنظم لابن الجوزي، والكاميل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ ابن خلدون³⁹، ولم يشذ عن هذه القاعدة نسبياً إلا الذهبي في تاريخه الكبير المعروف بتاريخ الإسلام، وبسط ابن الجوزي الذي نقل بتوسّع عن ثابت، ولعل بقاء كتاب مرآة الزّمان مخطوطاً حتى يومنا هذا قد ساعد على عدم تقدير تاريخ ثابت بن سنان حقّ قدره كمصدر رئيس للحقبة التي تمتدّ بين عامي 365/295 هـ - 907/975 م.

يُنسب إلى ثابت أيضاً كتاب في وفيات الأعيان⁴⁰، وكتاب عن الحلاج اعتمد عليه النّدِيم⁴¹، ويُنسب له أيضاً كتاب في أخبار مصر والشّام، كان في مجلّدة واحدة⁴²، ولعل هذه

³⁶ انظر على سبيل المثال ما رواه الذهبي عن الصولي في أخبار القاهر في كتابه: العبر في خبر من غبر، 2: 13-14. قارن أيضاً: - التويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي؛ محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1980، 23: 116.

³⁷ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1: 314؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 14: 695.

³⁸ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 170.

³⁹ عبد الجبار ناجي: تاريخ مهم للمؤرخ المنسي ثابت بن سنان، مجلة المورد العراقية، مج 2، ع 2، بغداد 1973، 235.

⁴⁰ شاكر مصطفى: التّاريخ العربي، 2: 66.

⁴¹ شاكر مصطفى: المرجع نفسه، 2: 67.

⁴² ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 2: 773، الصّفدي: الوافي، 10: 286.

المؤلفات جميعًا كانت تُنَمَّا استُلت من تاريخه الكبير، ربما استلها ثابت بنفسه، أو أحد الورّاقين كما فعل الورّاق صاحب «رسالة أخبار القرامطة من تاريخ ثابت بن سنان».

ومن المدونات التاريخية التي لها شأن كبير ومن سوء الحظ أنها لم تأتِنا كاملة كتاب «التاجي في أخبار الدولة الديلمية» لأبي إسحاق الصّائبي؛ والذي أطلق عليه أيضًا كتاب «تاريخ دولة بني بويه، وأخبار الديلم وابتداء أمرهم»، على أن اسمه الأكثر تداولًا بين المؤرخين هو كتاب «التاجي» نسبةً للقب عُضد الدولة «تاج الملة»⁴³، وهي نسبة عادلة بالفعل، إذ إنَّ عُضد الدولة كان مؤلفًا مشاركًا في تأليفه، فقد كان أبو إسحاق يكتب الفصل تلو الفصل في محبسه ويرسله إلى عُضد الدولة، فينظر الأخير فيه، ويُضيف إليه أو يحدّ منه⁴⁴.

ومن المؤسف أنه لم يصلنا من هذا الكتاب إلا قسم يسير، أطلق عليه الورّاق الذي استلّه من أصله اسم «المُتَرَع من كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية»⁴⁵، ويحتوي على عدة فصول؛ كلها جاءت في صدر الكتاب، ول سوء الحظ هي أقلُّ أجزائه أهمية، وهي على الترتيب فصل في مساكن الديلم والجبل ومقارهم. فصل في ذكر إسلام الديلم والجبل على أيدي من صار إليهم من العلويين. وفصل في تسمية هؤلاء العلويين واحدًا بعد آخر، ونبذ من أخبارهم. فصل في خبر جعفر بن ليلى بن النعمان الديلمي⁴⁶.

⁴³ ويبدو مما يذكره السّخاوي أنه عَرَف أيضًا بـ «أخبار الدولة البويهية» انظر: الإعلان بالتوثيق لمن ذم التاريخ، تحقيق محمّد عثمان الحُشّت، القاهرة 1989، 118.

⁴⁴ عن الظروف التي دوّن خلالها أبو إسحاق الصّائبي كتابه «التاجي في أخبار الدولة الديلمية» راجع الفصل الثامن.

⁴⁵ شاكِر مُصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، 2: 61، وأول نشرة صدرت لهذا الكتاب صدرت باعتناء محمّد صابر خان، بطهران عام 1976، ونشرة أخرى صدرت ببغداد بتحقيق محمّد حسين الزبيدي ببغداد عام 1977، غير أن هاتين النشرتين جد نادرتين الآن، والنشرة الأشهر للمُتَرَع من كتاب التاجي هي للمُستشرق الألماني فيلفرد ماديلونغ وصدرت كأول النصوص في كتابه «أخبار الأئمة الزيدية» ببسبادن عام 1988.

⁴⁶ أبو إسحاق الصّائبي: المُتَرَع من كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية، ضمن كتاب «أخبار الأئمة الزيدية»، تحقيق فيلفرد ماديلونغ، ببسبادن 1988، 9-51.

وبالرغم من أن هذا الكتاب قد يُصنّف ضمن كُتُب المآثر والمناقب، وهي كتابات تُسمّى بغلبة روح التّزلف والتّملّق والتّفاق، وكثرة المُبالغات والافتِئات على المَوْصُوعة، وتُصنّف بين المؤرّخين في مرتبة أَدْنى من غيرها في سياق المصادر الأدبيّة؛ ومُصادقاً لهذه القاعدة فإنَّ أبا إسحاق قد بالغ كثيراً بالفِعل في ذكر مآثر الدّيلم وكرمهم، حتى روى ما قد يابّاه العقول في هذا الصّدّد⁴⁷، كما بالغ أيضاً في وصف شجاعتهم وبطولاتهم⁴⁸، وبالغ أيضاً في إطراء عضد الدولة ومُحتدّه، فنسب الشّرف كلّهُ إلى القبيلة الدّيلميّة التي ينتمي إليها⁴⁹، مع أن المعروف عن جدّه بويه أنّه كان صياداً فقيراً من عامّة النّاس.

لكنّ هذا لا يعني أن ما وصلنا منه لا يخلو أيضاً من فائدة، فأهميته لا تنبع من ذاته، وإنّما تنبع من ندرة الكتابات التّاريخيّة في أخبار بني بويه بصفة عامّة، لا سيّما في مرحلة النّشأة الأولى، فهو ينفرد بأخبار ما كُنّا لنعرفها دونه، فحتى في الشّدرة اليسيرة التي وصلتنا منه نُبذ من ذكر قبائل الدّيلم وصلتها ببعضها البعض، ونشاط الدّعاة العلويّين في ولاية جيلان ديلمان حتى اعتناق أغلب الدّيلم للإسلام⁵⁰، وهو ما يُشعرنا بالأسف لضَياع الأقسام الأكثر أهميّة من الكتاب، لا سيّما وأنَّ مؤلّفه كان واحداً من كبار رجالات دولة بني بويه.

ويقتضي الإنصاف القول بأنّه لولا نقولات المؤرّخين المتأخّرين - بصفة خاصّة - منسكويه وابن الأثير - عن كتاب التّاجي لأبي إسحاق الصّابيّ؛ لجَهِلنا الكثير عن دولة بني بويه ورجالاتها⁵¹. وهذه الأهميّة نفسها التي استشرعها المؤرّخون المعاصرون جعلتهم

⁴⁷ المصدر نفسه، 9.

⁴⁸ نفسه، نفس الصفحة.

⁴⁹ نفسه، 13.

⁵⁰ نفسه، 15 وما بعدها.

⁵¹ انظر على سبيل المثال مقدمة كوركيس عوّاد لكتاب الشّابُشتي: الدّيارات، بغداد 1966، 19، حيث إنّ المعلومة الوحيدة التي نعرفها عن مؤلّف هذا الكتاب يستقيها المؤرّخون من كتاب التّاجي في أخبار الدولة الدّيلميّة، ومنه نعرف أن الشّابُشتي هذا كان حاجباً لوشمكير بن زيار الدّيلمي، وأنه قُتل عام 326هـ/ 937م.

يغضون الطرف عن مثالبه، وتكفي ما هنا شهادة أبي حيان التّوحيدي المعروف بآرائه النّقدية الحادة تجاه العلماء والمفكرين من معاصريه، والذي قرّط الكتاب ووصفه بأنه دليل على اطلاع أبي إسحاق الصّابي على حقائق السياسة⁵².

ولا نستطيع إنهاء الحديث عن كتاب «التّاجي في أخبار الدّولة الدّيلمية» دون الإشارة إلى اتّهام الوزير أبي شجاع الروذراوري لمسكويه بالنّقل حرفياً عنه، يقول أبو شجاع⁵³:

«وهو كتاب [أي التّاجي] بديع
الرّصيف حسيّن التّصنيف، فإنّ أبا إسحاق كان
من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم، ولا
تنبو مضاربهم، ووجدنا آخره موافقاً لآخر كتاب
تجارب الأمم، حتى أنّ بعض الألفاظ تتشابه في
خاتمتها، وانتهى القولان في التّاريخ بهما إلى أميد
واحد، والكتاب موجودٌ يُغني تأمله عن الإخبار
عنه».

إنّ الثقة التي يتحدّث بها الروذراوري عن نقل مسكويه عن كتاب التّاجي حرفياً - خاصة حديثه عن أنّ الكتاب بأيدي النّاس، وتسهّل المقارنة لمن أراد - لا تُعطي لنا مجالاً واسعاً لافتراض المبالغة، فالوزير الروذراوري - المعروف بورعه وتقواه - لم يكن ليغامر بمضدّافيته عند معاصريه بطرح اتّهام كهذا يسهّل دخضه دون أن يكون على حق، وهذا يعني أنّ الوزير الروذراوري لم يتجنّ على مسكويه، لا سيما وأنّه ثمن جهده وأنشئ عليه في ترتيب كتابه المعروف بتجارب الأمم وتقيقه، بل ودعا له في مقدّمته⁵⁴.

⁵² التّوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، 1: 68، قارن أيضاً الهمداني: تكملة تاريخ الطبري، 189.

⁵³ الذّيل على تجارب الأمم، 3: 23.

⁵⁴ المصدر نفسه، 5.

وبصفة عامة فإنَّ النُّقل دون الإشارة إلى المصدر في التراث العربي كان أمرًا شائعًا، ولم يكن معيبًا، ولا مدعاة للنقد في أغلب الأحيان، ولم تكن تُهممة الانتحال تُطلق إلا في أضيق نطاق، وفي حال ما إذا كان النقل حُذو النعل بالنعل، ومن الحِلَّة إلى الحِلَّة، وهو ما لم يفعله مسكويه بطبيعة الحال، فتاريخه واسع المجال يغطي الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى عصره، بينما يقتصر التاجي على تاريخ دولة بني بويه فحسب، إذن فلماذا وجه الروذراوري هذا الاتهام والنقد لمسكويه بانتحال أقسام بكاملها من كتاب التاجي؟

في اعتقادي أنَّ الروذراوري استفزَّه افتتاح مسكويه لأحداث عام 340هـ/ 951م بقوله إن جميع ما سيرويه بدءًا من هذا العام وحتى نهاية تاريخه بما عاينه مباشرة أو وقع عنده مجرى ما عاينه، وهذا الشرط الذي ألزم به مسكويه نفسه لم يتقيد به، وعاد إلى النقل عن غيره دون أن ينسب الأخبار إلى مصادرها التي نقلها عنه، وربما استفزَّ الروذراوري أيضًا طول الأقسام التي نقلها مسكويه عن التاجي دون أن يشير ولو لمرة واحدة أنه ينقل عن أبي إسحاق الصَّابي، والأكثر من ذلك - وهو ما لا يمكن التماس العذر فيه لمسكويه بالفعل - هو تشابه خاتمة تاريخه مع خاتمة كتاب التاجي.

وعن اشتغل بالتاريخ من العلماء الصَّابئة أيضًا هلال بن المحسن الصَّابي، والذي أراد أن يُذيل على تاريخ حال والده ثابت بن سنان، فأرَّخ لأحداث السنوات من مولده 361هـ/ 970م وحتى وفاته عام 447هـ/ 1055م، ويبدو مبلغ تأثره بخاله ثابت بن سنان في اختياره لسنة ميلاده لبدء تاريخه، لذا فقد تدخل تاريخه أيضًا مع تاريخ ثابت في الأحداث من عام 361هـ/ 971م وحتى 365هـ/ 975م، وتاريخ هلال بن المحسن الصَّابي تاريخ كبير، نعرف أنه كان يتكوَّن من أربعين مجلدًا⁵⁵، وفقد بأكمله عدا قسماً يسيراً من الجزء الثامن يتضمَّن أحداث الأعوام من 389هـ/ 998م وحتى عام 392هـ/ 1001م.

ومن الواضح أنَّ هلالاً حدًا جُذو ثابت بن سنان في تنويع كتابه، فقد نظم حوَّليَّاته على

⁵⁵ شاكر مصطفى: التاريخ العربي، 2: 100.

أن تبدأ بذكر السَّنة وموقعها من التَّقاويم السَّريانية والفارسيَّة، ثم أهم الأحداث والوقائع خلالها، ثم الحوادث الغربيَّة والنُّوادر، مُحتَثِمًا العام بذكر من تُوفي خلالَه من الأعلام، ومن الملاحظ أن مكانة هلال السَّياسِيَّة في عصره قد أهَّلته لأن يكتب التَّاريخ من موقع المُعَاين والمشاهد، تمامًا كخال والده، كما كان دائم الذِّكر لمصادره التي يَسْتَقِي عنها مادَّة الشَّفاهيَّة من كبار رجال الدَّولة من الوُزراء والحُجَّاب ومُسْئولي الدَّواوين⁵⁶، وهو يبدو في هذا شديد التَّأثُّر بثابت بن سنان، فكان نادرًا ما يتوقَّف عن سرِّيه لِيُبدِي برأيه، أو يَصِف أنطباعاته، وغالبًا ما كان هلال يتَحاشى تلك النَّزعة التي نفَّست في عصره في كتابة التَّاريخ، ألا وهي الإغراق في المَحليَّة والاقتصار على أخبار قصبة الخِلافة، فالأزدي ينقل عنه أخبارًا تفصيليَّة في غزوة محمود الغزنوي للهند على نحو يصعُب معه الاعتقاد أنَّ هلال تعرَّض لها ولامثالها من أخبار الدُّونيات الإسلاميَّة المُجاورة للخِلافة عَرَضًا⁵⁷.

لقد أثار نشر هذه الشُّذرات التي عُثر عليها من تاريخ هلال أَسَى المؤرِّخين على فُقدان مثل هذا الأثر الجليل⁵⁸، ولا شك أنَّ وُصول نُسخة كاملة من هذا العمل إلينا كان سَيُعمل على جلاء الكثير من الغوامض المرتبطة بأواخر سِنِّي بني بُويه في العِراق. وما يُضاعِف من ذلك الأَسَى هو فُقدان آخر سلسلة التَّدبيلات المُهمَّة على تاريخ الطُّبري بفُقدان تاريخ غَرَس النُّعمة بن هلال بن المُحسِّن الصَّابِي الذي ذِيل بدوره على تاريخ والده هلال بن المُحسِّن الصَّابِي⁵⁹، لِضَاعِف بذلك خَسارتنا بفُقدان تلك النُّصوص النَّادرة.

ومن كتابات هلال التَّاريخيَّة خلا تاريخه كتابه «مُحفَّة الأمراء في تاريخ الوُزراء»، وقد أَرَادَ

⁵⁶ هلال بن المُحسِّن الصَّابِي: تاريخ هلال بن المُحسِّن الصَّابِي، 3: 458.

⁵⁷ الأزدي: أخبار الدُّول المُتقطعة، 260.

⁵⁸ يُسري عبد الغني عبد الله: مُعجم المؤرخين المُسلمين حتَّى القَرْن الثَّاني عَشَرَ الهجري، بيروت 1991.

184-183.

⁵⁹ ابن الجوزي: المُتظَّم، 16: 275.

هلال بعمله هذا أن يُذيل على كتاب الجَهْشِيَّارِي «الوزراء والكتاب»⁶⁰، وهو واحد من أهم المصادر التي وصلت إلينا وقدّمت لنا صورة واضحة عن الأوضاع الماليّة والاقتصاديّة والإداريّة خلال النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي⁶¹، وبخاصّة إبان وزارة علي بن عيسى بن الجراح، وأبي الحسن علي بن الفرات⁶²، ولدينا أدلة عديدة أن الكتاب لم يصلنا كاملاً، فقد نقلت بعض المصادر من الكتاب أخباراً تتعلّق بوزراء من العصر البُويهي، كالصاحب بن عبّاد، وابن العميد⁶³، والوزير أبي محمّد المهلبي⁶⁴، وهذه الأخبار لا وجود لها في النسخة الوحيدة التي عُثر عليها من هذا الكتاب.

ومن ضمن كتابات هلال بن المحسن الصّابي التّاريخيّة كتابه الشّهير «رُسُوم دار الخلافّة»، وهو كتابٌ فريدٌ في بابهِ، ولا أخسب أن أحداً من سابقيه قد صنّف في بابهِ، وهو يتناول الرُسُوم [أي قواعد البروتوكول كما في عصرنا الآن] المتّبعة في دار الخلافّة، وما يجب فعله عند المثل بين يدي الخليفة، وما يُستحب من القول، وما يُترك منه عند مخاطبة الخلفاء، وغيرها من أنواع الآداب المرعيّة عند دخول دار الخلافّة والتّجول فيها⁶⁵.

ومن مؤلّفاته في التّاريخ أيضاً كتاب «الأمائل والأعيان، ومُتسدى العواطف والإحسان»⁶⁶، وهو كتابٌ في التّوادر والطّرف التي وقعت من الأعلام والشّخصيّات العامّة

⁶⁰ السّخاوي: الإعلان بالتّوبيخ، 119؛ ميخائيل عوّاد: نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجَهْشِيَّارِي، بيروت 1964، 8، وقد وجّه هلال نقدًا للصّولي في كتابه الوزراء - وهو مفقود - وذكر أنّه حشاه بما لا فائدة منه، تحفة الأمراء، 4.

⁶¹ رجاء جوهر: الحياة الاجتماعيّة كما يُصوّرُها الصّابي في كتابه الوزراء، رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، بالجامعة اللبنانيّة، بيروت 1979، 24؛ حسن مُنيمة: تاريخ الدّولة البُويهيّة السّياسي والاقتصادي والاجتماعي، بيروت 1984، 27.

⁶² DOMINIQUE SOURDEL: *L'originalité du Kitab Al-Wuzara'*, p 273.

⁶³ الأزدي: بدائع البّدائ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1970، 100-177-353.

⁶⁴ ياقوت الحموي: مُعجم الأدباء، 1: 133.

⁶⁵ مُقدّمة هلال بن المحسن لكتاب رُسُوم دار الخلافّة، 5-6.

⁶⁶ الذّهبي: تاريخ الإسلام، 12: 27؛ شاكِر مُصطفى: التّاريخ العربي، 2: 101؛ ابن العباد: شذرات الذّهب، 5: 207؛ ابن خلّكان: وفيات الأعيان، 6: 101.

في عصره كما نستقي ذلك من حديث ابن خلّكان عنه⁶⁷. وقد نسج ابنه غرس النعمة على منوال كتاب أبيه هذا في كتابه الذي أسماه «الهفوات النادرة».

الجغرافيا

يُعد ثابت بن قرة من أكثر علماء الصّابئة اهتمامًا بهذا العلم، تشهد بذلك مُدُوناته في هذا العلم، فله رسالة عُنوانها «السَّبب الذي من أجله جُعِلت مِيَاهُ الْبَحْرِ مَالِحَةً»⁶⁸، اعتمد عليها البيروني⁶⁹، ومن كتاباته الجغرافية الأخرى «رسالة في سبب كون الجبال»، وكتاب في الأقاليم السبعة أسماه «جوامع المسكونة»، وكتاب في «قسمة الأرض»، كتبه إلى الوزير أبي القاسم عبيد الله بن سليمان، ورسالة أخرى في الأزصاد الجوية بعنوان «الآثار التي ظهرت في الجو، وأحوال كانت في الهواء ممّا رُصد بنو موسى وأبو الحسن ثابت بن قرة»، وكتاب في «الأنواء»⁷⁰، كما دوّن سنان بن ثابت رسالة في «مقدار خط الاستواء»⁷¹.

ومن علماء الجغرافيا الصّابئة رجلٌ يُسمى قرة بن قَمِيظًا الحرّاني، رسم خريطة للعالم، وأطلق عليها اسم «صفة الدنيا»، ويقول النديم أنّ ثابت بن قرة انتحلها لنفسه، وأنّه هو نفسه - أي النديم - رأى تلك الخريطة مرسومة على ثوبٍ ديبقي باسم صانعها الأصيلي⁷².

ومن الجغرافيين الصّابئة هلال بن المحسن الصّابئ، وله كتاب في خِطَط بغداد أسماه «كتاب بغداد»، وهو من أهم المصادر التي رُصدت تطوّر خِطَط بغداد من الناحية العمرانية⁷³،

⁶⁷ وفيات الأعيان، 1: 330، 3: 427.

⁶⁸ النديم: الفهرست، 2: 228.

⁶⁹ البيروني: تحديد نهايات الأماكن، 51-52.

⁷⁰ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 299.

⁷¹ ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

⁷² الفهرست، 2: 466؛ أحمد تيمور: أعلام المهندسين، 25.

⁷³ MARIUOS CANARD: Baghdad au IV^e siècle de l'Hègire- X^e siècle de l'Ère Chrétienne, Arabica, Vol.

III, 1962, p 19. جورج مقدسي: خِطَط بغداد في القرن الخامس الهجري، 29-30.

وقد فُقد هذا الكتاب، لكن لحسن الحظ اعتمد عليه الخطيب البغدادي في القسم الجغرافي من كتابه «تاريخ بغداد» بشكل موسّع⁷⁴، كما كان من أهم مصادر الرسالة المسماة «مناقب بغداد» والمنسوبة لابن الجوزي⁷⁵. وكذلك ياقوت الحموي في مادة بغداد وضواحيها في كتابه مُعْجَم البلدان⁷⁶.

ويبدو من استقراء النُقول التي استقاها كُلُّ من الخطيب البغدادي وابن الجوزي عن «كتاب بغداد» أن هلال بن المُحسن الصَّابِئ لم يكتفِ بالنقل عن غيره، بل حاول رَسْم خَريطة لبغداد بالمُعَايَنَة المباشِرة، فوصف الجانب الشرقي من بغداد، ثم اهتم بدراسة ما أصابه بعد الفتن التي أصابت بغداد إبان الأحداث التي أعقبت فتنة البساسيري، ليقدِّم لنا صورة نابضة بالحياة لمحلَّات الجانب الشرقي من بغداد كسوق السَّلاح، والرُّصافة، ومُربَّعة الخُرشي، وما استجدَّ عليها بعد تلك الأحداث⁷⁷.

وفضلاً عن كتاب بغداد هناك مجموعة من الرسائل الجغرافيَّة الخاصَّة والنَّادرة المتبادلة بين هلال بن المُحسن وبين الطَّيِّب النَّصراني ابن بَطلان، في وصف أعالي الشَّام، اعتمد ياقوت على إحداهما في وصف مدينة أنطاكيَّة⁷⁸، واعتمد عليها في موضع آخر في وصف حلب⁷⁹، ووقفَ عليها القُفْطِي لحسن الخطِّ وأوردها كامِلة⁸⁰، وهي رسائل من الواضح أن تاريخ تدوينها يَراوح بين عامي 440-450هـ/ 1048-1058م⁸¹، وهي على كُلِّ حال تُظهر مدى شَغفها بالجغرافيا ووصف البلدان، وكذا أدبَان ساكِنِيها، وعاداتهم وتقاليدهم.

⁷⁴ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 1: 350-351، 416-417-420-425-439.

⁷⁵ ابن الجوزي: مناقب بغداد، تحقيق مُحمد بَهْجَة الأَثري، بغداد 1342هـ 33-34.

⁷⁶ مُعْجَم البلدان، 2: 289.

⁷⁷ ابن الجوزي: المُنتظم، 8: 82-83.

⁷⁸ ياقوت: المصدر نفسه، 1: 316-317.

⁷⁹ نفسه، 2: 326-327.

⁸⁰ إخبار العُلَماء، 193-195؛ فيه: أحوال النُّصارى، 280.

⁸¹ ياقوت: مُعْجَم البلدان، 2: 316-317؛ ابن شدَّاد: الأخلاق الخطيرة، 2: 358، ويعتقد كراتشكوفسكي

بأن هذه الرِّسائل كانت في الأصل رسالة واحدة تضمَّنت وصف الطَّرِيق من بغداد إلى مصر، تاريخ الأدب الجغرافي، 287-288.

وقد نشأ علم السياسة المدنية كأحد فروع الفلسفة الإغريقية، وكان أفلاطون PLATO وأرسطو طاليس ARISTOTELES من أبرز رواد ذلك الفن من الكتابات التي تخصصت في دراسة السبل المثلى لسياسة الرعية وصلاح المجتمع، وقد اهتم العلماء الصائبة بهذا الفن، فترجموا وزادوا بالشروحات على كتاب السياسة لأرسطو طاليس، ثم تفتنوا في إضافة الكثير مما رأوه يناسب طبيعة البيئة الشرقية وبنية المجتمع في عصرهم، وكانت جهودهم في هذا الصدد هي اللبنة الأولى في نشأة علم السياسة الشرعية فيما بعد، والذي يعد الفقيه الحنبلي أبو يعلى الفراء المؤسس الحقيقي له، والذي بلغ أوجه على أيدي الماوردي، والوزير نظام الملك الطوسي.

على أي حال فقد صنف ثابت بن قرة «رسالة في السياسة»⁸²، كما قدم شروحات على كتاب أفلاطون في السياسة في رسالته المسماة «حل رموز كتاب السياسة لأفلاطون»، كما صنف ثابت بن سنان «رسالة في السياسة» أهداها إلى الأمير بجكم، ورسالة أخرى في السياسة أهداها إلى أمير الأمراء ابن رائق، ورسالة أخرى في السياسة أهداها إلى الوزير علي بن عيسى⁸³.

وثمة رسالة أخرى في السياسة وضعها أبو إسحاق الصائبي وأهداها لعضد الدولة، وأورد الثعالبي فقرات منها تتضمن بعض نصائح للملوك في طرق التعامل العادل والرّصين والحازم مع الرعية⁸⁴. ويبدو أن تلك الرسالة لم تكن الوحيدة لأبي إسحاق الصائبي في علم

⁸² المصدر نفسه، والصّفحة.

⁸³ القفطي: إخبار العلماء، 133؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي 6: 36.

⁸⁴ الثعالبي: آداب الملوك، تحقيق جليل العطية، بيروت 1990، 60.

السِّياسة، فالثعالبي يعود في موضع آخر ليزوي على لسان أبي الفتح البُستي الكاتب أنه اطلع على رسالة كتبها أبو إسحاق الصَّابي وهي «في حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي اخْتِلَافِ طَبَقَاتِ النَّاسِ، وَافْتِقَارِهِمْ إِلَى الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ، وَحَاجَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَاطِّرَادِ الْعِلْمِ بِهَذَا التَّدْبِيرِ»⁸⁵، كما دَوَّن هِلَالُ بْنُ الْمُحَسَّنِ الصَّابِيُّ كِتَابًا أَطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمَ «كِتَابِ السِّيَاسَةِ»⁸⁶، وَلَا يَمْلِكُ الْمَرْءُ إِلَّا أَنْ يَشْعُرَ بِالْأَسَى لِضَيَاعِ ذَلِكَ الثَّرَاثِ الْغَنِيِّ وَالَّذِي لَمْ يَتَبَقَّ مِنْهُ سِوَى أَشْيَاءَ دُونَ مُسَمِّيَّاتٍ.

⁸⁵ المصدر نفسه، 128.

⁸⁶ الصَّفْدِي: الوافي بالوفيات، 27: 219.

الفصل

الثالث عشر

13

إسهامات الصابئة

في الآداب والترجمة

أَصْبَحْتُ مُسْنَأًا حَلِيفَ صَبَابَةٍ	بِرَسَائِلِ الصَّابِي أَبِي إِسْحَاقِ
صَوَّبُ الْبَلَاغَةِ وَالْمَلَاوَةِ وَالْجَمَى	ذَوْبُ الْبَرَاةِ سَلْوَةِ الْعُشَّاقِ
طَوْرًا كَمَا رَنَّ النَّسِيمَ وَتَارَةً	يَحْكِي لَنَا الْأَطْرَاقَ فِي الْأَعْيَانِ
لَا يَبْلُغُ الْبُلْغَاءُ شَأْؤُ مُبَرَّرٍ	تَبَّتْ بِدَائِعُهُ عَلَى الْأَحْدَانِ

الشَّعَالِي

يُعدُّ أبو إسحاق الصَّابِيُّ واحدًا من أبرز الأدباء في تاريخ الإسلام قاطبة¹، إذ لا يُمكن أن تُذكر البلاغة من دون الإشارة إلى أبي إسحاق الصَّابِيُّ، ودوره في تطوُّر فنِّ النثر لا سيَّما خلال النِّصف الثاني من القرن الرَّابِع المُهجري/ العاشر الميلادي، ولعلَّ ولع أبي إسحاق في صباه بفنون العريَّة وبصفة خاصَّة فنيِّ النثر والشعر هو ما جعله يُضرب عن صِناعة أسلافه بدراسة الطَّبِّ، ويتفرَّغ للتَّحصيل في الأدب، ويُقرأ بِنَهَمٍ كل ما يَصِل إلى يده من ذخائر البُلغاء²، فقد كان أبو إسحاق الصَّابِيُّ من أشدَّ المتأثرين بأسلوب مُحَمَّد بن عَبْدكَان³ كاتب الدَّولة الطُّولونيَّة البليغ، ولطالما وصفه بأنَّه إمامه في كتابة المنشور وصِناعة الإنشاء⁴.

وكانت بلاغة أبي إسحاق الصَّابِيُّ وسلاسة أسلوبه في الكِتابَة، وعُدُوْية ألفاظه، وإصابته للمعنى بأيسر الطُّرُق أبرز سماته، لذا كان مُعاصِروه يتهافَتون على قِراءة تهاج من نثره، وكان الورَّاَقون يتلهَّفون على رسائله، وعندما كان ورَّاَق يظفر ببعض من رسائل الصَّابِيِّ كان يَسْخُهَا على القُور، ويتهافت عليها النَّاس في أسواق الورَّاَقين، ومن حُسن الحظ أن وصلت إلينا معظم رسائله الدِّيوانِيَّة، ومُراسلاته مع الشَّريف الرُّضي⁵.

¹ النَّدِيم: الفهرست، 2: 416؛ ابن العِمْراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السَّامرائي، منشورات المعهد المُولندي للأثار الشَّرقيَّة، لِيْدن 1973، 183؛ العَبَّاسي: آثار الأول في ترتيب الدُّول، تحقيق عبد الرَّحْمَن عُميرة، بيروت 1989، 153؛ نظامي عُرُوضي سَمَرْقندي: جَهَار مقالة، 23؛ ابن خلدون: العِبر، 1: 796؛ ابن العِمَّاد: شذرات الذهب، 4: 439؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السِّياسي، 3: 380.

² ياقوت الحمَوي: مُعْجَم الأَدباء، 1: 142-143.

³ مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مودود المعروف بابن عَبْدكَان (ت 270هـ/ 833م) تولى ديوان الإنشاء بمصر على أَيَّام أحمد بن طُولون، وظل كاتبًا فيما بعد لابنه خَارويه، ووصف بالبلاغة والتَّقدم والحدِّق في صِنعة الإنشاء، وله ديوان رسائله - الذي فُقد للأسف - وكان في عشر مجلدات، عنه انظر الصَّفدي: الوافي، 3: 255-256.

⁴ التَّوْحِيدي: الإِمْتاع والمُؤانسة، 1: 67.

⁵ أبو حَيَّان التَّوْحِيدي: أخلاق الوُزيران، 415.

جمع أبو إسحاق الصَّابِي في حياته مجموع رسائله في ديوان واحد، بلغ نحو السَّبع مجلَّدات، أي قرابة الألف ورقة⁶، وقسمها موضوعيًا، فأفرد القسم الأوَّل لرسائل الدِّيوَان في الفتوح والمناسير وأمثالها، والثاني للعهود والتَّقليدات، والثالث ما نُفذ إلى الوُلاة وأصحاب النُّواحي والمُتصرِّفين في الأعمال، والرَّابع في التَّعازي، والخامس في المُعَاتبات، والسادس في الشِّفاعات، والسَّابع في التَّهاني.

ورغم أنَّ بعض عناوين تلك الأقسام يُثير فضول المؤرخ قبل غيره من المهتمين بتطور الأدب العربي في العصور الوسطى⁷، لا سيَّما أنَّ قسماً غير يسير من هذه الرسائل تعدُّ وثائق بالمعنى الحرفي لذلك التعبير، لكن هذه الرسائل ظلَّت تُعاني الإهمال حتَّى من جانب المؤرِّخين القُدما الذين لم يكثرُوا إلَّا لقيمتها الأدبيَّة، اللَّهُمَّ إلَّا باستثناءات طفيفة، فلهُمذاني أورد منها فقرات في وصف استقبال الطَّائع لعضد الدَّولة بعد هزيمته للأتراك⁸، والذهبي لفتت نظره تلك الرِّسالة التي أمر فيها الحَلِيفَةُ المُطيع بدمج سستي 350هـ - 351هـ / 961-962م الحراجيَّة وتَرْحيلها إلى سنة 352هـ / 963م⁹، ورغم أنَّ القلقشندي توسَّع في نقل نصوص مُطوَّلة من رسائل الصَّابِي، وأحياناً رسائل بأكملها، فإنَّه أيَّضاً في هذا لم يَكُنْ يَكثرُث إلَّا للجانبِ الأدبي من الرسائل، وذلك لِيَنسَجِ المُتأخِّرون على مِنوالها¹⁰. ورغم ذلك فإنَّنا ندين

⁶ النَّدِيم: الفهرست، 2: 416-417؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 176.

⁷ M. VAN DAMME: *Les Quarante-Deux premieres lettres du Secretaire Buyide Abu Ishaq Al-Sabie leure repartition dans quelques Autres MS. Arabica*, tome XXI, 1974. pp 184-186. وعن الأهمية التاريخية

لِلرَّسائل انظر: شَاكر مصطفى: التاريخ العربي والمُؤرخون، 60-61؛ حسن مُنيمة: تاريخ الدولة البويهيَّة، 33. جان سُوفاجيَّة؛ كلُّود كاين: مصادر دراسة التَّاريخ الإسلامي، 217؛ كارل بُروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 2: 120؛ كلُّود كاين: بُنُو بُوِيَّة، 8: 476.

⁸ المَهْمَذاني: تَكْمِلَةُ تاريخ الطَّبْرِي، 438.

⁹ الذَّهَبِي: تاريخ الإسلام، 26: 5.

¹⁰ القَلْقَشْنَدِي: مآثر الإِثْناءة في معالم الخِلافة، تحقيق عبد الستَّار أحمد فَرَّاج، بيروت 1980، 3: 12-151-158-170-175-212-254-284.

لافتيات المصادر المطوّلة من رسائل الصّابيّ، إذ إنّ بعض تلك الرسائل قد فقدت في المخطوطات التي وصلتنا من ديوان الرسائل وخاصة القسم الخاص باليهود¹¹.

والتأمل في رسائل الصّابيّ يلحظ أنّ الرّجل يتمتّع بحسّ فلسفيّ راق، وعمق في الأفكار، وحكمة عميل ولعه بدراسة الفلسفة على صقلها، فالمسألة إذن ليست جزالة في الألفاظ وفخامة في التعبير فحسب، بل فكرة أو حكمة تُصاغ بأسلوب أدبيّ رفيع، ولعلّ تلك الحكمة المستترة في عباراته هي ما جعلت طالبي الأدب واللغة شغوفين بمطالعة كتاباته، من ذلك قوله في رسالة تعزية أرسلها إلى الوزير أبي الفتح بن العيميد وزير رُكن الدولة في وفاة والده الوزير أبي الفضل بن العيميد¹²:

«لكنّه [أي الإنسان] يتنقّل في هذه المراتب مُكرّها لا طائعا، ومُجبرّا لا مُختارّا، فمن ذلك أنه يستقرّ في الرّحم استقرار الموافقة، ويستوطنُ استيطان الملاءمة، فلو كان هناك عقل مع الحسّ لكره النّقلة عن موضعه؛ لظنّه أنّه أوطأ مواضعه، ولجهله بالأمر الذي فوقه، وهذه صورته في دُنياء، تُريه البصريّة أنها خير مواطنه فيفارقها صنيئا بها، مُتأسفا عليها، وهو إذا حصل في التي بعدّها حمد الله على ما صار إليه، ولم يُحبّ العود إلى ما كان فيه».

ومن ضمن ما يُلفتُ النَّظر في أسلوب الصّابيّ الأدبي معرفته المُمتازة بالقرآن الكريم، وكثرة استشهاده بآياته، ونسجه على مُنواله، وهي ظاهرة لفتت أنظار مُعاصريه، خاصّة وأنّ

¹¹ ثمة رسائل انتخبها بعض الكتّاب لا وجود لها في المخطوطات التي وصلتنا للرسائل، انظر على سبيل المثال: - الخطيب البغدادي: التّفصيل وحكايات الطّفيّلين وأخبارهم ونوادير كلامهم وأشعارهم، القاهرة 1983، 76.

¹² رسائل أبي إسحاق الصّابيّ، نسخة مكتبة الجامع الأزهر، ورقة 30.

الرجُل كان ذِمِّيًّا¹³. وبرغم كل ما قد يُقال عن بلاغة الرَّجُل، ومهارته في صياغة عباراته واختيار ألفاظه، فإنَّ هناك سَمَةً سَلِيَّةً تُلحَظ بِسُهُولة في أُسْلُوب الصَّابِي في النَّثر، فهُنَاكَ نَزْعَةٌ ملحُوظة إلى السَّجْع والتَّقْفِيَّة، يحرص عليها الرَّجُل، حتى لو أدَّى ذلك إلى تَكَرُّار المَعْنَى، وهذه السَّمة مُتَفَشِيَّة في رِسَالته ومثُوراته، من ذلك قَوْلُهُ في رِسَالَةِ اسْتِيعَابِ مِنْهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بن إبراهيم عامِل البَصْرَةِ:-

«ولكنَّ اجْتِمَاعَ مُتَفَرِّقَاتٍ مِنْ جِهَتِكَ يَا سَيِّدِي - كانت
تَسْهُلُ مِنْ غَيْرِكَ - حَرَّكَني هذه المَخَاطَبَةُ، وحَمَلَنِي عَلَى المَعَابَةِ،
وقد كانت مَغْمُورَةً في مواهِبِ الله بك عِنْدِي، مَغْفُورَةٌ في
جَنِبِ قَدِيمِ بَرِّكَ بِي، غَيْرِ مَوْجُودَةٍ في حُسْبَانِي، وَلَا دَاخِلَةٍ في
حُسَابِي، فَاصْطَرَنِي الإِفْلَاسُ - وَقَتِي هَذَا - مِنْ كُلِّ مَا يَرْفَعُ
طَرَفًا، أَوْ يُبَلِّ قَلْبًا، إِلَى التَّفَتِيشِ عَلَيْهَا، وَسُلُوكِ طَرِيقِ الْيَهُودِيِّ
فِي نَظَرِهِ فِي دَوَائِينِ الْعِتَقِ، حَتَّى آثَرْتَهَا، وَمَا أَهْوَنَ أَذَاهَا إِنْ
نَضَضْتَ، وَأَذْهَبَ مِنْ هَمِّي إِنْ اسْتَأْنَفْتَ».

وكانت هذه السَّمة الواضحة مدعاةً لِنَقْدٍ وَجَّهَ ضِيَاءُ الدِّينِ ابْنِ الْأَثِيرِ لِأَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي بِسَبَبِ وَلَعِهِ بِالسَّجْعِ والتَّقْفِيَّة، واضطناعه ذلك حتى لو أدَّى إلى تَكَرُّارِ المَعَانِي، لكنه لم يَسْعَ إِلَّا لِإِشَادَةِ بِهِ، وبأنَّه لم يقصد الوضع من مَترَئِته، وكيف يعييه وهو إمام ذلك الفنِّ، والواحد فيه - على حدِّ تَغْيِيرِهِ¹⁴. لكن ابن خلدون ردَّ ابن الأثير وألتمس العُذرَ لِأَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي في إِسْرَافِهِ في السَّجْعِ والتَّقْفِيَّة، وبرَّرَ اضْطِرَّارَهُ لذلك بأنَّ أَبَا إِسْحَاقِ قَدْ أُلْزِمَ ذلك

¹³ صُبْحُ الْأَعْيَى، 1: 195؛ حسين بيّوض: فضل الكتابة وصلتها بالسياسة، مقال منشور ضمن كتاب أبحاث عربية، والمُهدى إلى المُستشرق فولفديريتش فيشر بمناسبة بلوغه الخامسة والسِّتين، تحرير إسماعيل الأثوبي، بيروت 1994، 303.

¹⁴ ضِيَاءُ الدِّينِ ابْنِ الْأَثِيرِ: المَثَلُ السَّائِرُ فِي أدبِ الكَاتِبِ والشَّاعِرِ، تحقيق أحمد الحُثُونِي، بدوي طبانة، القاهرة د.ت. 1: 217-218، 254.

بسبب غلبة العُجْمة على ملوك بني بويه، واستساعتهم السَّجْع في العريَّة¹⁵. وقد يكون ابن خلدون مُحَقِّقاً بعض الشيء في اعتقاده هذا، لكن المسألة - في اعتقادي - أن الرَّجل كان يتماشى بصنَّاعته مع موجة ذوق عام تَفَشَّت في عصره، وهو نظم النَّثر على مِثَال الشَّعر، وهو أسلوب عام تميَّز به فنُّ النَّثر في القرن الرَّابِع الهجري¹⁶.

ولكن بالمُجمل ظلَّ أبو إسحاق محلَّ تقدير الأدباء والكتَّاب والمؤرِّخين حتَّى أن ابن فضل الله العمري وصفه بأنه في فنِّ النَّثر بمنزلة امرئ القيس في الشُّعراء، فهو إمام القوم وحامل لوائهم¹⁷، وقال عنه الوزير أبو الفضل بن العميد «إنَّ الكتابة تدَّعيه بأكثر ممَّا يدَّعيها، والبلاغة تتحلَّى به بأكثر ممَّا يتحلَّى هو بها»¹⁸. وقَرَّظه الثَّعالبي بقوله: «أوحَدُ العراق في البلاغة، ومن به تُنثي الحناصِر في الكتابة، وتُنْفَق له الشَّهادات له ببلوغ الغاية في البراعة والصَّناعة»¹⁹. وقال الوزير الصَّاحب بن عبَّاد عنه «ما بقي لي أملٌ إلا أنِّي أدخُلَ العراق، وأستَكْتَبُ أبا إسحاق الصَّابئ»²⁰.

وقد ذَكَر أبو حيَّان التَّوحيدي أنَّ لأبي إسحاق رسالة في تفضيل النَّثر والنَّظم²¹، لكن هذا الخبر لم يُؤكَّد من قِبَل مَصْدَرٍ آخر، ولعلَّ التَّوحيدي كان يُشير إلى رسالة «الفرق بين الشَّاعر والمترسِّل»، والتي نُسبت على سبيل الخطأ لأبي سعيد سنان بن ثابت²². ولأبي إسحاق

¹⁵ ابن خلدون: العبر، 1: 803.

¹⁶ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، القسم الخاص بالمعصر العبَّاسي الثاني، 560.

¹⁷ ابن فضل الله العمري: مسالك الأَبصار، 12: 9.

¹⁸ التَّوحيدي: أخلاق الوزراء، 414-415.

¹⁹ الثَّعالبي: يتيمة الدهر، 2: 233.

²⁰ الصَّفندي: الوافي بالوفيات، 6: 103.

²¹ التَّوحيدي: المُقابسات، 261.

²² ابن أبي أصيبعة: عيُون الأتباء، 304.

أَيْضًا فِي مَجَالِ التَّرْسُلِ وَكِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ كِتَابٌ دَعَاهُ بِـ«الْإِخْوَانِيَّاتِ وَالسُّلْطَانِيَّاتِ»²³، نُسِبَ أَيْضًا بِطَرِيقِ الْخَطِّ لِسِنَانِ بْنِ ثَابِتٍ²⁴.

وَمِنْ رُؤُودِ فَنِ الثَّرِّ وَكِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ مِنَ الصَّابِئَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ أَبُو الْخَطَّابِ الْمُفَضَّلُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِي، وَقَدْ خَلَفَ ابْنُ عَمِّهِ عَلَى رِثَاةِ دِيوَانَ الْإِنْشَاءِ لَعَدَّةِ سَنَوَاتٍ عِنْدَمَا تَوَلَّى أَبُو إِسْحَاقَ إِمَارَةَ الْبَصْرَةِ وَأَعْمَالَهَا²⁵، كَمَا اسْتَكْتَبَهُ الْوَزِيرُ الْمُهَلَّبِيُّ عِنْدَمَا اسْتَخْلَفَ أَبَا إِسْحَاقَ لِيُنُوبَ عَنْهُ فِي الْوِزَارَةِ²⁶، وَعَلَى الْأَرْجَحِ جَمَعَ أَبُو الْخَطَّابِ مَجْمُوعَ رِسَائِلِهِ أَوْ مُقْتَطَعَاتِ مِنْهَا فِي كِتَابٍ، وَرَبَّمَا كَانَ هَذَا مَا يُبَرَّرُ الْاِقْتِبَاسَاتِ الْمُطَوَّلَةَ لِلْقَلْقَشَنْدِيِّ مِنْ رِسَائِلِهِ²⁷. لَكِنَّهُ بَلَا شَكٍّ لَمْ يَبْلُغْ مَهَارَةَ ابْنِ عَمِّهِ الْأَدَبِيَّةِ، وَلَا ذَوْقَهُ الرَّفِيعِ فِي اخْتِيَارِ الْأَفَاطِهِ.

وَمِنَ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي وَابْنِ عَمِّهِ الْمُفَضَّلِ، وَالَّتِي لَمْ تَكُنْ تَتَّسِمُ بِالْوُدِّ قَدْ أَثَرَتْ الْحَيَاةَ الْأَدَبِيَّةَ فِي عَصْرِهِمَا، فَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي يَمِيلُ لِلشَّاعِرَانِ الْمَعْرُوفَيْنِ بِالْخَالِدَيْنِ، وَيَصِلُهُمَا وَيُعَادِي مِنْ يُعَادِيهِمَا، كَانَ الْمُفَضَّلُ يَدْعِمُ عَدُوَّهُمَا اللَّدُودَ السَّرِيَّ الرَّفَاءَ وَيَصِلُهُ بِالْجَلْعِ وَالْهَدَايَا، وَكَانَ كُلًّا مِنْهُمَا يَسْتَحِثُّ صَاحِبَهُ عَلَى مَذْجِهِ أَوْ هِجَاءِ الْآخَرِ، مِمَّا أَثَرَى الْحَيَاةَ الْأَدَبِيَّةَ آنَ ذَاكَ²⁸.

وَمَنْ كَتَبَ فِي أَصُولِ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ قُرَّةَ الَّذِي أَلَفَ كِتَابًا جَعَلَهُ رِسَالَةً إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْكُتَّابِ²⁹. كَمَا صَنَّفَ الْبَتَّانِيُّ الْقَلَكِيُّ رِسَالَةً أَدَبِيَّةَ بِعُتْوَانِ «دَوْرَةُ الْعُمَرِ فِي

²³ ابْنُ الصَّبْرِ فِي: الْقَائِنُونَ فِي دِيوَانِ الرِّسَائِلِ، تَحْقِيقُ أَيْمَنُ فُؤَادِ سَيِّدٍ، الْقَاهِرَةُ 1990، 24.

²⁴ ابْنُ أَبِي أُصَيْعَةَ: الْمُسَدَّرُ نَفْسَهُ، 304.

²⁵ رَاجِعِ الْفَضْلَ الثَّامِنَ.

²⁶ التَّرْحِيدِي: الْإِمْتِنَاعُ وَالْمُؤَانَسَةُ، 3: 213.

²⁷ صُبْحُ الْأَعَشَى، 2: 442، 9: 127-128.

²⁸ انْظُرْ رِسَائِلَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي: نُسْخَةُ تَشْيِيسَرِ بَيْتِي، وَرَقَةٌ 77 ظ وَمَا يَلِيهَا، قَارَنَ: - الصَّفْدِي: الْوَاقِي، 15:

87-88.

²⁹ الْمُسْعُودِي: مَرْوَجُ الذَّهَبِ، 1: 11-12.

الجَارِ السُّوءِ، والوَلَدُ العَاقِ، وَالْمَرْأَةُ السَّيِّئَةُ الْأَخْلَاقِ»³⁰. وكان هِلَالُ بنِ الْمُحَسَّنِ الصَّابِي أحدَ رَوَادِ فنِّ النَثْرِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ أَيْضًا يُقَاسُ بِجَدِّهِ، وَكَانَ يَدْرُسُ عَلَى اللُّغَوِيِّينَ وَيُخَضِّرُ بِمَجَالِسِهِمْ قَبْلَ إِسْلَامِهِ³¹، وَيُفْهَمُ مِمَّا ذَكَرَهُ هُوَ نَفْسَهُ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ وَهُوَ شَابٌّ يَافِعٌ مَعَ جَدِّهِ لِيُسَاعِدَهُ فِي إِدَارَةِ الدُّيُونِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ لَهُ أَيَّامَ تَوَلَّى أَبِي إِسْحَاقَ لِلدُّيُونِ فِي عَهْدِ صِمْصَمِ الدَّوْلَةِ³².

وَلَهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَجْمُوعِ رِسَائِلِهِ - الَّتِي فَقَدَتْ لِسُوءِ الْحِظِّ - كِتَابُ «غُرَرِ الْبَلَاغَةِ»، قَصَدَ مِنْهُ وَضَعَ عَدِيدَ مِنَ النَّمَاذِجِ الْجَاهِزَةِ لِكِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ لِلنَّسْجِ عَلَى مُتَوَالِفِهَا، خَاصَّةً فِي رِسَائِلِ السُّلْطَانِيَّاتِ وَالْإِخْوَانِيَّاتِ، وَالتَّعَازِي وَالتَّهَانِي، وَغَيْرَهَا مِنْ فُنُونِ وَضُرُوبِ كِتَابَةِ النَثْرِ³³، عَلَى أَنَّ أَهَمَّ مَا فِي كِتَابِهِ مِنَ الْوِجْهِهِ التَّأْرِخِيَّةِ رِسَالَةٌ فِي وَصْفِ الْحَرْبِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ مُشْرِفِ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ أَحَدِ الثُّوَرِ وَالْحَارَجِينَ عَلَيْهِ، وَبِهَا وَضُفَّ تَفْصِيلِيٌّ لِلْمَعْرَكَةِ الَّتِي جَرَتْ بِوَأَسْطِ سَنَةِ 411هـ/ 1020م³⁴، وَهِيَ مُضَدَّرٌ لَا غِنَى عَنْهُ لِلْمُهْتَمِّينَ بِتَطَوُّرِ الْجَيْشِ فِي الْعَصْرِ الْبُؤْيُوبِيِّ وَكَذَا تَطَوُّرِ التَّكْنِيكَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ بِالْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ بِصِفَةِ عَامَّةٍ.

الشعر

مَنْ قَرَضَ الشَّعْرَ مِنَ الصَّابِئَةِ رَوْحُ بنِ سِنَانِ الْحَرَائِي الشَّاعِرِ³⁵، وَلَا نَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا سِوَى اسْمِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَجْتَمِعُ بِالْبَصْرَةِ مَعَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ وَالْأَدَبَاءِ بِالْبَصْرَةِ كَالْحَلِيلِ بنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِي، وَالسَّيِّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الْجَمِيرِي الشَّاعِرِ، وَصَالِحِ بنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ، وَبِشَّارِ بنِ بُرْدٍ،

³⁰ البيهقي: تاريخ حُكَمَاءِ الْإِسْلَامِ، 15-16.

³¹ ابن الأثيري: نزعة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1998، 303.

³² هِلَالُ بنِ الْمُحَسَّنِ الصَّابِي: تحفة الأمراء، 170.

³³ القلقشندي: مآثر الإنافة، 2: 262.

³⁴ هِلَالُ بنِ الْمُحَسَّنِ الصَّابِي: غُرَرِ الْبَلَاغَةِ، تحقيق محمد الديباجي، الدار البيضاء 1988، 401-420.

³⁵ ابن الجوزي: المُتَظَّم، 8: 82-83؛ ابن تغري بَرْدِي: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ، 1: 432.

وحَمَّادُ عَجْرَدَ، وابنُ رَأْسِ الْجَالُوتِ الْيَهُودِي الشَّاعِرُ، وابنُ نَظِيرِ النَّضْرَانِي، وعُمَرُ ابنِ أُخْتِ الْمُؤَيَّدِ.³⁶

كما نَعْرِفُ أَنَّ ثَابِتَ بنَ قُرَّةَ كانَ يَقْرُضُ الشُّعْرَ، بَلْ وَأَلَّفَ رِسَالَةَ فِي «الْعَرُوضِ»³⁷، وَمِنْ أَشْهُرِ مَنْ أَجَادَ قَرْضَ الشُّعْرِ مِنَ الصَّابَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيَّ³⁸، وَكَانَ شَاعِرًا مُحْسِنًا³⁹، وَلَهُ دِيوانُ شِعْرِهِ⁴⁰ وَالَّذِي فَقَدَ لِلْأَسَفِ، وَلَمْ يَضْلُنَا مِنْهُ سِوَى مَا نَقَلْتَهُ الْمَصَادِرُ مِنْهُ، أَغْلَبَهَا عِنْدَ الثُّعَالِبِيِّ فِي بَيْتَةِ الدَّهْرِ، وَتَفَرَّقَ مِنْهُ نَتْفٌ فِي كِتَابِ الْفَخْرِيِّ لابْنِ الطُّقْطُقَيْ، وَالْمُنْتَظَمَ لابْنِ الْجَوَازِيِّ، كَمَا تُوجَدُ مِنْهُ أَجْزَاءٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَرَدَتْ فِي مُحَاضَرَاتِ الرَّاعِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ، وَزَهْرِ الْأَدَابِ لِلْحَضَرِيِّ، وَبَهْجَةِ الْمَجَالِسِ لابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، وَفِي إِرْشَادِ الْأَدِيبِ لِيَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ لِلنُّوَيْرِيِّ، وَكَثَرِ الدُّرَرِ لِلدَّوَادَارِيِّ، وَرِسَائِلِهِ إِلَى الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى دِيوانِ رِسَائِلِهِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ. وَمَنْ قَرَضَ الشُّعْرَ أَيْضًا مِنَ الْأَدْبَاءِ الصَّابَةِ وَأَجَادَ فِيهِ هِلَالُ بنِ الْمُحْسَنِ الصَّابِيَّ، وَكَانَتْ مَرِثَتُهُ الَّتِي رَثَى بِهَا الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ مِنْ أُبْرَزِ إِبْدَاعَاتِهِ الشُّعْرِيَّةِ⁴¹.

وَمِنْ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ الْمَوْسِيقَى لَمْ تَحْظَ بِشَكْلِ عَامٍ بِاهْتِمَامِ الصَّابَةِ، قِيَاسًا بِغَيْرِهَا مِنَ الْمِيَادِينِ الْفَنِيَّةِ الَّتِي شَهِدَتْ زَخْمًا لِإِبْدَاعَاتِهِمْ، لَكِنْ هَذَا الْفَنَ اسْتَهْوَى ثَابِتَ بنَ قُرَّةَ، فَصَنَّفَ فِيهِ، وَلَهُ فِي هَذَا الصَّدَدِ كِتَابٌ فِي «الْمَوْسِيقَى»، وَرِسَالَةٌ إِلَى عَلِيِّ بنِ يَحْيَى الْمُنْجَمِ فِيهَا أَمْرٌ بِإثْبَاتِهِ مِنْ أَبْوَابِ

³⁶ ابنُ تَغْرِي بَرْدِي: الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 2: 37.

³⁷ ابنُ أَبِي أَصْبِيْعَةَ: عَيُونُ الْأَنْبَاءِ، 299.

³⁸ ابنُ خُلُكَّانَ: وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، 1: 52-53.

³⁹ ياقُوتُ الْحَمَوِيِّ: مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، 1: 132.

⁴⁰ التَّنْذِيمُ: الْفَهْرَسْتُ، 2: 416؛ وَهَنَّاكَ مَجْمُوعَةٌ مِنْ أَشْعَارِ الصَّابِي حَوَاهَا دِيوانُ أَبِي الْفَرَجِ الْبَيْغَاءِ، وَنَشَرَهَا ف.

وَوَلَفَ عَامَ 1834 تَحْتَ عُنْوَانِ: -، Edited by Ph. WOLFF, *Carminum Abul-Faragii Babaghah specimen*, Lipsia, 1834.

وَانْظُرْ أَيْضًا مَجْمُوعَةً مِنَ الْآيَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الْمُتَبَادِلَةِ بَيْنَ الصَّابِي وَبَيْنِ أَبِي الْفَرَجِ الْبَيْغَاءِ عِنْدَ:-

ابْنُ عَسَاكَرٍ: تَارِيخُ دِمَشْقَ، تَحْقِيقُ مُجِبِ الدِّينِ الْعَمْرَوِيِّ، بَيْرُوتَ 1995، 37: 283.

⁴¹ الْفَيْفُطِيُّ: إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ، 262.

عِلْمِ الْمَوْسِيقَى»، و«رِسَالَة إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ فِي جَوَابِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ مِنْ أُمُورِ الْمَوْسِيقَى»، و«رِسَالَة فِي آلَةِ الزَّمَرِ»⁴².

الترجمة

لِعِبِّ الْعُلَمَاءِ الصَّابِئَةِ دَوْرًا بَارِزًا فِي حَرَكَةِ التَّرْجَمَةِ الَّتِي أَزْدَهَرَتْ بِصِفَةِ عَامَّةٍ خِلَالَ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَمِنْ أَشْهُرِ الْمُتَرْجِمِينَ الَّذِينَ لَعِبُوا دَوْرًا مَحُورِيًّا فِي حَرَكَةِ التَّرْجَمَةِ مِنَ الْيُونَانِيَّةِ وَالسُّرْيَانِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ⁴³. وَقَدْ كَانَتْ مَهَارَتُهُ بِالْيُونَانِيَّةِ وَالسُّرْيَانِيَّةِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّذِي قَادَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى تِلْكَ الشُّهُرَةِ الَّتِي أَحْرَزَهَا⁴⁴، فَقَدْ أَهْلَتْهُ إِجَادَتُهُ لِلْعَتَنِ أَنْ يَغْمَلَ عِنْدَ آلِ الْمُنْجَمِ إِلَى جَانِبِ حُنَيْنِ بْنِ إِسْحَاقَ وَحُبَيْشِ بْنِ الْحَسَنِ، وَكَانَتْ أَرْزَاقُهُمُ الشَّهْرِيَّةُ تَتَعَدَّى الْحُمُسَاهُ دِينَار⁴⁵، وَهُوَ مِبْلَغٌ كَبِيرٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَقَائِيسِ ذَلِكَ الْعَصْرِ.

بَرَزَ اسْمُ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ كَأَحَدِ أَعْلَامِ التَّرْجَمَةِ فِي وَقْتٍ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ لغير الْمُتَخَصِّصِينَ تَرْجَمَةَ أَعْمَالٍ شَدِيدَةِ التَّعْقِيدِ وَغَنِيَّةٍ بِالْمُصْطَلَحَاتِ فِي الْفَلَسَفَةِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِّ مَا لَمْ يَكُنِ الْمُتَرْجِمُ نَفْسَهُ مُتَخَصِّصًا فِي تِلْكَ الْعُلُومِ، وَعَلَى دَرَايَةِ وَاسِعَةٍ بِنَظَرِيَّاتِهَا وَمُصْطَلَحَاتِهَا، وَفِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ ثَابِتَ بْنَ قُرَّةَ كَانَ أَحَدَ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ أَلْمُوا إِلَى دَرَجَةِ التَّخَصُّصِ بِالْعُلُومِ آنَفَةَ

⁴² ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 300.

⁴³ جوستاف فون جرونباوم: حضارة الإسلام، نقله إلى العربية عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة 1997، 77؛ ومن الغريب أن يُفَرَّدَ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ الْمَصْرِئِينَ دَرَاةً كَامِلَةً عَنِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَرَكَةِ النُّقْلِ وَالتَّرْجَمَةِ، وَلَا يُشِيرُ خِلَالَهَا إِلَى ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بَيْنَمَا يَتَنَاقَلُ بِالدَّرَاسَةِ دُورَ وَلَدِهِ سَيَّانِ بْنِ ثَابِتٍ؟!، وَلَبِئْسَ مَعَ هَذَا يَذْكُرُ اسْمَهُ بِشَكْلِ سَلِيمٍ بَلْ يَرِدُ عَنْهُ هَكَذَا «حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ؟!»: انظر: عصام الدين محمد علي: بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة، الإسكندرية 1986، 62.

⁴⁴ AHMED Y. HASSAN; DONALD R. HILL: *Islamic technology, an illustrated history*, Cambridge

university press, 1986, p 10.

⁴⁵ النَّدِيمُ الْفَهْرَسْتُ، 2: 143؛ الْفَيْفُطِيُّ: إِبْخَارُ الْعُلَمَاءِ، 24؛ بَابُو إِسْحَاقَ: أَخْوَالُ النَّصَّارَى، 148.

الذكر⁴⁶؛ حتى وُصِفَ بأنه واحدٌ ضمن أربعة من حُذَاق الترجمة في الإسلام، وهم بالإضافة إليه: حُثَيْن بن إِسْحَاق، ويعقوب بن إِسْحَاق الكِنْدِي، وعُمر بن الفَرخَان الطَّبْرِي⁴⁷.

ترقى ثابت في سلك الترجمة حتى صار من رؤساء المترجمين، فكان يقوم هو وحُثَيْن بن إِسْحَاق بمراجعة وإعادة صياغة أعمال المترجمين، خاصة الذين لا يتمتعون بطلاقة اللسان والبلاغة في العربية⁴⁸، أو ما كان يُسمَّى وقتذاك بعملية «إصلاح الترجمة» ولذلك كان البُعد عن الدقة في الترجمات العربية من أهم الانتقادات التي كانت تُوجَّه إلى مدرسة الترجمة عمومًا في عهدي ثابت بن قُرة وحُثَيْن بن إِسْحَاق، إذ كانت عملية إصلاح الترجمة أو إعادة صياغة النص كثيرًا ما تُبعد المضمون المُصلَح عن روح النص الأصلي.

ومن أشهر ما ترجمه ثابت كتاب مقالات أبولونيوس APOLLONIUS⁴⁹ في الهندسة، وقد عمل ثابت في ترجمة هذا المجموع من الرسائل مع هلال بن أبي هلال الحمصي، فترجم المقالات الثلاث الأخيرة من مجموع المقالات الثمانية التي عُثر عليها لأبولونيوس ولخصها⁵⁰، هذا بالإضافة إلى ترجمة كتابه «النسبة المحدودة» وإصلاحها⁵¹. ومن آثار أبولونيوس أيضًا ترجم ثابت إلى العربية كتابه «المخروطات»⁵².

⁴⁶ SABRA: *The scientific enterprise*, p 182.

⁴⁷ ابن أبي أصيبعة: *عيون الأنباء*، 286.

⁴⁸ مريم سلامة-كار: *الترجمة في العصر العباسي*، نقله إلى العربية نجيب غزّوي، دمشق 1998، 35.

⁴⁹ أبولونيوس الملقَّب «بالنَّجار» رياضي سَكندري، كان العرب يعتقدون خطأ أنه أقدم من إقليدس، عنه وعن آثاره انظر: - القفطي: *إخبار العلماء*، 44-45؛ صاعد الأندلسي: *طبقات الأمم*، 28.

⁵⁰ القفطي: *إخبار العلماء*، 45؛ سيجريد هُونَكه: *شمس العرب*، 125؛ WILBUR RICHARD KNORR: *Textual*

studies in ancient and medieval geometry, Stanford university press, 1989, p 277.

⁵¹ ابن أبي أصيبعة: *عيون الأنباء*، 300.

⁵² بروكلهان: *تاريخ الأدب العربي*، 4: 172، وهناك قسبان منه وهما: الخامس والسابع محفوظين بمكتبة جامعة ليدن برقم 979، وتدلّ على أن أبناء موسى بن شاذر راجعًا ترجمة ثابت وصحَّحوها.

ومن آثار أرشيميدس ARCHIMEDES⁵³ ترجم ثابت كتابه «في الأصول الهندسية»⁵⁴، ونقله خصيصًا لأبي الحسن علي بن يحيى مولى أمير المؤمنين المعتضد كما نفهم مما جاء على غلافه⁵⁵، كما ترجم أيضًا كتابه «الأمخوذات»⁵⁶، ونقل إلى العربية أيضًا كتاب «أصول الهندسة» لمينالائوس MENELAUS⁵⁷.

ونقل ثابت إلى العربية أيضًا بعض آثار إقليدس EUCLIDES⁵⁸ في الهندسة إلى العربية ككتاب «أصول الهندسة»⁵⁹، وكتاب «الأزكان في الهندسة»⁶⁰، وكتاب «الكرة والاسطوانات»، وكتاب «المعطيات»⁶¹، كما أعاد تهذيب كتاب «الأصول» لإقليدس مُعتمدًا على ترجمة حنين بن إسحاق⁶²، بالإضافة إلى كتاب «عمل الدوائر المرسومة بسننق أقسام متساوية»⁶³.

⁵³ أرشيميدس ت 212 ق.م رياضي إغريقي، صاحب نظرية الطفو الشهيرة، عنه انظر: - القفطي: إخبار العلماء، 47؛ التديم: الفهرست، 2: 210-211.

⁵⁴ عُثر عليه ضمن مجموعة المخطوطات الرياضية الفريدة لثابت بن قرة في مجموعة «بانكي بور» ونشر باعثناء دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن 1947.

⁵⁵ نُشر أيضًا ضمن النشرة المذكورة بعاليه.

⁵⁶ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 170.

⁵⁷ التديم: الفهرست، 2: 214، ومينالائوس رياضي سَكندري عاش بين ستي 70-140م، عنه انظر: القفطي: إخبار العلماء، 211.

⁵⁸ إقليدس فيلسوف رياضي إغريقي عاصر سُقراط وعرف بولائه له ولمذهبه، ولُقّب بالسُقراطي الصغير على اعتبار أن أفلاطون هو السُقراطي الكبير، يُوسَف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، 277-278.

⁵⁹ التديم: المصدر نفسه، 2: 214.

⁶⁰ ابن خلدون: العبر، 1: 639.

⁶¹ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 171.

⁶² ابن خلكان: وفيات الأعيان، 5: 217.

⁶³ بروكلمان: المرجع نفسه، 4: 171.

وضمن ما ترجمه ثابت بن قرة لأرسطو طاليس ARISTOTELES⁶⁴ كتابه «الكلام على بارمينيئاس [الدال والمدلول]»⁶⁵، كما عرّب ثابت كتاب «المقالة الأولى» لأرسطو طاليس في الفلسفة وزاد عليها وشرّحها⁶⁶. بالإضافة إلى كتابه «في بعض مقالات أرسطو طاليس في كتابه «ما بعد الطبيعة» مما جرى الأمر فيه على ساقه البرهان»⁶⁷، ومما ترجمه ثابت أيضًا ونقله إلى العربية كتاب أنافروديطوس ATHAFRODITUS في تفسير كلام أرسطو طاليس في «الهالة وقوس قزح»⁶⁸.

أما بالنسبة لآثار الرياضي الإغريقي أوتولوقوس AUTOLYCUS⁶⁹ فمن ضمن ما ترجم ثابت له كتابه «الكرة المتحركة»، وكتاب «الطلوعات والغروبات»⁷⁰، كما ترجم ثابت كتاب «حكاية ما استخرجه القدماء من خطين بين خطين حتى تتوالى الأربعة متناصفة»⁷¹. ومن آثار إسيفلاوس HYPsikLES انتخب ثابت للنقل إلى العربية كتاب «المطالع»⁷²، وفي

⁶⁴ أرسطو طاليس: فيلسوف وحكيم إغريقي ولد في مدينة اسطاغيرا على بحر إيجه عام 385 ق.م. تلمذ على يد أفلاطون، وبقي تلميذًا بأكاديميته إلى حين وفاة الأخير، وكان أفلاطون يُجمله ويسميه «العقل»، ورغم ذلك فقد كان معروفًا عنه مُناوئته لكثير من آراء أفلاطون، عنه وعن حياته ومدرسته الفلسفية راجع: صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، 24؛ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، 141 وما بعدها.

⁶⁵ القفطي: إخبار العلماء، 27.

⁶⁶ القفطي: المصدر نفسه، 29.

⁶⁷ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 172-716، DAVID C. RIESMAN; AMOS BERTOLACCI: *Thabit*.

Ibn Qurra's Consise exposition of Aristotel's Metaphysics, Text translation and commentary, in

THABIT IBN QURRA: *Science and Philosophy*, op. cit, p 716، وتدل النسخة الوحيدة التي بقيت منه أن

ثابت قام بجمعها بأمر من الوزير أبي القاسم بن عبيد الله أو قام بإهداءه له.

⁶⁸ النديم: الفهرست، 2: 178.

⁶⁹ أوتولوقوس: فيلسوف إغريقي عاش بين ستي 360-290 ق.م، عنه انظر: القفطي: إخبار الحكماء، 53؛

النديم: الفهرست، 2: 216.

⁷⁰ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 171.

⁷¹ بروكلمان: المرجع نفسه، والجزء والصفحة.

⁷² نفسه، والجزء والصفحة.

الحقيقة فهي ليست ترجمة بقدر ما هي مُراجعة لترجمة حنين بن إسحاق لهذا الكتاب وإصلاح لها.

ومن آثار بطليموس القلودي CLAUDIUS PTOLEMAEUS الجغرافي والفلكي الإغريقي الشهير⁷³ نقل ثابت إلى العربية كتاب «اقتصاص مجمل حالات الكواكب المتحيرة»، وفي الحقيقة ندين بالفضل لثابت في هذه الترجمة كون الأصل اليوناني لم يصل إلى أيدي علماء الفلك، ولم يتبق منه سوى تلك الترجمة العربية، هذا بالإضافة إلى كتاب «جوامع لما قاله بطليموس في قسمة الأرض المسكونة على البروج والكواكب»⁷⁴. كما عمل ثابت على إصلاح ترجمات غيره من المترجمين لآثر بطليموس الحالد في الفلك وهو كتاب «المجسطي»، فالنديم ينص على أن آخر إصدار عربي من كتاب «المجسطي» كان من إصلاح ثابت بن قرة، الذي أصلح إصلاح حنين بن إسحاق لترجمة هذا الكتاب، والنديم يؤكد إصلاح ثابت لأنه أجود⁷⁵.

ومن آثار الفيلسوف الإغريقي أفلاطون PLATO⁷⁶ ترجم ثابت كتاب «جوامع كتاب بارمينياس [الدال والمدلول]»، «جوامع كتاب أتالوطيقا [تخليل القياس]»، «اختصار المنطق»، «توادر محفظة من طوبيقا [الجدل]»⁷⁷.

⁷³ بطليموس الفلكي أو الجغرافي الملقب بالقلودي، صاحب كتاب المجسطي، والجغرافيا، أحد أشهر العلماء اليونانيين عند العرب، وينسبون إليه عمل أول رصد فلكي (زيج)، كما ينسبون إليه صنع أول اسطرلاب استخدم في الرصد، بالإضافة إلى العديد من آلات الرصد الأخرى، عنه انظر: - القفطي: إخبار العلماء، 67-69؛ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، 29-30.

⁷⁴ نفسه، 4: 172.

⁷⁵ النديم: الفهرست، 2: 215.

⁷⁶ أفلاطون الفيلسوف الإغريقي الشهير، ولد بأثينا عام 437 ق.م وتلمذ على يد سقراط، وتوفي في سن الثمانين قرابة عام 357 ق.م عن حياته وأعماله انظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، 75-83.

⁷⁷ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 298.

أما بالنسبة لآثار الطبيب الإغريقي العظيم جالينوس GALENUS⁷⁸ الطَّيِّبَة، فمن الملاحظ أن ثابت كان شديد الولع به وبآثاره، فقد نقل الكثير من أعماله إلى العربية، من أهمها: كتاب «جوامع جمعها ثابت بن قرة الحراني من كتب جالينوس»، ويمثل مقتطفات من كتب عدة لجالينوس، وكتاب «الكيموس [ما يتولد في البدن بفعل الغذاء من رطوبة أو حرارة]»، ومقالة واحدة من كتابه الكبير «محنة الطبيب»⁷⁹. كما ترجم أيضًا بعضًا من مقالات جالينوس في علامات الشُّحوب في كتابه «جوامع من كتاب جالينوس في الذُّبُول»⁸⁰، وكتاب «جوامع كتاب الأدوية المفردة»، «جوامع كتاب المِرَّة السوداء»، وكتاب «جوامع كتاب سوء المزاج المُختَلِف»، وكتاب «جوامع كتاب الأمراض الحادة»، وكتاب «جوامع كتاب الكثرة»، وكتاب «جوامع كتاب تشريح الرِّجَم»، وكتاب «جوامع كتاب جالينوس في المؤلَّودين لِسَبِعة أشهر»⁸¹، وكتاب «جوامع ما قاله جالينوس في كتابه في تشريف صناعة الطَّب»⁸²، وكتاب «جوامع كتاب الفُصْد»، وكتاب «جوامع تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والمياه والبلدان»، وكتاب «اختصار كتاب النبض الصَّغير»⁸².

ومنَّ عمل في الترجمة أيضًا من العلماء الصَّابئة أبو الحسن ثابت بن إبراهيم الحراني الذي نقل للعربية عدة مقالات للطبيب فيلغريوس PHORPHYRIUS⁸³، ومن المترجمين أيضًا ابن رُوح الصَّائِي الذي ترجم المقالة الأولى وبعض المقالة الثانية من كتاب السَّماع الطَّيِّعِي

⁷⁸ كلوديوس جالينوس الطَّيِّب الإغريقي الشَّهير، ولد بمدينة فرغاموس عام 130م، وتوفي بأثينا عام 200م، وعاصر الإمبراطور الروماني نيرون. عنه انظر القفطي: إخبار العلماء، 85-92؛ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، 28.

⁷⁹ النَّدِيم: الفهرست، 2: 280.

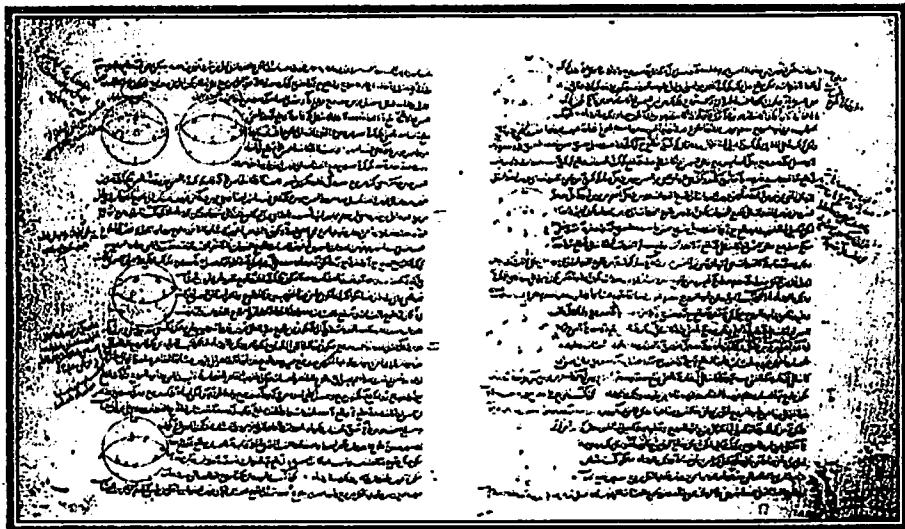
⁸⁰ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 173.

⁸¹ عُثْر عليه ونُشر باعتناء أورسولا فيبر U. WEISSER في: مجلة تاريخ العلوم العربية، مج7، ع1-2، 1983.

⁸² بروكلمان: المرجع نفسه، نفس الجزء والصفحة.

⁸³ طبيب إغريقي عاصر الإمبراطور دقلديانوس، انظر: - حواشي أيمن فؤاد سيد على كتاب الفهرست للنَّدِيم،

للإنسكندر الأفروديسي ⁸⁴ ALEXANDER APHRODISIAS، وقام يحيى بن عدي النضاري بإصلاح تلك الترجمة ⁸⁵. كما قام ريسان بن ثابت بإصلاح ترجمة والده لكتاب «الأصول الهندسية» لإقليدس EUCLEIDES، وزاد على الترجمة بشرُوح وافية لمُحتواه، كما قام أبو إسحاق الصّائبي بإصلاح ترجمة أبي سهل الكوهي لكتاب أرسيميدس في المثلثات ⁸⁶.



الورقة الثالثة من مخطوط كتاب أوتولوجوس في تحرير الطلوعات والغروبات من ترجمة ثابت بن قرة (نسخة مكتبة

أحمد الثالث).

⁸⁴ فيلسوف يوناني عاصر البطالة في مصر، عنه وعن أعماله انظر: - القفطي: إخبار العلماء، 40-41.

⁸⁵ التديم: المصدر نفسه، 2: 283، القفطي: المصدر نفسه، 29.

⁸⁶ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 304. وهو ينسب ذلك العمل على سبيل الخطأ إلى ريسان بن ثابت.

الفصل

الرابع عشر

14

أثر الصابئة

في المذاهب والفرق

«ومنهم [أي العلماء] من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بجرّان، واستدلّ على ذلك بأنّ حرّان قرّط - داعية الباطنية بعد ميّتون به ديصان - كان من الصابئة المرائية، واستدلّ أيضاً بأنّ صابئة حرّان يكتمون أدیانهم ولا يُظهرونها إلّا لسه كان بينهم، والباطنية أيضاً لا يُظهرون دينهم إلّا لسه كان منهم بعد إحلّافهم إيّاه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم».

عبد القاهر البغدادي

نادرًا ما سَلَطَ الْبَاحِثُونَ فِي تَارِيخِ الْمَذَاهِبِ وَالْحَرَكَاتِ الدِّينِيَّةِ الضُّوءَ عَلَى أَثَرِ الصَّابِنَةِ فِي الْحَيَاةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْمَذْهَبِيَّةِ فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ إقْرَارِهِمْ بِوُجُودِ مُؤَثَّرَاتٍ ذَاتِ طَبِيعَةٍ غَنُوصِيَّةٍ لَا شَكَّ فِيهَا، تَسَلَّلَتْ فِي ظُرُوفٍ مُخْتَلِفَةٍ إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْمَذَاهِبِ وَالْحَرَكَاتِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي حَادَتْ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ¹، سِوَاءِ تِلْكَ الَّتِي انْتَسَبَتْ مِنْهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، أَوْ غَيْرِهَا مِمَّا صَنَفَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي إِطَارِ الْوَصْفِ الْعَامِ بِالزُّنْدَقَةِ².

¹ الجدير بالذكر أن الْبَاحِثِينَ لَمْ يَتَّفَقُوا فِيهِمْ بَعْدَ عَلَى تَعْرِيفٍ مُعَدَّدٍ لِلْغَنُوصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَفَاوَتَتْ نَظَرُهُمْ إِلَى مَا اعْتَبَرُوهُ غَنُوصِيًّا دَخِيلًا عَلَى الْإِسْلَامِ، فَقَدْ كَانَ إِرْنِسْتُ بَلُوِيْشْتِ أَوَّلَ مُنْتَشِرٍ يَسْتَخْدِمُ مُصْطَلَحَ «الْغَنُوصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» فِي دِرَاسَتِهِ الْمَعْنُونَةِ بِـ«دِرَاسَاتٍ حَوْلَ الْغَنُوصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ»، وَلَمْ يَكُنْ يَعْْنِي بِهَا سِوَى اسْتِمْرَارِ بَعْضِ التَّيَّارَاتِ ذَاتِ الطَّبِيعَةِ الْحَرَمِيَّةِ فِي بَعْضِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَمَّا جُولْدَتْسِيْهَرُ فَلَمْ يَعْْنِ بِالْغَنُوصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي دِرَاسَتِهِ: «عُنَاصِرُ أَفْلَاطُونِيَّةٍ مُخَدَّنَةٍ وَغَنُوصِيَّةٍ فِي الْحَدِيثِ» أَكْثَرَ مِنْ وَجُودِ بَضْعٍ أَحَادِيثِ نَبَوِيَّةٍ وَقُدْسِيَّةٍ مُنْحَوَلَةٍ تُشِيعُ فِيهَا الرُّوحُ الْغَنُوصِيَّةُ، لَا سِوَا تِلْكَ الَّتِي تُعْجِدُ الْعَقْلَ وَتَدَّعِي أَنَّهُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ، وَتَعَدُّ دِرَاسَتُهُ هَذِهِ إِحْيَاءَ مَا سَبَقَ وَقَالَ بِهِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ مِنْ قَبْلُ، أَنْظَرُ: - بُغْيَةُ الْمُرْنَادِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُتَفَلِّسِيَّةِ، الْقَاهِرَةِ د.ت، 41 وما بعدها. وَبِالنِّسْبَةِ لِبَلَاثْيُوسِ فَقَدْ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحَ الْغَنُوصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي دِرَاسَتِهِ: «ابْنُ مَسْرَّةٍ وَمَدْرَسَتُهُ» وَلَمْ يَعْْنِ بِالْغَنُوصِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ سِوَى الْمُتَصَوِّفَةِ فَحَسَبَ، كَمَا أَزَادَ هَانَسُ شِيْدَارُ بِالْغَنُوصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي دِرَاسَتِهِ لِلاتِّجَاهَاتِ الْعِرْفَانِيَّةِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي مَقَالِهِ «نَاصِرُ خُسْرُو وَالْغَنُوصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ» الْإِشَارَةَ إِلَى الْأَصُولِ الْغَنُوصِيَّةِ لِاعْتِقَادَاتِ فِرْقَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الشَّيعِيَّةِ. حَوْلَ مُصْطَلَحِ الْغَنُوصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عِنْدَ الْمُشْتَرِيقِينَ تَفْصِيلًا، أَنْظَرُ: - هَاينِسُ هَالَمُ: الْغَنُوصِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ، تَرْجُمَةُ زَائِدِ الْبَاشِ، كُولُونِيَا 2003، 12 وما بعدها.

² يَكْتَنِفُ الْغَنُوصُ أَصْلُ لَفْظَةٍ «زَنْدِيْق» فَهِيَ لَيْسَتْ لَفْظَةً عَرَبِيَّةً كَمَا يَتَضَحُّ مِنْ التَّمَعُّنِ فِي وَرْنِهَا وَجَرَسِهَا، وَالْأَرْجَحُ أَنَّهَا مِنَ الْمُعْرَبَاتِ عَنِ الْفَارْسِيَّةِ، وَيَعْتَقِدُ ابْنُ مَنْظُورٍ أَنَّ لَهَا عِلَاقَةً بِالضَّبِقِ ضِدَّ السَّعَةِ، لِسَانَ الْعَرَبِ، 21: 1871، وَقِيلَ إِنَّهَا تَغْرِيبُ كَلِمَةٍ فَارْسِيَّةٍ هِيَ «زَنْدِيْق» وَتَعْنِي دِينَ الْمَرَأَةِ، كِتَابَةً عَنِ الْفَسَادِ وَالضَّعْفِ، آدِي شِيرُ: الْأَلْفَاظُ الْفَارْسِيَّةُ الْمُعْرَبَةُ، 81-81. وَيَعْتَقِدُ دُوزِي أَنَّ كَلِمَةَ زَنْدِيْقٍ فِي أَصْلٍ مَعْنَاهَا تَعْنِي مِنْ لَا يُرَاعِي حُرْمَةَ، وَلَا يَحْفَظُ مَوَدَّةً، تَكْمَلَةُ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ، 5: 367، وَالْأَرْجَحُ طَبَقًا مَا وَرَدَ عِنْدَ الْمُسْعُودِيِّ أَنَّهَا يُنسَبُ إِلَى كِتَابِ «الزُّنْد» الَّذِي وَضَعَ لِتَفْسِيرِ كِتَابِ الْبُشْتَاةِ (الْأَيْسْتَا) لَزَرَادُشْتِ، حَيْثُ كَانَ الزُّرَادُشْتِيَّةُ الْأَصُولِيُّونَ يَنْعَتُونَ الْمُتَسَكِّينَ بِتَأْوِيلِ كِتَابِ الْبُشْتَاةِ بِاتِّبَاعِ الزُّنْدِ، وَرُبَّمَا عَرَّبَتْ الْكَلِمَةُ بَعْدَ دُخُولِ الْإِسْلَامِ فَارِسَ لِتَضْبَحَ «زَنْدِيْق» مَرُوجُ الذُّهَبِ، 1: 190، وَهُوَ مَا أَخَذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ الدُّسُوقِيُّ شَتَاً فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ، أَنْظَرُ: - الْمَعْجَمُ الْفَارْسِيُّ الْكَبِيرُ، الْقَاهِرَةُ 1992، 1: 1432. وَهُنَاكَ ثَمَّةُ صَعُوبَاتٍ تُحِيطُ بِتَحْدِيدِ مَنْ

وَرَغِمَ الاعْتِرَافَ بِوُجُودِ تِلْكَ الْمُؤَثِّرَاتِ الْغُنُوصِيَّةِ فَقَدْ عَوَّلَ الْبَاحِثُونَ الْمُعَاصِرُونَ عَلَى الْبَحْثِ عَنِ الْأُصُولِ الْهَلَلِيَّةِ الْبَعِيدَةِ لِتِلْكَ الْعَقَائِدِ، وَاعْتَادُوا الْقَوْلَ بِأَنَّ أَرْبَابَ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ قَدْ وَقَفُوا عَلَى تِلْكَ الْمُتَعَقَّدَاتِ بِشَكْلٍ أَوْ آخَرَ، ضَارِبِينَ صَفْحًا عَنْ حَقِيقَةِ كَوْنِ الْمُنْدَائِيِّينَ وَالْحَرَنَانِيَّةِ كَانُوا آخِرَ مَنْ تَبَقَّى مِنْ تِلْكَ الطَّوَائِفِ وَالنُّحُلِ ذَاتِ الطَّائِعِ الْبَاطِنِيِّ الْغُنُوصِيِّ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ اخْتَكَمُوا بِهِمْ اخْتِكَاكًا مُبَاشِرًا. وَيَقْتَضِي الْإِنْصَافُ الْقَوْلَ بِأَنَّ مَوْقِفَ الْكُتَّابِ وَالْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَصُورِ الْوُسْطَى كَانَ أَكْثَرَ مَوْضُوعِيَّةً وَوَاقِعِيَّةً وَدَقَّةً عِنْدَمَا رَدُّوا تِلْكَ الْمُؤَثِّرَاتِ الْغُنُوصِيَّةِ الطَّائِعِ مُبَاشَرَةً إِلَى التَّأْثِيرِ الْفِكْرِيِّ لِلصَّابَةِ، مُثِيرِينَ أَيْضًا أَحْتِمَالَاتِ اتِّصَالِ أَرْبَابِ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ بِهِمْ، وَوَقُوفِهِمْ عَلَى عَقَائِدِهِمْ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ.

فَقَدْ انْتَقَلَتْ مُتَعَقَّدَاتِ الصَّابَةِ بِأَشْكَالٍ مُتَفَاوِتَةٍ إِلَى بَعْضِ الْمَذَاهِبِ الشَّيْعِيَّةِ ذَاتِ الطَّبِيعَةِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَبِصِفَةِ خَاصَّةٍ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ³، فَلَا تَكَادُ تَخْفَى تِلْكَ الْمُؤَثِّرَاتِ الْمُنْدَائِيَّةِ ذَاتِ

=

انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْوُصْفُ، وَيُسْتَتِجُ نَمَّا ذَكَرَهُ الْمُسْعُودِي أَنَّ الْمُسْطَلَحَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَخَاصَّةً فِي عَضْرِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ الْأَوَّالِ كَانَ يُنْطَبِقُ فَحَسَبَ عَلَى اتِّبَاعِ الدِّبَانَاتِ التَّائِيْفِيَّةِ غَيْرِ ذَاتِ الْأُصُولِ السَّمَاوِيَّةِ، وَعَلَى رَأْسِهَا الْمَانَوِيَّةُ وَالْدَبِصَانِيَّةُ وَالْمَرْقُوتِيَّةُ، وَهِيَ الْفِرْقُ الَّتِي حَاوَلَتْ الْمَزْجَ بَيْنَ النَّصْرَانِيَّةِ وَبَيْنَ الزَّرَادَشْتِيَّةِ وَالزَّرْدَكِيَّةِ، فَاثْمَنُوا بِالنُّورِ، وَبِالصَّرَاعِ الْأَبَدِيِّ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَاعْتَقَدُوا فِي قَدَمِ الدَّهْرِ وَخُلُودِهِ، وَاعْتَقَدُوا أَيْضًا فِي الصَّرَاعِ الْأَزَلِيِّ بَيْنَ الْبَارِي وَالشَّيْطَانِ، مَرُوجَ الذَّهَبِ، 2: 555، لَكِنِ الْكُتَابَاتِ الْمُتَأَخَّرَةُ قَلِيلًا وَالَّتِي تَعُودُ إِلَى الْقَرْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ الْمَجْرِيَيْنِ اسْتُخْدِمَتْ لَفْظُ «زَنْدِيْق» لَوْصَفِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَنْظَاهِرُونَ بِالْإِسْلَامِ وَيَنْطُونُ الْكُفْرَ وَالْإِتْحَادَ أَيًّا مَا كَانَتْ طَبِيعَةُ تِلْكَ الْمُتَعَقَّدَاتِ الَّتِي يُبْطِنُونَهَا، النَّدِيمُ: الْفَهْرَسْتُ، 2: 405 وَمَا بَعْدَهَا، وَيَعْتَقِدُ بَدَوِي أَنَّ اللَّفْظَ شَمَلَ أَيْضًا أَصْحَابَ الْبِدْعِ، وَالْمَاجِنِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكُتَّابِ؛ الَّذِينَ لَا يَعْبُثُونَ بِالْحِسَابِ الْأُخْرَوِيِّ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ إِيْمَانِهِم بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ مِنْ عَدَمِهِ، ثُمَّ انْتَهَى بِهِ الْأَمْرُ أَخِيرًا إِلَى أَنْ أُطْلِقَ عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَفَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، عَبْدَ الرَّحْمَنِ بَدَوِي: مِنْ تَارِيخِ الْإِتْحَادِ فِي الْإِسْلَامِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، الْقَاهِرَةُ 1993، 35-36. وَبِهَذَا الْمَعْنَى الشَّامِلِ اسْتُخْدِمَهَا ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي عُنْوَانِ كِتَابِهِ الشُّبُهَرِ «الصَّوَائِقُ الْمُخْرِقَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ وَالزَّنْدَقَةِ».

³ يَرْتَبِطُ ظُهُورُ فِرْقَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الشَّيْعِيَّةِ فِي التَّارِيخِ بِالصَّرَاعِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ الشَّيْعَةِ حَوْلَ الْإِمَامَةِ عَقِبَ وَفَاةِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ (ت 148هـ/ 756م) فَبَيْنَمَا ذَهَبَ الشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ قَدْ نَصَّ عَلَى وَلَدِهِ مُوسَى الْكَاطِمِ بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ وَفَاةَ وَلَدِهِ الْأَوَّلِ إِسْمَاعِيلَ فِي حَيَاتِهِ، وَقَدْ خَالَفَهُ بَعْضُ شِيعَتِهِ وَقَالُوا إِنَّ الصَّادِقَ أَعْلَنَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّيَيُّنِ، وَأَنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ مَا يَزَالُ حَيًّا فِي حَيَاةِ وَالِدِهِ، وَبِذَلِكَ حَصَرُوا الْإِمَامَةَ

=

الطَّبِيعَةُ الْغُصُوبَةُ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَعَلَاقَةُ الْمُنْدَائِيِّينَ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ رَغْمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مُحَقَّقَةٌ بِسَبَبِ مَا يَكْتَنِفُ نَشَاطُ دُعَاةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْأَوَائِلَ مِنَ الْغُمُوضِ وَالسَّرِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ يَضَعُ الْقَوْلَ بِأَنَّ دُعَاةَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْأَوَائِلَ لَمْ يَتَعَرَّفُوا عَلَى الْمُنْدَائِيِّينَ وَعَنِ كَثْبٍ أَيْضًا، فَنَشَاطُ دُعَاةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي طَوْرِهَا الْبَاكِرِ تَرَكَّزَ مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَارِ وَخَوْزِسْتَانَ⁴، وَهِيَ الْمَنَاطِقُ نَفْسُهَا الَّتِي كَانَ الْمُنْدَائِيُّونَ يُشْكُلُونَ قَلْبًا سَكَّانِيًّا بِهَا، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْمَظَاهِرَ الْغُصُوبَةَ الَّتِي نَجَدُهَا عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ هِيَ مُعْتَقَدَاتٌ مُنْدَائِيَّةٌ بِامْتِيَازٍ، فَتَجِدُ النَّزْعَةَ الْبَاطِنِيَّةَ السَّرِيَّةَ عِنْدَ كُلِّمَا الطَّائِفَتَيْنِ نَفْسُهَا، فَكِلَاتُهُمَا تَقُومُ عَلَى قَاعِدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ مَنَعَ الْأَغْيَارَ مِنَ الْاطَّلَاعِ عَلَى حَقَائِقِ الدِّيَانَةِ وَدَقَائِقِهَا، مَعَ فَارَقٍ جَوْهَرِيٍّ قَرَضَتْهُ طَبِيعَةُ طُمُوحِ الدَّعْوَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، فَالْمُنْدَائِيَّةُ لَيْسَتْ نِخْلَةً تَبْشِيرِيَّةً بِالْأَسَاسِ، عَلَى الْعَكْسِ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَطْمَحُ إِلَى تَوْسِيعِ قَاعِدَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِدَعْوَتِهَا، كَمَا نَجِدُ عِنْدَ الْفِرْقَتَيْنِ النَّظَرَةَ الْغُصُوبَةَ الْمَعْرِفِيَّةَ نَفْسُهَا، وَالْقَائِمَةَ عَلَى

فيه وفي ذُرَيْتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ نُسِبُوا إِلَيْهِ، ثَمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ أَنْ انْقَسَمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَاعْتَقَدَ بَعْضُهُمْ عَدَمَ صَحَّةِ مَا أَعْلَنَهُ الصَّادِقُ مَوْفَاةَ إِسْمَاعِيلَ فِي حَيَاتِهِ، وَأَنَّ إِسْمَاعِيلَ هُوَ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ، وَهُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا فِي التَّارِيخِ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْخَالِصَةِ، أَمَّا الْفِرْقَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْهُمْ: فَهُمْ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا صَحَّةَ مَا أَعْلَنَهُ الصَّادِقُ مِنْ وَفَاةِ إِسْمَاعِيلَ فِي حَيَاةِ الْوَالِدِ وَاعْتَقَدُوا بِإِمَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ طَبَقًا لِقَاعِدَةِ انْتِقَالِ الْإِمَامَةِ فِي الْعَقَبِ الْأَكْبَرِ، وَهَؤُلَاءِ عَرَفُوا فِي التَّارِيخِ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمُبَارِكِيَّةِ، وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ بِالتَّحْدِيدِ هِيَ الَّتِي قُدِّرَ لَهَا أَنْ تَلْعَبَ الدُّورَ النَّاشِطَ فِي تَارِيخِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ سِيَاسِيًّا وَمَذْهَبِيًّا، وَعِنْدَ وَفَاةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ انْقَسَمَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ الْمُبَارِكِيَّةُ مُجَدِّدًا إِلَى فِرْقَتَيْنِ، رَفَضَتْ الْأُولَى الْإِعْتِرَافَ بِوَفَاةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَشْلَافُ الْقَرَامِطَةِ الَّذِينَ ظَهَرَ نَشَاطُهُمُ بِالْبَحْرَيْنِ وَالْإِخْسَاءِ قُرْبَ نَهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْمِجْرِي/التَّاسِعِ الْمِيلَادِيِّ، أَمَّا الْفِرْقَةُ الْآخَرُ فَقَدْ حَضَرَ الْإِمَامَةَ فِي دُرِّيَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَوَاظَلَ الْعَمَلَ السَّرِّيَّ مُتَّخِذًا مِنْ مَدِينَةِ «سَلَمِيَّة» عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْ حِمَصَ بِالشَّامِ قَاعِدَةً لَهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ قُدِّرَ لَهُمُ النَّجَاحُ فِي إِقَامَةِ الْخِلَافَةِ الْفَاطِمِيَّةِ بِشَمَالِي إِفْرِيقِيَّةِ، وَلاحِقًا مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْيَمَنَ. عَنِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ تَفْصِيلًا، انْظُرْ: - الشَّهْرَسْتَانِي: الْمِلَلُ وَالتَّحُلُّ: 1: 191 وما بعدها؛ الرَّازِي: اعْتِقَادَاتُ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ، 54-55؛ عَبْدُ الْقَاهِرِ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ بَدْرٍ، الْقَاهِرَةُ د.ت، 45-47؛ الْأَشْعَرِي: الْمَقَالَاتُ وَالْفِرْقُ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ جَوَادِ مَشْكُورٍ، طَهْرَانِ 1963، 80 وما بعدها؛ عَارَفُ تَامَرٍ: تَارِيخُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، لَنْدُنْ 1991، 1: 117 وما بعدها؛ أَيْمَنُ فُؤَادِ سَيْدٍ: الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي مِصْرَ، تَفْسِيرٌ جَدِيدٌ، الْقَاهِرَةُ 2007، 93 وما بعدها.

⁴ أَيْمَنُ فُؤَادِ سَيْدٍ: الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي مِصْرَ، 96.

أَنَّ الحِلاصَ يَكُونُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَقَدْ بَالِغَ الْإِسْمَاعِيلِيِّينَ فِي تَقْدِيرِ قِيَمَةِ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ حَتَّى قَالُوا
بِأَنَّ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ تَسْقُطُ عَنْهُ الْفُرُوضُ وَالسُّنَنُ.⁵

تَأَثَّرَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ أَيْضًا بِالْمَنْدَائِيِّينَ بِشَكْلِ تَامٍ فِي تَرَاتُيبِهِمْ فِي مَدَارِجِ الْعِلْمِ، فَتَحَنُّ نَجِدَ
الْمَبْدَأَ نَفْسُهُ عِنْدَ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ وَهُوَ تَحْرِيمُ إِطْلَاعِ الْعَامَّةِ عَلَى الْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَنَجِدَ
أَيْضًا هَيْكَلَ التَّرَاتُيبَةِ الْكَهَنُوتِيَّةِ عِنْدَ الْمَنْدَائِيِّينَ، قَائِمًا بِشَكْلِهِ الْمُفْتَرَضِ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَهِيَ تَرَاتُيبَةُ
تَبْدَأُ بِالتَّخْصِيلِ الْمُكْتَسَبِ وَالتَّمَوُّ الْعَقْلِيِّ الْمَعْرِفِيِّ التَّرَاكُمِيِّ. وَتَنْتَهِي بِالْعِلْمِ اللَّدُنِيِّ الْمَوْهُوبِ،
فَالْكَهَنُوتِ عِنْدَ الْمَنْدَائِيِّينَ يَبْدَأُ تَصَاعُدِيًّا بِ«التَّرْمِيدَا» [التَّلْمِيذُ]، وَمِنْ حَقِّهِ الْإِطْلَاعُ عَلَى كُتُبِ
الشُّرُوحَاتِ الدِّينِيَّةِ حَتَّى مُسْتَوًى مُعَيَّنٍ، وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاعُهُ عَلَى كُتُبِ الْأَسْرَارِ الدِّينِيَّةِ الْخَاصَّةِ،
لِأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ بَعْدَ دَرَجَةِ الْإِسْتِيْعَابِ لِتِلْكَ الْأَسْرَارِ، وَتَقْتَصِرُ دِرَاسَتُهُ عَلَى بَعْضِ كُتُبِ الدِّينِ
الْأَوَّلِيَّةِ، خَاصَّةً تِلْكَ ذَاتِ الطَّبَاعِ الطَّقِيسِيِّ، وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى دِرَايَةِ بِهِ لِيُؤَدِّيَهُ عَلَى
الْوَجْهِ الْإِكْمَلِ، ثُمَّ يُرْفَى التَّرْمِيدَا إِلَى رُتْبَةِ «الْكَنْزُفَرَه» [ابْنُ الْكَنْزِ]، وَبِالتَّالِيِ يَسْتَطِيعُ الْإِطْلَاعُ
عَلَى كُتُبِ الشُّرُوحَاتِ وَالتَّفَاسِيرِ الدِّينِيَّةِ بِالإِضَافَةِ إِلَى وَجُوبِ حَفْظِهِ لِكِتَابِ «الْكَنْزُ رُبَا» عَنْ
ظَهَرِ قَلْبٍ، ثُمَّ يُرْفَى بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى دَرَجَةِ «رِيشْ أَمَه» [رَئِيسُ أُمَّةٍ] وَهُوَ مَنْصِبٌ رَفِيعٌ فِي سُلَّمِ
الْكَهَنُوتِ الْمَنْدَائِيِّ، وَلَا حَدَّ لِّلْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ السَّرِّيَّةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا «الرَّيْشُ أَمَه»،
وَمَنْ يَصِلُ إِلَى هَذَا الْمَنْصِبِ مِنَ الْكَهَنَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ يُؤْخَذُ الدِّينُ مِنْ فَمِهِ⁶.

وَعِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ نَجِدَ مَثِيلًا مُطَابِقًا تَمَامًا مَعَ تِلْكَ التَّرَاتُيبَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ، فَيَتِمُّ إِعْدَادُ الدُّعَاةِ
الْإِسْمَاعِيلِيِّينَ وَقَفًا لِتَرْتِيبِ مُثَائِلٍ يَبْدَأُ مِنْ مَرَحَلَةِ «الْمُجْتَهِدِ» وَفِيهَا يُطَالَعُ الطَّالِبُ الْمُتَبَدِّئُ مَا
يُسَمَّى بِ«كُتُبِ الظَّاهِرِ»، وَهِيَ كُتُبٌ عَامَّةٌ فِي الْمَذْهَبِ لَا تُحَرِّمُ مُطَالَعَتَهَا بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ عَلَى

⁵ الْأَذْفَوِي: الطَّالِعُ السَّعِيدُ الْجَامِعُ لِأَسْمَاءِ نُجَبَاءِ الصَّعِيدِ، تَحْقِيقُ سَعْدُ مُحَمَّدٌ حَسَنَ، الْقَاهِرَةُ 2000، 330-313.

⁶ عَنْ رِجَالِ الدِّينِ الْمَنْدَائِيِّينَ وَدَرَجَاتِهِمْ وَكَيْفِيَّةَ صُعُودِهِمْ وَتَكَرُّبِهِمْ لِّلدَرَجَاتِ الدِّينِيَّةِ الْأَعْلَى، وَالْوَاجِبَاتِ
الدِّينِيَّةِ وَالْحَقُوقِ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى كُلِّ دَرَجَةٍ انْظُرْ تَفْصِيلًا الْفَضْلَيْنِ: الثَّاسِعَ وَالْعَاشِرَ مِنْ دِرَاسَةِ دَرَاوَر:
الصَّابِنَةُ الْمَنْدَائِيَّةِ، 223-255.

اتِّبَاعَ الْمَذْهَبِ، لَكِنَّهَا تُحَرَّمُ مُطْلَقًا عَلَى الْأَغْيَارِ مِنْ خَارِجِ الطَّائِفَةِ، ثُمَّ يَرْتَقِي «الْمُجْتَهِد» فِي مَرَاتِبِ الْعِلْمِ لِيَصِلَ إِلَى مَرَحَلَةِ «الْمَأْدُون»، عِنْدُنْذُ يُضْبَحُ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَى «كُتُبِ السَّرِّ»، وَهِيَ كُتُبٌ مُعَيَّنَةٌ يَجُوزُ أَنْ يَقْرَأَهَا الْمَأْدُونُ وَيُمنَعُ مِنْهَا بَاطًا عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهَا وَعَلَى أَسْرَارِهَا، وَعِنْدَمَا يَصِلُ الْمُؤْمِنُ إِلَى مَرْتَبَةِ «الرَّاسِخِ فِي الْعِلْمِ» يُسَمَحُ لَهُ بِمُطَالَعَةِ «الْكُتُبِ الْمَكْتُومَةِ الْعُلْيَا»، وَهِيَ وَقَفٌ عَلَى تِلْكَ الطَّبَقَةِ، وَلَا يُطَالَعُهَا غَيْرُهُمْ⁷.

وَمِنْ أَهَمِّ مَظَاهِرِ تَأَثُّرِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِالصَّابِنَةِ بَوُجْهِهِ عَامَ تَقْدِيسِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ لِدَوَائِرِ الْفَلَكَ وَالْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ عُرِفُوا بِالمُسَبَّغَةِ نَتِيجَةَ تَقْدِيسِهِمْ لِلرَّقَمِ سَبْعَةٍ، وَالَّذِي يَتطَابَقُ مَعَ عَدَدِ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ الْمَعْرُوفَةِ وَفَتِيد⁸ وَالتِّي اعْتَبَرُوهَا قُوَى كَوْنِيَّةً فَعَّالَةً ذَاتَ تَأْثِيرٍ فِي مَصَائِرِ الْبَشَرِ، وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ يَتطَابَقُ مَعَ مُعْتَقَدَاتِ الْمُنْدَثَائِيِّينَ وَالْحَرَنَانِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ. وَقَدْ رَبَطَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ دَوْرَةَ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ فِي السَّمَاءِ بِدَوْرَةِ الْأُئِمَّةِ اللَّائِنِيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَالتِّي تَبْدَأُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَحْتُلُّ فِيهَا الْإِمَامُ السَّابِعُ دَوْرِيًّا مَكَانَةً رَفِيعَةً، فَجَمِيعٌ مِنْ سَبْقُوهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ السَّنَةِ صَامِتُونَ، أَمَّا الْإِمَامُ السَّابِعُ فَهُوَ تَجَسُّدٌ لِلْإِزَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ الْمُقَسَّرُ وَالنَّاطِقُ بِالْحَقِّ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى نَسْخِ شَرَائِعِ مَنْ سَبْقُوهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ⁹. وَلَمَّا كَانَ لِلْفَلَكَ الْعُلُويِّ اثْنَا عَشَرَ مَنْزِلًا (بُرْجًا) فَإِنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ إِمَامٍ اثْنَا عَشَرَ نَقِيْبًا يَتَشَرُّونَ فِي الْأَرْضِ بِأَمْرِ الْإِمَامِ، يَتَوَلَّوْنَ الدَّعْوَةَ لَهُ، وَهُمْ بِمِثَابَةِ حُجَّجِ الْإِمَامِ النَّاطِقَةِ¹⁰.

لَقَدْ لَفَّتْ ذَلِكَ التَّشَابُهَ فِي الْعَقَائِدِ أَنْظَارَ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى أَنَّ أَبَا بَكْرَ الْجَصَّاصَ نَسَبَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةَ بِالْجُمْلَةِ لِعِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ¹¹، وَبَطْطِيعَةِ الْحَالِ يَشُوبُ هَذَا الْاِتِّهَامَ

⁷ عَادِلُ الْعَوَّا: مُتَخَبَاتِ إِسْمَاعِيلِيَّةٍ، دِمَشْقُ 1958، مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ.

⁸ مَجْهُولٌ: كِتَابُ التَّرَاتِيبِ، وَهِيَ سَنَجٌ تَرَاتِيبُ عَلَى التَّهَامِ وَالْكِتَابِ، تَحْقِيقُ سَهِيلُ زَكَّارٍ، ضَمِنَ كِتَابُ الْجَمَاعِ فِي أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ، 1: 288.

⁹ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَدَوِي: مَذَاهِبُ الْإِسْلَامِيِّينَ، الْقَاهِرَةُ 1971، 2: 907.

¹⁰ بَدَوِي: نَفْسُهُ، 2: 909؛ مُصْطَفَى غَالِبٍ: تَارِيخُ الدَّعْوَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، بَيْرُوتُ 1965، 28.

¹¹ أَبُو بَكْرٍ الْجَصَّاصُ: أَخْكَامُ الْقُرْآنِ، 2: 412.

مُبَالَغَةً مُفْرِطَةً، لَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُعَدُّ مِلَاحِظَةً دَقِيقَةً وَنَافِذَةً لِلْعَدِيدِ مِنْ عَوَامِلِ التَّشَابُهِ بَيْنَ عَقَائِدِ الْفِرْقَتَيْنِ، لَيْسَ هَذَا فَحَسْبَ بَلْ إِنَّ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَسَبِ الْقَرَامِطَةِ - وَهُمْ فِرْقَةٌ أُخْرَى مِنْ غُلَاةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ - بِرُمُوتِهِمْ إِلَى صَابِنَةِ حَرَّانَ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ حَمْدَانَ قَرَمَطَ دَاعِيَةَ الْقَرَامِطَةِ كَانَ يَنْحَدِرُ مِنْ أَصُولِ حَرَنَانِيَّةٍ¹²، وَاسْتَدَلَّ أَيْضًا عَلَى قَوْلِهِ هَذَا بِأَنَّ صَابِنَةَ حَرَّانَ يَكْتُمُونَ أَدْيَانَهُمْ وَلَا يُظْهِرُوهَا إِلَّا لَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ، وَالبَّاطِنِيَّةُ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَذَا¹³.

وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ لَا نَسْتَطِيعُ تَحْقِيقَ مَا إِذَا كَانَتْ أَصُولُ حَمْدَانَ قَرَمَطَ عُمْتُ بِصِلَةٍ إِلَى صَابِنَةِ حَرَّانَ أَمْ لَا، بِسَبَبِ مَا يَكْتَفِي الدَّعْوَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ - لَا سِيَّمَا فِي أَذْوَارِهَا الْبَاكِرَةِ - مِنْ طَابَعِ كَثِيفٍ مِنَ السَّرِّيَّةِ، لَكِنَّ الشَّقَّ الثَّانِي مِنَ الْاِتِّهَامِ يَبْدُو مَنْطِقِيًّا تَمَامًا، فَالسَّيِّئَةُ الْبَاطِنِيَّةُ هِيَ مِنْ أَخْصَصِ سِمَاتِ دِيَانَةِ الْمُنْدَثَاتِيِّينَ وَالْحَرَنَانِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ، لَا سِيَّمَا وَأَنَّ دَعْوَةَ الْقَرَامِطَةِ ظَهَرَتْ أَوَّلَ مَا ظَهَرَتْ بَلْ وَنَمَتْ أَيْضًا فِي قَلْبِ سَوَادِ الْعِرَاقِ، أَيْ فِي الْمَنَاطِقِ نَفْسِهَا الَّتِي عَاشَ فِيهَا الْمُنْدَثَاتِيُّونَ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُدْهَشِ أَنْ يُشِيرَ حَمْدَانَ قَرَمَطَ فِي مَنْشُورِهِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَضْرَهُ إِلَى اتِّبَاعِهِ يُشِيرُهُمْ فِيهِ بِبَدْءِ طَوْرِ الدَّعْوَةِ الظَّاهِرِ وَتَرْكِ «التَّيْفَةِ» إِلَى أَنَّ رُوحَ بَيْحَى بْنِ زَكَرِيَّا عليه السلام قَدْ تَجَسَّدَتْ فِيهِ¹⁴.

أَمَّا عَنِ التَّصَوُّفِ فَلَقَدْ قِيلَ الْكَثِيرُ عَنِ نَشْأَتِهِ وَبِدَايَاتِهِ، وَأَصْلُ اشْتِقَاقِ الْكَلِمَةِ مَسْأَلَةٌ مُعْضِلَةٌ تَمَامًا بِالنِّسْبَةِ لِلْبَاجِثِينَ، فَقَدْ قَالَ الْبَعْضُ إِنَّهُ مِنَ الصَّفَاءِ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ مِنْ اازْتِدَاءِ الصُّوفِ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ يَتَمَيَّزُ بِهَا الصُّوفِيَّةُ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ مِنْ كَلِمَةِ «صُوفِيًّا» الْيُونَانِيَّةُ بِمَعْنَى الْحِكْمَةِ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ عَلَى النَّسَبِ وَالتَّخْفِيفِ مِنْ «أَصْحَابِ الصُّفَةِ»، كَمَا قِيلَ بِأَنَّهُ اسْمُ جَامِدٍ كَاللَّقَبِ، لَمْ يُشْتَقَّ عَلَى قِيَاسٍ مِنْ أَفْسَسَةِ اللَّغَةِ وَإِنَّهُ كَاللَّقَبِ لَا تَفْسِيرَ لَهُ¹⁵، وَبِصِفَةِ عَامَّةٍ يَمِيلُ

¹² عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِي: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ، 278.

¹³ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الدُّيَلَمِي: بَيَانُ مَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ وَبُطْلَانُهُ، مُتَرْغَمٌ مِنْ كِتَابِ قَوَاعِدِ عَقَائِدِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، تَحْقِيقُ شَيْخِ وَطْهَانَ، اسْتَنْبُولُ 1938، 95.

¹⁴ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ: مَسَائِلُكَ الْأَبْصَارِ، 26: 86.

¹⁵ الْفُشَيْرِيُّ: الرِّسَالَةُ الْفُشَيْرِيَّةُ، تَحْقِيقُ مَعْرُوفُ رُزَيْقٌ، بَيْرُوتُ 1990، 389. وَانْظُرْ أَيْضًا تِلْكَ الْمُعَالَجَةَ الشَّامِلَةَ لِلْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا لِاسْتِقْطَاعِ لَفْظِ الصُّوفِي عِنْدَ: - عَلِيِّ سَامِي النَّشَّارِ: نَشْأَةُ الْفِكْرِ الْفَلَسْفِيِّ فِي الْإِسْلَامِ، الْجُزْءُ الثَّالِثُ، «الرُّهْدُ وَالتَّصَوُّفُ فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي الْمَجْرِيَيْنِ»، الْقَاهِرَةُ د.ت، 36-58.

ورغم كل تلك الاتجاهات المتباينة في التعريف بالتصوف وأصوله لم يناقش أحد من الباحثين رواية ابن وخشية المثيرة عن ممارسات بعض الزهاد الحرنائية والتي تتطابق مع ممارسات الصوفية وعاداتهم¹⁷، وما نخرج به من رواية ابن وخشية أن التصوف في أصله وأصوله ظاهرة صابئية بخته، فقد كان الزهاد من الحرنائية يمارسون السلوكيات نفسها قبل ظهور الإسلام، وهي نفسها التي تميز بها الصوفية فيما بعد في ظل الإسلام لاحقاً¹⁸. ومع ذلك

¹⁶ لويس ماسينيون: التصوف، بيروت 1984، 25-26؛ أناساري شميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد؛ رضا حامد قطب، كولونيا 2006، 19؛ Fritz Meier: *The*

Mystic Path, in: the world of Islam, p 117.

¹⁷ ربما اتفق ذلك لعدم إتاحة كتاب الفلاح النبطية أمام الباحثين حتى وقت قريب للغاية.

¹⁸ ونص حديث ابن وخشية: «... إن الفلاحين والأكره هم عبارة الأرض والممدون لمن على ظهرها من جميع الحيوان، والمفلحون للنبات، وإن أضدادهم الذين يتبطلون عن الأعمال، ويتركون التجارات والصنائع، ويقيمون في الصحاري، ويحبون التفرد والتخلي، ويسمون أنفسهم الزهاد والعباد، ولا يحضرون الهياكل إلا في الأعياد فقط، وفيهم من لا يحضرها إلا في العيدين الكبيرين: عيد الميلاد الذي في أتبعة وعشرين يوما من كانون الأول، وعيد رأس السنة، ويقولون إنما نحضر في هذين العيدين لأن أحدهما عيد ميلاد الزمان وعجده، وعيد رأس السنة، لأنه أيضا منشوب إلى الشمس، فهذان أفضل الأعياد، ويريدون منا أن نمدحهم ونقترب إلى الله بهم، ويدعون الكذب والزور والبهتان بقولهم نحن المشبهون بالملائكة، ونحن المرتبون فوق الماء بصحيح نيائنا، ولا يخفيهم ذاك حتى يدعون لأنفسهم أنهم أبرار، وأنهم خير منا وأفضل، وإنما قصرنا عن منزلتهم لعجزنا عن بلوغها، ولأنها طريقة حسنة لا نطيعها. فقد صدقوا في أننا لا نطيع أن نكون عقلاء؛ فنعمل بأنفسنا أعمال المجانين، ونصير في جملة المجانين بأن نلبس الثياب الصوف، كما يلبس المجانين، وندع شعورنا وأظفارنا طوالا كأظفار المجانين وشعورهم، ولا ندخل حماما، ولا نمس ماء في برد ولا حر، ولا نتنظف من جيف أجسادنا، وهذا هو فعل المجانين الذين لا عقول لهم، فعمل هؤلاء الذين يسمون أنفسهم الزهاد وهم في حسابهم وعند أنفسهم عقلاء، ولقد رأيت منهم رجلا شابا حسن الوجه في هيكل الشمس يوم عيد ميلاد الزمان في كانون الأول، فرقيت له لشبابه وكماله، فقلت له - لما زالت الشمس وفرغنا من الصلاة الثانية - إن يني وبينك خطبا أريد أن تنفرد معي عن الجمع، فمال معي إلى ناحية بيت الصور العنقلى، فقلت له: ما اسمك؟ فقال: سنبادي، فقلت له: فما يجملك على أن تُشقي نفسك وتمزق عُمرك في هذا الشقاء والشدة، وكان مسبلا بغنيته كما يفعل هؤلاء القوم أبدا، يرون بذلك الخشوع والإغراق في الزهد،

فَإِنَّ الْأَخْذَ بِرَأْيَةِ ابْنٍ وَخَشْيَةَ عَلَى عِلَّاتِهَا لَيْسَتْ بِالْبَسَاطَةِ الَّتِي تَبْدُو بِهَا، فَبَعْضُ الْبَاحِثِينَ لَا يَرَوْنَ لِكِتَابِ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ أَصُولًا قَدِيمَةً¹⁹، وَقَدْ يَكُونُ الْكِتَابُ كُلُّهُ مِنْ تَأْلِيفِ ابْنٍ وَخَشْيَةٍ وَمِنْ ثَمَّ نَحَلَهُ إِلَى أَصُولٍ قَدِيمَةٍ حَتَّى لَا يَتَحَمَّلَ وَخْدهُ مَسْئُولِيَّةَ مَا جَاءَ بِهِ، فَبُتِّهِمْ مِنْ قِبَلِ مُعَاصِرِيهِ بِالزُّنْدَقَةِ أَوْ مَا شَابَهُ، وَرَبَّهَا كَانَ دَافِعُهُ لِكِتَابَةِ تِلْكَ الْأَسْطَرِ كَرَاهِيَتُهُ لِلصُّوفِيَّةِ وَلِلتَّصَوُّفِ بِوَجْهِ عَامٍ²⁰، وَإِذَا مَا اسْتَطَاعَ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ - يَوْمًا مَا - حَسَمَ مَسْأَلَةَ قِدَمِ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ وَأَصَالَتِهِ وَنَسَبَتِهِ إِلَى النَّبْطِ الْقَدَمَاءِ فَسَيَكُونُ ذَلِكَ مُلْزَمًا بِالضَّرُورَةِ بِقَبُولِ رِوَايَةِ

فَتَفْتَحَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُمَا صَحِيحَتَيْنِ مَلِيحَتَيْنِ، وَيَرَفُّهُمَا فِي عَيْنِي وَقَالَ: وَيَحْكُ! مَا أَجْهَلَكَ بَيَّا نَحْنُ فِيهِ أَنَا وَأَشْبَاهِي مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي لَا نَحْسُ بِهِ أَنْتَ وَلَا وَاجِدٌ مِنْ أَشْبَاهِكَ وَأَضْرَابِكَ مِنَ النَّاسِ؟! فَقُلْتُ لَهُ: فَلِمَ تَكْذِبُ؟، وَفِي أَيِّ نَعِيمٍ أَنْتَ وَهَذَا لِيَاْسُكَ وَهَذَا بَدْنُكَ، وَهَذَا الْقَشْفُ عَلَى يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَذِرَاعَيْكَ ظَاهِرٌ بَيْنَ يَرَاهُ كُلُّ مَنْ يَرَاكَ؟!، قَمَا أَعْمَى قَلْبُكَ بِأَنْ تَدَّعِي مَعَ هَذَا الْبَلَاءِ الَّذِي عَمِلْتَهُ بِنَفْسِكَ أَنْكَ فِي نَعِيمٍ!!، فَأَنْسِلْ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَجْتَنِدُ فِي أَنْ يَبْسِلَ مِنْهَا دُمُوعَ، فَمَا نَقَطَ مِنْهَا نُقْطَةً وَاحِدَةً لِشِدَّةِ الْيَسِّ وَالْقَشْفِ وَالْخَفَافِ الَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنَ الْبَرْدِ، ثُمَّ وَثَبَ وَثَبَةً، فَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ أَمَامِي. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ فَوْقَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَأَنْ سَبِيلَ النَّاسِ جَمِيعًا أَنْ يَتَبَرَّكُوا بِهِمْ، وَيَقْبَلُونَ كَلَامَهُمْ، وَيَسْتَشْفِعُونَ بِهِمْ وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ فِي الْيَقِظَةِ مَا تُعَايِنُ نَحْنُ فِي النَّوْمِ، وَيَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ وَيَضْدُقُونَ، أَمَّا صِدْقُهُمْ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَقْوَى مِنَ الْجُوعِ وَضَعْفَ طَبَائِعِهِمْ لَذَلِكَ، وَشِدَّةَ التَّقَشُّفِ وَالشَّقَاءِ وَالْجَهْدِ يُجْعِلُ هُمْ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ خَيَالَاتٍ كَاذِبَةً يَقُولُونَ: نَرَى فِي الْيَقِظَةِ، وَهُمْ مَا رَأَوْا قَطُّ شَيْئًا، وَأَمَّا كَذِبُهُمْ فَفِي إِذْعَانِهِمْ أَنَّ الْكَوَاكِبَ تُكَلِّمُهُمْ، فَضَلَّ عَنْ الْأَصْنَافِ، وَأَنَّ الْأَصْنَافَ تُحِبُّهُمْ، وَيَسْمُوهُمْ - زَعَمُوا - الْأَحْيَاءَ. الْفَلَاحَةُ النَّبْطِيَّةُ، 1: 255-257.

¹⁹ انظر تفاصيل الجدل بين الباحثين [خاصة خوالسُنُونُ وتُولدكه] حول وجود أصول قديمة لكتاب الفلاحة النَّبْطِيَّةِ من عَدَمِهِ فِي مَقَالِ هـ. سُوْتَرِ H. SUTER «ابن وحشية» دائرة المعارف الإسلامية، 1: 413-414.

²⁰ لَا يَبْدُو مَائِسِيُونُ مُتَعَتِّعًا بِقِدَمِ أَصُولِ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ، وَرَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ صَرَاحَةً فَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ ضَمْنًا عِنْدَمَا نَسَبَ إِلَى ابْنٍ وَخَشْيَةِ الْكِرَاهِيَةِ وَالتَّعَصُّبِ ضِدَّ الصُّوفِيَّةِ، وَوَصَفَ رُؤَايَتَهُ بِأَنَّهَا «مُتَافِقَةٌ مُتَعَاطِفَةٌ»، آلَامُ الْحَلَّاجِ، 194. وَمَعَ ذَلِكَ فَيَبْدُو أَنَّ تِلْكَ الرِّوَايَةَ تَرَكَّتْ فِي نَفْسِهِ اثْرًا وَاضِحًا بِشِدَّةٍ حِينَئِذٍ قَرَّرَ بِنَبْرَةٍ وَائِقَةٍ وَهَجَّةٍ تَقْرِيرِيَّةٍ حَازِمَةً اسْتِيعَادَ كُلِّ تَفْسِيرَاتٍ اسْتِيفَاقَ لَفْظَةِ الصُّوفِيَّةِ، وَالْقَوْلُ بِاسْتِيفَاقِهَا فَحَسَبَ مِنَ «الْبَاسِ الصُّوفِ»، دُونَ أَنْ يُقَدِّمَ فِي ذَلِكَ أَيَّ إِیْضَاحَاتٍ أَوْ أَدْلَةٍ يُدْعِمُ بِهَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، مَائِسِيُونُ: التَّصَوُّفُ، 25. فِي حِينٍ يَذْهَبُ هِنْرِي كُوزْبَانُ إِلَى أَنَّ ابْنَ وَخَشْيَةَ هُوَ اسْمُ مُسْتَعَارٍ، اسْتَعْمَلَهُ نَائِسِخُ الْكِتَابِ وَيُدْعَى أَبَا طَالِبِ أَحْمَدَ بْنِ الزِّيَّاتِ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ شِيعِيٌّ عَلَى الْمَذْهَبِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ، لَكِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ الدَّلِيلَ عَلَى مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ، انظر: - تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ النبايع وحتى ابن رشد، ترجمة نصير مروة؛ حسن قبيسي، بيروت 1998، 201.

ابن وخشيّة على عِلَّاتها، واعتبار التّصوّف في أصوله مِيراثًا صابئيًا بختًا، وليس مِيراثًا هَلَلينيًا، أو مُحَاكاةً إسلاميّةً للرّهبة عند النّصارى، كما أنّه ليس مُحَاكاةً إسلاميّةً للبُوديّة²¹. ولكن بما أنّ تلك المسألة لم يتمّ حسمها حتّى يومنا هذا فلنيس أماننا إلّا وضع احتمال أن تكون أصول التّصوّف صابئيّة كاحتمال قائم وقابل للدراسة ضمن باقي الفرضيّات الأخرى.

وكيفما كان الأمر فهناك العديد من مظاهر تأثر المتصوّفة بالصّابئة، على رأسها احتقار الصّوفيّة للعالم المادّي، وتصويرهم الجسد على أنّه عنصر شرّير، وإغلاؤهم من شأن الرّوح والرّوحانيّات، فالنّفس عند الصّوفيّة مُرادفة للجسد، وهي مُضادّة للرّوح، وعقبة مع الشّيطان وأغوانه في سبيل معرفة الله²². وهناك أثر لا يُنكر للأفلاطونيّة المُحدثة يتمثّل في اعتقادات الصّوفيّة في صفاء رُوح الصّوفي واستعدادها لتلقّي ما لا يتلقّاه العامّة، وإبصار ما وراء الحجب وانكشاف الغيب والاتّصال بالأنبياء والملائكة المُقرّبين من الحضرة الإلهيّة²³، وهو ما يُدعى في عُرف الصّوفيّة ومُصطلحاتهم بـ«الإشراق» أو «الكشف»، وهو في جوهره تحويرٌ صوفيّ لجوهر نظرية الفيض في الأفلاطونيّة المُحدثة، وهو عنصر أصيل وجوهري في عقائد الصّابئة الحُرانيّة²⁴.

ولا يمكننا أن نتجاهل هنا أنّ واحدًا من أبرز المتصوّفة الزّهاد وهو معروف الكرّخي كان مندائي الأصل، وكان مُتأثرًا إلى حدٍّ ما بعقائد قومه المندائيين، ومنها علاقة الموتى بالأحياء، والتي تتجلّى في قصّة الشاب الذي أتاه فأخبره أنّ والده المُتوفّى يأتيه في منامه ويطلب منه أن يُهدي إليه شيئًا، فنصحهُ بحُفَوظ بأن يُهدي إليه كما يُهدي الأحياء بعضهُم بعضًا²⁵، وفي

²¹ يكلّسون: الصّوفيّة في الإسلام، 19-28.

²² يكلّسون: نفسه، 48.

²³ المرجع نفسه، 69-70.

²⁴ هنري كوربان: السّهووردي الحلبي، مؤسس المذهب الإشرافي، في: - شخصيّات قلقة في الإسلام، ترجمة عبد الرّحمن بدوي، القاهرة 1964، 110.

²⁵ ابن الجوزي: مناقب معروف الكرّخي وأخباره، 623-624.

هذا بعض ملامح طُقوس «اللوقاني»²⁶ المندائية. ومن ذلك أيضًا ممارساته التي كانت تُشير عَجَب مُعاصريه، من ذلك أنه تبَوَّل على مَقْرَبَةٍ من الشَّاطِئِ فَيَمِّمُ، مُشِيرًا بِذَلِكَ عَجَب الحاضرين، وهو تَصَرُّف لا يَصِحُّ من الوجهة الدينيَّة²⁷، فأخبروه بأنَّ الماءَ قَرِيبٌ ولا مُبَرَّرٌ لِمَا فعل، فقال معروف: «أخاف ألا أَعِيشَ لأبْلُغَه»²⁸، وقد يُشير هذا إلى خَوْفه من تَدْنِيسِ الماءِ الجاري وإلى بَقَاء بعضِ المؤثرات المندائيَّة في نفسه.

ونجِدُ في بعضِ اعتقادات الصَّابئة ذات الأصل الغنوصي كَنَفِي التَّشْبِيهِ عن الله مُطْلَقًا سِمَةً اِمْتَارَتْ بها بعضُ دَعَوَات غُلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ كَالْحَلَّاج (ت309هـ/ 921م) فقد نَقَلَ اتِّبَاعُهُ عن لِسَانِهِ قَوْلَهُ فِي صِفَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَصَفَهُ لَا صِفَةَ لَهُ، وَفَعَلَهُ لَا عِلَّةَ لَهُ، مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَوْهَامِ فَهُوَ بِخِلَافِهِ»²⁹. كذلك اتَّهَمَ بعضُ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ بعضَ هؤلاءِ الغُلَاةِ بِالْأَخْذِ مُبَاشَرَةً عَنِ الصَّابَةِ فَقَدْ اتَّهَمَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ابْنَ عَرَبِي (ت638هـ/ 1240م) أَنَّهُ اسْتَقَى النُّبُوءَاتِ الْخُرَافِيَّةَ وَمُدَّةَ بَقَاءِ الْعَالَمِ وَقِيَامَ الْقِيَامَةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي كِتَابِهِ «عَنْقَاءُ مُغْرِبٍ» مِنْ حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ وَنُبُوءَاتِ الصَّابَةِ³⁰.

ومن المؤثرات الصَّابِيَّةِ الْبَارِزَةِ فِي مُعْتَقَدَاتِ الْمُتَصَوِّفَةِ ذَلِكَ الْاِعْتِقَادُ الَّذِي يَعتَبِرُ الْأَرْضَ أَمْرَةً وَالسَّمَاءَ رَجُلًا، وَالْمَاءَ الْجَارِيَّ بِمِثَابَةِ النَّطْفَةِ، فَهُوَ الَّذِي يُلْقِحُ الْأَرْضَ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِنْخِصَابِهَا، وَهُوَ لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى إِنْخِصَابِ الْأَرْضِ فَحَسَبَ؛ بَلْ إِنْخِصَابُ النِّسَاءِ أَيْضًا، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي سِيرَةِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ الْمَنْدَائِيَّةِ، فَقَدْ أُعْطِيَ «أَنْشُ إِثْرًا»³¹ «أَنْشِي» [إِلْيَا صَابَاتِ

²⁶ عن «اللوقاني» راجع الفصل التاسع.

²⁷ وعَقِبَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَلَى هَذِهِ الزَّوَايَا مُتَعَجِّبًا بِقَوْلِهِ إِنَّ الزَّالُوِيَّ عَنْ مَعْرُوفٍ رُبَّمَا لَمْ يَفْهَمْ عَنْهُ، وَأَنَّهُ لَمَّا بَالَ اسْتَجَرَّ، إِذْ أَنَّ التَّيْمُ مَعَ قُرْبِ الْمَاءِ لَا يَصِحُّ. ابْنُ الْجَوْزِيِّ: مَنَاقِبُ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ وَأَخْبَارُهُ، 642.

²⁸ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: نَفْسُهُ، نَفْسُ الصَّفْحَةِ.

²⁹ لُؤَيْسُ مَاسِينِيُون: أَخْبَارُ الْحَلَّاجِ الْمَعْرُوفِ بِمُنَاجِيَاتِ الْحَلَّاجِ، بَارِيس 1936، 31.

³⁰ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: الْفَتَاوَى الْكُبْرَى، 3: 123.

³¹ أَحَدُ كِبَارِ الْمَلَائِكَةِ الثُّورَانِيْنَ فِي الْعَقَائِدِ الْمَنْدَائِيَّةِ، وَهُوَ يَلْعَبُ فِي الْأَسَاطِيرِ الْمَنْدَائِيَّةِ دَوْرَ رُسُولِ «مَنْدَادِ هَيْي» [عَارِفِ الْحَيِّ] وَحَامِلِ رِسَالَتِهِ إِلَى بَنِي الْبَشَرِ.

كما في [الأنجيل] أم يوحنا ماء جاريا طاهرا للشرب، ومن ذلك الماء أصبحت حاملا؛ لأن زوجها زكريا كان شيخا هريما لا يقوى على الإنجاب.³²

وقد شخص غلاة الصوفية الأسطورة المندائية في أسطورة تجسد الحلاج بعد مقتله، والتي تلخص في أنه لدى مقتل الحلاج ملأت أخته إناء من ماء النهر الجاري بأمر من أخيها عندما جاءها في منامها، فتجسدت روح أخيها في ذلك الإبريق، وحين شربت منه أصبحت حاملا به، ثم ولدت ولدا بعد تسعة أشهر، وبذلك تجسدت روح الحلاج ثانية لاتباعه في جسد المولود الصغير.³³

نجد أيضا أن مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية التي نأت عن مذهب أهل السنة قد تأثرت بشكل ما بمعتقدات الصابئة، فالجهمية³⁴ والنظامية³⁵ من أكثر الفرق تأثرا بمقولات الصابئة، فقد اتهم الجعد بن درهم وجهم بن صفوان مؤسسا فرقة الجهمية بالاتصال بصابئة

³² دزاور: الصابئة المندائيون، 167.

³³ دزاور: نفسه، 167.

³⁴ اتباع جهم بن صفوان (الموتى نحو عام 130هـ/747م)، وهو تلميذ الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري عام 124هـ/741م، والجهمية فرقة من غلاة الجبرية (القائلين بنفي الاستطاعات)، ومذهبهم يقوم على أن جميع الأفعال هي لله وحده، وأنها تُنسب للمخلوقين على سبيل المجاز، وبالتالي فإن جميع المخلوقات مسيرة لا محيرة، كما آمن الجهمية بتعطيل الصفات، وقالوا إن الباري أجل من أن يوصف، كما آمن الجهمية أيضا بفتاء الجنة والنار بعد تلذذ أهل الجنة وتألم أهل النار، وفسر قوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ على المبالغة لا التحقيق، قتل جهم بن صفوان في حران في خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وللتفصيل عن الجهمية انظر: - الشهرستاني: الملل والنحل، 1: 86 وما بعدها؛ الأشعري: المقالات والفرق، 6؛ الرأزي: اعتقادات فرق المسلمين، 86.

³⁵ اتباع إبراهيم بن سيار النظام (ت 231هـ/845م)، وهو ابن أخت أبي هذيل العلاف شيخ المعتزلة في عصره، وعنه أخذ الاعتزال، والنظامية إحدى أهم فرق المعتزلة، وهم يؤمنون بقدرة المخلوقات على الفعل والاختيار مطلقا، وبالغوا في هذا حتى قالوا بأن المخلوق يقدر على فعل أشياء لا يقدر عليها الخالق، كما رفضوا الاجتماع والقياس ورواية الآحاد عند التشريع، عن النظامية انظر: - الشهرستاني: الملل والنحل، 1: 53 وما بعدها؛ الرأزي: اعتقادات فرق المسلمين، 41-42.

حَرَّانَ وَالْأَخْذَ عَنْهُمْ مُبَاشَرَةً³⁶. كما اتَّهَمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيَّارِ النَّظَّامُ؛ مُؤَسِّسَ فِرْقَةِ النَّظَّامِيَةِ أَيْضًا بِالتَّأَثُّرِ بِمَقُولَةِ الْفَلَّاسِفَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ، فَقَدْ اشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي الْإِيمَانِ فِيمَا يُسَمَّى اضْطِلَاحًا بِ«تَعْطِيلِ الصِّفَاتِ»، وَنَفَى الشَّرُّ عَنِ الْبَارِي³⁷. وَتِلْخَصُ ذَلِكَ فِي الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُوصَفَ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ هِيَ مِنْ بَابِ التَّقْرِيبِ لِأَذْهَانِ الْبَشَرِ، لَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ صِفَاتٌ مُتَوَهِّمَةٌ، يَجِلُّ اللَّهُ عَنْ مُجَرَّدِ الْإِتِّصَافِ بِهَا، وَهِيَ مُعْتَقَدَاتٌ تَفَرَّدَ بِهَا الْحَرَنَانِيَّةُ الَّذِينَ وَصَفُوا الْبَارِيَّ بِأَنَّهُ مُتَزَّهٍ عَنِ الصِّفَاتِ، فَالْتَدِيمُ يَنْقُلُ عَنِ ابْنِ الطَّيِّبِ السَّرَخْسِيِّ قَوْلَهُ إِنَّ الصَّابِتَةَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْبَارِيَّ لَا تَلْحَقُهُ صِفَةٌ³⁸.

بَلْ إِنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ اتَّهَمَ الصَّابِتَةَ عُمُومًا بِأَنَّ مُعْتَقَدَاتِهِمْ حَوْلَ قِدَمِ الْعَالَمِ وَأَزَلِّيَّتِهِ، وَالْقَوْلِ بِثَنَائِيَّةِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَعِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ وَالتَّجُومِ عَلَى أَنَّهَا قُوَى فَاعِلَةٌ وَمُؤَثِّرَةٌ فِي مَصَائِرِ الْبَشَرِ هِيَ وَرَاءَ مَا سُمِّيَ بِظَاهِرَةِ «الزُّنْدَقَةِ» فِي الْإِسْلَامِ، وَمِنْ ثَمَّ هَاجَمَ بِشِدَّةٍ سِيَاسَةَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مُحَابَاتِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ³⁹.

³⁶ الْكَرْمِيُّ الْمَقْدِسِيُّ: أَقَاوِيلُ الثَّقَاتِ فِي تَأْوِيلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ وَالْمُسْتَبْهَاتِ، تَحْقِيقُ شُعَيْبِ الْأَرْزَانَوطِ، بَيْرُوتَ 1406، ص 230. رَشِيدُ الْحَيُّونَ: مُعْتَزَلَةُ الْبَصْرَةِ وَبَغْدَادَ، بَغْدَادَ 1997، 54.

³⁷ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِيُّ: الْمِلَلُ وَالنَّحَلُ، تَحْقِيقُ أَلْبِيرِ نَضْرِي نَادِرٍ، دَارُ الْمَشْرِقِ، بَيْرُوتَ د.ت، 91.

³⁸ التَّدِيمُ: الْفَهْرَسْتُ، 2: 361، CHWOLSOHN: op. cit, p 12.

³⁹ الْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا الْإِتِّهَامَ بِالْمُجْمَلِ لَهُ مَا يَبْرره، فَالزُّنْدَقَةُ خَلِيطٌ مِنَ الْمُعْتَقَدَاتِ ذَاتِ الطَّبِيعَةِ التَّلْفِيقِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنِ الْمُنْدَائِيَّةِ وَالْمَانَوِيَّةِ وَالنَّضْرَانِيَّةِ، وَتَقُومُ عَلَى الْإِعْتِقَادِ بِثَنَائِيَّةِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَالصَّرَاحِ بَيْنَ الْبَارِيِّ وَبَيْنِ الشَّيْطَانِ، وَهِيَ مُعْتَقَدَاتٌ جَسَّدَتْهَا الدِّيَانَةُ الْمَانَوِيَّةُ، وَلَكِنْ مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ الْمَانَوِيَّةُ عَنِ الْمُنْدَائِيَّةِ هِيَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ دِيَانَةً بَاطِنِيَّةً مُطْلَقًا؛ لِذَا فَقَدْ تَعَرَّفَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا عَنْ كُتُبٍ، وَأَطْلَقُوا عَلَى أَتْبَاعِهَا جَمِيعًا لَقَبَ الزُّنَادِقَةِ. فَقَدْ نَشَأَتِ الْمَانَوِيَّةُ بَيْنَ أَحْصَانِ الْمُنْدَائِيَّةِ، فَقَدْ وُلِدَ مَانِيٌّ فِي دَسْتُمِيسَانَ عَامَ 216م فِي بَيْتَةٍ مُنْدَائِيَّةٍ صِرْفَةً، وَاعْتَنَقَ وَالِدُهُ دِيَانَةَ الْمُنْدَائِيِّينَ وَصَارَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّ مَانِيَّ نَفْسَهُ نَشَأَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُنْدَائِيِّينَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُيَسَّرَ بَدْيَانَتُهُ الْخَاصَّةُ، وَالتِّي نُسِبَتْ إِلَيْهِ، التَّدِيمُ: الْفَهْرَسْتُ، 2: 379-380؛ قَارَنَ أَيْضًا: أَرْزَرُ كَرِيْسْتِنْسَن: إِيرَانَ فِي عَهْدِ السَّاسَانِيِّينَ، تَرْجَمَةُ يَحْيَى الْحَشَّابِ، الْقَاهِرَةُ 1998، 171؛ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحَمْدُ: الدِّيَانَةُ الْيَزِيدِيَّةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْمَانَوِيَّةِ، دِمَشَقَ 2001، 30؛ وَقَدْ لَفَتِ الشَّابَهُ فِي الْمُعْتَقَدَاتِ بَيْنَ الصَّابِتَةِ وَالْمُنْدَائِيِّينَ وَبَيْنَ الْمَانَوِيَّةِ أَنْظَارَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا بِالْفَعْلِ بِوُجُودِ أَصُولٍ وَاحِدَةٍ لِمُعْتَقَدَاتِ كِلْتَا

وَسَنَجِدُ تَأْثِيرًا مِندائيًّا صَرَفًا فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَفِرْقَةِ الْمُبِيزَةِ⁴⁰، وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْاسْمَ نَتِيجَةً مُعَالَاغِهِمْ فِي ارْتِدَاءِ الْبَيَاضِ، وَهُوَ مَلْبَسُ الصَّابِنَةِ الْمُغْتَسِلَةِ نَفْسُهُ، وَقَدْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ بَغْيُهُ لَا تَتِمُّ شَعَائِرُهُمُ الدِّينِيَّةُ، وَهِيَ مُعْتَقَدَاتُ الصَّابِنَةِ الْمُنْدَائِيِّينَ نَفْسَهَا فِي ارْتِدَاءِ الرِّسْتَةِ الْبَيْضَاءِ⁴¹.

وَيُعْتَبَرُ الْمُعْتَرِلَةُ⁴² مِنْ أَكْثَرِ الْفِرَقِ تَأْثِيرًا بِمَقُولَاتِ الصَّابِنَةِ، وَكَانَ فِكْرُ الْمُعْتَرِلَةِ أَثَرًا مُبَاشِرًا لَانْفِتَاحِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّنَاجِ الْفِكْرِيِّ لِلْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَمُعْتَقَدَاتِ صَابِنَةِ حَرَّانَ عَلَى

الْفِرْقَتَيْنِ، انْظُرْ: الْجُمْيَرِيُّ: الرُّؤُوسُ الْمِغْطَارُ، 191؛ الْمَأْتَرِيدِي: التَّوْحِيدُ، تَحْقِيقُ قَتَحِ اللَّهِ خَلِيفِ، الْإِسْكَندَرِيَّةِ د.ت، 171؛ الْبِيرُونِي: الْقَانُونُ الْمُسْعُودِي، 1: 92. وَلَمْ يَكُنِ الْبَاحْثُونَ يَنْظُرُونَ بَعِينَ الْارْتِبَاحِ لِمَقُولَةِ النَّدِيمِ عَنْ نَشْأَةِ مَانِي فِي أَوْسَاطِ الْمُنْدَائِيِّينَ، وَعَنْ تَأْثِيرِ الْمَانَوِيَّةِ بِالْمُنْدَائِيَّةِ، بَلْ كَانُوا يَعْزُونَ التَّشَابَهَ بَيْنَهُمَا إِلَى تَأْثِيرِ الْمُنْدَائِيَّةِ بِالْمَانَوِيَّةِ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَقَدْ ظَلَّ هَذَا الْمَوْضُوعُ مَحَلَّ اخْتِلافٍ وَرَدٍّ بَيْنَ الْبَاحْثِينَ حَتَّى حَسَمَ بَاحِثٌ سُوَيْدِي هَذَا الْجَدَلَ تَمَامًا، فَقَدْ لَاحَظَ سُوَيْدِي بِرِغْ S. SODERBERG أَثْنَاءَ دِرَاسَتِهِ لِلتَّرَاثِ الْمَانَوِيِّ فِي مَجْمُوعَاتِ نَجْعِ حَمَادِي أَنَّ كِتَابَ التَّرَاتِيلِ الْمَانَوِيَّةِ الْمُدَوَّنَ بِاللُّغَةِ الْقِبْطِيَّةِ يَفْتَبِسُ كَثِيرًا وَأَحْيَانًا يُرْجَمُ كَلِمَةً فَكَلِمَةً مِنْ كُتُبِ التَّرَاتِيلِ الْمُنْدَائِيَّةِ، وَقَطَعَ عَزِيزُ سَبَاحِي خُطُوَةً أُخْرَى أَكْبَرَ عِنْدَمَا نَوَّهَ إِلَى صَحَّةِ مَا جَاءَ عِنْدَ النَّدِيمِ بَعْدَ أَنْ أَطْلَعَ عَلَى مَخْطُوطَةٍ قَدِيمَةٍ ضَمَّنَ مَجْمُوعَاتِ نَجْعِ حَمَادِي؛ اضْطَلَحَ الْبَاحْثُونَ عَلَى تَسْمِيَتِهَا *The Cologne Mani Codex* وَضَعَتْ لِلدِّفَاعِ عَنْ مَانِي وَعَقَائِدِ الْمَانَوِيَّةِ، وَتَضَمَّ أَقْوَالًا بَعْضُهَا مَنْسُوبٌ إِلَى مَانِي نَفْسُهُ وَأُخْرَى مَنْسُوبَةٌ إِلَى تَلَامِيذِهِ، وَضَعَتْ عَلَى أَقْصَى تَقْدِيرٍ بَعْدَ قَرْنَيْنِ وَنِصْفِ الْقَرْنِ مِنْ وَفَاةِ مَانِي؛ أَيْ مَعَ دُخُولِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْبِرَاقِ، وَقَدْ وَرَدَ بِهَا تَأْصِيلٌ لِمَزَاجِ النَّدِيمِ مِنْ أَنَّ مَانِي كَانَ مُنْدَائِي الدِّينَاةِ، وَعَاشَ بَيْنَ ظَهْرَانِي طَائِفَةِ الْمُغْتَسِلَةِ وَالَّذِينَ تُطْلَقُ عَلَيْهِمُ الْمَخْطُوطَةُ لِقَبِّ الْمُتَعَمِّدِينَ أَوْ الْمُعْمَدَانِيِّينَ، وَهُوَ لِقَبُّ يُوَزَارِي مَا أَوْرَدَهُ النَّدِيمُ مِنْ تَسْمِيَتِهِمُ بِالْمُغْتَسِلَةِ، سَبَاحِي: أَصُولُ الصَّابِنَةِ، 249-251.

⁴⁰ فِرْقَةٌ مِنَ الشَّيْعَةِ الْغُلَاةِ، الَّذِينَ غَالُوا فِي ائْتِمَاتِهِمْ وَنَسَبُوهُمْ إِلَى صِفَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَكَانَ مَرْكَزُهُمْ بِيْلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.

⁴¹ الْبِيرُونِي: الْأَثَارُ الْبَاقِيَّةُ، 211. وَعَنْ الرِّسْتَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ، رَاجِعِ الْفَصْلَ التَّاسِعَ.

⁴² الْمَلْطَطِيُّ الشَّافِعِيُّ: التَّنْبِيهُ وَالرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ زَاهِدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكُوْثُرِيُّ، الْقَاهِرَةُ 1991، 38؛ وَعَنْ الْاِعْتِرَالِ وَبِدَائِيَّاتِهِ الْأُولَى انْظُرِ الْفَصْلَ الْبَدِيعَ الَّذِي عَقَدَهُ كَارُلُ الْفُونْسُو نِيلِينُو بِعَنْوَانِ: بَحْثُ فِي الْمُعْتَرِلَةِ، ضَمَّنَ كِتَابَ التَّرَاثِ الْيُونَانِيِّ فِي الْخِصَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، تَرْجَمَهُ وَتَحْرِيرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدْوِي، 173-203.

السَّوَاءُ⁴³. وَهُمْ أَوَّلُ فِرْقَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ عَرَضَتْ مَذْهَبَهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ عَلَى نَحْوِ مَذْهَبِي مُتَكَايِلٍ، وَكَانُوا لَا يَقْفُونَ عِنْدَ النُّصُوصِ بِحَرْفِيَّتِهَا كَمَا كَانَ دَابُّ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، وَكَانُوا يُجَاوِلُونَ دَائِمًا التَّفَازَ إِلَى مَا وَرَاءَ النَّصِّ؛ لِذَا عُرِفُوا بِـ«أَهْلِ الْكَلَامِ» أَوْ «أَهْلِ الرَّأْيِ»⁴⁴، أَخَذَ الْمُعْتَزَلَةُ عَنِ الصَّابَةِ اعْتِقَادَهُمْ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِعَدَمِ نِسْبَةِ الشَّرِّ إِلَى اللَّهِ⁴⁵، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْبَارِيَّ عَزَّ وَجَلَّ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ الشَّرَّ وَالْقَبَاحَ وَالْأَقْدَارَ وَالْخَنَافِسَ وَالْحَيَاتَ وَالْعَقَارِبَ، بَلْ هِيَ ضُرُورَاتٌ تَنْبَجَتْ عَنِ اتِّصَالَاتِ الْكَوَاكِبِ سَعَادَةً وَنَحْسًا⁴⁶، كَمَا نَقَلُوا عَنْهُمْ اعْتِقَادَاتِهِمْ ذَاتِ الطَّبِيعَةِ الْغَنُوصِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِنَفْيِ التَّشْبِيهِ أَوْ نَفْيِ الصِّفَاتِ عَنِ الْبَارِيِّ مُطْلَقًا⁴⁷.

وَقَدْ لَاحَظَ عُلَمَاءُ الْمُعْتَزَلَةِ أَنْفُسَهُمْ تَطَابُقَ مُعْتَقَدَاتِهِمْ مَعَ عَقَائِدِ صَابَةِ حَرَّانَ فِي بَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ الدَّقِيقَةِ، وَقَدْ اسْتَشْعَرَ الْقَاضِي الْمُعْتَزَلِيُّ عَبْدَ الْجَبَّارِ - هُوَ رَأْسُ الْمُعْتَزَلَةِ فِي زَمَانِهِ - خَطُورَةَ ذَلِكَ الْاِتِّهَامِ الَّذِي يَضَعُ الْمُعْتَزَلَةَ فِي الْمُرْبَعِ ذَاتِهِ مَعَ الصَّابَةِ، فَقَالَ مُتَحَرِّجًا وَنَاصِحًا أَتْبَاعَهُ بِكَيْفِيَّةٍ دَفَعَ هَذَا الْاِتِّهَامَ عِنْدَ الْحُجَّاجِ «إِنْ قِيلَ أَيْنَ أَنْتُمْ [أَيِ الْمُعْتَزَلَةِ] عَنِ الْقَائِلِينَ بِالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ؟، وَعَمَّنْ يَقُولُ بِإِبْنَاتِ عِلَّةٍ كُنِّيَ بِهَا عَنِ الْبَارِي؟، وَكَذَلِكَ أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ أَصْحَابِ النُّجُومِ الَّذِينَ أَضَافُوا هَذِهِ الْحَوَادِثَ إِلَى تَأْثِيرَاتِ الْكَوَاكِبِ؟...»⁴⁸.

كَذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ بَعْضَ عَقَائِدِ الْمُنْدَثَائِيِّينَ الدِّيْنِيَّةِ وَجَدَتْ طَرِيقَهَا إِلَى الْكِتَابِ الْمُسْلِمِينَ،

⁴³ A. I. SABRA: *The scientific enterprise, in: world of Islam*, p 181.

⁴⁴ JOSEPH SCHACHT: *The origins of Muhammadan jurisprudence*, Oxford univ. press 1950, p 128.

⁴⁵ أَحَدُ بَنِي يُحْيَى الْمُرْتَضَى: بَابُ ذِكْرِ الْمُعْتَزَلَةِ مِنْ كِتَابِ الْمُنْبِيَةِ وَالْأَمَلِ فِي شَرْحِ الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ، بِاعْتِثَاءِ تُوْمَاسِ أَرْنُولْد، مَشْهُورَاتُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُمَمَانِيَّةِ، حَيْدَرُ أَبَادِ الدُّكْنِ د.ت، 6.

⁴⁶ الشَّهْرَسْتَانِي: الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ، 1: 56.

⁴⁷ دُومِينِيكُ سُوْرْدِيل: الْإِسْلَامُ وَالْقُرُونُ الْوُسْطَى، 95؛ أَلْبِيرُ نَضْرِي نَادِر: فِلَسْفَةُ الْمُعْتَزَلَةِ؛ فِلَاسِفَةُ الْإِسْلَامِ الْاَقْدَمِينَ، الْقَاهِرَةُ د.ت، 1: 37 وَمَا بَعْدَهَا.

⁴⁸ شَرْحُ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ الْكَرِيمِ عُثْمَانَ، الْقَاهِرَةُ 2009، 120-121.

فنظرية العالم الآخر الموزي هي نظرية مندائية صرفة⁴⁹، حيث تنتقل الروح الطاهرة إلى أرض العهد «مشوني غشطاً»⁵⁰، وهي أرض تقع إلى الشمال وراء منطقة الجليد والثلج حيث النور الدائم، وحيث كل شيء أبيض نقي، وحيث يمكن لقاطنيها أن يروا الكائنات النورانية ويتحدثوا معها وحيث الجميع في تسييح الباري⁵¹. ومن المدهش أن نجد القزويني يتحدث عن أرض الأطنهار؛ وهي أرض وصفها بأنها بيضاء، تسيّر فيها الشمس ثلاثين يوماً؛ مخشوة من خلق الله تعالى لا يعلمون أن الله يغصى طرفه عين⁵². الاعتقاد نفسه عند العالم الصوفي السهروردي (ت 587هـ / 1191م) الذي يتحدث عن أرض بيضاء كالرخام عرضها مسيرة الشمس أربعين يوماً طولها لا يعلمه إلا الله، تملوءة بأطنهار يقال لهم الروحانيون، وهم زجل بالنسيح والتهليل⁵³.

كما انتقلت بشكل ما بعض موروثة المندائيين إلى عامة المسلمين، فالقُطب الشمالي قبلة المندائيين الدينية، يمكن للأزمد الناظر إليه يوم الأحد - وهو يوم المندائيين المقدس - أن يشفي من الرمد، وهو يشفي كذلك الأسود والذبية والنمور من أمراضها⁵⁴. والطريف أيضاً في هذا الصدد أن التقليد الشرقي في تسمية الشخص باسم أمه فيما يخص الرقى والتعاوين والسعوذة والسحر الأسود هي مؤثرات مندائية صرفة.

⁴⁹ عن نظرية العالم الموزي راجع الفصل الثالث.

⁵⁰ مشوني غشطاً، تقول دراور أن معناها يَحْتَمِل أن يكون باللغة المندائية «الحق المرفوع من لدنا»، وهو عالم الأنوار عند المندائيين، فوقاً للعقيدة المندائية فإن لدى الوفاة تفارق الروح الجسد الترابي الفان، وتلتحق بالجسم الأثيري لشبيه الإنسان، وفي هذا الجسم الأخير تُعاني الروح آلام التطهير، أما الشبيه في مشوني غشطاً فهو لدى وفاة صنوه الأزضي يستعد جسده الأثيري لاستقبال روح المتوفى، وحين تكون النفس البشرية قد أتمت دورها التطهيرية يتحد الشخص مع قرينه، تفصيلاً انظر: دراور: الصابئة المندائيون، 110-111.

⁵¹ دراور: الصابئة المندائيون، 112.

⁵² القفطي: إخبار العلماء، 133.

⁵³ السهروردي: كشف الفصائح اليونانية، ورشف النصائح الإيبانية، تحقيق عائشة يوسف المناعي، القاهرة 1999، 115.

⁵⁴ شينغ الزبوة: عجائب الدهر، 73.

والطَّرِيفُ أَنْ نَجِدَ الْجُغْرَافِيَّاءَ عِنْدَ الْقَدَمَاءِ - بِشَكْلِهَا الْكَلَّاسِيكِيِّ - قَدْ تَأَثَّرَتْ كَثِيرًا بِمُعْتَقَدَاتِ الصَّابِنَةِ الدِّينِيَّةِ، حَتَّى أَنَّنَا لَا نَزَالُ حَتَّى الْيَوْمِ نَسْتَخْدِمُ فِي مُصْطَلَحَاتِنَا الْجُغْرَافِيَّةِ بَعْضًا مِنْ هَذَا التَّرَاثِ، فَأَقَالِيمُ الْأَرْضِ سَبْعَةٌ، مَقْسُومَةٌ عَلَى الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ، ودَوَائِرُ الْعَرْضِ الْاثْنَتَيْنِ عَشْرَ هِيَ ذَاتُهَا عِلَامَاتُ الْبُرُوجِ الْاثْنَتَيْنِ عَشْرَ، فَالْأَقْلِيمُ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَرْضُ الْهِنْدِ، وَلَهُ مِنَ الْكَوَاكِبِ رُحْلٌ، وَمِنَ الْبُرُوجِ الْجُذْيُ وَالذَّلْوُ⁵⁵، وَالثَّانِي وَيَضُمُّ الْحِجَازَ وَالْحَبَشَةَ وَهُوَ لِلْمُشْتَرَى وَلَهُ مِنَ الْأَبْرَاجِ الْقَوْسُ وَالْحَوْتُ⁵⁶، وَالثَّلَاثُ مِضَرُ وَإِفْرِيقِيَّةٌ وَلَهُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الْمِرْيَخُ، وَمِنَ الْأَبْرَاجِ الْحَمَلُ وَالْعَقْرَبُ⁵⁷، وَالرَّابِعُ وَيَشْمَلُ بَابِلَ وَالْعِراقَ وَلَهُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الشَّمْسُ، وَمِنَ الْبُرُوجِ الثَّوْرُ وَالْمِيزَانُ⁵⁸، وَالْخَامِسُ وَيَشْمَلُ أَرْضَ الرُّومِ وَلَهُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الزَّهْرَةُ، وَمِنَ الْبُرُوجِ الْجُوزَاءُ وَالسُّنْبُلَةُ⁵⁹، وَالسَّادِسُ وَيَشْمَلُ أَرْضَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُوَ لِعُطَّارِدَ، وَلَهُ مِنَ الْبُرُوجِ الشَّرْطَانُ وَالْأَسَدُ⁶⁰، وَالسَّابِعُ وَيَشْمَلُ الصِّينَ وَهُوَ لِلْقَمَرِ⁶¹. وَمَا زِلْنَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا نَجِدُ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْأَبْرَاجِ الْفَلَكَيَّةِ وَمَا يَحْدُثُ لِلْإِنْسَانِ جَرَاءَ تَبَدُّلِ أَحْوَالِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ وَاخْتِلَافِ مَنَازِلِهَا، وَيُؤْمِنُ أَيْضًا بِتَدْخُلِ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَحَرَكَاتِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ فِي مَصِيرِ الْإِنْسَانِ وَمَبُولِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَادَاتِهِ، وَسَائِرِ مَا يَقَعُ لَهُ فِي حَيَاتِهِ.

⁵⁵ مُهْرَاب: عَجَائِبُ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ، 12.

⁵⁶ نَفْسُهُ، 16.

⁵⁷ نَفْسُهُ، 20.

⁵⁸ نَفْسُهُ، 23.

⁵⁹ نَفْسُهُ، 31.

⁶⁰ نَفْسُهُ، 37.

⁶¹ نَفْسُهُ، 41؛ قَارَنَ الْمُشْعُودِي: التَّثْبِيهِ وَالْإِشْرَافَ، 31.

الفصل

الخامس عشر

15

أثر الصابئة

في الفلسفة الإسلامية

«قال الكندي إنّه نظر في كتاب يُقرُّ
به هؤلاء القوم أيّني صابئة حرّان، وهو
مقال لِهَرْمَسُ في التَّوْحِيدِ؛ كتبها لابنه
على غاية من التّقانة في التَّوْحِيدِ، لا يمدُّ
الفيلسوف - إذا اتّعب نفسه - مندوحةً
عنّها والقول بها!!».

محمد به إسحاق النديم

قَبْلَ الْوُلُوجِ فِي مُعَالَجَةِ أَثَرِ الصَّابِئَةِ فِي الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَجِبُ الْإِفْرَارُ مُسَبِّقًا بِأَنَّ
 الْفَلَسَفَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَعَقَائِدَ صَابِئَةِ حَرَّانَ الدِّينِيَّةَ نَهَلَتْ مِنَ الْمَنْبَعِ نَفْسَهُ، وَهُوَ أَعْمَالُ حُكَّاءِ يُونَانَ
 الْقُدَامَى وَنَظَرِيَّاتِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ، وَعَلَى الْأَخْصَصِ فَيَسَاغُورَسُ وَأَفْلَاطُونُ وَبُروْقْلُسُ وَأَفْلُوطِينُ
 الْمِصْرِيِّ¹، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْقَوْلَ بِأَنَّ جَمِيعَ الْأَفْكَارِ وَالنَّظَرِيَّاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْهَلَلِيَّةِ الَّتِي
 اسْتَعَارَتْهَا الْفَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ مَثِيلَتِهَا الْيُونَانِيَّةِ هُوَ نَتَاجُ تَأَثُّرِ الْفَلَاسِفَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْفَلَاسِفَةِ
 مِنْ صَابِئَةِ حَرَّانَ بِالْمُطْلَقِ، فَذَلِكَ يَدْخُلُ فِي حُكْمِ التَّعْميمِ الْجَائِزِ؛ حَتَّى وَإِنْ تَطَابَقَتْ الْأَفْكَارُ
 وَالْمَقُولَاتُ وَالنَّظَرِيَّاتُ². وَذَلِكَ لَسَبَبِ جَوْهَرِي يَحْكُمُنَ فِي أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ الْمُسْلِمِينَ عَادُوا إِلَى
 الْمَصَادِرِ الْإِغْرِيقِيَّةِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ نَفْسَهَا - وَالَّتِي تَرْجَمُ الْحَرَنَانِيَّةَ أَنْفُسَهُمْ جُزْءًا غَيْرَ يَسِيرٍ مِنْهَا -
 وَحَاوَلُوا أَكْثَرَهُمْ - جَهْدَ الطَّاقَةِ - وَضَعَ تِلْكَ الْأَفْكَارِ وَالنَّظَرِيَّاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ فِي قَالِبٍ إِسْلَامِيٍّ
 لِيُثْلَاثِمَ الْعَقَائِدَ الْإِسْلَامِيَّةَ.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ دِرَاسَةَ عُنَاوِينِ التَّشَابُهِ وَدَوَائِرِ التَّشَاسُّ وَنَقَاطِ التَّلَافِي بَيْنَ أَفْكَارِ
 الْفَلَاسِفَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ وَبَيْنَ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَجِبُ أَنْ تَتَمَّ بِعِنَايَةٍ وَجَرَحٍ شَدِيدِينَ، فَكَثِيرٌ مِنْ
 تِلْكَ الْعُنَاوِينِ الَّتِي تَتَلَاقَى فِيهَا الْفَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَأَرَءَا الْفَلَاسِفَةِ مِنْ صَابِئَةِ حَرَّانَ يُمَكِّنُ
 رَدُّهَا إِلَى الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْأُمِّ، وَالَّتِي لَمْ يَقِفِ الْفَلَاسِفَةُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى نَتَاجِهَا عَنْ طَرِيقِ
 تَرْجَمَاتِ صَابِئَةِ حَرَّانَ فَحَسَبَ، بَلْ كَانَتْ هُنَاكَ أَيْضًا جُهُودٌ لَا تُنْكَرُ مِنْ جَانِبِ النَّصَّارِيِّ
 الشَّرِّيَّانِ بِالشَّامِ وَجُنْدِيسَابُور³ فِي مَجَالِ إِحْيَاءِ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ.

¹ سَبَقَ وَأَنْ وَصَفَ الْمُسْتَشْرِقُ إِرْزَنْت رِيَّانَ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةَ بِأَنَّهَا فِلَسْفَةُ يُونَانِيَّةٌ صِيغَتْ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ، انْظُرْ:-
 كَامِلُ حَمُود: دَرَاثَاتُ فِي تَارِيخِ الْفَلَسَفَةِ الْعَرَبِيَّةِ، 24. وَعَنْ الْهَلَلِيَّةِ فِي الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ انْظُرْ:- كَارْلُ
 هِينْرِشْ بِيكِر: ثُرَاتُ الْأَوَائِلِ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، ضَمِنَ كِتَابُ: الثَّرَاثُ الْيُونَانِيَّ فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ،
 مَرْجِعُ سَابِقٍ، 3-23.

² الْمُقَدِّسِي: الْبِدْءُ وَالتَّارِيخُ، 4: 24.

³ ازدهرت المدارس الفلسفية الهلالية في العصر الهلليستي، وعندما ظهرت الأفلاطونية المحدثه على يد
 أفلوطين، تمكنت من إزاحة ما قبلها من مختلف المذاهب الفلسفية اليونانية، ثم لم تلبث أن انقسمت إلى

لهذا السبب سنكتفي هنا بمعالجة نواحي التشابه والتطابق بين آراء الفلاسفة المسلمين التي تخالط المعتقدات الدينية للحرثانية فحسب، وذلك لسببين منهجيين، أولهما: أنَّ صابنة حرّان مزجوا معتقداتهم الدينية المستمدة من الفلسفة اليونانية بمزيج من العقائد الدينية ذات الأصول الشّرقية كما سبق ومرّ بنا من قبل، وثانيهما: لأنّ هذه الأفكار والمعتقدات تتعارض مع العقيدة الإسلامية، وهنا فقط يبدو دور الفلاسفة من صابنة حرّان فاعلاً وعلى نحو أكثر وضوحاً.

ومن الملاحظ أنّه قد واكب انبهار مركزين رئيسيين من أكبر مراكز الثقافة الهلّينية في التقليديّة في العصر الأموي كالإسكندريّة وأنطاكيّة⁴ أن أضحت حرّان وجنديسابور هما

=

مدرستين إحداهما في الإسكندريّة، والثانية في أثينا بزعامة بروفلس، وقد استمرت الأخيرة حتّى أمر الإمبراطور جستنيان بإغلاقها في القرن السادس الميلادي، ومن ثمّ هرب روادها إلى حرّان وجنديسابور، وقد نشأت مدرسة جنديسابور في أعقاب الحرب التي وقعت عام 244م بين سابور بن أردشير والإمبراطور فاليريان، والتي تمكّن فيها الفرس من إيقاع هزيمة ساحقة بالرومان، وقد أحسن سابور إلى الأسرى الرومان، وحاول الإفادة من تخصصاتهم، فبنى بمعاونتهم مدينة «جنديسابور» (وتعني بالفارسيّة معسكر سابور) بالقرب من مدينة سوس، وحرص سابور على حرّية الأسرى فيها بتعلّق بالديانة والعقيدة، ولما كان أغلب هؤلاء الأسرى من سكّان القسم الشرقي من الإمبراطوريّة فقد اضطّبت المدينة منذ نشأتها بطابع يوناني، فانتعشت الثقافة اليونانية بالمدينة التي ازدهرت حتى أصبحت قصبة إقليم خوزستان، وعندما أغلق جستنيان مدارس الفلسفة الوثنيّة بأرجاء الإمبراطوريّة البيزنطيّة رحّب كسرى أنوشروان هؤلاء الهلّينيين الفارّين بأفكارهم ومعتقداتهم وفتح لهم أبواب جنديسابور نكايةً في جستنيان، وكان يطمح أن تأخذ الأخيرة مكانة مدرسة الإسكندريّة الرائدة في الفلسفة والرياضيّات، عن جنديسابور وإنشائها ودورها في انتشار الفلسفة والثقافة الهلّينيّة في الإسلام انظر: أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفيّة، 117؛ أوليري: علوم اليونان، 19 وما بعدها؛ محمد علي أبو ريّان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، الإسكندريّة 1990، 30. ومؤخراً نشر محمد محفوظ سولمليز بحثاً قيماً عن تاريخ مدرسة جنديسابور الفلسفيّة وأهميتها، انظر:-

MEHMET MAHFUZ SÖYLEMEZ: *The Jundishapur School, its History, Structure, and Functions*, The

American Journal of Islamic Social Sciences, Vol. 22, Spring 2005, pp 1-27.

⁴ يرجع الباحثون انبهار مدرسة الإسكندريّة الفلسفيّة إلى انقطاع الإسكندريّة عن بيزنطة بعد الفتح العربي وانعزالها، وانتشار الثقافة القبطيّة المعادلة للروح الهلّينيّة، بالإضافة إلى تضاؤل دورها بعد أن أخذت دمشق عاصمة الدولة الأمويّة الرّيادة، أمّا مدرسة أنطاكيّة فقد أغلقت في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز في ظروف غامضة، تفصيلاً انظر:- ماكس ماير هوف: من الإسكندريّة إلى بغداد، 67-69.

المركّزين الوَحِيدِينَ البَاقِيِينَ مِنْ مَرَاكِزِ إِحْيَاءِ الثَّقَافَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَقَدْ لَعِبَتْ حَرَآنُ بِالذَّاتِ دَوْرًا عَظِيمًا فِي الْحِفَازِ عَلَى الثَّرَاثِ الْهَلَلِيْنِسْتِيِّ وَالَّذِي اعْتَبَرَهُ الْحَرَنَانِيَّةُ ثَرَاثَ أَجْدَادِهِمْ الْمُبَاشِرِ⁵.

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى لَعِبَ الصَّرَاحُ بَيْنَ حَرَآنَ - مَرْكَزِ الثَّقَافَةِ الْوُثْنِيَّةِ - وَبَيْنَ الرُّهَا مَرْكَزِ الثَّقَافَةِ الْمَسِيحِيَّةِ النَّسْطُورِيَّةِ الْمُحَافِظَةَ الدَّوْرَ الْأَكْبَرَ فِي نَشْأَةِ مَا سُمِّيَ بِـ«عِلْمِ الْكَلَامِ» عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا بَعْدَ، فَفِي حَرَآنَ دَارَتْ أَوَّلَى تِلْكَ الْمُنَاطَرَاتِ الْجَدَلِيَّةِ بَيْنَ النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ الرُّهَا وَصَابِئَةِ حَرَآنَ حَوْلَ صِحَّةِ عَقِيدَةِ كُلِّ مِنْهُمَا. وَعِنْدَمَا انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي تِلْكَ الرُّبُوعِ دَخَلَ الْعُلَمَاءُ الْمُسْلِمُونَ الْحَلَّةَ يَتَقَلَّبُ فِي تِلْكَ الْمُنَاطَرَاتِ لِلرَّدِّ عَلَى الْمَطَاعِنِ الَّتِي أَثَارَهَا الْمُتَشَكِّكُونَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ حَوْلَ الْإِسْلَامِ، وَاقْتَضَى ذَلِكَ تَطَرُّقَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَضَايَا فِلْسَفِيَّةٍ ذَاتِ ابْتِعَادٍ دِينِيَّةٍ لَمْ تَكُنْ مَطْرُوحَةً مِنْ ذِي قَبْلِ فِي عَصْرِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ، كَقَضَايَا الْجَبَرِ وَالْإِخْتِيَارِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِلْبَّارِي، وَتَنْزِيهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ خَلْقِ الشُّرُورِ وَالْإِتِّصَافِ بِهَا، وَتِلْكَ الْعَلَاقَةُ الْجَدَلِيَّةُ بَيْنَ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَسَبْقِ عِلْمِهِ بِالْغَيْبِ، وَبَيْنَ قُدْرَةِ الْبَرَايَا عَلَى خَلْقِ الْأَفْعَالِ وَالْإِسْتِطَاعَاتِ، إِلَى جَانِبِ قَضَايَا النَّفْسِ وَالْجَسَدِ وَالرُّوحِ وَغَيْرِهَا مِمَّا كَانَ الْحَرَنَانِيَّةُ وَالشَّرِيَانُ قَدْ أَقَاضُوا فِيهِ جَدَلًا وَقَدْ أَنْ دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ بِلَادَهُمْ فَاتَّحَيْنَ.

وَمِنْ ثَمَّ نَشَأَ عِلْمُ الْكَلَامِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي عُيِّنَ بِمَبَاحِثِ الْإِلَهِيَّاتِ أَوْ مَا يَصْطَلَحُ عَلَيْهِ الْفَلَاسِفَةُ الْيَوْمَ بِـ«الْمِيتَافِزِيْقَا» أَوْ «مَا وَرَاقِيَّاتِ الْإِذْرَاكِ» لِلرَّدِّ عَلَى مَطَاعِنِ الشَّرِيَانِ وَالْحَرَنَانِيَّةِ جَمِيعًا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةٍ يُشَجِّعُونَ تِلْكَ الْمُنَاطَرَاتِ، خَاصَّةً خِلَالَ الطُّوَرِ الْآخِرِ مِنْ خِلَافَتِهِمْ عِنْدَمَا أَضْحَتْ حَرَآنُ قِصْبَةَ الْخِلَافَةِ الْأُمَوِيَّةِ⁶، وَبِالْتَّالِيِ مَثَلَتْ حَرَآنَ جِسْرًا لَتَلَاقِيِ الثَّقَافَاتِ، فَفِيهَا تَعَرَّفَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَائِلُ عَنْ كُتُبٍ عَلَى اللَّاهُوتِ الْمَسِيحِيِّ، وَعَلَى مَا تَبَقَّى مِنْ ثَرَاثِ الْغُثُوصِيَّةِ، وَعَلَى قَوَاعِدِ وَنَظَرِيَّاتِ الْفِلْسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ⁷، وَظَلَّتْ حَرَآنُ

⁵ كَرَاتَشُوكُوفْسْكِي: تَارِيخُ الْأَدَبِ الْجُغْرَافِيِّ، 93؛ حَسَنُ إِبْرَاهِيمَ حَسَن: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ الشِّيَاسِيِّ، 1: 415.

⁶ كَارَل بِيكِر: ثَرَاثُ الْأَوَائِلِ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، 8؛ مَایرْهُوف: مِنْ الْإِسْكَندَرِيَّةِ إِلَى بَغْدَادَ، 70.

⁷ زُهْدِي جَارِ اللَّهِ: الْمُعْتَزَلَةُ، بِيْرُوتَ 1974، 25.

قَاعِدَةٌ لِتِلْكَ الْمُنَاطَرَاتِ الْجَدَلِيَّةِ حَتَّى أَنْ الْحَلِيفَةَ الْمَأْمُونُ عِنْدَمَا زَارَهَا فِي أَخْرِيَاتِ خِلَافَتِهِ حَرِصَ عَلَى أَنْ تَجْرِيَ بَعْضُ مِنْ تِلْكَ الْمُنَاطَرَاتِ بِحَضْرَتِهِ⁸.

وَقَدْ تَرَكْتَ آرَاءَ الْفَلَاسِفَةِ مِنَ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ - لَا سِيَّمَا ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ - أَثَرًا عَمِيقًا عَلَى الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَلَى الْأَخْصَصِ عَلَى رُوَادِهَا كَأَبِي بَكْرٍ الرَّازِي، وَيَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ، وَأَبِي نَصْرِ الْفَارَابِيِّ، وَابْنِ سِينَا وَغَيْرِهِمْ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ - أَعْظَمَ فَلَاسِفَةِ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ - يَتَنَمَّى إِلَى دِيَانَةِ لَطَالَمَا وَصِفَتْ مِنْ قِبَلِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْوُثْنِيَّةِ لَنَالَ مَرْتَبَةً مُتَقَدِّمَةً بَيْنَ فَلَاسِفَةِ الْإِسْلَامِ، وَلَيْسَ أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَنَّ نَفَرًا مِنْ تَلَامِيذِهِ نَالُوا شُهْرَةً كَبِيرَةً كَمُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الرَّازِي، وَالَّذِي كَانَ أَكْثَرَ الْفَلَاسِفَةِ الْمُسْلِمِينَ تَأَثُّرًا بِفِكْرِهِ. مَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ مُعَاَصِرِي ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ عَرَفُوا قُدْرَهُ وَإِسْهَامَاتِهِ فِي الْفَلَسَفَةِ، حَتَّى جَعَلُوهُ فِي مَرْتَبَةٍ تَبْلِي بُرُوقْلُسَ فِي عُظَمَاءِ الْفَلَاسِفَةِ⁹، وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ يُشِيرُ إِلَى إِدْرَاكِ الْفَلَاسِفَةِ الْمُسْلِمِينَ لِدَوْرِ ثَابِتِ فِي تَقْدِيمِ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْمُحَدَّثَةِ - وَالَّتِي نَسَبَهَا الْمُسْلِمُونَ لِبُرُوقْلُسَ مُبَاشَرَةً حَيْثُ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا عَلَى مُؤَسَّسِهَا الْحَقِيقِيِّ أَفْلُوطِينَ السَّكَنْدَرِيِّ¹⁰ - فِي قَالِبِهَا الْعَرَبِيِّ.

وَيُعَدُّ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ (ت 255هـ / 869م) وَاحِدًا مِمَّنْ تَأَثَّرُوا بِأَفْكَارِ صَابِنَةِ حَرَّانَ، وَيَرْوِي النَّدِيمُ عَنْ تَرْجُمَتِهِ لِلْكِنْدِيِّ كَيْفَ كَانَ الْكِنْدِيُّ يُسْرِفُ فِي مُطَالَعَةِ كُتُبِ الصَّابِنِينَ¹¹، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ التَّرَعُّعَ الْأَفْلَاطُونِيَّةَ الْمُحَدَّثَةَ تَبْدُو وَاضِحَةً تَمَامًا لَدَى الْكِنْدِيِّ، يَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي اعْتِقَادِهِ أَنَّ الْوَاحِدَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، حَيْثُ مُتَكَاثِرٌ فِيمَا يَصْدُرُّ عَنْهُ، إِذْ لَا يَزَالُ يَتَكَثَّرُ بِكَثْرَةِ الصُّورِ الَّتِي تَفِيضُ عَنْهُ¹².

⁸ الْقُرِّي: نَفَحَ الطَّيْبُ مِنْ غُصْنِ الْأَتَدْلُسِ الرَّطِيبِ، تَحْقِيقُ إِحْسَانَ عَبَّاسٍ، بِيْرُوتَ 1997، 5: 291.

⁹ السَّجِسْتَانِي: صَوَانِ الْحِكْمَةِ، 199؛ وَعَنْ بُرُوقْلُسَ رَاجِعَ الْفَصْلِ الرَّابِعِ.

¹⁰ رَاجِعَ الْفَصْلِ الرَّابِعِ.

¹¹ النَّدِيمُ: الْفَهْرَسْتُ، 2: 362.

¹² الْكِنْدِيُّ: رِسَالَتِ الْكِنْدِيِّ الْفَلَسَفِيَّةِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْهَادِي أَبُو رَيْدَةَ، الْقَاهِرَةُ د.ت، 70.

وتتجلى مُعتقدات صابئة حَرَّان الدِّينِيَّة بِشَكْلِ أَكْثَر وَضُوحًا فِي رِسَالَتِ الْكِندِيِّ
الْفَلَسَفِيَّةِ وَالَّتِي أَسَمَاهَا بِـ «الرَّسَائِلِ الْحِكْمِيَّةِ فِي أَسْرَارِ الرُّوحَانِيَّةِ»، فِيهِ الرِّسَالَةُ الْأُولَى الَّتِي
خَصَّصَهَا الْكِندِيُّ لِدِرَاسَةِ أَحْوَالِ الْكَوَاكِبِ وَصِفَاتِهَا، وَحَاوَلَ فِيهَا الْبُرْهَانَ عَلَى أَنَّ الْكَوَاكِبَ
أَشْخَاصٌ رُوحَانِيَّةٌ نَاطِقَةٌ لَهَا عَقُولٌ مُتَكَلِّمَةٌ فَاعِلَةٌ، وَأَنَّهَا الْمُدَبِّرَةُ لِهَذَا الْعَالَمِ بِأَمْرِ الْحَالِقِ الْقَدِيمِ
الْمُدَبِّرِ لَهَا كُلِّهَا¹³. كَمَا أَفْرَدَ الرِّسَالَةَ الثَّانِيَّةَ: «فِي صِفَةِ رُوحَانِيَّةِ الْكَوَاكِبِ»، وَالثَّلَاثَةَ فِي اسْتِخْصَارِ
الْأَرْوَاحِ. وَبَدَتْ عِنْدَهُ بِشَكْلِ جَلِيٍّ نَفْسُ مُمَارَسَاتِ الْحِرْنَانِيَّةِ ذَاتِ الطَّابِعِ الْبَاطِنِيِّ فِي وَجُوبِ
كَيْثَانِ ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ مَا يُعْرَفُ اضْطِلَاحًا بِـ «الضَّنِّ بِالْعِلْمِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ»، فِيهِ حَاجَةٌ
رِسَالَتُهُ حَذَّرَ مِنْ طَالَعِ هَذِهِ الرِّسَالَتِ أَنْ يُظْهِرَهَا أَوْ يُطْلِعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ!!¹⁴.

وَرَغِمَ أَنَّ الْكِندِيَّ لَمْ يَغْتَنِقِ فِكْرَ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْمُخَدَّنَةِ فِي نَشْأَةِ الْكَوْنِ بِاعْتِبَارِهِ سِلْسَلَةً
مِنَ الْفِيُوضَاتِ عَنِ الْعِلَلِ الثَّلَاثِ الْأُولَى، الْبَارِي وَالْعَقْلُ الْكُلِّيُّ وَالنَّفْسُ الْكُلِّيَّةُ بِالْمُطْلَقِ،
وَاعْتَقَدَ بِإِزَاءِ ذَلِكَ أَنَّ الْكَوْنَ نَشَأَ عَنْ إِبْدَاعِ الْعِلَّةِ الْأُولَى فَحَسَبَ، مُحَاوَلًا بِذَلِكَ الرِّبْطَ بَيْنَ
الْفَلَسَفَةِ وَمُقْتَضِيَّاتِ الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ؛ كَمَا خَالَفَ فَلَايِسَةَ الصَّابِيَّةِ أَيْضًا فِي نُقْطَةِ جَوْهَرِيَّةِ، تَتَجَلَّى
فِي اعْتِقَادِهِ بِحُدُوثِ الْعَالَمِ وَعَدَمِ أَزَلِّيَّتِهِ¹⁵، فِيمَا اعْتَقَدَ صَابِيَّةُ حَرَّانَ فِي أَزَلِّيَّةِ الْعَالَمِ وَقَدَمِهِ. إِلَّا أَنَّهُ
- فِي الْمَقَابِلِ - حَاوَلَ أَيْضًا إِيجَادَ رَابِطٍ بَيْنَ الْمُعْتَقَدَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ الْمُطْلَقِ
وَالْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ غَيْرِ الْمُقَيَّدَةِ لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَبَيْنَ قُدْرَةِ الْفَلَكِ عَلَى الْفِعْلِ وَالتَّأثيرِ، فَقَالَ بِوُجُودِ
فِعْلَيْنِ أَحَدُهُمَا حَقِيقِيٌّ مَوْجُودٌ وَهُوَ فِعْلُ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْآخَرُ فِعْلٌ بِالْمَجَازِ وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى
جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الَّتِي اخْتَصَّهَا اللَّهُ بِالْقُدْرَةِ فِي الْفِعْلِ بِغَيْرِهِ كَالْإِنْسَانَ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ إِذَا زَرَعَ
أَوْ حَصَدَ، وَهَكَذَا فَإِنَّ الْفَلَكَ بِدَوْرَانِهِ يُحْدِثُ حَرَكَةً قَادِرَةً بِحَدِّ ذَاتِهَا عَلَى الْفِعْلِ بِغَيْرِهَا¹⁶.

¹³ الْكِندِيُّ: ثَلَاثُ رِسَالَتٍ فِي الْكَوَاكِبِ وَاسْتِخْصَارِ الْأَرْوَاحِ، تَحْقِيقُ يُوسُفُ حَمِي؛ حِكْمَتِ نَجِيب، مَجْلَدُ الْمَوْزُودِ
الْعِرَاقِيَّةِ، مَج 8، ع 1، بَنَدَاد 1970، 170.

¹⁴ الْكِندِيُّ: نَفْسُهُ، 199.

¹⁵ الْكِندِيُّ: رِسَالَةُ الْكِندِيِّ فِي حُدُودِ الْأَشْيَاءِ وَرُسُومِهَا، ضَمَّنَ كِتَابَ رِسَالَتِ الْكِندِيِّ الْفَلَسَفِيَّةِ، 114؛ مُحَمَّدٌ
عَلِي أَبُو رِيَّانَ: تَارِيخُ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ فِي الْإِسْلَامِ، 226.

¹⁶ الْكِندِيُّ: رِسَالَةُ الْفَاعِلِ الْأَوَّلِ الْحَقُّ النَّامُ، وَالْفَاعِلِ النَّاقِصُ الَّذِي هُوَ بِالْمَجَازِ، ضَمَّنَ كِتَابَ رِسَالَتِ الْكِندِيِّ
الْفَلَسَفِيَّةِ، 132-133.

إذن فهناك تطابق على نحو ما بين فلسفة الكندي وبين فكر صابئة حرّان، وقد لمس المستشرق هنري كوربان تلك الحقيقة فعلق قائلاً: «كل هذه الأمور إن هي إلا ملامح مشتركة بين فكر فيلسوف العرب، والفلاسفة الأفلاطونيين المحدثين كبروقلس وغيره، كما أن ذلك يظهر بعض الشبه بين أقواله وأقوال الصابئة من أهل حرّان»¹⁷.

كما يظهر تأثير المعتقدات الدينية لصابئة حرّان واضحاً جلياً في مؤلفات أبي معشر البلخي (ت 272هـ / 884م)، ومن الغريب أن أبا معشر بدأ حياته العلمية كفقيه سُني مغني بصفة خاصة بدراسة الحديث النبوي، ويروى أنه نشأ بينه وبين الكندي عداء مرير نتيجة دفاع الكندي عن علوم الأقدمين، فيما هاجمه البلخي بشدة وقال بأنها تورث الكفر والزندقة، ويقال إن الكندي احتال على البلخي ليكشف عنه؛ فأرسل من تلاميذه من احتال عليه وأخذ يحسن له النظر في تلك الكتب، فاطلع على كتب الفلك والتنجيم والطب وبغض مؤلفات علماء الصابئة فترك دراسة علوم الدين وازداد شغفاً بالفلسفة والفلك¹⁸. وكيفية كان الأمر فإن فلسفة صابئة حرّان تظهر واضحة جلية عند البلخي، خاصة في كتابه «الأسرار النجومية»، والذي عبر فيه بجلاء عن اعتقاده بأن الفلك حيّ ناطق مدبّر، وله تأثيرات على العوالم السفلى¹⁹.

كما تأثر أبو بكر الرازي (ت 320هـ / 925م) بفلسفة ثابت بن قرة وآرائه الفلسفية، ومن الغريب أن بعض هذه الآراء تضاد العقائد الإسلامية، كالقول بتدبير الكواكب والنجوم للكون، ويتجلى ذلك في كتابه الذي أطلق عليه اسم «العلم الإلهي»، والذي حاول التدليل من خلاله على أن أجساد الكواكب والنجوم أحياء ناطقة منحازة لرأي ثابت بن قرة في هذا الصدد ومؤيّد له²⁰. كما كان الرازي يقول بالتناسخ، متأثراً بآراء الحرانية الدينية حول عقاب الأرواح غير الطاهرة، وأنها لا تلبث وأن تعود في جسد كائن أقل مرتبة كصورة من صور

¹⁷ هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، 239.

¹⁸ القفطي: إخبار العلماء، 107؛ محمد علي أبو ريّان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، 224.

¹⁹ البلخي: الأسرار النجومية، مخطوط ضمن مجموع محفوظ بخزانة المتحف البريطاني، برقم 918، ورقة 43و، وما بعدها.

²⁰ أبو بكر الرازي: شذرات من كتاب العلم الإلهي، ضمن كتاب رسائل الرازي الفلسفية، 178.

العقاب، فعند الرّازي تنتقل رُوح المَسيء إلى البَهايم وسائر الكائنات الدُّنيا المُرتطمة في الأقدار على حدِّ قَوله²¹، وفي هذا أيضًا ما يُشير إلى تأثره القوي بآراء ثابت بن قُرة.

كذلك آمن الرّازي بِقدرة العَقل على خَلاص اليَسر بالمُطلق، لذا فقد شكَّك في التُّبوتات، وقال بَعدَم الحاجة إلى الأنبياء، ومن ثمَّ فقد شكَّك بالتَّبعية في الدِّينات ووجَّه لها بالجملة نقدًا عَنيفًا²²، ولا شكَّ أنَّ هذا المَوقف الفِكري هو مَوقفُ هُرمِسي صابِني ابتداءً، وقد أَرَجَعَ هَري كُوربان ذلك المَوقف إلى تأثر الرّازي بالهِرمِسيَّة الصَّابِنيَّة والتي لا تُكذِّبُ الأنبياء بالضرُورة ولكن يُمكنُها الاستِغناء عنهم، فطيقًا لعقائد الصَّابِنة الحَرنانيَّة يُعدُّ الفيلسُوف أَرقي من النَّبي، إذ إنَّ نَوقَ الرُّوح للمُصعود إلى الأفلاك العُليا بِفضل التَّرقِّي في المَعرِفة يُعارض نزول الملائكة من تلك الأفلاك العُليا بِهذه المَعرِفة نَفسَها إلى البَشر²³. ومن ثمَّ أعلن الرّازي مَوقفه صَراحةً من أنَّ الفيلسُوف عِندَه أَرقي من النَّبي²⁴.

تَجلَّى أيضًا المُؤثرات الهِرمِسيَّة فيمَا يُعرف بين الفَلاسيفة المُعاصرين اصطِلاحًا بـ«تَشاوُم الرّازي»، وهو يَتجسَّدُ فيمَا يَطرَحُه الرّازي من أنَّ النَّفس البَشريَّة دَخَلت هذا العَالم عن طَريق الحَظِّ وأَنها تَتخَبَّطُ فيه، وعِندما تُذرك النَّفس أنَّها أَصَبَحَت أُسيرةً في ذلك العَالم، تتصوَّر أنَّه لا فِكاكَ لها مِنه، وهُنا يُرِسل الحَاليق جُزءًا من جَواهره الكُلِّي وهو العَقل لِكَي يَعود بالنَّفس إلى رُشدِها ويُدْكرها بأنَّ هذا العَالم لَيس عَالَمُها، ومن هُنا - عِند الرّازي - تَنشأ رِسالة الفيلسُوف، إذ إنَّ رِسالة الفَلاسيفة إِعتاق الأنفُس والعمل على نِجاتِها بِواسِطة الفَلسفة، وذلك كَي تَمَكِّن النَّفْس من النِّجاة والالتِحاق بِعَالَمِها الحَقيقي، وهُنا يَبدو تأثير الفِكر الدِّيني لصابِنة حَرنان على الرّازي واضِحًا يَبتًا، فِئلك الأفكار ذاتِها هي مَعلَم رَئيسٌ من مَعالِم مُعتَقَدات الحَرنانيَّة الدِّينيَّة²⁵.

²¹ أبو بكر الرّازي: نَفسه، 173-174.

²² عبد الرّحمن بدوي: من تاريخ الإِتِّحاد في الإسلام، 230-248.

²³ تاريخ الفَلسفة الإسلاميَّة، 198.

²⁴ عبد الرّحمن بدوي: من تاريخ الإِتِّحاد في الإسلام، 261 وما بَعدَها.

²⁵ هَري كُوربان: تاريخ الفَلسفة الإسلاميَّة، 217.

لم تَغِبَ تلك المؤثرات الحرنانيّة التي تظَهَر في فكر الرّازي عن مُعاصريه، فقد اتَّهمه المَسعودي بأنّه يُنَظِن الفِيشاغورسيّة، وأنّه على مذهب صابئة حرّان، وذكر - أي المَسعودي - أنّه اطَّلَعَ على كتاب له يَضمُّ ثلاث مقالات، وصفَ فيها تَرتيب العوالم العلويّة على مذهب صابئة حرّان²⁶، كذلك اتَّهمه صاعد الأندلسي بأنّه يعتنق آراء الصّابئة فيما يخصُّ إبطال النّبوة والاعتقاد في التَّناسُخ²⁷، كما لم تَغِبَ أيضًا تلك المقاربات بين فكر الرّازي ومُعتقدات صابئة حرّان الدّينيّة عن البّاحثين المُعاصرين، فقد لاحظ المُستشرق پاول كِراوس تشابه فلسفة الرّازي مع عقائد الحرنانيّة، وقال بأنّه يَعتقد أنّه ليس ثمة فروق جوهريّة بين مذهب الرّازي والحرنانيّة، بل إنّ الألفاظ المُنسوبة إلى الرّازي وتلك المُنسوبة إلى ثابت بن قُرة والحرنانيّين تكاد تَتَّفَقُ اتِّفَاقًا تامًّا²⁸.

ويُعدُّ أبو نصر الفارابي (ت 339هـ/950م) واحدًا مَن تأثَّروا بفلسفة حُكَّاء حرّان من الصّابئة، ورَغِمَ أنّ معلومتنا عن مُختلف المراحل التي مرَّ بها الفارابي في حياته جدُّ قليلة فإنَّ رَجيل الفارابي - التُّركيُّ الأَصْل²⁹ - إلى حرّان وتلقَّيه أوّلَ معارفه في الفِلسفة هناك على أيدي عُلَمائها وفلاسفتها يُعدُّ أمرًا مُحَقَّقًا، حيثُ تَروي المصادر التي تَرَجَّمت له أنّه عاش قِسمًا من حياته بَحَرَّان، وخالط عُلَماءها وفلاسفتها، وعنهم حَصَلَ الكثير في الفِلسفة والمنطق والموسيقى، ثمَّ رحل إلى بغداد ومنها إلى حَلَب حيثُ استقرَّ في بلاط سيف الدولة الحَمَداني³⁰.

من ثَمَّ فإنَّ المؤثرات الحرنانيّة في فكر الفارابي تبدو أكثر وضوحًا من سابقيه، حيثُ يُمثِّل الفارابي نقطة تباعد حقيقيّة وبشكلي تامٍّ بين الدِّين والفِلسفة، فقد اعتنق الفارابي

²⁶ التَّبييه والإشراف، 138.

²⁷ طبقات الأئم، 33.

²⁸ مُقدِّمة پاول كراوس لرسالة «القول في القدماء الخمسة»، ضمن كتاب رسائل الرّازي الفِلسفيّة، القاهرة 1939، 191-192.

²⁹ تَمُود جَدُور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن طَرخان بن أوزلُغ المعروف بالفارابي إلى «فَارَاب» وهي مدينة تَقع وِراء نَهَر سِيحُون بِلاد التُّرك، انظر: - ياقوت الحموي: مُعجم البِلدان، 4: 254.

³⁰ الذَّهبي: تاريخ الإسلام، 25: 182.

الأفلاطونية المحدثه بشكلٍ شبيه كَامِل، فأَمَنَ بنظريَّة الفَيْض في خَلْق العَالَم كما طَرَحَهَا أَفْلُوطين، ومن ثَمَّ طَرَح تصوُّره الذي يتلخَّصُ في أَنَّ العَالَم انبثَقَ عن المَوْجُود الأوَّل، والذي خَلَقَ العَقْل الأوَّل، وعن العَقْل الأوَّل صَدَرَت باقي المَوْجُودات، وهو ما يُنَافِي العقائد الإسلاميَّة من أَنَّ الله وخَدَهُ بقُدْرته خَلَقَ العَالَم من عَدَم.³¹

كما كان الفَارابي يَقُول بالبُعْث على مِثَال عقائد الحِرْنَانِيَّة، أي القِيَامَةِ بالأَرْواحِ دُونَ الأَجْسَاد، أو مَا أَطْلَقَ عَلَيْهِ اضْطِلَاحًا «المَعَادُ الرُّوحَانِي» وهو ما يَغْنِي أَنَّ البُعْث يَكُون قَاصِرًا على الرُّوح فَحَسْب، أمَّا الجَسَدُ فَيُبْلَى وتَعْدَم الحَاجَةُ إِلَيْهِ بَعْد تَحُلُّهِ وتَعَفُّهُ، وهو ما يُوَافِقُ صَمِيمَ المُنْتَقَدَاتِ الدِّيْنِيَّةِ الحِرْنَانِيَّةِ الخَاصَّةَ بالبُعْثِ والمَعَادِ³²، كما كَانَ الفَارابي يَعتقدُ في قَدَمِ العَالَمِ وَأَزَلِيَّتِهِ، واعتقدَ أيضًا أَنَّ الفِيلْسُوفَ أَكْمَلَ مِنَ النَّبِيِّ، وَأَنَّ الله تَعَالَى لَا يَغْرِفُ الجُزْئِيَّاتِ، وإِنَّمَا انْفَرَدَ بِعِلْمِ الكُلِّيَّاتِ فَحَسْبُ.³³

ويَظْهَرُ التَّأثُّرُ بِفَلَسَفَةِ الحِرْنَانِيَّةِ وَاضْطِحًا أيضًا عِنْدَ السُّجِسْتَانِي (تُوفِّي بَعْدَ عَامِ 391هـ/1000م)، والذي صَنَّفَ رِسَالَةً في أَنَّ الأَجْرَامَ العُلُويَّةَ ذَوَاتُ أَنْفُسٍ نَاطِقَةٍ³⁴، وَقَدْ حَاولَ السُّجِسْتَانِي في رِسَالَتِهِ هَذِهِ التَّدْلِيلَ العَقْلِيَّ عَلَى أَنَّ الفَلَكَ حَيٌّ نَاطِقٌ، وَأَنَّ لَهُ تَأْثِيرًا عَظِيمًا

³¹ يَجْتَمِعُ مُؤَيِّدِي: دَرَاثَاتٍ في عِلْمِ الكَلَامِ والفَلَسَفَةِ الإسلاميَّةِ، القَاهِرَةِ د.ت، 206-212.

³² رَاجِعِ الفَصْلَ الرَّابِعَ.

³³ القِفْطِي: إِنْخِبَارُ الحُكَمَاءِ، 40.

³⁴ السُّجِسْتَانِي: رِسَالَةٌ في أَنَّ الأَجْرَامَ العُلُويَّةَ ذَوَاتُ أَنْفُسٍ نَاطِقَةٍ، نَشَرَهَا عبدُ الرَّحْمَنِ بَدَوِي مُلْحَقَةً عَلَى كِتَابِ صِوَانِ الحِكْمَةِ، 367-371. وَمِنَ المَلاحِظَةِ أَنَّ قَضِيَّةَ الفَلَكِ وَمَا إِذَا كَانَ حَيًّا نَاطِقًا كَانَتْ مِنَ أَكْثَرِ القَضَايَا الفَلَسَفِيَّةِ الَّتِي أَخَذَهَا الفَلَاسِيفَةُ المُسْلِمُونَ عَنِ الفَلَاسِيفَةِ الصَّابِيَةِ، فَقَدْ أَفْرَدَ قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ (ت 403هـ/1012م) رِسَالَةً لَتَقَدِّمَ مَذْهَبَ الحِرْنَانِيَّةِ وَمَنِ تَابِعَهُمْ مِنَ الفَلَاسِيفَةِ المُسْلِمِينَ في أَنَّ الكَوَاكِبَ حَيَّةٌ فَاعِلَةٌ وَأَنَّ الفَلَكَ فَاعِلٌ مُؤَثِّرٌ، وَاصِفًا ذَلِكَ بِأَنَّهُ يُشَبِّهُ القَوْلَ بِاتِّخَاذِ الله لَشُرَكَاءٍ في الخَلْقِ، وَأَنَّ القَوْلَ بِذَلِكَ يَطْعَنُ في وَحْدَانِيَّةِ الله جَلَّ شَأْنُهُ، انْظُرْ: - قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ: كِتَابُ البَلَاغَةِ، المَعْرُوفُ بِرِسَائِلِ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ، بَغْدَاد 1341هـ 102-103، وَانْظُرْ أَيْضًا في هَذَا الصَّدَدِ: - السَّهْرُورْدِي: كَشَفُ الفَضَائِحِ اليُونَانِيَّةِ، 104.

على أحوال الحياة والعُمران على الأرض³⁵. كما أشار السَّجِسْتَانِي بوضوح إلى اعتقاده في صدق الكاهن عما يُخبر عنه من أحوال الفلك والكواكب، وتفضيله في ذلك عن المنجم، ذلك أن المنجم - طبقاً للسَّجِسْتَانِي - يستقي الغيب مما يراه واضحاً أمام عينيه من حركات النجوم، وهو أمرٌ يحتاج إلى صبرٍ طويل في الرصد قد لا يطيقه، أمَّا الكاهن فقوته لا تقوم على التتبع والرصد، فقد تنهبط عليه معرفة الغيوب كالوحي السَّانح والطَّارئ، وتكون الكهانة أقوى إذا كان صاحبها لا يشوبها بشيء من الحس، وكان يلقبها على صفائها، لأن قوتها تنسكب من المحل الأعلى - على حدِّ قوله³⁶. وليس هناك من شك في أن السَّجِسْتَانِي من خلال أفكاره تلك يُعبر بجلاء عن اعتقاداته ذات الأصل الأفلاطوني المحدث، وتتلخص في نظرية الإشراق أو الفيض السَّماوي على الأتفس الطاهرة، والتي لديها استعداداً للتواصل مع السماء وسماع الملائكة والاطلاع على الغيب، ولتلك الأفكار أصولها وجذورها الحِرانيَّة التي لا تكاد تخفى³⁷.

أخذ ابن سينا (ت428هـ/1036م) - شديد التأثير بالفارابي - مُعظم آراء أستاذه، فقال بقدِّم العالم وأزليته، وتبنَّى نظرية الفيض في خلق العالم، كما قال أيضاً بنفي المعاد الجسماني وإنابات الروحاني فحسب، وقال أيضاً إن الله لا يعلم الجزئيات، بل انفرد بالعلم الكلي³⁸، ومن ثمَّ مثل كل من الفارابي وابن سينا أولى حلقات التَّباعد التي قصمت الفلسفة الإسلاميَّة كلياً عن مباحث الدين وموجبات عقائده، وأصبح الهجوم على الفلاسفة ومعتقداتهم وعلوم الأقدمين دأب علماء السُّنَّة. واستمرَّ الأمر على هذا المنوال حتَّى وجَّه الإمام الغزالي

³⁵ السَّجِسْتَانِي: نفسه، 368.

³⁶ نفسه، 367-368.

³⁷ تظهر أيضاً الجرمية الصَّابئة عند أبي البركات البغدادي (ت560هـ/1164م) بشكل جلي حيث تأثر البغدادي بمعتقدات الصَّابئة، لا سيَّما أفكاره التي تتحدَّث عن الأتفس التَّوراتيَّة المُشوَّفة، وهي تلك التي يُمكن أن تتصل بالأفلاك العلويَّة وتُستمع إلى الوحي السَّماوي المُجرَّد، وهو اعتقاد أصحاب نظرية الإشراق عند الصُّوفية والينحدرة من أصول أفلاطونية محدثة، هنري كُوربان: تاريخ الفلسفة الإسلاميَّة، 270.

³⁸ هنري كُوربان: تاريخ الفلسفة الإسلاميَّة، 259-265.

(ت505هـ/ 1111م) ضربة قاصمة لمدرسة الفارابي وابن سينا، بل بالأحرى يُمكن القول بأن هذه الضربة أصابت الفلسفة الإسلامية كلها في مقتل، وذلك بعد أن صُفِّ كتابه الأشهر والمسمى بـ«تأثت الفلاسفة»³⁹.

وحقيقة الأمر أن الإمام الغزالي وقف بشكل جلي على طبيعة المؤثرات الدينية الصابئة في فكر الفلاسفة لا سيما الرازي والفارابي وابن سينا، فقال بتكفير الفلاسفة من المسلمين إذا اعتقدوا في ثلاث مسائل، الأولى: - الاعتقاد في قدم العالم وأزليته، وهو ما يطعن في قضية الوجودانية المطلقة وقُدرة الذات الإلهية على الخلق والإفناء، والثانية: - الاعتقاد في أن الذات الإلهية لا تحيط علماً بالجزئيات، وعلمها يقتصر على الكليات فحسب، وهو ما يطعن في علم الله المطلق بما كان، وما لم يكن وكيف يكون، والثالثة: - إنكار البعث بالجسد والروح والقول بفناء الأجساد بالمطلق وخلود الأرواح⁴⁰، وهو ما يُضاد ما نصَّ عليه القرآن الكريم صراحة في غير موضع من أن البعث بالجسد والروح معاً، ولا شك أن تلك المسائل الثلاث التي أفتى الغزالي بخروج المعتقد فيها عن الإسلام هي من صميم معتقدات الحرانية الدينية.

لذا يعدُّ الكثيرون من المهتمين بدراسة الفلسفة الإسلامية كتاب الغزالي «تأثت الفلاسفة» بمثابة ضربة قاصمة للفلسفة الإسلامية، والتي ازدهرت لثلاث قرون خلت قبله، فبعد أن دأعت آراء الغزالي الفقهية - في الفلسفة والمفلسفين - وانتشرت في ربوع العالم الإسلامي تخرج الفلاسفة كثيراً من الجهر بالاعتقاد فيما تطرحه علوم القدماء، وخاصة هؤلاء المتأثرين بالأفلاطونية الحديثة والقائلين بفعل الفلك، وأن القدر هو موجبات أحكام حركات النجوم⁴¹، وحاولوا العودة مرة أخرى إلى منهج المقاربة بين الفكر الفلسفي وقواعد الدين، ومن أبرز هؤلاء الفلاسفة الذين قادوا ذلك النهج ابن رشد وفخر الدين الرازي، فقد حاول

³⁹ أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية، 139؛ محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، 240.

⁴⁰ أبو حامد الغزالي: تأثت الفلاسفة، تحقيق مورييس يوجنس، بيروت 1987، 378. قارن أيضاً السهروردي: كشف القضايع اليونانية، 143-151.

⁴¹ إجناتيوس جولديزير: موقف أهل السنة القدماء من علوم الأوابل، 143.

ابن رشد (ت 520هـ / 1126م) التَّخْفِيفُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْفَلَكَ حَيٌّ وَقَادِرٌ عَلَى الْفِعْلِ والتَّأْيِيرِ، وَحَاوَلَ دِرَاسَتَهُ فِلَسْفِيًّا مِنْ حَيْثُ هُوَ ظَاهِرَةٌ طَبِيعِيَّةٌ، فَقَالَ بِأَنَّ الْفَلَكَ لَا يَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ إِلَّا قُدْرَتُهُ عَلَى الْحَرَكَةِ⁴². فِيمَا لَمْ يَسْتَطِعْ إقْنَاعُ مُعَاصِرِيهِ بِسَطَطِ الْغَزَالِيِّ فِي أَحْكَامِهِ عَلَى الْفَلَاسِفَةِ فِي كِتَابِهِ النَّقْدِيِّ الَّذِي أَعَدَّهُ لِلرَّدِّ عَلَى الْغَزَالِيِّ وَأَسَمَاهُ بِـ«مِتَافَتِ التَّهَافُتِ». وَانْتَهَى الْأَمْرُ بِالْفَلَسَفَةِ إِلَى الْأَنْزِوَاءِ، لَتُضِيحَ جُزْءًا مِنْ مَبَاحِثِ التَّوْحِيدِ الْمُسَمَّى بِعِلْمِ الْكَلَامِ⁴³.

حَاوَلَ أَيْضًا فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي (ت 606هـ / 1209م) إِعَادَةَ الْكِرَّةِ وَالتَّقْرِيبَ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، وَمِبَادِي الْفَلَسَفَةِ وَمُقْتَضِيَّاتِ الشَّرِيعَةِ، وَهِيَ سِمَةٌ وَاضِحَةٌ فِي مُؤَلَّفَاتِهِ - لَا سِيَّيَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَسَمَاهُ «السِّرُّ الْمَكْتُومُ فِي أَسْرَارِ النُّجُومِ» - عِزْرَ تَقْرِيبِ الْبَوْنِ بَيْنَ عَقَائِدِ صَابِنَةِ حَرَّانَ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ مَا نَصُّهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ الْمُسَارَإَةِ إِلَيْهِ آتِفًا: - «هَذَا كِتَابٌ يُجْمَعُ فِيهِ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ عِلْمِ الطَّلَسِمَاتِ وَالسَّحَرِيَّاتِ وَالْعَزَائِمِ وَدَعْوَةِ الْكَوَاكِبِ مَعَ التَّبَرُّؤِ مِنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ الدِّينَ وَتِلْمَ الْيَقِينِ»⁴⁴. وَفِي مَعْرُضِ مُقَارِبَاتِهِ بَيْنَ عَقَائِدِ التَّوْحِيدِ الْمُبْتَلَقِ لِلَّهِ - عِزْرًا وَجَلَّ - فِي الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ تَقْدِيسِ الْكَوَاكِبِ عِنْدَ الْحَرَنَانِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا قُوًى فَاعِلَةً فِي الْكَوْنِ وَمُفَوَّضَةً مِنْ قِبَلِ الْبَارِي بِتَذْيِيرِ هَذَا الْكَوْنِ قَالَ: «إِنَّ الْكَوَاكِبَ وَاقِعَةٌ بِفِعْلِ فَاعِلٍ مُخْتَارٍ؛ وَهُوَ إِلَهُ الْأَعْظَمِ، وَإِنَّ ذَلِكَ إِلَهُ خَلَقَ هَذِهِ الْكَوَاكِبَ وَأَوْدَعَ فِي كُلِّ أَحَدٍ مِنْهَا قُوَّةً مَخْصُوصَةً، وَفَوَّضَ تَذْيِيرَ هَذَا الْعَالَمِ إِلَيْهَا، وَهَذَا لَا يَفْدُخُ فِي جَلَالِ اللَّهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ، فَأَيُّ خَلَلٍ فِي أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ لَهُ عَيْيْدٌ مُنْقَادُونَ، ثُمَّ إِنَّهُ قَرَضَ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ قُوَّةً مَخْصُوصَةً، وَفَوَّضَهُ بِتَذْيِيرِ تَمَلُّكَةِ طَرَفٍ مُعَيَّنٍ، وَسُلْطَنَةِ إقْلِيمٍ»⁴⁵.

كَمَا تَأَثَّرَ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي بِالْفَلَاسِفَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ، وَخَاصَّةً فِي تَصَوُّرِهِمُ لِلزَّمَانِ، وَقَدْ

⁴² ابن رشد: تلخيص الآثار العلوية، تحقيق جمال الدين العلوي، بيروت 1994، 36.

⁴³ أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية، 147.

⁴⁴ الرَّايزِي: السِّرُّ الْمَكْتُومُ فِي أَسْرَارِ النُّجُومِ، 1.

⁴⁵ الرَّايزِي: نفسه، 110.

عَبَّرَ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ فِي كِتَابِهِ «الزَّمان» والذي أهداهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرٍ⁴⁶ والذي قَالَ فِيهِ بِأَزْلِيَّةِ الزَّمان، وَأَنَّ مَوْتَ الزَّمانِ يَعْنِي انْجِلَالُ الْعَالَمِ وَمَوْتُهُ، وَأَنَّ الزَّمانَ أَزَلِيٌّ، وَلَكِنْ بِدَرَجَةٍ أَقَلِّ مِنَ أَزْلِيَّةِ الْبَارِي. وَنَجِدُ فخرَ الَّذِينَ يُؤَيِّدُ قَوْلَ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ فِي أَنَّ الزَّمانَ هُوَ الدَّهْرُ، وَهُوَ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْعَدَمِ، لِأَنَّ كُلَّ قَابِلٍ لِلْعَدَمِ يَكُونُ عَدَمُهُ بَعْدَ وَجُودِهِ⁴⁷.

وَكَتَيْبَةُ مُبَاشِرَةٌ لجهود الإمام الغزالي لتطهير علم الكلام والتصوف معاً عما علقَ بِهَا مِنْ سَوَائِبِ الْهَلَلِيَّةِ⁴⁸ فَقَدْ انْزَوَتْ تِلْكَ الْعُلُومُ الَّتِي أَسَمَاهَا الْمُسْلِمُونَ بِـ«عُلُومِ الْأَوَائِلِ»، وَأَصْبَحَ تَدَاوُلُهَا يَتِمُّ سِرّاً بَيْنَ أَوْسَاطِ الْقَائِلِينَ بِاعْتِقَادَاتِ الصَّابَةِ فِي أَنَّ الْفَلَكَ حَيٌّ نَاطِقٌ وَأَنَّهُ فَاعِلٌ مُؤَثِّرٌ، فَكَانَتْ تُنَسَخُ وَيَحْتَفَظُ بِهَا سِرّاً بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ الْمُهْتَمِّينَ بِالْفَلَكَ وَالْفَلَسَفَةِ، وَذَلِكَ حَتَّى بَعْدَ اخْتِفَاءِ الْحَرَنَانِيَّةِ مِنْ مَسْرُوحِ الْأَخْدَاثِ بَزَمَنْ، فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/الثَّالِثِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ عُرِيَ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الْكُتُبِ الْخَاصَّةِ بِكَيْفِيَّةِ دَعْوَةِ الْكُوَائِبِ وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ فِي حَوْزَةِ أَحَدِ مُسْلِمِي بَغْدَادَ، وَيُدْعَى عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْحِجْلِي، فَحُوكِمَ؛ وَأُفْتِيَ الْفُقَهَاءُ بِحَرْقِهَا، فَأُقِيمَتْ نَارٌ عَظِيمَةٌ عَلَى رِءُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأُلْقِيَتْ فِيهِ تِلْكَ الْكُتُبُ كِتَاباً بَعْدَ كِتَابٍ، أَمَّا صَاحِبُهَا الْحِجْلِيُّ فَقَدْ اسْتَيْبِغَ بَعْدَ أَنْ رَجَّحَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ، وَلَمْ يُخْرَجْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَقْرَبَ بِخَطِّهِ أَنَّهُ مُسْلِمٌ وَمُوَحَّدٌ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ حَقٌّ، وَنَبِيُّهُ حَقٌّ، وَكِتَابُهُ حَقٌّ، وَأَنَّهُ بَرِيٌّ مِمَّا كَانَ يَعْتَقِدُهُ مِنْ عُلُومِ الْأَقْدِيمِينَ⁴⁹.

⁴⁶ يَتَحَدَّثُ الْقِفْطِيُّ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ وَيَقُولُ أَنَّهُ فِي حَقِيقَتِهِ عِبَارَةٌ عَنْ جَوَابِينَ لِسُؤَالِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ شَاكِرٍ

لثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ فِي أَضَلِّ الزَّمان، انْظُرْ: إِنْخِبَارُ الْحُكَمَاءِ، 82.

⁴⁷ فخرُ الَّذِينَ الرَّازِي: مُحْصَلُ أَفْكَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ، 89 - 91.

⁴⁸ عَنْ آثَرِ جُهُودِ الْغَزَالِيِّ فِي مُكَافَحَةِ النَّيَّارِ الْهَلَلِيِّ فِي التَّصَوُّفِ وَالْفَلَسَفَةِ انْظُرْ: - جُولْدَزِير: مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ الْقَدَمَاءِ بِإِزَاءِ عُلُومِ الْأَوَائِلِ، 125 وَمَا بَعْدَهَا.

⁴⁹ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ: الذَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنْبَلَةِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ حَامِدِ الْفَقِيِّ، الْقَاهِرَةُ 1952، 2: 71-72؛ وَانْظُرْ أَيْضاً تَحْلِيلًا لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ وَدَلَالَتِهَا عِنْدَ جُولْدَزِير: مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ الْقَدَمَاءِ بِإِزَاءِ عُلُومِ الْأَوَائِلِ، 136-137.

الفصل

السادس عشر

16

بين عقائد الصابئة

وفكر إخوان الصفا

«لَا يَكْفِي الْبَيِّنَةُ فِي تَبْيَانِ حَقِيقَةِ أَيْ فِلْسَفَةِ ذِكْرِ الْمَذَاهِبِ الَّتِي نَقُولُ بِهَا فَحَسْبُ، بَلِ الْأَمْرُ الْأَكْثَرُ أَهَمِّيَّةٌ لَهُو فَحُصِّ الرُّوْحُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي تُدْعَمُ بِهَا هَذِهِ الْفِلْسَفَةُ مَذَاهِبُهَا الْخَاصَّةُ، وَذَلِكَ بِدِرَاسَةِ الْبَيِّنَةِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تُشَبِّهِ إِلَيْهَا هَذِهِ الْفِلْسَفَةُ».

إميل برهيه

ليس هناك - في تاريخ المصنفات الفكرية العربية - قضية أعقد من قضية كتاب «رسائل إخوان الصفا» ذلك أن شخصيات مؤلفيه وهوياتهم المذهبية وغاياتهم ما تزال غامضة ومستعصية على التفسير، فقد اختلف الباحثون في تاريخ جماعة إخوان الصفا وهويتهم، وانقسموا في ذلك شيعة ومذاهب، بل واختلفوا أيضًا في معنى الاسم ودلالته، وربما كان أوثق تلك الآراء المتشعبة هو رأي المستشرق جولدزهر الذي لا يخلو من الغرابة والطرافة في آن واحد، لكنه - في الوقت ذاته - لا يعوزه الدليل، فقد نوه إلى أن الاسم نفسه - أغني إخوان الصفا - يظهر في كتاب كليله وديمته ونحديداً في قصة «الحمامة المطوقة»¹ مشبعا بالرمزية حيث تتبادل الطيور والحيوانات فيها المعرفة فتتجو جميعا من شبكة الصياد²، وهذا المعنى الرمزي نفسه أشار إليه إخوان الصفا في غير موضع من رسائلهم³، كما إنهم كانوا يُشيرون إلى كتاب كليله وديمته، ويقتبسون منه بعض الحكم والرمزيات التي يضمها بين دفتيه⁴.

أمّا عن مصنفي تلك الرسائل؛ فإن أقدم خبر يصلنا عنها وعن مصنفيهما يأتي في ثانيا كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، والذي ذكر في معرض إجابته عن سؤال للوزير أبي عبد الله العارض وزير صمصام الدولة البويهى عن مفكر وفيلسوف يدعى زيد بن رفاعه⁵ (ت بعد عام 400هـ/ 1009م) وعن مذهبه الغريب الذي يدعو له، فأجابه التوحيدي بأنه -

¹ انظر باب الحمامة المطوقة من كتاب كليله وديمته للفيلسوف الهندي بيدبا، نقله إلى العربية عبد الله بن المقفع، بولاق 1937، 177.

² دي بور: إخوان الصفا، مقال بدائرة المعارف الإسلامية، 2: 454.

³ رسائل إخوان الصفا، 1: 43؛ 4: 18.

⁴ المصدر نفسه، 2: 124.

⁵ أبو الخير زيد بن رفاعه الهاشمي، أحد كبار الفلايصة بالبصرة، لا نعرف عن حياته الكثير، لكن الخطيب البغدادي يذكره وينسب إليه الكذب والوضع في الحديث، كما ينفي عنه أصله الهاشمي، انظر: - تاريخ بغداد، 9: 459، وقد سلّم من آثاره كتاب «أزيمون حديثاً في المواعظ والأخلاق» وما يزال مخطوطاً بدار الكتب المصرية بالمتن المكتبة التيمورية برقم 1/ 243 حديث تيمور، وكتاب «الأزيعين في أحاديث النبي ﷺ»، [وأخسبه الكتاب نفسه المتقدم ذكره]، وهو مخطوط بالظاهرية بدمشق [مكتبة الأسد الآن] برقم 1236 حديث. وكتاب «إصلاح جوامع المنطق لابن الشكيت» وطبع بتحيدر آباد الدكن 1354هـ/ 1935م، وكتاب الأمثال، وطبع أيضاً بتحيدر آباد الدكن عام 1358هـ/ 1939م.

أي زيد بن رقاعة - يرى أن الشريعة قد تدنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، وأن السبيل لتطهيرها هو بالفلسفة، وأنه كَوْن بالاشتراك مع أبي سُلَيْمَانَ مُحَمَّد بن مَعْنَر البُسْتِي والمعروف بالمقدسي⁶، وأبي الحسن علي بن هارون الزنجاني⁷، وأبي أحمد المهرجاني⁸، ورجل آخر يدعى العوفي⁹ أخوية سريّة، أطلقوا عليها اسم «إخوان الصفا وخلان الوفا»، وأنهم

⁶ لم تأت كتب التراجم على ذكر له، لكن الشهرستاني يذكره باسمه وكنيته كما عند أبي حيان التوحيدي «أبو سُلَيْمَانَ مُحَمَّد بن مَعْنَر المقدسي»، ولم يذكر عنه شيئاً اللهم إلا أنه من فلاسفة الإسلام، ومن طبقة المتأخرين منهم، انظر: - الملل والنحل، 2: 158.

⁷ لا ذكر للمهرجاني هذا في المصادر، وزنجان هذه التي يُنسب إليها بلدة كبيرة تقع قرب أذربيجان، يافوت الحموي: معجم البلدان، 3: 171، لكن الملاحظ أن نسبه وردت في إحدى النسخ الخطية لكتاب الإمتاع والمؤانسة «الزنجاني»، الإمتاع والمؤانسة، 2: 5، حاشية 1، لكن التوحيدي يعود في موضع آخر ويصفه بالقاضي صاحب المذهب، الإمتاع والمؤانسة، 2: 157، ويعتقد فؤاد مَعْنَر أن الإشارة للمذهب في حديث التوحيدي هي إشارة مباشرة لمذهب إخوان الصفا، انظر: - إخوان الصفا، فلسفتهم وغايتهم، دمشق 1998، 57. واعتقد أنه حقّ دليل أن قصة اليهودي والمجوسي التي يستقيها عنه التوحيدي في هذا الموضع موجودة بنصها حرفياً في رسائل إخوان الصفا.

⁸ هناك اختلافات بينة في المصادر في رسم اسم هذا الرجل، فمحققا الإمتاع والمؤانسة يقولان بأن كلنا النسختين الخطيتين المعتمدتين في تحقيق نص الإمتاع والمؤانسة قد ورد الاسم فيها هكذا «المهرجوني»، وصحح المحققان - أحمد أمين وأحمد الزين - الاسم إلى «المهرجاني» بدون سند، وذلك ظناً منهما أنه منسوب إلى مهرجان إحدى أعمال أسفراين، الإمتاع والمؤانسة، 2: 5، حاشية 2، إلا أن البيهقي يورد اسمه هكذا: «أبو أحمد النهرجوري»، تنمّة حيوان الحكمة، لاهور 1351 هـ 11، وغالباً ما كانت الصيغة الأخيرة هي الأصح، فقد ورد رسم الاسم نفسه كما رسمه البيهقي في معجم الأدياء ليافوت الحموي، والذي وصفه بأنه كان قوياً في الفلسفة وعلوم الأوائل، متوسطاً في علوم العربيّة، وما يذكره يافوت عنه ينطبق إلى حد بعيد على من يذكره التوحيدي، فهو من أهل البصرة، وخدم جلال الدولة البويهبي، وتوفي عام 403 هـ/ 1012 م، معجم الأدياء، 1: 523-524، وعلى هذا فمن المرجح بشدة أن يكون هو نفسه صاحبنا عضو جماعة إخوان الصفا، وذلك على الرغم من أن يافوت لم يذكر شيئاً عن علاقته بإخوان الصفا.

⁹ العوفي منسوب إلى عوفة، وهي محلة بالبصرة، يافوت الحموي: معجم البلدان، 4: 190. وهو الوحيد من بين من يُشتبه بهم في أنهم أصحاب رسائل إخوان الصفا ممن ترجم لهم النديم، ولسوء الحظ فقد ترك النديم فراغات تحت اسمه وتأليفه في مسودة كتابه على أمل أن يستوفي ذكره لكنه لم يفعل، غير أنه لا يدع لنا مجالاً للشك في أنه هو نفسه من عنده التوحيدي بقوله: - «العوفي من أهل البصرة، في زماننا هذا، واسمه [يباض]»، وله من الكتب: [يباض]، الفهرست، 2: 206. على أن الملاحظ أن البيهقي يترجم لرجل يدعى أبا الحسن علي بن زامساس العوفي، ويُلقبه بالحكيم، وينسب له رسالة في تفسير الموجودات، وعلّق المحقق للنص بالحاشية بقوله: «وورد في بعض النسخ أنه من أصحاب إخوان الصفا»، تنمّة حيوان الحكمة، 82.

كَتَبُوا رَسَائِلَهُمُ الَّتِي نَسَبُوهَا لِلجَمَاعَةِ نَفْسَهَا، فِيمَا كَتَمُوا أَسْمَاءَهُمْ، ثُمَّ بَثُّوَهَا فِي أَشْوَاقِ الْوَرَّاقِينَ فَانْتَشَرَتْ بَيْنَ النَّاسِ ¹⁰.

وواقع الأمر أن التَّوْحِيدِي لم يكن يقصد الحديث عن إخوان الصَّفا مُباشرةً وإنما جاء حديثه عنهم في سياق رده على سؤالٍ عارضٍ من الوزير، ورغم أن هذا بحد ذاته قد يُضفي مصداقيةً على رواية التَّوْحِيدِي - لا سيَّما إذا أخذنا في الاعتبار أن للتَّوْحِيدِي خبرته العميقة بالمؤلفات المتداولة ومصنفيها بأشواق الورَّاقين كونه ورَّاقاً؛ بل وورقٌ لزيد بن رفاعه نفسه ونسخ له بعض مؤلفاته ¹¹ - كما إن التَّمَعُّن في روايته لا يثني بسبب معقول يُمكن من خلاله اتهام التَّوْحِيدِي بالكذب العمد، ومع ذلك فإنَّ البَاحِثِينَ لا ينظرون بعين الازتيحاح كثيراً إلى روايته، وذلك لأنَّ تلك الرِّسائل الفكرية الغنية تُنسب إلى جماعة من غير المعروفين لنا على الإطلاق، ومن ثم لا نعرف شيئاً يُذكر عن خلفياتهم الاجتماعية والفكرية والمذهبية، ولو كان أحدهم أو بعضهم ذا مكانةٍ علميةٍ مرموقة، أو لو توفرت لنا بعض المعلومات الدقيقة والموثوقة عنهم فلربَّما اختلفت النظرة إلى الأمر جُملةً وتفصيلاً ¹².

ومع ما تقدَّم فإن نتائج الدراسات التي حاولت رصد توقيت ظهور الرِّسائل بحدِّ ذاتها تُضفي الكثير من المصداقية على رواية التَّوْحِيدِي، فالمُستشرق لويس ماسينيون سبق وأن أثبت عملياً عودة تلك الرِّسائل إلى أجواء القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد لاحظ بالرِّسائل أشعاراً تخصُّ ابن الرُّومي (ت 283هـ/ 896م)، كما لاحظ أيضاً أن تعريف إخوان الصَّفا لحساب جيب المثلثات مأخوذ عن البَتَّاني (ت 317هـ/ 929م). وواصل فؤاد مَعصُوم ما بدأه ماسينيون، ووفق إلى حدٍّ بعيد في التَّدليل على أن تلك الرِّسائل قد دُوِّنت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ¹³، وهذا مُصدّقاً لما سبق وأن قال به ابن تيمية بأن تلك

¹⁰ أبو حيان التَّوْحِيدِي: الإمتاع والمؤانسة، 2: 5؛ قارن أيضاً للمؤلف نفسه: - المقابسات، 46.

¹¹ التَّوْحِيدِي: الإمتاع والمؤانسة، 2: 4.

¹² MACDONALD: *Development of Moslim theology*, New York, 1926, p 168.

¹³ وينتقِ مَعصُوم الثناء على ما قام به من جهد في سبيل تحديد وقت ظهور رِّسائل إخوان الصَّفا، وأهمُّ

الرَّسَائِلُ قد صدرت في عَصْر دَوْلَة بني بُوَيْه بعد المائَة الثَّالِثَة لِلْهَجْرَة وقَرِيبًا من زَمَن بَنَاء الْقَاهِرَة¹⁴، وَمِنْ ثَمَّ نَسْتِطِيعُ الْقَوْلَ بِأَنَّ جَمَاعَة إِيْخْوَان الصِّفَا قد تَأَسَّسَتْ فِعْلِيًّا فِي بَدَايَا النَّصْفِ الثَّانِي من الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِي/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِي، وَاسْتَفْرَقَ تَأْلِيفُ الرَّسَائِلِ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، وَبَدَأَتْ بِالتَّدْفُقِ عَلَى أَسْوَاقِ الْوَرَّاقِينَ قُبَيْلَ الرَّبْعِ الْأَخِيرِ من الْقَرْنِ نَفْسِهِ¹⁵.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ لَجَأَ الْبَاحْثُونَ - الَّذِينَ لَمْ يَطْمَنُّوا بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى رِوَايَةِ التَّوْحِيدِي¹⁶ - إِلَى

النِّقَاطِ الَّتِي انْقَطَعَتْ مِنْ حَدِيثِ إِيْخْوَان الصِّفَا: ذِكْرُهُمْ لِأَبِي أَحْمَدَ الْكَيَّالِ الْعَالِمِ الرِّيَاضِي الشَّغُوفَ بِالْأَزْقَامِ، وَالْمَعْرُوفَ أَنَّ الْكَيَّالَ تُوُفِيَ عَامَ 313 هـ/ 925 م، وَإِشَارَتُهُمُ الْعَارِضَةَ إِلَى كَخْلِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَجِسْمِهِ، وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْقَاهِرَ بَالَهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سُجِّلَ مِنَ الْخُلَفَاءِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَمَّ هَذَا عَامَ 322 هـ/ 933 م، وَإِشَارَتُهُمْ إِلَى وَاقِعَةٍ حَدَثَتْ لِلْفَارَابِيِّ دُونَ النَّصِّ عَلَيْهِ بِالْإِسْمِ، وَالْفَارَابِيُّ تُوُفِيَ عَامَ 334 هـ/ 945 م، وَإِشَارَتُهُمْ إِلَى الْأَشَاعِرَةِ وَبِأَسْمِهِمْ، وَالْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ تُوُفِيَ عَامَ 330 هـ/ 941 م، وَإِشَارَتُهُمْ إِلَى نِفَاقِ الْبُغْضِ وَاسْتِثَارِهِ بِالتَّشْيِيعِ لِيَحْظِيَ بِعَطْفِ الْعُلُوِّينَ، وَيَعْتَقِدُ مَعْصُومٌ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْعُلُوِّينَ هُمُ بَنُو بُوَيْه، وَكَانَ الْحُلُّ وَالْعَقْدُ بِأَيْدِيهِمْ، وَقَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِلشَّيْعَةِ ظَهْرٌ يَحْمِيهِمْ، وَمُنَاكَ عِدَّةُ نِقَاطٍ أُخْرَى نَصَّ عَلَيْهَا مَعْصُومٌ قَدْ لَا تَرُقَى إِلَى دَرَجَةِ الْأَدَلَّةِ، لِلتَّفْصِيلِ: - فُوَادُ مَعْصُومٍ: إِيْخْوَان الصِّفَا، فَلَسَفْتُهُمْ وَغَايَتُهُمْ، 63-57.

¹⁴ بُغْيَةُ الْمُرْتَادِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُتَشَلِّفَةِ، 59.

¹⁵ مِنَ الْعَرِيبِ أَنْ يَغْفَلَ النَّدِيمُ - وَهُوَ الْوَرَّاقُ الْمُحْتَرَفُ - الْحَدِيثَ عَنْ هَذِهِ الرَّسَائِلِ بِالْجُمْلَةِ، رَغْمَ الْجَدَلِ الَّذِي أَثَارَتْهُ فِي عَصْرِهِ، وَالْأَدَلَّةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ بِنَيْضِ كِتَابِ الْفَهْرَسْتِ عَامَ 377 هـ/ 987 م، انْظُرْ فِي ذَلِكَ مُقَدِّمَةُ آيْمَنَ فُوَادُ سَيِّدَ لِكِتَابِ الْفَهْرَسْتِ لِلْنَدِيمِ، 1: 35 وما بعدها. أَخَذْنَا فِي الْإِعْتِبَارِ أَنَّ رِوَايَةَ التَّوْحِيدِي تَقْطَعُ بِشَكْلِ حَاسِمٍ بِأَنَّ تِلْكَ الرَّسَائِلَ كَانَتْ مُتَدَاوِلَةً فِي أَسْوَاقِ الْوَرَّاقِينَ إِيَّانَ إِسَارَةِ صِنْفِصَامِ الدَّوْلَةِ الْبُويهي، وَوَزَارَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَارِضِ، وَتَحْدِيدًا عَامَ 373 هـ/ 983 م، وَالْمُبَرَّرُ الْمُنْتَظَمِيُّ الْوَحِيدُ أَنَّ النَّدِيمَ لَمْ يَكُنْ قَدْ فَرَّغَ بِشَكْلِ تَامٍّ مِنْ كِتَابِهِ الْفَهْرَسْتِ عِنْدَمَا وَاقَعَتْهُ مَيْتُهُ، بِدَلِيلِ كَثْرَةِ الْيَبَاسِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ بِالْفَهْرَسْتِ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ يَنْوِي الْعَوْدَةَ إِلَيْهَا وَتَنْبِيضَهَا حَالًا يَسْتَوْفِي مَادَّتَهُ، كَمَا رَأَيْنَا فِيهَا سَبَقَ مَثَلًا عَلَى ذَلِكَ فِي تَرْجُمَتِهِ لِلْعَوْفِيِّ أَحَدِ أَعْضَاءِ جَمَاعَةِ إِيْخْوَان الصِّفَا، رَاجِعْ حَاشِيَةَ 9.

¹⁶ يُنْسَبُ مِنْ ذَلِكَ أَحْمَدُ أَمِينُ الَّذِي صَدَّقَ عَلَى رِوَايَةِ التَّوْحِيدِي، بَلْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ أَبَا حَيَّانَ التَّوْحِيدِي نَفْسُهُ هُوَ أَحَدُ أَعْضَاءِ جَمَاعَةِ إِيْخْوَان الصِّفَا، ظَهَرَ الْإِسْلَامُ، الْقَاهِرَة 1962، 2: 99. وَفُوَادُ مَعْصُومُ الَّذِي بَذَلَ جُهْدًا كَبِيرًا فِي مُحَاوَلَةِ إِثْبَاتِ صِحَّةِ مَا جَاءَ عِنْدَ التَّوْحِيدِي وَوَقَّفَ فِي ذَلِكَ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، إِيْخْوَان الصِّفَا؛ فَلَسَفْتُهُمْ وَغَايَتُهُمْ، 53-72. وَالْمُسْتَشْرِقُ مَأكْدُونَالْدُ الَّذِي أَبْدَى تَعَاطُفًا كَبِيرًا مَعَ رِوَايَةِ التَّوْحِيدِي، انْظُرْ: - MacDONALD: Ibid.، كَمَا إِنَّ عَمُودَ إِسْهَاعِيلَ أَيْضًا يُبْدِي تَعَاطُفًا مَعَ رِوَايَةِ التَّوْحِيدِي، لَكِنَّهُ حَاوَلَ التَّدْلِيلَ عَلَى أَنَّ نَشَاطَ إِيْخْوَان الصِّفَا بَدَأَ قَبْلَ رِوَايَةِ التَّوْحِيدِي بِقَرْنٍ عَلَى الْأَقْل، وَأَنَّهُ اسْتَمَرَّ بَعْدَهُ بِمَا يَقْرُبُ مِنْ قَرْنٍ أَيْضًا، انْظُرْ، إِيْخْوَان الصِّفَا؛ رُوَادُ التَّنْوِيرِ فِي الْفِكْرِ الْقَرِيبِ، الْمُصَوَّرَة 1996، 42 وما بعدها.

الرَّجْمَ بِالْغَيْبِ. فَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَ الرِّسَائِلَ بِرُمْتِهَا إِلَى الْفَلَايِسَةِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ الَّذِينَ رَحَلُوا إِلَى الشَّرْقِ، كَمَسْلَمَةِ الْمَجْرِبِي، وَالَّذِي يَقَالُ أَنَّهُ أَمْلَاهَا عَلَى تَلَامِيذِهِ وَمُرِيدِيهِ عَقِبَ عَوْدَتِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ هَؤُلَاءُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَجْرِبِي كَانَ يُلقَّبُ بِالْحَكِيمِ، مُبَيَّنًا فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ عَلَى عِبَارَةِ «قَالَ الْحَكِيمُ» الَّتِي تَكَثَّرَ فِي الرِّسَائِلِ¹⁷. لَكِنَّ الدِّرَاسَةَ النَّقْدِيَّةَ لِتِلْكَ الرِّسَائِلِ تَكَادُ تُثَبِّتُ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَائِلَ بِرُمْتِهَا هِيَ نَتَاجُ عَمَلِ فَرِيقٍ وَلَيْسَ فَرْدًا وَاحِدًا، فَهَنَّاكَ اخْتِلَافَاتٍ أُسْلُوبِيَّةً عَدِيدَةً، وَهُنَاكَ أَيْضًا تَنَاقُضَاتٍ حَادَّةٌ فِي بَعْضِ مَا مَحْتَوِيهِ مِنَ الْأَفْكَارِ¹⁸، وَعَلَى ذَلِكَ فَمِنَ السَّدَاجَةِ الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ تِلْكَ الرِّسَائِلَ مِنْ تَأْلِيفِ فَرْدٍ وَاحِدٍ، بَلْ هِيَ عَلَى الْأَرْجَحِ مِنْ تَصْنِيفِ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ، صَنَّفَ كُلُّ مِنْهُمْ فِيمَا يُحْيِي مِنَ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ.

البَعْضُ قَالَ يَنْسَبُهَا إِلَى بَعْضِ مُتَكَلِّمِي الْمُعْتَزَلَةِ، وَقَدْ لَفَتْ نَظَرُهُ وَضَفُ إِخْوَانِ الصِّفَا لِأَنْفُسِهِمْ بِلقَبِ «أَهْلِ الْعَدْلِ وَأَبْنَاءِ الْحَمْدِ»¹⁹، وَهَذَا يَتَقَارَبُ مَعَ وَضْفِ الْمُعْتَزَلَةِ لِأَنْفُسِهِمْ بِ«أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ»²⁰، وَفِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ الْقِفْطِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَشَارَ إِلَى اخْتِيَالِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الرِّسَائِلُ مِنْ تَصْنِيفِ بَعْضِ مُتَكَلِّمِي الْمُعْتَزَلَةِ، وَالطَّرِيفُ أَنَّ الْقِفْطِي نَصَّ صَرَاحَةً عَلَى أَنَّهُ تَرَاجَعَ عَنْ رَأْيِهِ هَذَا بَعْدَمَا وَقَفَ عَلَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ عَنْ إِخْوَانِ الصِّفَا²¹، كَمَا إِنَّ فَخْصَ الرِّسَائِلِ وَمَحْتَوَاهَا كَيْفَلٌ يَظْهَرُ الْبُعْدَ الشَّدِيدَ لِفَلْسَفَتِهَا عَنْ أَفْكَارِ الْمُعْتَزَلَةِ، وَمَنْ ثُمَّ لَمْ يَبْدَأَ أَحَدٌ يَغْتَدُّ بِهَذَا الرَّأْيِ الْآنَ.

¹⁷ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، حيدر آباد، الدكن 1331 هـ 2: 63-64، وكان الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد يرى ذلك الرأي، وقد رفضه أحمد زكي باشا رفضاً قاطعاً، انظر: - أحمد زكي باشا: موسوعات العلوم العربية؛ وبحث على رسائل إخوان الصفا، بولاق 1308 هـ 93.

¹⁸ محمود إسماعيل: المرجع السابق، 44.

¹⁹ جاء في آخر فهرست الرسائل قول إخوان الصفا: «هذه فهرست رسائل إخوان الصفا وخلائ الوفا، وأهل العدل، وأبناء الحمد»، رسائل إخوان الصفا، 1: 43.

²⁰ عمر الدسوقي: إخوان الصفا، القاهرة 1947، 44؛ عادل العوا: حقيقة إخوان الصفا، 100-101؛ E. G.

BROWNE: Literary history of Persia, London 1909, Vol. I, p 292; R. A. NICHOLSON: Literary history of the Arabs, London 1956, p 370.

²¹ القفطي: إخبار الحكماء، 58.

ومن الباحثين أيضًا من نسب تصنيف تلك الرسائل بزميتها إلى صابئة حرّان، بل وحدّد شخصيّة أبي إسحاق الصّايغ كمُصنّف مُحتمل لها، مؤسّسًا رأيهُ على التشابه بين أسلوب أبي إسحاق الأدبي وبين أسلوب الرسائل الأدبي²²، والواقع أنّ هذا الاعتقاد جدّوره القديمة أيضًا، فقد سبق وأن اتهم ابن تيمية صابئة حرّان بالذات بأنهم وراء انتشار تلك الرسائل الدّاعية إلى صياغة مبادئ الفلّسفة كدينٍ وعقيدة محلّ محلّ الدّين المنزّل من السّماء²³، وفي السياق نفسه قيل أيضًا بأنّ أبا الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرّماني تلميذ مسلمة المجرطي كان قد رحّل إلى حرّان في طلب الهندسة والفلّسفة، ومن هناك عاد بيلك الرسائل إلى الأندلس²⁴. لكن هذا يعدّ احتمالًا بعيدًا عن الصّواب، فالكرّماني توفّي عام 458هـ/1065م، والتّوحيدي ينصّ على أنّها كانت مُتداولة في أسواق الورّاقين عام 373هـ/983م، وهذا البعد الزّمني لا يسمح بالقول بأنّ الرسائل ظهرت أوّل ما ظهرت على يد الكرّماني، وأنّه عاد بها من حرّان إلى الأندلس، إضافة إلى أنّه ليس هناك سببٌ معقولٌ يجعلُ التّوحيدي ينسب رسائل صُنفت بحرّان بأيدي فلاسفتها من الحرّانيّة إلى جماعة بالبصرة، كما إنّ الرسائل بدّاتها تعكّس بوضوح الرّغبة في مزج الأدّيان بالفلّسفة، وليس مجرّد الدّعاية إلى دينٍ بذاته، أو تزكية دينٍ على دينٍ، بالإضافة إلى أنّ تلك الرّوح الشّرقية نراها واضحة بأجلى صورها في الرسائل التي تُشير مرارًا وتكرارًا إلى الزّرادشتيّة والمآنويّة والنّضرائيّة واليهوديّة والشيعة والسّنة، وتبدو أكثر تناعُمًا مع بيئة البصرة متعدّدة الدّيانات والأعراق والطوائف والمذاهب²⁵.

على أنّ التّيار الغالب على الباحثين هو نسبة رسائل إخوان الصّفا إلى الشيعة

²² محمّد عبد الحميد الحُمّد: صابئة حرّان وإخوان الصّفا، دمشق 1998، 149-150، وهو يهتمّ بوضعها نفراً من صابئة حرّان بدون أدلّة على الإطلاق!!، ويستطرد إلى القول أنّ أسلوب كُتّاب الرسائل يُشبه أسلوب أبي إسحاق الصّايغ، وهذا في اعتقادي بمثابة القاء للقول على عواهنه، وقد تمرّستُ كثيرًا بأسلوب أبي إسحاق الصّايغ الأدبي أثناء عملي في تحقيق رسائله، ويُمكنني القول - جازماً - أنّه لا صلة على الإطلاق بين أسلوب أبي إسحاق الصّايغ وبين أسلوب كُتّاب رسائل إخوان الصّفا من الوجهة الأدبيّة.

²³ ابن تيمية: بغيّة المرئاد، 13.

²⁴ عقّب صاعيد الأندلسي بقوله «ولا نعلم أحداً أدخلها إلى الأندلس قبله»، طبقات الأئم، 71.

²⁵ عمود إسماعيل: إخوان الصّفا، 45.

الإسماعيلية²⁶، وهو ادعاء له أصوله القديمة أيضًا، فقد رَعَمَهُ دُعاة الإسماعيلية المتأخرون وأبرزهم الدَّاعي الإسماعيلي عمادُ الدِّين إدريس (ت 872هـ / 1467م)²⁷، وهذا هو الاتجاه الغالب عند الباحثين اليوم، رغم أنَّ هذا الرأي لا يَصُمَدُ أمام النقد أيضًا، إذ إنَّ نسبة الرسائل إلى الشيعة الإسماعيلية جُمْلَةً وتفصيلًا ينطوي على تغميمٍ مُجْحِف، وقراءة مُتَعَسِّفَةٌ لظَّاهر نصوص الرسائل.

فَإِذَا كَانَ كُتَّابُ الرِّسَالِ شِيعَةً عَلَى الْمَذْهَبِ الإِسْمَاعِيلِيِّ فَإِنَّ السُّؤَالَ - أَوْ بِالْأُخْرَى الأَسْئَلَةُ الَّتِي تَطْرُحُ نَفْسَهَا - لِمَاذَا يُكْثَرُ إِخْوَانُ الصِّفَا مِنَ الْإِلْفَازِ وَالتَّبَشِيرِ بِقُدُومِ خَلَاصٍ قَرِيبٍ، وَالَّذِي مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنَّهُ قَدْ آتَى بِالْفِعْلِ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرَ الإِسْمَاعِيلِيَّةُ؟!، فَالْقَرْنَ الرَّابِعَ الْهَجْرِي/ الْعَاشِرَ الْمِيلَادِي - وَهُوَ زَمَنُ تَصْنِيفِ تِلْكَ الرِّسَالِ كَمَا تَقَدَّمَ - هُوَ قَرْنُ النُّفُوزِ الشَّيْعِيِّ بَامْتِنَازٍ، فَالْإِسْمَاعِيلِيَّةُ كَانُوا قَدْ نَجَحُوا فِي إِقَامَةِ دَوْلَةٍ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ وَهِيَ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ، وَفِي التَّخَرِينِ كَانَ نَفُوزُ الْقَرَامِطَةِ قَدْ وَصَلَ إِلَى أَوْجِهِ، وَكَانُوا أَيْضًا شِيعَةً إِسْمَاعِيلِيَّةً، وَفِي الْجَزِيرَةِ كَانَ أُمَرَاءُ بَنِي حُدَانَ يَحْكُمُونَ بِاسْمِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانُوا أَيْضًا مِنَ الشَّيْعَةِ، وَفِي الْعِرَاقِ كَانَ الْحُتْلُ وَالْعَقْدُ بِيَدِ بَنِي بُؤْيَه - وَهُمْ شِيعَةٌ زَيْدِيَّةٌ - وَلَمْ يُنْقُوا لِلْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ سِوَى سُلْطَةٍ اِسْمِيَّةٍ، ثُمَّ لِمَاذَا يَسْخَرُ إِخْوَانُ الصِّفَا مِنَ «الرَّثِيئَةِ»²⁸ وَهُوَ أُسْلُوبٌ طَالَمَا مَارَسَهُ أُثْمَتُهُمْ فِي الدَّعْوَةِ، إِذَا مَا سَلَّمْنَا جَدَلًا بِأَثْمَتِهِمْ شِيعَةً إِسْمَاعِيلِيَّةً، وَلِمَاذَا يُهَاجِمُ إِخْوَانُ الصِّفَا أَفْكَارَ الْمُسَبَّحَةِ أَوْ الْمُعْتَقِدِينَ فِي قُدْسِيَةِ الرِّقْمِ سَبْعَةٍ، وَيُسَفِّهُونَ عَقَائِدَهُمْ، وَيَصِفُونَ تَفْكِيرَهُمْ بِأَنَّهُ جُزْئِي

²⁶ عارف تامر: حقيقة إخوان الصفا وخِلَانُ الوفا، بيروت 1947، 21؛ وانظر أيضًا مقدّمته لرسالة جامعة الجماعة من رسائل إخوان الصفا، بيروت د.ت، 5-61؛ كامل مصطفى الشبيبي: الفكر الشيعي والتزعات الصوفية، بغداد 1966، 93؛ جبور عبد النور: إخوان الصفا، القاهرة 1971، 23، مصطفى غالب: في رحاب إخوان الصفا، بيروت 1969، 425، وتجد مناقشةً مُستفيضةً لآراء جمهور الباحثين حول هوية إخوان الصفا في: - فؤاد معصوم: إخوان الصفا؛ فلسفتهم وغايتهم، 45 وما بعدها؛ قارن أيضًا: - محمود إسماعيل: إخوان الصفا، 53 وما بعدها؛ V. A. IVANOV: *The alleged founder of Isma'ilism*, Bombay 1946, p 146.

²⁷ عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق مصطفى غالب، بيروت 1984، 4: 367.

²⁸ رسائل إخوان الصفا، 3: 72.

غَيْرُ كُلِّي، وَأَتَاهُمْ مَا أَصَابُوا كَبِدَ الْحَقِيقَةِ؟²⁹، عَلِمًا أَنَّ هَذَا الرَّقْمَ بِالذَّاتِ مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ فِي عَقَائِدِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

كَذَلِكَ فَإِخْوَانُ الصِّفَا لَا يَكْتَرِثُونَ لِقَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ بُرْمَتِهَا، وَهِيَ لَيْسَتْ لُبُّ دَعْوَى الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فَحَسَبْ؛ بَلْ هِيَ لُبُّ دَعْوَةِ الشَّيْعَةِ بِوَجْهِ عَامٍ، فَعِنْدَ إِخْوَانِ الصِّفَا أَنَّ سُنَّةَ وَاضِعِ الشَّرِيعَةِ نَفْسُهُ تَكْفِي لِهِدَايَةِ أَتْبَاعِهِ، وَلَيْسَ ثَمَّ حَاجَةٌ إِلَى إِمَامٍ، فَإِخْوَانُ الصِّفَا أَنْفُسُهُمْ يُنْصَوْنَ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِمْ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعُقُلَاءَ الْأَخْيَارَ إِذَا أَنْصَافَ إِلَى عَقُولِهِمُ الْقُوَّةَ بِوَاضِعِ الشَّرِيعَةِ، فَلْيَسُوا بِمُتَاجِرِينَ إِلَى رَئِيسٍ يَرَأْسُهُمْ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيُزْجِرُهُمْ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ وَالْقُدْرَةَ لَوَاضِعِ النَّامُوسِ يَقُومَانِ مَقَامَ الرَّئِيسِ»³⁰.

بَلْ إِنَّ تَنْظِيمَهُمُ الَّذِي قَدَّمُوا مُحْطَطًا لِمَنْ يَبْدُو الْأَمْرَ وَالْعَقْدَ بِالْجَمَاعَةِ يَشِي بِأَتَاهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ عَدَمَ جَوَازِ انْفِرَادِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِالْقَرَارِ فِي الْجَمَاعَةِ، فَفِي تَنْظِيمِهِمُ الَّذِي اقْتَرَحُوهُ هُنَاكَ تَدْرَجُ لِلسُّلْطَةِ يَتَكَوَّنُ مِنَ الْإِخْوَانِ الْفُضَّلَاءِ الْكِرَامِ - بِحَسَبِ تَغْيِيرِهِمْ - وَهُمْ الْقَادَةُ وَالْمُلُوكُ دَوُو السُّلْطَانِ، وَأُولُو الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّصَرُّفِ، يَعْلُوهُمْ وَيُسْرِفُ عَلَيْهِمُ الْإِخْوَانُ الْفُضَّلَاءُ الْكَامِلُونَ، وَهُمْ طَبَقَةُ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى اللَّهِ، وَالَّذِينَ تَجَاوَزُوا الْحَقْمَسِينَ³¹، أَيْ أَشْبَهَ بِوَصَايَةِ مَجْلِسِ لِلْحُكَمَاءِ يُسْرِفُ عَلَى مَنْ يَبْدُو السُّلْطَةَ، وَمَنْ ثَمَّ يُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّ إِخْوَانِ الصِّفَا لَمْ يَكُونُوا يَكْتَرِثُونَ أَسَاسًا لِقَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ، وَلَا يَنْتَظِرُونَ أَوْ يُبَسِّرُونَ بِقُرْبِ ظَهُورِ إِمَامٍ مُنْتَظَرٍ، وَلَا يَرَوْنَ وَجْهًا لِحُكْمِ الْفَرْدِ الْمَطْلُوقِ بِدَعْوَى الْإِمَامَةِ، وَلَا وَجْهًا يُبَرِّرُ ذَلِكَ التَّرَاعُ حَوْلَ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ وَمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهَا مِنْ تَبَعَاتٍ. وَهَذِهِ نَتِيجَةُ جَدِّ حَاطِرَةٍ وَيَتَرْتَّبُ عَلَى الْقَوْلِ بِهَا نَفْيُ الْأَصْلِ الشَّيْعِيِّ عَنْ كُتُبِ تِلْكَ الرِّسَالِ الْجُمْلَةِ وَتَفْصِيلًا.

وَمَنْ الْمُلَاحَظُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الرَّاغِبِينَ لِرِوَايَةِ التَّوْحِيدِ لَا يُجِيبُونَ بِدَفْعِ مُقْنَعَةٍ عَنْ

²⁹ المصدر نفسه، 1: 217.

³⁰ نفسه، 4: 137.

³¹ نفسه، 4: 57.

أسباب ردّهم لها، مع أنّ حديث التّوحيدي عن أنّ مؤلّفها كان عرّضهم الرّئيسي ربط الشّرائع على إجمالها وتنوعها بالفلسفة يبدو أقرب إلى المنطق من القول بنسبة الرّسائل لفريق ديني أو مذهبي بعينه، فقارئ تلك الرّسائل سيّتشعر على الفور أنّ كتّبة الرّسائل لا تجمعهم وحدة دينيّة أو مذهبيّة ما، وخطأ الباحثين المتكرّر يكمن في افتراض وهمي مفاده أنّ كتّبة تلك الرّسائل على اختلافهم كانوا يفتنقون ديناً أو مذهباً بعينه، وهذا الافتراض الوهمي قادهم بدوره إلى نتائج مُضلّة.

رغم أنّه من الجليّ أنّ جُلّ هدف إخوان الصّفا كان هو التّوفيق بين الأديان برُمّتها وبين مقاصد الفلسفة والحكمة - تماماً كما قال التّوحيدي - أي هي في نهاية الأمر محاولة تليفيّة للمزاوجة بين الإيمان بظّهر الغيب وبين العقل والاستدلال بمنطق الأشياء، ولو تأملنا ما ورد على لسان إخوان الصّفا أنفسهم في هذا الصّدّد فإنّنا سنخرج بنتيجة واحدة، وهي أنّ إخوان الصّفا لم يتصروا لمذهب على مذهب، بل قالوا صراحةً بأنّهم لا يتعصّبون لمذهب من المذاهب، لأنّ رأيهم ومذهبهم يستغرق المذاهب كلّها³². وكان هذا هو رأي أبي سُلَيْمان المنطقي السّجّستاني أستاذ التّوحيدي، والذي عكف عليها بالدّرس ثمّ خلّص إلى أنّ مُصنّفِي تلك الرّسائل حاولوا الجمع بين الدّين والفلسفة، وهما في رأيه ضدّان لا يجتمعان، لذا فقد رأى أنّ كتّبة تلك الرّسائل تعبوا حقّاً أغنوا، وغنوا حقّاً أطربوا³³.

وقد يحدّر التّساؤل حول ما إذا كان بغضّ من صابئة حرّان قد انتسبوا إلى تلك الجماعة متعدّدة الأديان والمذاهب أم لا؟ لا سيّما أنّنا سنجد أثراً قوياً لا يُنكر لأفكار الصّابئة - مندائيّين وحرّانيّين - وعقائدهم قد تسلّلت بشكلٍ ملحوظ إلى فكر إخوان الصّفا. قد تبدو الإجابة على هذا السّؤال بيسيرة إذا تمّ التّحقّق من هويّة شخص بعينه من بين تلك الشّخصيّات التي أشار إليها التّوحيدي على أنّهم أصحاب تلك الرّسائل، ألا وهو «أبو الحسن عليّ بن

³² نفسه، 4: 41 - 42.

³³ الإنماء والمؤانسة، وانظر أيضاً نقد فزاد معصوم القوي الذي وجهه للقائلين بالهويّة الإنشائيّة لإخوان الصّفا، لا سيّما الباحث الإنشائيّ عارف تايبر، انظر: - إخوان الصّفا، فلسفتهم وغايتهم، 46 وما بعدها.

هَارُونَ الرَّنْجَانِي، هَكَذَا وَرَدَ الْاسْمُ عِنْدَ التَّوْجِيدِي وَالْقِفْطِي، لَكِنَّ اللَّافِتَ لِلنَّظَرِ أَنَّهُ وَرَدَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ هَكَذَا «أَبُو الْحَسَنِ عَلِي بْنِ زَهْرُونَ الرَّيْحَانِي»³⁴، فَهَلْ هَارُونَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي نَصِّي التَّوْجِيدِي وَالْقِفْطِي هِيَ تَخْرِيفٌ لَزَهْرُونَ الْوَارِدَةِ فِي نَصِّ الْبَيْهَقِيِّ؟!.

لَقَدْ مَرَّتْ بَنَّا مِنْ قَبْلِ تِلْكَ الدَّلَالَةِ الدِّيْنِيَّةِ لِاسْمِ «زَهْرُونَ» عِنْدَ الْمُنْدَائِيِّينَ وَالْحَرَنَانِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ³⁵، فَهَلْ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِي بْنُ زَهْرُونَ هَذَا يَنْتَمِي إِلَى أَصُولٍ صَابِيَّةٍ؟، هَذَا مُحْتَمَلٌ بِشِدَّةٍ، خَاصَّةً وَأَنْ افْتِرَاضَ وَقُوعِ التَّحْرِيفِ مِنْ قِبَلِ النَّسَاجِ مِنْ «زَهْرُونَ» إِلَى «هَارُونَ» وَارِدَ، أَمَّا الْعَكْسُ فَمُسْتَبْعَدٌ، فَهَذَا الْاسْمُ اخْتَصَّ بِهِ الصَّابِيَّةُ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلَهُ عِنْدَهُمْ مَغْزَى دِينِي يَرْتَبِطُ بِصُمِيمٍ عَقَائِدِهِمْ، نَاهِيكَ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهُ وَلَا مَبْنَى عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَتَسَمَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْاسْمِ، وَلَيْسَ ثَمَّةُ أَدَلَّةٍ عَلَى شَيْعُوعِ اسْمِ «زَهْرُونَ» فِي فِتْنَةِ مَا خَارِجِ الْأَوْسَاطِ الصَّابِيَّةِ.

وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِ فِي مَعْرِضِ التَّصَدِّي لِرِوَايَةِ التَّوْجِيدِي عَنْ أَصْحَابِ رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا كَيْفَ أَنَّ أَبَا حَيَّانَ التَّوْجِيدِي نَعَتْ ذَلِكَ الشَّخْصَ بِأَنَّهُ «الْقَاضِي صَاحِبُ الْمَذْهَبِ»، وَهَذَا قَاطِعُ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ كَانَ قَاضِيًّا، فَهَلْ كَانَ ذَلِكَ الشَّخْصُ يَنْتَمِي إِلَى أُرُومَةِ حَرَنَانِيَّةٍ أَوْ مُنْدَائِيَّةٍ، وَأَسْلَمَ أَحَدُ أَصْلَافِهِ؟، هَذَا وَارِدٌ بِشِدَّةٍ، وَمَا يُشْجَعُ عَلَى الْقَوْلِ بِذَلِكَ هُوَ إِثْبَاتُ الْبَيْهَقِيِّ نُسْبَتَهُ إِلَى تِجَارَةِ الرَّيْحَانِ، وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ يَزِيدُ مِنَ الشُّبْهَةِ حَوْلَ الْأَصُولِ الصَّابِيَّةِ لِهَذَا الشَّخْصِ، فَنُسْبَةُ أَحَدِ الْحَرَنَانِيَّةِ إِلَى رَنْجَانِ الَّتِي تَقَعُ قَرِيبًا مِنْ أَدْرَبِجَانِ أَمْرٌ مُسْتَبْعَدٌ، لَا سِيَّيَا وَأَنَّا لَا نَمْلِكُ أَدَلَّةً عَلَى هِجْرَاتِ لِلْحَرَنَانِيَّةِ وَصَلَتْ إِلَى تِلْكَ الْأَمَاكِينِ مِنَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ آنَذَاكَ.

وَكَيْفَمَا كَانَ الْأَمْرُ فَإِنَّ وَجُودَ شَخْصٍ ذِي أَصُولِ حَرَنَانِيَّةٍ ضِمْنَ الْقَرِيقِ الَّذِي قَامَ بِتَصْنِيفِ الرِّسَائِلِ يَبْقَى فِي النِّهَايَةِ مُجَرَّدُ اخْتِمَالٍ لَا يُمَكِّنُ الْجَزْمَ بِهِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَسَعُنَا أَنْ نَمْضِيَ

³⁴ تَمَّةُ صِرَافِ الْحِكْمَةِ، 235.

³⁵ رَاجِعِ الْفَصْلَ الْعَاشَرَ.

قُدِّمًا وَرَاءَ هَذَا الاحْتِمَالِ، لَكِنَّ هَذَا لَا يَغْنِي - فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ - عَدَمُ وَجُودِ تَأْثِيرَاتِ حَرَنَانِيَّةٍ قَوِيَّةٍ فِي الرِّسَالَتِ، فَهُنَاكَ عَوَامِلٌ تَطَابُقُ عَدِيدَةً بَيْنَ فِكْرِ إِخْوَانِ الصِّفَا وَبَيْنَ مُعْتَقَدَاتِ الْحَرَنَانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، مِنْ ذَلِكَ تِلْكَ التَّرْعَةُ السَّرِيَّةُ فِي وَجُوبِ إِحَاطَةِ الْأَسْرَارِ الْخَاصَّةِ بِالْجَمَاعَةِ بَعِيدًا عَنِ الْعَلَنِ وَالذُّيُوعِ³⁶، وَلِلْأَسْبَابِ نَفْسَهَا الَّتِي اعْتَقَدَ الْحَرَنَانِيَّةُ بِوَجُوبِ كِتْمَانِ الْمُعْتَقَدَاتِ مِنْ أَجْلِهَا، إِذْ تَحَدَّثَ إِخْوَانُ الصِّفَا صَرَاحَةً عَنْ أَسْبَابِ كِتْمَانِهِمْ لِأَسْرَارِهِمْ بِقَوْلِهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَتَكْتُمُونَ أَسْرَارَهُمْ وَلَا يُبْخَرُونَ بِأَسْمَائِهِمْ خَوْفًا مِنْ سَطْوَةِ الْمُلُوكِ ذَوِي السُّلْطَةِ، وَلَا حَذَرًا مِنْ شُعْبِ جُمْهُورِ الْعَوَامِ، وَلَكِنْ صِيَانَةً لِمَوَاهِبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَزُودُونَ فِي ذَلِكَ قَوْلًا مَأْثُورًا عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ: «لَا تَضَعُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا فَتُظْلَمُوا، وَلَا تَمْنَعُوا أَهْلَهَا فَتُظْلَمُوا»³⁷. وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ يُلْخِصُ جَوْهَرَ إِيمَانِ إِخْوَانِ الصِّفَا بِقَاعِدَةِ «الضَّنِّ بِالْعِلْمِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ»، وَإِذَا قَارَنَّا مَا ذَكَرَهُ إِخْوَانُ الصِّفَا فِي سَبَبِ حَجْبِهِمْ لِأَسْرَارِهِمْ مَعَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ وَحْشِيَّةٍ عَنْ كِتْمَانِ الْحَرَنَانِيَّةِ لِأَسْرَارِهِمْ خَوْفًا عَلَى تِلْكَ الْأَسْرَارِ كَيْلًا تَضِيعَ مَعْ مَنْ هُمْ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا مِنْ أَوْلَادِ السُّفْلَةِ وَفُسَادِ الْعَالَمِ وَخُرَابِهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ³⁸، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ تُشْعِرَنَا تِلْكَ التَّقَالِيدَ الْمُشْتَرَكَةَ بِوُجُودِ جِسْرِ قَوِي تَسَلَّلَتْ مِنْ خِلَالِهِ عَقَائِدُ الْحَرَنَانِيَّةِ إِلَى إِخْوَانِ الصِّفَا.

هُنَاكَ أَيْضًا مُعْتَقَدَاتٌ تَشَارَكَ فِيهَا إِخْوَانُ الصِّفَا مَعَ الْحَرَنَانِيَّةِ، مِنْهَا ذَلِكَ الْأَثَرُ الْقَوِي لِلْفِيثَاغُورَسِيَّةِ وَالَّتِي اعْتَقَقَهَا فَلَا سِفَةَ الْحَرَنَانِيَّةِ مِنَ الطَّبَائِعِيِّينَ وَالَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْقِيَمَةِ الرُّوحِيَّةِ لِلْعَدَدِ، وَطَبِيعَةِ الْأَعْدَادِ وَعِلَاقَتِهَا بِحَقِيقَةِ الْعَالَمِ الْمَادِّيِّ، فَأَوَّلُ مَا يُلْفَتُ النَّظَرُ فِي رِسَالَتِ إِخْوَانِ الصِّفَا هُوَ جَرِصُهُمْ عَلَى افْتِتَاحِ رِسَائِلِهِمْ بِالْقِسْمِ الرِّيَاضِيِّ، وَذَلِكَ يُظْهِرُ مَا أَوَّلُوهُ لِلْأَعْدَادِ مِنْ اِهْتِمَامٍ فِي فَلَسَفَتِهِمُ الَّتِي أَعْلَنُوهَا، فَقَدْ اعْتَبَرُوا الْعَدَدَ أَصْلَ الْمَوْجُودَاتِ، وَرَبَّبُوهُ عَلَى الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ وَهُوَ مَا يُمَثِّلُ تَبْنِيًا حَقِيقِيًّا لِمَبَادِي الْفِيثَاغُورَسِيَّةِ³⁹، وَهُوَ مَا سَبَقَ وَلاَحَظَهُ

³⁶ فُزَادَ مَعْصُومٌ: إِخْوَانُ الصِّفَا؛ فَلَسَفَتِهِمْ وَغَايَتِهِمْ، 45.

³⁷ رِسَالَتِ إِخْوَانِ الصِّفَا، 4: 166.

³⁸ ابْنُ وَحْشِيَّةٍ: شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ، 91.

³⁹ رِسَالَتِ إِخْوَانِ الصِّفَا، 1: 48، وَانْظُرْ أَيْضًا تَلْخِيصَهُمْ لَأَرَاءِ فِثَاغُورَسِ الْحَكِيمِ فِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى مِنْ التَّنْصِيَاتِ الْعَقْلِيَّاتِ فِي مَبَادِي الْمَوْجُودَاتِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى رَأْيِ الْفِيثَاغُورَسِيِّينَ، (وَهِيَ الرِّسَالَةُ 32 مِنْ رِسَالَتِ إِخْوَانِ الصِّفَا) 3: 178-198.

الغزالي⁴⁰. وليس أدل على تقدير إخوان الصفا لفيثاغورس وللفيثاغورية من مساوئهم بين هرمس الحكيم - نبي الحرنائية - وبين فيثاغورس في قدسية الروح وصفائها والاطلاع على أسرار الكون⁴¹.

هناك أيضًا صلة لا تُنكر بين تراثية إخوان الصفا للحكماء مع التراثية المندائية، وكانت هذه التراثية نفسها هي ما جعلت الباحثين متحمسين أكثر للقول بأن مصنف تلك الرسائل شيعة على المذهب الإسماعيلي، إذ كما تعرضنا من قبل تتطابق التراثية المندائية مع مثيلتها الإسماعيلية، إذن فليس من قبيل المصادفة أن يتبنى تلك التراثية فصيلان انتميا إلى البصرة⁴² وتعرفا بها عن كُتب على معتقدات المندائيين. فعند إخوان الصفا تبدأ تلك التراثية بمرتبة الإخوان الأبرار الرُحماء، وهم المريدون ذوو الصنائع، ويتميزون بصفاء الجوهر والنفس، وجودة القبول وسرعة التصور. ثم مرتبة الإخوان الأخيار الفضلاء، وهم المعلمون من الرؤساء ذوي السياسات، وهم المتوطين بهم رعاية الإخوان، ويتميزون بسخاء النفس، وجود العطاء والتحنن على غيرهم. ثم مرتبة الإخوان الفضلاء الكرام، وهم القادة والملوك ذوو السلطان، وأولو الأمر والنهي والتصرف بين الإخوان، ثم مرتبة الكمال، وهم طبقة المقربين إلى الله، ينكشف أمامهم السر، فيصرون الحقائق، وينبسط عليهم العلم فيضا من القدير⁴³.

ولا يكاد يخفى ذلك الطابع الغنوصي للمعرفة اللدنية الهابطة من السماء على نفوس الأشخاص الذين بلغوا مرتبة الكمال، وهو ما يطابق فلسفة الفتح أو الكشف أو الإشراف عند الصوفية، المأخوذة عن نظرية الفيض في الأفلاطونية المحدثة⁴⁴، وهي سمة مشتركة أخرى بين

⁴⁰ الغزالي: المنقذ من الضلال، والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق كمال صليبا؛ كامل عياد، بيروت د.ت، 98؛ فؤاد مغصوم: إخوان الصفا، 50.

⁴¹ رسائل إخوان الصفا، 1: 225.

⁴² فؤاد مغصوم: المرجع نفسه، 65.

⁴³ وجيه أحمد عبد الله: الوجود عند إخوان الصفا، الإسكندرية 1989، 32-33.

⁴⁴ كارل هينرش بيكر: ثراث الأوايل في الشرق والغرب، 13.

عقائد الحرثانية وبين فكر إخوان الصفا، لكن ما يثير الدهشة حقاً هو حديث إخوان الصفا عن عبادات الحرثانية وتزكيتهم لها، ووصفهم لعبدة الكواكب والملائكة بأنهم حُكماء، وأنهم بذكاء نفوسهم وصفاء أذهانهم توصّلوا - عقلاً وبدون الحاجة إلى آتياء - إلى أن للعالم صانِعاً حكيمًا، فأقروا له بالوحدانية وشهدوا له بالربوبية على حد قولهم، واتخذوا الكواكب كوسائط يتوسّلون بها إليه.⁴⁵

كما يوجد في رسائل إخوان الصفا ما يدل على صلة عميقة هم يفكر الحرثانية الديني، ففي رسائلهم ما يماثل ما قرأه المسعودي منقوشاً على مدقة باب تجمع الصابئة بحرّان كما مر بنا من قبل، وهي عبارة «من عرف ذاته فقد تآله»⁴⁶، فقد ورد التعبير نفسه بمغناه ومبناه في قول إخوان الصفا: «كما ذكر في حدّ الفلاسفة أنّها التّشبه بالإله بحسب طاقة الإنسانية، أو بما رُسم في النّاموس من الوصايا والأوامر والنّواهي»⁴⁷، وجاء وصفهم للفلاسيقة الحكماء بكونهم «متألّفين»⁴⁸، أخذاً في الاعتبار أنّ الفلاسفة في حدّ ذاتها عند إخوان الصفا هي «العبادة الإلهية» كما يصفونها⁴⁹، وهذا يعدّ تكريساً لا اعتقادات الحرثانية الغنوصية عن المعرفة وعلاقتها بالخلاص.

ولا يملك المطالع لحديث إخوان الصفا عن خلق العالم إلا الإقرار بالتأثير الحرثاني القوي في فكر إخوان الصفا، حتّى أنّهم يستشهدون بالكتب الدينية المقدّسة لدى الحرثانية، فالهرمسية الحرثانية لها مكانة متميّزة في فكر إخوان الصفا، فقد كانوا كالحرثانية يعتقدون في نبوة هرمس المثلث بالحكمة، واعتقدوا - كالحرثانية أيضاً - أنّه صعد إلى فلك زحل، ودار معه ثلاثين سنة حتّى شاهد جميع أحوال الفلك، وأنّه هو الذي خبر النّاس بعلم النّجوم.⁵⁰

⁴⁵ رسائل إخوان الصفا، 3: 482.

⁴⁶ راجع الفصل الرابع.

⁴⁷ رسائل إخوان الصفا، 2: 454.

⁴⁸ المصدر نفسه، 4: 262.

⁴⁹ نفسه، 4: 34.

⁵⁰ نفسه، 1: 138.

ويُهْمَلُ إِنْخَوَانُ الصِّفَا عَمْدًا سَائِرَ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ فِي رِوَايَتِهَا لِنَشْأَةِ الْكَوْنِ، وَيَسْتَقُونُ مَا ذَتَّهِمْ عَنْهُ مِمَّا يَدْعُوْنَهُ بِـ«صُحُفِ هِرْمِس»⁵¹، وَتَتَلَخَّصُ نَظَرِيَّةُ خَلْقِ الْعَالَمِ عِنْدَ إِنْخَوَانِ الصِّفَا أَوْ كَمَا يَدْعُوْنَ أَتْهَمُ يَقْتَبِسُونَ مِنَ السَّفَرِ الرَّابِعِ مِنْ صُحُفِ هِرْمِس!! أَنَّ اللَّهَ عِنْدَمَا خَلَقَ الْعَالَمَ السُّفْلِيَّ - الَّذِي هُوَ دُونَ فَلَكَ الْقَمَرِ - خَلَقَ آدَمَ وَزَوَّدَهُ بِرُوحٍ عَمِلَ عَلَى إِكْسَابِهَا مَزِيْجًا مِنْ رُوحَانِيَّاتِ الْكَوَائِبِ، ثُمَّ زَوَّدَهُ بِالْوَصَايَا النَّامُوسِيَّةِ وَالْفَلَسَفِيَّةِ الَّتِي بِوَاسِطَتِهَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَعِمَ بِالْخُلُودِ إِذَا مَا أَتْبَعَهَا أَبَدَ الْأَبْدِينَ⁵²، وَهُوَ مَا يُعَدُّ تَبَيَّنًا مُبَاشِرًا لِمَقُولَاتِ الْحَرَنَانِيَّةِ فِي نَشْأَةِ الْعَالَمِ، وَعِلَاقَةِ الْعَقْلِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْخُلَاصِ.

كَمَا تَأْتُرُ إِنْخَوَانُ الصِّفَا عَلَى نَحْوِ وَاضِحٍ بِمَقُولَاتِ الصَّابِنَةِ مِنْ أَنَّ الْفَلَكَ حَيٌّ عَاقِلٌ، وَأَنَّ الْأَبْرَاجَ وَالنُّجُومَ مِرَآةً لِلسَّعْدِ وَالنَّحْسِ، حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ هَذِهِ الْكَوَائِبَ السَّيَّارَةَ كَالْأَزْوَاجِ، وَالْبُرُوجَ لَهَا كَالْأَجْسَادِ⁵³، وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ الْاسْتِدْلَالَ بِحَرَكَاتِهَا عَلَى أَعْمَارِ الْمَوَالِيدِ⁵⁴ وَأَقْدَارِهِمْ وَسَائِرَ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ، فَعِنْدَ إِنْخَوَانِ الصِّفَا هُنَاكَ قَدَرٌ مِمَّا يَسْتَوِي عَلَى الْمَوَالِيدِ مِنْ وَاقِعِ اتِّصَالِ الْكَوَائِبِ، فَالسَّعْدَيْنِ هُمَا الْمُشْتَرِي وَالزُّهْرَةُ، وَاسْتِيلَاءُ الزُّهْرَةِ عَلَى الْمَوَالِيدِ دَلِيلٌ عَلَى سَعَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْثُ حَظَّهُ مِنْ نَعِيمِهَا وَمِلْدَاتِهَا، وَأَمَّا اسْتِيلَاءُ الْمُشْتَرِي عَلَى الْمَوَالِيدِ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى سَعَادَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، إِذْ إِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ - عِنْدَ إِنْخَوَانِ الصِّفَا - عَلَى صَلَاحِ الْأَخْلَاقِ، وَصَحَّةِ الدِّينِ، وَصِدْقِ الْوَرَعِ، وَنَحْضِ التَّقَى، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مِنَ السُّعْدَاءِ فِي الْآخِرَةِ.

وَبِالْمُقَابِلِ هُنَاكَ أَيْضًا النَّحْسَانِ: زُحَلُ وَالْمِرِّيْخُ، فَإِذَا اسْتَوَى زُحَلُ عَلَى الْمَوَالِيدِ دَلُّ عَلَى الشَّقَاءِ وَالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَالْعُسْرِ فِي الْأُمُورِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مِنَ

⁵¹ نفسه، 1: 297-298.

⁵² نفسه، 1: 119.

⁵³ نفسه، 1: 123.

الأشقياء فيها. وأمّا المَرِيخُ فإنه دليلٌ على مَنَحْسة أبناء الآخِرة، وذلك أَنَّهُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْمَوَالِدِ دَلَّ عَلَى الشُّرُورِ مِنَ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ وَالْقَتْلِ وَالسَّرَقَةِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ؛ وَمِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ فِي الْآخِرَةِ⁵⁴.

وهناك أيضًا بعضٌ من الأفكار والمعتقدات ذات الأصل الحرثاني قال بها إخوان الصفا، فعند الحرثانية فإنَّ الباري لا يُبَاثِرُ أُمُورَ الْكَوْنِ الَّذِي خَلَقَهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يُوَكِّلُ مَنْ يُؤَبِّعُهُ فِي حِفْظِ نَامُوسِ الْعَالَمِ الَّذِي خَلَقَهُ وَسَوَاءَ، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَقَدْ نَصَّ إِيْخْوَانُ الصِّفَا عَلَى اعْتِقَادِهِمْ بِقَوْلِهِمْ «وَقَدْ تَبَيَّنَ بِدَلَالِئِ عَقْلِيَّةٍ أَنَّ الْبَارِي - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - لَا يُبَاثِرُ الْأَجْسَامَ بِذَاتِهِ، وَلَا يَتَوَلَّى الْأَفْعَالِ بِنَفْسِهِ إِلَّا الْإِخْتِرَاعَ وَالْإِبْدَاعَ فَحَسَبَ، وَأَمَّا التَّأْلِيفُ وَالتَّرْكِيبُ وَالصَّنَائِعُ وَالْأَفْعَالُ وَالْحَرَكَاتُ الَّتِي تَكُونُ بِالْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ فِي الْأَمَاكِينِ وَالْأَزْمَانِ إِنَّمَا بِأَمْرِ مَلَائِكَتِهِ الْمُوَكَّلِينَ»⁵⁵، وهذا بحدِّ ذَاتِهِ يُظْهِرُ مَدَى عُمُقِ الْاِثْرِ الَّذِي خَلَقْتَهُ مُعْتَقِدَاتُ الصَّابَةِ الدِّينِيَّةِ فِي فِكْرِ إِيْخْوَانِ الصِّفَا.

وفي معرض تأثُّرِ إِيْخْوَانِ الصِّفَا بِفِكْرِ الصَّابَةِ الدِّينِيَّةِ فَقَدْ عَبَّرُوا عَنْ حَقِيقَةِ اعْتِقَادَاتِهِمْ بِأَنَّ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ هِيَ الْمَلَائِكَةُ نَفْسُهَا⁵⁶، قَالُوا ذَلِكَ بِلَفْظٍ صَرِيحٍ: «فَاعْلَمْ يَا أَخِي - أَيُّدِكَ اللَّهُ وَإِيَّاْنَا بَرُوحٌ مِنْهُ - إِنَّ كَوَاكِبَ الْفَلَكِ هُمْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ وَمُلُوكُ سَمَاوَاتِهِ، خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادَةِ عَالَمِهِ، وَتَذْيِيرِ خَلَائِقِهِ، وَسِيَاسَةِ بَرِّيَّتِهِ، وَهُمْ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَفْلَاحِهِ، كَمَا أَنَّ مُلُوكَ الْأَرْضِ هُمْ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»⁵⁷.

وهناك أيضًا تصوُّرُ إِيْخْوَانِ الصِّفَا لِلْبَرَزَخِ وَالْعَالَمِ الْآخِرِ يُقَارِبُ تَصَوُّرَ الْمُتَدَائِلِيِّينَ وَالْحَرْثَانِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ، مِنْ ذَلِكَ اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ الْأَرْوَاحَ حَيِّسَةً فَمِنْ دَرْكِ الْعَالَمِ الْمَادِّيِّ

⁵⁴ نفسه، 1: 141-142.

⁵⁵ نفسه، 2: 126.

⁵⁶ نفسه، 3: 190.

⁵⁷ نفسه، 1: 145.

الجُسماني، وهو بحسب ما عبّروا عنه «الدَّارُ الحَيَوَانِيَّة»، وأنَّ الأزواج تَظَلُّ تَوَاقَّةً لِلْحَقِّ بِالعَالَمِ الرُّوحَانِي⁵⁸. كما شَارَكَ إِيْخْوَان الصِّفَا الصَّابِئَةَ عَامَّةً فِي الْاِعْتِقَادِ بِأَنَّ الْبَعْثَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْأَزْوَاجِ فَحَسَبَ دُونَ الْأَجْسَادِ الَّتِي تَبْلَى وَيُصِيبُهَا الْعَدَمُ، فَلَا بَعْثَ لِلْأَجْسَادِ بَعْدَ فَنَائِهَا، وَإِنَّمَا الْبَعْثُ لِلرُّوحِ، ذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ هِيَ الَّتِي تُعَذَّبُ وَتُنْعَمُ، أَمَّا الْجَسَدُ فَيَقَعُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَقَوْعًا لَا يَقُومُ بَعْدَهُ، وَعَلَى ذَلِكَ فَسَرَّ إِيْخْوَان الصِّفَا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ «مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ» بِأَنَّهُ تَحَرَّرَ الرُّوحُ مِنْ أَذْرَانِ الْجَسَدِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ أَنَّ الْمَعَادَ لِهَذِهِ الْأَزْوَاجِ فَحَسَبَ دُونَ الْأَجْسَادِ⁵⁹.

كما إِن تَصَوُّرُ إِيْخْوَان الصِّفَا لِلدَّارِ الْآخِرَةِ يَتَطَابَقُ مَعَ اِعْتِقَادَاتِ الصَّابِئَةِ فِيهَا، وَهُوَ يُقَارِبُ بِشِدَّةٍ تَصَوُّرَ الْمُنْدَثِّينَ لَهَا، فَالْجَنَّةُ عِنْدَ إِيْخْوَان الصِّفَا هِيَ عَالَمُ الْأَزْوَاجِ، وَهِيَ حَيَاةٌ طَيِّفِيَّةٌ نُورَانِيَّةٌ وَلَيْسَتْ هَيُولِيَّةٌ [أَي لَيْسَتْ مُجَسِّمَةً كَمَا لَمَّا الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ]، تَجِدُ فِيهَا الرُّوحَ الرَّاحَةَ وَاللَّذَّةَ وَالسُّرُورَ وَالْغِبْطَةَ الَّتِي لَا يَعْرِضُ لَهَا الْفَسَادُ، أَمَّا النَّارُ عِنْدَ إِيْخْوَان الصِّفَا فَهِيَ هَيُولِيَّةٌ [أَي مُجَسِّمَةٌ] تَحْتَ فَلَكِ الْقَمَرِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ فِي الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ، وَالتَّغْيِيرِ وَالِاسْتِحَالَةِ⁶⁰.

كما يُعَبِّرُ إِيْخْوَان الصِّفَا عَنْ تَصَوُّرَاتِهِمُ الْخَاصَّةَ بِالْعَذَابِ وَالنَّعِيمِ، فَالْأَزْوَاجِ الطَّيِّبَةِ الْمُقْعَمَةِ بِالْمَعْرِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ تَلْتَحِقُ بِالْكَوَائِبِ، وَتَصِيرُ مِنْهُمْ، وَتَلْتَقِذُ بِالْاِنْضِمَامِ إِلَيْهِمْ فِي الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ، أَمَّا تِلْكَ الْأَزْوَاجِ الْحَبِيبَةِ الَّتِي أَفْعَمَتْهَا السُّرُورُ وَالْجَهَالَاتُ وَسُوءُ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا تَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى فَلَكِ مَا تَحْتَ الْقَمَرِ لَتَسُوْلَ شَيَاطِينُهَا عَذَابَهَا بِإِذْكَاءِ الشَّهَوَاتِ الْجُسمَانِيَّةِ، وَالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ، وَالِاهْتِمَامِ بِالْأُمُورِ الْهَيُولَانِيَّةِ [الْجُسمَانِيَّةِ] وَأَسْرَ الطَّبِيعَةِ الْجَسَدِيَّةِ⁶¹.

وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا سَبَقَ؛ فَهُنَاكَ تَقَارُبٌ شَدِيدٌ بَيْنَ فِكْرِ إِيْخْوَان الصِّفَا وَتَصَوُّرِ الْحَرَنَانِيَّةِ لِدَوْرِ النَّبِيِّ وَالْحَكِيمِ أَوْ الْفِيلَسُوفِ وَتِلْكَ الْمَفَاضِلَةُ الْجَدَلِيَّةُ مِنْ حَيْثُ آتَيْهِمْ أَنْفَعُ لِلنَّاسِ، فَعَرَضُ الْآثِيَاءِ عِنْدَ إِيْخْوَان الصِّفَا هُوَ وَضْعُ النُّوَامِيسِ وَالشَّرَائِعِ فَحَسَبَ، وَذَلِكَ لِمَصْلَاحِ الدُّنْيَا وَعِمَارَةِ

⁵⁸ نفسه، 1: 210.

⁵⁹ نفسه، 2: 49-50.

⁶⁰ نفسه، 2: 60.

⁶¹ نفسه، 3: 6-7.

الأرض. أمّا غرض الحكماء فهو وضع السياسات وإصلاح الدّين والدّنيا جميعاً. وغرضهم الأقصى فهو نجاة النفوس من مِحْن الدنيا، وإيصالها إلى معاد الآخرة ونعيمها⁶². وعند إخوان الصّفا فالشريعة هي طبُّ المرَضِي كي يعودوا أصحّاء، والأنبياء يطبّون المرَضِي حتّى لا يتزايد مرَضهم، وحتّى يعودوا للعافية، أمّا الفلاسفة فهي طبُّ الأصحّاء الذي يحفظُ عليهم الصّحة ويذرأ عنهم المرَض⁶³. أي تماماً كما انتصرت هِرَمِيسَة صابنة حَرَان للفيلسوف على النّبي، فعَل إخوان الصّفا الأمر ذاته.

صَفْوَة القَوْل فإنّه لا شكّ أنّ كثيراً من عقائد الصّابنة - مندائين وحرثانيّة - قد تسلّلت إلى أفكار إخوان الصّفا ومعتقداتهم بشكّل بيّن واضح، فأخوان الصّفا عبّروا بوضوح عن احترامهم لعبدة الكواكب، ووصفوهُم بالحكمة وذكاء النفوس كما مرّ بنا، وهناك أيضاً مقاربات هي أقرب للتطابق عند المقارنة بين مُعْتَقَدَات الفَرِيقَيْن. ومن الواضح أنّ هناك جسراً ما عبّرت تلك الأفكار من خلاله إلى إخوان الصّفا، فهل كانت بيئة البصرة هي المحكّ بين إخوان الصّفا والصّابنة بوجه عام؟، أم كان بعض إخوان الصّفا أنفسهم من المسلمين المُتَحَدِّرين من أصولٍ صابنيّة، وظلّوا يدينون بالولاء لمُعْتَقَدَات أسلافهم حتّى بعد إسلامهم؟. أم ضمّ إخوان الصّفا - المُتَفَتِّحِينَ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ والمُعْتَقَدَاتِ والفِرَقِ - إلى عُضُوبَةِ الجماعة بعض مُتَقَنِّي الصّابنة مِمَّنْ كانوا لا يزالون على دِيَانَتِهِمْ؟. في غياب أدلة قاطعة على هذا الاتجاه أو ذاك تبقى الإجابة الدّقيقة على هذا التساؤل مفتوحة على كُلِّ الفُرْصِيَّات.

⁶² نفسه، 1: 211.

⁶³ أبو حيان التّرجيدي: المُقَابَسَات، 50-51.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

الكتب المقدسة

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس

ترجمة أورشليم الفرنسية للكتاب المقدس، الإصدار العربي، دار المشرق، بيروت د.ت.

الكتب المندائية المقدسة

Diwan Alma Risaia Zuta,

in: *A pair of Nasoraean commentaries, two priestly documents, Trans.*

& edited by E. S. DROWER. Lieden 1963.

The Canonical Prayer Book of the Mandaeanes,

edited by E.S. Drower. Lieden 1959

The Haran Gawaita. and The Baptism of Hibil-Ziwa

trans. By E. S. DROWER. cita del Vaticano 1953.

The secret Adam,

edited by E. S. DROWER, oxford 1960.

The Nag-Hammadi library

trans. And edited by, JAMES RICHARD SMITH, et al., Leiden 1977.

مخطوطات قمران [وثائق البحر الميت]

النشرة العربية، ترجمة موسى ديب خوري، القسم الأول. التوراة: كتابات ما بين
العهدين، دمشق 1998.

المخطوطات

أبو إسحاق الصّابي (أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الحرّاني الصّابي) المتوفى
384هـ/994م.

«رسائل أبي إسحاق الصّابي»:

نسخة مكتبة الجامع الأزهر، برقم 561 خاص، 7156 أذب.

نسخة دار الكتب المصرية وتحويل عنوان «مُنشآت الصّابي»، برقم 32588 أذب.

نسخة مكتبة مجلس شورى إيران (مجلسي شوراى إيران)، برقم 4849.

نسخة مكتبة تشيستر بيتي، برقم AR.35/522.

نسخة مكتبة جامعة ليدن، برقم OR.766.

نسخة مكتبة عائش إيفندي، برقم 117 أذب عربي.

البلخي (أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر النّجم) المتوفى 272هـ/885م.

«الأشترار النّجومية» مخطوط ضمن مجموع محفوظ بخزانة المتحف البريطاني، Cod

.918

ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ (أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ بْنُ هَارُونَ بْنُ ثَابِتِ بْنِ كِرَايَا الصَّابِيِّ) الْمُتَوَفَّى 288هـ/900م.

«رِسَالَةٌ فِي تَصْصِيحِ مَسَائِلِ الْجَبْرِ بِالْبَرَاهِينِ الْهَنْدَسِيَّةِ» نُسخة مَكْتَبَةِ آيَا صُوفِيَا، بِرَقْم 2457.

«كِتَابُ أَوَّلُ لَوْ قُوسٌ فِي تَخْرِيرِ الطُّلُوعَاتِ وَالْغُرُوبَاتِ، مِمَّا تَرَجَمَهُ أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ» نُسخة مَكْتَبَةِ أَحَدِ الثَّالِثِ، بِرَقْم 676.

الطَّبْرِيُّ الْمُتَجَمُّ (!!) عَاشَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ. «رِسَالَةٌ فِي اسْتِجْلَابِ قُوَى الْكَوَاكِبِ عِنْدَ الصَّابِيِّينَ» مَخْطُوطٌ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمَضَرِّيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، بِرَقْم 1757 تَيْمُور.

(نُسخة مَنسُوخةٌ عَنِ الْأَصْلِ الْمُحْفُوظِ بِرَقْم 177 غَيْبِيَّاتٍ تَيْمُور، يُرَاجَعُ

فِيهِرْسُ فُؤَادِ سَيِّدٍ، وَقَدْ قُدِّدَ الْأَصْلُ وَحُمِيَ ذِكْرُهُ مِنْ سِجَلَاتِ الدَّارِ!!، وَلَمْ

يَبْقَ سِوَى تِلْكَ النُّسخةِ الَّتِي يُمَوِّدُ تَارِيخَ انْتِسَاجِهَا إِلَى عَامِ

1355هـ/1937م).

ابْنُ وَخْشِيَّةَ (أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ النَّبْطِيِّ الْكِلْدَانِي) الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَامِ 318هـ/930م. «سَوَقُ الْمُسْتَهَامِ فِي مَعْرِفَةِ رُمُوزِ الْأَقْلَامِ» نُسخة مَكْتَبَةِ مِينُونِخ، Cod. Ara. 789.

المصادر العربية

إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيَّانَ (إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيَّانَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ الْحَرَّانِي الصَّابِيِّ) الْمُتَوَفَّى 335هـ/946م. «رِسَالَةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّانَ فِي وَصْفِ الْمَعَانِي الَّتِي اسْتَخْرَجَهَا فِي الْهَنْدَسَةِ وَعِلْمِ النُّجُومِ» ضِمْنَ «مَجْمُوعِ رِسَائِلِ ابْنِ سَيَّانَ الصَّابِيِّ» تَحْقِيقُ أَحْمَدَ سَلِيمِ سَعْدَانَ، الْكُوَيْتِ 1983.

ابْنُ الْأَثِيرِ (ضِيَاءُ الدِّينِ نَصْرُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ) الْمُتَوَفَّى 637هـ/1239م «الْمَثَلُ السَّائِرُ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ» تَحْقِيقُ أَحْمَدَ الْحَوْفِيِّ؛ بِدَوِيِّ طَبَّانَةَ، الْقَاهِرَةِ د.ت.

ابن الأثير (عليّ بن أبي الكرّم بن محمّد بن عبد الواحد الشَّيْبَانِي) المتوفّى 630هـ/1232م.

«الكامل في التاريخ» تحقيق أبي الفدّا عبد الله القاضي، بيروت 1987.

أحمد بن حنبل (أحمد بن محمّد بن عبد الله الشَّيْبَانِي الإمام) المتوفّى 241هـ/855م.

«مسند أحمد بن حنبل» تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت 2001.

إخوان الصفا وخلان الوفا (أخويّة سرّيّة يُعتقد أنهم عاشوا في النصف الثاني من القرن الرابع

الهجري/ العاشر الميلادي)

«رسائل إخوان الصفا» إعادة نشر بالأوفست لنشرة دائرة المعارف العثمانية بحيدر

آباد الدكن، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 1996.

الرسالة المسماة «جامعة الجماعة» المنسوبة لإخوان الصفا، تحقيق عارف تامر، بيروت

د.ت.

ابن الإخوة (بدر الدين محمّد بن أحمد بن محمّد) المتوفّى 729هـ/1328م.

«معالم القرية في أحكام الحسبة» تحقيق روبن ليفي، كمبرج 1937.

الإدريسي (أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس؛ الشريف الحسني) المتوفّى

560هـ/1164م.

«نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» إعادة نشر لطبعة رومًا الصادرة بين عامي

1971-1984، القاهرة د.ت.

الأذنوي (كمال الدين أبي الفضل جعفر بن تغلب [تغلب؟] بن جعفر الشافعي) المتوفّى

748هـ/1347م.

«الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد» تحقيق سعد محمّد حسن، القاهرة

2000.

الأزدي (أبو زكريّا يزيد بن محمّد بن إياس) المتوفّى 334هـ/945م.

«تاريخ الموصل» تحقيق عليّ حبيّبة، القاهرة 1967.

الأزدي (مُحمَّد بنُ أحمد بنُ أبي المُطَهَّر البَغْدَادِي) عاش في النِّصْف الثاني من القرن الرَّابِع الهِجْرِي / العَاشِر المِيلَادِي.

(يُحْتَمَلُ أَنَّهُ اسْمٌ مُسْتَعَارٌ لِأَبِي حَيَّان التُّوجِيدِي)

«حِكَايَةُ أَبِي الْقَاسِمِ البَغْدَادِي» تَحْقِيقُ آدَمِ مِيتَز، هَيْدَلْبِرْج 1902.

أَبُو إِسْحَاقِ الصَّابِي (أَبُو إِسْحَاقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالِ بْنِ زَهْرُونَ الْحَرَّانِيُّ الصَّابِي) الْمُتَوَفَّى 384هـ/ 994م.

«رِسَالَةُ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي إِلَى أَبِي سَهْلٍ الْكُوْهِي، وَجَوَابُهَا» تَحْقِيقُ ج. ل. بَرِغْرَن، مَجَلَّةُ تَارِيخِ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، مَج 7، دِمَشْقُ 1983.

«الْمُخْتَارُ مِنْ رِسَائِلِ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي» تَحْقِيقُ شَكِيبِ أَرْسِلَان، بَعْدًا 1898.

«الْمُتَنَزَّعُ مِنْ كِتَابِ التَّاجِي فِي أَنْبَاءِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ» ضِمْنَ كِتَابِ «أَنْبَاءِ الْأَيْمَةِ الزَّيْدِيَّةِ» تَحْقِيقُ فِيلْفَرْدُ مَادِيلُونِغ، فَيْسْبَادِن 1988.

الْأَسْفَرَايْنِي (أَبُو إِسْحَاقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ) الْمُتَوَفَّى 418هـ/ 1027م.

«التَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ، وَتَمْيِزُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ عَنِ الْفِرْقِ الْهَالِكِينَ» تَحْقِيقُ كَمَالِ يُوسُفِ الْحُوتِ، بَيْرُوتُ 1983.

الْأَشْعَرِي (سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي خَلْفٍ الْأَشْعَرِي الْقُمِّي) الْمُتَوَفَّى نَحْوَ عَامِ 300هـ/ 912م. «الْمَقَالَاتُ وَالْفِرَقُ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ جَوَادُ مَشْكُور، طَهْرَانُ 1963.

أَبْنُ أَبِي أَصْبَغَةَ (مُوقُّ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْحَزْرَجِيِّ) الْمُتَوَفَّى 668هـ/ 1269م. «عِيُونُ الْأَتْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ» تَحْقِيقُ نِزَارِ رِضَا، بَيْرُوتُ د.ت.

أَبْنُ الْأَثْبَارِيِّ (كَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ) الْمُتَوَفَّى 577هـ/ 1181م.

«نُزْهَةُ الْأَتْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَدْبَاءِ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ، الْقَاهِرَةُ 1998.

الْأَنْطَاكِيُّ (يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ يَحْيَى) الْمُتَوَفَّى 458هـ/ 1067م.

«تَارِيخُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِيِّ» تَحْقِيقُ عُمَرُ عَبْدِ السَّلَامِ تَذْمُرِي، بَيْرُوتُ 1990.

البَيْغَاء (أَبُو الْفَرَج عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَزُومِي) المُتَوَفَّى 396هـ / 1005م.
«ديوان أبي الفرج البَيْغَاء» تحقيق ف. فُولف، ليستسج 1834.

الْبِتَّانِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ الْحَرَّانِي الصَّابِي) المُتَوَفَّى 317هـ / 929م.
«الزَّيْج الصَّابِي» تحقيق كَارْلُو نَالِينُو، نَابُولِي 1899.

الْبُخَّارِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَام) المُتَوَفَّى 256هـ / 869م.

«الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِأَحَادِيثِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، الْمَعْرُوفُ بِصَحِيحِ الْبُخَّارِيِّ» بِإِغْتِنَاءِ
مُحَمَّدِ زُهَيْرِ بْنِ نَاصِرِ النَّاصِرِ، الْمَدِينَةُ الْمُتَوَرَّةُ 1422هـ.

ابن بَطْلَانَ (أَبُو الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ دُونِ بْنِ سَعْدُونِ النَّصْرَانِي الطَّبِيب) المُتَوَفَّى 444هـ / 1052م.
«مَقَالَةٌ فِي مُنَاقَضَاتِ عَلِيِّ بْنِ رِضْوَانَ، الْمَعْرُوفَةُ بِالْمَقَالَةِ الْمِصْرِيَّةِ»، ضِمْنَ كِتَابِ «خَمْسَ
رِسَائِلَ لابن بَطْلَانَ وَابنِ رِضْوَانَ الْمِصْرِيِّ» جَمَعَ وَتَصَحَّيْحَ يُوسُفُ شَخْت؛ مَآكُسَ
مَآيِرْهُوف، الْقَاهِرَةُ 1937.

الْبَكْرِي (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَكْرِي الْأَنْدَلُسِيُّ) المُتَوَفَّى 478هـ / 1085م.
«فَصْلُ الْمَقَالِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْأَمْثَالِ» تَحْقِيقُ إِحْسَانِ عَبَّاسٍ، بِيْرُوت 1979.
«مُعْجَمُ مَا اسْتَعْجِمَ» تَحْقِيقُ مُصْطَفَى السَّقَّاءِ، بِيْرُوت د.ت.

الْبَلَاذُرِيُّ (أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ) المُتَوَفَّى 279هـ / 892م.
«الْبَلَدَانِ، فَتَوْحُهَا وَأَخْكَامُهَا» تَحْقِيقُ سُهَيْلِ زَكَارٍ، بِيْرُوت 1992.

الْبِيْرُونِي (أَبُو الرَّيْحَانِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْخَوَارَزْمِي) المُتَوَفَّى 440هـ / 1048م.

«الْأَنْثَارُ الْبَاقِيَّةُ عَنِ الْقُرُونِ الْحَالِيَّةِ» تَحْقِيقُ إِدْوَارْدِ سَخَاوٍ، لِيْبِرْج 1923.
«تَحْدِيدُ نَهَايَاتِ الْأَمَّاكِينِ لِتَصْحِيحِ نَهَايَاتِ الْمَسَاكِينِ» تَحْقِيقُ ب. بُولْجَاكُوف،
مَنْشُورَاتُ مَعْهَدِ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ 1995.
«الْقَانُونُ الْمَسْعُودِي» مَنْشُورَاتُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ، حَيْدَرُ آبَادِ الدِّكْنِ 1954.

البَيْهَقِيُّ (ظَهْرُ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ) الْمُتَوَفَّى 565هـ/1169م.
«تَارِيخُ حُكَمَاءِ الْإِسْلَام» تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ كُرْدُ عَلِيٍّ، مَنَشُورَاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، دِمَشْقُ
1988.

«تَمَنَّةُ صَوَانِ الْحِكْمَةِ» لَاهُور 1351هـ.

ابْنُ تَغْرِي بَرْدِي (أَبُو الْمَحَاسِنِ جَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ تَغْرِي بَرْدِي الْآتَابِكِيُّ) الْمُتَوَفَّى
874هـ/1469م.
«النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ فِي مُلُوكِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ حُسَيْنُ شَمْسِ الدِّينِ، بِيْرُوتُ
د.ت.

التَّوْخِي. (أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسَّنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَاضِي) الْمُتَوَفَّى 384هـ/994م.
«الْفَرَجُ بَعْدَ الشَّدَةِ» تَحْقِيقُ عَبُودُ الشَّالِحِي، بِيْرُوتُ 1978.

ابْنُ تَيْمِيَّةَ (تَقِيُّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ الْحِرَّانِيُّ) الْمُتَوَفَّى 728هـ/1327م.
«بُغْيَةُ الْمُرْتَادِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُتَفَلِّسَةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ» الْقَاهِرَةُ د.ت.
«رِسَالَةُ الرَّدِّ عَلَى الْمُنْطَقِيِّينَ» بِيْرُوتُ، د.ت.
«مَجْمُوعُ فَتَاوَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ، الْمَعْرُوفُ بِالْفَتَاوِيِّ الْكُبْرَى» بِيْرُوتُ، د.ت.

ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ (أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ بْنُ هَارُونَ بْنُ ثَابِتِ بْنِ كِرَايَا الصَّابِيُّ) الْمُتَوَفَّى
288هـ/900م.

«جَوَامِعُ كِتَابِ جَالِينُوسَ فِي الْمَوَلُودِينَ لِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ» بَاغِيَتْنَاءُ أَوْزُسُولَا فَيِيسِرَ، مَجْلَّةُ
تَارِيخِ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، مَج 7، ع 1-2، دِمَشْقُ 1983.
«رِسَالَةُ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ فِي الشَّكْلِ الْقَطَاعِ» تَدْقِيقُ رِيْتَشَارْدُ لُورِيْشَ، مَنَشُورَاتُ مَعْهَدِ
تَارِيخِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَرَانْكَفُورْتُ 2001.

الثَّعَالِبِيُّ (أَبُو مَنْصُورُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ النَّيْسَابُورِيِّ) الْمُتَوَفَّى 429هـ/1037م.
«آدَابُ الْمُلُوكِ» تَحْقِيقُ جَلِيلُ الْعَطِيَّةَ، بِيْرُوتُ 1990.
«تَيْمَمَةُ الدَّهْرِ فِي حَمَائِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ» تَحْقِيقُ إِبْرَاهِيمُ صَفَرُ، الْقَاهِرَةُ د.ت.

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الكِنَاني اللِّثي) المتوفى 255هـ/868م.

«الحَيَّان» تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1965.

«رسالة الرد على النَّصَّاري» ضمن مجموع «رسائل الجاحظ» تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1964.

ابن جُبَيْر (أبو الحسين محمد بن أحد الكِنَاني الأندلسي) المتوفى 614هـ/1217م.

«اعتبار النَّاسِك بذكر الآثار والمناسِك، المعروف برحلة ابن جُبَيْر» بيروت 1964.

الجصاص (أبو بكر أحمد بن علي) المتوفى 370هـ/980م.

«أحكام القرآن» تحقيق عبد السلام شاهين، بيروت 1994.

ابن جُلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي) المتوفى بعد عام 377هـ/988م

«طبقات الأطباء والحكماء» تحقيق فؤاد سيّد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيّة، القاهرة 1955.

الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) المتوفى 331هـ/942م.

«نُصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري» جمع ونشر ميخائيل عواد، بيروت 1964.

«الوزراء والكتاب» تحقيق مصطفى السقا؛ إبراهيم الإتياري؛ عبد الحفيظ شليبي، القاهرة 1938.

ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي) المتوفى

597هـ/1200م.

«بيان مذاهب الفرق الضالة» القاهرة 1999.

«تلبّيس إبليس» بيروت 1991.

«مناقب بغداد» تحقيق محمد بهجة الأثري، بغداد 1342هـ.

«مناقب معروف الكرخي وأخباره» تحقيق صادق محمود الجميلي، مجلة المورد العراقية، ع4، مج9، بغداد 1980.

«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» تحقيق محمد عبد القادر عطا؛ مصطفى عبد القادر عطا، بيروت 1992.

ابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرّازي) المتوفى 327هـ/948م.
«تفسير القرآن العظيم، مُسنَدًا عن رسول الله ﷺ والصّحابة والتّابعين، المعروف
بتفسير ابن أبي حاتم» تحقيق أسعد محمد الطيّب، الرّياض 1997.

حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي) المتوفى 1067هـ/1656م.
«كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» منشورات لجنة إحياء التراث العربي،
بيروت د.ت.

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي) المتوفى 852هـ/1448م.
«فتح الباري في شرح صحيح البخاري» دار المعرفة، بيروت 1379هـ.
«لسان الميزان» حيدر آباد، الدكن 1331هـ.

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي) المتوفى 456هـ/1063م.
«الفصل في الملل والأهواء والنحل» تحقيق محمد إبراهيم نصر؛ عبد الرحمن عميرة،
بيروت د.ت.

حمزة الأصفهاني (أبو عبد الله حمزة بن الحسن) المتوفى 360هـ/970م.
«تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء» بيروت د.ت.

الخميري (محمد بن عبد المنعم الصنهاجي) المتوفى 727هـ/1326م.
«الروض المعطار في خبر الأقطار» تحقيق إحسان عباس، بيروت 1984.

حُنين بن إسحاق (أبو زيد حُنين بن إسحاق العبّادي) المتوفى 260هـ/873م.
«آداب الفلاسفة» تحقيق عبد الرحمن بدوي، منشورات معهد المخطوطات العربيّة،
القاهرة 1985.

ابن حوقل (أبو الفايص محمد بن علي النصّيب) المتوفى بعد عام 366هـ/976م.
«صورة الأرض» القاهرة د.ت.

أَبُو حَيَّان التَّوَجِيدِي (عَلِي بن مُحَمَّد بن العَبَّاس) المَتَوَفَّى 416هـ/ 1025م.

«أَخْلَاقُ الْوَزِيرِينَ» تَحْقِيقُ مُحَمَّد بن تَاوَيْت الطَّنْجِي، بِيْرُوت 1991.

«الْإِمْتِنَاعُ وَالْمُؤَانَسَةُ» تَحْقِيقُ أَحْمَدُ أَمِين؛ أَحْمَدُ الزَّيْن، بِيْرُوت د.ت.

«الرِّسَالَةُ الْبَغْدَادِيَّةُ» تَحْقِيقُ عَبَّود الشَّالْجِي، كُؤْلُونِيَا 1997.

«الْمُقَابَسَاتُ» بِاعْتِنَاءِ حَسَن السَّنْدُوبِي، الكُؤْنِت 1992.

ابن خُرْدَادِثِيَّة (أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بن أَحْمَد) المَتَوَفَّى بَعْدَ عَام 300هـ/ 912م.

«الْمَسَالِكُ وَالْمَمَالِكُ» تَحْقِيقُ مُحَمَّد جَابِر عبد العَالِ الْحِمْيَنِي، الْقَاهِرَةُ 2004.

الْحَفْطِيبُ الْبَغْدَادِي (أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بن عَلِي بن ثَابِت) المَتَوَفَّى 463هـ/ 1070م.

«تَارِيخُ بَغْدَادَ» تَحْقِيقُ بَشَّارُ عَوَّاد مَعْرُوف، بِيْرُوت 2001.

«التَّنْقِيلُ، وَحِكَايَاتُ الطُّفْلَانِ»، وَأَخْبَارُهُمْ وَنَوَادِرُ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارُهُمْ» الْقَاهِرَةُ

1983.

ابن خَلْدُون (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد الحَضْرَمِي) المَتَوَفَّى 808هـ/ 1405م.

«دِيْوَانُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ، وَمِنْ عَاصِرِهِمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ

الْأَكْبَرِ الْمَعْرُوفِ بِتَارِيخِ ابْنِ خَلْدُون» نَشْرَةُ خَلِيل شَحَادَةُ؛ سُهَيْل زَكَار، بِيْرُوت

2000.

ابن خَلْكَان (شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بن مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ) المَتَوَفَّى 681هـ/ 1282م.

«وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَوْلَادِ الزَّمَانِ» تَحْقِيقُ إِحْسَانُ عَبَّاس، بِيْرُوت 1968.

الْخَوَّازِمِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بن أَحْمَدُ بن يُوسُف) المَتَوَفَّى 387هـ/ 977م.

«مِفْتَاحُ الْعُلُومِ» تَحْقِيقُ جَوْدُتُ فَعْرُ الدِّين، بِيْرُوت د.ت.

الدَّوَادِرِي (أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيكَ) المَتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ 736 هـ / 1335 م.

«الدَّرَةُ السَّيِّمَةُ فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْقَدِيمَةِ» الْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ «كَتَرُ الدَّرَرِ وَجَامِعُ الْغُرَرِ» تَحْقِيقُ إِدْوَارْدُ بَكْدِين، بِيروت 1994.

«الدَّرُ الْفَاحِرُ فِي سِيرَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ» الْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ «كَتَرُ الدَّرَرِ وَجَامِعُ الْغُرَرِ» تَحْقِيقُ هَانَسُ رُوبِرْتُ رُويْمَر، مَشْهُورَاتُ الْمَعْهَدِ الْأَلْمَانِيِّ لِلْأَثَارِ، الْقَاهِرَةُ 1983.

الدَّيْلَمِي (مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الزَّيْدِي) المَتَوَفَّى نَحْوَ عَامِ 684 هـ / 1285 م.

«بَيَانُ مَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ وَبُطْلَانُهُ» مُتَرْجَمٌ مِنْ كِتَابِ «قَوَاعِدُ عَقَائِدِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ» تَحْقِيقُ شَيْذُ وَطْهَان، اسْتَنْبُول 1938.

الدَّهْمِي (شَمْسُ الدِّينِ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قِيَمَازٍ) المَتَوَفَّى 748 هـ / 1344 م.

«تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، وَوَقَايَاتُ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ» تَحْقِيقُ عُمَرُ عَبْدِ السَّلَامِ تَذْمُرِي، بِيروت 1990.

«سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» تَحْقِيقُ بَشَّارُ عَوَّادٍ مَعْرُوفٍ، بِيروت، د.ت.

«الْعَبْرُ فِي خَيْرٍ مِنْ غَيْرٍ» ضَبَطَ وَتَحْقِيقُ مُحَمَّدُ السَّعِيدُ بَشْيُونِي، بِيروت، د.ت.

الرَّازِي (أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا) المَتَوَفَّى 320 هـ / 925 م.

«مَقَالَةٌ فِيَّ بَعْدَ الطَّبِيعَةِ» ضَمَّنَ كِتَابَ «رِسَائِلُ فَلَسْفِيَّةَ لِأَبِي بَكْرٍ الرَّازِي» بِيروت 1982.

الرَّازِي (فَخْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ) المَتَوَفَّى 606 هـ / 1209 م.

«اعْتِقَادَاتُ فِرْقِ الْمُشْرِكِينَ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ عَبْدِ الرَّازِقِ، الْقَاهِرَةُ 1938.

«السَّرُّ الْمَكْتُومُ فِي أَسْرَارِ النُّجُومِ» نُسخة مطبوعة على الْحَجَرِ صَدَرَتْ بِاعْتِنَاءِ الْمُنَشِّرِ قُورْمَيش، الْقَاهِرَةُ د.ت.

(طُبِعَتْ عَنْ نُسخة خَطِيَّةٍ نَادِرَةٍ دَخَلَتْ فِي يَدِهِ شَخْصٌ يُدْعَى

مِيرْزَا مُحَمَّدُ شِيرَازِي، وَلَا يُعْرَفُ أَيْنَ يَسْتَقَرُّ الْاَضْلُ الْاَن).

«مُحْصَلُ أَفْكَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ» رَاجَعُهُ وَقَدَّمَ لَهُ طَهْ عَبْدِ الرَّؤُوفِ سَعْدُ، الْقَاهِرَةُ د.ت.

ابن رَجَب الحَنَبِي (الحَافِظُ زَيْنُ الدِّينِ أَبِي الفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَجَبِ البَغْدَادِيِّ) المَتَوَفَّى 795هـ/1392م.

«الذَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الحَنَابِلَةِ» تحقيق مُحَمَّد حَامِد الفِيقِي، القَاهِرَة 1952.

ابن رُشد (أَبُو الوَلِيد مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ رُشدِ الأَنْدَلُسِيِّ) المَتَوَفَّى 520هـ/1126م.
«تَلْخِصُ الآثارِ العُلُوِيَّة» تحقيق جَمَالُ الدِّينِ العَلَوِي، بِيروَت 1994.

الرَّزَخَشَرِي (جَارُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ) المَتَوَفَّى 538هـ/1144م.
«أَسَاسُ البَلَاغَةِ» تحقيق مُحَمَّد بَاسِلُ عِيُونِ السُّود، بِيروَت 1998.

ابن زَنْجَوِيه (حَمِيدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ الأَزْدِيِّ) المَتَوَفَّى 251هـ/865م.
«الأَمْوَالُ» تحقيق شَاكِرُ ذَيْبِ فَيَاض، الرِّيَاض 1986.

ابن زُوَلَّاق (أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الحُسَيْنِ اللَّيْثِيِّ) المَتَوَفَّى 386هـ/966م.
«فَضَائِلُ مِصْرَ وَأَخْبَارُهَا وَخَوَاصُّهَا» تحقيق عَلِي مُحَمَّد عَمَر، القَاهِرَة 1999.

سِبْطُ ابْنِ الجَوَزِيِّ (شَمْسُ الدِّينِ أَبُو المُنْظَرِ يُوسُفُ بْنُ قَزَاؤُغْلِي) المَتَوَفَّى 654هـ/1256م.
«مِرَاةُ الزَّمَانِ فِي تَارِيخِ الأَعْيَانِ» الحِقْبَةُ مِنْ 345-447هـ، تحقيق جِنَانُ الهُمُونْدِي،
بَغْدَاد 1990.

السُّبْكِي (تَاجُ الدِّينِ أَبِي نَصْرِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ عَلِي) المَتَوَفَّى 771هـ/1396م.
«طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى» تحقيق مُحَمَّدُ مُحَمَّد الطَّنَاجِي؛ عَبْدِ الفَتَّاحِ مُحَمَّدُ الحَلَوِي،
القَاهِرَة د.ت.

السَّجِسْتَانِي (أَبُو سُلَيْمَانَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ بَهْرَامٍ، المَعْرُوفُ بِأَبِي سُلَيْمَانَ المَنْطِقِيِّ) المَتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ
391هـ/1000م.

«صَوَانُ الحِكْمَةِ» تحقيق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَوِي، طَهْرَان 1974.
«رِسَالَةٌ فِي أَنَّ الأَجْرَامَ العُلُوِيَّةَ ذَوَاتُ أَنْفُسٍ نَاطِقَةٍ» نَشَرَهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَوِي مُلْحَقَةً
عَلَى كِتَابِ صَوَانِ الحِكْمَةِ، طَهْرَان 1974.

- السَّخَاوِي (شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) المُتَوَفَّى 902هـ/ 1496م.
 «الإعلان بالتأريخ لمن دَمَّ التَّارِيخُ» تحقيق مُحَمَّدُ عُثْمَانُ الحُثُثِ، القاهرة 1989.
- ابنُ سَعِيدٍ المَغْرِبِي (نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مُوسَى الإِفْرِيقِيِّ المَغْرِبِيِّ) المُتَوَفَّى 685هـ/ 1286م.
 «الجُغْرَافِيَا» تحقيقُ إِسْمَاعِيلِ العَرَبِيِّ، بيروت 1970.
 «النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ فِي حُلِيِّ حَضْرَةِ القَاهِرَةِ» تحقيقُ حُسَيْنِ نَصَّارٍ، القَاهِرَةُ 2000.
- السَّكَّسَكِي (عَبَّاسُ بْنُ مَنْصُورِ السَّكَّسَكِيِّ الحَنْبَلِيِّ) المُتَوَفَّى 683هـ/ 1284م.
 «الْبُرْهَانُ فِي مَعْرِفَةِ عَقَائِدِ أَهْلِ الأَدْيَانِ» تحقيقُ خَلِيلِ الحَاجِّ، القَاهِرَةُ د.ت.
- سُهْرَابُ (ابنُ سِيرَافِيُونِ النَّصْرَانِي) المُتَوَفَّى بعدَ عَامِ 287هـ/ 900م.
 «عَجَائِبُ الأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ» تحقيقُ هَانزُ فُون مَرْيِك، فينَّا 1929.
- السَّهْرَوَزِي (شَهَابُ الدِّينِ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) المُتَوَفَّى 632هـ/ 1234م.
 «كَنْفُ الفَضَائِحِ اليُونَانِيَّةِ، وَرَشْفُ النِّصَانِحِ الإِيَّانِيَّةِ» تحقيقُ عَائِشَةُ يُونُسُفُ المَنَاعِي، القَاهِرَةُ 1999.
- السِّيُوطِي (جَلَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ) المُتَوَفَّى 911هـ/ 1505م.
 «تَارِيخُ الخُلَفَاءِ؛ أُمَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ القَائِمِينَ بِأَمْرِ الأُمَّةِ» وَمَشْقُ 1351هـ.
- الشَّابُثْنِي (أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ) المُتَوَفَّى 388هـ/ 988م.
 «الدِّيَارَاتُ» تحقيقُ كُورِكَيْسِ عَوَّادٍ، بَغْدَاد 1966.
- الشَّافِعِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الإِمَامُ) المُتَوَفَّى 204هـ/ 819م.
 «كِتَابُ الأُمِّ» بِيْرُوت 1400هـ/ 1980م.
- أَبُو شُجَاعِ الرُّوذَرَاوَرِي (ظَهْرُ الدِّينِ الرُّوذَرَاوَرِي المُلَقَّبُ بِالوَزِيرِ الأَجَلِ) المُتَوَفَّى 488هـ/ 1095م.
 «الدَّلِيلُ عَلَى تَجَارِبِ الأُمَمِ» تحقيقُ ه. ف. أَمِيدُوز، بَغْدَاد 1969.

ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم) المتوفى 684هـ/1285م.

«الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» تحقيق يحيى زكريا عبارة، دمشق 1991.

الشريف الرضي (أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الكاظم الهاشمي القرشي) المتوفى 406هـ/1015م.

«ديوان الشريف الرضي» بومباي 1306هـ.

«رسائل الصابي والشريف الرضي» تحقيق محمد يوسف نجم، الكويت 1961.

ابن شعبة الحراني (الحسن بن علي بن الحسين) عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. «نحف العقول عن آل الرسول» تحقيق علي أكبر الغفاري، طهران 1363هـ.

الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد) المتوفى 548هـ/1153م. «الملل والنحل» تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت 1982.

«نهاية الإقدام في علم الكلام» باغتناء ألفريد جيوم، أكسفورد 1931.

شيخ الرتبة الدمشقي (شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي) المتوفى 727هـ/1326م.

«نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» تحقيق أ. موهرين، ليبسج 1958.

صاعد الأندلسي (أبو القاسم صاعد بن أحمد التغليبي) المتوفى 462هـ/1069م. «طبقات الأمم» تحقيق لويس شيخو اليسوعي، بيروت 1912.

الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى) المتوفى 335هـ/946م.

«أخبار الرازي بالله والمتقي لله» منترج عما تبقى من «كتاب الأوزاق» للصولي، تحقيق ج. هيورث دن، بيروت 1983.

ابن الصِّيرفي (تاجُ الرِّئاسة أَمِينُ الدِّين أبي القَاسِم علي بن مُنْجِب بن سُلَيمان الكَاتِب) المُتَوِّفَى 542هـ/ 1147م.

«القائون في ديوان الرِّسائل» تحقيق أَيْمَن فُؤاد سيِّد، القاهرة 1990.

أَبُو طَالِب الزَّيْدِي (الإمام النَّاطِق بالحق) المُتَوِّفَى بعد عام 374هـ/ 984م.
«الإفادَة من تاريخ الأئمة السَّادة» ضَمَّن كِتَاب «أخبار الأئمة الزَّيدِيَّة» تحقيق فيلْفِرْد مَادِيلُونغ، فَرَانز شَتَايَر، فيسبادِن 1987.

ابن طَاوُوس البَغْدَادِي (رَضِيَّ الدِّين عَلِي بن مُوسَى) المُتَوِّفَى 664هـ/ 1266م.
«فَرَج المَهْمُوم بتاريخ علماء التَّجُوم» النِّجَف د.ت.

الطَّبري (أبو جَعْفَر مُحَمَّد بن جَرِير بن يَزِيد) المُتَوِّفَى 310هـ/ 922م.
«تاريخ الرُّسل والملوك» تحقيق مُحَمَّد أبو الفَضل إبراهيم، القاهرة 1964.
«جامعُ البيان عن تفسِير آي القرآن المعروف بتفسير الطَّبري» تحقيق مُحَمَّد مُحَمَّد شَاكِر، أَحْمَد مُحَمَّد شَاكِر، القاهرة 1374هـ.

ابن طَيْفُور (أَبُو طَاهِر أَحْمَد بن طَيْفُور بن أَبِي طَاهِر الحُرَّاسَانِي) المُتَوِّفَى 280هـ/ 893م.
«كِتَاب بَغْدَاد» تحقيق هِنْس كِلَر، بيروت د.ت.

ابن ظَاوِر (جَمَال الدِّين أَبُو الحَسَنِ عَلِي بن أَبِي مَنْصُور ظَاوِر الأَزْدِي) المُتَوِّفَى 613هـ/ 1216م.
«أخبار الدُّول المُنْقَطِعة» القِسْم الحَاص بِأَخْبَار الدُّولة العبَّاسِيَّة، تحقيق مُحَمَّد بن مُسْنِف الزَّهْرَانِي، المَدِينَة لِلنُّورَة 1407هـ.
«بَدَائِعُ البَدَائِفَة» تحقيق مُحَمَّد أبو الفَضل إبراهيم، القاهرة 1970.

العبَّاسِي (أَبُو مُحَمَّد الحَسَن بن عبد الله بن عُمَر بن محاسِن العبَّاسِي) من أهل القرن السَّابِع الهِجْرِي/ الثَّالِث عَشْر المِيلَادِي.

«آثَارُ الأوَّل في تَرْتِيب الدُّول» تحقيق عبد الرَّحْمَن عُمَيْرَة، بِرُوت 1989.

عبد الجبار (أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني القاضي) المتوفى 415هـ/1024م.

«شُرُحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ» تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة 2009.

«المغني في أبواب التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ» تحقيق محمود محمد الحُضيري، القاهرة 1958.

عبدُ القاهر البَغْدَادِي (أبو مَنْصُور عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد بن عبد الله التَّمِيمِي) المتوفى

429هـ/1037م.

«الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ» تحقيق محمد بدر، القاهرة د.ت.

«الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ» تحقيق ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت د.ت.

عبد الله بن إسماعيل الهاشمي؛ عبد المسيح بن إسحاق النصراني الكندي، من أهل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

«رِسَالَةُ الْهَاشِمِيِّ إِلَى الْكِنْدِيِّ يَدْعُوهُ فِيهَا لِاعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ، وَرَدَّ الْكِنْدِيُّ عَلَيْهَا»

لندن 1880.

عبد الله بن الْمُقَفَّع (عبد الله بن الْمُقَفَّع بن المبارك البَغْدَادِي) المَقْتُول 142هـ/759م.

«كَلِيلَةُ وَدِمْنَةُ» الْمُنْسُوبُ لِلْفِيلَسُوفِ الْهِنْدِيِّ بِيَدْبَا، نَقْلُهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ عبد الله بن الْمُقَفَّع،

بُولَاق 1937.

عبد الواحد المراكشي (مُحْيِي الدِّين عبد الواحد بن علي التَّمِيمِي) المتوفى بعد عام

621هـ/1223م.

«الْمُعْجَبُ فِي تَلْخِيصِ أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ» تحقيق مُحَمَّد سَعِيد العَرِيَّان، القاهرة 1963.

ابنُ الْعِبْرِي (المَفْرِيَّان أبو الفَرَج جَرِيْمُورِي بن أَهَارُون المَلْطِي) المتوفى 685هـ/1286م.

«تَارِيخُ مُخْتَصَرِ الدَّوْلِ» مَنُشُورَات دِير الْأَبَاءِ الْيَسُوعِيِّينَ، بيروت د.ت.

ابن العَدِيم (الصَّاحِبُ كَمَال الدِّين عُمَر بن أَحْمَد بن أَبِي جَرَادَةَ) المتوفى 588هـ/1192م.

«بُغْيَةُ الطَّلَبِ فِي تَارِيخِ حَلَبِ» تحقيق سُهَيْل زَكَار، دمشق 1988.

ابن عساكر (الحافظُ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله) المتوفى 571هـ/ 1175م.
«تاريخ دمشق» تحقيق محب الدين العمري، بيروت 1995.

ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحفي بن أحمد بن محمد الصالح) المتوفى
1089هـ/ 1678م.

«سذرات الذهب في أخبار من ذهب» تحقيق عبد القادر الأرنؤوط؛ محمود
الأرنؤوط، دمشق 1989.

عماد الدين إدريس (عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم القرشي
الداعي الإنشائي) المتوفى 872هـ/ 1467.

«عيون الأخبار وفنون الآثار» تحقيق مصطفى غالب، بيروت 1984.

ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد) المتوفى بعد عام 580هـ/ 1184م.

«الإنباء في تاريخ الخلفاء» تحقيق قايم السامرائي، منشورات المعهد الهولندي
للآثار الشرقية، ليدن 1973.

ابن العميد (جرجس بن العميد بن أبي الياسر بن أبي الطيب النضاري الكاتب الملقب بالشيخ
المكين) المتوفى بعد عام 658هـ/ 1259م

«تاريخ ابن العميد» تحقيق كلود كاهن، في: *Bulletin d' Etudes orientales*,
Damas Vol. XV, 1955-1957.

غرس النعمة بن الصايغ (محمد غرس النعمة بن هلال بن المحسن الصايغ) المتوفى
480هـ/ 1078م.

«كتاب الربيع» ضمن نصوص كتاب «سذرات مفقودة في التاريخ» جمع وتحقيق
إحسان عباس، بيروت 1998.

«الهفوات النادرة» تحقيق صالح الأشر، دمشق 1967.

الغزالي (زَيْنُ الدِّينِ أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الطُّوسِيِّ الشَّافِعِيِّ) الْمُتَوَقَّى 505هـ/1111م.

«تَهَافُتُ الْفَلَايِسُفَةُ» تحقيقُ مُوريسِ بِيُوجُس، بيروت 1987.

«الْمُنْفِذُ مِنَ الضَّلَالِ، وَالْمُوَصِّلُ إِلَى ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ» تحقيقُ كِمَالِ صَلِيح؛ كَامِلُ عِيَاد، بيروت د.ت.

الْفَخْرِيُّ (عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَخْرِيِّ) مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ/الْحَامِسِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ.

«تَلْخِيصُ الْبَيَانِ فِي ذِكْرِ فُرُوقِ أَهْلِ الْأَذْيَانِ» تحقيقُ رَشِيدِ الْبَنْدَر، لَنْدَن 1994.

أَبُو الْفِيدَا (الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ صَاحِبُ حِمَاة) الْمُتَوَقَّى 732هـ/1331م.

«تَقْوِيمُ الْبِلْدَانِ» تحقيقُ رَيْنُود؛ م. كُوكِين دِيسْلَان، بَارِيس 1840.

«الْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ» الْقَاهِرَةُ د.ت.

الْفَرَاهِيدِي (أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ) الْمُتَوَقَّى 170هـ/786م.

«كِتَابُ الْعَيْنِ» تحقيقُ مَهْدِي الْمَخْزُومِي؛ إِبْرَاهِيمُ السَّامِرَائِي، بيروت د.ت.

ابن فَضْلِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ (شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى) ت 749هـ/1348م.

«مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ» منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي 2003.

ابن الْقُوطِي (كِمَالُ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ الرَّازِقِ الْحَنْبَلِيِّ) الْمُتَوَقَّى 723هـ/1323م.

«الْحَوَادِثُ الْجَامِعَةُ، وَالتَّجَارِبُ النَّافِعَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ» تحقيقُ مُصْطَفَى جَوَاد،

بَغْدَاد 1351هـ.

(وهو في الأصل تاريخ مجهول المؤلف والعنوان، ويُعتقد الآن أنَّ

مؤلفه ذِمِّي، وكان ذلك المخطوط بحوزة الأب الكرملِي، ولَفَت

نظر ناشره مُصْطَفَى جَوَاد حين رآه للمرة الأولى، فأخذه الكرملِي

مُصَوَّرَةً منه، فنشره ونحله لابن القُوطِي دون أي مُسَوِّغٍ لذلك،

بل وأعطاه عنوان أخذ كُتِبَ الضَّائِعَةُ، ربَّما لأسباب تجارية، ثم لم

يلبث أن اغتدر للأوساط العلميَّة عن ذلك الخطأ القادح بعد

الانتقادات الواصلة التي وُجِّهَتْ لَهُ)

قَابُوس بن وَشْمَكِير (شمس المَعَالِي أَبِي الْحَسَنِ قَابُوس بن وَشْمَكِير بن زِيَار بن وَرْدَان شَاه الجِيلِي؛ أَمِير جُرْجَان) المَتَوَفَّى 403هـ/1012م.

«كَمَالُ الْبَلَاغَةِ، الْمَعْرُوفُ بِرِسَالَتِ قَابُوس بن وَشْمَكِير» بَغْدَاد 1341هـ.

ابن قَاضِي شُهْبَةِ (تَقِيُّ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ أَحَدُ بن مُحَمَّدٍ بن عُمَرَ الشَّافِعِيِّ) المَتَوَفَّى 851هـ/1441م.

«طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ» تَحْقِيقُ حَافِظُ عَبْدِ الْعَلِيمِ خَانَ، مَنُشُورَاتُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَيْدَرَأَبَادُ الدِّكْنِ 1979.

ابن قُتَيْبَةَ (أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بن مُسْلِمٍ) المَتَوَفَّى 276هـ/889م.

«الْمَعَارِفُ» تَحْقِيقُ نَزْوَتُ عُمَاشَةَ، الْقَاهِرَةُ 1981.

قُدَامَةُ بن جَعْفَرٍ (أَبُو الْفَرَجِ قُدَامَةُ بن جَعْفَرٍ بن زِيَادِ الْكَاتِبِ) المَتَوَفَّى 329هـ/940م.

«الْحَرَجُاجُ وَصِنَاعَةُ الْكِتَابَةِ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ حُسَيْنُ الرُّبَيْدِيِّ، بَغْدَاد 1981.

الْقُرْطُبِيُّ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بن أَحْمَدَ بن أَبِي بَكْرٍ الْأَنْدَلُسِيِّ) المَتَوَفَّى 671هـ/1261م.

«الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، الْمَعْرُوفُ بِتَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ» تَحْقِيقُ عَبْدِ اللَّهِ بن عَبْدِ الْمُحْسِنِ التُّرْكِيِّ، بَيْرُوتُ 2006.

الْقَزْوِينِيُّ (زَكَرِيَّا بن مُحَمَّدٍ بن مُحَمَّدٍ) المَتَوَفَّى 628هـ/1230م.

«آثَارُ الْبِلَادِ وَأَخْبَارُ الْعِبَادِ» بَيْرُوتُ د.ت.

الْقُسَيْرِيُّ (زَيْنُ الْإِسْلَامِ عَبْدُ الْكَرِيمِ بن هَوَازِنُ بن عَبْدِ الْمَلِكِ بن طَلْحَةَ النَّيْسَابُورِيُّ) المَتَوَفَّى 465هـ/1072م.

«الرِّسَالَةُ الْقُسَيْرِيَّةُ» تَحْقِيقُ مَعْرُوفُ رُزَيْقُ، بَيْرُوتُ 1990.

الْقِفْطِيُّ (جَمَالُ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِي بن يُونُسَ بن إِبْرَاهِيمَ) المَتَوَفَّى 646هـ/1248م.

«إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الْحُكَمَاءِ» بَيْرُوتُ د.ت.

«إِنْبَاءُ الرُّوَاةِ عَلَى أَنْبَاءِ النُّحَاةِ» الْقَاهِرَةُ 1981.

الْقَلْقَشْنَدِي (شِهَابُ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ) الْمُتَوَفَّى 821هـ/ 1418م.

«صُبْحُ الْأَعْمَى فِي صِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ» دَارُ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ 1922.

«مَأْتَرُ الْإِنْفَاقَةِ فِي مَعَالِمِ الْخِلَافَةِ» تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّتَّارِ أَحْمَدَ فَرَّاجَ، بَيْرُوتَ 1980.

ابن قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةِ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الدَّمَشْقِيُّ) الْمُتَوَفَّى 751هـ/ 1350م.

«أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ» تَحْقِيقُ يُوسُفَ أَحْمَدَ الْبَكْرِي؛ شَاكِرُ تَوْفِيقِ الْعَرُورِيِّ، الدَّمَّامُ

1997.

ابن كَثِيرٍ الدَّمَشْقِيُّ (الْحَافِظُ أَبُو الْفَدَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ الْقُرَيْشِيُّ الدَّمَشْقِيُّ) الْمُتَوَفَّى

774هـ/ 1372م.

«الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» تَحْقِيقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ التُّرْكِيِّ، الْقَاهِرَةُ 1997.

«تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» تَحْقِيقُ سَامِي بْنِ مُحَمَّدٍ السَّلَامَةِ، الرِّيَّاضَ 1997.

الكَرْمَانِيُّ (مُحَمَّدُ بْنُ هَمَزَةَ بْنِ نَصْرِ) الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَامِ 505هـ/ 1111م

«أَسْرَارُ التَّكْرَارِ فِي الْقُرْآنِ» تَحْقِيقُ عَبْدِ الْقَادِرِ أَحْمَدَ عَطَا، الْقَاهِرَةُ 1396هـ.

ابن كَمُونَةَ (سَعْدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ كَمُونَةَ الْيَهُودِيِّ) الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَامِ 683هـ/ 1284م.

«تَنْفِيحُ الْأَبْحَاثِ لِلْجَمَلِ الثَّلَاثِ» تَحْقِيقُ مُوَيْثِي بَيْرَمَانَ، مَنَشُورَاتُ جَامِعَةِ كَالِيفُورْنِيَا

1967.

الْكِنْدِيُّ (أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الصَّبَّاحِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ) الْمُتَوَفَّى

255هـ/ 868م.

«ثَلَاثُ رِسَائِلٍ فِي الْكَوَاكِبِ وَاسْتَحْضَارِ الْأَزْوَاجِ» تَحْقِيقُ يُوسُفَ حَبِيٍّ؛ حِكْمَتُ

نَجِيبٍ، مَجَلَّةُ الْمَوْرَدِ الْعِرَاقِيَّةِ، مَج 8، ع 1، بَغْدَادَ 1970.

«رِسَائِلُ الْكِنْدِيِّ الْفَلَسَفِيَّةُ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدَ عَبْدِ الْهَادِي أَبُو رَيْدَةَ، الْقَاهِرَةُ د.ت.

الْمَأْتَرِيْدِي (أَبُو مَنْصُورِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدٍ) الْمُتَوَفَّى 333هـ/ 944م.

«التَّوْحِيدُ» تَحْقِيقُ فَتْحِ اللَّهِ خُلَيْفٍ، الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ د.ت.

ماري بن سُلَيْمَان (مار ماري السَّطُورِي) مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِي/الْحَادِي عَشَرَ الْمِيلَادِي.

«أَخْبَارُ بَطَارِقَةِ كُرَيْبِيِّ الْمَشْرِقِ» قِسْمٌ مِنْ كِتَابِ «الْمَجْدِلِ الْكَبِيرِ» تَحْقِيقُ هِنْرِيكُوسْ جِيْسْمُونْدِي، رُومِيَّةُ 1899.

ابن مَأْكُولَا (الأمير الحَافِظُ أَبِي نَضْرَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ) الْمُتَوَفَّى 475هـ/1082م.
«إِكْمَالُ الْكَمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرُّجَالِ» الْقَاهِرَةُ د.ت.

مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ (مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ الْأَضْبَحِيُّ الْإِمَامُ) الْمُتَوَفَّى 179هـ/795م.
«كِتَابُ الْمُوطَأِ» دُبِّي 2003.

الْمَاورُذِي (أَبُو الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ حَبِيبِ الْبَصْرِيِّ) الْمُتَوَفَّى 450هـ/1058م.
«الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ» تَحْقِيقُ أَحْمَدُ مُبَارَكُ الْبَغْدَادِي، الْكُوَيْتُ 1989.
«الْحَاوِي الْكَبِيرُ» بَيْرُوتُ د.ت.

«الْوَزَارَةُ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ، فُؤَادُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ أَحْمَدَ، الْقَاهِرَةُ 1976.

الْمَجْرِي (أَبُو الْقَاسِمِ مَسْلَمَةُ بْنُ أَحْمَدَ) الْمُتَوَفَّى 398هـ/1007م.
«غَايَةُ الْحَكِيمِ وَأَوَّلَى السَّيِّجَتَيْنِ بِالتَّقْدِيمِ» تَحْقِيقُ هَيْلْمُوتُ رِيْتَرُ، هَامْبُورْجُ 1927.

الْمَجْلِسِيُّ (مُحَمَّدُ بَاقِرُ) الْمُتَوَفَّى 1111هـ/1699م.
«بَحَارُ الْأَنْوَارِ» بَيْرُوتُ 1983.

مَجْهُولٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِي/الْحَادِي عَشَرَ الْمِيلَادِي.
«الْعَيُونُ وَالْحَدَائِقُ فِي أَخْبَارِ الْحَقَائِقِ» تَحْقِيقُ عُمَرُ السَّعِيدِي، مَنَشُورَاتُ الْمَعْهَدِ الْقَرْنِيِّ لِلدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، دِمَشْقُ 1973.

مَجْهُولٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهِجْرِي/الرَّابِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِي.
«كِتَابُ التَّرَاتِيْبِ؛ وَهِيَ سَبْعُ تَرَاتِيْبٍ عَلَى التَّامِّ وَالْكَمَالِ» تَحْقِيقُ سُهَيْلُ زَكَّارُ، ضَمَّنَ كِتَابَ الْجَمَاعِ فِي أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ، دِمَشْقُ 1987.

ابن المحلّي: (حميد بن أحمد الزيّدي) المتوفّى بعد عام 502هـ/1108.

«الحقائق الوزديّة في مناقب الأئمّة الزيّديّة» ضمن كتاب «أخبار الأئمّة الزيّديّة» تحقيق فيلغرد ماديلونغ، فرانز شتاينر، فيسبادن 1987.

ابن المرتضى (الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى بن الفضل العلوي الزيّدي) المتوفّى 840هـ/1436م

«باب ذكر المعتزلة» قسم من كتابه المسمّى «المنية والأمل في شرح الملل والنحل» باعتهاء ثوما أرنولد، منشورات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن د.ت.

المرتضى الزيّدي (محبّ الدين أبي الفيض محمد بن المرتضى الحسيني) المتوفّى 1205هـ/1790م.

«تاج العروس في شرح جواهر القاموس» تحقيق مصطفى حجازي، الكويت 1973.

المزّي (أبو الحجاج يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن) المتوفّى 742هـ/1341م.

«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» تحقيق بشار عواد معروف، بيروت 1980.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) ت 346هـ/957م.

«أخبار الزّمان، ومن أباده الحدّثان، وعجائب البلدان، والغامر بالماء والعمران» القاهرة 1938.

«التّنبية والإشراف» بيروت 1968.

«مروج الذهب ومعدن الجواهر» تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1966.

مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب) المتوفّى 421هـ/1030م.

«تجارب الأمم وتعاقب الهمم» تحقيق ه. ف. أميدروز، القاهرة 1914.

مُسلم (مُسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري الإمام) المتوفى 346هـ/ 957م.
«الجامع الصحيح المعروف بصحيح مُسلم» باعْتناء نظر مُحَمَّد القَارِيابي، الرياض
1426هـ.

المُقَدِّسي (أبو حامد مُحَمَّد بن خَلِيل بن يُوْسُف بن عَلِي الرَّمْلِي) المتوفى 888هـ/ 1483م
«رسالة في الرد على الرافضة» تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن، بومباي 1983.

المُقَدِّسي (شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر البشاري) المتوفى بعد عام
377هـ/ 987م.

«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» باعْتناء دي غويه، ليدن 1909.

المُقَدِّسي (مزعبي بن يُوْسُف بن أبي بكر بن أحمد بن يُوْسُف بن أحمد الكرّمي الحنبلي) المتوفى
1033هـ/ 1623م.

«أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمنشبهات» تحقيق
شعيب الأرنؤوط، بيروت 1406.

المُقَدِّسي (المطهر بن طاهر) المتوفى 355هـ/ 965م.
«البدء والتاريخ» القاهرة (د.ت.).

المُقَرِّي (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن أبي العيش بن مُحَمَّد التلمساني)
المتوفى 1041هـ/ 1631م.

«نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب» تحقيق إحسان عباس، بيروت 1997.

المُقَرِّزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر) المتوفى 845هـ/ 1441م.

«السلوك لمعرفة دول الملوك» تحقيق مُحَمَّد مصطفى زيادة، القاهرة 1934.

«المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بخط المقريزي» نسخة مصورة
بالأوفست عن طبعة بولاق، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة
1999.

الملطي (أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العسقلاني الشافعي) المتوفى 377هـ/387م.

«التنبيه والرّد على أهل الأهواء والبدع» تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، القاهرة 1991.

ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري) المتوفى 711هـ/1311م.
«لسان العرب» بيروت 1981.

التديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد) المتوفى 383هـ/993م.
«الفهرست» حققه وقابله على أصوله أيمن فؤاد سيد، لندن 2009.

التويزي (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) المتوفى 733هـ/1332م.
«نهاية الأرب في فنون الأدب» تحقيق أحمد كمال زكي؛ محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1980.

هلال الصائبي (أبو الحسن هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصائبي الملقب بالشَّيخ الرئيس) المتوفى 448هـ/1056م.

«تاريخ هلال بن المحسن الصائبي» الجزء الثامن، نُشر مُلحقاً على كتاب «تجارب الأمم» لأبي علي مسكويه، بتحقيق المستشرق أميدروز، بغداد 1969.
«مُحققة الأمراء في تاريخ الوزراء» تحقيق عبد الستار أحمد قراج، القاهرة 1958.
«رُسوم دار الخلافة» تحقيق ميخائيل عواد، بغداد 1964.
«عُمر البلاغة» تحقيق محمد الديباجي، الدار البيضاء 1988.

الهمداني (محمد بن عبد الملك) المتوفى 521هـ/1127م.
«تكملة تاريخ الطبري» تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1982.

ابن وَحْشِيَّة النَّبْطِي (أَبُو بَكْر أَحْمَد بن عَلِي النَّبْطِي الْكِلْدَانِي) الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَام 318هـ/ 930م.

«شَوْقُ الْمُسْتَهَام فِي مَعْرِفَةِ رُمُوزِ الْأَقْلَامِ» تَحْقِيقُ جُوزَيْفَ هَامَر، لَنْدَن 1806.

«الْفِلَاحَةُ النَّبْطِيَّة» تَحْقِيقُ تَوْفِيقَ فَهْد، مَنَشُورَاتُ الْمَعْهَدِ الْعِلْمِيِّ الْقُرْنِيِّ لِلدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّة، دِمَشْق 1993.

الْيَافِعِي (أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بنِ أَسْعَدَ بنِ عَلِي بنِ سُلَيْمَانَ) الْمُتَوَفَّى 768هـ/ 1366م.

«مِرَاةُ الْجَنَانِ وَعِبْرَةُ الْيَقْظَانِ، فِي مَعْرِفَةِ مَا يُعْتَبَرُ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ» تَحْقِيقُ خَلِيلِ الْمَنْصُور، بَيْرُوت 1997.

يَاقُوتُ الْحَمَوِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَاقُوتُ بنِ عَبْدِ اللَّهِ الرُّومِي الْحَمَوِي) الْمُتَوَفَّى 626هـ/ 1228م.

«إِزْشَادُ الْأَرِيْبِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَدِيبِ الْمَعْرُوفِ بِمُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ» تَحْقِيقُ إِحْسَانَ عَبَّاس، بَيْرُوت 1993.

«مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ» تَحْقِيقُ فَرِيدِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُنْدِي، بَيْرُوت 1990.

يَحْيَى بنِ عَدِي (يَحْيَى بنِ عَدِي التَّكْرِيْتِي الْيَعْقُوبِي النَّصْرَانِي) الْمُتَوَفَّى 364هـ/ 974م.

«مَقَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ» نَشْرَ وَتَحْقِيقُ الْأَبِ سَمِيرَ خَلِيلِ الْيَسُوعِي، رُومًا 1980.

الْيَعْقُوبِي (أَحْمَدُ بنِ إِسْحَاقَ بنِ جَعْفَرِ بنِ وَاصِح) الْمُتَوَفَّى 284هـ/ 897م.

«تَارِيخُ الْيَعْقُوبِي» لَيْدَن 1883.

أَبُو يَحْيَى الْفَرَّاءُ (أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بنِ خَلْفِ الْحَنْبَلِيِّ الْبَغْدَادِي) الْمُتَوَفَّى 560هـ/ 1164م.

«الْأَخْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ حَامِدِ الْفَقِي، بَيْرُوت 2000.

يُوحَنَّا بنِ الْبَطْرِيْق، عَاشَ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِي/ التَّاسِعِ الْمِيلَادِي.

«كِتَابُ سِرِّ الْأَسْرَارِ، الْمَعْرُوفُ بِكِتَابِ السِّيَاسَةِ وَالْفَرَاسَةِ فِي تَذْيِيرِ الرِّقَاسَةِ» الْمُنْسُوبُ

إِلَى أَرْسَطُو طَالِيس، نَقْلُهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ يُوحَنَّا بنِ الْبَطْرِيْق، طَبْعَةٌ حَجَرِيَّةٌ د.م. د.ت.

المصادر السريانية والعبرية والفارسية

إِيلْيَا النَّصِّيي (مَار إِيلْيَا بَرَشْتَايَا [إِيلْيَا بَنُ السَّنِي] المعروف بإِيلْيَا النَّصِّيي مُطْرَان نَصِّييْن)
المتوفى 438هـ/1046م.

«تَارِيخُ إِيلْيَا بَرَشْتَايَا» نقله إلى العربية يُوسُف جَبِّي، مَنَشُورَات مَجْمَع اللُّغَةِ
السُّرْيَانِيَّة، بَغْدَاد 1975.

بَنِيَامِين التُّطَيْلِي (الرَّبِّي بَنِيَامِين بَن يُونَةَ النَّبَارِي الْأَنْدَلُوسِي الرَّحَّالَةَ) الْمُتَوَفَّى 569هـ/1173م.
«رِحْلَةُ بَنِيَامِين التُّطَيْلِي» تَرْجَمَهَا عَنِ الْعَبْرِيَّة عِزْرَا حَدَّاد، يَرُوت 1996.

الرُّهَّاءَوِي المَجْهُول (مُؤَرِّخٌ سُورْيَانِي مَجْهُولٌ مِنْ أَهْلِ الرُّهَّا) الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَامِ 635هـ/1237م.
«تَارِيخُ الرُّهَّاءَوِي المَجْهُول» عَرَّبَهُ عَنِ السُّرْيَانِيَّة الْأَبُ. أَلْبِير تُونَا، بَغْدَاد 1986.

ابْنُ الْعَبْرِي (المُفَرَّبَانُ أَبِي الفَرَجِ جَرِيحُورِي بَن أَهَّارُونَ المَلْطَظِي) الْمُتَوَفَّى 685هـ/1286م.
«التَّارِيخُ السُّرْيَانِي المَطْوَلُ المَعْرُوفُ بِتَارِيخِ الرِّمَّان» نقله إلى العربية الْأَبُ إِسْحَاقُ
أَزْمَلَةُ السُّرْيَانِي، يَرُوت 1986.

بَعْقُوبُ الرُّهَّاءَوِي (مَار يَعْقُوبُ الرُّهَّاءَوِي مُطْرَان الرُّهَّا) الْمُتَوَفَّى 90هـ/708م.
«الْأَيَّامُ السَّتَّة» نقله إلى العربية مَار غَرِيغُورِيُوس صَلِيْبَا شَمْعُون، ضَمِنَ مَنَشُورَات
التُّرَاثِ السُّرْيَانِي (الْكِتَابُ الرَّابِع) حَلَبَ 1990.

مِيخَائِيلُ السُّرْيَانِي MICHAEL LE SYRUS (مَار مِيخَائِيلُ الْأَوَّلُ الْكَبِيرُ بِطْرِكُ أَنْطَاكِيَّة) الْمُتَوَفَّى
596هـ/1199م.

Chronique de Michael le Syrus, tr. By J. B. Chabot, Paris 1899.

نِظَامِي عَرُوضِي سَمَرْقَنْدِي (أَحْمَدُ بَنُ عُمَرَ بَنِ عَلِي) الْمُتَوَفَّى 550هـ/1155م.
«جَهَّارُ مَقَالَةٍ أَوْ الْمَقَالَاتُ الْأَرْبَعُ» تَرْجَمَهُ عَنِ الْفَارْسِيَّة عَبْدُ الْوَهَّابِ عَزَّامٌ؛ يَخْبِي
الْحَشَّابُ، مَنَشُورَات لَجْنَةِ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْجَمَةِ وَالنَّشْرِ، الْقَاهِرَةُ 1949.

آدي شير

«الألفاظ الفارسيّة المعرّبة» بيروت 1908.

آرثر كريستينسن

«إيران في عهد السّاسانيّين» ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة 1998.

آنا ماري شميل

«الأبعاد الصّوفية في الإسلام وتاريخ التّصوف» ترجمة محمّد إسماعيل السيّد؛ رِضا حامد قطب، كُولُونِيَا 2006.

آيدين صنايلي

«المراصد الفلكيّة في العالم الإسلاميّ» ترجمة عبد الله العمر، الكويت 1995.

إبراهيم الدّسوقي شتا

«المعجم الفارسي الكبير» القاهرة 1992.

إبراهيم السّامرائي

«دراسات في اللّغة» بغداد 1961.

إجناتيوس كراتشكوفسكي

«تاريخ الأدب الجغرافي العربي» نقله إلى العربيّة صلاح الدّين عثمان هاشم، بيروت 1987.

إحسان عبّاس

«تاريخ دولة الأتباط» عمّان 1987.

أحمد أمين

«ظهور الإسلام» القاهرة 1962.

«جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة» الإسكندرية 1997.

أحمد تيمور

«أعلام المهندسين في الإسلام» القاهرة 1957.

أحمد حجازي السقا

«الصّابّين [الصّابّون؟!!]، الأُمّة المُقتَصِدة في التّوراة والإنجيل والقرآن» القاهرة 2003.

أحمد زكي باشا

«موسوعات العلوم العربيّة؛ وبحثٌ على رسائل إخوان الصّفا» بولاق 1308هـ.

أحمد شوسة

«ملايح من تاريخ اليهود القديم في العراق» عمّان 2000.

أحمد فؤاد الأهواني

«الكِندي فيلسوف العرب» سلسلة أعلام العرب، رقم 26، القاهرة د.ت.
«المدارس الفلسفيّة» القاهرة 1965.

إسرائيل ليفنسون

«تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهليّة وصدر الإسلام» القاهرة 1927.

ألير نصري تاور

«فلسفة المعتزلة؛ فلاسفة الإسلام الأقدمين» القاهرة د.ت.

أيمن فؤاد سيّد

«الدّولة الفاطميّة في مصر؛ تفسيرٌ جديد» القاهرة 2007.

«تَارِيخُ الْعَرَبِ الْقَدِيمِ» دِمَشْق 1996.

تَوْفِيقُ الْيُوزْبَكِي

«تَارِيخُ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الْعِرَاقِ» الرِّيَّاض 1983.

جَانُ سُوْفَاجِيَه؛ كَلُودُ كَاهِن

«مَصَادِرُ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ» تَرْجَمَةُ عَبْدِ السَّتَّارِ حَلُوجِي؛ عَبْدِ الْوَهَّابِ عُلُوب،
مَنْشُورَاتُ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلثَّقَافَةِ، الْقَاهِرَةُ 1998.

جَبُورُ عَبْدِ التَّوَر

«إِخْوَانُ الصَّفَا» الْقَاهِرَةُ 1971.

جَوَّادُ عَلِي

«الْمُفَصَّلُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ» الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، بَغْدَاد 1993.

جُوزُجُ مَقْدِسِي

«يَخْطُطُ بَغْدَادُ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِيِّ» تَرْجَمَةُ صَالِحِ الْعَلِي، مَنْشُورَاتُ الْمَجْمَعِ
الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، بَغْدَاد 1985.

جُونِسْتَفُ فُونْ جُرُونْبَاوم

«حَضَارَةُ الْإِسْلَامِ» نَقْلُهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَوْفِيقُ جَاوِيد، الْقَاهِرَةُ 1997.

حَسَنُ إِبْرَاهِيمَ حَسَن

«تَارِيخُ الْإِسْلَامِ السِّيَاسِيِّ» بِيْرُوت 1996.

حَسَنُ مُنِيْمَنَة

«تَارِيخُ الدَّوْلَةِ الْبُيْهِيَّةِ السِّيَاسِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ» بِيْرُوت 1984.

«تاريخ الكنيسة الأنطاكية المارونية» بيروت 1900.

خبر الدين الزركلي

«الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين» بيروت 1980.

دراور (ليدي إثيل اشتيفانا دراور)

«الصابئة المندائيون» نقله إلى العربية نعيم بدوي؛ غضبان رومي، بيروت 2005.

دي لاسي أوليري

«علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب» ترجمة وهيب كامل، القاهرة 1962.

رشيد الخيون

«مُعْتَرِلة البصرة وبغداد» بغداد 1997.

رينهارت دوزي

«تكملة المعاجم العربية» ترجمة محمد سليم النعيمي، بغداد 1980.

زُهدي جار الله

«المُعْتَرِلة» بيروت 1974.

سعيد الدبويه جي

«بيت الحكمة» بغداد 1972.

سهيل قاشا (الأب)

«أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية» بيروت 1998.

سيجرید هونگه

«أثر الحضارة العربية في أوربا المعروف باسم: شمس العرب تنطع على الغرب»
ترجمة فاروق بينصون؛ كمال دسوقي، بيروت 1993.

شَاكِر مُصْطَفَى

«التَّارِيخُ الْعَرَبِيُّ وَالْمُؤَرَّخُونَ» بِيْرُوت 1979.

شَوْقِي أَبُو خَلِيل

«أَطْلُسُ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ» دِمَشْق 2005.

شَوْقِي صَيْف

«تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ الثَّانِي» دَارُ الْمَعَارِفِ، الْقَاهِرَة 1973.

شَوْقِي صَيْف، وَآخَرُونَ

«الْمُعْجَمُ الْوَجِيزُ، مَنَشُورَاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ» الْقَاهِرَة 1995.

صُبْحِي الصَّالِح

«دِرَاسَاتُ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ» بِيْرُوت 1968.

طَه بَاقِر

«مُقَدِّمَة فِي تَارِيخِ الْحَضَارَاتِ الْقَدِيمَةِ، تَارِيخُ الْفُرَاتِ الْقَدِيمِ» الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، بَغْدَاد

1955.

عَادِلُ الْعَوَّا

«حَقِيقَةُ إِخْوَانِ الصِّفَا» دِمَشْق 1993.

«مُنْشَخَبَاتُ إِسْمَاعِيلِيَّةٍ» دِمَشْق 1958.

عَارِفُ تَامِر

«تَارِيخُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ» لَنْدُن 1991.

«حَقِيقَةُ إِخْوَانِ الصِّفَا، وَخِلَانُ الْوَفَا» بِيْرُوت 1947.

عبّاس محمّد العَقَّاد

«إبراهيم أبو الأنبياء» القاهرة 1958.

عبد الحكيم الدُّنُون

«تاريخُ الشَّام القديم» دِمَشق 1999.

عبد الحميد عُبَّادة (إِفْنُدي)

«مُنْدائي، المعروف بالصَّابئة الأَفْذَمِين» باعْتِناء رَشيد الحُثَيُون، لُنْدَن 2003.

عبد الرَّحْمَن بدوي

«خَرِيفُ الْفِكْرِ الْيُونَانِي» القاهرة 1979.

«مَذَاهِبُ الْإِسْلَامِيَّين» القاهرة 1971.

«من تاريخُ الْإِتِّحَاد فِي الْإِسْلَام» الطبعة الثانية، القاهرة 1993.

عبد الله سَمَك

«الصَّابُثُون» القاهرة 1995.

عزیز سِبَاهِي

«أَصُولُ الصَّابَةِ وَعَقَائِدُهُمُ الدِّينِيَّةُ» الطبعة الثالثة، دِمَشق 2003.

عزیز سُورِيَال عطِيَّة

«تَارِيخُ الْمَسِيحِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ» ترجمة إسْحَاق عبيد، منشُورَات الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلتَّقَاةِ،

القَاهِرَة 2005.

عَصَام الدِّين مُحَمَّد عَلِي

«بَوَاكِرُ الثَّقَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَرَكَةُ النُّقْلِ وَالتَّرْجَمَةِ» الْإِسْكَنْدَرِيَّة 1986.

علي سَامِي النُّشَار

«الرُّهْدُ وَالتَّصَوُّفُ فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي الْهَجْرِيَّين» الْقَاهِرَة د.ت.

علي محمد عبد الوهاب
«الصَّابِئَةُ» القاهرة 1996.

عمر الدُّسوقي
«إخوان الصِّفا» القاهرة 1947.

عمر رضا كحالة
«مُعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ» بيروت د.ت.

فراس السَّواح
«لُغَزُ عِشْتَار» الطبعة الثَّامِنَةُ، دِمَشْق 2008.

فَنِينُك
«الْمُعْجَمُ الْمُفَهَّرَسُ لِأَلْفَاظِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ» لَيْدِن 1936.

فُؤَادُ سِرْجِين
«تَارِيخُ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ» نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مُحَمَّدُ فَهْمِي حِجَازِي، الرِّيَاض 1991.

فُؤَادُ مَعْصُوم
«إِخْوَانُ الصِّفَا؛ فَلَسَفَتُهُمْ وَغَايَتُهُمْ» دِمَشْق 1998.

كارل بروكلمان
«تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ» نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ عَبْدُ الْحَلِيمِ النَّجَّار، الْقَاهِرَةُ 1959.
«تَارِيخُ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ» تَرْجَمَهُ نَبِيهٌ أَمِينٌ فَارَسَ، مُنِيرُ الْبَغْلَبِكِيِّ، بِيْرُوت 1968.

كامل حمود
«دِرَاسَاتُ فِي تَارِيخِ الْفَلَسَفَةِ الْعَرَبِيَّةِ» بِيْرُوت 1991.

كامل مُصْطَفَى الشَّيْبِي
«الْفِكْرُ الشَّيْعِيُّ وَالتَّرْعَاتُ الصُّوفِيَّةُ» بَغْدَاد 1966.

«بُلْدَانُ الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّة» تَرْجَمَةٌ بِشِيرِ فَرْنَيْسِس، كُوزَكَيْس عَوَّاد، بِيْرُوت 1985.

لُؤيس شَيْخُو

«عُلَمَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ فِي الْإِسْلَام» حَقَّقَهُ وَأَعَادَ نَشْرَهُ الْأَبُ كَمِيلُ حِشْمَةَ الْيَسُوعِي،
مَنْشُورَاتُ الْمَعْهَدِ الْبَابَوِيِّ، رُوما 1983.

«وُزَرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ وَكُتَّابُهَا فِي الْإِسْلَام» حَقَّقَهُ وَزَادَ عَلَيْهِ وَقَدَّمَ لَهُ الْأَبُ كَمِيلُ حِشْمَةَ
الْيَسُوعِي، بِيْرُوت 1987.

لُؤيس مَاسِينِيُون

«أَخْبَارُ الْحَلَّاجِ الْمَعْرُوفِ بِمُنَاجِيَّاتِ الْحَلَّاجِ» بَارِيس 1936.
«آلَامُ الْحَلَّاجِ» تَرْجَمَةُ الْحُسَيْنِ مُصْطَفَى حَلَّاج، دِمَشْقُ 2004.
«التَّصَوُّفُ» بِيْرُوت 1984.

مَاجِدُ فُخْرِي

«تَارِيخُ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ» بِيْرُوت 1991.

مَازَجَرِيْتُ رُوْتِن

«تَارِيخُ بَابِلَ» تَرْجَمَةُ زَيْنَةَ عَازَر؛ مِيْشَالُ أَبِي فَاضِل، بَارِيس 1984.

مُحَمَّدُ حَبَش

«الْمُسْلِمُونَ وَعُلُومُ الْحَضَارَةِ» دِمَشْقُ 1992.

مُحَمَّدُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْحَمْدُ

«الدِّيَانَةُ الْيَزِيدِيَّةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْمَانَوِيَّةِ» دِمَشْقُ 2001.
«صَابِئَةُ حَرَّانَ وَإِخْوَانُ الصَّفَا» دِمَشْقُ 1998.

مُحَمَّدُ عَبْدُ الْحَيِّ شَعْبَان

«الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ» بِيْرُوت 1981.

«تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام» الإسكندرية 1990.

مُحمَّد عُمر حمادة

«تاريخ الصَّابئة المندائيين» بيروت 1992.

مُحمَّد إسماعيل

«إخوان الصَّفا؛ رُؤاد التنوير في الفكر العربي» المنصورة 1996.

مُحمَّد عرفة مُحمَّد

«العرب قبل الإسلام» القاهرة 1998.

مراد كايل؛ مُحمَّد حنّدي البكري؛ زاكية مُحمَّد رُشدي

«تاريخ الأدب الشَّرياني، من نشأته إلى العصر الحاضر» القاهرة د. ت.

مَرْجُلِيُوث

«دراسات عن المؤرخين العرب» ترجمة حُسين نصَّار، القاهرة د. ت.

مَرْيَم سلامة-كار

«الترجمة في العصر العباسي» نقله إلى العربية نجيب غزاوي، دمشق 1998.

مُصطفى عَالِب

«تاريخ الدَّعوة الإسماعيلية» بيروت 1965.

«في رحاب إخوان الصَّفا» بيروت 1969.

مُوريس لُوفتَار

«الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري» ترجمة إسماعيل

العربي، الدَّار البيضاء 1990.

«تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية» ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق 1987.

ميشيل تازديو

«صائبة القرآن وصائبة حرّان» ترجمة سلمان خرفوش، دمشق 1999.

نيكلسون

«الصوفيّة في الإسلام» ترجمة نور الدين شريّة، الطبعة الثالثة، القاهرة 2002.

هاميلتون جب

«علم التاريخ» بيروت 1981.

هاينس هالم

«الغنوصيّة في الإسلام» ترجمة رائد الباش، كولونيا 2003.

هنري س. عبود

«مُعْجَم الحضارات السّاميّة» بيروت 1991.

هنري كوربان

«تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ اليونان وحتى ابن رشد» ترجمة نصير مروة؛ حسن

قبيسي، بيروت 1998.

وجيه أحمد عبد الله

«الوجود عند إخوان الصفا» الإسكندرية 1989.

يحيى هويدي

«دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية» القاهرة د.ت.

يُسْرِي عَبْدُ الْغَنِيِّ عَبْدُ اللَّهِ

«مُعْجَمُ الْمُؤَرِّخِينَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الْهِجْرِي» بِيْرُوت 1991.

يُوسُفُ رِزْقُ اللَّهِ غَنِيْمَة

«نُزْهَةُ الْمُشْتَقَاتِ فِي تَارِيخِ يَهُودِ الْعِرَاق» بَغْدَاد 1924.

يُوسُفُ كَرَم

«تَارِيخُ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ» الْقَاهِرَة 1936.

يُونْيُوسُ فِلْهَافُوزِن

«تَارِيخُ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ إِلَى نَهَايَةِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ» تَرْجَمَهُ مُحَمَّدُ عَبْدُ

الْمَهْدِي أَبُو رِيْدَة، الْقَاهِرَة 1968.

المراجع الأجنبية

AHMED Y. HASSAN; DONALD R. HILL

Islamic technology, an illustrated history, Cambridge university press, 1986.

ALASTAIR LOGAN

Gnostic truth, and Christian Heresy, Glasgow 1996.

BROWNE E. G.

Literary history of Persia, London 1909.

BUCKLEY

The great stem of souls: reconstructing Mandaean history, New Jersey 2005.

BURKITT F. C

Church and Gnosis, Cambridge University press, 1932.

CHRISTIAN DAVID GINSBURG

The Essenes, their history and doctrines, London 1955.

CHWOLSOHN D.

Die Ssabier und der Ssabismus, St. Petersburg 1856.

DELAMBRE M.

Histoire de l'astronomie au dix-huitième siècle, Paris 1827.

DOLORES CANNON

Jesus and the Essenes, New York 1992.

DOZY R.

Dictionnaire des Noms des Vetementes Chez Les Arabes.
Amsterdam 1854.

EDWARD GIBBON

The Decline and Fall of the Roman Empire, London 2004.

EDWARD GRESWELL

The history of the primitive calendar, Oxford 1862.

EDWIN M. YAMAUCHI

Gnostic ethics and Mandaean origins, Cambridge 1970.

EVERETT FERGUSON

*Baptism in the Early Church, History, Theology, and Liturgy in the
First five centuries*. Cambridge 2009.

FRANCIS E. PETERS

The Arabs and Arabia on the eve of Islam, New York 1999.

GEORGE MAKDISI

History and politics in eleventh-century Baghdad, New York 1990.

GERALD GRUDZEN; SHAMSUR RAHMAN

*Spirituality and Science: Greek, Judeo-Christian and Islamic
Perspectives*, Indiana 2007.

HAROLD BOWEN

The life and time of Ali Ibn Issa, Cambridge 1828.

HENRY SMITH WILLIAMS

The great astronomers, London 1930.

HENRY SMITH WILLIAMS; EDWARD HUNTINGTON WILLIAMS

A History of Science, New York, 2008.

JACOBSEN BUCKLEY J.

The Mandaean; ancient texts and modern people, Oxford university press, 2002.

JOHN J. DONOHUE

The Buwayhid dynasty in Iraq 334 H./945 to 403 H./1012, Leiden 2003.

JONATHAN PORTER BERKEY

The formation of Islam, religion and society in the Near East, Cambridge 2003.

JOSEPH SCHACHT

The origins of Muhammadan jurisprudence, Oxford univ. press 1950.

JULIUS LEVY

The late Assyro – babyliokian, cult of the moon and its Culmination of the time of Nabonidus, Hebrew Union college annual, Vol. XIX, 1945 - 1946.

HAJARPE J.

Analyse critique des traditions Arabes sur les Sabeens Harraniens, Upsala 1972.

HOROVITZ J.

Koranische Untersuchungen, Berlin 1926.

Proper Names and derivatives in the Koran, Berlin 1930.

IVANOV V. A.

The alleged founder of Ismailism, Bombay 1946.

KURT RUDOLPH

Gnosis, the nature and history of Gnosticism, London 1998.

Mandaeism, Leiden 1978.

Problems of a history of the development of the Mandaean religion, Leiden, 1966.

die Gnosis, Leipzig 1977.

MACDONALD

Development of Moslim theology, New York, 1926.

MAHMOUD AYOUB

The Qur'an and its interpreters, New York 1984.

MARGOLIOUTH D. S

Mohammad, What did they teach?, London 1939.

The relation between Arabs and Israaelites prior to the rise of Islam,
London 1924.

MEAD G. R

The Gnostic, John the Baptizer. London 1924.

MICHAEL G. MORONY

Iraq After the Muslim Conquest, Gorgia 2005.

MINORSKI S.

La domination des Daylamites, Paris, 1932.

MONTGOMERY WATT W.; RICHARD BELL

Introduction to Qura'n, Edinburgh university press, 1970.

MUHAMMAD M. PICKTHALL

The meaning of the glorious Qur'an: text and explanatory translation,² edition New york 1996.

NESTA H. WEBSTER

Secret Societies and Subversive Movements, New york 2007.

NICHOLSON

Literary history of the Arabs, London 1956.

NOLDEKE TH.

Mandaean bibliography, Oxford university press, 1933.

Essays on the Nag-Hammadi texts, edited by PAHOR LABIB, MARTIN KRAUSE, Leiden, 1975

PHILIP FRANCIS ESLER

The early Christian world, London 2000.

SELMA TIBI

The medicinal use of Opium in ninth-century Baghdad, Leiden 2006.

SINGH N.K.; AGWAN A. R.

Encyclopedia of the Holy Qur'an, New Delhi, 2000.

SINGH N.K.; M. ZAKI KIRMANI

Encyclopaedia of Islamic science and scientists, New Delhi 2005.

SIOUFFI. M. N.

Etudes sur la religion des soubbas ou sabéens leurs dogmes, leurs mœurs, Paris 1880.

SPRENGER

des Leben und die des Mohammed nach bisher grösstenteils unbenutzten quellen bearbeitet, Berlin 1865.

STEPHAN A. HOELLER

Gnosticism: new light on the ancient tradition of inner knowing, New York 2001.

TAMARA M. GREEN

The city of the Moon god, religious traditions of Harran, Leiden 1992.

VICTOR ROBINSON

The Story of Medicine, New York 1943.

VON GRUNEBaum G. E.

Classical Islam, a history, 600 AD to 1258 AD, 4th Printing, New Jersey 2009.

WALTER WINK

John the Baptist in the Gospel tradition, Cambridge 1968.

WAYNE A. MEEKS

The prophet-king; Moses traditions and the Johannine Christology, Leiden 1976.

المقالات والدوريات العربية

أحمد عبد المتيم العدوي

«وثائق قمران» مقال منشور بمجلة تراث، ع 112، إصدارات مركز زايد للتاريخ والتراث، دبي 2009.

إجناتيوس جولدتسيهر

«موقف أهل السنة القدماء من علوم الأوائيل» مقال منشور ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت (د.ت.).

أديبة الحميسي

«علاقة المندائية بالعربية» مجلة المورد العراقية، مج 4، ع 2، بغداد 1975.

أينستاس ماري الكرمل

«الصابئة المندائيون» مقال منشور بمجلة المشرق البيرونية، مج 4، بيروت 1902.

بذري محمد فهد

«المجتمع العراقي في العصر العباسي» مقال منشور ضمن موسوعة حضارة العراق، بغداد 1985.

حسين بيوض

«فضل الكتابة، وصلتها بالسياسة» مقال منشور ضمن كتاب أبحاث عربية، المهدي إلى المستشرق فولفديريتش فيشر بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، تحرير إسحاق الأيوبي، بيروت 1994.

«إخوان الصِّفا» مقال بدائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، الطبعة الثانية، القاهرة 1969.

رُشدي عليان

«أصحاب الرُّوحانيات، أو الصَّابئة المندائيين» مقال منشور بمجلة المورد العراقية، مج5، ع2، بغداد 1976.

رشيد الخيَّون

«الصَّابئة في الذَّاكرة الإسلامية» مقال مُلحق على كتاب مندائي أو الصَّابئة الأقدمون لعبد الحميد إقندي عبادة، لندن 2003.

صَمويل زُويمر

«الصَّابئة والصَّابئون» مقال منشور بمجلة المُقتطف، مج23، القاهرة 1899.

عبد الجبار ناجي

«تاريخ مُهم للمؤرخ المسيحي ثابت بن سنان» مجلة المورد العراقية، مج2، ع2، بغداد 1973.

عزيز سباهي

«إلى أيِّ قومٍ يتَّحى الصَّابئة المندائيون؟» مقال منشور ومُتاح على الشبكة الدَّولية للمعلَّومات على الرِّابط التَّالي: -

http://www.mandaeanunion.org/History/AR_History_033.htm

كارا دي فو

«الصَّابئة» مقال بدائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، الطبعة الأولى، القاهرة 1933.

«تراث الأوائيل بين الشرق والغرب» ضمن كتاب: «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكيار المستشرقين» ترجمة وتحرير عبد الرحمن بدوي، الكويت (د.ت).

كارلو ألفونسو نيلينو

«بحوث في المعتزلة» ضمن كتاب: «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكيار المستشرقين» ترجمة وتحرير عبد الرحمن بدوي، الكويت (د.ت).

كلود كاهن

«بنو بويه» مقال بدائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون، دار الشعب، القاهرة 1970.

ماتس ماتير هوف

«من الإسكندرية إلى بغداد» مقال منشور ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكيار المستشرقين، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت (د.ت).

مليحة رجمة الله

«صور من الحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي في العراق» مقال منشور بالمجلة التاريخية المصرية، مج 17، القاهرة 1970.

هنري كوربان

«الشهروردي الحلبي؛ مؤسس المذهب الإسماعيلي» ضمن كتاب: شخصيات قلقة في الإسلام، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة 1964.

المقالات والدوريات الأجنبية

AMEDROZ

The Tajarib Al- Umam of Abou Ali Miskawayh, Der Islam, Vol. V. 1914.

BERGGREN J. L

the correspondence of Abu Sahl al-kuhi and abu Ishaq al sabi, journal for the history of arabic Science, vol 7, 1983.

BRANDT W.

El-Kesaites, Encyclopedia of Religion and Ethics. edited by James Hastings & others Edinburgh, non date, Vol. IX.

Mandaeans, in Encyclopedia of religion and ethics, edited by James Hastings & others Edinburgh, non date. Vol. VIII.

DAVID C. RIESMAN; AMOS BERTOLACCI

Thabit Ibn Qurra's Concise exposition of Aristotel's Metaphysics. Text translation and commentry in: Thabit Ibn Qurra: Science and Philosophy in Ninth-Century Baghdad, edited by Roshdi Rashed. Berlin 2009.

DAVID PINGREE

The Sabians of Harran and the clssical tradition, international jornal of the classical tradition, Vol.9, No.1, 2002.

DOMINIQUE SOURDEL

L'originalité du Kitāb Al-Wuzarā' de Hilal Al- Sābi', Arabica, vol. V, 1958.

HJARPE J.

The holy year of the Harranians, some remarks on the festival calendar of the Harranian Sabians, in Orientalia Suecana, Vol. XXIII-XXIV, 1974-1975.

JACOBSEN BUCKLEY J.

Mandaean religion, in: the encyclopedia of religion, edited by Mircea Elide, London-New York, Non date. Vol. VIII.

JOHS PEDERSEN

The Sabians, in: "Agab-Nama" a volume of oriental studies presented to Edward Brown, 1922.

MARGOLIOTH D. S.

Harranians, in Ency. of religion and ethics. edited by James Hastings & others Edinburgh, non date, Vol. V.

MARIUOS CANARD

Baghdad au IV^e siècle de l'Hègire- Xe siècle de l'Ère Chrétienne, Arabica, Vol. III, 1962.

MEHMET MAHFUZ SÖYLEMEZ

The Jundishapur School, its History, Structure, and Functions, The American Journal of Islamic Social Sciences, Vol. 22. Spring 2005.

REGIS MORELON

The Astronomy of Thabit Ibn Qurra, in: Thabit Ibn Qurra: Science and Philosophy in Ninth-Century Baghdad, edited by Roshdi Rashed, Berlin 2009.

ROSHDI RASHED

Thabit ibn Qurra, from Harran to Baghdad, in: Thabit Ibn Qurra: Science and Philosophy in Ninth-Century Baghdad, edited by Roshdi Rashed, Berlin 2009.

SABRA A. I.

The scientific enterprise, in: the world of Islam, faith, people, culture, edited by Bernard Lewis, London 1992.

SEGAL J. B.

Pagan Syriac Monuments in the Vilayet of Urfa, in Anatolian studies, Vols. 3-4. 1953.

VAN DAMME M.

Les Quarante-Deux premières lettres du Secrétaire Buyide Abu Ishaq Al-Sabie et leur répartition dans quelques Autres MS. Arabica, tome XXI, 1974.

WIDENGREN G.

Manichaeism and its Iranian background, in: The Cambridge history of Iran, Cambridge University Press, 2^e edition, Cambridge university press, 1983.

Jewish Gnosticism. The prologue of John Mandaean parallels, in: Studies in Gnosticism and Hellenistic religions, presented to Gilles Quispel, Leiden 1981.

ZAVI RADAY; CHAIM RABIN

Saba. in: The new Bible dictionary, Jerusalem 1989.

الرسائل الجامعية

أحمد عبد المنعم العدوي

«المرأة في العراق خلال عهدَي البوحيين والسلاجقة» رسالة ماجستير غير منشورة
بكلية الآداب جامعة القاهرة، 2005.

رجاء جوهر

«الحياة الاجتماعية كما يَصُورها الصَّابِئ [هلال بن المُحسن الصَّابِئ] في كتابه
الوزراء» رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالجامعة
اللبنانية، بيروت 1979.

محمد محمود سعداوي الدش

«أبو إسحاق الصَّابِئ ورسائله» رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة
القاهرة 1955.

الكشّافات التحليلية

كشاف آي القرآن الكريم

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران 68]	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى﴾ [الحج 17] 41، 76
﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر 3] 69	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة 69] 41، 42
﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف 33] 65	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة 62] 41، 42، 76
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال 39] 154	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ [الروم 30] 68
﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة 135] 68	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة 29] 136
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة 5] 69	﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران 95] 68
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْمُولَاءُ﴾ [الكافرون 1-6] 69	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ.....﴾ [الكافرون 1-6] 69
﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ﴾ [سبا 40] 81	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة 256] 154

كشاف عناوين الكتب والرسائل والمؤلفات

قُرْة 291	الآثار الباقية عن القرون الحاقية 19
آدم الحقي 34	آثار البلاد وأخبار العباد 24
آلأ ريشا روطه 83	الآثار التي ظهرت في الجوى، وأحوال كانت في
آلأ ريشا روتا 83	الهواء بما رصد بنو موسى وأبو الحسن ثابت بن

- آلات الساعات التي تُسمى رُحَامَات 262
 الإِبَانَةُ عَنْ أَصُولِ الدِّيَانَةِ 18
 إِبْطَاءُ الْحَرَكَةِ فِي بَرُوجِ الْفَلَكَ، وَسُرْعَتُهَا وَتَوَسُّطُهَا
 بِحَسَبِ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْفَلَكَ
 الْحَارِجِ الْمَرْكَزِ 255
 ابْنُ مَسْرَّةٍ وَمَدْرَسَتُهُ 312
 أَعْمَاضُ الْحُفَاةِ بِأَخْبَارِ الْأَنْثَةِ الْخَلْفَاءِ 67
 أَجْنَاسٌ مَا تَنْقَسِمُ إِلَيْهِ الْأَذْوِيَّةُ 267
 أَجْنَاسٌ مَا تُوزَنُ بِهِ الْأَذْوِيَّةُ 267
 أَحْسَنُ التَّفَاسِيمِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَقَالِيمِ 23
 أَحْكَامُ الْقُرْآنِ 24
 أَحْكَامُ أَهْلِ الدُّمَةِ 25
 أَخْبَارُ الْأَنْثَةِ الزَّيْدِيَّةِ 195، 285
 أَخْبَارُ الدَّوْلَةِ الْبُيُوتِيَّةِ = النَّاجِي فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ
 الدَّيْلِمِيَّةِ.
 إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الْحُكَمَاءِ 23
 أَخْبَارُ مِصْرَ وَالشَّامِ 284
 اخْتِصَارُ الْأَسْطَقْسَاتِ 293
 اخْتِصَارُ الْمَنْطِقِ 308
 اخْتِصَارُ كِتَابِ النَّبْضِ الصَّغِيرِ 309
 اخْتِصَارُ كِتَابِ جَالِينُوسَ 267
 اخْتِصَارُ كِتَابِ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ 293
 اخْتِيَارُ وَقْتِ سَقُوطِ النُّطْفَةِ 267
 الْإِخْوَانِيَّاتِ وَالسُّلْطَانِيَّاتِ 301
 آدَابُ الْمُلُوكِ 24
 أَرْبَعُونَ حَدِيثًا فِي الْمَوَاعِظِ وَالْأَخْلَاقِ 344
 إِزْشَادُ الْأَرَبِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَدِيبِ = مُعْجَمُ
 الْأَدَبَاءِ.
- الْأَرْكَانُ فِي الْهَنْدَسَةِ 306
 اسْتِخْرَاجُ الْمَسَائِلِ الْهَنْدَسِيَّةِ 261، 265
 أَسْرَارُ الصَّابِنَةِ الْحَمْسَةِ 167
 الْأَسْرَارُ النُّجُومِيَّةُ 335
 أَشْكَالُ إِفْلِيدِسَ 261
 أَشْكَالُ الْخُطُوطِ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا ظِلُّ الْمِقْيَاسِ 262
 الْأَشْكَالُ ذَوَاتِ الْخُطُوطِ الْمُسْتَقِيمَةِ مَتَى تَقَعُ
 الدَّائِرَةُ عَلَيْهَا 263
 أَشْكَالٌ فِي الْحَيْلِ 262
 إِضْلَاحٌ إِضْلَاحٍ ثَابِتٌ بِنَ قُرَّةٍ لِلْمِجَسَّطِ 256
 إِضْلَاحُ جَوَامِعِ الْمَنْطِقِ 344
 إِضْلَاحُ مَقَالَاتٍ يُحْيِي بِنَ سَرَايُونِ 272
 أَضْنَافُ الْأَمْرَاضِ 267
 الْأَصُولُ 306، 310
 أَصُولُ الْهَنْدَسَةِ 306
 اِعْتِقَادَاتُ فِرْقِ الْمُشْرِكِينَ 25
 الْأَعْدَادُ الْمُتَحَابَّةُ 263
 الْأَعْلَاقُ الْخَطِيرَةُ فِي ذِكْرِ أَمْرَاءِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ 22
 أَعْمَالٌ وَمَسَائِلُ إِذَا وَقَعَ خَطٌّ مُسْتَقِيمٌ عَلَى خَطِّينِ
 261
 أَغَالِيطُ السُّوفِسْطَائِيِّينَ 293
 اقْتِصَاصُ جُمَلِ خَالَاتِ الْكَوَاكِبِ الْمُتَحَرِّجَةِ 308
 أَلْفُ تَرْبِيسِ شِبَالَةٍ 83
 أَلْفٌ وَاثْنَا عَشَرَ سُؤْلاً = أَلْفُ تَرْبِيسِ شِبَالَةٍ
 الْأَمَائِلُ وَالْأَعْيَانُ، وَمُسْتَدَى الْعَوَاطِفِ وَالْإِحْسَانِ
 290
 الْإِنْتِاعُ وَالْمُؤَانَسَةُ 24، 344، 345، 346
 الْإِتَاجِيلُ 322

- إنجيل لوقا 93
 إنجيل متى 97، 98، 202
 إنجيل يوحنا 97
 الأفيستا 312
 البداية والنهاية 22، 284
 السنه = الأفيستا
 بغية الطلب في تاريخ حلب 22
 بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرايطه
 والباطنية 25
 بهجة المجالس 303
 بيان مذاهب الفرق الصائفة 25
 بيوت العبادات 19
 التاجي في أخبار الدولة الديلمية 195، 285،
 286، 287، 288. وانظر أيضا: المنتزع من
 كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية.
 تاريخ ابن خلدون 284
 تاريخ الإسلام، وفيات المشاهير والأعلام 22،
 284
 تاريخ الدول المنقطعة 22
 تاريخ الزمان 15، 140
 التاريخ الشرياني المطول = تاريخ الزمان
 تاريخ الطبري 277
 تاريخ إيليا بر شينا 15
 تاريخ بغداد = تاريخ مدينة السلام
 تاريخ ثابت بن سنان 197، 269، 277، 278،
 279، 280، 281، 282، 284، 285، 288
 تاريخ حكماء الإسلام 23
 تاريخ دمشق 22
 تاريخ دولة بني بويه، وأخبار الديلم وأبيدائه
 أمرهم = التاجي في أخبار الدولة الديلمية
 تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء 22
 تاريخ غرس النعمة بن هلال بن المحسن الصابي
 197
 تاريخ مختصر الدول 22
 تاريخ مدينة السلام 23
 تاريخ مشاهير أسرته [نابت بن قرة] وسلسلة
 آبائه 276
 تاريخ ملوك الشريان الأفنديين 276
 تاريخ ميخائيل الشرياني الكبير 15
 تاريخ هلال بن المحسن الصابي 197
 تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي 22
 التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق
 الهالكين 25
 تجارب الأمم وتعاقب الحكم 21، 280، 281،
 282، 283، 284، 287
 تحديد نهايات الأماكن لتضييح نهايات المساكين
 20
 تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء 16، 281، 289،
 290
 تركيب الأفلاك، وخلقها وعددها وعدد
 حركات الجهات لها، والكواكب فيها، ومبلغ
 سيرها، والجهات التي تتحرك إليها 255
 تنهيل المجسطي 255
 تشريح بغض الطيور 267
 توضيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية 262
 التصرف في أشكال القياس 293

التَّطْفِيلُ، وَحِكَايَاتُ الطُّفْلَيْنِ، وَأَخْبَارُهُمْ وَتَوَادُرُ

كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارُهُمْ 24

تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ 24

تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ 25

تَلْيِيسُ إِبْلِيسَ 25

التَّلْمُودُ 99

التَّيْبَةُ وَالْإِشْرَافُ 17

تَنْفِيحُ الْأَبْحَاثِ لِلَّيْلِ الثَّلَاثِ 25

تَهَاقُتُ التَّهَاقُتُ 341

التَّوْرَةُ 115

الجغرافيا 308

جَوَابَاتُ مَسَائِلَ سُئِلَ عَنْهَا أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ

قُرَّةَ 272

جَوَابَانِ عَنْ كِتَابِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرٍ فِي أَمْرِ

الزَّمانِ 293

جَوَامِعُ الْمُسْكُونَةِ 291

جَوَامِعُ تَفْسِيرِ جَالِينُوسَ لِكِتَابِ ابْنِ سِقْرَاطٍ فِي

الْأَهْوِيَّةِ وَالْمِيَاءِ وَالْبِلْدَانِ 309

جَوَامِعُ جَمْعُهَا ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ الْحَرَّانِيُّ مِنْ كُتُبِ

جَالِينُوسَ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْأَدْوِيَةِ الْمُفْرَدَةِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْأَعْضَاءِ الْآلِيَةِ لَجَالِينُوسَ 267

جَوَامِعُ كِتَابِ الْأَمْرَاضِ الْحَادَّةِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْقَضَدِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْكَثْرَةِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْمِرَّةِ السَّودَاءِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ أَتَالُوطِيْقَا 308

جَوَامِعُ كِتَابِ بَارِيْمِيْنِيَّاسَ 308

جَوَامِعُ كِتَابِ تَشْرِيحِ الرَّجْمِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ سُوءِ الْمِزَاجِ الْمُخْتَلِفِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ نِقْوِ مَخْصُصَ 262

جَوَامِعُ مَا قَالَهُ بَطْلَيْمُوسُ فِي قِسْمَةِ الْأَرْضِ

الْمُسْكُونَةِ عَلَى الْبُرُوجِ وَالْكَوَاكِبِ 308

جَوَامِعُ مَا قَالَهُ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِهِ فِي تَشْرِيفِ

صِنَاعَةِ الطَّبِّ 309

الْحِجَّةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى سُقْرَاطَ 293

حَرَّانُ جُوثِيَا 6، 84، 85، 122، 203، 224،

243، 235

حَسَابُ خُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ 256

حِكَايَةُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغْدَادِيِّ 24

حُلُّ رُمُوزِ كِتَابِ السِّيَاسَةِ لِأَفْلَاطُونِ 294

الْحَوَادِثُ الْجَامِعَةُ، وَالتَّجَارِبُ النَّافِعَةُ بَعْدَ الْمَانَةِ

السَّابِعَةُ 22

دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْيَهُودِيَّةِ 30

دَائِرَةُ مَعَارِفِ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ 30

دِرَاشَةُ دِيْنِيَا 30، 84، 89

دُورَةُ الْعُمَرِ فِي الْجَنَارِ السُّوءِ، وَالْوَلَدُ الْعَاقِي، وَالْمَرَاةُ

السَّيِّئَةُ الْأَخْلَاقُ 302

الدِّيَّارَاتُ 286

دِيَوَانُ أَبَانَتَرِ 34، 84

دِيَوَانُ أَبِي الْفَرَجِ الْبَيْغَاءِ 24

دِيَوَانُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ 24

دِيَوَانُ الْقَلَسْتَا 6

دِيَوَانُ رَسَائِلِ إِبْنِ إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ = رَسَائِلُ إِبْنِ

إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ

دِيَوَانُ مَصْبُتَا دِهْيِيلَ زِيوَا 83

- ديوان ملكوتنا إلينا 83
 الذئب على تجارب الأمم 21
 رؤية الأهله بالجَنُوب 255
 رؤية الأهله من الجداول 255
 رحلة إلى الشرق 29
 الرد على من قال أن النفس مزاج 293
 رسائل أبي إسحاق الصائغ 9، 10، 138، 182،
 183، 185، 186، 188، 193، 195، 197،
 205، 215، 225، 296، 297، 298، 303.
 وانظر أيضًا: المختار من رسائل أبي إسحاق
 الصائغ.
 رسائل أبي الخطّاب الصائغ 301
 رسائل إخوان الصفا 350
 الرسائل الحكيمية في أسرار الروحانيّة 334
 رسائل الشريف الرضي وأبي إسحاق الصائغ
 303
 رسائل الكندي الفلسفيّة 334
 رسائل ثابت بن قرة في الرياضيات 16
 الرسالة الخاصّة في تشريف صناعة الطب،
 وترتيب أهلها، وتعزيز المتقوّصين منهم
 بالنفوس والأخبار، وأنّ صناعة الطب أجلّ
 الصناعات 267
 رسالة الجلم الإلهي 335
 رسالة إلى بعض إخوانه [ثابت بن قرة] في جواب
 ما سأل عنه من أمور الموسيقى 304
 رسالة إلى علي بن يحيى المتّجّم فيما أُمِر [ثابت بن
 قرة] بإثباته من أبواب علم الموسيقى 304
 رسالة جوايية عن مسائل هندسيّة سأل [ثابت بن
 قرة] عنها المُعْتَصِد بالله 262
 رسالة في أخبار آبائه [سنان بن ثابت] وأجداده
 وسلفه 12، 171، 276
 رسالة في أخبار أهله [أبو إسحاق الصائغ] وولّد
 إليه 12
 رسالة في استخلاص قوى الكواكب عند الصائين
 21
 رسالة في اعتقاد الصائين 171
 رسالة في الانبواء 263
 رسالة في الأصول الهندسيّة 306
 رسالة في الأغداد 262
 رسالة في البياض الذي يظهر في البدن 266
 رسالة في آلة الزمر 304
 رسالة في الحصى المتولّد في المئانة 266
 رسالة في الذبول 309
 رسالة في الرُؤُوم والفروض والسُنن 171
 رسالة في السبب الذي لأجله ألغز الناس 293
 رسالة في السبب الذي من أجله جعلت مياه
 البحر مالحة 291
 رسالة في السطرين المُستقيمين إذا ضُبطا على أقلّ
 من زاويتين مُستقيمتين التّحاميّا 261
 رسالة في السور والصلوات التي يُصلي بها
 الصّابئون 12
 رسالة في السياسة 294
 رسالة في الشكل القطّاع 261
 رسالة في الطّهارة والنّجاسة 171
 رسالة في العدد الوَفَق 263
 رسالة في العروض 303

بالصَّابئة 18

رسالة في المُلُودين لسبعة أشهر 309

رسالة في النُّص 266

رسالة في مقدار خط الاستواء 291

رسالة في نوايس هِرمس والصلوات التي يُصلي

رسالة في النُّجوم 171، 259

بها الصَّابئون 171

رسالة في أوقات العبادات 171

رسالة في وصف مذاهب الصَّابئين 12، 18

رسالة في إيضاح الوجه الذي ذكر بطليموس أنَّ

رسالة في وصف نَحْلَة الصَّابئين 12

به استخرج من تقدّمه مسيرات القمر الدَّورية

رسالة فيما أغفلهُ ثاؤون في حساب كُوف الشمس

256

والقمر 256

رسالة في تاريخ آبائه [أبو إسحاق الصَّابي]

رسالة فيما بعد الطَّبيعة ممَّا جرى الأمر فيه على

وأجداده 276

ساقة البرهقان 307

رسالة في تاريخ الملوك الشَّريان 276

رسالة فيما يتولَّد في البدن بفعل الغذاء من رطوبة

رسالة في تحقُّق أقدار الاتِّصالات 256

أو حرارة 309

رسالة في ترتيب القراءة في الصَّلاة 171

رسالة فيما يصلح من الحيوان للصَّحايا ومَّا لا

رسالة في تكفين المَوْتى ودفنهم 171

يصلح 171

رسالة في جواب ما سُئِل عنه [ثابت بن قُرَّة] عن

رسالة فيما يظهر في القمر من آثار الكُوف

البُراطين وكم مبلغ عددهم 293

وعلاماته 255

رسالة في حالة الفلك 255

رسالتان في سنَّة الشمس 254

رسالة في حِكْمَة الله تعالى في اختلاف طبقات

رُسُوم دار الخِلافة 16، 222، 290

النَّاس، وافتقارهم إلى الملوك والوزراء، وحاجة

الرَّؤُوس المِعْطَار في خبر الأقطار 24

بغضهم لبعض، واطراد العلم بهذا التَّنبير 294

الرَّبُور 41، 44، 46

رسالة في رسم القُطوع الثلاثة 265

زَهْرُ الآداب 303

رسالة في سبب كون الجبال 291

الرَّيْج الصَّابي 16، 257، 258

رسالة في شرح مذهب الصَّابئين 12، 171

زَيْجُ مُحَمَّد بن عبد العزيز الهاشمي 19

رسالة في صِفَة رُوحانيَّة الكواكب 334

السَّرُّ المَكْتُوم في أسرار النُّجوم 341

رسالة في قِسْمَة أَيَّام الجُمعة على الكواكب السَّبعة

سِفْرُ إِسْتِير 49

12، 171، 258

سِفْرُ الْأَخْبَار الثاني 49

رسالة في مآثر أهل [جلال بن المحسن الصَّابي]

سِفْرُ الْبُرُوج 34

276

سِفْرُ الصِّيَاد وقِصَّة الأَنْفُس 89

رسالة في مذاهب الحُرانيِّين المعروفين في عصرنا

- طَرِيقُ التَّحْلِيلِ وَالتَّرْكِيبِ 265
 الطَّرِيقُ إِلَى احْتِسَابِ الْفَضِيلَةِ 293
 الْعَالَمُ الرَّئِيسُ الصَّغِيرُ = أَلْمَا رِشَارُيَا
 الْعَالَمُ الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ = أَلْمَا رِشَارُوطَة
 عَجَبُ نَامِهِ 30
 عِلَّةُ كُضُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ 255
 عَنَاصِرُ أَفْلَاطُونِيَّةٍ مُحَدَّثَةٍ وَغَنُوصِيَّةٍ فِي الْحَدِيثِ
 312
 عَنَقَاءُ مُغْرِبِ 321
 الْعَهْدُ الْقَدِيمُ 49
 عَيُونُ الْأَثْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ 23
 الْعَيُونُ وَالْحَدَاتِقُ فِي أَخْبَارِ الْحَقَائِقِ 21
 غَايَةُ الْحَكِيمِ وَأَوَّلَى التَّيَجِّينِ بِالتَّقْدِيمِ 21، 143،
 144
 غُرُورُ الْبَلَاغَةِ 16، 302
 الْفَخْرِيُّ فِي الْأَدَابِ السُّلْطَانِيَّةِ 303
 الْفَرَقُ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْمُتَرْسِّلِ 300
 الْفَرَقُ بَيْنَ الْفَرَقِ 25
 الْفَصْلُ فِي الْمَلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالنَّحْلِ 25
 الْفَلَاحَةُ النَّبَطِيَّةُ 16، 17، 106، 318، 319
 الْفَهْرَسْتُ 18، 90، 91، 137، 149، 151،
 254، 255، 256، 259، 261، 262، 263،
 266، 267، 269، 272، 345، 347
 الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ 39، 40، 41، 43، 44، 45،
 48، 49، 50، 51، 52، 53، 56، 58، 59،
 60، 61، 62، 63، 64، 66، 67، 69، 70،
 76، 93، 141، 150، 152، 170، 238،
 247، 298، 340
 سِفَرُ الْمُلُوكِ الثَّانِي 49
 سِفَرُ حَزَقِيَّال 211
 سِفَرُ طُونِيَا 49
 سِفَرُ عِزْرَا 49
 سِفَرُ مُلَوَّاشَة 84
 سِفَرُ نَحْيِيَا 49
 سِفَرُ يَهُودِيَّتِ 49
 سُوءُ الْمِزَاجِ الْمُخْتَلِفِ 267
 سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ 23
 سِيرَةُ الْمُغْتَضِدِ بِاللَّهِ 276
 شَذَرَاتُ الذَّهَبِ فِي أَخْبَارٍ مِنْ ذَهَبِ 23
 شَرْحُ دُبُرِ وَأَنِيَا 83
 شَرْحُ دَقَائِنِ شَيْشَلَامِ رُبَا 83
 شَرْحُ طِرَاسَةِ دَنَاقَةِ شَيْشَلَامِ رُبَا 83
 شَرْحُ كِتَابِ السَّاعِ الطَّيْعِيِّ لِجَالِينُوسِ 267
 شَوَاقِ الْمُسْتَهَامِ فِي مَعْرِفَةِ رُمُوزِ الْأَفْلَامِ 17، 131،
 198
 صُحُفُ الْحَرَنَانِيَّةِ 146
 صُحُفُ هِزْمِسِ 357
 صِفَةُ الدُّنْيَا [خَارِطَة] 291
 صِفَةُ كَوْنِ الْجَنِّينِ 267
 صَلَوَاتُ الْإِنْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ 171
 الصَّلَوَاتُ الْكَهَنُوتِيَّةُ = الْقَلِسْتَا
 صَوَانُ الْجَنَكَمَةِ 23
 صُورَةُ الْأَرْضِ 23
 طَبَائِعُ الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرَاتِهَا 256
 طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ 23
 طَبَقَاتُ الْأُمَمِ 23

- القِسْطَا 6، 29، 34، 83، 124
 الكتابُ المَغْطِيَات 306
 كتابُ إِبْنَانِي 83
 كتابُ أَوَطُولُوْقُوس في تحريرِ الطَّلُوعَات
 والغُرُوبَات 310
 كتابُ أَوَلُوجِين 109
 كتابُ تَذِيرِ الْأَمْرَاضِ الْحَادَّةِ 267
 كتابُ تَذِيرِ الصَّحَّةِ 267
 كتابُ سَبَبِ الْخِلَافِ بَيْنَ زَيْجِ بَطْلِيمُوس وَبَيْنِ
 الْمُفْتَحْنَ 256
 كتابُ سَمْعِ الْكَيَّانِ 107
 كتابُ شَبَانِي شَبَاطِي 84
 كتابُ عَمَلِ الدَّوَائِرِ الْمَرْسُومَةِ بِسَبْعِ أَقْسَامٍ مُتَسَاوِيَةٍ
 306
 كتابُ عَمَلِ الْكُرَّةِ 261
 كتابُ عَمَلِ شَكْلِ مُخْمَسٍ ذِي أَرْبَعِ عَشْرَةِ قَاعِدَةٍ،
 مُخَيَّطٌ بِهِ كُرَّةٌ مَعْلُومَةٌ 261
 كتابُ فِي الْمَوْسِيقَى 303
 كتابُ فِي النُّفْسِ 293
 كتابُ فِي الْهَيْئَةِ 255
 كتابُ فِي أَنَّ سَبِيلَ الْأَثْقَالِ الَّتِي تُعَلَّقُ عَلَى عُمُودٍ
 وَاحِدٍ مُفَصَّلَةٌ؛ هِيَ سَبِيلُهَا إِذَا جُعِلَتْ ثِقَلًا
 وَاحِدًا مَثْبُوتًا فِي جَمِيعِ الْعُمُودِ عَلَى تَسَاوٍ 261
 كتابُ فِي صِفَةِ اسْتِواءِ الْوِزْنِ وَاخْتِلَافِهِ وَشَرَايِطِ
 ذَلِكَ 262
 كتابُ فِي طَبَائِعِ الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرَاتِهَا 171
 كتابُ فِيهِ أَذْعِيَّةٌ وَتَرَاتِيلٌ وَطِلْسَنَاتٌ لِلْأَلْهَةِ الَّتِي
 يَغْبِدهَا صَابِنَةُ حَرَّانٍ 167
 كتابُ قِسْمَةِ الْأَرْضِ 291
 الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ 22، 284
 كِتَابُ أَبْرَاطٍ فِي الْأَهْوِيَةِ وَالْمِيَاهِ وَالْبِلْدَانِ 309
 كِتَابُ آلَاتِ الظَّلَالِ 259
 كتابُ الْأَخْلَاقِ 293
 كتابُ الْأَمْثَالِ 344
 كتابُ الْأَثَرَاءِ 291
 كتابُ الْأَيَّامِ السَّنَةِ 15، 64
 كتابُ الْبَنَانِي فِي عِلْمِ النُّجُومِ؛ مَعَ قَلِيلٍ مِنْ
 الْحَوَاشِي لِيُوحَنَّا رَجِيُومُونْتَانُوس 258. وَانْظُرْ
 أَيْضًا: الزَّيْجُ الصَّابِي.
 كِتَابُ الْبُشْتَاءِ = الْأَفْيِسْتَا
 كِتَابُ الْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي عِلْمِ الْعَيْنِ وَعِلْمِهَا
 وَمُدَاوِيئِهَا 267
 كِتَابُ التَّارِيخِ = تَارِيخُ ثَابِتِ بْنِ سِنَانٍ
 كِتَابُ التَّاسُوعَاتِ 105
 كِتَابُ الْجَدْرِيِّ وَالْحَقِصَةِ 266
 كتابُ الْحَرَّاجِ 142
 كتابُ الزَّمَانِ 342
 كتابُ السِّيَاسَةِ 293، 294
 كتابُ الْعَرُوضِ 156
 كتابُ الْقَرَسْطُونِ 261
 كتابُ الْكُرَّةِ وَالْأَسْطِوَانَةِ 306
 كتابُ الْكَلَامِ عَلَى بَارِيْمِينِيَّاسِ 307
 كتابُ الْكَيْمُوسِ 309
 كتابُ الْمَأْخُودَاتِ 306
 كتابُ الْمُثَلَّثِ الْقَائِمِ الزَّائِيَةِ 261
 كِتَابُ الْمَجَسْطِطِيِّ 308

- كتاب قطع الأسطوانة 261
 كتاب قطع المخروط المكافئ 262
 كتاب قوى الأغذية 267
 كتاب وجع المفاصل والتهرس 266
 كُتِبَ الحديث السنة 44
 كَلِيلَة وَدُمْنَة 344
 كُنْزُ الدُّرَرِ وَجَامِعُ الغُرَرِ 303
 الكُتْرُ رُبَا 28، 30، 32، 82، 84، 136، 212،
 224، 315
 المَجْنُطَى 255، 260، 308. وانظر أيضًا:
 تَسْهِيلُ المَجْنُطَى.
 مَجْلَةُ الْمُتَطَفِّ 38
 مَجْمُوعَاتُ نَجْعِ حَمَادِي 324
 مَخَاصِرُ الرَّاعِبِ الْأَصْفَهَانِي 303
 مَحْصُلُ أَفْكَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالتَّأَخِّرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ
 وَالْحُكَمَاءِ وَالتَّكَلِّمِينَ 25
 مِجْنَةُ الطَّيِّبِ 309
 مِجْنَةُ حِسَابِ النُّجُومِ 255
 الْمُخْتَارُ مِنْ رِسَائِلِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّبَّاحِ 10، 11.
 وانظر أيضًا: رِسَائِلُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّبَّاحِ.
 مُخْتَصَرٌ فِي عِلْمِ النُّجُومِ 256
 الْمَخْرُوطَاتُ 305
 الْمَدْخُلُ إِلَى الْمُنَظِقِ 293
 الْمَدْخُلُ إِلَى كِتَابِ إِفْلِيدَسِ 261
 مِرَاةُ الزَّمَانِ فِي تَارِيخِ الْأَعْيَانِ 22، 281، 284
 مَرَاتِبُ الْعُلُومِ 293
 الْمُرْبِيعُ وَقَطْرُهُ 261
 مَرُوجُ الذَّهَبِ وَمَعَادِنُ الْجَوْهَرِ 14، 17
 مُسَاءَلَةُ الطَّيِّبِ لِلْمَرِيضِ 267
 مَسَاحَةُ الْأَجْسَامِ الْمُكَافِئَةِ 262
 مَسَاحَةُ الْأَشْكَالِ الْمُسَطَّحَةِ، وَسَائِرِ الْبُسُطِ
 وَالْأَشْكَالِ 261
 مَسَاحَةُ الْقَطْعِ الْمُكَافِئِ 265
 مَسَاحَةُ قِطْعِ الْخَطُوطِ 262
 الْمَسَالِكُ وَالْمَالِكُ 23
 مُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ 44
 الْمُضْبُطَاتُ؛ دَرَسَاتُ فِي طَقْسِ التَّعْمِيدِ الْمُتَدَانِي 36
 مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ 303، 345
 مُعْجَمُ الْبِلْدَانِ 7، 24، 292
 مَعْرِفَةُ مَطَالِعِ الْبُرُوجِ فِيمَا بَيْنَ أَزْبَاحِ الْفَلَكَ 256
 مَقَالَاتُ أَبُو نُؤَيْسٍ فِي الْهَنْدَسَةِ 305
 مَقَالَاتُ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ 19
 الْمَقَالَاتُ فِي أَصُولِ الدِّيَانَاتِ 18
 الْمَقَالَةُ الْأُولَى لَارِسْطُو طَالِيَسَ فِي الْفَلَسَفَةِ 307،
 309
 الْمَقَالَةُ الْمُخْتَارَةُ فِي الْهَنْدَسَةِ 265
 مَقَالَةٌ فِي الصُّفْرَةِ الْعَارِضَةِ لِلْبَدَنِ، وَعَدَدُ أَصْنَافِهَا
 وَأَسْبَابُهَا وَعِلَاجُهَا 267
 مَقَالَةٌ فِي الْهَنْدَسَةِ الْفَنَاءِ [ثَابِتُ بْنُ قُرَّةٍ] لِإِسْمَاعِيلِ
 بْنِ بُلْبُلٍ حَاجِبِ الْمُتَنَصِّدِ 262
 مُقَدِّمَاتُ إِفْلِيدَسِ 293
 الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ 25
 الْمُتَرَعُّعُ مِنْ كِتَابِ النَّاجِي فِي اخْتِبَارِ الدَّوْلَةِ الدِّيْلِمِيَّةِ
 16، 195، 285. وانظر أيضًا: النَّاجِي فِي
 اخْتِبَارِ الدَّوْلَةِ الدِّيْلِمِيَّةِ.
 الْمُتَنْظَّمُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ 22، 303

مُنَشَّاتُ الصَّابِيْنَ = رسائلُ أبي إسحاق الصَّابِيْ

مَوْطَأًا مَالِك ٤٤

النَّجُومُ الزَّاهِرَةُ فِي مَلُوكِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ ٢٢

نُخْبَةُ الدَّهْرِ فِي عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ١٤٤، ٢١

نُزْهَةُ الْمُشْتَقِي فِي اخْتِرَاقِ الْأَفَاقِي ٢٣

النَّسْبَةُ الْمُؤَلَّفَةُ ٢٦٢

النَّسْبَةُ الْمَحْدُودَةُ ٣٠٥

النَّظَرُ فِي أَمْرِ النَّفْسِ ٢٩٣

نَهَايَةُ الْأَرْبِ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ ٣٠٣

نَهَايَةُ الْإِقْدَامِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ٢٥

نَوَائِدُ حَقُوقَةٍ مِنْ طُوبَقًا ٣٠٨

الهَالَةُ وَقُوسُ قُرَح ٣٠٧

الْهَقُوتُ النَّادِرَةُ ١٦، ١٢٦، ٢٤٣، ٢٩١

الْوَزْرَاءُ وَالْكَتَّاب ٢٩٠

وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ ٢٣

الْوَقَاتُ الَّتِي فِي السُّكُونِ الَّتِي بَيْنَ حَرَكَتَيْ

الشَّرِيَانِ الْمُضَادَّتَيْنِ ٢٦٧

يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ فِي عَمَاسِ أَهْلِ الْعَصْرِ ٢٤، ٣٠٠،

٣٠٣

كشافُ المصطلحات وألفاظ الحضارة

الأجرام العلوية = الأجرام السماوية

الإجماع ٣٢٢

الأخراز ٢٣٧

إخراقُ الطعامِ للموتى ١١٦، ٢١٦. وانظر أيضًا:

الوجهة الطقسية لأزواج الأسلاف

أحكام السب ٩١

أخويات الرهبان ١٠٤

أدوني ٩٧

الأرسطية ١٠٧

الأرضاء الجورية ٢٩١

أرضاء الكواكب ٢٥٦

أرض العهد = مشوني كُشَطًا

الأزواج ٢١٢، ٢١٦، ٣٥٩

الأزواج الحارسة ٢١٠

آذَنُ الثَّانِي ٢١٣

الآلاتُ المُسَطَّحَةُ ٢٥٩

أَبَاهَاتَان ٢٢٤

الْأَبْجَدِيَّةُ الْعِلَامِيَّةُ ٩٩

الْأَبْجَدِيَّةُ النَّبَطِيَّةُ ٩٩

الْأَبْرَاجُ الْفَلَكيَّةُ ٣٢٧

إِنِطَالُ النَّبْوةِ ٣٣٧

أَبْوَابُ أَبَائِ ٢١٠

الْأَتَجَاهَاتُ الْعِرْقَانِيَّةُ ٣١٢

الْإِفْرِي ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٤١

الْإِفْرِي الْمُوَكَّلُ بِالْأَزْوَاجِ الطَّاهِرَةِ ٢١٠

الْإِجَانَةُ ١٦٨

الأجرام السماوية ١٧٤، ٢٠٦، ٢٥٤، ٣١٦،

٣٣٨، ٣٢٧

الأزواحُ الحَيَّة ٢١٩	٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٥
أزواح السلف ٢١٩	الأفلاك العلوية ٣٣٩، ٣٣٦
الأزواحُ المُقَمَّعة بالمُعرقة الإلهية ٣٥٩	الأقنية ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٦، ٢١٩
الأزواحُ غير الطاهرة ٣٣٥	الإقطاع ١٨١
أزليَّة الباري ٣٤٢	ألحي دنهورا ٨٢، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٨
الأساطيرُ المندائية ٨٤	٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٣٢٦، ٣٥٩
الاستشراق ٣٣	إله إذ من نافشي أفريش ٨٠
أسرار الإيمان ٢٧	إله الخضب ٢١١
الأسرارُ الخمسة ١٦٨	إله الشمال الذي يُطيرُ النشاب ٢١٤
الأسطيرلاب ٢٥٤، ٢٦٠، ٣٠٨	الآلهة السبعة ٢١٤
الأنشاء والأزواحُ الطلسمية ٢٣٧	آلهة سومر ٢١١
أنشاء وصفات الباري ٣٣٢	إلهي مضبوت ٤٩
الأشخاصُ الروحانية ٣٣٤	الألوهية المُلقَّنة للكهانة ٧٧
الأشخاصُ العلوية ١١١	الإمام السابع ٣١٦
الأشراقُ السبعة ٢٣٦	الإمامة ١٨٨، ٣١٣، ٣١٤، ٣٥١
الأسئل ٢٤٦	الإمبراطور ٣٠٩
الاضطراك ١٤٦	الإمبراطورية الرومانية ٧٢، ١٠٣
إصلاحُ الترجمة ٣٠٥	إمرة الأمراء ١٧٦، ١٨٠، ٢٧٣، ٢٩٤
الأضنام ٣١٩، ٢٣٣	إمرة الجيش ١٨٨
الأصاحبي البشرية = القرايين البشرية	إمرة المؤمنين ١٣٥، ١٩١
الأعدادُ الوفاقية ٢٦٢	أنجلال العالم ٣٤٢
الأعطيات ١٧٢	الإنسانُ الأثيري ١١٥
الاغتيال = التعميد. وانظر أيضًا: التطهر	الإنسانُ السايوي = الإنسانُ الأثيري
الجنساني	الإنسانُ الكامل = الإنسانُ الأثيري
أفرودين ماء ٢١٧	الأنفسُ الطاهرة ٣٣٩
الأفلاطونية المحدث ١٠٤، ١٠٥، ١١٢، ٢٣٩	الأنفسُ الناطقة ٣٣٨
١١٧، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨	الأنفسُ النورانية المُتفوقة ٣٣٩

أُورَانُ الْجَنِيْزَةُ ٩٦، ٩٧

الْأَيَّامُ الْخَمْسَةُ الْكَيِّسَةُ ٢٠٩، ٢١٢

الْأَيُّوْنَاتُ ٢٦

الْبَاطِنِيَّةُ ١١، ١٢

بَال ١١٤

بُرْجُ الْأَسَدِ ٣٢٧

بُرْجُ الْجَدِّي ٣٢٧

بُرْجُ الْحَمَلِ ٣٢٧

بُرْجُ الْحَوْتِ ٣٢٧

بُرْجُ الدَّلْوِ ٣٢٧

بُرْجُ السَّرَطَانِ ٣٢٧

بُرْجُ الْعَقْرَبِ ٢٠٧، ٣٢٧

بُرْجُ الْقَوْسِ ٣٢٧

الْبَزْرُخُ ٢٢٨، ٣٥٨

الْبَزْرُخُ ٢١٨

الْبُرُوجُ الْاَثْنَى عَشْرَةَ ٢٣٦، ٣٢٧

الْبَعْثُ بِالْجَسَدِ = الْمَعَادُ الْجَسَدَانِي

الْبَعْثُ بِالرُّوحِ = الْمَعَادُ الرُّوحَانِي

بِلَاطُ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ٢١، ٢٤، ١٦٥

الْبَيْتُجَةُ ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣

بَيْتُ الْمَالِ ١٢٦

بَيْتُ مَالِ الْحَرَنَانِيَّةِ ٢١٦

الْبِيَارِشْتَانُ ١٦٦، ١٨٤، ٢٢٢، ٢٦٨، ٢٦٩

٢٧٣

تَابُوتُ السَّرِّ ١٤٦، ٢٢٩

تَاجُ الْمُلُوكِ = شَيْكْرُكُ

التَّاعَةُ ٢١٨

التَّائِلُ الصُّوفِي ٢٦

التَّالِثُ الْمَسِيحِي ١٠٥

التَّرَاتِيْبَةُ الْكَهْنَوِيَّةُ ٣١٥

التَّرَاثُ الْإِغْرِيْقِي = التَّرَاثُ الْيُونَانِي

التَّرَاثُ الْبَابِلِي ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١٥،

١٢٢، ٢٤٠

التَّرَاثُ الشَّرِيَانِي ٦٤، ٧٥، ١٦١

التَّرَاثُ الْمِصْرِي ١٠٥

التَّرَاثُ الْمَلِكِيْنِسْتِي ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢

التَّرَاثُ الْمَلِكِيْنِي ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩،

١١٥، ١٣٠، ٢٣٩، ٣١٣، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٢

التَّرْمِيْدَا ٣١٥

تَسَارُعُ الْقَمَرِ ٢٥٨

تَشْيِيْسُ الشَّرِّ ٢١٤

التَّصَوُّفُ ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠

التَّطَهُّرُ الْجَسَدَانِي ٨٢، ٩٦، ٩٧

التَّعَاوِيْذُ ١٠٩، ٣٢٦. وانظر أَيْضًا: الرُّقَى

تَعْطِيْلُ الصِّفَاتِ ٣٢٣

التَّعْمِيْدُ ٢٧، ٢٩، ٣٦، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ٩٠،

٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٤٠، ٢١٠،

٢١٢، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٣٨

التَّغْيِرَاتُ الزَّمَانِيَّةُ ١٠٨

تَقْدِيْسُ الْكَوَاكِبِ ٣٤١

تَقْدِيْسُ الْمَاءِ الْجَارِي ١٢٠

تَقْوِيْمُ الْإِسْكَنْدَرِ = التَّقْوِيْمُ الشَّرِيَانِي

التَّقْوِيْمُ الْجَوْلِيَانِي ١٣٨

التَّقْوِيْمُ الشَّرِيَانِي ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٧،

حَدُّ الرَّذَّةِ ١٥٧	٢٨٩، ٢١٣
حَرْسُ السَّهَاتِ ٤٩	التَّقْوِيمُ السَّنِي ١٣٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٥٤
الْحَرَكَاتُ الْمَكَانِيَّةُ ١٠٧	التَّقْوِيمُ الْفَارِسِي ٢٨٩
حِسَابُ جَنْبِ الثَّلَاثِ ٢٦٣، ٣٤٦، ٢٦٤	التَّقْوِيمُ الْمُنْدَانِي ٢١٠
الْحِسْبَةُ ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٩١	التَّقْوِيمُ الْمِيلَادِي ١٣٨
حَشِيشَةُ الزَّهْرَةِ = شَيْبَرَكَ	التَّقِيَّةُ ١٢٨، ٣١٣، ٣١٧، ٣٥٠
الْحَصَارَةُ الْأَشُورِيَّةُ ٩٨	التَّكَّةُ ٢١٨
الْحَصَارَةُ الْبَابِلِيَّةُ - الْفَارِسِيَّةُ ٩٦	تَحْيِيدُ الْعَقْلِ ٣١٢
الْحَصَارَةُ النَّبْطِيَّةُ ١٢٢	التَّنَاسُخُ ١٠٤، ١١٦، ١١٧، ٣٣٥، ٣٣٧
الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ ٢٠٢، ٢٢٨	تَنْزِيهِ الْبَارِي عَنْ خَلْقِ الشُّرُورِ وَالْإِتِّصَافِ بِهَا
خَاتَمَةُ الدِّيَّانِ ٢٣٦	٣٣٢
الْخِتَانُ ٢٠٢	تُورَا ٢١٠
الْخِرَاجُ ١٩١	الثَّقَافَةُ الْقَيْطِيَّةُ ٣٣١
الْخِصَاءُ ٢٠٢، ٢٠٣	الثَّرْبُ الدِّيَّقِي ٢٩١
الْخِلَافَةُ الْأُمَوِيَّةُ = الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ	الْجَائِلِيُّ ٢٠٢، ٢٢٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٦٩
الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ = الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ	٢٧٢
الْخِلَافَةُ الْفَاطِمِيَّةُ = الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ	الْجَرِيبُ ٢٤٦
خُلُودُ الْأَزْوَاجِ ٣٤٠	الْجَزِيَّةُ ١٠٤، ١٢٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١
خَلِيفَةُ الْوَزِيرِ ١٨٦	١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢
دَائِرَةُ الْفَلَكَ الْمَائِلِ ٢٥٩	١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢
دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ ٢٥٩	١٧٥، ١٩٩
دَارُ الْإِمَارَةِ الْبُوشَنِيَّةِ ٩	جِسْمُ الْفَلَكَ الْأَعْلَى ١٠٧
الدَّارُ الْحَيَوَانِيَّةُ ٣٥٩	الْجُسْهَانِيَّةُ ٣٥٨
دَارُ الْخِلَافَةِ ٩، ١٦	الْجُنُوبِيْسُ ٢٦
الدُّخْنُ ١١٢، ١١٣، ١١٤	الْجَوْهَرُ الْكُلِّيُّ ٣٣٦
الدَّوْهَمُ ١٩٥، ١٩٦، ٢٢٣، ٢٢٥	الْجُبُوسُ ٢٦٨
الدَّشَّةُ ٢١٨	الْحُجُجُ النَّاطِقَةُ ٣١٦

الدَّعْوَةُ الظَّاهِرَةُ ٣١٧

دَعْوَةُ الْكَوَاكِبِ ٣٤٢

دِهْقَةُ حُيْنَةَ ٢١٠

دِهْقَةُ دِيَّانِهِ ٢١٣

دِهْقَةُ رُبَّانٍ ٢٠٩

دَوَائِرُ الْعَرْضِ الْاِثْنَى عَشَرَ ٣٢٧

الدَّوَائِرُ الْمُتَمَامَةُ ٢٦٥

الدَّوَاوِينُ الطَّلَسِيَّةُ ٢٣٧

الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ ٣٣٢، ٣٣١

الدَّوْلَةُ الْبُويهيَّةُ ١٨٠، ١٩٠

الدَّوْلَةُ الرُّومَانِيَّةُ ١٠٥

الدَّوْلَةُ الرُّحَلِيَّةُ ١٤٧

الدَّوْلَةُ السُّلَيْمِيَّةُ ١٣٨

الدَّوْلَةُ الطُّولُونِيَّةُ ٢٩٦

الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ١٥١، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣،

٢٢٢، ٣٥٠

الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ ١٨١، ٣١٤، ٣٥٠

الدِّيَّانَرُ ١٠٧، ١٧٢، ١٧٥، ١٨٤، ٢٢٢، ٢٢٣،

٢٢٥، ٣٠٤

الدِّيَّانُونَةُ ٨١، ٢٢٨

الدِّيَّانُ ١٦٠، ١٨١، ٢٢٢، ٢٢٣

دِيَّانُ الْإِنشِيَاءِ ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨،

١٩٤، ١٩٧، ٢٩٦، ٣٠١

ديوانُ الجَوَالِي ١٩٩

ديوانُ الْحَاتِمِ ١٥٥

ديوانُ الرَّسَائِلِ ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧،

٢٩٨، ٣٠١

دِيَّانُ الْمَوَارِيثِ الْحَشَرِيَّةُ ١٩١، ١٩٢، ٢٤٧

ديوانُ الْوَزَارَةِ ٢٠

الدَّزْبُ ٢٦٩

رَنَاسَةُ الطَّائِفَةِ ١٩٧

رَأْسُ الْجَالُوتِ ٢٢٧

رَأْسُ الصَّائِبِينَ ٢٢٨

رَأْسُ الْكَنْمَرِينَ ٢١٦

رَأْسُ الْمَذْبِيعِ ١٤٦

الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ٣١٦

رَبُّ الْجَنُودِ ٤٩

الرَّخَامَاتُ ٢٥٩

الرَّسَائِلُ الدِّيَّانِيَّةُ ١٨٦، ٢٩٦

رَسَائِلُ السُّلْطَانِيَّاتِ وَالْإِخْوَانِيَّاتِ ٣٠٢

رَسَائِلُ الشَّفَاعَاتِ ٢٩٧

رَسَائِلُ الْمُهْجُودِ وَالتَّقْلِيدَاتِ ٢٩٧، ٢٩٨

الرَّسْمَةُ ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٩، ٣٢٤

رَسْمَةُ الْعَامَّةِ ٢١٨

رَسْمَةُ الْكَاهِنِ ٢١٨

الرُّسُومُ ٢٤٠

الرَّصْدُ ١٧٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٠٨.

وانظر أيضًا: الزَّيْجُ - أَرْصَادُ الْكَوَاكِبِ

الرُّقُومُ ١٠٩

الرُّقَى ١٠٩، ٣٢٦

الرَّهْبَةُ ٣٢٠

رِوَايَةُ الْأَخَادِ ٣٢٢

الرُّوحُ ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠

الرُّوحَانِيَّةُ ٢٦، ٨٠، ٣٢٠

شَنْبَلَتُهُ ٢١٢	الرُّوْحَا ٨١، ٩٧، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٢٨، ٢٣٦
الشُّهُورُ الْقَمَرِيَّةُ ٢١٣	الرَّيْشُ أُمُهُ ٣١٥
الشُّومُ يَاوَر ٢١٨	الرَّزْدَقَةُ بِرَيْحًا ٨٢، ٢٠٤، ٢١٢
السَّيْخُ الرَّئِيسُ ١٧٥، ٢٤٨	الرَّزْمَانَةُ ١٩٦
شُيْكْرُك ١٤٦	الرَّزْمَانَةُ ١٤٨، ١٤٩، ٢١٨
صَاحِبُ دِيوَانِ الرِّسَائِلِ ١٨٥، ٢٦٤	الرَّزْدَقَةُ ٣١٢، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٣٥
صَبْرُوتُ هَشْمَائِمِ ٤٩	الرَّزْجُ ٢٥٥، ٢٥٧
صِكُوكُ الْجِزْيَةِ ١٢٠	السَّاعُورُ ٢٧٢، ٢٧٣
الصَّلَاةُ الْكُبْرَى ١٤٦	السَّامِيَّاتُ ٣٤
صِنَاعَةُ الْإِنْتِشَاءِ ٢٩٦	السَّبْيُ الْبَابِلِيُّ الْأَوَّلُ ٨٦
الصَّنْدَلُ ٢٧٠	السَّخَرُ الْأَسْوَدُ ٢٢٠، ٣٢٦، ٣٤١
صَنْمُ الْمَاءِ ٢١٤	سَرَطَانُهُ ٢١٢
صُوفِيًا ٣١٧	السَّطْحُ الْمُسْتَوِي ٢٦١
صِيَامُ الْكُوجِكِ ٢١٥	السَّغْدَانُ ٥٧
الصَّحَايَا الْحَيَوَانِيَّةُ ٢٢١	السَّمَاءُ الرَّامِحُ ٢٥٠، ٢٥١
الصَّرَبَانُ ٢٧٠	سَمْتُ الشَّنْسِ ٢٥٨
صَرِيئَةُ الرَّاسِ ١٠٤	السَّنَةُ الْخَرَجِيَّةُ ٢٩٧
صَمَانُ خَرَاكِ الْبُلْدَانِ ١٦٧، ٢٢٣	السَّنَةُ السَّرِيَانِيَّةُ = التَّقْوِيمُ السَّرِيَانِي
الصَّنُّ بِالْعِلْمِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ١٠٦، ٣٣٤، ٣٥٤	السَّنَةُ الشَّمْسِيَّةُ ٢١٠، ٢١٣
الطَّابُوقُ ٢٣٠	السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ ٢١٣
طِبُّ الْأَجْسَادِ ٧٧	السَّيَّارَاتُ السَّيِّعُ ١٠٨، ١٤٦
طِبُّ النَّفْسِ ٧٧	سِينُ (إِلَهَ الْقَمَرِ) ٨، ١٠٢، ١١٢، ١١٤، ١٢٨،
الطَّبُونَةُ ٢١٩	٢١٤
الطَّبِيعَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ٢٢١	السَّرْوَالُ ٢١٨
الطُّقُوسُ الرَّثِيَّةُ ١١٢، ١٦٢	الشُّرُوطُ الْعُمَرِيَّةُ ١٤٨، ١٦٠
الطُّوْقَانُ ١١٥	الشُّعُودَةُ ٣٢٦
طِينَةُ الْعَالَمِ = الْهَيُولِي	الشَّكْلُ الْقَطَاعُ ٢٦١

العصور الوسطى ١٢٠، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٦،

٢٩٧، ٣١٣

العقْط ١٢٢

العقل الأول ١٠٥، ٣٣٨

العقل الكلي ٣٣٤

العِلالات ١٤٧

العِللُ الثلاث الأولى ٣٣٤

عِلْمُ السّياسَةِ الشرعية ٢٩٣

عِلْمُ الطَّلُسمات ٨٤، ٣٤١

عِلْمُ الفَلَكِ والهيئة ٢٥٥

عِلْمُ الكلام ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٢

عِلْمُ خواصِّ الأعداد ٢٦٢

عِلُومُ الأقدمين = عِلُومُ الأوائل

عِلُومُ الأوائل ١٦١، ١٦٢، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٢،

٣٤٥

العِمادُ = التَّعميد

العِمامةُ ١٤٨

العنبرُ ١٤٦

عهدُ الأمان ١٩٧

عيدُ الاغتِسالِ الحُرِيفي ٢١٥

عيدُ الانقِلابِ الشُّنوي ٢١٥، ٢١٧

عيدُ الانقِلابِ الصِّيفي ٢١٥

عيدُ التَّبريك ٢١٥

عيدُ الشَّمع ٢١٦، ٢١٧

عيدُ الفِطر ٢١٧، ٢٤٨

عيدُ الكَرْمُوس ٢١٠، ٢١٥

عيدُ المَهَرَجان ٢١٧

العالمُ المادِّي ٢٦، ٨١، ٢١٩، ٢٢٤، ٣٢٠،

٣٥٨، ٣٥٤

العالمُ المُوازي ٨١

العالمُ الثُّوراني = إلمي دَنهُورا

العالمُ الآخر ٣٥٨

عالمُ الاتوار = إلمي دَنهُورا

العالمُ الرُّوحاني ١٠٥، ٣٥٩

العالمُ السُّفلي ١٠٥، ٢٠٦، ٣٣٥

عالمُ الطَّهارة ٢٢٤

عالمُ الظَّلام = الرُّوحا

العِبرية ٦٤

العَدَمُ ١٠٧، ٣٤٢

العزائمُ ودَعوةُ الكواكب ٣٤١

العَسَلِيَّات ١٤٨

العِشاءُ المُبارك ٢١٩

عِشْتار (الرَّبة) ٢١١، ٣٢٧

العَصا المُثَلَّثَة ١٤٦

العَصْرُ الأموي ٣٣١. وانظر أيضًا: الدولة

الأمويّة

العَصْرُ البُويِّي ٩، ١٨٢، ١٩٧، ٣٠٢. وانظر

أيضًا: الدولة البُويِّيّة

العَصْرُ الحَدِيث ٢٥٧

العَصْرُ العبَّاسي ٣٠٠، ٣٠٢. وانظر أيضًا: الدولة

العبَّاسيّة

العَصْرُ الهَلَلِينِسْتي ١٠٣، ١١٥

العَصْرُ المَسِيحِيّة ٦٤

- عِيدُ التَّوَرُوز ٢١٧
عِيدُ بَيْتِ الْقَصَاب ٢١٥
عِيدُ تَمُوز ٢٤٠
عِيدُ رَأْسِ السَّنَةِ ٣١٨
عِيدُ صَنِمِ الزَّهْرَةِ ٢١٦
عِيدُ صَنِمِ الْمَاءِ ١٢٩
عِيدُ مِيلَادِ الزَّمان ٣١٨
الغِيَارُ ١٤٨، ١٦٠. وانظر أيضًا: العسلات -
العهد العمرية.
القَاعُ ١٦٨
الْفَحَار ١٤٦
فَحْصُ كَبِدِ الْأَضْجِية ١٤٧
الْقَرَسُخُ ١١٠
الْفَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ٣٣٠
الْفَلَسَفَةُ الرُّواقِيَّةُ ٩٧
الْفَلَسَفَةُ الْيُونَانِيَّةُ ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٢
فَلَكَ الْمُشْتَرَى ١١٠، ٣٢٧
فَلَكَ زُحَل ١١٤، ١٤٦، ٣٢٧
فَلَكَ عُطَارِد ١٠٨، ١١٤
فَنَاءُ الْأَجْسَادِ ٣٤٠
فَنَاءُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٣٢٢
الْفِيثَاغُورِيَّةُ الْمُحَدَّثَةُ ١٠٤، ١٠٦، ١١٢، ١١٧،
٢٣٩، ٣٣٧، ٣٥٤، ٣٥٥
الْقِيَوَصَاتُ السَّاوِيَّةُ ٣٣٩، ٣٣٤
قَابِينَ ٢٠٤
الْقِيَاءُ ١٤٨، ١٥٦
قُبَّةُ السَّمَاءِ ٢٦٠
قُدَّاسُ الطَّعام ٢١٩
قُدَّسُ الْأَقْدَاسِ ٨٩
قُدْسِيَّةُ الرُّوحِ ٣٥٥
قِدْمُ الْعَالَمِ وَأَزَلَّتُهُ ٣٣٩
قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ٦٦
الْقَرَايِينُ ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٤٦، ٢٢١،
٢٢٢، ٢٣٦
الْقَرَايِينُ الْبَشَرِيَّةُ ١٤، ١٤٣، ١٤٥
الْقَرَايِينُ الْحَيَوَانِيَّةُ ١٢
قُرْفُسُ ١١٤
قَضَابَا الْجَبْرِ وَالْإِخْتِيَارِ ٣٣٢
قَضِيَّةُ الرَّأْسِ = وَقْعَةُ الرَّأْسِ
الْقِطْعُ النَّاقِصُ ٢٥٧
الْقُلُوسَةُ ١٤٨
قَمِيصُ الرِّسْنَةِ ٢١٨
قَوَاعِدُ الْوَلَايَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ١٨٨
قُوَّةُ الْخَلْقِ ٢٦
قُوَى الْإِنْخِصَابِ وَالْحَيَاةِ ٢١١
القُوَى الرُّوحَانِيَّةُ ٨٤
قُوَى الشَّرِّ وَالظُّلَامِ ٢٣٦
قُوَى الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ ٢١١
الْقِيَاسُ ٣٢٢
الْقِيَامَةُ = الدِّينُونَةُ
الْقِيَامَةُ بِالْأَزْوَاجِ ٣٣٨
قَيْنَا ٢١٢
الْكَاثَنَاتُ الدُّنْيَا الْمُتَطَمَّةُ فِي الْأَقْدَارِ ٣٣٦
الْكَاثَنَاتُ السَّبْعَةُ ١٦٨

الكتابات الأثورية ١٠٢

كُتُبُ السَّر ٣١٦

كُتُبُ الظَّاهِر ٣١٥

الْكُتُبُ الْمَكْتُومَةُ الْعَلِيًّا ٣١٦

الْكُتُبُ النَّفِيسَةُ ١٦٢

الْكُرَةُ الْفَلَكِيَّةُ ٢٦٠

كُرْسِيُّ الْجَنْفَلَقَةِ ٢٤٨

كُرْسِيُّ رِئَاسَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ ١٣٧، ٢٢٩

كُشُوفُ الشَّمْسِ ٢٥٨، ٢٥٦، ٢٥٥

الْكُشْفُ = نَظَرِيَّةُ الْإِشْرَاقِ

الْكُشُوفُ الْجُغْرَافِيَّةُ ٢٥٨

الْكُفْرُ وَالْإِلْحَادُ ٣١٣

كَلْبُ الْمُؤَذِيَةِ ٢١٦

الْكَمَرُ ١٦٧، ٢١٤، ٢١٥

كِهَانَةُ الْمَرَأَةِ ٢٢٤

الْكَهْنُوتُ ٢٤٢، ٣١٥، ٣٣٩

الْكَهْنُوتُ الْمَدْنَائِيُّ ٣١٥

الْكَوَاكِبُ السَّيِّعَةُ السَّيَّارَةُ ٨١، ١٠٨، ١١٢،

١١٤، ١١٣، ١٤٣، ١٧١، ٢٠٦، ٢٢١، ٢١٥،

٢٣٦، ٣١٦، ٢٣٦، ٣٢٧، ٣٥٧، ٣٥٨،

الْكُتْرُفَرَةُ ٣١٥

الَّلَاتُ (الرَّيَّةُ) ١١٣

لَارِيس ١١٤

الَّلَاهُوتُ الْمَسِيحِيُّ ٣٣٢

لَحْمُ الْقُرْبَانِ ٢٢١

اللُّغَةُ الْأَرَامِيَّةُ ٦٤، ١٠٤

اللُّغَةُ السُّرْيَانِيَّةُ ١٤، ١٥، ١٩، ٦٦، ١٠٣، ١٠٤،

١٠٩، ١١١، ١٣٠، ٢٦٣، ٣٠٤،

اللُّغَةُ الْقِبْطِيَّةُ الْقَدِيمَةُ ٩٥

اللُّغَةُ الْيُونَانِيَّةُ ٦٦، ٣٠٤

اللُّهْجَةُ الْأَنْخِيمِيَّةُ الْجَنُوبِيَّةُ ٩٦

اللُّهْجَةُ الْقِبْطِيَّةُ الصَّعِيدِيَّةُ ٩٦

اللُّوَيَانُ ١٤٦

اللُّوْفَانِي ٨٢، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٦، ٢١٩،

٢٢٩، ٣٢١

لِيَّات (سَيِّدَةُ الْآلِهَةِ) ٢٣٧

مَا وَرَائِيَّاتِ الْإِذْرَاكِ ٣٣٢

الْمَاءُ الْحَيُّ ٢٠٤

الْمَأْذُونُ ٣١٦

مَبَاحِثُ الْإِلَهِيَّاتِ ٢٢٨، ٣٣٢

مُتَنَاولُ السَّر ٢٢١

مَجَالِسُ الْعِلْمِ وَالْكَلَامِ ٢٢٦

الْمُجْتَهَدُ ٣١٥، ٣١٦

الْمَجْنُطَى ٢٥٥

مُخْطُوطَاتُ الْبَحْرِ الْمَيْتِ = وَثَائِقُ قَعْرَانِ

مُخْطُوطَاتُ نَجْعِ حَمَادِي ٩٦

الْمَدَارِسُ الْفَلَسَفِيَّةُ ١٠٤، ١٠٦،

الْمُسَخَّنَةُ ٨٧

الْمَسِيحُ الْمُخْلَصُ ٩٣

الْمَشْكَنُ ١٢٢، ١٢٣، ١٤٧

مَشُونِي كُشَطًا ٢٢٤، ٣٢٦

الْمُضَادَرَاتُ ١٩٥

الْمُضْبُطَاتُ ٣٦

مَطَالِعُ الْإِبْرَاجِ ٢٥٤

النَّحْسَان ٣٥٧	المَطْرَائِي ٨٢
النَّصِيَّة ٢١٨	المَعَادُ الْجَنَسَانِي ٣٣٩، ٣٤٠
نَظَرِيَّةُ الإِسْرَاقِ ٣٣٩، ٣٢٠	المَعَادُ الرُّوحَانِي ٣٣٨، ٣٤٠
نَظَرِيَّةُ الْأَصْلِ الشَّرْقِي ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢،	المَعْرِفَةُ اللَّدْنِيَّة ٣٥٥
٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٢٠	مَعْرِفَةُ اللَّهِ ٢٦
نَظَرِيَّةُ الْأَصْلِ الْعَرَبِي ٨٦، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨،	مَكْتَبَةُ نَجْعِ حَمَادِي = مَخْطُوطَاتُ نَجْعِ حَمَادِي
٩٩، ١٠٠	المَلَايِكَةُ السَّبْعَةُ الْعِظَامُ ٨١، ٢٣٦
نَظَرِيَّةُ الطَّفْوِ الْعَامِ ٣٠٦	المَلَايِكَةُ = الإِنْرِي
نَظَرِيَّةُ الْفَيْضِ الإِلَهِيِّ ٨٠، ١٠٥، ١١٧، ٣٢٠،	مَلِكُ النُّورِ ٢٠٤
٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٥	مَلَكَةُ الظَّلَامِ = الرُّوْحَا
نَظَرِيَّةُ قِطْعِ النِّسْبَةِ الْمَحْدُودَةِ ٢٦٤	مَلَكُوتُ السَّامَوَاتِ ٢٠٢
النَّعْسُ الْمُنْدَانِي = الْمُنْدَلَا	الْمَلَوَاشَةُ ٢٠٦
النَّفْسُ الْكَلْبِيَّة ٣٣٤	الْمَلَكَةُ النُّورَانِيَّةُ السَّامِيَّةُ ٢١٨، ٢٢٤
نَوُوزُ رُوطَه ٢١٠	الْمُنْدَلَا ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١
النَّبْرَيْنِ ١٠٨	الْمُنْدَى ٨٨، ٢١٢، ٢٣٩
الْهَمِيَانَةُ ٢١٨	مَنْكَبُ الْفَرَسِ ٢٥٠، ٢٥١
الْهَيَاكِلُ ٢٣٦	مَهْرَمَاهُ ٢١٧
هَيْطَةُ ٢١٣	الْمَوَادُّ الْجَنَسَانِيَّةُ ١٠٧
الْهَيْكَلُ الْحَرَنَانِي ١٦١، ١٦٢، ٢٣٩	مَوَاضِعُ الْبُرُوجِ ٢٥٩
الْهَيُولَانِيَّة ٣٥٩	الْمَوْجُودُ الْأَوَّلُ ٣٣٨
الْهَيُولِي ١٠٧، ٣٥٩	الْمَوْجُودَاتُ ٣٣٨
هَمِي مَلِكُهُ دَهْوَرَا ٢٠٤	الْمِيْتَاظِيْقَا ١٠٤، ١١٧، ٣٣٢
وَنَائِقُ قَمْرَانِ ٣٤، ٣٥، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩	نَائِقُ ١١٤
	النَّامُوسُ ٣٥١، ٣٥٦
	النُّبْرَاتُ ٢٤٧، ٣٣٦

الوجبة الطقسية لأزواج الأسلاف = اللوفاني

الوصايا التأموسية ٣٥٧

الوخي السانح والطاري ٣٣٩

وقعة الرأس ١٢٨، ١٤٤، ١٥٧

الوخي الساوي ٣٣٩

الولايات الصغرى ١٨٨

الوزارة ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨،

الولايات الكبرى ١٨٨

١٩٥، ٢٥٠، ٣٠١

ولاية المعونة ١٩١

الوسائط ٦٩

يسوزا ١٦٨

كشاف الملل والفرق والمذاهب

الاعتقاد في ثنائية قوى النور والظلمة = الشنوية	اتباع الديانات التليفية ٣١٣
الاعتقاد في علم الذات الإلهية بالجزئيات ٣٤٠	اتباع الزند ٣١٢
الاعتقاد في قدرة أزواج الأنسلاف ٨٢	أديان الأمم القديمة ٧٣، ٧١
الاعتقاد في قدم العالم وأزليته ٣٤٠	الأديان السابوية ٢٣٨، ١١٥، ٨٢، ٤٠
أهل التوحيد والعذل = المعتزلة	أديان العالم القديم = أديان الأمم القديمة
أهل الذمة ١٣٦، ١٤٨، ١٩١، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٦٨	الإسلام ١٠٥، ٢٢٠، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٤، ١٥٣، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٥
أهل السنة والجماعة ١٧١، ١٨١، ١٨٢، ٣١٢، ٣٢٢، ٣١٣	١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٨
أهل الكتاب ٤١، ٤٤، ١٣٦، ١٤١، ١٤٢، ١٧٠، ١٥٢، ١٥٠	١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢٣٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢
أهل المرفقة ٨٠	٢٧٣، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٣
أهل الملل القديمة ٧٣، ٧٤، ٧٦	٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣١
أهل الملل والأديان ٢٤٨	٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٠
البارية ٨٧، ١١٥	٣٤١، ٣٤٢، ٤٠، ٤٢، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٤
الباطنية ٨٠، ١٠٤، ٢٤٢، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٧	٦٥، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦
البوذية ٣٢٠	الإسماعيلية ١٨٢، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥
التصوف ٣٤٢	٣١٦، ٣١٧، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٥
التوحيد ١٠٧، ١٠٨، ١١٧، ٣٢٩، ٣٤١	الإسماعيلية الخالصة ٣١٤
التوحيد الخالص ٦٧	الإسماعيلية المباركية ٣١٤
الشنوية ٩٦، ١٢٤، ٢٣٩، ٣١٣، ٣٢٣	الآسيية ٩٦
الجهمية ٣٢٢	الآسييون ٣٤، ٣٥، ٩٦، ٩٧
الحرانية = الحرثانية	أصحاب الديانات السابوية التوحيدية ١١٧
الحرثانيون = الحرثانية	أصحاب الميثاق = الآسييون
	الاغترال ٣٢٢، ٣٢٤

١٥٥، ١٥١، ١٠٦، ١٠٣، ٧٥، ٧٤، ٧٣	الحرثانيات ٢١٥
الحَرْثُون = الحَفَاء	الحرثانية ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥،
الحِيفِيَّة ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٣	١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٩، ٣٦،
دُعَاةُ الْإِنْشَاعِيَّةِ الْمُتَأَخَّرُونَ ٣٥٠	٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣،
الدِّيَانَاتُ السَّاهِيَةُ الثَّلَاثُ الْكُبْرَى ٧١، ٧٤، ٧٥،	٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٧٠،
٢٤٧	٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣،
الدِّيَانَاتُ الرَّثِيَّة ٦٩	١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١،
الدِّيَانَاتُ غَيْرُ التَّبْشِيرِيَّة ١٢٣	١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٧،
الدِّيَانَةُ الْبَابِلِيَّةُ الْأُولَى ٩٨	١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١،
الدِّيَصَانِيَّة ٣١٣	١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨،
الدِّينُ الْقَدِيمُ الْحَقُّ ٢٤٧	١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥،
الدِّينُ الْمُتَدَانِي الْقَوِيم ٢٠٣	١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥،
الرَّادَشِيَّة ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٦٣،	١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣،
٧١، ٨٦، ٨٧، ١٠٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٦،	١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢،
١٤٩، ١٧٠، ١٨١، ٢١٧، ٢٣٩، ٢٤٨، ٣١٢،	١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧،
٣٤٩، ٣١٣	٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦،
الرَّزَادَقَةُ ٣٢٣	٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤،
الرَّزْدَقَةُ ١٤٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٣٥،	٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤،
السَّامِرَةُ ١٥٣	٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١،
الشَّرْكُ ٦٧، ٦٨	٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨،
الشَّيْعَةُ ١٢٣، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ٣١٢، ٣١٣،	٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٠١،
٣٥١، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٢٤	٣١١، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٣،
الشَّيْعَةُ الْإِسْمَاعِيَّةُ ١٨٢، ٣١٣	٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣،
الشَّيْعَةُ الزَيْدِيَّةُ ١٨٠، ١٨٢، ١٩٥، ٣٥٠،	٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠،
الصَّابَنَاتُ ١٥٠	٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٥،
الصَّابَنَةُ ٥، ٦، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧،	٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠،
١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦،	الحَفَاءُ ٢٥، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢،

صَابُنَةُ الْبَطَائِحِ ٨٠، ٩٠، ٩٢، ١٥٢، ٢٠٣، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٥٨	٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧
صَابُنَةُ الْحَنَاءِ ٧٤	
صَابُنَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٢٩، ٣٩	
الصَّابُنَةُ الْمُشْرُكُونَ ٧٥، ٧٤	
الصَّابُنَةُ الْمُنْدَائِيُّونَ = الْمُنْدَائِيُّونَ	
الصَّابُنَةُ الْمُوَحِّدُونَ ٧٥	
صَابُنَةُ حَرَّانَ = الْحَرَنَانِيَّةُ	
الصَّابُونُ = الصَّابُنَةُ	
الصَّابُونِيَّاتُ ٧، ١٣، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٤٠	
٣٥٣، ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٢١، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٥٩	
الصَّابُونُ = الصَّابُنَةُ	
الصُّبَاةُ = الصَّابُنَةُ	
الصُّبَّةُ = الصَّابُنَةُ	
الصُّبُوتَةُ = الصَّابُنَةُ	
الصُّوفِيَّةُ ٣١٢، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠	
٣٣٩، ٣٢٢	
الطَّبَائِعِيُّونَ ١١٧	
الطَّوَائِفُ الْغَنُوصِيَّةُ ٨٠، ٩٥	
عِبَادَةُ الْأَضْنَامِ ٦٧	
الْعِبَادَةُ الْإِلَهِيَّةُ ٣٥٦	
عِبَادَةُ الشَّنَسِ ١١٣	
عِبَادَةُ الْكَوَائِبِ وَالنَّجُومِ ٤٠، ٤٨، ١٠٤، ١٠٨	
١١٢، ١١٧، ١٥٢، ١٧٠، ٣٢٣	
عِبَادَةُ الْمَلَائِكَةِ ١٣٧	
عَبْدَةُ الْأَضْنَامِ وَالْأَوْثَانِ ٧٤، ١٤٩	

عَبْدَةُ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ ٤٠، ٧٤، ١٠٤، ١٠٨،

١١٢، ٢٠٠، ٢٥٠، ٣٥٦، ٣٦٠،

الْعِرْقَانِيُّونَ ٨٠

الْعَلَوِيُّونَ ٢٨٥، ٣٤٧

الْعُلَاةُ ٣٢١، ٣٢٤

عُلَاةُ الْجَزِيرَةِ ٣٢٢

عُلَاةُ الشَّيْطَةِ ٢٨

الْغَنُوصِيَّةُ ٣١، ٣٦، ٦٩، ٧٢، ٨٠، ٨١، ٨٩،

٩٠، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١١١، ٢٤٠، ٢٤٢،

٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٥٥،

٣٥٦

الْغَنُوصِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ٣١٢

الْغَنُوصِيُّونَ ٦، ٢٦، ٣١، ٧٢، ٩٦، ١٠٥، ٣١٣،

الْغِيَاغُورِيَّيْنِ ٣٥٤

الْقَاتِلُونَ بِالْأَشْخَاصِ ٧٤

الْقَاتِلُونَ بِالْتَّوْحِيدِ وَابْتِغَاءِ ٧٦

الْقَاتِلُونَ بِالْهَيْكَلِ ٧٤

الْقَاتِلُونَ بِنَفْيِ الْإِسْطِطَاعَاتِ ٣٢٢

الْقَرَامِطَةُ ١٨٥، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٥، ٣١٤،

٣١٦، ٣١٧، ٣٥٠

الْكَلْدَانِ ١٠٣

اللَّاعَانِيَيْنِ بِالْحِسَابِ الْأَخْرَوِيِّ ٣١٣

الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ٧٦

الْمُؤْمِنُونَ بِقُدْرَةِ الْبَرَايَا عَلَى خَلْقِ الْأَفْعَالِ

وَالْإِسْطِطَاعَاتِ ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٤٠

الْمُؤْمِنُونَ بِنَفْيِ الشَّرِّ عَنِ الْبَارِي ٣٢٣

الْمَالُوتِيُّونَ ٨٦، ٩١، ١٤٤، ٢٠٣، ٢١٣، ٣١٣،

٣٢٢، ٣٢٤، ٣٤٩،

الْمَيْقَصَةُ ٣٢٤

الْمُتَصَوِّفَةُ ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢١،

الْمُتَعَمِّدُونَ ٣٢٤

مُتَكَلِّمُ الْمُتَعَزِّلَةِ ٣٤٨

الْمُتَسَكِّنُونَ بِالتَّأْوِيلِ ٣١٢

الْمُجُوسُ = الزَّرَادَشْتِيَّةُ

مُجُوسٍ هَجَرَ ١٣٦

الْمُحِبُّونَ لِلشَّرِّ وَالتَّخْلِي ٣١٨

الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ السَّنِيَّةُ ١٧٣

الْمَرْقُوبِيَّةُ ٣١٣

الْمَزْدَكِيَّةُ ٨٧، ٢٣٩، ٣١٣

الْمُسَبِّحَةُ ٣١٦، ٣٥٠

الْمُسْلِمُونَ ٦، ٩، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٥، ٤٠، ٤١،

٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٤، ٦٧،

٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٨٣،

٨٦، ٩٣، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١١٥،

١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٧، ١٤١، ١٤٥، ١٤٨،

١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧،

١٦٩، ١٨٠، ١٨١، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣،

٢٣٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٨٩،

٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٨٩،

٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٣،

٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٥٣،

٣٦٠

الْمَسِيحِيَّةُ = النَّصْرَانِيَّةُ

الْمَسِيحِيَّةُ-الْيَهُودِيَّةُ الْأُولَى ٢٦، ٢٧، ٣٥، ٨٢،

٩٥. وانظر أيضًا: النَّصْرَانِيَّة.

المسيحيون = النَّصَارَى

المُشْرِكُونَ ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٦٠،

٦٩، ٧٠، ٧٥،

الْمُعْتَرِلَةُ ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٤٨

الْمُعْتَدِلِيَّونَ ٣٢٤

الْمُنْقَسِلَةُ ١٨، ٨٠، ٩٠، ٩٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٤١،

١٥٢، ٢٠٣، ٢٣٨، ٣٢٤

مُقَدِّمُو الْقَرَّائِينَ وَالذُّخْنِ ١١٢

الْمِلَلُ الْكِتَابِيَّةُ ٧٣

الْمَنَادِي = الْمُنَادِيَّونَ

الْمَنَادِيَّاتُ = الْمُنَادِيَّاتُ

الْمَنَادِيَّاتُ ٢٣٤، ٢٤٢

الْمَنَادِيَّةُ ٦، ٧، ٨، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢،

٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٢٧، ٤٠، ٥٠، ٥٢، ٥٤،

٥٥، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٧٠، ٧٧، ٨٠، ٨١،

٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠،

٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩،

١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠،

١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥،

٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٨،

٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٣١٣، ٣١٤،

٣١٥، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦

الْمُنَادِيَّونَ ٦، ٧، ٨، ١٢، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩،

٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢،

٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٨،

٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٨،

٥٩، ٦٢، ٦٤، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣،

٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤،

٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١١٦، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩،

١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩،

١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩،

١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩،

١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩،

١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩،

١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩،

١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩،

٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩،

٢٥٩، ٣٥٨، ٣٥٥، ٣٥٣

الْمُنَادِيَّونَ الْأَوَّلِينَ ١٢٠

الْمُنَادِي = الْمُنَادِيَّونَ

الْمُنَادِي = الْمُنَادِيَّونَ

الْمُنْفَتِحُونَ عَلَى الْأَدْيَانِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ ٣٦٠

الْمُؤَحِّدُونَ ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦،

النَّاصُورَانِي ٢٨، ٢٣٥، ٢٤٣

النَّاصُورَانِي الْأَوَّلِينَ ٩٣، ٢٣٥، ٢٤٣

النَّاصُورَانِيَّاتُ ٢٨

النَّاصُورَانِيَّاتُ = النَّاصُورَانِيَّاتُ

النَّسَاطِيرَةُ ١٨، ١٧١، ١٤٣، ٢٤٨، ٢٤٩

النَّسْطُورِيَّةُ ٢٠، ٨٧، ٣٣٢

النَّصَارَى ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٦، ٤١، ٤٥،

٤٧، ٦٣، ٧٤، ٧٦، ٨٣، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٨،

١٣٦، ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩،

١٧٠، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٣٠، ٢٤٩،

٢٦٨، ٢٦٩، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٢

الرَّوَيْتِيَّةُ ١٣، ٧٣، ٧٥، ١٥١، ١٤٤، ١٤٥، ١٨٠،

٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١

الرَّوَيْتِيَّةُ الْقَدِيمَةُ ١١٧، ٢٣٩

الرَّوَيْتُونُ ٧٣، ١٠٣، ١٠٤، ١١٠، ٢٣٨، ٢٥٠،

الرَّوْحَانِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ ٣٤٠

اليَهُودُ ٢٧، ٣٤، ٣٥، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٦٣،

٧٦، ٨٥، ٨٦، ٩١، ٩٢، ١٢٣، ١٣٦، ١٤٢،

١٤٧، ١٤٩، ١٧٠، ١٩٩، ٢١٤، ٢٣٠، ٢٣٥،

اليَهُودِيَّةُ ٤٩، ٥١، ٥٤، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٢،

٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦،

٩٧، ١٠٤، ١١٥، ١٢٨، ٢٢٠، ٢٤٩،

اليَهُودِيَّةُ الْأُصُولِيَّةُ ٩١

اليَهُودِيَّةُ = اليَهُودُ

اليَهُودِيَّةُ = المُنْدَانِيَّةُ

النَّصَارَى الشَّرِيانَ ١٣، ١٤، ١٩، ١٠٣، ١٧١،

١٢٨، ٣٣٢، ٣٣٠، ٣٣١

نَصَارَى تَغْلِبَ ١٥٤

النَّصَارِيَّةُ ١٣، ٢٠، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٥،

٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٢،

٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٨،

١٢٩، ١٤٥، ١٥٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٨،

٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٨، ٢٤٨، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٣٢،

٣٤٩

النَّصِيرُونُ ٢٨

النَّظَامِيَّةُ ٣٢٣، ٣٢٢

النَّظْمَةُ ٨١

النَّظْمِيَّةُ ١٠١، ١١٥، ٣١٢، ٣٥٦، ٣٦٠،

النَّظْمِيَّةُ الصَّابِيَّةُ ٣٣٦

كُشَافُ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ وَالْجَمَاعَاتِ

١٨٩، ١٨٣

أَلْ قُرَّةُ ١٣٠، ١٣١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٣،

١٨٩

أَلْ قَيْطُرَانُ ١٥٧

أَلْ مُوسَى بْنِ شَاكِرٍ = بَنُو مُوسَى بْنِ شَاكِرٍ

أَلْ هِرْقَلِيْسُ ١٣٨

الْأَنْمَةُ ٤٧، ٣١٦

الْأَنْمَةُ الزَّيْدِيَّةُ ١٨٢

الْأَبَاطَرَةُ الرُّومَانُ ١٠٤

الْأَبَاءُ ٢٧٦

أَبَاءُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سِنَانٍ ٢٧٢

أَبَاءُ الْكَنِيسَةِ ٩٦، ١٠٤

الْأَنْتَارِيُونُ ١٩٩، ٢٣٦، ٢٤٤

الْأَرَامِيُونُ ٨٦

أَلْ أَبْلُوطُ ١٥٧

أَلْ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي ١٨٧

أَلْ الْمُنَجَّمُ ٣٠٤

أَلْ زَهْرُونُ ١٢٩، ١٣٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦،

الأشراف ١٩٨	الأبالسة ١٦٧
الأصحَاء ٣٦٠	الأبرار ٣١٨، ٢٢٨، ٨١
أصحاب الرأس ١٥٣، ١٤٩، ١٤٣	الأنبياء ١٤٦
أصحاب السلطان ١٥٠	أبناء الأخرى ٣٥٨
أصحاب الشافعي ٢٠٠	أبناء موسى بن شاكر = بنو موسى بن شاكر
أصحاب الصفة ٣١٧	الأنراك ٢٩٧، ١٨١، ٧٤، ٧٢
أصحاب التواحي ٢٩٧	الأنقياء ٢١٣
أصحاب نظرية الإشراف ٣٣٩	الأجداد ٢٧٦
الأصوليون ٣١٢	أجداد أبي الحسن بن سنان ٢٧٢
الأطباء ١٦٦، ١٨٣، ٢٢٢، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٦٨	أجداد البويهيين ١٨٠
٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣	الأحباء ٣١٩
الأطفال ٢٠٩، ٢٠٥	أحفاد زهرون الصابئ ٢٤١
الأطهار ٣٢٦	الأحياء ٢١٩، ٣٢٠
الأعداء ٢٠٧	الإخوان الأبرار الرُحماء = إخوان الصفا
الأعلام ٢٨٩، ٢٩٠	إخوان الصفا وخلان الوفا ٢١٥، ٢٢١، ٢٢١،
الآعيان ١٦٥، ١٩٣، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩١	٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩،
الإغريق ٧٤، ٧٥، ٧١، ٧٣، ١٠٨، ٢٧٦، ٢٦٦	٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦،
٢٧٦	٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠
الأغنيار ١٢، ٣١، ٨٠، ١٤١، ١٧١، ٢٤٢	الإخوان الفضلاء الكرام ٣٥١، ٣٥٥
٣١٤، ٣١٦	الأخييار ٣٥١، ٣٥٥
الأقرباء ١٦٧	الأدياء ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣
الأقليات الدينية ١٢٠، ١٨١	أزتاب الحركات ٣١٣
الأقوام ٢٤٣	الأنسرى الرومان ٣٣١
الأخيرة ٣١٨	الأنسلاف ٢٢٤
الأمرء ١٤٨	أنسلاف أبي إسحاق الصابئ ٢٩٦
أمرء بني بويه ١٨٠، ١٨١، ١٩٤	أنسلاف أبي الحسن بن سنان ٢٧٢
أمرء بني حمدان ٣٥٠	الأنشاعرة ٣٤٧

- أَهْلُ الشَّيْءِ ٨٤
أَهْلُ الصَّيْنِ ٧٢، ٧٤
أَهْلُ الْعَذْلِ وَأَبْنَاءُ الْحَمْدِ = إخوان الصفا
أَهْلُ الْعِرَاقِ ٧١
أَهْلُ الْعِلْمِ ١٩٨، ٢٦٤
أَهْلُ الْكَلَامِ ٣٢٥
أَهْلُ الْمَدِينَةِ ١٩٨
أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ ٦
أَهْلُ النَّارِ ٧٦، ٣٢٢
أَهْلُ الْهِنْدِ ٧٤
أَهْلُ دِمَشْقَ ١٩٩
أَهْلُ سَبَا ٢٨
الْأَوْلَادُ ١٦٢
أَوْلَادُ السَّفَلَةِ ١٠٦، ٣٥٤
أَوَّلُو الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّصَرُّفِ ٣٥١، ٣٥٥
أَوَّلُو الْقُوَّةِ ٢٠١
الْأَوَّلِيَاءُ ٢٠٧
الْأَيَّامَى ٢٤٠
الْأَيْدِي الْعَاطِلَةُ ٢٠٨
الْبَابِلِيُّونَ ٢٧، ٧٥، ٨٧، ٩٥، ١٠٠، ١٠٤،
١٢٠، ١٥١، ٢١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٤،
٣٤٤، ٣٤٧
الْبَاحِثُونَ ٤٠، ٤١، ٤٣، ٥٢، ٥٧، ٥٨، ٥٩،
٦٠، ٦١، ٨٣، ٩٩، ١٦٤، ٢٣٤، ٣٠٤، ٣١٢،
٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٧،
٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٥
الْبَاحِثُونَ الْعَرَبُ ٣٣، ٣٨
الْأُمَمُ ١٥١، ٢١٦
الْأُمَمُ السَّامِيَّةُ الْقَدِيمَةُ ٧٣، ٢١٨
الْأُمَمَاتُ ٢٢٥
الْأُمُورُ ١٣٧
الْإِنثَاءُ ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٥
الْإِتْبَاطُ ١١٣
الْأَنْبِيَاءُ ٨٢، ٢٤٧، ٣٢٠، ٣٣٦، ٣٥٦، ٣٥٩،
٣٦٠
أَنْصَارُ نَظَرِيَّةِ الْأَصْلِ الشَّرْقِيِّ ٩٣
أَنْصَارُ نَظَرِيَّةِ الْأَصْلِ الْغَرْبِيِّ ١٢٠
أَنْبِيَاءُ الرُّوحِ ٢٦
الْأَهْلُ ٢٤٤
أَهْلُ الْأَدْيَانِ ٨٣، ١٤٩، ١٩٩
أَهْلُ الْإِسْلَامِ ١٧٩
أَهْلُ التَّأْوِيلِ ٤٧
أَهْلُ الْجَنَّةِ ٣٢٢
أَهْلُ الْجَهْلِ ٣٣٤
أَهْلُ الْخَضَارَاتِ الْقَدِيمَةِ ٧٧
أَهْلُ الدِّينِ ٢٤٠
أَهْلُ الذَّمَّةِ ٤٠، ٦٤، ٧٢، ٨٣، ٩٣، ١٠٦، ١٢٧،
١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩،
١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٣،
١٧٥، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١،
١٩٩، ٢٠٠، ٢٢٢، ٢٣٨
أَهْلُ الرَّأْيِ ٣٢٥
أَهْلُ الرُّهَا ٣٣٢
أَهْلُ الشَّرَائِعِ ١١٦، ٢٠١

الباحثون المعاصرون ٣٣٧، ٦٥	البيزنطيون ١٤٥
البارثيون ٨٧	التابعيون ٧٠، ٤٥، ٤٤
البارعون ٢٦٤	التاركون للتجارات والصناعات ٣١٨
البدو ١٩٨، ٣٤	تجار الآثار ٩٥
البرايمكة ١٤٤	تجار العاديات ٣٤
البرتغاليون ٢٥٨، ٢٦	الترك ١٩٢، ١٩٣
البريديون ١٧٦	تلاميذ ماني ٣٢٤
البشر ٢٢٣، ٣٢١، ٣١٦، ٨٢	تلاميذ يوحنا المعمدان ٩٨
البطارقة ٨١	الثقات ٢٣٩
البطالة ٣١٠	الشملة الضعيفة ١١٩
البعادة ٢٧٢	الثوار العلويون ١٨١
بقايا النبط ١٩٨	حياة الحجاج ١٨١
البلغاء ٢٩٦، ٢٩٥	جحافل مولاو ١٩٩
البنات ٢٢٤	الجغرافيون ٢٩١، ١٨٠، ١٢٢، ١٠٢، ٧٩
بنو أنلو ١٥١	الجغرافيون المسلمون ١٢٠
بنو إسرائيل ٢١٢، ٩٧، ٨٥	الجماعات الآرامية ١٠٠
بنو البوغداريين ١٦٨، ١٦٧	الجماعات اليهودية ٨٦
بنو العباس = العباسيون	جمهور القوام ٣٥٤
بنو بويه = البويهيون	جموع الجند ٤٩
بنو قيطران ١٥١	الحن ٢١٩
بنو موسى بن شاكر المنجم ٣٠٥، ١٦٣، ١٦٢	الجند ١٧٧، ١٧٢
٣٩١	جند السماء ٤٩
بنو نعيم ١٩٩، ١٩٨، ١٣١	الجواري ٢٠٤
بنو هرقليس ١٤٠، ١٣٨	جيوش الإمام الداعي إلى الحق المهدي لدين الله
البويهيون ٨٢، ١٥٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣	الزیدی ١٨٢
١٨٩، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٥، ٢٦٩، ٢٨٥	حدائق الترجمة ٣٠٥
٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٤٧، ٣٥٠	الحرانية ٣١١، ١١١

الحُرْم ٢٢٥، ٢٠٧، ١٩١	الدَّيْلُم ٢٨٥، ١٩٥، ١٩٣، ١٩٢، ١٨١، ١٨٠
حَسَوِيَّةُ الْفَلَّاسِقَةِ ١٠٩	٢٨٦
الحُكَّام ١١٣	ذُبْيَان ٢٥٠
حُكَّامُ بَنِي بُوَيْه ١٨٢	الدُّكُور ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧
الحُكَّاءُ ٣٦٠، ٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥١	ذَوُّ السُّلْطَان ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥١
حُكَّاءُ الْحَرَنَانِيَّةِ ٢٢١، ١١٢	ذَوُّ الْكَثْرَةِ ٢٠١
حُكَّاءُ الطَّائِفَةِ ١١٢	الرُّؤَسَاءُ ١٨٤
حُكَّاءُ الْيُونَانِ ٣٣٠، ١١٢	رُؤَسَاءُ الْحَرَنَانِيَّةِ ١٥٤، ١٣٦
حَلِيفُ الرُّوْحَةِ ٨٥	الرُّؤَسَاءُ الدِّينِيِّينَ ٢٤٧، ١٥٢
الْحَمْدَانِيُّونَ ١٩٠، ١٩٢، ١٨١، ١٧٧، ١٧٦	رُؤَسَاءُ الصَّابِئِينَ ١٣٧
١٩٤، ١٩٢	رُؤَسَاءُ الْقَوْمِ ١٢٥
الْحَوَارِيُّونَ ٨٥	الرَّاهِبَاتُ ١٠٤
الْحَارِجُونَ ٣٠٢	الرَّجَالُ ٢١٤، ٢١٣، ٢٠٢، ١٧٥، ١٦٧، ١٤٦
الْحَالَاتُ ٢٢٥	٢٣١، ٢٢٥، ٢٢٤
الْخِصْيَانُ ٢٠٢	رَجَالُ الْإِكْلِيرُوسِ ١٠٤
الْخِلْفَاءُ ١٦٠، ١٥٩، ١٥١، ١٣٨، ١٢٦، ١٠	رَجَالُ الدِّينِ ١٧٢، ١٧٠، ١٢٧، ٣١، ٢٨
٢٩٠، ٢٨٣، ٢٨٠، ٢٢٣، ٢٠٢، ١٦٦، ١٦٥	٢٤٢، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٠٣، ٢٠٢
٣٤٧	٢٤٣
خُلَفَاءُ اللَّهِ ٣٥٨	الرَّحَالَةُ ٣٣، ٢٩، ٢٨
خُلَفَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ ٣٥٠، ٣٢٣، ٣١٣، ١٧٩	الرَّحَالَةُ الْأَوْرَبِيُّونَ ٢٢٢
خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةٍ ٣٣٢، ٣٢٢، ١٥٦	رُعَاءُ الشَّاةِ ٣٤
الْحَوَاصُّ ١١٢	الرَّعَايَا ٢١٧
دَارِسُو الطَّبِّ ٢٦٦	الرَّعْفَانُونَ ١٦٧
الدَّارِسُونَ ٢٣٦	الرُّعْنُ ١٦٧
الدُّعَاةُ الْإِسْأَعِيلِيُّونَ ٣١٥	الرَّعِيَّةُ ٢٩٤
الدُّعَاةُ الْعَلَوِيُّونَ ٢٨٦	الرَّعِيَّةُ الْمَرْوُوسَةُ ١٨٩
الدُّعَاةُ الْعَلَوِيُّونَ الزَّيْدِيَّةُ ١٨٢	الرَّهْبَانُ الْآتَقِيَاءُ ١٠٤

الشَّيَاطِينُ ٢٣٧	الرُّوَاةُ ٢٨٠، ١٥٢، ٣٨
شَّيَاطِينُ الْجَحِيمِ السُّفْلِيِّ ٢١١	رَوَادُ الْفَلَسَفَةِ الْأَوَائِلِ ٢٩٣
الشَّيْعَةُ الدَّلِيلُ ١٨٠	الرُّوْحَانِيُّونَ ٣٢٦، ١٠٧
شَوْخُ الطَّائِفَةِ ٢٤٧	الرُّومُ ٢٣٩، ٢١٨، ٧١
الصَّبِيَانُ ٢٢٠، ٦٥	الرُّومَانُ ٣٣١، ١٠٨، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧١
الصَّحَابَةُ ٤٤، ٤٢، ٤١	الرِّيَاضِيُّونَ ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٣
الصَّدُورُ ٢٧٥	الرَّائِعُونَ ٧٥، ٧٤، ٦٩، ٦٧
الصَّغَارُ ٢١٣	رُزْقُ الْعِيُونِ ٢١٨
الصَّفْوَةُ ٢٢٣، ٢٢٢	الرُّعَمَاءُ التَّقْلِيدِيُّونَ ١٨٣
الصَّقَالِيَةُ ٧٢	الرُّهَادُ ٣٢٠، ٣١٨
الصِّيَادُونَ ٢٦٨	الرُّهَادُ الْحَرَنَانِيَّةُ ٣١٨
الصَّالِرُونَ ٧٥، ٦٧	السَّبْيُونُ ٢٨، ٢٧
صَامَتُو الصَّبِيَاعِ ٢٢٧، ١٨١	السَّدَنَةُ ١١١
الصُّعْفَاءُ ٢٤٠	السَّرِيَانُ ١٣، ١٤، ١٩، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٤
الصَّيَّانِيُّونَ ٣٥٤	١٤٣، ١٤٤، ١٤٥
الطَّوَائِفُ ١٨١، ١٨٠، ١٢٠	السُّكَّانُ ١٢٧، ١٢٢، ١٢١
العَامَّةُ ٢٣، ٢٨، ١١٢، ١٦٠، ١٧٢، ١٨٩	سُكَّانُ الْأَصْقَاعِ ٧٢
٣٢٠، ٣١٥، ٢٦٩، ٢٤٢، ٢١٨	سُكَّانُ الْمَدَنِ ١٢٢
عَامَّةُ الْمَدَائِنِ ١٩٩	سُكَّانُ أَهْوَالِ الْجَنُوبِ ٢٠٠
الْعَامِلُونَ بِالذِّيَّانِ ٢٢٧	السَّلَفُ ٢١٩
الْعَبَادُ ٣١٨	السَّيِّئُونَ ١٥١
الْعَبَاسِيُّونَ ٣٤٧، ١٧٢، ١٤٠	السُّورَانِيُّونَ ٧١
الْقَبِيدُ ٢٠٥	السُّورِيُّونَ ٣٤
الْعَجَمُ ١٤٨، ١٣٦، ١٢٧	السُّومَرِيُّونَ ٢١١، ٢٧
الْعَرَبُ ٤٢، ٥٠، ٥٥، ٥٨، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧	الشَّخَصِيَّاتُ الْعَامَّةُ ٢٩٠
١٢٥، ١٢٤، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٠، ٦٩، ٦٨	الشُّعْرَاءُ ٣١٣، ٣٠٢، ٣٠٠
٣٠٨، ٣٠٥، ٢٣٠، ٢١٨	الشُّعُوبُ الْهِنْدُو-أُورُويَّةُ ١٨٠

العرب الفاتحون ٢٣٦

العلويون ٢٢٧

عرب شبه الجزيرة ١١٣

العَمَّات ٢٢٥

العُشَّاق ٢٩٥

عَمَّال التُّوكُل ١٦٠

العقطيون ١٢٢

العوام ٢٥٩، ١١٢

العقلاء ٣٥١، ٣١٨

الغُرَبَاء ٢٤٠

العلماء ١٦، ٣٦، ٦٥، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٨٤،

غَلَاءُ التَّصَوُّف ٣٢١

٩٩، ٩٦، ١٣٠، ١٣٧، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨،

الغِلْمَان ١٦٧، ١٦٨، ٢٠٥

١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٢٠،

غِلْمَانُ أَبِي الْخَطَّابِ الصَّابِغِ ٢٢٣

٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٧٦، ٢٧٨،

الفاتحون ٢٣٦

٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٠٤،

فاحصو أخصاء الحيوانات ١٤٧

٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣،

الفرس ٧١، ٨٦، ٨٧، ١٠٥، ٢٤٣، ٣٣١

٣١٦، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٥

فُرسان البلاغة ٢٨٧

العلماء الأجانب ٩٥

الفرق ١٨١

العلماء الأمريكيون ٣٥

فُساد العالم وخُرابه ١٠٦، ٣٥٤

علماء الجغرافيا ٢٩١

الفُقراء ١٤٢، ٢١٠، ٢٦٨

علماء الحديث ٤١

الفُقهاء ١٠، ٤٠، ١٢٦، ١٤١، ١٤٨، ١٥١،

علماء الحرثانية ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٧١،

١٥٤، ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣،

٢٧٢

١٨٨، ١٩١، ٣٤٢

علماء السمايات ٤٣، ٩٩

فُقهاء الحنيفة ١٥٤

علماء السنة ٣٢١، ٣٣٩

فُقهاء الشافعية ١٦٩، ١٥٤

علماء الغرب ٢٥٧

فُقهاء المالكية ١٥٤

علماء الفلك ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨،

فُقهاء المسلمين ١٤١، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٥،

علماء اللغة ٤١، ٦٦

١٥٧

علماء المسلمين ١٧، ٤٨، ١١٥، ١٢٦، ١٧١،

الفَلَّاحُونَ ١٢٢، ٢٦٨، ٣١٨

٣٣٢، ٣٣٣

الفَلَّاسِقَةُ ٧٤، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١٢، ١١٣،

علماء بغداد ٢٢٧

٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩،

علماء بيت الحكمة ٢٥٧، ٢٦٠

٣٤٠، ٣٤١

الكتاب المسلمون ١٥	الفلاسيقة الأفلاطونيون المحدثون ٣٣٥
كتاب النصرانية ١١٥	الفلاسيقة الاندلسيون ٣٤٨
الكحّالون ٢٧٢	الفلاسيقة الحكماء ٣٥٦
الكسدان ٧١	الفلاسيقة الطبائعون ١٠٧
الكتيخون ٨٥	الفلاسيقة المسلمون ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٥
الكلدان ١٥١، ٧١، ٦٤	فلاسيقة يونان العظماء ٢٩٣
الكلّمان ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ١٢٤، ١٣١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٣، ٢٤١، ٢٢٩، ٢٢١، ٢١٨	الفلكيون ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٦
الكلية المتدائرون ٣١٥	القائلون باعتقادات الصابئة ٣٤٢
كلية الهيكل بحرّان ٢٢٢	القائلون بالنفس والعقل ٣٢٥
اللغويون ٤٢، ٤٣، ٦٥، ٣٠٢	القائلون بنظرية الأضل الغربي ٩٤
المورخون ٧، ١٥٢، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٧، ٢٨٩، ٢٨٦، ٣٠٠	القادة ٣٥٥، ٣٥١
المورخون المعاصرون ١٨٣، ٢٨٦	القائلون العربية ٦٩
المولفون ٣٤٨	قبط مضر ٧٢
المؤمنون ٣١٤	قتل عبس ٢٥٠
المائلون ٦٩، ٧٤، ٧٥	القدماء ٢٥٦، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣٢٧
الماجنون ٣١٣	قرنيس ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٩، ٦٠، ٦٥، ٦٩
المارقون ١١٦، ١٣١	القساوسة ٩٥
المبشرون ٢٦، ٢٧	قوى الشر والظلام ٢١٠
المتاخرون ٢٩٧	الكائنات التوراتية ٢٠٢، ٣٢٦
المتألفون ٣٥٦	الكاهنات المتدائيات ٢٢٤
المتبطلون عن الأعمال ٣١٨	كبار السن ٢٠٣
المتخصصون ٢٠٩، ٣٠٤	كبار الملائكة التوراتيون ٣٢١
الترجمون ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨	الكتاب ١٥٢، ١٨١، ١٨٤، ٢٢٢، ٢٢٧، ٣٠٠، ٣١٣، ٣٠١
الترجمون الشريان ١٦٧	كتاب الدواوين ٢٨٠، ٢٨٣
	الكتاب الشريان ٢٣٨

المُرِيدُونَ ذَوُو الصَّنَاعِ ٣٥٥	التَّرْوِجُونَ ٢٠٣
الْمُزَارِعُونَ ١٤٢	الْمُتَشَدِّدُونَ ١٧٢
المَسَاجِين ٢٦٨	الْمُتَشَكِّكُونَ ٣٣٢
الْمُشَارُونَ ١٦٥، ١٦٦	الْمُتَصَرِّفُونَ فِي الْأَعْمَالِ ٢٩٧
الْمُسْتَشْفَرُونَ ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٨، ٤٠،	الْمُتَصَوِّفَةُ ٣٢٠
٤٨، ٥٠، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٣١٢	الْمُتَطَيِّرُونَ ٢٦٨
الْمُسْتَعِيرُونَ ٢٦	الْمُتَعَصِّبُونَ ١٧٢
الْمُسْلِمُونَ الْقَانِحُونَ ١٢٤	الْمُتَغَلِّبُونَ ٣٤٠
الْمُسَبِّهُونَ بِالْمَلَائِكَةِ ٣١٨	الْمُتَّقُونَ ٢١٠
الْمُصَابِئُونَ بِأَمْرَاضٍ خَطِيرةٍ ٢١٢	الْمُتَكَلِّمُونَ ٣٣٢
الْمُضْرِبُونَ ٧٣، ٧٥، ٨٥، ١٠٨، ٢١٢، ٣٠٤	الْمُتَمَسِّكُونَ بِالشَّرِيعَةِ ١٦٢
الْمُصْرَبُونَ الْقُدَمَاءُ ٧٢	الْمُتَوَفُّونَ ٢١٠، ٢١٨، ٢١٩
مُصَنَّفُو رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصَّفَا ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٥٥	الْمُتَقَفُّونَ ١٨٣، ٢٣٤
الْمُطَارِنَةُ ٢٤٨	الْمُجَانِبِينَ ٣١٨
مُطَارِنَةُ جُنْدِيَسَابُورٍ ٢٤٨	الْمُحَافِظُونَ ١٦٢، ٢٠٣
الْمُطَهَّرُونَ ١٠٧	الْمُخْتَصِرُونَ ٢١٢
الْمُعَارِضُونَ ٦٧	الْمُخْتَفِلُونَ ٢١٢
مُعَاصِرُو أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِغِ ٢٩٦، ٢٩٨	الْمُحَدَّثُونَ ٤٨
مُعَاصِرُو ثَابِتِ بْنِ قُرَّةٍ ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٢	الْمُخَالَفُونَ ١٩١
الْمُعَزَّمُونَ ١٦٧	الْمُخْتَارُونَ ٢٦
الْمُعْلَمُونَ ١٠٦	الْمَخْلُوقَاتُ التَّوْرَانِيَّةُ ٨٠، ٢٠٤
الْمُعْلَمُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ ذَوِي السِّيَاسَاتِ ٣٥٥	الْمَخْلُوقُونَ ٣٢٢
الْمُقُولُونَ ١٣١، ١٩٧، ١٩٩	الْمَلْذِييُونَ ٨١، ٢٢٨
الْمُقَسَّرُونَ ٢٤، ٣٨، ٤١، ٧٦	الْمُرْتَرَقَةُ ١٨١
الْمُقَكَّرُونَ ٢٢٦، ٢٨٧	الْمُرْتَقُونَ فَوْقَ الْمَاءِ ٣١٨
الْمُقَدَّسُونَ ١٠٧	الْمُرْصَى ٢١٢، ٣٦٠
الْمُقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ ٣٥١، ٣٥٥، ٣٢٠	الْمُرِيدُونَ ٢٦

الْمَقْرَبُونَ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ = الْمَقْرَبُونَ إِلَى اللَّهِ	النَّاصُورَانِي ٢٨، ٨٥، ٩٢
الْمَلَائِكَةُ ٢٦، ٤٦، ٤٩، ٥٧، ٨٠، ٨١، ٢٠٢،	النَّبْتُ ٧١، ١٠٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٥١، ٢٣٣،
٣٥٨، ٣٣٩، ٣٣٦، ٣٢٠	٣١٩
الْمَلَائِكَةُ السَّبْعَةُ الْعِظَامِ ٤٩	النَّبْتُ الْقُدَمَاءُ ١١٧
مَلَائِكَةُ النُّورِ ٢٤١	النَّخْبَةُ ١١٣، ١٦٥، ٢٢٢،
الْمَلُوكُ ١٤٦، ١٤٨، ٢٧٦، ٢٩٤، ٣٥١، ٣٥٤،	النِّسَاءُ ٩٦، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١١،
٣٥٥	٢٢١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٦، ٢٢٤، ٢١٥، ٢١٤
مُلُوكُ الْأَرْضِ ٣٥٨	النِّسَاءُ الْحَرَّانِيَّاتِ ١٥٠
مُلُوكُ الدَّيْلِمِ ١٧٩	النِّسَاءُ السَّاهَوِيَّاتِ ٢٠٢
مُلُوكُ السَّيَّوَاتِ ٣٥٨	نِسَاءُ أُورُشَلِيمَ ٢١١
مُلُوكُ بَنِي بُيُوتِهِ ٣٠٠	نِسَاءُ تَرْعُوزَ ١٥٣
مُنَادِمُو الْخُلَفَاءِ ١٦٥، ١٨٣،	النِّسَاءُ ٦، ٩٠، ١٥١، ٢٠٣، ٢٢٤، ٢٣٦، ٣٥٣،
النُّوُورُونَ ٦٧، ١٣١،	النِّسَاءُ طَيْرَةُ ٨٦
النُّجُومُونَ ١٦١، ١٦٢، ٢٠٧، ٢٥٠،	النُّقَبَاءُ الْإِنْتَى عَشْرَ ٣١٦
الْمُهَاجِرُونَ ٩٥، ٩٨، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١،	الْهَرَامِسَةُ الْخَاصَّةُ ١٠٦
٢٤١	الْمَلَلِيْنِيُونِ ١٠٣، ٣٣١،
الْمُهْتَمُونَ بِالْفَلَكِ وَالْفَلَسْفَةِ ٣٤٢	الْهُنُودُ ٧١
الْمَوْلِدُ ٣٥٨، ٣٥٧	الْوَارِثُونَ ٢٤٣
الْمَوْتَى ٢١٦، ٣٢٠،	الْوَرَّاقُونَ ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩،
الْمُورُثُونَ ٢٤٣	الْوُزَرَاءُ ٢٨٠، ٢٨٣،
الْمَوْقِرَاتِ ٢٢٤	الْوَلَاةُ ٢٩٧
النَّاسُ ٦٤، ٦٨، ١١٥، ١٢٢، ١٤٦، ١٤٩،	وَلَاةُ الْخَرَجِ ١٩١
١٦٨، ٢٠٢، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٥٤، ٢٦٨، ٢٦٩،	وَلَاةُ الْمُتَوَكَّلِ ١٦٠
٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٩، ٣٤٦، ٣٥٦،	وَلَدَ أَبِي سَعِيدِ سِتَانِ ٢٢٦
٣٥٩	الْيُونَانِ ٥، ٧١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١٤٧، ٣٠٨،

كشاف الأعلام

أبیر توتا (الأب) ١٥

إلیاصابات المندائیة (أم یوحنا المغمدان) = أنشیی

أُم أبی سعید سینان ٢٢٥

إمبریوس (أسقف الرها) ١١٢

امرو القیس ٣٠٠

امراة أبی سعید سینان بن إبراهیم بن هلال الصابی

٢٢٦، ٢٠٧

أمونیوس ١٠٥

أمیدروز ٢٨٠

إمیل برهیه ٣٤٣

أنس بن مالك ؓ ٦٥

أینتناس ماري الكرملی ٢٣٠، ٢٢٩، ٢١٨، ٣٨

إنش إئرا (الإئري) ٣٢١، ١١٥

أنش بن دنقا ١٣٦، ١٢٥

أنشیی (إلیاصابات المندائیة) ٣٢١

أواثر (الإئري) ٢٢٩

أورسولا فیسر ٣٠٩

أوردیس المضري ٢١١، ١١٥. وانظر أيضا:

إدریس النبی علیه السلام - هریمس المثلث

بالحكمة

ابن أیک الصفدي (صلاح الدین) ١٣٠، ١٥٦،

٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٠، ٢٧٦،

٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٩٤، ٢٧٨

إیننغ ٢٩

إیمیریا الراهیة ١٠٤، ١١٠

إمخلیس ٢٨

إیریناوس ٩٦

إیشع القطیعی النصرانی الكاتب (أبو یوسف)

١٨، ٦٤، ٧٣، ١٢٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣،

١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤،

١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ٢٣٤

إیلیا النصیبی = إیلیا بر شتایا

إیلیا بر شتایا ١٥، ٢٨١

إیلیوس ١١٤

أیمن فؤاد سید ١٤، ٩٠

بابا الحُراني (الملقب بنبی حران) ١١٥

البِتائی الصابی = محمد بن جابر البِتائی الصابی

بناهيل ٢٠٤

بجنکم التركي ١٨٠، ٢٩٤

البُخاري = محمد بن إسماعيل البخاري

بُرقلس ١٠٥، ١٠٦، ١١٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣،

٣٣٥

أبو البركات البغدادي ٣٣٩

برکیت د. ٣١، ٩٩

البساییری ٢٩٢

بشار بن برد ١٥٦، ٣٠٢

ابن بطلان = أبو الحسن بن بطلان البغدادي

(الطبيب)

بطليموس الجفرائي الملقب بالقلوذي الكبير

١٠٢، ١٨٠، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٣٠٨

أبو بكر الجصاص ٢٤، ٣١٦

أبو بكر الحزاز ٢٧٧

أبو بكر الدوافري ٣٠٣

أبو بكر الصولي ٢٨٤

١٧٥، ١٧٦، ١٨٨، ٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥،

٣٠٩

ثابت بن أخوسا ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩

ثابت بن إيليا ١٣٧، ١٣٩

ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصّابي ١٥،

١٠٦، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧،

١٩٧، ٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٧،

٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤،

٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٤

ثابت بن طيّون ١٣٧، ١٣٩

ثابت بن قرة الحرّاني الصّابي ١٢، ١٨، ٢٥، ٧٦،

٧٧، ١٠٧، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٩، ١٣١،

١٥٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤،

١٦٥، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٣، ١٩٦، ٢٢١،

٢٢٢، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩،

٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨،

٢٦٩، ٢٧٦، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٠٤،

٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٧،

٣٤٢

ثابت بن قزّيا ١٣٧، ١٣٩

الثّعالبي ٢٤، ١١٤، ٢٢١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٠،

٣٠٣

ثيودور نولدكه ٩٩، ٣١٩

جابر بن زّيد ٤٤

جابر بن قرة بن ثابت ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩

ابن جابر بن هلال الصّابي (أبو منصور) ٢٥،

٢٤٦

أبو بكر محمد بن زكريّا الرّازي = محمد بن زكريّا

الرّازي

بلاطوس ٣١٢

البلاذري = أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري

بلخي (الرّبة) ٢١٣، ١١٤

بهرام بن أردشير المجوسي الكاتب (أبو سعيد)

١٨١، ١٩٤

بيزمان ج. ٢٨، ٢٩، ٣٣

البيروني ١٣، ١٥، ١٩، ٢٠، ٣٧، ٦٧، ٧٣،

٨٠، ١٠٢، ١٠٨، ١١٤، ١١٦، ١٢٥، ١٤٣،

١٤٤، ١٥١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠،

٢٥٤، ٢٥٧، ٢٩١

البيهقي = علي بن زيد البيهقي (أبو الحسن)

پاول كزّاس ٣٣٧

ابن تغري بردي الأتابكي ٢٢، ٢٧٨

أبو تغلب الحمداني ١٩٣، ١٩٤

يقين بن قزّونا ١٣٨

تموز ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥

التّوخي = المحسن بن علي التّوخي القّاضي (أبو

علي)

توفيق فهد ١٧

تيمور لّك ٩

ابن تيمية الحرّاني ٢٥، ١٧٣، ٣١٢، ٣٢١، ٣٢٣،

٣٤٦، ٣٤٩

ثيودور نولدكه ١٧، ٣٠

ثابت بن إبراهيم الحرّاني ٢٢٣

ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحرّاني الصّابي

جابر بن هلال بن إبراهيم الصَّابِئ (أبو الفضل).

٢٤٨، ٢٤٥، ٩

الجاحِظ ٢٠٣، ٢٠٢

جاليثوس الطَّيِّب ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٦٧، ٣٠٩

جان هارب ٣٦، ٣٧، ٧٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٦٢

ابن جبير (الرَّحالة) ١١٠، ٢٣٩

جرميورثوس الصُّوري ١٠٥

جُستنيان (الإمبراطور) ٣٣١

جُشتي آتانا ٢١١

الجعدُ بن دزهم ٣٢٢

أبو جعفر الرَّازي ٤٤، ٤٦

جعفر الصَّادق ٣١٣، ٣١٤

أبو جعفر الصَّيمري ١٨٥

أبو جعفر المنصور (الخليفة) ٢٥، ١٣٠، ١٣٩،

١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٥، ١٥٦

جعفر بن المُكَنفي ٢٥٦، ٢٥٧

جعفر بن ليلى بن النُّعمان الذَّيْلَمي ٢٨٥

جعفر بن يحيى البرمكي ١٤٤

أبو جعفر عُبيد الله بن القاسم = عُبيد الله بن

القاسم

جلال الدولة البُرْهَني ٣٤٥

الجهشياري = ابن عبدوس الجهشياري

جهم بن صفوان ٣٢٢

جواد علي ٤٠، ٤٢، ٦٤، ٦٩

جودليان ١٠٥

جورجيوس القُدِّيس ٢١١

ابن الجوزي ٢٢، ٢٥، ٣٧، ١١٦، ١٤٤، ٢٦٠،

٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٩٢، ٣٢٠، ٣٢١

جوش بيدريس ٣٠، ٣٧، ٦٣، ٧٠

جوستاف فلو جل ٩٠

جولدسيهر ٣١٢، ٣٤٤

جوليَّان (الملقب بالمرتد) ١٠٣

جون رجيوموثانوس ٢٥٨

أبو حامد الغزالي ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢،

٣٥٥

حبشي بن مُعز الدولة أحمد بن بويه ١٨٧

حُبَيْش بن الحسن ٣٠٤

الحجاج بن يوسف بن مطر ٢٥٥

ابن حزم الأندلسي ٢٥

الحنج ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤

الحنج = الحنج

أبو الحسن الأشعري (الإمام) ٣٤٧

الحسن البصري ٤٦

أبو الحسن الحراني الصَّابِئ (الطَّيِّب) ١٢٩،

٢٢٣، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٢

أبو الحسن الطَّيِّب (تلميذ رِئان) ٢٦٩

أبو الحسن المَحَامِلي القَاضِي (الملقب بالمَحَامِلي

الكبير) ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣،

١٧٥، ١٧٧

أبو الحسن ابن بطلان البغدادي الطَّيِّب ١١،

٢٢١، ٢٧١، ٢٩٢

أبو الحسن بن رِئان الحراني الصَّابِئ الطَّيِّب

٢٢٦، ٢٤٤، ٢٧٢

أبو الحسن بن سُنجَلَا (الكاتب) ٢٠

- أبو الحسن بن شاذان ١٢٦
الحسن بن علي بن الحسين الأطروش ١٨١
حسن بن فرج بن علي بن دؤاد بن سنان بن ثابت
بن قرة ١٣١
الحسن بن محمد المهلب (أبو محمد) ١٧٦، ١٨٥،
١٨٦، ٢٢١، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٩٠، ٣٠١
الحسن بن موسى بن شاكر ١٦٢
الحسن بن وهب (أبو محمد) ٢٦٣
حسن حسني عبد الوهاب ١١
أبو الحسن علي بن الفرات ٢٥٦، ٢٨٠، ٢٩٠
أبو الحسن علي بن زيد البيهقي = علي بن زيد
البيهقي (أبو الحسن)
أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح (الوزير) =
علي بن عيسى بن الجراح
أبو الحسن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابي =
هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابي
الحسيح = الحسيج
أبو الحسين بن إسحاق المحاملي (القاضي) ١٧٠
الحسين بن سعيد بن حمدان ١٧٧
أبو الحسين بن كرتيب ٢٦٣
أبو الحسين بن كشكرايا الطيب ٢٦٩
الحسين بن محمد الأتباري (أبو علي) ١٨٦، ٢٥٠
الحسين بن موسى العلوي النقيب (أبو أحمد)
١٨٦
الحصري ٣٠٣
الحكم المستنير ٢٧١
أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني
- عمرو بن عبد الرحمن الكرماني
حكيم بن يحيى آل هرقليس ١٣٨، ١٤٠
حماد عجرد ١٣٠، ١٥٦، ٣٠٣
حمدان قرمط ٣١١، ٣١٧
حمزة الأصفهاني ٢٢، ١٥١
الخميري = عبد المنعم الخميدي
أبو حنيفة النعمان ٢٥، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢،
١٥٣، ١٥٥
حنين بن إسحاق ٢٥٥، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦،
٣٠٨
حواء (زوج آدم عليه السلام) ١١٥
ابن حوقل النصيبي ٢٣
حونية الكاهنة ٢٢٤
أبو حيان التوحيدي ٢٤، ١٠٦، ٢٢٦، ٢٨٧،
٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧،
٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٠
خارجة بن سنان ٢٥٠
خالد بن عبد الله القسري ٣٢٢
الخالديان ٣٠١
ابن خرداذبة ٢٣
أبو الخطاب الفضل بن إبراهيم الحراني الصابي =
الفضل بن إبراهيم الحراني الصابي
الخطيب البغدادي ٢٣، ٢٤، ١٢٥، ٢٢٧، ٢٩٢،
٣٤٤
ابن خلدون ٢٢، ٧٣، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٦
خلف بن المشي ١٥٦
ابن خلكان ٢٣، ٧٥، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ٢٨٤،

ابن رأس الجائول اليهودي الشاعر ١٥٦، ٣٠٣

راشئو البابي ٨٧

الراضي بالله ١٣٧، ١٣٩، ١٧٥، ١٨٠، ٢٦٨،

٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٠

الربيع بن أنس ٤٤

رجيئو مونتائوس ٢٦٣

رسول مندادي = أنش إنرا

ابن رشد ٣٤٠، ٣٤١

رضا محمد ٩٠

رفقة (زوج إبراهيم) ١١٠

رُكن الدولة بن بويه ١٩٢، ١٩٣، ٢٩٨

الرُهاوي المجهول ١٥، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٧،

رُوبرت ماكوخ ٩٩

ابن رُوح الصابي ٢٥٩، ٣٠٩

رُوح بن سنان الحراني الشاعر ١٣٠، ١٥٦، ٣٠٢

رُودلف ماكوخ ٣٤، ٩٤

الرُوذراوري = أبو شجاع الرُوذراوري

ابن الرومي ٣٤٦

ريتشارد بيل ٦٨

رينهارت دُوزي ٣١٢

رُزادشت ٣١٢

أبو رُزارة (الفقيه الحراني) ١٥٠

زكريّا ٣٢٢

أبو زكريّا القزويني ٢٤، ٣٢٦

أبو زكريّا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي ٢٢،

١٤٢، ٢٧٦، ٢٨٩

الزُهرة (الزُرية) ١١٣، ١١٤

خليفة بن علي السَّمان ٩٥

الحليل بن أحمد الفراهيدي ١٥٦، ٣٠٢

حمّارويه ٢٩٦

الدَّارْقُطني ٦٥

دازور أ. س (ليدي) ٦، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦،

٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٣،

٩٤، ٩٩، ١٥٢، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥،

٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤،

٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧،

٢٤١

الدَّاعي إلى الحقّ = المهدي لدين الله الزيدي

دانيال خوالسون ١٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٧،

٧٧، ٨٦، ٩١، ١٠٦، ١٥١، ١٦٢، ٢٣٤،

٣١٩

أبو داود سليمان بن جُلجل ٢٣

دجيل (الكتزفره) ١٥٢

دُقْلديانوس ١٤٧، ٣٠٩

دنتورن الفلكي ٢٥٨

دواناي الصّابع ١٠٩

دي لاسي أوليري ٢٨، ١٥١

دي لوجليو ٢٧

ديمُوزي (الإله) ٢١١. وانظر أيضًا تموز

أبو ذرّ الفُقاري ٤٤

الذَّهبي ٢٢، ٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ٢٧٧، ٢٧٨،

٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩٧

الرازي = مُحَمَّد بن زَكْرِيّا الرَّازي (أبو بكر)

- زَهْرُون الصَّابِغ (عميدُ آل زَهْرُون) ١٢٩، ٢٤١،
 ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٧١
 زَهْرِيل (زَوْجُ هَيْلَ زِيَا) ٨٩، ٢٠٤
 زُهَيْر بن أَبِي سُلَيْمَى ٦٨، ٢٥٠، ٢٥١
 ابن الزِّيَات = أحمد بن الزِّيَات تلميذُ ابن وَخْشِيَّة
 زِيَاد بن أَبِيهِ ١٣٧
 زِيَاد بن فَيْرُوز البَصْرِيّ ٤١، ٤٤
 زيد بن رِفَاعَةَ الهَاشِمِيّ ٣٤٤، ٣٤٦
 زَيْدُ بن عَمْرُو بن ثَقِيل ٦٨
 زَيْمَر ٨٦
 سَابُور بن أَرْدَشِير ٣٣١
 سَاوَرَة (زَوْجُ إِبْرَاهِيمَ ~~الْقَاسِي~~) ١١٠
 سَامُ بن نُوح ٨٢
 سَبِطُ ابن الجَوَزِي ٢٢، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤
 سُبْحَكِين الحَاجِب ١٩٢
 سَتِيفُ سُوْدَرْبِرْغ ٣٢٤
 السَّجِسْتَانِي = أَبُو سُلَيْمَانَ المَنْطِقِي السَّجِسْتَانِي
 السَّخَاوِي ٢٨٥، ٢٩٠
 السَّرِي الرِّقَاء ٢٦٩، ٣٠١
 سَعْدُ بن أَبِي وَقَّاص ١٣٦
 سَعْدُون بن خَيْرُون ١٣٨، ١٤٠
 أَبُو سَعِيد الأَكْشَج ٤٥
 أَبُو سَعِيد الاَصْطَخْرِي ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨
 ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧
 ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٠
 أَبُو سَعِيد الحَسَن بن أَبِي الحَسَن البَصْرِيّ = الحَسَن
 البَصْرِيّ
- أَبُو سَعِيد التَّنَدَائِي ٢٤٣
 سَعِيد بن الفَضْل المَجُوسِي (أَبُو سَهْل) ١٨١
 ٢٤٨
 سَعِيدُ بن جُبَيْر ٤٥
 أَبُو سَعِيد بُرَام بن أَرْدَشِير المَجُوسِي الكَاتِب =
 بُرَام بن أَرْدَشِير المَجُوسِي الكَاتِب
 أَبُو سَعِيد سِنَان بن إِبْرَاهِيم بن هِلَال الصَّابِغ =
 سِنَان بن إِبْرَاهِيم بن هِلَال الحَرَانِي الصَّابِغ
 أَبُو سَعِيد وَهْبُ بن إِبْرَاهِيم النُّصْرَانِي ١٩، ١٤٤
 سُفْيَان الثَّوْرِي ٤٥
 سُفْيَان بن مَجَاشِع ١٥٦
 سُقْرَاط ٢٦١، ٣٠٦، ٣٠٨
 سَكِينُك ٣٤١
 سَلْمَانَ الفَارِسِيّ ٧٦
 سَلْمَانَ خَرْقُوش ٣٧
 سُلَيْمُوس نِيكَائُور ١٣٨
 أَبُو سُلَيْمَانَ المَنْطِقِي السَّجِسْتَانِي ٢٣، ١٣٩
 ١٦٤، ٢٠٦، ٢٢٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٢
 أَبُو سُلَيْمَانَ مُحَمَّدُ بن مَعْنَر البُسْتِي المَقْدِسِي =
 مُحَمَّدُ بن مَعْنَر البُسْتِي المَقْدِسِي
 سِنَانُ بن إِبْرَاهِيم بن هِلَال الصَّابِغ (أَبُو سَعِيد) ٩
 ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٥، ٢٢٦
 سِنَانُ بن ثَابِت بن قُرَّة ١٥٣، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٥
 ١٦٦، ١٦٩، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧
 ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨
 ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩١
 ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٤، ٣١٠

- سُبَّادِي النَّبْطِي ٣١٨
ابن سُنْجَلَا النَّصْرَانِي ١١٠، ٢٠
سُهْرَابُ الْجُغْرَانِي ٢٣
السُّهْرُوزْدِي ٣٢٦
أبو سَهْل الكُوْهِي ١١، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٣١٠
سَهْلُ بْنُ رُبَانَ الطَّبْرِي ٢٥٥
أبو سَهْل سَعِيدُ بْنُ الْقَضَلِ الْمُجُوسِي = سَعِيدُ بْنُ
الْقَضَلِ الْمُجُوسِي
سُور (جَدُّ أَفْلَاطُون) ١١٦
سُوَيْدُ بْنُ عَامِرٍ الْمُصْطَلِقِي ٦٨
سِيحَال ج. ب ٩٢
السَّيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمِيرِي الشَّاعِر ١٥٦، ٣٠٢
ابن سِيرَايُون = سُهْرَاب
سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِي ١٩٠، ٣٣٧، ٢٤٧
سِينغ ٦٧
الشَّابُثْنِي ٢٨٦
شَابُوت ج. ب ١٥
شَانَسُ (الإثري) ٩٧، ٢٤١
أبو شُجَاعُ الرَّوْذَرَاوَرِي (الوزير) ٢١، ٢٨٧،
٢٨٨
ابن شَدَاد ٢٢
شَرَفُ الدَّوْلَةِ الْبُونِي ٢٦٠
الشَّرِيفُ الرَّضِي ١١، ٢٤، ١٢٧، ١٩٦، ١٩٧،
٢٢٩، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٩٦، ٣٠٣
الشَّرِيفُ الْمُرتَضَى ٢٢٧، ٢٤٩
شَرِيكُ بْنُ جُرْنِج ٤٥، ٤٧
شُعَيْبُ الصَّابِي ١٥٥
شَعَب (أم المقتدر) ١٧٢
شَكِيبُ أَرْسِلَان ١٠، ١١
شَلْمَا نَاصِرُ الثَّالِث ١٠٢
شَمْعُون (تلميذُ الْحَنُج) ٩١
الشَّهْرَشَتَانِي ٦٦، ٢٥، ٧٣، ٣٤٥
شَيْتَل طَابَا = شَيْثُ بْنُ آدَمَ
شَيْثُ بْنُ آدَمَ ١١٥، ١٤٦، ١٥١، ٢٤٢
شَيْخُ الرُّبُوعَةِ الدَّمَشْقِي ١٥، ٢١، ٣٧، ١٤٤
ابن شِيرَزَادِ الْكَاتِب ١٧٦، ١٧٧
الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ (الوزير) ١٩٦، ٢٩٠
صَاعِدُ الْأَنْدَلُسِي ٢٣، ٧٣، ٣٣٧، ٣٤٩
صَاعِدُ بْنُ ثَابِتِ النَّصْرَانِي (أبو الْعَلَاء) ٢٤٨
صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ١٥٦، ٣٠٢
صِفْصَامُ الدَّوْلَةِ ١٩٦، ٣٠٢، ٣٤٤، ٣٤٧
صَمُونِيلُ رُومِر ٣٧
الصُّوْلِي = أَبُو بَكْرِ الصُّوْلِي
ضِيَاءُ الدِّينِ ابْنُ الْأَثِير ٢٩٩
الطَّائِعُ لِلَّهِ ٩، ١٠، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٠، ١٩٧،
٢٩٧
أبو طَاهِر طَيْفُور ١٥٦
أبو طَاهِر مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةٍ = مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةٍ (أبو
طَاهِر)
الطَّبْرِي = مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِي - الطَّبْرِي
الْمُنَجِّم
الطَّبْرِي الْمُنَجِّم ٢١، ١٦٩
ابن الطُّقْطُقَى ٣٠٣
عَادِلُ الْعَرَا ١٥٢

- عَارِفُ الْحَيِّ = مَنَادِ هِي
عَارِفُ تَائِر ٣٥٢
أَبُو الْعَبَّاسِ الْإِيرَانْشَهْرِي ١٩
أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاح ١٣٩
أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَأْنَدَانِي ١٢٦
الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ الشَّيرَازِي (أَبُو الْفَضْلِ) ١٨٦،
١٨٨، ١٨٧
الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ٤٤
عَبَّاسُ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ ٣٨، ٤٠
ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ٣٠٣
عَبْدُ الْجَبَّارِ (الْقَاضِي الْمُعْتَزَلِي) ١٥١، ٣٢٥
عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عُبَادَةَ أَفْنَدِي ١٥٢
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ٤٦
عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْحَسَنِي ٣٢، ٣٨
عَبْدُ السَّتَّارِ أَحْمَدُ فَرَّاج ٢٨١
عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْحَبْلِي ٣٤٢
عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ مَعْقِلٍ ٤٥
عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِي ٣١١، ٣١٧
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِي ١٨٠
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطُّهْرَانِي ٤٥
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَارِضُ ٣٤٤، ٣٤٧
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ ٢٥، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٦٥،
٦٦
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْهَاشِمِي ٢٠
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ٦٨
عَبْدُ اللَّهِ سَمَكٌ ٣٨
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْخَوَارِزْمِي =
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْخَوَارِزْمِي
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَّارِي = مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْمَاعِيلَ الْبُخَّارِي
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّرِيفِ
الْحَسَنِي = مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّرِيفِ
الْحَسَنِي
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَضْلَانَ = مُحَمَّدُ بْنُ
يَحْيَى بْنِ فَضْلَانَ
عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِي النَّصْرَانِي ٢٠،
١٤٤
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩
عَبْدُ الْمُتَمِّمِ الْجُمْهَرِي ٢٤
عَبْدُ يَشُوعَ الْجَانَلِي ٢٧٢
ابْنُ عَبْدِكَانَ = مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ
مُودُودٍ
ابْنُ عَبْدِدُوسِ الْجَهْشِيَارِي ١٤٤، ٢٩٠
ابْنُ الْعَبْرِي ١٢، ٢٢، ٧٦، ١٤٠، ١٤٦، ١٦٠،
٢٢١، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤،
٢٧٨
عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْقَاسِمِ (أَبُو جَعْفَرٍ) ١٧٤
عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ (أَبُو الْقَاسِمِ) ٢٩١، ٣٠٧
عُثْمَانُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ ٦٨
عُثْمَانُ بْنُ مَالِي الْحَرَّانِي الصَّابِي ١٣٨، ١٣٩، ١٦٢،
ابْنُ الْعَدِيمِ ٢٢، ٢٧٧
ابْنُ عَرَبِي ٣٢١
ابْنُ عَرَفَةَ ٦٩
أَبُو عَرُوبَةَ الْفَقِيهِ الْحَرَّانِي ١٥٠

عز الدولة بُختيار ١٧٩، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦،

١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٧٢

عزیز سباهي ٢٦، ٢٧، ٣٨، ٧٩، ٩١، ٩٢، ٩٣،

٩٧، ١١٥، ١٢٤، ١٥٢، ٣٢٤

ابن عساكر الدمشقي ٢٢

عصام بن زُوَادٍ ٤٤، ٤٦

عَصْدُ الدَّوْلَةِ ١١٤، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥،

١٩٦، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٤٩، ٢٦٣، ٢٧٩، ٢٨٥،

٢٨٦، ٢٩٧

عطاء بن أبي رَئاح الفهري ٤٥، ٤٧، ٤٨

أبو العلاء بن أبي الحسين بن كُزَيْبٍ ٢٦٣

العلاء بن الحَضْرَمِيِّ ١٣٦

أبو العلاء صَاعِدُ بن ثابت النَّصْرَانِي = صَاعِدُ بن

ثابت النَّصْرَانِي

أبو عليّ الحُسَيْن بن مُحَمَّدٍ الأَثْبَارِيِّ = الحُسَيْن بن

مُحَمَّد الأَثْبَارِيِّ

عليّ الرِّضَا ٢٢٨

عليّ السَّيِّان ٩٥

أبو عليّ الفَارَسِي ٢٢٧

أبو عليّ المُحَسِّن بن إبراهيم بن هلال الصَّابِي =

المُحَسِّن بن إبراهيم بن هلال الحَرَّانِي الصَّابِي

أبو عليّ المُحَسِّن بن عليّ التَّنُوخِي القَاضِي =

المُحَسِّن بن عليّ التَّنُوخِي القَاضِي

عليّ بن أبي الكَرَم الشَّيْبَانِي المعروف بابن الأثير

المُؤَرِّخ ٢٢، ١٦٠، ١٧٦، ١٧٧، ٢٧٨

عليّ بن الحُسَيْن بن إبراهيم ٢٩٩

عليّ بن رِضْوَانِ المِضْرِيِّ الطَّيِّب ١١

عليّ بن زَهْرُون الرِّجَنَانِي ٣٥٣

عليّ بن زيد البَيْهَقِي (أبو الحسن) ٢٣، ٣٤٥،

٣٥٣

عليّ بن ظَافِر الأَزْدِي ٢٢، ٢٧٦، ٢٨٩،

عليّ بن عيسى الرُّمَانِي ٢٢٧

عليّ بن عيسى بن الجَرَّاح (أبو الحسن) ١٩،

١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٨٠،

٢٨٣، ٢٩٤

عليّ بن هَارُون الرُّنْجَانِي ٣٤٥، ٣٥٣

أبو عليّ بن مُرْزُوق ١٧٠

عليّ بن يَحْيَى المُنْجَم ٣٠٣، ٣٠٦

أبو عليّ ابن سَيِّدَا ٣٣٣

عليّ مُحَمَّدُ عبد الوَهَّاب ٣٨

أبو عليّ مِسْكُوِيه = مِسْكُوِيه

أبو عليّ ابن مُقْلَة ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٣

عليّ يُوْسُف (صاحبُ المؤيَّد) ٣٤٨

ابن العِيَاد الحَنْبَلِي ٢٣، ٢٧٨

عماد الدولة بن بُوِيه ١٨٢

عِمَادُ الدِّين إِذْرِيس (الملقبُ بالدَّاعِي المَظْلُوق) ٣٥٠

عُمَرُ بن الحَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٤٤، ٥٥، ٦٥، ١٣٦، ١٤٠،

١٤٨، ١٥٤

عُمَرُ بن القَرَّخَان الطَّبْرِي ٣٠٥

عُمَرُ بن عبد العزيز ١٣٩، ٣٣١

عُمَرُ بن يُوْسُف بن أَحْمَد ٢٧١

عِمْرَان الصَّابِي ٢٢٨

عِمْرَان بن شَاهِين ١٩٥

عَمْرُو ابن أخت المؤيَّد ١٥٦، ٣٠٣

- عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى (أبو الحكم) ٣٤٩
 عمرو بن حُجَيٍّ ٦٨
 عمرو بن طيباً ١٣٨، ١٣٩
 عمير بن جندب الجهني ٦٨
 العوفي ٣٤٥، ٣٤٧
 عياض بن غنم الفهري ١٠٤، ١٠٨، ١٣٦، ٢٣٩
 عيسى بن أسيد النصارى الطيب ٢٦٧
 عيسى بن يوسف المعروف بابن العطارة ١٦٩
 ابن عيشون الحزازي القاضي ١٨، ١١١
 غازان خان ١٣١، ١٩٩
 غرس النعمة محمد جلال بن المحسن بن إبراهيم
 الصابي ١٦، ١٩٧، ١٢٦، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٥،
 ٢٣٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٨٩، ٢٩١
 غريغوريوس صليبا شمعون (مار) ١٥
 غضبان رومي ٣٣، ١٥٢
 فؤاد سيد ٢١
 فؤاد معصوم ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٢،
 ٣٥٥، ٣٥٤
 القارابي ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٧
 فاليريان (الإمبراطور) ٣٣١
 أبو الفتح البُستي ٢٩٤
 أبو الفتح بن العميد (الوزير) ٢٩٨، ٢٩٠
 أبو الفتح محمد بن أحمد المندائي الواسطي = محمد
 بن أحمد المندائي الواسطي
 فتح ١٢٣، ٢٠٣
 فخر الدين الرازي ٢٥، ١٠٧، ١١٣، ٣٤١،
 ٣٤٢
- أبو الفداء الدمشقي ٣٧، ٧٣
 أبو الفرج البغدادى ٣٠٣
 أبو الفرج الزنجاني ٢٠
 أبو الفرج بن عبد الله النصارى الطيب ٢٧١
 القرغاني (الفلكي) ٢٥٧
 فرمايش (المستشرق) ١٠٩
 ابن فضل الله العمري ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١،
 ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٠٠
 أبو الفضل بن العميد ٢٩٨، ٣٠٠
 أبو الفضل بن سنان الحراني الصابي ٢٤٤
 فنسك ٦٦
 فوشولدر ٣٥
 ابن الفوطي ٢٢، ١٩٩
 فيثاغورس الحكيم ١٠٤، ١١٥، ١١٧، ٣٣٠،
 ٣٥٤، ٣٥٥
 فيلغريوس ٣٠٩
 فيلفرد ماديلونغ ١٩٥، ٢٨٥
 القائم بأمر الله ١٩٧
 قابوس بن وشمكير ٣٣٨
 قازان القائد ١٩٩
 أبو القاسم المطهر بن عبد الله = المطهر بن عبد الله
 القاسم بن القوقاني ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠
 أبو القاسم عبيد الله بن سليمان = عبيد الله بن
 سليمان
 القاهر بالله ١٦، ١٣٩، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٨،
 ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٣، ٢٠٠،
 ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٤٧

قُرَّة (جدِّ سَنان بن ثَابِت) ١٤٩، ١٥٣، ٢٠٦

قُرَّة بن الْأَشْرَث ١٣٨، ١٣٩

قُرَّة بن قُمَيْطًا الْحَرَّانِي ٢٩١

قُرَّة بن هِلَال الصَّابِئ ٢٤٧

الْقُرْطُبِي = أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِي

الْقُرْزُونِي = أَبُو زَكَرِيَّا الْقُرْزُونِي

قُسْطَاس بن يَحْيَى بن زَوْنِق ١٣٩

قُسْطَنْطِين الكَبِير ٧١

الْقَطِيعِي = إِشْعَاقُ الْقَطِيعِي

الْقِفْطِي ٢٣، ١٢٩، ١٩٢، ١٩٦، ٢٢٠، ٢٢٥،

٢٤٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥،

٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٩٢،

٣٤٢، ٣٤٨، ٣٥٣

الْقَلْقَشَنْدِي ٧٣، ١٧٩، ٢٩٧، ٣٠٢

قَيْقِل (الْكَاهِن) ٢٠٣

ابن قَيْمِ الْجَوْزِيَّة ٢٥، ٤٧

كَارَادِيْفُو ١٥١

كَارُلُو الْقَرْسُو نِيْلِيُو ٢٥٨، ٣٢٤

ابن كَحِير الدَّمَشْقِي ٢٢، ٧٣، ٢٨٤

كَرَاتَشْكُوفَنْسْكِ ٢٩٢

الْكَرْمَانِي = عَمْرُو بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَرْمَانِي

كِسْرَى أَنْوِشِرَوَان ٣٣١

كَلُود كَاهِن ١٨٢

كَلُودِيُوس ٣٠٩

ابن كَثُونَةُ الْيَهُودِي ٢٥

كُوبِرْنِيْكُوس ٢٥٧

كُوزِت رُودُلْف ٣٤، ٣٦، ٩٤، ٩٩

كُورْكيس عَوَاد ٢٨٦

كُورْنِيْن ٩٩

كِينْلَر ٨٦

لُويس مَاسِيْنِيُون ١٣، ١١٧، ٣١٩، ٣٤٦

لِيْثُ بن أَبِي سُلَيْم ٤٥

لِيلِيْث الشَّيْطَانَة ٨٩

لُؤْنِس الْقَانَد ١٦٩

لُمارْكِ لِيدْزِيَارْشْكِ ٦، ٣٠، ٣٥، ٨٦، ٩٤

لُمارِي بن سُلَيْمَان الْكَاتِب النَّصْرَانِي ١٤٣، ١٤٥،

مَأكُودُنَالْد ٣٤٧

مَأكَس مَابرْهُوف ١٥١

مَالِك بن عَقْبُون ١٤، ١٧، ١٠٩

الْمَأمُون ٢٠، ٢٩، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٩،

١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢،

١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢،

٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٥٧، ٢٦٠، ٣٣٣

ابن الْمَاندَانِي = مُحَمَّد بن عَلِي بن الْحَسَنِ

مَاني (نَبِيُّ الْمَانَوِيَّة) ١٢٣، ٢٠٣، ٣٢٣، ٣٢٤

الْمَاورُزْدِي ٢٩٣

أَبُو الْمُبَارَك الصَّابِئ ٢٠٢

الْمُتَّقِي لله ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٣

الْمُتَوَكِّل عَلَى اللَّهِ ١٣٩، ١٦٠

مُجَاهِد بن جُبَيْر الْمَخْزُومِي ٤٥

الْمَحْسَج = الْحَنْج

الْمُحْسَن بن إِبْرَاهِيم بن هِلَال الصَّابِئ (أَبُو عَلِي)

١٧٦، ١٨٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧،

عُمَدُ بْنُ جَابِرِ الْبَتَّانِي الصَّائِي ١٦، ١٢٩، ١٣٠،

٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٣،

٣٦٤، ٣٠١

عُمَدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِي ٢٤، ٤١، ٤٥، ٤٧،

٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٩،

عُمَدُ بْنُ رَائِقِ ١٨٠، ٢٩٤،

عُمَدُ بْنُ زَكَرِيَّا الرَّازِي (أَبُو بَكْرٍ) ١٨، ١١٦،

٢٥٤، ٢٥٥، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٠،

٣٤١، ٣٤٢،

عُمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَزْزِي ٤٦

عُمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَدُ بْنُ مَوْدُودِ الْمَلَقِبِ بَابِن

عَبْدُكَانَ ٢٩٦

عُمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَمْدَانِي ٢٩٧

عُمَدُ بْنُ عَلِيٍّ السَّيَّانَ ٩٥

عُمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ الْمَعْرُوفِ بَابِن الْمَانْدَانِي

١٢٦، ٢٢٧،

عُمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِي (أَبُو

عَبْدُ اللَّهِ) ٢٣

عُمَدُ بْنُ مَعْمَرِ الْبُسْتِي الْمَقْدِسِي (أَبُو سُلَيْمَانَ)

٣٤٥

عُمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرِ ١٦١، ١٦٢، ١٦٣،

٣٤٢

عُمَدُ بْنُ يَتِيمِ بْنِ فَضْلَانَ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) ١٩٩

عُمَدُ بْنُ يَكْنَالَ ٦٩

عُمَدُ بْنُ حُسَيْنِ الزَّيْدِي ٢٨٥

عُمَدُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧،

٦٣، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠،

الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ التَّوْحِيْدِي الْقَاضِي (أَبُو عَلِيٍّ) ٢٧٦

عُمَدُ الْأَمِينِ ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦،

١٤٧، ١٥٧، ١٦٠،

أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ = الْحَسَنِ بْنِ

مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ

عُمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْقُدَمِي ٤٦

عُمَدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُنْدَانِي الْوَاسِطِي (أَبُو الْفَتْحِ) ١٢٦

عُمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بُخْتَارِ الْمُنْدَانِي ١٢٧

عُمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ الْخَوَّازِمِيِّ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ)

١٥١، ٢٥٧، ٢٦١،

عُمَدُ بْنُ إِدْرِيسِ الشَّافِعِيِّ الْإِمَامِ ١٧٠

عُمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ ١٥، ١٨، ١٩، ٣٧، ٩٠،

٩١، ٩٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٧،

١٣٨، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١،

١٥٢، ١٥٣، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥،

١٦٧، ١٦٨، ١٧٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١٣،

٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٣،

٢٣٤، ٢٣٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩،

٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٢،

٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٢٣،

٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٤٧،

عُمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَحْمَدِيِّ ٤٥

عُمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَّارِيِّ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) ٤١،

٤٢، ٤٤، ٦٨، ٧٠،

عُمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ٣١٤

عُمَدُ بْنُ بَقِيَّةَ (أَبُو طَاهِرٍ) ١٩٣، ٢٧١، ٢٧٢،

١٧٢، ١٩١، ٢٣٨، ٢٤٧، ٣٤٤، ٣٥٩، ٣٦٠

مُحَمَّد صَابِر خان ٢٨٥

مُحَمَّد عَمْر حَمَادَة ٣٨

مُحَمَّد غَرَسُ النُّعْمَة بن هِلَال بن المَحْسَن الصَّابِي

= غَرَسُ النُّعْمَة مُحَمَّد بن هِلَال بن المَحْسَن

الصَّابِي

مُحَمَّد يُونُسُ نجم ١١

عَمُود إِسْمَاعِيل ٣٥٠، ٣٤٧

عَمُود الْغَزْنَوِي ٢٨٩

مَرْجَانِيُوث ٤٨، ١١٠، ٢٨٢

مِرْوَان بن مُحَمَّد ١٣٩، ١٥٦، ٣٢٢

المُسْتَعِين بالله ١٣٩

المُسْتَكْفِي بالله ١٧٦

المُسْعُودِي ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠،

٣٧، ٦٨، ٧٣، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢،

١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٦٥، ٢٣٩، ٢٧٦، ٣١٢،

٣١٣، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٧، ٣٥٦،

مُسْكُوبِي ٢١، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤،

٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨،

مُسْلِمَة المَجْرِيطِي ١٥، ٢٠، ٢١، ٣٧، ١٤٣،

١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٦٩، ٣٤٨، ٣٤٩،

الْمُسَيِّح ~~الْمُسَيِّح~~ ٢٠، ٢٨، ٣٥، ٨٥، ٩٠، ٩٧، ٩٨،

١٣٨، ١٤٤، ٢١٤، ٣٥٤،

مُشْرِف الدَّوْلَة ٣٠٢

مُضْطَفَى جَوَاد ٢٨

مُطَرِّف بن طَرِيف الْحَارِثِي ٤٦

ابن الْمُطَهَّر الْأَزْدِي ٢٤

الْمُطَهَّر بن طَاهِر الْمُقْدِسِي ٣٧، ٢٢١

الْمُطَهَّر بن عبد الله (أَبُو الْقَاسِم) ١٩٤

الْمُطِيع لله ١٧٩، ١٨٥، ٢٧٠، ٢٩٧

مُتَاوِيَة بن أَبِي سُفْيَان ١٣٧

مُتَاوِيَة بن عَبْدِ الْكَرِيم ٤٦

الْمُعْتَزِل بالله ١٣٩

الْمُعْتَصِم بالله ١١٣، ١٣٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣،

١٦٤، ١٦٥، ١٧١، ١٧٢، ٢٢٣، ٢٧٦،

الْمُعْتَمِد على الله ١٣٩، ١٦٣،

مَعْرُوف الْكَرْخِي ١٢٥، ١٢٦، ٣٢٠،

مُعْزُ الدَّوْلَة بن بُوَيْه ١٧٩، ١٨٢، ١٧٦، ١٨٤،

١٨٥، ١٨٦، ٢٧٠، ٢٨٣،

أَبُو مَعْشَرِ الْبُلْخِي ١٩، ٣٣٥،

مِغْلَس بن طِيَاب ١٣٨، ١٣٩،

الْمُقْضَلُ بن إِبْرَاهِيم الْحَرَّانِي الصَّابِي (أَبُو الْحَطَّاب)

١٠، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦،

٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٣٠١،

الْمُقْتَدِر بالله ١٩، ٢٠، ٢١، ١٣٩، ١٦٦، ١٦٧،

١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧،

١٨١، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤،

الْمُقْدِسِي الْبَشَّارِي ٢٣، ١٨٠،

الْمُقْرِيزِي ٦٧، ١٥١،

الْمُكْثَفِي بالله ١٣٠، ١٦٥، ٢٥٦،

الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِحِفْظِ الشَّمْسِ = شَامَش (الْإِنْرِي)

الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِنَجْمِ الْقُطْبِ الشَّمَالِي = أَوَّاثَر (الْإِنْرِي)

الْمُسْتَصِرُّ بالله ١٣٩

مَنْذَاد هَمِي ٢٠٤، ٣٢١

- أبو منصور الخلاج ٣٢٢، ٣٢١، ٣١٩، ٢٨٤
ابن منظور ٣١٢، ٦٩، ٦٧، ٦٥
المُهتدي بالله ١٣٩
المُهتدي المنتظر ٣١٤
المُهتدي بالله ١٣٩، ١٢٥
المُهتدي لدين الله الزيدي؛ الإمام الملقب بالداعي
إلى الحق ١٨٢
موسى ٢١٢، ٩٧
موسى الكاظم ٣١٣
موسى بن كعب التميمي ١٤١
الموفق طلحة ١١٣، ١١٤، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥،
١٨٦، ١٨٥
مونتغمري وات ٦٨
ميشيل تارديو ١١١
ميخائيل الشرياني الكبير ١٥، ١٤٥
ميخائيل بن أفر بن بقراريس ١٣٨، ١٣٩
بيدج. ر. ٣١، ٣٣
ميرزا محمد شيرازي ١٠٩
ميرزاي ابنة هيرودس ٩٢
ميشا = موسى
ميشيل تارديو ٣٧، ٣٩، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠،
١١١، ١١٢، ١١٣
ميمون بن ديصان ٣١١
مينالوس ٣٠٦
مينورسكي ١٨٠
ناصر الدولة الحمداني ٢٤٨، ٢٨٣
ناصر خسرو ٣١٢
النَّاصِر لدين الله (الإمام الزيدي) = الحسن بن
الأطروش
النَّاصِر لدين الله (الخليفة العبَّاسي) ١٩٩، ٢٧١
ابن ناعمة الجففي ١٠٥
نافع المدني ٦٦
نبي حُرَّان = بابا الصَّابغ الحُرَّاني
ابن النِّيه المِضريّ الشَّاعر ٢٣٠
النَّدِيم = مُحَمَّد بن إِسْحَاق النَّدِيم
نِسْطَاسُ بن يَحْيَى بن زَوْتَق ١٣٨
أبو نَصْر الفَارابي ٢٤٩، ٣٣٣، ٣٣٧
أبو النَّصْر هَارُون بن صَاعِد بن هَارُون الصَّابِغ
٢٧٣
نِظَامُ الْمُلْك الطُّوسِي ٢٩٣
ابن نظير النَّصْراني ١٥٦، ٣٠٣
نعيم بدوي ٣٣، ١٥١، ١٥٢
نقبن بن قَصْرُونَا ١٣٩
نَجْمُ بن حَكِيم بن يَحْيَى ٩، ١٣٨، ١٤٠، ٢٤٠
نُوزِير غ. م. ٢٨، ٣٠
نومنيوس ١٠٥
النَّوِيرِي ٣٠٣
نيرُون ٣٠٩
نيفيه ٩٩
نِقُولَا سِيُوفِي ٢٩، ٣٣
مُوسَى الهادي ١٣٩
هَارَان ١٠٢
هارون الرَّشِيد ١٢٨، ١٣٥، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢،
١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠،

ابن وخشيئة النبطي ١٦، ١٧، ١٠١، ١٠٦، ١٠٩،

١١٦، ١١٧، ١٣١، ١٤٦، ١٩٨، ٢١٠، ٢١١،

٣٥٤، ٣٢٠، ٣١٩، ٣١٨

جوستاف فون جرونباوم ٦٧

وشمكير بن زيار الدليمي ٢٨٦

وصيف التركي ١١٣، ١٦٥

أبو الوفا تورزون (أمير الأمراء) ١٧٦، ١٧٧،

١٨٠، ٢٧٣، ٢٨٣

أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي ٢٧٥

وليام برانت ٣٠

الوليّد بن عبد الملك ١٣٩، ١٥٥

الوليّد بن يزيد ١٣٩

وهب بن مّنه ٤٥

وولف ف. ٣٠٣

ويجن بن رُسّم = أبو سهل الكوهي

ويليام برانديت ٨٦

ياقوت الحسوي ٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠،

١٧٦، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٤، ٢٣٠، ٢٧٨،

٢٧٩، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣٤٥

يحيى بن بشير النّهاوندي ١١٦، ١٤٤

يحيى بن زكريّا ٢٧، ٣١، ٨٢، ٨٣، ٨٤،

٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٧، ٩٨، ١٤٠، ١٤١،

٢٣٨، ٣١٧، ٣٢١

يحيى بن سعيد الأنطاكي ٢٢، ١٩٨

يحيى بن سعيد الحرثي ١٤٢

يحيى بن عديّ النّصراني ١٠٧، ٣١٠

يزيد بن عبد الملك ١٣٩

هَارُون بن إِبْرَاهِيم بن حَمَّاد بن إِسْحَاق الأَزْدِيّ

١٦٧، ١٦٨، ١٧٣

هانس شيدار ٣١٢

هايل بن آدم ١١٥

أبو الهذيل العلاف ٣٢٢

هرم بن سنان ٢٥٠، ٢٥١

هرمس المُثَلَّث بالحِكمَة ١١٥، ١٤٦، ٢١٤،

٣٢٩، ٣٥٥، ٣٥٦

هرمس الهرايمية = هرمس المُثَلَّث بالحِكمَة

هشام بن عبد الملك ١٣٩

هلال بن إِبْرَاهِيم بن زَهْرُون الصّايغ (أبو الحسن)

١٨٤، ٢٧٣

هلال بن أبي هلال الحِمَفي ٣٠٥

هلال بن المُحَسَّن الصّايغ ١٦، ١٣١، ١٨٣،

١٨٤، ١٩٤، ١٩٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٤١،

٢٤٥، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩،

٢٨١، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤،

٣٠٢، ٣٠٣

هنري فيلد ٨٦

هنري كُوزَيّان ٣١٩، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٩

هولاكو خان ٨، ٩، ١٣١

هيل زيوّا ٨٣، ٨٩، ٩٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٩

هيوليئس ٩٦

هيرودس الملك ٩٢

الواق بالله ١٣٩

والتر ونك ٩٣

يُوسُفُ الْقَسْ ٢٦٣	يَسُوعُ الْمَسِيحُ = الْمَسِيحُ ﷺ
أَبُو يُوسُفَ إِشْعَاقَ الْقَطِيعِيِّ النَّصْرَانِيِّ الْكَاتِبِ =	يَعْقُوبُ الرُّهَاوِيُّ (تَار) ١١٢، ٦٤، ١٥
إِشْعَاقُ الْقَطِيعِيِّ النَّصْرَانِيِّ الْكَاتِبِ	يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ الْأَنْصَارِيِّ الْقَاضِي
يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ ١٦٥	(أَبُو يُوسُفَ) ١٤٢، ١٤١، ١٣٥
يُوسُفُ حَبِيبِ (الْأَبُ) ١٥	يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ ٣٠٥، ٢٦٧، ٢٥٥
أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ	٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٢٩
الْأَنْصَارِيُّ الْقَاضِي = يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ	أَبُو بَعْلَى الْقَرَاءِ ٢٩٣
حَبِيبِ الْأَنْصَارِيِّ الْقَاضِي	يُنْبَأُ يَوْمَانَا = يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ﷺ
يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ٤٨، ٤٦	يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ = يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ﷺ

كشاف الأماكن والبلدان والمدن والبقاع

أَنْزِيَّةَ ١٦٥	أَنْشَا الْوَسْطَى ١٨٠
إِسْرَائِيلَ ٣٥، ٣٤	أَنْشَالَا ٣٦، ٣٥
أَسْطَاغِيرَا ٣٠٧	الْأُبْلَةُ ١٢٥
أَسْفَرَايِينَ ٣٤٥	أَنْشَا ٣٠٨، ٣٠٩
الْإِسْكَندَرِيَّةَ ١٠٥، ٣٣١، ٣٣٢	الْإِحْسَاءَ ٣١٤
أَسْیُوطَ ١٠٥	أَزْزِينْجَانِ ٣٤٥، ٣٥٣
أَسْطَخْرَ ١٦٩	الْأَزْدُنَ ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٧
إِفْرِيقِيَّةَ ٣٢٧	أَزْدُوَانِ ٨٥
إَقْلِيمُ الْجَبَالِ ١٨٠	الْأَزْضَ ٣٢٧، ٣٢١، ٣١٨، ٣١٦
أَيْلَ ١٨١	أَزْضُ الْأَطْهَارِ ٣٢٦
الْأَنْصُولَ ١٠٢، ١٠٣	أَزْضُ الْجَنَّةِ ١٢٧
الْأَنْبَارَ ٨٦، ١٠٢	أَزْضُ الرُّومِ = بِلَادُ الرُّومِ
الْأَنْدَلُسَ ٧٢، ٧٤، ٢٧١، ٢٧٣، ٣٤٨، ٣٤٩	أَزْضُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ٣٢٧

أَنْطَاكِيَّةُ ١٠٥، ١١٣، ١٦٥، ٢٩٢، ٣٣١

أَهْرَامُ يَمْرُ ١٠٨

الْأَهْوَاؤُ ٢٩، ٤٨، ٨٠، ٨٩، ١٢١، ١٩٩، ٢٠٠،

٣١٤. وانظر أيضًا: البطائح

أَوْزَنْسَلِيم ٣٤، ٤٩، ٨٥، ٩١، ٩٢

أَوْزَقًا = الرِّهًا

أَوْزُونًا ٢٨، ١٠٢، ١٠٣، ٢٥٨

أَوْكُسُفُورْد ٣٤

إِيرَانُ ٧، ١٠، ١٢٤

آيرلندا ١٠

بَابُ الزُّهْرَةِ ١٢٨

بَابُ السَّرَابِ ٢١٤

بَابِلُ ٤٩، ١٠٢، ١٩٨، ٣٢٧

بَابِلُ السُّفْلِ ٩٩

بَابِلُ الْعُلْيَا ٩٩

الْبَادِيَةِ ٤٤

بَيْتَانُ ١٢٩، ٢٥٦

الْبَيْتَاءُ ١١٣

الْبَحْرُ الْأَخْمَرُ ٢١٢

بَحْرُ الْخَزَرِ ١٨٠

الْبَحْرُ الْمَيِّتُ ٣٤، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨

بَحْرُ إِيجه ٣٠٧

الْبَحْرَيْنِ ١٣٦، ٣١٤، ٣٥٠

الْبَيْدَنْدُونُ ١٥٠

الْبُرْتَقَالُ ٢٧

بَرْلِين ٣٤

بَرِّيَّةُ الْكُوفَةِ ١٦٢

الْبَصْرَةُ ٧، ٢٦، ٢٧، ٦٤، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢،

١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٥٦، ١٨٦، ١٨٧،

١٩٢، ٢٠٣، ٢٤٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٤، ٣٢٣،

٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٦٠

الْبَطَائِحُ ٧، ٤٨، ٥٤، ٥٩، ٨٠، ٩٠، ١٢٠،

١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٩٣، ١٩٥،

٢٢٢. وانظر أيضًا: الأهوار

بَعْدًا ١٠

بَغْدَادُ ٩، ١٠، ١٢، ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢١،

٢٢، ٣٣، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩،

١٣٠، ١٣١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨،

١٥١، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢،

١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩،

١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧،

١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩،

١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧،

١٩٨، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٤١،

٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩،

٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٣،

٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١،

٢٩٢، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٢

نُورُ الشَّامِ ١٦٥	بلادُ التُّركِ ١٠٢، ٣٣٧
الجامعُ الأزهرُ ١٠	بلادُ الرّافدين = العراق
جامعُ حرّانَ ٢٣٩	بلادُ الرُّومِ ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٦١، ١٦٢،
جامعةُ أُنسُفُورد ٣٥	٣٢٧
جامعةُ القُدسِ ٣٤	البلادُ الواسطيّةُ ٢٠٠
جَبَلُ الطَّرِيفِ ٩٥	بلادُ ما بين النهرين ٢٦، ٣٥، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١،
جَبَلُ مَاداي ٨٥	٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٢٠، ١٨١، ٢٣٥.
الجزيرةُ الفُراتيّةُ ١٤، ١٠٢، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢،	وانظر أيضًا: العراق
١٥٤، ١٨١، ١٩٨، ٣٥٠. وانظر أيضًا: العراق	بلادُ ما وراء النهر ٧٢، ١٨١، ٣٢٤
— بلاد ما بين النهرين — حوض ما بين النهرين	بَلخَ ١٠٨
الجليل ٢٨	بُولُونِيَا ٢٥٨
الجمعيّةُ الملكيّةُ الآسيويّةُ ٣٥	بيثُ البوغدارين ١٦٧، ١٦٨،
جُنْدِسَابُور ٣٣٠، ٣٣١	بيثُ الحِكْمَةِ ١٣٠، ٢٦٠
جُوا ٢٧	بيثُ الصُّورِ العقليّةِ ٣١٨
جِيلان دِيلَمَان ٢٨٦، ١٨٠	بيثُ المقدّوسِ ١٠٨
الحبشةُ ٣٢٧	بيثُ مغليتا ١١٠
الحِجَازُ ١١٣، ٣٢٧	بيروت ١٥، ٣٣
حرّانَ ٦٥، ٧٠، ٨٠، ٩٠، ١٠٠، ١٢٠، ١٣٠، ١٤٠، ١٧٠،	بِيزَنْطَةُ ٣٣١
٢٢، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٦٧، ٧٥، ٧٦،	البيارِستانُ العُصدي ٢٧٢، ٢٧٣
٧٧، ٨٤، ٨٥، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦،	بُيُوتُ الأَصْنامِ ١١٠
١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥،	ترعائا = ترعوز
١١٧، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١،	ترعوز ١١٣، ١٢٨، ١٥٠
١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥،	تُرْكِيَا ١٠
١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥،	تُلُ العَبارَةِ ٦٧

دير العاقول ٢٢٣، ٢٤٦	١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧
دير القديس باخوم ٩٥	١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٩
دير القديس مرقص ٣٤	١٩٠، ١٩٢، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣
دير قنّى ٢٢٣	٢٠٦، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٥
دير كاذي ١٢٨، ٢١٤	٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧
ديلمان ١٨٠، ١٨١	٢٥٤، ٢٥٦، ٣١١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٣٢
رأس العين ١٠٢	٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٩
الرّصافة ١٢٢، ٢٩٢	١٥، ٢٧٧، ٢٩٢، ٣٣٧
الرّقة ١٠٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٦٠	جخص ٣١٤
١٦٩، ١٩٠، ١٩٢، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٦	حوض ما بين النهرين = بلاد ما بين النهرين.
الرّها ١٥، ٦٤، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١١٢	وانظر أيضًا: العراق
١٢٩، ١٣٦، ١٥١، ٣٣٢	حيدر آباد ١٦، ٣٤٤
روسيا ٢٩	خراسان ١٧٤، ١٨١
روما ٢٨، ١٠٥، ١٠٧	خربة قمران ٣٤، ٩٦
زنجان ٣٤٥	الخليج العربي ١٠٢، ١٢١
سامراء ١٣١، ١٦٣	خوزستان ٨، ١٢٤، ٣١٤، ٣٣١
سان بطرس برج ٢٩	دار الخلافة ١٦٥، ١٦٦، ١٧٢
سبني (قرية) ٢١٤	دار الكتب المصرية ٣٤٤
السرايب الأربعة ١١١	دستميسان ٨، ١٢٣، ٢٤٤، ٣٢٣
سلمسين ١١٣، ١٢٨، ١٥٠، ١٥٣	الدكن ٣٤٤
سلمية ٣١٤	دمشق ١٧، ٣٧، ٣٨، ١٠٢، ١٠٨، ١١٠، ١١٣
سواد العراق ٤٧، ٤٨، ٨٠، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٢	١١٥، ١١٧، ١٣١، ١٩٩، ٣٣١، ٣٤٤
١٣٦، ٢٦٨، ٣١٧	ديار مقرر ١٠٢، ١٢٩، ١٨١، ١٩٠، ١٩٢
سوس ٣٣١	١٩٧

سُوق السِّلَاح ٢٩٢	١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤١،
سُوقُ الرِّزَّاقِينَ ٢٩٦	٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٧٩، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٢٤،
الشَّام ١٠٢، ١٣١، ١٦٥، ٢٩٢، ٣١٤، ٣٣٠،	٣٥٠، ٣٢٧
٣٥٠	العِرَاقُ الْأَعْلَى ١٠٢
شِبْه الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّة ٤٠، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٦٩،	الْعِمَارَةُ ٨، ١٢٤
٧٣، ٧٥، ٨١، ٩٨	عُمَّان ١٨٥، ١٨٦
الشَّرْقُ الْأَذْنَى ٩٦، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤	عَوَقَةُ ٣٤٥
شَرْقِي أَوْرُوبًا ١٨٠. وانظر أيضًا: أَوْرُوبًا	عَيْنُ زَرْبَةٍ ١٦٥
شِبَالِي إِفْرِيقِيَّة ٣١٤. وانظر أيضًا: إِفْرِيقِيَّة	فَارَاب ٣٣٧
الشُّونِيزِيَّة ١٢٧	فَارِس ٩٩، ١٠٥، ١٢٣، ١٥١، ١٦٩، ١٨١،
صَخْرَاءُ سِنْجَار ١٦٢	١٨٢، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦
صَعِيدُ مِصْر ١٠٥. وانظر أيضًا: مِصْر	الْفُرْسُ (قَرْيَةٌ) ٢٢٣
صَلْمُسِينَ = سَلْمُسِينَ	فِرْعَاوُس ٣٠٩
صَنْمُ الْقَمَر (قَرْيَةٌ) = سَلْمُسِينَ	فِرْعَانَةُ ١٠٨
الصَّيْن ٣٢٧	فَلَسْطِينَ ٣٥، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩٥، ٩٧،
طَبْرِسْتَان ١٨٠، ١٨١	٩٨، ١٢٠، ١٣٨، ٢٣٥
طَرُوسُوس ١٥٠، ١٦٠	الْقَادِسيَّة ١٣٦
طَهْرَان ٩٠	الْقَاهِرَةُ ١١، ٣٢، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٥٠، ٥٣،
الطَّيْبُ ٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٦، ١٤٦، ٢٤٤	٥٨، ٥٩، ٩٠، ٩٥، ٩٩، ١٩٥، ٣٤٧
العِرَاق ٥، ٧، ٩، ٢٥، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٤٨،	الْقُدْسُ الشَّرْقِيَّة ٣٤
٥٢، ٧٤، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٩٠، ٩٢،	قُرَى بَابِلِ النَّائِيَةِ ١٣١
٩٣، ٩٤، ٩٨، ١٠٢، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣،	قَرْيَةُ الزَّهْرَةِ = تَرْعَانَا
١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٣٧، ١٥١،	قِصْبَةُ الْخِلَافَةِ ٢٤٨
١٥٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤،	قِصْبَةُ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّة = بَغْدَاد

قصر الجص ١٩٤، ٢٥٦

القطب الشمالي ٣٢٦

القطيعة ١٤٨

قطيعة أبي النجم ١٤٨

قطيعة إسحاق ١٤٨

قطيعة الربيع ١٤٨

قطيعة الرقيق ١٤٨

قطيعة العكي ١٤٨

قطيعة أم جعفر ١٤٨

قطيعة بني جدار ١٤٨

قطيعة ريسانة ١٤٨

قطيعة عيسى ١٤٨

الكرخ ١٢٧، ٢٢٨

كردستان ٨٦

كسكر ١٢٢، ١٢٥

الكتبة المشرفة ٦٨، ١٠٨

كفر ثوثا ١٢٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣

كينرذج ٣١

الكوث ١١

لبنان ١٠

لندن ١٧، ٢٠، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٩٠

ليسيج ٣٦، ٩٠

ليدن ٣٤

المتحف القبطي ٩٥، ٩٦

المتحف المصري ٩٥

مجلسي شوراى إيران ١٠

مجمع الحرنائية بحرآن ١٦١

مجمع الفلاسيقة بحرآن ١٧

مجمع اللغة العربية ٤٠

المحيط الهندي ٢٧

مدينة القمر = حرآن

مربعة الخرشى ٢٩٢

المسجد الأموي ١٠٨

مضر ١٠، ٧٤، ٨٥، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٨، ١٧٣،

١٨١، ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣١٠، ٣١٤، ٣٢٧،

٣٥٠

مصل الصائين = هكل القمر

معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٥

مقابر الشونيزية ١٢٧

مكتبة أحمد الثالث ٣١٠

مكتبة الأسد ٣٤٤

المكتبة التيمورية ٣٤٤

المكتبة الظاهرية = مكتبة الأسد

مكتبة تيشتريتي ١٠

مكتبة جامعة ليدن ١٠

مكتبة عاشر إفتدي ١٠

المملكة المتحدة ٣١

مهرجان ٣٤٥

الموصل ٤٧، ٤٨، ١٠٢، ١٧٧، ١٨١، ١٩٣،

١٩٤، ٢٤٨، ٢٨٣

مَيْسَان ٨، ١٢٣، ٢٤٤	الهِنْد ٧٤، ٨٧، ٢١٤، ٢٨٩، ٢٣٧
نَابُولِي ٢٥٨	هُوزُ الْمَحْمَدِيَّة ١٢١
النَّاصِرَة ٢٨، ٧٧	هُوزُ بَخْصِي ١٢١
نَجْعُ حَمَادِي ٩٥، ٩٦، ٩٩	هُوزُ بَصْرِيَانَا ١٢١
نَهْرُ أَبِي الْأَسَد ١٢١	هُوزُ بَكْمِيصِي ١٢١
نَهْرُ الْأُرْدُن ٢٧، ٨٩، ٩١	هُولَنْدَا ١٠
نَهْرُ الصَّلَة ١٢٥	الهِياكُلُ السَّبْعَة ١٠٨
نَهْرُ الْفُرَات ١٠٢، ١٢٠، ٨٩، ٩٢، ١٢١، ١٢٧،	هَيْكَلُ آزَر ١١٠
١٢٩	هَيْكَلُ اشْقَلَابِيُوس ١١٣
نَهْرُ الْمَحَامِدَة ١٢٥	هَيْكَلُ الزَّهْرَة ١٢٨
نَهْرُ النَّيْل ٩٥	هَيْكَلُ الشَّمْس ٣١٨
نَهْرُ بَانِيَّاس ١٠٢	هَيْكَلُ الْقَمَر ١٧، ٩١، ٩٦، ١٠٨، ١٩٨، ١٠٢،
نَهْرُ بَرِيه ١٢٦	١٤٣، ١٤٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٦،
نَهْرُ جَعْفَر ١٢٥	٢٢١، ٢٢٢. وانظر أيضًا: مَجْمَعُ الْحَرَنَانِيَّة بِحَرَّان
نَهْرُ دِجْلَة ١٢٥، ١٤٨	هَيْكَلُ مَغْلِيْتَا = بَيْتُ مَغْلِيْتَا
نَهْرُ سَيْحُون ٣٣٧	وَاسِط ٨، ٨٠، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣،
نَهْرُ طَابِق ١٢٦، ١٤٨	١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٠،
نَهْرُ كَرْخَايَا ١٢٧	٢٢٣، ٣٠٢
نَهْرُ مَغْفِل ١٢٥	وَقَفْتُ مُرْنَة ٢٢٣
نَهْرِيَّان ١٢٥	يَالُوس ٢٢٣
نُورِنِيرِج ٢٥٨	الْيَمَن ٢٨
نُوقَان ١٣١، ١٩٨	الْفَاتِيكَان ٣٤
هَالِه ٣٠	فِيْشَابُون ٢٨٥
مَجَر ١٣٦، ١٤٠	

الصالحة

منظور الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية

د. أحمد محمد

” إذا كنت أنا - كما وصفتني - قد أقيمت بحجر في الماء الراكد فيما يتعلق بالبحث في هذا الموضوع الشائك: فأنت قد حفرت نهراً عميقاً سيدفع بالمياه طويلاً للجريان والتدفق. عزيز سباهي

أفضل عمل علمي قرأته في العشرين عاماً الأخيرة على الإطلاق.

د. محمود إسماعيل

عمل مرجعي رائد . فيه تأصيل - ويسد فراغاً كبيراً في مكتبتنا العربية . ولست أظن أنه بإمكان أحد من الباحثين في تاريخ الصابئة وأصول عقائدهم أو دارسي أوضاع أهل الذمة بوجه عام - تجاهله كمرجع رئيسي .

د. عبادة كحيلة

عندما نقرأ هذا العمل كاملاً لا تملك إلا أن تكبر ذلك الجهد الفائق الذي بذله المؤلف اطلاعاً وبحثاً وتقصيماً ، وسيأخذك الإعجاب كل مأخذ بمنهجه وطريقته معالجته للقضايا الشائكة بشكل يعكس ألمعية المؤلف ، وقدرته الفائقة على تحليل المعطيات واستنباط النتائج .

د. محمود عرفة محمود



9 789774 990960

الغار
حسن جميل

